﴿فهرسة الجزء السابع من تاريخ الامام ابن خلدون﴾

صحيفه

٢ الخبر عن زناتة من قبائل البربر وما كان بين أجيالهم من العز والظهور وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة

٣ الخبر عن نسب زناتة وذكر الخلاف الواقع فيه وتعديد شعوبهم

٧ فصل فى تسمية زناتة ومعنى هذه الكلمة

٧ فصل فى أولية هذا الجيل وطبقاته

٨ الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناتة وشأنهم مع المسلمين عند الفتح

٩ الخبر عن مبتدا دول زناتة فى الاسلام ومصير الملك اليهم بالمغرب وافريقية

١١ الطبقة الاولى من زناتة ونبدأ منها بالخبر عن بنى يفرن وانسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول بافريقية والمغرب

١٢ الخبر عن أبى قرة وما كان لقومه من الملك بتلسان ومبدا ذلك ومصايره

١٣ الخبر عن أبى يزيد الخارجى صاحب الحمار من بنى يفرن ومبدا امره مع الشيعة ومصايره

١٧ الخبر عن الدولة الاولى لبنى يفرن بالمغرب الاوسط والاقصى ومبادى أمورهم ومصايرها

١٨ الخبر عن الدولة الثانية لبنى يفرن بسلا من المغرب الاقصى وأولية ذلك وتصاريفه

٢٢ الخبر عن أبى نور بن أبى قرة وما كان له من الملك بالاندلس أيام الطوائف

٢٣ الخبر عن مرنجيصة من بطون بنى يفرن وشرح أحوالهم

٢٤ الخبر عن مغراوة من أهل الطبقة الاولى من زناتة وما كان لهم من الدول بالمغرب ومبدا ذلك وتصاريفه

٢٨ الخبر عن آل زيرى بن عطية ملوك فاس وأعمالها من الطبقة الاولى من مغراوة وما كان لهم بالمغرب الاقصى من الملك والدولة ومبادى ذلك وتصاريفه

٣٧ الخبر عن بنى خزرون ملوك سجلماسة من الطبقة الاولى من مغراوة وأولية ملكهم ومصايره

٣٩ الخبر عن ملوك طرابلس من بنى خزرون بن فلفول من الطبقة الاولى وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

٤٤ الخبر عن بنى يعلى ملوك تلمسان من آل خزر من أهل الطبقة الاولى والالمام

صحيفه

ببعض دولهم ومصارها
٤٦ الخبر عن أمراء اغمات من مغراوة
٤٦ الخبر عن بنى سنجاس وريغة والاغواط وبنى ورا من قبائل مغراوة من أهل الطبقة الاولى وتصاريف أحوالهم
٤٩ الخبر عن بنى برنيان اخوة مغراوة وتصاريف أحوالهم
٥٠ الخبر عن وجديجن وأوغمرت من قبائل زناتة ومبادى أحوالهم وتصاريفهم
٥١ الخبر عن بنى واركلا من بطون زناتة والمصر المنسوب اليهم بصحراء افريقية وتصاريف أحوالهم
٥٢ الخبر عن دمر من بطون زناتة ومن ولى منهم بالاندلس وأولية ذلك ومصايره
٥٣ الخبر عن بنى برزال احدى بطون دمر وما كان لهم من الحال بقرمونة وأعمالها من الاندلس أيام الطوائف وأولية ذلك ومصايره
٥٤ الخبر عن بنى ومانوا وبنى يلومى من الطبقة الاولى وما كان لهم من الملك والدولة بأعمال المغرب الاوسط ومبدا ذلك وتصاريفه
٥٧ أخبار الطبقة الثانية من زناتة وذكر انسابهم وشعوبهم وأوليتهم ومصاير ذلك
٦١ الخبر عن أحوال هذه الطبقة قبل الملك وكيف كانت تصاريف أحوالهم الى أن غلبوا على الملك والدول
٦٣ الخبر عن أولاد منديل من الطبقة الثانية وما أعادوا القومهم مغراوة من الملك بموطنهم الاول من شلب وما اليه من نواحى المغرب الاوسط
٧٢ الخبر عن بنى عبد الواد من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم بتلمسان وبلاد المغرب الاوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصاير أحوالهم
٧٦ الخبر عن تلمسان وما تأدى الينا من أحوالها من الفتح الى أن تأثل بها سلطان بنى عبد الواد ودولتهم
٧٨ الخبر عن استقلال يغمراسن بن زيان بالملك والدولة بتلمسان وما اليها وكيف مهد الامر لقومه وأصاره تراثا لبنيه
٧٩ الخبر عن استيلاء الامير أبى زكريا على تلمسان ودخول يغمراسن فى دعوته
٨١ الخبر عن نهوض السعيد صاحب مراكش ومنازلته يغمراسن بجبل

صحيفه

تاهرت ردكت ومهلكه هنالك
٨٣ الخبر عما كان بينه وبين بنى مرين من الاحداث سائر أيامه
٨٤ الخبر عن كائنة النصارى وايقاع يغمراسن بهم
٨٥ الخبر عن تغلب يغمراسن على سجلماسة ثم مصيرها بعد الى ايالة بنى مرين
٨٥ الخبر عن حروب يغمراسن مع يعقوب بن عبد الحق
٨٦ الخبر عن شأن يغمراسن مع مغراوة وبنى توجين وما كان بينهم من الاحداث
٨٨ الخبر عن انتزاء الزعيم بن مكن ببلد مستغانم
٨٩ الخبر عن شأن يغمراسن في معاقدته مع ابن الاحمر والطاغية على فتنة يعقوب ابن عبد الحق والاخذ بحجزته
٨٩ الخبر عن شأن يغمراسن مع الخلفاء من بنى أبى حفص الذى كان يقيم بتلمسان دعوتهم ويأخذ قومه بطاعتهم
٩١ الخبر عن مهلك يغمراسن بن زيان وولاية ابنه عثمان وما كان فى دولته من الاحداث
٩٢ الخبر عن شأن عثمان بن يغمراسن مع مغراوة وبنى توجين وغلبه على معاقلهم والكثير من أعمالهم
٩٣ الخبر عن منازلة بجاية وما دعا اليها
٩٤ الخبر عن معاودة الفتنة مع بنى مرين وشأن تلمسان فى الحصار الطويل
٩٥ الخبر عن مهلك عثمان بن يغمراسن وولاية ابنه أبى زيان وانتهاء الحصار من بعده الى غايته
٩٧ الخبر عن السلطان أبى زيان بعد الحصار الى حين ملكه
٩٨ الخبر عن محو الدعوة الحفصية من منابر تلمسان
٩٨ الخبر عن دولة أبى حمو الاوسط وما كان فيها من الاحداث
٩٩ الخبر عن استنزال زيرم بن حماد من ثغر برشك وما كان قبله
١٠٠ الخبر عن طاعة الجزائر واستنزال ابن علان منها وذكر أوليته
١٠١ الخبر عن حركة صاحب المغرب الى تلمسان وأولية ذلك
١٠٢ الخبر عن مبدا حصار بجاية وشرح الداعية اليه
١٠٣ الخبر عن خروج محمد بن يوسف ببلاد بنى توجين وحروب السلطان معه
١٠٤ الخبر عن مقتل السلطان أبى حمو وولاية ابنه أبى تاشفين من بعده

صحيفه

١٠٦ الخبر عن نهوض السلطان أبي تاشفين لمحمد بن يوسف بجبل وانشريس واستيلائه عليه
١٠٧ الخبر عن حصار بجاية والفتنة الطويلة مع الموحدين التي كان فيها حتفه وذهاب سلطانه وانقراض الامر عن قومه برهة من الدهر
١٠٩ الخبر عن معاودة الفتنة بين بني مرين وحصارهم تلمسان ومقتل السلطان أبي تاشفين ومصاير ذلك
١١١ الخبر عن رجال دولته وهم موسى بن علي ويحيى بن موسى ومولاه هلال وأوليتهم ومصاير أمورهم واختصاصهم بالذكر لما صار من شهرتهم وارتفاع صيتهم
١١٤ الخبر عن انتزاء عثمان بن جرار على ملك تلمسان بعد نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وعود الملك بذلك لبني زيان
١١٥ الخبر عن دولة أبي سعيد وأبي ثابت من آل يغمراسن وما فيها من الاحداث
١١٧ الخبر عن لقاء أبي ثابت مع الناصر بن السلطان أبي الحسن وفتح وهران بعدها
١١٨ الخبر عن وصول السلطان أبي الحسن من تونس ونزوله بالجزائر وما دار بينه وبين أبي ثابت من الحروب ولحوقه بعد الهزيمة بالمغرب
١١٩ الخبر عن حروبهم مع مغراوة واستيلاء أبي ثابت على بلادهم ثم على الجزائر ومقتل علي بن راشد بتنس على اثر ذلك
١٢٠ الخبر عن استيلاء السلطان أبي عنان على تلمسان وانقراض أمر بني عبد الواد ثانية
١٢٢ الخبر عن دولة السلطان أبي حمو الاخير مديل الدولة بتلمسان في الكرة الثالثة لقومه وشرح ما كان فيها من الاحداث لهذا العهد
١٢٣ الخبر عن اجفال أبي حمو عن تلمسان أمام عساكر المغرب ثم عوده اليها
١٢٣ الخبر عن مقدم عبد الله بن مسلم من مكان عمله بدرعة ونزوعه من ايالة بني مرين الى أبي حمو وتقليده اياه الوزارة وذكر أوليته ومصاير أموره
١٢٤ الخبر عن استيلاء السلطان أبي سالم على تلمسان ورجوعه الى المغرب بعد أن ولى عليها أبو زيان حافد السلطان أبي تاشفين وما [illegible]ل أمره
١٢٥ الخبر عن قدوم أبي زيان بن السلطان أبي سعيد من المغرب لطلب ملكه وما كان من أحواله

صحيفه

١٢٦ الخبر عن قدوم أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين ثانية من المغرب الى تلمسان لطلب ملكها وما كان من أحواله
١٢٧ الخبر عن حركة السلطان أبي حمو على ثغور المغرب
١٢٨ الخبر عن حركة السلطان أبي حمو الى بجاية ونكبته عليها
١٣٠ الخبر عن خروج أبي زيان بالقاصية الشرقية من بلاد حصين وتغلبه على المرية والجزائر ومليانة وما كان من الحروب معه
١٣٢ الخبر عن حركة السلطان عبد العزيز على تلمسان واستيلائه عليها ونكبة أبي حمو وبني عامر بالدوس من بلاد الزاب وخروج أبي زيان من تيطرا الى أحياء رياح
١٣٣ الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبي زيان الى تيطرا واجلاب أبي حمو على تلمسان ثم انهزامهما وتشريدهما على سائر النواحي
١٣٤ الخبر عن عود السلطان أبي حمو الاخير الى تلمسان الكرة الثالثة لبني عبد الواد في الملك
١٣٥ الخبر عن رجوع أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد الى بلاد حصين ثم خروجه عنها
١٣٦ الخبر عن اجلاب عبد الله بن صغير وانتقاض أبي بكر بن عريف وبيعتهما للامير أبي زيان ورجوع أبي بكر الى الطاعة
١٣٦ الخبر عن وصول خالد بن عامر من المغرب والحرب التي دارت بينه وبين سويد وأبي تاشفين هلك فيها عبد الله بن صغير واخوانه
١٣٧ الخبر عن انتقاض سالم بن ابراهيم ومظاهرته خالد بن عامر على الخلاف وبيعتهما للامير أبي زيان ثم مهلك خالد ومراجعة سالم الطاعة وخروج أبي زيان الى بلاد الجريد
١٣٩ قسمة السلطان للاعمال بين ولده وما حدث بينهم من التنافس
١٤٠ وثبة أبي تاشفين بيحيى بن خلدون كاتب أبيه
١٤١ حركة أبي حمو على ثغور المغرب الاوسط ودخول ابنه أبي تاشفين الى جهات مكناسة
١٤١ نهوض السلطان أبي العباس صاحب المغرب الى تلمسان واستيلاؤه عليها واعتصام أبي حمو بجبل تاجموت

صحيفه

١٤٢ رجوع السلطان أبي العباس الى المغرب واختلال دولته ورجوع السلطان أبي حمو الى ملكه بتلمسان
١٤٣ تجدد المنافسة بين أولاد السلطان أبي حمو ومجاهرة أبي تاشفين بذلك لهم ولابيه
١٤٣ خلع السلطان أبي حمو واستبداد ابنه أبي تاشفين بالملك واعتقاله اياه
١٤٤ خروج السلطان أبي حمو من الاعتقال ثم القبض عليه وتغريبه الى المشرق
١٤٥ نزول السلطان أبي حمو ببجاية من السفين واستيلاؤه على تلمسان ولحاق أبي تاشفين بالمغرب
١٤٦ نهوض أبي تاشفين بعساكر بني مرين ومقتل السلطان أبي حمو
١٤٧ مسير أبي زيان بن أبي حمو لحصار تلمسان ثم اجفاله عنها ولحاقه بصاحب المغرب
١٤٧ وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان
١٤٨ وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط
١٥٠ الخبر عن بني كمي أحد بطون بني القاسم بن عبد الواد وكيف نزعوا الى بني مرين وما صار لهم بنواحي مراكش وأرض السوس من الرياسة
١٥٢ الخبر عن بني راشد بن محمد بن يادين وذكر أوليتهم وتصاريف أحوالهم
١٥٤ الخبر عن بني توجين من شعوب بني يادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الاوسط وأولية ذلك ومصايره
١٦٣ الخبر عن بني سلامة أصحاب قلعة تاوغزوت رؤساء بني يدللتن من بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وأوليتهم ومصايرهم
١٦٥ الخبر عن بني ورنيد احدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التقلب والامارة وذكر أوليتهم ومصايره
١٦٦ الخبر عن بني مرين وأنسابهم وشعوبهم وما تأثلوا بالمغرب من السلطان والدولة التى استعملت سائر زناتة وانتظمت كراسي الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصايره
١٦٩ الخبر عن امارة عبد الحق بن محيو المستقرة في بنيه وامارة ابنه عثمان بعده ثم أخيه محمد بن عبد الحق بعدهما وما كان فيهما من الاحداث

صحيفه

١٧١ الخبر عن دولة الامير أبي يحيى بن عبد الحق مديل الامر لقومه بني مرين وفاتح الامصار ومقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم

١٧٥ الخبر عن تغلب الامير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها

١٧٦ الخبر عن فتح سجلماسة وبلاد القبلة وما كان في ذلك من الاحداث

١٧٧ الخبر عن مهلك أبي يحيى وما كان اثر ذلك من الاحداث التي تمحضت عن استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالامر

١٧٨ الخبر عن فجاة العدو مدينة سلا واستنقاذها من أيديهم

١٧٩ الخبر عن منازلة السلطان أبي يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان اثر ذلك من نزوع أبي دبوس اليه وكيف نصبه للامر وكان مهلك المرتضى على يده ثم انتقض عليه

١٨٠ الخبر عن وقيعة تلاغ بين السلطان يعقوب بن عبد الحق و يغمراسن بن زيان باغراء أبي دبوس وتغريبه

١٨٠ الخبر عن السفارة والمهاداة التي وقعت بين السلطان يعقوب بن عبد الحق وبين المنتصر الخليفة بتونس من آل أبي حفص

١٨٢ الخبر عن فتح مراكش ومهلك أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين من المغرب

١٨٣ الخبر عن عهد السلطان لابنه أبي مالك وما كان عقب ذلك من خروج القرابة عليه أولاد أخيه ادريس واجازتهم الى الاندلس

١٨٤ الخبر عن حركة السلطان أبي يوسف الى تلمسان وواقعته على يغمراسن وقومه بايسلي

١٨٥ الخبر عن افتتاح مدينة طنجة وطاعة أهل سبتة وفرض الاتاوة عليهم وما قارن ذلك من الاحداث

١٨٧ الخبر عن فتح سجلماسة الثاني ودخولها عنوة على بني عبد الواد والمنبات من عرب المعقل

١٨٩ الخبر عن شأن الجهاد وظهور السلطان أبي يوسف على النصارى وقتل زعيمهم ذننة وما قارن ذلك

١٩٤ الخبر عن اختطاط البلد الجديد بفاس وما كان على بقية ذلك من الاحداث

صحيفه

١٩٥ الخبر عن اجازة أمير المسلمين ثانية وما كان فيهما من الغزوات

١٩٧ الخبر عن تملك السلطان مدينة مالقة من يد ابن اشقيلولة

١٩٨ الخبر عن تظاهر ابن الاحمر والطاغية على منع السلطان أبي يوسف من اجازة ابن الاحمر واصفاق يغمراسن بن زيان معهم من وراء البحر على الاخذ بحجزته عنهم وواقعة السلطان على يغمراسن بخرزوزة

٢٠٥ الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف صريخا للطاغية لخروج ابنه شانجة عليه وافتراق كلمة النصرانية وما كان في هذه الاخبار من الغزوات

٢٠٥ الخبر عن شأن السلم مع ابن الاحمر وتجافي السلطان له عن مالقة ثم تجدد الغزو بعد ذلك

٢٠٦ الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف الرابعة ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات

٢٠٩ الخبر عن وفادة الطاغية شانجة وانعقاد السلم ومهلك السلطان على تفيئة ذلك

٢١٠ الخبر عن دولة السلطان وما كان فيها من الاحداث وشأن الخوارج لاول دولته

٢١٢ الخبر عن دخول وادي آش في طاعة السلطان ثم رجوعها الى طاعة ابن الاحمر

٢١٣ الخبر عن خروج الامير أبي عامر ونزوعه الى مراكش ثم فيئته الى الطاعة

٢١٣ الخبر عن تجدد الفتنة مع عثمان بن يغمراسن وغزو السلطان مدينة تلمسان ومنازلته اياها

٢١٥ الخبر عن انتقاض الطاغية واجازة السلطان لغزوه

٢١٦ الخبر عن انتقاض ابن الاحمر ومظاهرته للطاغية على طريف أعادها الله للمسلمين

٢١٦ الخبر عن وفادة ابن الاحمر على السلطان والتقائهما بطنجة

٢١٧ الخبر عن انتزاء الوزير الوساطي بحصن تازوطا من جهات الريف واستنزال السلطان اياه

٢١٨ الخبر عن نزوع أبي عامر ابن السلطان الى بلاد الريف وجهات غمارة

٢١٩ الخبر عن حصار تلمسان الكبير وما تخلل ذلك من الاحداث

٢٢٠ الخبر عن الحصار الكبير لتلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث

صحيفه

٢٢٢ الخبر عن افتتاح بلاد مغراوة وما تخلل ذلك من الاحداث
٢٢٢ الخبر عن افتتاح بلاد توجين وما تخلل ذلك
٢٢٤ الخبر عن مراسلة ملوك افريقية بتونس وبجاية لزناتة وأحوالهم معهم
٢٢٦ الخبر عن مراسلة ملوك المشرق الاقصى ومهاداتهم ووفادة أمراء الترك على السلطان وما تخلل ذلك
٢٢٨ الخبر عن انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس سعيد على سبتة وخروج عثمان ابن العلاء في غمارة
٢٣٠ الخبر عن انتقاض بنى كمى من بنى عبد الواد وخروجهم بأرض السوس
٢٣١ الخبر عن مهلك المشيخة من المصامدة بتلبيس أبى الملياني
٢٣٣ الخبر عن مهلك السلطان أبى يعقوب
٢٣٣ الخبر عن ولاية السلطان أبى ثابت
٢٣٦ الخبر عن غزاة السلطان لمدافعة عثمان بن أبى العلاء ببلاد الهبط ومهلكه بطنجة بعد ظهوره
٢٣٧ الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع وما كان فيها من الاحداث
٢٣٩ الخبر عن ثورة أهل سبتة بالاندلسيين ومراجعتهم طاعة السلطان
٢٤٠ الخبر عن بيعة عبد الحق بن عثمان بممالأة الوزير والمشيخة وظهور السلطان عليهم ثم مهلكه باثر ذلك
٢٤١ الخبر عن دولة السلطان أبى سعيد وما كان فيها من الاحداث
٢٤٢ الخبر عن حركة السلطان أبى سعيد الى تلمسان أولى حركاته اليها
٢٤٣ الخبر عن انتقاض الامير أبى على وما كان بينه وبين أبيه من الواقعات
٢٤٥ الخبر عن نكبة منديل الكنانى ومقتله
٢٤٦ الخبر عن انتقاض العزفى بسبتة ومنازلته ثم مصيرها الى طاعة السلطان بعد مهلكه
٢٤٧ الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة والعلامة
٢٤٨ الخبر عن صريخ أهل الاندلس ومهلك بطرة على غرناطة
٢٥٠ الخبر عن صهر الموحدين والحركة الى تلمسان على أثره وما تخلل ذلك من الاحداث
٢٥٢ الخبر عن مهلك السلطان أبى سعيد عفا الله عنه وولاية السلطان أبى الحسن

وما

صحيفه

وماتخلل ذلك من الاحداث
٢٥٣ الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن الى سجلماسة وانكفائه عنها الى تلمسان بعد الصلح مع أخيه والاتفاق
٢٥٤ الخبر عن انتقاض الامير أبي علي ونهوض السلطان أبي الحسن اليه وظفره به
٢٥٤ الخبر عن منازلة جبل الفتح واستنقاذ الامير أبي مالك والمسلمين به
٢٥٦ الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان أبي الحسن عليها وانقراض أمر بني عبد الواد بمهلك أبي تاشفين
٢٥٨ الخبر عن نكبة الامير عبد الرحمن بمتيجة وتقبض السلطان عليه ثم مهلكه آخرا
٢٥٩ الخبر عن خروج ابن هيدور وتلبيسه بأبي عبد الرحمن
٢٦١ الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين
٢٦٤ الخبر عن هدية السلطان الى المشرق وبعثه بنسخ المصحف من خطه الى الحرمين والقدس
٢٦٦ الخبر عن هدية السلطان الى ملك مالي من السودان المجاورين للمغرب
٢٦٦ الخبر عن اصهار السلطان الى صاحب تونس
٢٦٧ الخبر عن حركة السلطان الى افريقية واستيلائه عليها
٢٧٣ الخبر عن واقعة العرب مع السلطان أبي الحسن بالقيروان وماتخللها من الاحداث
٢٧٧ الخبر عن انتقاض الثغور الغربية ورجوعها الى دعوة الموحدين
٢٧٨ الخبر عن انتزاء أولاد السلطان بالمغرب الاوسط والاقصى ثم استقلال أبي عنان بملك المغرب
٢٨٠ الخبر عن انتقاض النواحي وانتزاء بني عبد الواد بتلمسان ومغراوة بشلف وتوجين بالمرية
٢٨٢ الخبر عن رجوع الثغور الغربية لامراء الموحدين ببجاية وقسنطينة
٢٨٣ الخبر عن نهوض الناصر ابن السلطان وولية عريف بن يحيى من تونس الى المغرب الاوسط
٢٨٣ الخبر عن رحلة السلطان أبي الحسن الى المغرب وتغلب المولى الفضل على تونس ومادعا الى ذلك من الاحوال
٢٨٥ الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة ثم فراره عنها امام ابنه الى مراكش

صحيفه

واستيلائه عليها وما تخلل ذلك
٢٨٦ الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش ثم انهزامه امام الامير أبي عنان ومهلكه بجبل هنتاتة عفا الله عنه
٢٨٧ الخبر عن حركة السلطان أبي عنان الى تلمسان وايقاعه ببني عبد الواد بانكاد ومهلك سلطانهم سعيد
٢٨٨ الخبر عن شأن أبي ثابت وايقاع بني مرين به بوادي شلف وتقبض الموحدين عليه ببجاية
٢٨٩ الخبر عن تملك السلطان أبي عنان وانتقال صاحبها الى المغرب
٢٩٠ الخبر عن ثورة أهل بجاية ونهوض الحاجب اليها في العساكر
٢٩١ الخبر عن الحاجب بن أبي عمر وما عقد له السلطان على ثغر بجاية وعلى منازلة قسنطينة ونهوضه لذلك
٢٩٣ الخبر عن خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن بجبل السكسيوي ومكر عامل درعة به ومهلكه
٢٩٤ الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح ومهلكه
٢٩٦ الخبر عن نهوض السلطان الى فتح قسنطينة وفتحها ثم فتح تونس عقبها
٢٩٨ الخبر عن وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية
٢٩٩ الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان ونصب السعيد للامر باستبداد الوزير حسن بن عمر في ذلك
٣٠٠ الخبر عن تجهيز العساكر الى مراكش ونهوض الوزير سليمان بن داود لمحاربة عامر بن محمد
٣٠١ الخبر عن ظهور أبي حمو بنواحي تلمسان وتجهيز العساكر لمدافعته ثم تغلبه وما تخلل ذلك
٣٠٢ الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماسي الى تلمسان وتغلبه عليها ثم انتقاضه ونصبه سليمان بن منصور للأمر
٣٠٤ الخبر عن نزول المولى أبي سالم بجبال غمارة واستيلائه على ملك المغرب ومقتل منصور بن سليمان
٣٠٦ الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

صحيفه

٣٠٩ الخبر عن انتقاض الحسن بن عمر وخروجه بتادلا وتغلب السلطان عليه ومهلكه
٣١٠ الخبر عن وفد السودان وهديتهم واغرابهم فيها بالزرافة
٣١١ الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وايثار أبي زيان حافد أبي تاشفين بملكها وما كان مع ذلك من صرف أمراء الموحدين الى بلادهم
٣١٢ الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم واستيلاء عمر بن عبد الله على ملك المغرب ونصبه للملوك واحدا بعد واحد الى أن هلك
٣١٤ الخبر عن الفتك بابن أنطول قائد العسكر من النصارى ثم خروج يحيى بن رحو وبني مرين عن الطاعة
٣١٥ الخبر عن وصول عبد الحليم ابن السلطان من تلمسان وحصار البلد الجديد
٣١٧ الخبر عن قدوم الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن وبيعته بالبلد الجديد في كفالة عمر بن عبد الله
٣١٨ الخبر عن قدوم عامر بن محمد ومسعود بن ماسي من مراكش وما كان من وزارة ابن ماسي واستبداد عامر بمراكش
٣١٩ الخبر عن زحف الوزير عمر بن عبد الله الى سجلماسة
٣٢٠ الخبر عن بيعة العرب لعبد المؤمن وخروج عبد الحليم الى المشرق
٣٢٠ الخبر عن نهوض ابن ماسي بالعساكر الى سجلماسة واستيلائه عليها ولحاق عبد المؤمن بمراكش
٣٢١ الخبر عن انتقاض عامر ثم انتقاض الوزير ابن ماسي على أثره
٣٢٢ الخبر عن نهوض الوزير عمر وسلطانه الى مراكش
٣٢٢ الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبي عبد الرحمن وبيعة عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن
٣٢٣ الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره
٣٢٤ الخبر عن انتزاء أبي الفضل ابن المولى أبي سالم ثم نهوض السلطان اليه ومهلكه
٣٢٥ الخبر عن نكبة الوزير يحيى بن ميمون بن مصمود ومقتله
٣٢٥ الخبر عن حركة السلطان الى عامر بن محمد ومنازلته بجبله ثم الظفر به
٣٢٧ الخبر عن ارتجاع الجزيرة الخضراء
٣٢٨ الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وعلى سائر بلادها وفرار

صحيفه

أبي حمو عنها
٣٣٠ الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبي زيان الى تيطرا واجلاب العرب بابي حمو على تلمسان الى أن غلبهم السلطان جميعا على الامر واستوسق له الملك
٣٣٢ الخبر عن قدوم ابن الخطيب على السلطان بتلمسان نازعا اليه عن سلطانه ابن الاحمر صاحب الاندلس
٣٣٦ الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز وبيعة ابنه السعيد واستبداد أبي بكر بن غازي عليه ورجوع بني مرين الى المغرب
٣٣٦ الخبر عن استيلاء أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط
٣٣٧ الخبر عن اجازة الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الى المغرب واجتماع بطوية اليه وقيامهم بشأنه
٣٣٨ الخبر عن بيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم واستقلاله بالملك وما كان خلال ذلك من الاحداث
٣٤١ الخبر عن مقتل ابن الخطيب
٣٤٢ الخبر عن اجازة سليمان بن داود الاندلس ومقامه الى أن هلك بها
٣٤٣ الخبر عن شأن الوزير أبي بكر بن غازي وما كان من تغريبه الى مارقة ثم رجوعه وانتقاضه بعد ذلك
٣٤٤ الخبر عن انتقاض الصلح بين الامير عبد الرحمن صاحب مراكش والسلطان أبي العباس صاحب فاس واستيلاء عبد الرحمن على أزمور ومقتل عاملها حسون بن علي
٣٤٦ الانتقاض الثاني بين صاحب فاس وصاحب مراكش ونهوض صاحب فاس اليه وحصاره ثم عودهما الى الصلح
٣٤٧ انتقاض علي بن زكريا شيخ الهساكرة على الامير عبد الرحمن وتمسكه بولاء منصور ومقتل الامير عبد الرحمن
٣٤٨ اجلاب العرب على المغرب في مغيب السلطان بغربة من ولد أبي علي وأبي تاشفين بن أبي حمو صاحب تلمسان ومجيء أبي حمو على أثرهم
٣٤٨ نهوض السلطان الى تلمسان وفتحها وتخريبها
٣٤٩ اجازة السلطان موسى ابن السلطان أبي عنان من الاندلس الى المغرب

واستيلاؤه

صحيفه

واستيلائه على الملك وظفره بابن عمه السلطان أبي العباس وازعاجه الى الاندلس

٣٥١ نكبة الوزير محمد بن عثمان ومقتله

٣٥٢ الخبر عن خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماسى اليه بالعساكر

٣٥٢ وفاة السلطان موسى والبيعة للمنتصر ابن السلطان أبي العباس

٣٥٣ اجازة الواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن من الاندلس والبيعة له

٣٥٤ الفتنة بين الوزير ابن ماسى وبين السلطان ابن الاحمر واجازة السلطان أبي العباس الى سبتة لطلب ملكه واستيلائه عليها

٣٥٥ مسير السلطان أبي العباس من سبتة لطلب ملكه بفاس ونهوض ابن ماسى لدفاعه ورجوعه منهزما

٣٥٦ ظهور دعوة السلطان أبي العباس في مراكش واستيلاء أوليائه عليها

٣٥٦ ولاية المنتصر ابن السلطان أبي علي على مراكش واستقلاله بها

٣٥٧ حصار البلد الجديد وفتحها ونكبة الوزير ابن ماسى ومقتله

٣٥٧ وزارة محمد بن علال

٣٥٨ ظهور محمد ابن السلطان عبد الحليم بسجلماسة

٣٦٠ نكبة ابن أبي عمر ومهلكه وحركات ابن حسون

٣٦٠ خلاف علي بن زكريا بجبل الهساكرة ونكبته

٣٦١ وفادة أبي تاشفين على السلطان أبي العباس صريخا على أبيه ومسيره بالعساكر ومقتل أبيه السلطان أبي حمو

٣٦٢ وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان

٣٦٣ وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط

٣٦٦ الخبر عن القرابة المرشحين من آل عبد الحق من الغزاة المجاهدين بالاندلس الذين قاسموا ابن الاحمر في ملكه وانفردوا برياسة جهاده

٣٦٧ الخبر عن موسى بن رحو فاتح هذه الرياسة بالاندلس وخبر أخيه عبد الحق من بعده وابنه حمو بن عبد الحق بعدهما

صحيفه

٣٦٨ الخبر عن عبد الحق بن عثمان شيخ الغزاة بالاندلس
٣٧٠ الخبر عن عثمان بن أبي العلاء من أمراء الغزاة المجاهدين بالاندلس
٣٧٢ الخبر عن رياسة ابنه أبي ثابت من بعده ومصير أمرهم
٣٧٣ الخبر عن يحيى بن عمر بن رحو وامارته على الغزاة بالاندلس أولا وثانيا ومبدأ ذلك وتصاريفه
٣٧٥ الخبر عن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء وامارته بالاندلس ومصاير أمره
٣٧٦ الخبر عن امارة علي بن بدر الدين على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره
٣٧٨ الخبر عن امارة عبد الرحمن بن علي أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره
٣٧٩ التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب
٣٩٨ ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها الى المغرب والكتابة عن السلطان أبي عنان
٤٠٣ حديث النكبة من السلطان أبي عنان
٤٠٤ الكتابة عن السلطان أبي سالم في السر والانشاء
٤١٠ الرحلة الى الاندلس
٤١٦ الرحلة من الاندلس الى بجاية وولاية الحجابة بها على الاستبداد
٤١٩ مشايعة أبي حمو صاحب تلمسان
٤٣٢ مشايعة السلطان عبد العزيز صاحب المغرب على بني عبد الواد
٤٤٠ العودة الى المغرب الاقصى
٤٤٢ الاجازة الثانية الى الاندلس ثم الى تلمسان واللحاق بأحياء العرب والمقامة عند أولاد عريف
٤٤٥ الفيئة الى السلطان أبي العباس بتونس
٤٥١ الرحلة الى المشرق وولاية القضاء بمصر
٤٥٥ السفر لقضاء الحج

(تمت)

الجزء السابع

من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر

وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن

ابن خلدون المغربي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الخبر عن زناتة من قبائل البربر وما كان بين أجيالهم من العز والظهور وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة﴾

هذا الجيل فى المغرب جيل قديم العهد معروف العين والاثر وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب فى سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتغلب فى الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية عن الانقياد للنصفة وشعارهم بين البربر اللغة التى يتراطنون بها وهى مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ومواطنهم فى سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى ان عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم كما نذكره ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحى افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد واذعنوا لحكمهم والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناته ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخرى وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين وكانت لهم فيه دول أخرى فى القديم ولم يزل الملك يتداول فى شعوبهم حسبما نذكره بعد لكل شعب منهم ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نسبة زناتة وذكر الخلاف الواقع فيه وتعديد شعوبهم)

اما نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نسابتهم أنهم من ولد شانا واليه نسبهم وأما شانا فقال
أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة قال بعضهم هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورماك بن
ضري بن رحيك بن مادغيس بن بربر وقال أيضا في كتاب الجمهرة ذكر لي يوسف الوراق
عن أيوب بن أبي يزيد يعني حين وفد على قرطبة عن أبيه الثائر بافريقية أيام الناصر
قال هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورساك بن ضري بن مقبو بن قروال بن يملا بن
مادغيس بن رحيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هراك بن هرك بن برا بن بربر بن
كنعان بن حام هذا ماذكره ابن حزم ويظهر منه ان مادغيس ليس نسبة الى البربر وقد
قدمنا ما في ذلك من الخلاف وهو أصح ما ينقل في هذا لان ابن حزم موثوق ولا يعدل به
غيره (ونقل) عن ابن أبي زيد وهو كبير زناتة ويكون البربر على هذا من نسل برنس
فقط والبتر الذين هم بنو مادغيس الابتر ليسوا من البربر ومنهم زناتة وغيرهم كما قدمنا
لكنهم اخوة البربر لرجوعهم كلهم الى كنعان بن حام كما يظهر من هذا النسب (ونقل)
عن أبي محمد بن قتيبة في نسب زناتة هؤلاء انهم من ولد جالوت في رواية ان زناتة هو جانا
ابن يحيى بن ضريس بن جالوت وجالوت هو ونود بن جريبل بن جديلان بن جالد بن
ديلان بن حصي بن باد بن رحيك بن مادغيس الابتر بن قيس بن عيلان (وفي) رواية
أخرى عنه ان جالوت بن جالود بن بردنال بن قحطان ابن فارس وفارس مشهور (وفي)
رواية أخرى عنه انه بن هربال بن بالود بن دبال بن برنس بن سفك وسفك أبو البربر كلهم
ونسابة الجيل نفسه من زناتة يزعمون انهم من حمير ثم من التبابعة منهم وبعضهم يقول
انهم من العمالقة ويزعمون ان جالوت جدهم من العمالقة والحق فيهم ماذكره أبو محمد
ابن حزم أولا وما بعد ذلك فليس شيء منه بصحيح فأما الرواية الاولى عن أبي محمد بن قتيبة
فمختلطة وفيها أنساب متداخلة وأما نسب مادغيس الى قيس عيلان فقد تقدم في أول
كتاب البربر عند ذكر أنسابهم وان أبناء قيس معروفون عند النسابة وأما نسب جالوت
الى قيس فأمر بعيد عن القياس ويشهد لذلك ان معد بن عدنان الخامس من آباء قيس
انما كان معاصر البختنصر كما ذكرناه أول الكتاب وانه لما سلط على العرب أوحى الله
الى ارمياء نبي بني اسرائيل أن يخلص معدا ويسير به الى أرضه وبختنصر كان بعد
داود بما ينا هز أربعمائة وخمسين من السنين فانه خرب بيت المقدس بعد بناء داود
وسليمان له بمثل هذه المدة فعدنان متأخر عن داود بمثلها سواء فقيس الخامس من أبنائه
متأخر عن داود بأكثر من ذلك فجالوت على ماذكرناه من أبناء قيس متأخر عن داود
بأضعاف ذلك الزمن وكيف يكون ذلك مع ان داود هو الذي قتل جالوت بنص القرآن

(وأمّا) ادخاله جالوت فى نسب البربر وانه من ولد ماد غيس أو سفك فخطأ وكذلك من
نسبه من العمالقة والحق انّ جالوت من بنى فلسطين بن كسلوحيم بن مصرايم بن حام
أحد شعوب حام بن نوح وهم اخوة القبط والبربر والحبشة والنوبة كما ذكرناه فى نسب
أبناء حام وكان بين بنى فلسطين هؤلاء وبين بنى اسرائيل حروب كثيرة وكان بالشام
كثير من البربر اخوانهم ومن سائر أولاد كنعان يضاهونهم فيها ودثرت أمّة فلسطين
وكنعان وشعوبهما لهذا العهد ولم يبق الا البربر واختص اسم فلسطين بالوطن الذى
كان لهم فاعتقد سامع اسم البربر مع ذكر جالوت انه منهم وليس كذلك (وأمّا) ما رأى
نسابة زناتة انهم من حمير فقد أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البرّ وأبو محمد بن حزم
وقالا ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى أكاذيب مؤرخى اليمن وانما حمل
نسابة زناتة على الانتساب فى حمير الترفع عن النسب البربرى لما يرونهم فى هذا العهد
خولا وعبيد الجباية وعوامل الخراج وهذا وهم فقد كان فى شعوب البربر من هم
مكافؤن لزناتة فى العصبية أو أشد منهم مثل هوارة ومكناسة وكان فيهم من غلب العرب
على ملكهم مثل كتامة وصنهاجة ومن تلقف الملك من يد صنهاجة مثل المصامدة فمدة كل
هؤلاء كانوا أشد قوة وأكثر جمعا من زناتة فلما فنيت أجيالهم أصبحوا مغلبين فنالهم
ضر المغرم وصار اسم البربر مختصا لهذا العهد بأهل المغرم فأنف زناتة منه فرارا من
الهضيمة وأعجبوا بالدخول فى النسب العربى لصراحته وما فيه من المزية بتعدد
الانبياء ولا سيما نسب مضر وأنهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم بن نوح بن شيث بن آدم
خمسة من الانبياء ليس للبربر اذا انتسبوا الى حام مثلها مع خروجهم عن نسب ابراهيم
الذى هو الاب الثالث للخليقة اذ الاكثر من اجيال العالم لهذا العهد من نسله ولم
يخرج عنه لهذا العهد الا الاقل مع ما فى العربية أيضا من عز التوحش والسلامة من
مذمومات الخلق بانفرادهم فى البيداء فأعجب زناتة نسبهم وزينه لهم نسابتهم والحق
بمعزل عنه وكونهم من البربر بعموم النسب لا ينافى شعارهم من الغلب والعز فقد
كان الكثير من شعوب البربر مثل ذلك وأعظم منه وأيضا فقد تميزت الخليقة وتباينوا
بغير واحد من الاوصاف والكل بنو آدم ونوح من بعده وكذلك تميزت العرب وتباينت
شعوبها والكل لسام ولاسمعيل بعده (وأمّا) تعدد الانبياء فى النسب فذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء ولا يضرك الاشتراك مع الجيل فى النسب العام اذا وقعت المباينة
لهم فى الاحوال التى ترفع عنهم مع انّ المذلة للبربر انما هى حادثة بالقلة ودثور اجيالهم
بالملك الذى حصل لهم وتفقروا فى سبله وترفه كما تقدم لك فى الكتاب الاول من تأليفنا
والا فقد كان لهم من الكثرة والعز والملك والدولة ما هو معروف (وأمّا) انّ جيل

قوله وأما شعوب الخ بهامش ما نصه من هنا الى الشجرة الآتية أسماء بربرية لا يمكن ضبطها بل ولا النطق بها كما هي في لسانهم ولا يتعلق بها غرض مهم اهـ كتبه حسن العطار

زناتة من العمالقة الذين كانوا بالشام فقول مرجوح و بعيد من الصواب لان العمالقة الذين كانوا بالشام صنفان عمالقة من ولد عيصو بن اسحق ولم تكن لهم كثرة ولا ملك ولا نقل ان أحدا منهم انتقل الى المغرب بل كانوا القلتهم ودثور اجيالهم أخفى من الخفاء و العمالقة الاخرى كانوا من أهل الملك والدولة بالشام قبل بنى اسرائيل وكانت أريحاء دار ملكهم وغلب عليهم بنو اسرائيل وابتزوهم ملكهم بالشام والحجاز وأصحوا حصائد سيوفهم فكيف يكون هذا الجيل من أولئك العمالقة الذين دثرت اجيالهم وهذا لو نقل لوقع به الاستراب فكيف وهو لم ينقل هذا بعيد فى العادة والله أعلم بخلقه (وأما) شعوب زناتة و بطونهم فكثير ولنذكر المشاهير منها (فنقول) اتفق نساب زناتة على ان بطونهم كلها ترجع الى ثلاثة من ولد جانا وهم ورسيك وفرنى والديرت هكذا فى كتب انساب زناتة (وذكر) أبو محمد بن حزم فى كتاب الجمهرة ان من ولد ورسيك عند نسابتهم مسارت ورغاى وواشروجن ومن واشروجن واريعن بن واشروجن وقال أبو محمد بن حزم فى ولد ورسيك انهم مسارت وناجرت وواسين (وأما) فرنى بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة يزمرتن ومرنجيصة وووركلة وغالة وسبرترة ولم يذكر أبو محمد بن حزم سبرترة وذكر الاربعة الباقية (وأما) الديرت بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة جداو بن الديرت ولم يذكره ابن حزم وانما قال عند ذكر الديرت ومن شعوبه بنو ورسيك بن الديرت وهم بطنان دمر بن ورسيك قال ودمر لقب واسمه العانا قال فمن ولد زاكيا بنو مغراو وبنو يفرن و بنو واسين قال وأمهم واسين مملوكة لام مغراو وهم ثلاثتهم بنو يصلتن بن مسرا بن زاكيا و يزيد نسابة زناتة فى هؤلاء يرنيات بن يصلتن أخا لمغراو و يفرن وواسين ولم يذكره ابن حزم قال ومن ولد دمر بنو ورنيد بن وانتن بن واردين بن دمر وذكر لبنى دمر أفخاذا سبعة وهم عرازول واقورة وزناتين وهؤلاء الثلاثة مختصون بنسب دمر و برزال ويصدر بن وصغان و يطوفت هكذا ذكر أبو محمد بن حزم وزعم انه من املاء أبى بكر بن يكنى البرزالى الاباضى وقال فيه كان ناسكا عالما بانسابهم وذكر أن بنى واسين و بنى برزال كانوا أباضية وأن بنى يفرن ومغراوة كانوا سنية وعند نسابة البربر مثل سابق بن سليمان المطماطى وهانى بن يصدور الكومى وكهلان بن أبى لوا وهو مسطر فى كتبهم ان بنى ورسيك بن الديرت بن جانا ثلاثة بطون وهم بنو زاكيا وبنو دمر وآنشة بنو آنش وكلهم بنو واردين بن ورسيك فمن زاكيا واردين أربعة بطون مغراوة وبنو يفرن وبنو يرنيان و بنو واسين كلهم بنو واسلتن بن مسر بن زاكيا بن آنش بن واردين ومن دمر واردين ثلاثة بطون بنو تغورت وبنو عزرول وبنو ورتاتين كلهم بنو تيدين بن دمر هذا

الذى ذكره نسابة البربر وهو خلاف ماذكره ابن حزم ويذكر نسابة زناته آخرين من
شعوبهم ولا ينسبونهم مثل يجفش وهم أهل جبل قازاز قريب مكناسة وسجاسن
ورنعان وتحليلة وتيسات ووا غمرت وتيفراش ووجديجن وبنو بلومو وبنو ومانى وبنو
توجين على أن بنى توجين ينتسبون فى بنى واسين نسباظاهرا صحيحا بلاشك على ماذكر
فى أخبارهم وبعضهم يقول فى وجديجن ووا غمرت بنوورتنيص انهم من البرانس
من بطون البربر على ماقدمناه وذكر ابن عبدالحكم فى كتابه فتح مصر خالد بن حميد
الزناتى وقال فيه هو من شورة احدى بطون زناتة ولم نره لغيره هذا ملخص الكلام فى
شعوب زناتة وانسابهم عالايوجد فى كتاب والله الهادى الى مسالك التحقيق لارب غيره



* (فصل فى تسمية زناتة ومبنى هذه الكلمة) *

(اعلم) ان كثيرا من الناس يبحثون عن مبنى هذه الكلمة واشتقاقها على ماليس معروفا للعرب ولا لاهل الجيل أنفسهم فيقال هو اسم وضعته العرب على هذا الجيل ويقال بل الجيل وضعوه لانفسهم أو اصطلحوا عليه ويقال هو زانا بن جانا فيزيدون فى النسب شيأ لم تذكره النسابة وقد يقال انه مشتق ولا يعلم فى لسان العرب أصل مستعمل من الاسماء يشتمل على حروفه المادية وربما يحاول بعض الجهلة اشتقاقه من لفظ الزنا ويعضده بحكاية خبيثة يدفعها الحق وهذه الاقوال كلها ذهاب الى أن العرب وضعت لكل شئ اسما وأن استعمالها انما هو لاوضاعها التى من لغتها ارتجالا واشتقاقا وهذا انما هو فى الاكثر والا فالعرب قد استعملت كثيرا من غير لغتها فى مسماه اما لكونه علما فلا يغير مثل ابراهيم ويوسف واسحق من اللغة العبرانية واما استعانة وتخفيفا لتداوله بين الالسنة كاللجام والديباج والزنجبيل والنيروز والياسمين والآجر فتصير باستعمال العرب كأنها من أوضاعهم ويسمونها المعربة وقد يغيرونها بعض التغيير فى الحركات أو فى الحروف وهو سائغ لهم لانه بمنزلة وضع جديد وقد يكون الحرف من الكلمة ليس من حروف لغتهم فيبدلونه بما يقرب منه فى المخرج فان مخارج الحروف كثيرة منضبطة وانما نطقت العرب منها بالثمانية والعشرين حروف أبجد وبين كل مخرجين منها حروف أكثر من واحد فمنها ما نطقت به الامم ومنها مالم تنطق به ومنها ما نطق به بعض العرب كما هو مذكور فى كتب أهل اللسان واذا تقرر ذلك فاعلم ان أصل هذه اللفظة التى هى زناتة من صيغة جانا التى هى اسم ابى الجيل كله وهو جانا بن يحيى المذكور فى نسبهم وهم اذا أرادوا الجنس فى التعميم الحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات واذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل الى السين ويقرب للسمع منها بعض الصغير فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاى بالسين فصارت زانات لفظا مفردا دالا على الجنس ثم الحقوا به هاء النسبة وحذفوا الالف التى بعد الزاى تخفيفا لكثرة دورانه على الالسنة والله أعلم

* (فصل فى أولية هذا الجيل وطبقاته) *

أما أولية هذا الجيل بافريقية والمغرب فهى مساوية لاولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها الا الله تعالى ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبنى يفرن وجراوة وبنى يرسان ووجديجن وغمرة وبحصر وورتيدو بنى زندال وغيرهم وفى كل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات

طرابلس الى جبل أوراس والزاب الى قبلة تلمسان ثم الى وادى ملوية وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الاسلام لجراوة ثم لمغراوة وبنى يفرن (ولما) ملك الافرنجة بلاد البربر فى ضواحيهم صاروا يؤدون لهم طاعة معروفة وخراجا معروفا مؤقتا ويعسكرون معهم فى حروبهم ويمتنعون عليهم فيما سوى ذلك حتى جاء الله بالاسلام وزحف المسلمون الى افريقية وملك الافرنجة بها يومئذ جرجير فظاهره زناتة والبربر على شأنه مع المسلمين وانفضوا جميعا وقتل جرجير وأصبحت أموالهم مغانم ونساؤهم سبايا وافتتحت سبيطلة ثم عاود المسلمون غزو افريقية وافتتحوا جلولاء وغيرها من الامصار ورجع الافرنجة الذين كانوا يملكونهم على اعقابهم الى مواطنهم وراء البحر وظن البربر بأنفسهم مقاومة العرب فاجتمعوا وتمسكوا بحصون الجبال واجتمعت زناتة الى الكاهنة وقومها جراوة بجبل أوراس حسبما نذكره فأثخن العرب فيهم واتبعوهم فى الضواحى والجبال والقفار حتى دخلوا فى دين الاسلام طوعا وكرها وانقادوا الى ايالة مصر وتولوا من أمرهم ما كان الافرنجة يتولونه حتى اذا انحلت بالمغرب عرى الملك العربى وأخرجهم من افريقية البربر من كتامة وغيرهم قدح هذا الجيل الزناتى زناد الملك فأورى لهم وتداول فيهم الملك جيلا بعد جيل فى طبقتين حسبما نقصه عليك ان شاء الله تعالى

(الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناتة وشأنهم مع المسلمين عند الفتح)

كانت هذه الامة من البربر بافريقية والمغرب فى قوة وكثرة وعديد وجموع وكانوا يعطون الافرنجة بامصارهم طاعة معروفة وملك الضواحى كلها لهم وعليهم مظاهرة الافرنجة مهما احتاجوا اليهم ولما أظل المسلمون فى عساكرهم على افريقية للفتح ظاهروا جرجير فى زحفه اليهم حتى قتله المسلمون وانفضت جموعهم وافترقت رياستهم ولم يكن بعدها بافريقية موضع للقاء المسلمين بجمعهم لما كانت غزواتهم لكل أمة من البربر فى ناحيتها وموطنها مع من تحيز اليهم من قبل الافرنجة (ولما) اشتغل المسلمون فى حرب على ومعاوية اغفلوا أمر افريقية ثم ولاها معاوية بعد عام الجماعة عقبة بن نافع الفهرى فأثخن فى المغرب فى ولايته الثانية وبلغ الى السوس وقتل بالزاب فى مرجعه واجتمعت البربر على كسيلة كبيرا أوربة وزحف اليه بعد ذلك زهير بن قيس البلوى أيام عبد الملك بن مروان فهزمه وملك القيروان وأخرج المسلمين من افريقية (وبعث) عبد الملك حسان بن النعمان فى عساكر المسلمين فهزموا البربر وقتلوا كسيلة واسترجعوا القيروان وقرطاجنة وافريقية والافرنجة والروم الى صقلية والاندلس وافترقت رياسة البربر فى شعوبهم وكانت زناتة أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعا

وبطونا

وبطوناوكان موطن جراوة منهم بجبل أوراس وهم ولد كراو بن الديرت بن جانا وكانت
رياستهم للكاهنة دهيا بنت (بياض بالاصل) بن نيعان بن بارو بن مصكسري بن أفرد بن
وصيلا بن جراو وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها
فاستبدت عليهم وعلى قومهم بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم
وعواقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم قال هانى بن بكور الضريسي ملكت عليهم
خمسا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط
قبلة جبل أوراس باغرائها برابرة (بياض بالاصل) عليه وكان المسلمون يعرفون
ذلك منها فلما انقضى جميع البربر وقتل كسيلة زحفوا الى هذه الكاهنة بمعتصمها
من جبل أوراس وقد ضوى اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر
البتر فلقيتهم بالبسيط أمام جبلها وانهزم المسلمون واتبعت آثارهم في جموعها حتى
أخرجتهم من افريقية وانتهى حسان الى برقة فأقام بها حتى جاءه المدد من عبد الملك
فزحف اليهم سنة أربع وسبعين وفض جموعهم وأوقع بهم وقتل الكاهنة واقتحم جبل
أوراس عنوة واستلحم فيه زهاء مائة ألف وكان للكاهنة ابنان قد لحقا بحسان
وحسن اسلامهما واستقامت طاعتهما وعقد لهما على قومهما جراوة ومن انضوى
اليهم بجبل أوراس ثم افترق فلهم من بعد ذلك وانقرض أمرهم وافترق جراوة أوزاعا
بين قبائل البربر وكان منهم قوم بسواحل مليلة وكان لهم آثار بين جيرانهم هنالك واليهم
نزع ابن أبي العيش لما غلبه موسى بن أبي العافية على سلطانه بتلمسان أول المائة
الرابعة حسبما نذكره فنزل عليهم وبنى القلعة بينهم الى ان خربت من بعد ذلك والفل منهم
بذلك الوطن الى الآن لهذا العهد مندرجون في بطونه ومن اليهم من قبائل غمارة
والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن مبتدا دول زناتة في الاسلام ومصير الملك اليهم بالمغرب وافريقية)

لما فرغ شأن الردة من افريقية والمغرب وأذعن البربر لحكم الاسلام وملكت العرب
واستقل بالخلافة ورياسة العرب بنو أمية اقتعدوا كرسي الملك بدمشق واستولوا على
سائر الامم والاقطار وأثخنوا في القاصية من ادن الهند والصين في المشرق
وفرغانة في الشمال والحبشة في الجنوب والبربر في المغرب وبلاد الجلالقة والافرنجة
في الاندلس وضرب الاسلام بجرانه وألقت دولة العرب بكلكلها على الامم ثم جدع بنو
أمية أنوف بني هاشم مقاسميهم في نسب عبد مناف والمدعين استحقاق الامر بالوصية
وتكرر خروجهم عليهم فأثخنوا فيهم بالقتل والاسر حتى توغرت الصدور واستحكمت
الاوتار وتعددت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من علي الى من بعده من بني

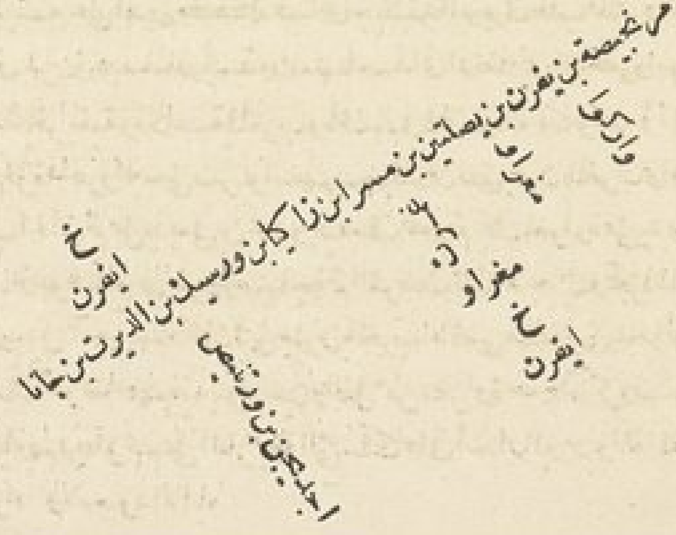
هاشم فقوم ساقوها الى آل العباس وقوم الى آل الحسن وآخرون الى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام بها اليمنية فكانت الدولة العظيمة الحائزة للخلافة ونزلوا بغداد واستباحوا الامويين قتلا وسبيا وخلص من جالبتهم الى الاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد بها دعوة الامويين واقتطع ما وراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تحقق لهم به راية (ثم نفس) آل أبي طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فخرج المهدى محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية في بني أبي طالب على أبي جعفر المنصور وكان من أمرهم ما هو مذكور واستلحمتهم جيوش بني العباس في وقائع عديدة وفر ادريس بن عبد الله أخو المهدى من بعض وقائعهم الى المغرب الاقصى فأجاره البرابرة من أوربة ومغيلة وقاموا بدعوته ودعوة بنيه من بعده ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الاقصى والاوسط وبثوا دعوة ادريس وبنيه من أهله بعده في أهله من زناتة مثل بني يفرن ومغراوة وقطعوه من ممالك بني العباس واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون أثناء ذلك بالمشرق ينزعون الى الخلافة ويبثون دعاتهم بالقاصية الى ان دعا أبو عبد الله المحتسب بافريقية الى المهدى ولد اسمعيل الامام بن جعفر الصادق فقام برابرة كتامة ومن اليهم من صنهاجة وملكوا افريقية من يد الاغالبة ورجع العرب الى مركز ملكهم بالمشرق ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم واستيقنوا بوعد الصادق أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلم تنسلخ الملة بانسلاخ الدولة ولا تقوضت مباني الدين بتقويض معالم الملك وعدا من الله ان يخلفه في تمام أمره واظهار دينه على الدين كله فتنافس حينئذ البربر في طلب الملك والقيام بدعوة الاعياص من بني عبد مناف يسدون منها حسدا في ارتقاء الى ان ظفروا من ذلك بحظ مثل كتامة بافريقية ومكناسة بالمغرب ونافسهم في ذلك زناتة وكانوا من أكثرهم جمعا وأشدهم قوة فشمروا له حتى ضربوا معهم بسهم فكان لبني يفرن بالمغرب وافريقية على يد صاحب الحمار ثم على يد يعلى بن محمد وبنيه ملك ضخم ثم كان لمغراوة على يد بني خزر دولة أخرى تنازعوها مع بني يفرن وصنهاجة ثم انقرضت تلك الاجيال وتجدد الملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم فكان لبني مرين بالمغرب الاقصى ملك ولبني عبد الواد بالمغرب الاوسط ملك آخر تقاسموهم فيه بنو توجين والقل من مغراوة حسبما نذكر ونستوفي شرحه ونجلب أيامهم وبطونهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر والله المعين سبحانه لا رب سواه ولا معبود الا اياه

*

*(الطبقة

{ الطبقة الاولى من زناتة ونبدأ منها بالخبر عن بنى يفرن وأنسابهم وشعوبهم وماكان لهم من الدول بافريقية والمغرب }

وبنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة وأوسع بطونهم وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا واخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين والكل بنو يصلتين ويفرن فى لغة البربر هو القار وبعض نسابتهم يقولون ان يفرن هو ابن ورتنيذ بن جانا واخوته مغراوة وغمرت ووجديجن وبعضهم يقول يفرن بن مرة بن ورسيك بن جانا وبعضهم يقول هو ابن جانا لصلبه والصحيح مانقلناه عن أبى محمد بن حزم (وأما) شعوبهم فكثير ومن أشهرهم بنو واركوا ومرنجيصة وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة وكان منهم بافريقية وجبل أوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب فلما كان الفتح غشى افريقية ومن بها من البربر جنود الله المسلمون من العرب فتطامنوا لبأسهم حتى ضرب الدين بجرانه وحسن اسلامهم ولما فشا دين الخارجية فى العرب وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم فى البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤس الخارجية فى أحكامهم من أباضية وصفرية وغيرهما كما ذكرناه فى بابه ففشا فى البربر وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه وكان أول من جمع لذلك منهم أبو قرة من أهل المغرب الاوسط ثم من بعده أبو يزيد صاحب الحمار وقومه بنو واركوا ومرنجيصة ثم كان لهم بالمغرب الاقصى من بعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلى بن محمد صالح وبنيه حسبما نذكر ذلك مفسرا ان شاء الله تعالى



(الخبر عن أبي قرة وما كان لقومه من الملك بتلمسان ومبدا ذلك ومصائره)

كان من بني يفرن بالمغرب الاوسط بطون كثيرة بنواحي تلمسان الى جبل بني راشد المعروف بهم لهذا العهد وهم الذين اختطوا تلمسان كما نذكره في أخبارها وكان رئيسهم لعهد انتقال الخلافة من بني أمية الى بني العباس أبو قرة ولا نعرف من نسبه أكثر من أنه منهم ولما انتقض البرابرة بالمغرب الاقصى وقام ميسرة وقومه بدعوة الخارجية وقتله البرابرة قدموا على انفسهم مكانه خالد بن حميد من زناتة فكان من حروبه مع كلثوم بن عياض وقتله اياه ما هو معروف ورأس على زناتة من بعده أبو قرة هذا ولما استأنفت دولة بني أمية كثرت الخارجية في البربر وملك ورفجومة القيروان وهوارة وزناتة طرابلس ومكناسة سجلماسة وابن رستم تاهرت وقدم ابن الاشعث افريقية من قبل أبي جعفر المنصور وخافه البربر فحسم العلل وسكن الحروب ثم انتقض بنو يفرن بنواحي تلمسان ودعوا الى الخارجية وبايعوا أبا قرة كبيرهم بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة فسرح اليهم ابن الاشعث الاغلب بن سوادة التميمي فانتهى الى الزاب وفر أبو قرة الى المغرب الاقصى ثم راجع موطنه بعد رجوع الاغلب (ولما انتقض البرابرة على عمر بن حفص بن أبي صفرة الملقب هزارمرد عام خمسين ومائة وحاصروه بطبنة كان فيمن حاصره أبو قرة اليفرني في أربعين ألفا صفرية من قومه وغيرهم حتى اشتد عليه الحصار وداخل أبا قرة في الافراج عنه على يد ابنه على أن يعطيه أربعين ألفا ولابنه أربعة آلاف فارتحل بقومه وانفض البرابرة عن طبنة ثم حاصروه بعد ذلك بالقيروان واجتمعوا عليه وأبو قرة معهم بثلثمائة وخمسين ألفا الخيالة منها خمسة وثمانون ألفا وهلك عمر بن حفص في ذلك الحصار وقدم يزيد بن حاتم واليا على افريقية ففض جموعهم وفرق كلمتهم ولحق أبو قرة وبنو يفرن أصحابه بمواطنهم من تلمسان بعد أن قتل صاحبه أبو حاتم الكندي رأس الخوارج واستلحم بني يفرن وتوغل يزيد بن حاتم في المغرب ونواحيه وأثخن في أهله الى ان استكانوا واستقاموا ولم يكن لبني يفرن من بعدها انتقاض حتى كان شأن أبي يزيد بافريقية في بني واركو ومرنجيصة منهم حسبما نذكره ان شاء الله تعالى الكريم وبعض المؤرخين ينسب ابا قرة هذا الى مغيلة ولم أظفر بصحيح في ذلك والطرائق متساوية في الجانبين فان نواحي تلمسان وان كانت موطنا لبني يفرن فهي أيضا موطن لمغيلة والقبيلتان متجاورتان لكن بنو يفرن كانوا أشد قوة وأكثر جمعا ومغيلة أيضا كانوا أشهر بالخارجية من بني يفرن لانهم كانوا صفرية وكثير من الناس يقولون ان بني يفرن كانوا على مذهب أهل السنة كما ذكره ابن حزم وغيره والله أعلم

الخبر عن أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار من بني يفرن ومبدأ أمره مع الشيعة ومصايره

هذا الرجل من بني واركوا اخوة مرنجيصة وكلهم من بطون بني يفرن وكنيته أبو يزيد واسمه مخلد بن كيداد لا يعلم من نسبه فيهم غير هذا وقال أبو محمد بن حزم ذكر لي أبو يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد ان اسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورنمت بن حونفر بن سميران بن يفرن بن جانا وهو زناتة قال وقد أخبرني بعض البربر بأسماء زائدة بين يفرن وجانا اه كلام ابن حزم ونسبه ابن الرقيق أيضا في بني واسين بن ورسيك بن جانا وقد تقدم نسبهم أول الفصل وكان كيداد أبوه يختلف الى بلاد السودان في التجارة فولد له أبو يزيد بكركو من بلادهم وأمه أم ولد اسمها سبيكة ورجع به الى قيطون زناتة ببلاد قصطيلة ونزل توزر مترددا بينها وبين تقيوس وتعلم القرآن وتأدب وخالط النكارية فمال الى مذاهبهم وأخذها عنهم ورأس فيها ورحل الى مشيختهم بتيهرت وأخذ عن أبي عبيدة منهم أيام اعتقال عبيد الله المهدي بسجلماسة ومات أبوه كيداد وتركه على حال من الخصاصة والفقر فكان أهل القيطون يصلونه بفضل أموالهم وكان يعلم صبيانهم القرآن ومذاهب النكارية واشتهر عنه تكفير اهل الملة وسب علي فخاف وانتقل الى تقيوس وكان يختلف بينها وبين توزر وأخذ نفسه بالتغيير على الولاة ونمى عنه اعتقاد الخروج عن السلطان فنذر الولاة بقصطيلة دمه فخرج الى الحج سنة عشر وثلثمائة وأرهقه الطلب فرجع من نواحي طرابلس الى تقيوس ولما هلك عبيد الله أوعز القائم الى أهل قصطيلة في القبض عليه فلحق بالمشرق وقضى الغرض وانصرف الى موطنه ودخل توزر سنة خمس وعشرين مستترا وسعى به ابن فرقان عند والي البلد فتقبض عليه واعتقله وأقبل سرعان زناتة الى البلد ومعهم أبو عمار الاعمى رأس النكارية واسمه كما سبق عبد الحميد وكان ممن أخذ عنه أبو يزيد فتعرضوا للوالي في اطلاقه فتعلل عليهم بطلبه في الخراج فاجتمعوا الى فضل ويزيد ابني أبي يزيد وعمدوا الى السجن فقتلوا الحرس وأخرجوه فلحق ببلد بني واركلا وأقام بها سنة يختلف الى جبل أوراس والى بني برزال في مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة والى بني زنداك من مغراوة الى أن أجابوه فوصل الى أوراس ومعه أبو عمار الاعمى في اثني عشر من الراحلة ونزلوا على النكارية بالنوالات واجتمع اليه القرابة وسائر الخوارج وأخذ له البيعة عليهم أبو عمار صاحبه على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسبي وعلى أنهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى وذلك سنة احدى وثلاثين وترصد واغتنم

صاحب باغية فى بعض وجوهه فضربوا على بسيطها واستباح بعض القصور بها سنة ثنتين وثلاثين وغمس بذلك أيدى البربر فى الفتنة ثم زحف بهم الى باغية واستولت عليه وعلى أصحابه الهزيمة فلحقوا بالجبل وزحف اليهم صاحب باغية فانهزم ورجع الى بلده فحاصره أبو يزيد وأوعز أبو القاسم القائم الى كتامة فى امداد كانون صاحب باغية فتلاحقت به العساكر فبيتهم أبو يزيد وأصحابه فقتلوهم وامتنعت عليه باغية وكاتب أبو يزيد البربر الذين حول قسطيلة من بنى واسين وغيرهم فحاصروا توزر سنة ثلاث وستين ورحل الى تبسة فدخلها صلحا ثم الى بجاية كذلك ثم الى مرماجنة كذلك وأهدوا له حمارا أشهب فلزم ركوبه حتى اشتهر به وبلغ خبره عساكر كتامة بالاربص فانفضوا وملك الاربص وقتل امام الصلاة بها وبعث عسكرا الى تبسة فملكوها وقتلوا عاملها وبلغ الخبر القائم وهو بالمهدية فهاله وسرح العساكر لضبط المدن والثغور وسرح مولاه بشرى الصقلى الى باجة وعقد لميسور على الجيوش فعسكر بناحية المهدية وسرح خليل بن اسحق الى القيروان فعسكر بها وزحف أبو يزيد الى بشرى بباجة واشتدت الحرب بينهم وركب أبو يزيد حماره وأمسك عصاه فاستمالت النكارية وخالفوا البشرى الى معسكره فانهزم الى تونس واقتحم أبو يزيد باجة واستباحها ودخل بشرى الى تونس وارتدت البرابر من كل ناحية فأسلم تونس ولحق بسوسة واستأمن أهل تونس الى أبى يزيد فأمنهم وولى عليهم وانتهى الى وادى مجدرة فعسكر بها ووافته الحشود هنالك ورعب الناس منه فاجفلوا الى القيروان وكثرت الاراجيف وسرب أبو يزيد جيوشه فى نواحى افريقية فشنوا الغارات وأكثروا السبى والقتل والاسر ثم زحف الى رقادة فانفض كتامة الذين كانوا بها ولحقوا بالمهدية ونزل أبو يزيد رقادة فى مائة ألف ثم زحف الى القيروان فانحصر بها خليل بن اسحق ثم أخذه بعد مراوضة فى الصلح وهم بقتله فأشار عليه أبو عمار باستبقائه فلم يطعه وقتله ودخلوا القيروان فاستباحوها ولقيه مشيخة الفقهاء فأمنهم بعد التقريع والعتب وعلى أن يقتلوا أولياء الشيعة وبعث رسله فى وفد من أهل القيروان الى الناصر الاموى صاحب قرطبة ملتزما لطاعته والقيام بدعوته وطالبا للمدد فرجعوا اليه بالقبول والوعد ولم يزل يردد ذلك سائر أيام الفتنة حتى أوفد ابنه أيوب فى آخرها سنة خمس وثلاثين فكان له اتصال بالناصر سائر أيامه وزحف ميسور من المهدية بالعساكر وفرعنه بنو كملان من هوارة ولحقوا بأبى يزيد وحرضوه على لقاء ميسور فزحف اليه واستوى اللقاء واستماتت أبو يزيد والنكارية فانهزم ميسور وقتله أبو كملان وبعث برأسه الى القيروان ثم الى المغرب واستبيح معسكره وسرح أبو يزيد

بياض بالأصل

عساكره الى مدينة   فاقتحموها عنوة وأكثروا من القتل
والمثلة وعظم القتل بضواحي افريقية وخلت القرى والمنازل ومن أفلته السيف أهلكه الجوع واستخف أبو يزيد بالناس بعد قتل ميسور فلبس الحرير وركب الفاره ونكر عليه أصحابه ذلك وكاتبه رؤساؤهم من البلاد والقائم خلال ذلك بالمهدية يخندق على نفسه ويستنفر كتامة وصنهاجة للمصار معه وزحف أبو يزيد حتى نزل المهدية وناوش عساكرها الحرب فلم يزل الظهور عليهم وملك زويلة ولما وقف بالمصلى قال القائم لاصحابه من ههنا يرجع واتصل حصاره للمهدية واجتمع اليه البربر من قابس وطرابلس ونفوسة وزحف اليهم ثلاث مرات فانهزم فى الثالثة ولم يقلع وكذلك فى الرابعة واشتد الحصار على المهدية ونزل الجوع بهم واجتمعت كتامة بقسنطينة وعسكروا بها لامداد القائم فسرح اليهم أبو يزيد يكموس المزاتى وربخومة فانفض معسكر كتامة من قسنطينة ويئس القائم من مددهم وتفرقت عساكر أبى يزيد فى الغارات والنهب فخف المعسكر ولم يبق به الا هوارة وأوراس بنى كملان وكثرت مراسلات القائم للبربر واستراب بهم أبو يزيد وهرب بعضهم الى المهدية ورحل آخرون الى مواطنهم فأشار عليه أصحابه بالافراج عن المهدية فأسلموا معسكرهم ولحقوا بالقيروان سنة أربع وثلاثين ودبر أهل القيروان فى القبض عليه فلم يتهيأ لهم وعذله أبو عمار فيما أتاه من الاستكثار من الدنيا فتاب وأقلع وعاود لبس الصوف والتقشف وشاع خبر اجفاله عن المهدية فقتل النكارية فى كل بلد وبعث عساكره فعاثوا فى النواحى وأوقعوا بأهل الامصار وخربوا كثيرا منها وبعث ابنه أيوب الى باجة فعسكر بها ينتظر وصول المدد من البربر وسائر النواحى فلم يفجأه الا وصول على بن حمدون الاندلسى صاحب المسيلة فى حشد كتامة وزواوة وقد مر بقسنطينة والاربض وسقبارية واستصحب منها العساكر فبيته أيوب وانفض معسكره وتردى به فرسه فى بعض الاوعار فهلك ثم زحف أيوب فى عسكره الى تونس وقائدها حسن بن على من دعاة الشيعة فانهزم ثم أتيحت له الكرة ولحق حسن بن على ببلد كتامة فعسكر بهم على قسنطينة وسرح أبو يزيد جموع البربر لحربه ثم اجتمعت لابى يزيد حشود البربر من كل ناحية وثابت اليه قوته وارتحل الى سوسة فحاصرها ونصب عليها المجانيق وهلك القائم سنة أربع وثلاثين فى شوال وصارت الخلافة لابنه اسمعيل المنصور فبعث بالمدد الى سوسة بعد أن اعتزم على الخروج اليها بنفسه فمنعه أصحابه ووصل المدد الى سوسة فقاتلوا أبا يزيد فانهزم ولحق بالقيروان فامتنعت عليه فاستخلص صاحبه أبا عمار من أيديهم وارتحل عنهم وخرج المنصور من المهدية الى سوسة ثم الى القيروان فملكها وعفا

عن أهلها وأمنهم وأحسن فى مخلف أبى يزيد وعياله ووافى المدد الى أبى يزيد ثالثة فاعتزم على صاحب القيروان وزحف الى عسكر المنصور بساحتها فيتهم واشتد الحرب واستمات الاولياء وافترقوا آخر نهارهم وعاودوا الزحف مرات ووصل المدد الى المنصور من الجهات حتى اذا كان منتصف المحرم كان الفتح وانهزم أبو يزيد وعظم القتل فى البربر ورحل المنصور فى اتباعه فى ... ثم تبسة حتى انتهى الى باغاية ووافاه بها كتاب محمد بن خزر بالطاعة والولاية والاستعداد للمظاهرة فكتب اليه بترصد أبى يزيد والقبض عليه ووعده فى ذلك بعشرين حملا من المال ثم رحل الى طبنة فوافاه بها جعفر بن على عامل المسيلة بالهدايا والاموال وبلغه أن أبا يزيد نزل بسكرة وانه كاتب محمد بن خزر يسأله النصرة فلم يجد عنده ما يرضيه فارتحل المنصور الى بسكرة فتلقاه أهلها وفر أبو يزيد الى بنى برزال بجبل سالات ثم الى جبل كتامة وهو جبل عياض لهذا العهد وارتحل المنصور فى أثره الى ومرة وبيته أبو يزيد هنالك فانهزم ولم يظفر وانحاز الى جبل سالات ثم لحق بالرمال ورجع عنه بنو كملان وأمنهم المنصور على يد محمد بن خزر وسار المنصور فى التبعية حتى نزل جبل سالات وارتحل وراءه الى الرمال ثم رجع ودخل بلاد صنهاجة وبلغه رجوع أبى يزيد الى جبل كتامة فرجع اليه ونزل عليه المنصور فى كتامة وعجيسة وزواوة وحشد بنى زنداك ومزاتة ومكناسة ومكلاتة وتقدم المنصور اليه فقاتلوا أبا يزيد وجموع النكارية فهزموهم واعتصموا بجبل كتامة ورحل المنصور الى المسيلة وانحصر أبو يزيد فى قلعة الجبل وعسكر المنصور ازاءها واشتد الحصار وزحف اليها مرات ثم اقتحموا عليهم فاعتصم أبو يزيد بقصر فى ذروة القلعة فأحيط به واقتحم وقتل أبو عمار الاعمى ويكموس المزاتى ونجا أبو يزيد مثخنا بالجراحة محمولا بين ثلاثة من أصحابه فسقط فى مهوى من الاوعار فوهن وسيق من الغداة الى المنصور فأمر بمداواته ثم أحضره ووبخه وأقام الحجة عليه وتجافى عن دمه وبعثه الى المهدية وفرض له بها الجراية فجزاه خيرا وحمل فى القفص فمات من جراحته سنة خمس وثلاثين وأمر به فسلخ وحشى جلده بالتبن وطيف به فى القيروان وهرب الفل من أصحابه الى ابنه فضل وكان مع معبد بن خزر فأغاروا على ساقة المنصور وكمن لهم زيرى بن مناد أمير صنهاجة فأوقع بهم ولم يزل المنصور فى اتباعه الى أن نزل المسيلة وانقطع أثر معبد ووافاه بعسكره هنالك انتقاض حميد بن يصل عامل تيهرت من أوليائهم وانه ركب البحر من تنس الى العدوة فارتحل الى تيهرت وولى عليها وعلى تنس ثم قصد لواتة فهربوا الى الرمال ورجع الى افريقية سنة خمس وثلاثين ثم بلغه ان فضل بن أبى يزيد أغار على جهات قصطيلة فرحل من سنته فى طلبه وانتهى الى قفصة

بياض بالأصل

بياض بالأصل

ثم ارتحل الى   من أعمال الزاب وفتح حصن ماداس مما يليه وهرب فضل فى الرمال فأعجزه ورجع الى القيروان سنة ست وثلاثين ومضى فضل الى جبل أوراس ثم سار منه الى باغاية فحصرها وغدر به ماطيط بن يعلى من أصحابه وجاء برأسه الى المنصور وانقرض أمر أبى يزيد وبنيه وافترقت جموعهم واغتال عبد الله بن بكار من رؤساء مغراوة بعد ذلك أيوب بن أبى يزيد وجاء برأسه الى المنصور متقربا اليه وتتبع المنصور قبائل بنى يفرن بعدها الى أن انقطع أثر الدعوة والبقاء لله تعالى وحده

الخبر عن الدولة الاولى لبنى يفرن بالمغرب الاوسط والاقصى ومبادى أمورهم ومصايرها

كان لبنى يفرن من زناتة بطون كثيرة وكانوا متفرقين بالمواطن فكان منهم بافريقية بنو واركو ومرنجيصة وغيرهم كما قدمناه وكان منهم بنواحى تلمسان ما بينها وبين تاهرت أمم كثير عددهم وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان كما نذكر بعد ومنهم أبو قرة المتزى بتلك الناحية لاول الدولة العباسية وهو الذى حاصر عمر بن حفص بطبنة كما تقدم ولما انقرض أمر أبى يزيد وأثخن المنصور فيمن كان بافريقية من بنى يفرن أقام هؤلاء الذين كانوا بنواحى تلمسان على وفودهم وكان رئيسهم لعهد أبى يزيد محمد بن صالح ولما تولى المنصور محمد بن خزر وقومه مغراوة وكان بينه وبين بنى يفرن هؤلاء فتنة هلك فيها محمد بن صالح على يد عبد الله بن بكار من بنى يفرن كان متحيزا الى مغراوة وولى أمره فى بنى يفرن من بعده ابنه يعلى فعظم صيته واختط مدينة ايفكان ولما خطب عبد الرحمن الناصر طاعة الاموية من زناتة أهل العدوة واستألف ملوكهم سارع يعلى لاجابته واجتمع عليها مع الخير بن محمد بن خزر وقومه مغراوة وأجلب على وهران فملكها سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة من يد محمد بن عون وكان ولاه عليها صولات اللميطى أحد رجالات كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين فدخلها يعلى عنوة على بنيه وخربها وكان يعلى قد زحف مع الخير ابن محمد الى تاهرت وبرز اليه ميسور الخصى فى شيعته من لماية فهزموهم وملكوا تاهرت وتقبض على ميسور وعبد الله بن بكار فبعث به الخير الى يعلى بن محمد ليثار به فلم يرضه كفؤا لدمه ودفعه الى من أثار به من بنى يفرن واستفحل سلطان يعلى فى ناحية المغرب وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهرت الى طنجة واستدعى من الناصر تولية رجال بيته على امصار المغرب فعقد على فاس محمد بن الخير بن محمد بن عشيرة ونسك محمد لسنة من ولايته واستأذن فى الجهاد والرباط بالاندلس فأجاز اذلك واستخلف على عمله ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد وهو الذى اختط مأذنة القرويين سنة أربع وأربعين كما ذكرناه ولم يزل سلطان يعلى بن محمد بالمغرب عظيما الى أن أغزى بعد المعز لدين الله كاتبه جوهر الصقلى من القيروان الى المغرب سنة

سبع وأربعين فلما فصل جوهر بالجنود بادر امير زناتة بالمغرب يعلى بن محمد اليفرنى الى لقائه والاذعان لطاعته والانحياش اليه ونبذ عهد البيعة عن قومه بنى يفرن وزناتة فتقبلها جوهر وأضمر الفتك به وتخير لذلك يوم فصوله من بلده وأسر الى بعض مستخلصيه من الاتباع فأوقعوا نفرة فى أعقاب العسكر طار اليها الزعماء من كتامة وصنهاجة وزناتة وتقبض على يعلى فهلك فى وطيس تلك الهيعة فقعص بالرماح على أيدى رجالات كتامة وصنهاجة وذهب دمه هدرا فى القبائل وخرب جوهر مدينة ايفكان وفرت زناتة أمامه وكشف القناع فى مطالبتهم (وقد ذكر) بعض المؤرخين ان يعلى انما لقى جوهرا عند منصرفه من الغزاة بمدينة تاهرت وهنالك كان فتكه به بناحية شلف فتفرقت بعدها جماعة بنى يفرن وذهب ملكهم فلم يجتمعوا الا بعد حين على ابنه بدوى بالمغرب كما نذكره ولحق الكثير منهم بالاندلس كما يأتى خبرهم فى موضعه وانقرضت دولة بنى يفرن هؤلاء الى أن عادت بعد مدة على يد يعلى بفاس ثم استقرت آخرا بسلا وتعاقب فيهم هنالك الى آخرها كما نذكره ان شاء الله تعالى

• (الخبر عن الدولة الثانية لبنى يفرن بسلا من المغرب الاقصى وأولية ذلك وتصاريفه) •

لما أوقع جوهر الكاتب قائد المعز بيعلى بن محمد أمير بنى يفرن وملك المغرب سنة سبع وأربعين كما ذكرناه وتفرقت جموع بنى يفرن لحق ابنه بدوى بن يعلى بالمغرب الاقصى وأحس بجوهر من ورائه فأبعد المفر وأصحر الى أن رجع جوهر من المغرب ويقال ان جوهرا تقبض عليه واحتمله أسيرا فاعتقل الى ان فر من معتقله بعد حين واجتمع عليه قومه من بنى يفرن وكان جوهر عند منصرفه من المغرب ولى على الادارسة المتحيزين الى الريف وبلاد غمارة الحسن بن كنون شيخ بنى محمد منهم فنزل

وأجاز الحكم المستنصر لاول ولايته سنة خمس وثلثمائة وزيره محمد بن قاسم بن طملس فى العساكر لتدويخ المغرب واقتلاع جرثومة الادارسة فأجاز فى العساكر وغلبهم على بلادهم وأزعجهم جميعا عن المغرب الى الاندلس سنة خمس وستين كما ذكرناه ومهد دعوة الاموية بالمغرب وأقبل الحكم مولاه غالبا ورده الى الثغر لسده وعقد على المغرب ليحيى بن محمد بن هاشم التجيبى صاحب الثغر الاعلى وكان أجازه مدد الغالب فى رجال العرب وجند الثغور حتى اذا انغمس الحكم فى علة الفالج وركدت ريح المروانية بالمغرب واحتاجت الدولة الى رجالها لسد الثغور ودفاع العدو واستدعى يحيى بن محمد بن هاشم من العدوة وادالة الحاجب المصحفى بجعفر بن على بن حمدون أمير الزاب والمسيلة النازع اليهم من دعوة الشيعة وجمعوا بين الانتفاع به فى العدوة والراحة مما يتوقع منه على الدولة ومن البرابرة فى النيات الخلابة لما كانوا أصاروا اليهم من النكبة وطوقوه

لاول كذا بالاصل

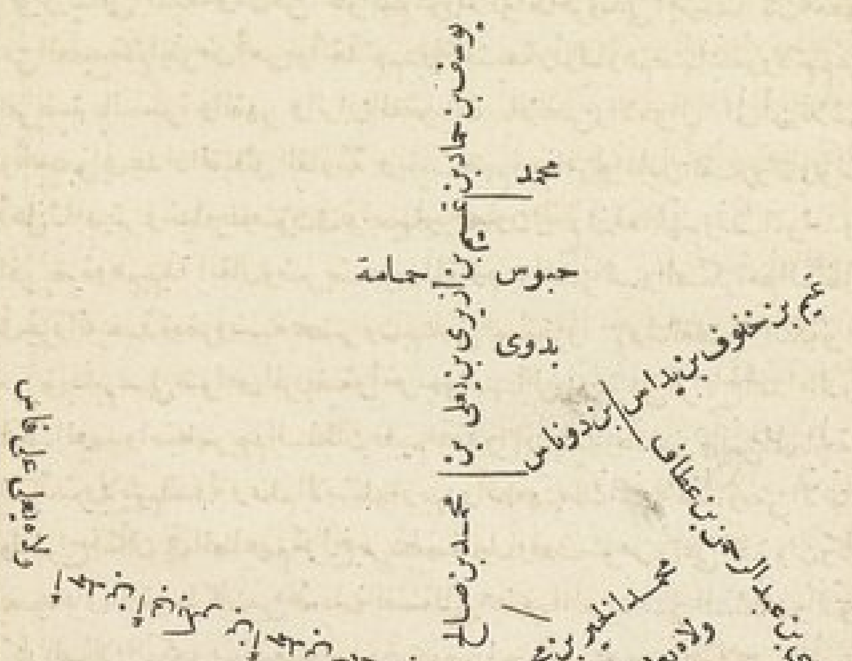
من المحنة ولما كان اجتمع بقرطبة من جموع البرابرة تعـقدوا له ولاخيه يحيى
على المغرب وخلعوا عليهما وأمكنوهما من مال دثر وكسى فاخرة للخلع على ملوك
العدوة فنهض جعفر الى المغرب سنة خمس وستين وضبطه واجتمع اليه ملوك زناتة مثل
بدوى بن يعلى أمير بنى يفرن وابن عمه أبو بخت بن عبد الله بن بكار ومحمد بن الخير بن
خزر وابن عمه بكساس ابن سيد الناس وزيرى بن خزروزيرى ومقاتل ابنا عطية بن
تبادهاو خزرون بن ... ابن سعيد أمير مغراوة واسمعيل بن البورى
أمير مكناسة ومحمد بن ... ابن محمد الازداجى وكان بدوى بن يعلى من أشدهم
قوة وأحسنهم طاعة ... الحكم وولى مكانه هشام المؤيد وانفرد محمد
ابن أبي عامر بحجابته اقتصر من العدوة لاول قيامه على مدينة سبتة فضبطها بجند
السلطان ورجال الدولة وقلدها الصنائع من أرباب السيوف والاقلام وعول فى ضبط
ماوراء ذلك على ملوك زناتة وتعهدهم بالجوائز والخلع وصار الى اكرام وفودهم واثبات
من رغب فى الاثبات فى ديوان السلطان منهم فجدوا فى ولاية الدولة وبث الدعوة
وفسد ما بين أمير العدوة جعفر بن على وأخيه يحيى واقتطع يحيى مدينة ... لنفسه
وذهب بأكثر الرجال ثم كانت على جعفر النكبة التى نكبه برغواطة فى غزاته اياهم
واستدعاه محمد بن أبي عامر لاول أمره لما رآه من استقامته اليه وشد ازره وتلوى عليه
كراهية لما يلقى بالاندلس من الحكم ثم ... وتخلى لاخيه عن عمل المغرب
وأجاز البحر الى ابن أبي عامر فحل منه بالمكان الاثير وتناغت زناتة فى التزلف الى الدولة
بقرب الطاعات فزحف خزرون بن فلفول سنة ست وستين الى مدينة سجلماسة
فاقتحمها ومحى دولة آل مدرار منها وعقد له المنصور عليها كما ذكرنا ذلك قبل وزحف
عقب هذا الفتح بلكين بن زيرى قائد افريقية للشيعة الى المغرب سنة تسع وستين
زحفه المشهور وخرج محمد بن أبي عامر من قرطبة الى الجزيرة لمدافعته بنفسه واحتمل
من بيت المال مائة حمل ومن العساكر مالا يحصى عدة وأجاز جعفر بن على بن حمدون الى
سبتة وانضمت اليه ملوك زناتة ورجع بلكين عنهم الى غزو برغواطة الى أن هلك سنة
ثلاث وسبعين كما ذكرناه ورجع جعفر الى مكانه الى ابن أبي عامر لم يسمح بمقامه عنه
ووصل حسن بن كنون خلال ذلك من القاهرة بكتاب عبد العزيز بن نزار بن معد الى
بلكين صاحب افريقية فى اعانته الى ملك المغرب وامداده بالمال والعساكر فأمضاه
بلكين لسبيله وأعطاه مالا ووعده باضعافه ونهض الى المغرب فوجد طاعة المروانية قد
استحكمت فيه وهلك بلكين أثر ذلك وشغل ابنه المنصور عن شأنه فدعا الحسن بن
كنون الى نفسه وأنفذ أبو محمد بن أبي عامر بن عمه محمد بن عبد الله ويلقب عسكلاجة

بياض بالأصل
بياض بالأصل
بياض بالأصل
بياض بالأصل

لحربه سنة خمس وسبعين وجاء أثره الى الجزيرة كما يشارف القصة وأحيط بالحسن بن كنون فسأل الامان وعقد له مقارعه عمرو عسكلاجة وأشخصه الى الحضرة فلم يمض ابن أبي عامر امامه ورأى ان لا ذمة له لكثرة نكثه فبعث من ثقاته من أتاه برأسه وانقرض أمر الادارسة وانمحى أثرهم فأغضب عمرو عسكلاجة لذلك واستراح الى الجند بأقوال نميت عنه الى المنصور فاستدعاه من العدوة وألحقه بمقتوله ابن كنون وعقد على العدوة للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي واكثف عدده وأطلق في المال يده ونفذ الى عمله سنة ست وسبعين فضبط المغرب أحسن ضبط وهابته البرابرة ونزل فاس من العدوة فعز سلطانه وكثر جمعه وانضمت اليه ملوك النواحي حتى حذر ابن أبي عامر مغبة استقلاله واستدعاه ليبلو صحة طاعته فأسرع اللحاق به فضاعف تكرمته وأعاده الى عمله وكان بدوي بن يعلى هذا من بين ملوك زناتة كثير الاضطراب على الاموية والمراوغة لهم بالطاعة وكان المنصور بن أبي عامر يضرب بينه وبين قرينه زيري بن عطية ويقرن كلا منهما بمناغاة صاحبه في الاستقامة وكان الى زيري أميل وبطاعته أوثق لخلوصه وصدق طويته وانحياشه فكان يرجو ان يتمكن من قياد بدوي بن يعلى بمناغاته فاستدعى بزيري بن عطية الى الحضرة سنة سبع وسبعين فبادر الى القدوم عليه وتلقاه وأكبر موصله وأحسن مقامه ومنقلبه وأعظم جائزته وسام بدوي مثلها فامتنع وقال لرسوله قل لابن أبي عامر متى عهد حمر الوحش تنقاد للبيطارة وأرسل عنانه في العيث والفساد ونهض اليه صاحب المغرب الوزير حسن بن عبد الودود في عساكره وجموعه من جند الاندلس وملوك العدوة مظاهرا عليه لعدوه زيري بن عطية وجمع لهم بدوي ولقيهم سنة احدى وثمانين فكان الظهور له وانهزم عسكر السلطان وجموع مغراوة واستلحموا وجرح الوزير حسن بن عبد الودود جراحات كان فيها لليال مهلكه وطار الخبر الى ابن أبي عامر فاغتم لذلك وكتب الى زيري بضبط فاس ومكاتفة أصحاب حسن وعقد له على المغرب كما نستوفي ذكره عند ذكر دولتهم وغالبه بدوي عليها مرة بعد أخرى ونزع ابو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي عن قومه ولحق بسواحل تلمسان ناقضا الطاعة الشيعة وخارجا عن أخيه المنصور بن بلكين صاحب القيروان وخاطب ابن أبي عامر من وراء البحر وأوفد عليه ابن أخيه ووجوه قومه فسرب اليه الاموال والصلات بفاس مع زيري حسبما نذكره وجمع أيديهما على مدافعة بدوي [illegible] أمره فيهما جميعا الى أن راجع أبو البهار ولاية منصور بن أخيه كما نذكره بعد وحاربه زيري فكان له الظهور عليه ولحق أبو البهار بسبتة ثم عاد الى قومه واستفحل زيري من بعد ذلك وكانت بينه وبين بدوي وقعة اكتسح زيري من ماله ومعسكره مالا كفو له وسبي حرمه واستلحم من قومه

زهاء ثلاثة آلاف فارس وخرج الى الصحراء شريدا سنة ثلاث وثمانين وهلك هنالك فولى أمره فى قومه حبوس ابن أخيه زيرى بن يعلى ووثب به ابن عمه أبو يداس بن دوناس فقتله طمعا فى الرياسة من بعده واختلف عليه قومه فأخفق أمله وعبر البحر الى الاندلس فى جمع عظيم من قومه وولى أمر بنى يفرن من بعده حمامة بن زيرى بن يعلى أخو حبوس المذكور فاستقام عليه أمر بنى يفرن وقد مر ذكره فى خبر بدوى غير مرة وانه كانت الحرب بينه وبين زيرى بن عطية سجالا وكانا يتعاقبان ملك فاس بتناول الغلب وانه لما وفد زيرى على المنصور خالفه بدوى الى فاس فملكها وقتل بها خلقا من مغراوة وانه لما رجع زيرى اعتصم بدوى بفاس فنازله زيرى وهلك من مغراوة وبنى يفرن فى ذلك الحصار خلق ثم اقتحمها زيرى عليهم عنوة فقتله وبعث برأسه الى سدة الخلافة بقرطبة سنة ثلاث وثمانين والله أعلم (ولما) اجتمع بنو يفرن على حمامة تحيز بهم الى ناحية شالة من المغرب فملكها وما اليها من تادلا واقتطعها من زيرى ولم يزل عميد بنى يفرن فى تلك العمالة والحرب بينه وبين زيرى ومغراوة متصلة وكانت بينه وبين المنصور صاحب القيروان مهاداة فأهدى اليه وهو محاصر لعمه حماد بالقلعة سنة ست وأربعمائة وأوفد بهديته أخاه زاوى بن زيرى فلقيه بالطبول والبنود ولما هلك حمامة قام بأمر بنى يفرن من بعده أخوه الامير أبو الكمال تميم بن زيرى بن يعلى فاستبد بملكهم وكان مستقيما فى دينه مولعا بالجهاد فانصرف الى جهاد برغواطة وسالم مغراوة وأعرض عن فتنتهم (ولما) كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة تجددت العداوة بين هذين الحيين بنى يفرن ومغراوة وثارت الاحن القديمة وزحف أبو الكمال صاحب شالة وتادلا وما الى ذلك فى جموع يفرن وبرز اليه حمامة بن المعز فى قبائل مغراوة ودارت بينهم حروب شديدة وانكشفت مغراوة وفر حمامة الى وجدة واستولى الامير أبو الكمال تميم وقومه على فاس وغلبوا مغراوة على عمل المغرب واكتسح تميم اليهود بمدينة فاس واصطلم نعمهم واستباح حرمهم ثم احتشد حمامة من وجدة سائر قبائل مغراوة وزناتة وبعث الحاشدين فى قياطينهم لجميع بلاد المغرب الاوسط ووصل الى تنس صريخا زعمائهم وكاتب من بعد عنه من رجالاتهم وزحف الى فاس سنة تسع وعشرين فأفرج عنها أبو الكمال تميم ولحق بلده ومقر ملكه من شالة وأقام بمكان عمله وموطن امارته منها الى أن هلك سنة ست وأربعين وولى ابنه حماد الى أن هلك سنة تسع وأربعين وولى بعده ابنه يوسف الى أن توفى سنة ثمان وخمسين فولى بعده عمه محمد بن الامير أبى تميم الى أن هلك فى حروب لمتونة حين غلبوهم على المغرب أجمع حسبما نذكره والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (وأما) أبو يداس بن دوناس قاتل

حبوس بن زيرى بن يعلى بن محمد فانه لما اختلف عليه بنو يفرن وأخفق أمله فى اجتماعهم له أجاز البحر الى الاندلس سنة ثنتين وثمانين فرفعه اخوانه أبو قرة وأبو زيد وعطاف فحل كلهم من المنصور محل التكرمة والايثار ونظمه فى جملة الرؤساء والامراء واسنى له الجراية والاقطاع وأثبت رجاله فى الديوان ومن أجاز من قومه فبعد صيته وعلا فى الدولة كعبه (ولما) افترقت الجماعة وانتثرسلك الخلافة كان له فى حروب البربر مع جند الاندلس آثار بعيدة وأخبار غريبة ولما ملك المستعين قرطبة سنة أربعمائة واجتمع اليه من كان بالاندلس من البرابرة لحق المهدى بالثغور واستجاش طاغية الجلالقة فزحف معه الى غرناطة وخرج المستعين فى جوعه من البرابرة الى الساحل واتبعهم المهدى فى جوعه فتواقعوا بوادى ارة فكانت بين الفريقين جولة عظم بلاء البرابرة وطار لابى يداس فيها ذكر وانهزم المهدى والطاغية وجوعهم بعد أن تضايقت المعركة وأصابت أبا يداس بن دوناس جراحة كان فيها مهلكه ودفن هنالك وكان لابنه خلوف وحافده تميم بن خلوف من رجالات زناتة بالاندلس شجاعة ورياسة وكان يحيى بن عبد الرحمن بن أخيه عطاف من رجالاتهم وكان له اختصاص ببنى حمود ثم بالقاسم منهم ولاه على قرطبة أيام خلافته والبقاء لله وحده



(الخبر عن أبي نور بن أبي قرة وما كان لهم من الملك بالاندلس أيام الطوائف)

هذا الرجل اسمه أبو نور بن أبي قرة بن أبي يفرن من رجالات البربر الذين استظهر بهم قومهم أيام الفتنة تغلب على رندة أزمان تلك الفتن وأخرج منها عامر بن فتوح من موالي الاموية سنة خمس وأربعمائة فملكها واستحدث بها لنفسه سلطانا ولما استفحل أمر ابن عباد باشبيلية واشتمل على تملك أجوره من الاعمال والثغور نشأت الفتنة بينه وبين أبي نور هذا واختلف حاله معه في الولاية والانحراف وسجل له سنة ثلاث وأربعين برندة وأعمالها فيمن سجل لهم من البربر واستدعاه بعدها سنة خمسين لبعض ولائمه وكاده بكتاب أوقفه عليه على لسان جارية بقصره تشكو اليه ما نال منها ما نال ابنه من المحرم فانطلق الى بلده وقتل ابنه وشعر بالمكيدة فمات أسفا وولي ابنه الآخر أبو نصر الى سنة سبع وخمسين فغدر به بعض جنده وخرج هاربا فسقط من السور ومات وتسلم المعتمد بلده من يده ذلك ويقال ان ذلك كان عند كائنة الحمام سنة خمس وأربعين وان أبا نور هلك فيها ولما بلغ الخبر ابنه أبا نصر وقع ما وقع والله أعلم

(الخبر عن مرنجيصة من بطون بني يفرن وشرح أحوالهم)

كان هذا البطن من بني يفرن بضواحي افريقية وكانت لهم كثرة وقوة ولما خرج أبو يزيد على الشيعة وكان من أخوالهم بنو واركو ظاهروه على أمره بما كان لهم معهم من العصبية ثم انقرض أمره وأخذتهم دولة الشيعة وأولياؤهم صنهاجة وولاتهم على افريقية بالسطوة والقهر وانزال العقوبات بالانفس والاموال الى أن تلاشوا وأصبحوا في عداد القبائل الغارمة وبقيت منهم احياء نزلوا ما بين القيروان وتونس أهل شاء وبقر وخيام يظعنون في نواحيها ويتصلون الفلح في معاشهم وملك الموحدون افريقية وهم بهذا الحال وضربت عليهم المغارم والضرائب والعسكرة مع السلطان في غزواته بعدة مفروضة يحضرون بها متى استقروا (ولما تغلب) الكعوب من بني سليم على ضواحي افريقية وأخرجوا منها الزواودة من الرياح أعداء الدولة لذلك العهد واستظهر بهم السلطان عليهم اتخذوا افريقية وطنا من قابس الى باجة ثم اشتدت ولايتهم للدولة وعظم الاستظهار بهم وأقطعهم ملك الدولة ما شاؤه من الاعمال والخراج فكان في اقطاعهم خراج مرنجيصة ولما وقعت بنو مرين على القيروان وكان بعدها في الفترة ما كان من طغيان الفتنة التي اعترفها العرب على السلطان والدولة كان لهؤلاء الكعوب المتغلبين مدد قوى من احياء مرنجيصة هؤلاء من الخيل للحملان والخيالة للاستظهار باعدادهم في الحروب فصار والهم لحمة وخولة وتملكوهم تملك العبيد حتى اذ اذهب الله بحمى الفتنة وأقام مائل الخلافة والدولة

بثراة هذا الملك الحفصى الى الاحق به مولانا السلطان أبى العباس أحمد فانقشع الجو وأضاء الافق ودفع المتغلبين من العرب عن أعماله وقبض أيديهم عن رعاياه وأصار مرتجيصة هؤلاء من صفاياه بعد ازال العقوبة بهم على لياذهم بالعرب وظعنهم معهم فراجعوا الحق وأخلصوا فى الانحياش ورجعوا الى ما ألفوه من الغرامة وقوانين الخراج وهم على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن مغراوة من أهل الطبقة الاولى من زناتة وما كان لهم من الدول بالمغرب ومبدأ ذلك وتصاريفه

هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب منهم ونسبهم الى مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا اخوة بنى يفرن وبنى يرنيان وقد تقدم الخلاف فى نسبهم عند ذكر بنى يفرن وأما شعوبهم وبطونهم فكثير مثل بنى يلنت وبنى زندالك وبنى ورا وورتزمير وبنى أبى سعيد وبنى ورسيفان والاغواط وبنى ريغة وغيرهم ممن لم يحضرنى أسماؤهم وكانت محلاتهم بأرض المغرب الاوسط من شلف الى تلمسان الى جبل مديونة وما اليها ولهم مع اخوانهم بنى يفرن اجتماع وافتراق ومناغاة فى أحوال البدو وكان لمغراوة هؤلاء فى بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الاسلام فأقره لهم وحسن اسلامهم وهاجر أميرهم صولات بن وزمار الى المدينة ووفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلقاه برا وقبولا لهجرته وعقد له على قومه ووطنه وانصرف الى بلاده محبوا محبورا مغتبطا بالدين مظاهرا لقبائل مضر فلم يزل هذا دأبه وقيل انه تقبض عليه أسيرا لاول الفتح فى بعض حروب العرب مع البربر قبل أن يدينوا بالدين فأشخصوه الى عثمان لمكانه من قومه فمن عليه وأسلم فحسن اسلامه وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بنى أمية وكانوا خاصة لهم دون قريش وظاهروا دعوة المروانية بالاندلس رعيا لهذا الولاء على ما نراه بعد فى أخبارهم ولما هلك صولات قام بأمره فى مغراوة وسائر زناتة من بعده ابنه حفص وكان من أعظم ملوكهم ثم لما هلك قام بأمره ابنه خزر وعندما تقلص ظل الخلافة عن المغرب الاقصى بعض الشئ وأظلت فتنة ميسرة المقبر ومظفره فاعتز خزر وقومه على أمراء المضرية بالقيروان واستفحل ملكهم وعظم شأن سلطانهم على البدو من زناتة بالمغرب الاوسط ثم انتقض أمر بنى أمية بالمشرق فكانت الفتنة بالمغرب فازدادوا اعتزازا وعتوا وهلك خلال ذلك خزر وقام بملكه ابنه محمد وخلص الى المغرب ادريس الاكبر بن عبد الله بن حسن بن الحسن سنة سبعين ومائة فى خلافة الهادى وقام برابرة المغرب من

أروبة وصدينة ومغيلة بأمره واستوثق له الملك واقتطع المغرب عن طاعة بنى العباس
سائر الايام ثم نهض الى المغرب الاوسط سنة أربع وسبعين فتلقاه محمد بن خزر هذا وألقى
اليه المقادة وبايع له عن قومه وأمكنه من تلمسان بعد ان غلب عليها بنى يفرن أهلها
وانتظم لادريس بن ادريس الامر وغلب على جميع اعمال أبيه وملك تلمسان وقام
بنو خزر هؤلاء بدعوته كما كانوا لابيه وكان قد نزل تلمسان لعهد ادريس الاكبر أخوه
سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن القادم اليه من المشرق وسجل له بولاية تلمسان من
سجل ابنه ادريس لمحمد ابن عمه سليمان من بعده فكانت ولاية تلمسان وأمصارها فى
عقبه واقتسموا ولاية ثغورها الساحلية فكانت تلمسان لولد ادريس بن محمد بن سليمان
وأرشكول لولد عيسى بن محمد وتنس لولد ابراهيم بن محمد بن محمد وسائر الضواحى من
اعمال تلمسان لبنى يفرن ومغراوة ولم يزل الملك بضواحى المغرب الاوسط لمحمد بن خزر
كما قلناه الى ان كانت دولة الشيعة واستوثق لهم ملك افريقية وسرح عبيد الله
المهدى الى المغرب عروبة بن يوسف الكتامى فى عساكر كتامة سنة ثمان وتسعين
ومائتين فدوخ المغرب الادنى ورجع ثم سرح بعده مصالة بن حبوس الى المغرب
فى عساكر كتامة فاستولى على اعمال الادارسة واقتضى طاعتهم لعبيد الله وعقد على
فاس ليحيى بن ادريس بن عمر آخر ملوك الادارسة وخلع نفسه ودان بطاعتهم وعقد له
مصالة على فاس وعقد لموسى بن أبى العافية أمير مكناسة وصاحب تازة واستولى على
ضواحى المغرب وقفل الى القيروان وانتقض عمر بن خزر من أعقاب محمد بن خزر
الداعية لادريس الاكبر وحمل زناتة وأهل المغرب الاوسط على البرابرة من الشيعة
وسرح عبيد الله المهدى مصالة قائد المغرب فى عساكر كتامة سنة تسع ولقيه محمد
ابن خزر فى جموع مغراوة وسائر زناتة ففل عساكر مصالة وخلص اليه فقتله وسرح عبيد
الله ابنه أبا القاسم فى العساكر الى المغرب سنة عشر وعقد له على حرب محمد بن خزر
وقومه فأجفلوا الى الصحراء واتبع آثارهم الى ملوية فلحقوا بسجلماسة وعطف أبو
القاسم على المغرب فدوخ أقطاره وجال فى نواحيه وجدد لابن أبى العافية على عمله
ورجع ولم يلق كيدا (ثم ان الناصر) صاحب قرطبة سماله أمل فى ملك العدوة فخاطب
ملوك الادارسة وزناتة وبعث اليهم خالصته محمد بن عبد الله بن أبى عيسى سنة ستة عشر
فبادر محمد بن خزر الى اجابته وطرد أولياء الشيعة من الزاب وملك شلب وتنس من
أيديهم وملك وهران وولى عليها ابنه المنير وبث دعوة الاموية فى اعمال المغرب
الاوسط ماعدا تاهرت .... فى القيام بدعوة الاموية ادريس بن ابراهيم بن
عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول ثم فتح الناصر سبتة سنة سبع عشرة من
يد الادارسة وأجار موسى بن أبى العافية على طاعته واتصلت يده بمحمد بن خزر

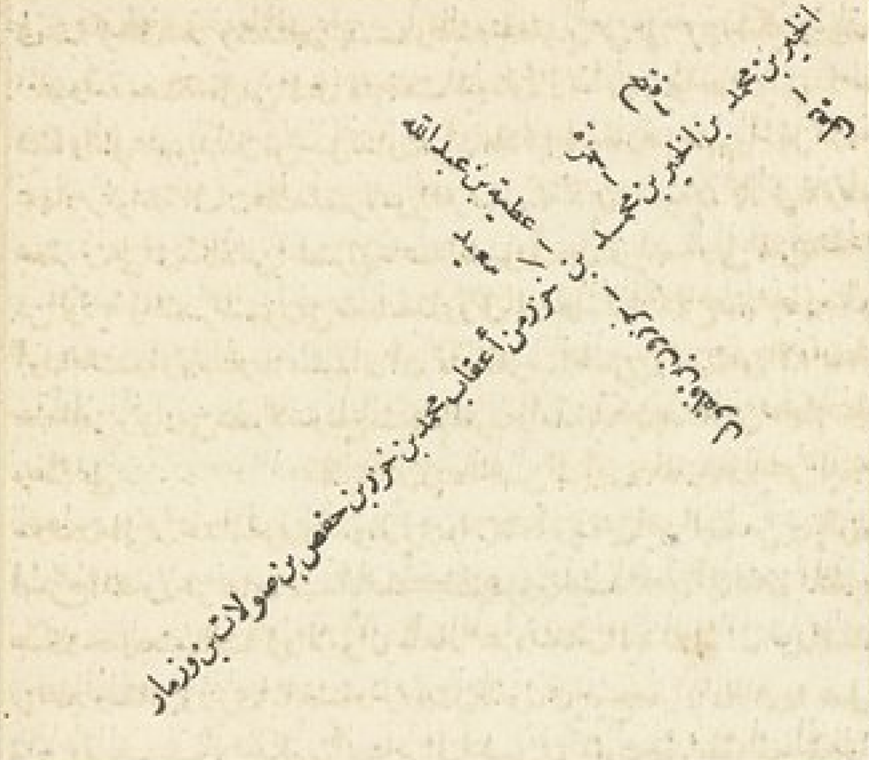
بياض بالاصل

وتظاهروا على الشيعة وخالف فلفول بن خزر أخاه محمدا الى طاعة الشيعة وعقد له عبد الله على مغراوة وزحف الى المغرب حميد بن يصل سنة احدى وعشرين في عساكر كتامة الى عبد الله على تاهرت فانتهى الى فاس وأجفلت أمامه ظواعن زناتة ومكناسة ودوّخ المغرب وزحف من بعده ميسور الخصي سنة ثنتين وعشرين فحاصر فاسا وامتنعت عليه ورجع ثم انتقض حميد بن يصل سنة ثمان وعشرين وتحيز الى محمد بن خزر ثم أجاز الى الناصر وولاه على المغرب الاوسط ثم شغل الشيعة بفتنة أبي يزيد وعظمت آثار محمد بن خزر وقومه من مغراوة وزحفوا الى تاهرت مع حميد بن يصل قائد الاموية سنة ثلاث وثلاثين وزحف معه الخير بن محمد وأخوه حمزة وعمه عبد الله بن خزر ومعهم يعلى بن محمد في قومه بني يفرن وأخذوا تاهرت عنوة وقتلوا عبد الله بن بكار وأسروا قائدها ميسور الخصي بعد ان قتل حمزة بن محمد بن خزر في حروبها وكان محمد بن خزر وقومه زحفوا قبل ذلك الى بسكرة فافتتحوا وقتلوا زيدان الخصي ولما خرج اسمعيل من حصار أبي يزيد وزحف الى المغرب في اتباعه خشية محمد ابن خزر على نفسه لما سلف منه في نقض دعوتهم وقتل أتباعهم فبعث اليه بطاعة معروفة وأوعز اليه اسمعيل بطلب أبي يزيد ووعده في ذلك بعشرين حملا من المال وكان أخوه معبد بن خزر في موالاة أبي يزيد الى ان هلك وتقبض اسمعيل بعد ذلك على على معبد سنة أربعين وقتله ونصب رأسه بالقيروان ولم يزل محمد بن خزر وابنه الخير متغلبا على المغرب الاوسط ومقاسما فيها ليعلى بن محمد ووفد فتوح بن الخير سنة أربعين على الناصر مع مشيخة تاهرت ووهران فأجازهم وصرفهم الى اعمالهم ثم حدثت الفتنة بين مغراوة وصنهاجة وشغل محمد بن الخير وابنه خزر بحروبهم وتغلب يعلى بن محمد على وهران وخربها وعقد الناصر لمحمد بن يصل على تلمسان واعمالها وليعلى بن محمد على المغرب واعماله فراجع محمد بن خزر طاعة الشيعة من أجل قريعه يعلى بن محمد ووفد على المعز بعد مهلك أبيه اسمعيل سنة ثنتين وأربعين فأولاه تكرمة وتم على طاعتهم الى ان حضر مع جوهر في غزاته الى المغرب باعوام سبع أو ثمان وأربعين ثم وفد على المعز بعد ذلك سنة خمسين وهلك بالقيروان وقد نيف على المائة من السنين وهلك الناصر المرواني عامئذ على حين انتشرت دعوة الشيعة بالمغرب وانقبض أولياء الاموية الى اعمال سبتة وطنجة فقام بعده ابنه الحكم المستنصر واستأنف مخاطبة ملوك العدوة فأجابه محمد بن الخير بن محمد بن خزر بما كان من أبيه الخير وجده محمد في ولاية الناصر والولاية التي لبني أمية على آل خزر بوصية عثمان بن عفان لصولات بن وزمار جدهم كما ذكرناه فاثخن في الشيعة ودوّخ بلادهم ورماه معد بقرينه زيري بن مناد أمير صنهاجة فعقد له

على حرب زناتة وسوّغه ما غلب عليه من أعمالهم وجمعوا للحرب سنة ستين ومائتين فلقي
بلكين بن زيري جموعهم بدسيسة من بعض أولياء محمد بن الخير قبل أن يستكمل
تعبيتهم فأبلى منهم ناسا صبرا واشتدت الحرب بينهم وانهزمت زناتة حتى اذا رأى محمد بن
الخير ان قد أحيط به انتبذ الى ناحية من العسكر وذبح نفسه واستمرت الهزيمة على
قومه ووجد منهم في المعركة سبعة عشر أميرا سوى الاتباع وتحيز كل الى فريقه وولى
بعد محمد في مغراوة ابنه الخير وأغرى بلكين بن زيري الخليفة معدا بجعفر بن علي
ابن حمدون صاحب المسيلة والزاب بموالاة محمد بن الخير فاستراب جعفر وبعث عنه
معد لولاية افريقية حتى اعتزم على الرحيل الى القاهرة فاشتدت استرابته ولحق بالخير
ابن محمد وقومه وزحفوا الى صنهاجة فأتيحت لهم الكرة وأصيب زيري بن مناد كبير
العصابة وبعثوا برأسه الى قرطبة في وفد من وجوه بني خزر مع يحيى بن علي أخي جعفر
ثم استراب بعدها جعفر من زناتة ولحق بأخيه يحيى ونزلوا على الحكم وعقد معد لبلكين
ابن زيري على حرب زناتة وامدّه بالاموال والعساكر وسوّغه ما تغلب عليه من أعمالهم
فنهض الى المغرب سنة احدى وستين وأوغر بالبرابرة منهم وتعرى أعمال

وباغاية والمسيلة وبسكرة وأجفلت زناتة امامه وتقدم الى تاهرت فمحا من المغرب
الاوسط آثار زناتة ولحق بالمغرب الاقصى واتبع بلكين آثار الخير بن محمد وقومه الى
سجلماسة فأوقع بهم وتقبض عليهم فقتله صبرا وفض جموعهم ودوّخ المغرب وانكفأ
راجعا ومرّ بالمغرب الاوسط فألحم بوادي زناتة ومن اليهم من المصاصين ورفع الامان
على كل من ركب فرسا أو أنتج خيلا من سائر البربر ونذر دماءهم فأقفر المغرب الاوسط
من زناتة وصاروا الى ما وراء ملوية من بلاد المغرب الاقصى الى ان كان من رجوع بني
يعلى بن محمد الى تلمسان وملكهم اياها ثم هلك بنو خزر بسجلماسة وطرابلس وملك بني
زيري بن عطية بفاس ما نحن ذاكروه ان شاء الله تعالى

بياض في الأصل



الخبر عن آل زيرى بن عطية ملوك فاس وأعمالها من الطبقة الاولى من مغراوة
وما كان لهم بالمغرب الاقصى من الملك والدولة ومبادى ذلك وتصاريفه

كان زيرى هذا أمير آل خزر فى وقته ووارث ملكهم البدوى وهو الذى مهد الدولة بفاس والمغرب الاقصى وأورثها بنيه الى عهد لمتونة حسبما نستوفى شرحه واسمه زيرى بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر وجدّه عبد الله أخو محمد داعية الناصر الذى هلك بالقيروان كما ذكرناه وكانوا أربعة اخوة محمد ومعبد الذى قتله اسمعيل وفلفول الذى خالف محمدا الى ولاية الشيعة وعبد الله هذا وكان يعرف بأمه واسمها تبادلت وقد قيل ان عبد الله هذا هو ابن محمد بن خزر وأخوه حمزة بن محمد الهالك فى حربه مع ميسور عند فتح تاهرت ولما هلك الخير بن محمد كما قلناه بيد بلكين سنة احدى وستين وارتحلت زناتة الى ماوراء ملوية من المغرب الاقصى وصار المغرب الاوسط كله لصنهاجة واجتمع مغراوة الى بقية آل خزر وأمراؤهم يومئذ محمد بن خير المذكور ومقاتل وزيرى ابنا مقاتل بن عطية بن عبد الله وخزرون بن فلفول ثم كان ماذكرناه من ولاية بلكين بن زيرى على افريقية وزحف الى المغرب الاقصى زحفه المشهور سنة تسع وستين وأجفلت أمامه ملوك زناتة من بنى خزر وبنى محمد بن صالح وانحازوا جميعا الى سبتة وأجاز محمد بن الخير البحر الى المنصور بن أبى عامر صريخا فخرج المنصور

في عساكره الى الجزيرة ممدا لهم بنفسه وعقد لجعفر بن على على حرب بلكين وأجازه البحر وأمده بمائة حمل من المال فاجتمعت اليه ملوك زناتة وضربوا مصافهم بساحة سبتة واظل عليهم بلكين من جبل تطاون فرأى مالا قبل له به فارتحل عنهم وأشغل نفسه بجهاد برغواطة الى ان هلك منصرفا من المغرب سنة ثنتين وسبعين كما ذكرناه وعاد جعفر بن على الى مكانه من الحضرة وساهمه المنصور في حمل الرياسة وبقي المغرب غفلا من الولاية واقتصر المنصور على ضبط سبتة ووكل الى ملوك زناتة دفاع صنهاجة وسائر أولياء الشيعة وقاموا بلوطاعتهم الى أن قام بالمغرب الحسن بن كنون من الادارسة بعثه العزيز نزار من مصر لاسترجاع ملكه بالمغرب وأمده بلكين بعسكر من صنهاجة وهلك على   ذلك بلكين ودعا الحسن الى أمره بالمغرب وانضم اليه

بياض بالاصل

بدوى بن يعلى بن محمد اليفرنى وأخوه زيرى وابن عمه أبو يداس فيمن اليهم من بنى يفرن فسرح المنصور لحربه ابن عمه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر الملقب عسكلاجه وبعثه بالعساكر والاموال فأجاز البحر وانحاش اليه ملوك آل خزر محمد بن الخير ومقاتل وزيرى ابنا عطية وخزرون بن فلفول في جميع مغراوة وظاهروه على شانه وزحف بهم أبو الحكم بن أبي عامر الى الحسن بن كنون حتى الجؤه الى الطاعة وسأل الامان على نفسه فعقد له عمرو بن أبي عامر ما رضيه من ذلك وأمكن به من قياده وأشخصه الى الحضرة فكان من قتله واخفار ذمة أبي الحكم بن أبي عامر وقتله بعده ما تقدم حسبما ذكرنا ذلك من قبل وكان مقاتل وزيرى ابنا عطية من بين ملوك زناتة أشد الناس انحياشا للمنصور وقياما بطاعة المروانية وكان بدوى بن يعلى وقومه بنو يفرن منحرفين عن طاعتهم ولما انصرف أبو الحكم بن أبي عامر من المغرب عقد المنصور عليه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى وأطلق يده في انتقاء الرجال والاموال فأنفذه الى عمله سنة ست وسبعين وأوصاه بملوك مغراوة من زناتة واستبلغ بمقاتل وزيرى من بينهم لحسن انحياشهم وطاعتهم وأغراه ببدوى بن يعلى المضطرب الطاعة الشديد المراوغة فنفذ لعمله ونزل بفاس وضبط أعمال المغرب واجتمعت اليه ملوك زناتة وهلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين واستقل برياسة الظواعن البدو من مغراوة اخوة زيرى بن عطية وحسنت مخالفته لابن عبد الودود صاحب المغرب وانحياشه بقومه اليه واستدعاه المنصور من محله بفاس سنة احدى وثمانين اشادة بذكره واغراء ببدوى بن يعلى بمنافسته في الحظ وايثار الطاعة فبادر الى اجابته بعد ان استخلف على المغرب ابنه المعز وأنزله بتلمسان ثغر المغرب وولى على عدوة القرويين من فاس على بن محمود بن أبي على قشوش وعلى عدوة الاندلسيين عبد الرحمن بن عبد

الكريم بن ثعلبة وقدم بين يديه هدية الى المنصور ووفد عليه فاستقبله بالجيوش والعدة واحتفل للقائه وأوسع نزله وجرايته ونوه باسمه فى الوزارة وأقطعه رزقها وأثبت رجاله فى الديوان ووصله بقيمة هديته وأسنى فيها وأعظم جائزته وجائزة وفده وعجل تسريحه الى عمله فقفل الى امارته من المغرب ونمى عنه خلاف ما احتسب فيه من حط المعروف وانكار الصنيع والاستنكاف من لقب الوزارة الذى نوه به حتى انه قال لبعض حشمه وقد دعاه بالوزير وزيرمن يالكع فلا والله الا أمير ابن أمير واعجبا من ابن أبى عامر ومخرقته والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله وان له منا ليوما والله لقد تاجرنى فيما أهديت اليه حط القيم ثم غالطنى بما بذله تنبيتا للكرم الآن يحتسب بثمن الوزارة التى حطنى بها من رتبتى ونمى ذلك الى ابن أبى عامر فصبر عليها أذنه وزاد فى اصطناعه وبعث بدوى بن يعلى اليفرنى قريعه فى ملك زناتة يدعوه الى الوفادة فأبى اجابته وقال متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبياطرة وأخذ فى افساد السابلة والاجلاب على الاحياء والعيث فى العمالة فأوعز المنصور الى عامله بالمغرب الوزير حسن بن عبد الودود بنبذ العهد اليه ومظاهرة عدوه زيرى بن عطية عليه فجمعوا له سنة احدى وثمانين ولقوه فكانت الدائرة عليهم وتحزم العسكر وأثبت الوزير بن عبد الودود جراحة كان فيها حتفه وبلغ الخبر الى المنصور فشق عليه وأهمه شأن المغرب وعقد عليه لوقته لزيرى بن عطية وكتب اليه بعهده وأمر بضبط المغرب ومكانفة جند السلطان وأصحاب حسن بن عبد الودود فاطلع باعبائه وأحسن الغناء فى عمله واستفحل شأن بدوى بن يعلى وبنى يفرن واستغلظوا على زيرى بن عطية وأصلوه نار الفتنة وكانت حروبهم سجالا وسئمت الرعايا بفاس كثرة تعاقبهم عليها وانتزاؤهم على عملها وبعث الله لزيرى بن عطية ومغراوة مددا من أبى البهار بن زيرى بن مناد بما كان انتقض على ابن أخيه منصور بن بلكين صاحب القيروان ونزع عن دعوة الشيعة الى المروانية واقتفى أثره فى ذلك خلوف بن أبى بكر صاحب تاهرت وأخوه عطية لصهر كان بينهما وبين فاقتسموا أعمال المغرب الاوسط ما بين الزاب وأنشريس وهدان وخطبوا فى سائر منابرها باسم هشام المؤيد وخاطب أبو البهار من وراء البحر محمد بن أبى عامر وأوفد عليه أبا بكر بن أخيه حبوس بن زيرى فى طائفة من أهل بيته ووجوه قومه فاستقبلوا بالحسن مائة قطعة من صنوف الثياب الخز والعبيد وما قيمته عشرة آلاف درهم من الآنية والحلى وبخمسة وعشرين ألفا من الدنانير ودعاه الى مظاهرة زيرى بن عطية على بدوى بن يعلى وقسم بينهما أعمال المغرب شق الابلة حتى لقد اقتسما مدينة فاس عدوة بعدعدوة فلم يرع ذلك بدوى ولا وزعه عن

بياض فى الاصل

شأنه

شأنه من الفتنة والاجلاب على البدو والحاضرة وشق عصا الجماعة وانتقض خلوف بن أبي بكر على المنصور لوقته وراجع ولاية المنصور بن بلكين ومرض أبو البهار في المظاهرة عليه للوصلة التي بينهما وقعد عما قام له زيري بن عطية من حرب خلوف بن أبي بكر وأوقع به زيري في رمضان سنة احدى وثمانين واستلحمه وكثيرا من أوليائه واستولى على عسكره وانحاش اليه عامة أصحابه وفر عطية شريدا الى الصحراء ثم نهض على اثرها البدوي بن يعلى وقومه فكانت بينهم لقاآت انكشف فيها أصحاب بدوي واستلحم منهم زهاء ثلاثة آلاف واكتسح معسكره وسبيت حرمه التي كانت منهن أمه وأخته وتحيز سائر أصحابه الى فئة زيري وخرج شريدا الى الصحراء الى ان اغتاله ابن عمه أبو يداس بن دوناس كما ذكرناه وورد خبر الفتحين متعاقبين على المنصور فعظم موقعهما لديه وقد قيل ان مقتل بدوي انما كان عند اياب زيري من الوفادة وذلك أنه لما استقدمه المنصور ووفد عليه كما ذكرناه خالفه بدوي الى فاس فملكها وقتل من مغراوة خلقا واستمكن بها أمره فلما رجع زيري من وفادته امتنع بها بدوي فنازله زيري وطال الحصار وهلك من الفريقين خلق ثم اقتحمها عليه عنوة وبعث برأسه الى سدة الخلافة بقرطبة الا أن راوي هذا الخبر جعل وفادة زيري على المنصور وقتله لبدوي سنة ثلاث وثمانين فالله أعلم أي ذلك كان (ثم ان زيري) فسد ما بينه وبين أبي البهار الصنهاجي وتزاحفا فأوقع به زيري وانهزم أبو البهار الى سبتة مورّيا بالعبور فبادر بكاتبه عيسى بن سعيد بن القطاع في قطعة من الجند الى تلقيه فحاد عن لقائه وصاعد الى قلعة جراوة وقد قدم الرسل الى ابن أخيه المنصور صاحب القيروان مستميلا الى أن التحم ذات بينهما ثم تحيز اليه وعاد الى مكانه من عمله وخلع ما تمسك به من طاعة الاموية وراجع طاعة الشيعة فجمع المنصور لزيري بن عطية أعمال المغرب واستكفى به في سد الثغر وعول عليه من بين ملوك المغرب في الذب عن الدعوة وعهد اليه بمناجزة أبي البهار وزحف اليه زيري في أمم عديدة من قبائل زناتة وحشود البربر وفر أمامه ولحق بالقيروان واستولى زيري على تلمسان وسائر أعمال أبي البهار وملك ما بين السوس الاقصى والزاب فاتسع ملكه وانبسط سلطانه واشتدت شوكته وكتب بالفتح الى المنصور عاثنين من الخيل وخمسين جملا من المهارى السبق وألف درقة من جلود اللمط وأحمال من قسي الزاب وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره وألف حمل من التمر وأحمال من ثياب الصوف الرفيعة كثيرة فجدد له عهده على المغرب سنة احدى وثمانين وأنزل أحياءه بانحاء فاس في قياطنهم واستفحل أمر زيري بالمغرب ودفع بني يفرن عن فاس الى نواحي سلا واختط

مدينة وجدة سنة أربع وثمانين وأنزلها عساكره وحشمه واستعمل عليها ذويه ونقل
اليها ذخيرته وأعدها معتصما وكانت ثغرا للعمالتين المغرب الاقصى والاوسط (ثم فسد)
ما بينه وبين المنصور بما نمى عنه من التألف لهشام باستبداد المنصور عليه فسامه
المنصور الهضيمة وأبى منها وبعث كاتبه ابن القطاع فى العساكر فاستعصى عليه
وأمكنه صاحب قلعة حجر النسر منها فأشخصه الى الحضرة وأحسن اليه المنصور وسماه
الناصح وكشف زيرى وجهه فى عداوة ابن أبى عامر والاغراء به والتشيع للمؤيد
والامتعاض له من هضيمته وحجره فسخطه عند ابن أبى عامر وقطع عنه رزق الوزارة
ومحى اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه وعقد لواضح مولاه على المغرب وعلى حرب
زيرى بن عطية الحمات من سائر الطبقات وأزاح عللهم وأمكنه
من الاموال للنفقات واحمال السلاح والكسى وأصحبه طائفة من ملوك العدوة
كانوا بالحضرة منهم محمد بن الخير وزيرى بن خزرو ابن عمهما بكساس بن سيد الناس
ومن بنى يفرن أبو بخت بن عبد الله بن مدين ومن ازداجة خزرون بن محمد وأمره
بوجوه الجند وفصل من الحضرة سنة سبع وثمانين وسار فى التعبية وأجاز البحر الى
طنجة فعسكر بوادى ردات وزحف زيرى بن عطية فى قومه فعسكر ازاءه وتواقفا
ثلاثة أشهر واتهم واضح رجالات بنى مرزال بالادهان فأشخصهم الى الحضرة وأغرى
بهم المنصور فوبخهم وتنصلوا فصفح عنهم وبعثهم فى غير ذلك الوجه ثم تناول واضح أصيلا
ونكور فضبطهما واتصلت الوقائع بينه وبين زيرى وبيت واضح معسكر زيرى بنواحى
أصيلا وهم غارون فأوقع بهم وخرج ابن أبى عامر من الحضرة لاستشراف أحوال
واضح وامداده فسار فى التعبية واحتل بالجزيرة عند فرصة المجاز ثم بعث عن ابنه المظفر
من مكان استخلافه بالزاهرة وأجازه الى العدوة واستكمل معه أكابر أهل الخدمة
وجلة القواد وقفل المنصور الى قرطبة واستراع خبر عبد الملك بالمغرب ورجع اليه عامة
أصحاب زيرى من ملوك البربر وتناولهم من احسانه وبره ما لم يعهدوا مثله وزحف عبد
الملك الى طنجة واجتمع مع واضح وتلوم هنالك مزيحا العلل العسكر فلما استتم تدبيره
زحف فى جمع لا كفاء له فلقيه زيرى بوادى منى من احواز طنجة فى شوال سنة ثمان
وثمانين فدارت بينهم حروب شديدة وهم فيها أصحاب عبد الملك وثبت هو وبينما هم
فى حومة الحرب اذ طعن زيرى بعض المتوزين من أتباعه اهتبل الغرة فى ذلك الموقف
فطعنه ثلاثا فى نحره أشواه بها ومر يشتد نحو المظفر وبشره فاستكذبه لثبوت رؤيته
ثم سقط اليه الصحيح فشد عليهم فاستوت الهزيمة وأثخن فيهم بالقتل واستولى على ما كان
فى عسكرهم مما لا يذهب فيه الوصف ولحق زيرى بفاس جريحا فى قلة فامتنع عليه

اهلها

أهلها ودافعوه بحرمه فاحتملهن وفرّ أمام العساكر الى الصحراء وأسلم جميع أعماله وطير
عبد الملك بالفتح الى أبيه فعظم موقعه عنده وأعلن بالشكر لله والدعاء وبث الصدقات
وأعتق الموالى وكتب الى ابنه عبد الملك بعهده على المغرب فأصلح نواحيه وسدّ ثغوره
وبعث العمال فى جهاته فأنفذ محمد بن الحسن بن عبد الودود فى جند كثيف الى تادلا
واستعمل حميد بن يصل المكناسى على سجلماسة فخرج كل لوجهه واقتضوا الطاعة
وحملوا اليه الخراج وأقفل المنصور ابنه عبد الملك فى جمادى من سنة تسع وثمانين
وعقد على المغرب لواضح فضبطه واستقام على تدبيره ثم عزله فى رمضان من سنته
بعبيد الله بن أخيه يحيى ثم ولى عليه من بعده اسمعيل بن البورى   من بعد
بالاخوص معن بن عبد العزيز التجيبى الى أن هلك المنصور وأعاد المظفر بن المعز بن
زيرى من منتبذه بالمغرب الاوسط لولاية أبيه بالمغرب فنزل فاس وكان من خبر زيرى أنه
لما استقل من نكبته وهزيمة عبد الملك اياه واجتمع اليه بالصحراء فل مغراوة وبلغه
اضطراب صنهاجة واختلافهم على باديس بن المنصور بعد مهلك أبيه وأنه خرج عليه بعد
عمومته مع ماكسن بن زيرى فصرف وجهه حينئذ الى أعمال صنهاجة ينتهز فيها الفرصة
واقتحم المغرب الاوسط ونازل تاهرت وحاصر بها يطوفة بن بلكين وخرج باديس من
القيروان صريخاله فلما مر بطبنة امتنع عليه فلفول بن خزرون وخالفه الى افريقية
فشغل بحربه وكان أبو سعيد بن خزرون لحق بافريقية وولاه المنصور على طبنة كما ذكره
فلما انتقض سار اليه باديس ودفع حماد بن بلكين فى عساكر صنهاجة الى مدافعة زيرى
ابن عطية فالتقيا بوادى ميناس قرب تاهرت فكانت الدائرة على صنهاجة واحتوى
زيرى على معسكرهم واستلحم ألوفا منهم وفتح مدينة تاهرت وتلمسان وشلف وتنس
وأقام الدعوة فيها كلها للمؤيد هشام ولحاجبه المنصور من بعده ثم اتبع آثار صنهاجة
الى أشير فاعتصموا بها ضد تملكهم فأناخ عليها واستأمن اليه زاوى بن زيرى ومن معه من أكابر
أهل بيته المنازعين لباديس فأعطاه منه ما سأل وكتب الى المنصور بذلك يسترضيه
ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان أعيد الى الولاية ويستأذنه فى قدوم زاوى
وأخيه علال فأذن لهما وقدما سنة تسعين وسأل أخوهما أبو البهار مثل ذلك وأنفذ
رسله بذكر تقديمه فتوقفه المنصور لما سبق من نكثه واعتل زيرى بن عطية وهو بمكانه
من حصار أشير فأفرج عنها وهلك فى منصرفه سنة احدى وتسعين واجتمع آل خزر
وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيرى فبايعوه وضبط أمرهم وأقصر عن محاربة
صنهاجة ثم استجدى للمنصور واعتلق بالدعوة العامرية وصلحت حاله عندهم وهلك
المنصور خلال ذلك ورغب المعز من ابنه عبد الملك المظفر أن يعيده الى عمله على مال يحمله

بياض بالأصل

اليه وعلى أن يكون ولده معنصر رهينة بقرطبة فأجابه الى ذلك وكتب له عهدا وأنفذه وزيره أبا على بن خذيم (ونسخته) بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله من الحاجب المظفر سيف الدولة دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الى كافة من دنى فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله أما بعد أصلح الله شانكم وسلم أنفسكم وأديانكم فالحمد لله علام الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذى البطش الشديد المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا رادّ لامره ولا معقب لحكمه بل له الملك والامر وبيده الخير والشر اياه نعبد واياه نستعين واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع الانبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وان المعز بن زيرى بن عطية أكرمه الله تابع رسائله الينا وكتبه متنصلا من هنات دفعته اليها ضرورات ومستغفرا من سيآت حطتها من توبته حسنات والتوبة محاء الذنب والاستغفار منقذ من العيب واذا أذن الله بشئ يسره وعسى أن تكرهوا شيأ ولكم فيه خير وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة وحسن المعونة وخفة المؤنة فوليناه ما قبلكم وعهدنا اليه أن يعمل بالعدل فيكم وأن يرفع أعمال الجور عنكم وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم الا فى حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا وقد وجهنا الوزير أبا على بن خذيم أكرمه الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ بشأنه ويؤكد العهد فيه عليه بذلك وأمرناه باشراككم فيه ونحن بأموركم معتنون وأحوالكم مطالعون وأن يقضى على الاعلى للادنى ولا يرتضى فيكم بشئ من الادنى فثقوا بذلك واسكنوا اليه وليمض القاضى أبو عبد الله أحكامه مشدود الظهر بنا معقود السلطان بسلطاننا ولا تأخذه فى الله لومة لائم فذلك ظننا به اذ وليناه وأملنا فيه اذ قلدناه والله المستعان وعليه التكلان لا اله الا هو ولتبلغوا امنا سلاما طيبا جزيلا ورحمة الله وبركاته (ولما وصل) الى المعز بن زيرى عهد المظفر بولايته على المغرب ما عدا كورة سجلماسة فانّ واضحا مولى المنصور عهد فى ولايته على المغرب بها لواندين بن خزرون بن فلفول حسبما ذكره فلم تدخل فى ولاية المعز هذه فلما وصل عهد المظفر ضم نشره وثاب اليه نشاطه وبث عماله فى جميع كور المغرب وجبى خراجها ولم تزل ولايته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة (ولما) افترق أمر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة وصار الامر فيها طوائف استحدث المعز فى التغلب على سجلماسة وانتزاعها من أيدى بنى واندين بن خزرون فأجمع لذلك ونهض

اليه سنة سبع وأربعمائة وبرزوا اليه فى جموعهم فهزموه ورجع الى فاس فى فل من قومه وأقام على الاضطراب من أمره الى أن هلك سنة سبع عشرة وولى من بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية وليس كما زعم بعض المؤرخين أنه ابنه وانما هو اتفاق فى الاسماء أوجب هذا الغلط فاستولى حمامة هذا على عملهم واستفحل ملكه وقصده الامراء والعلماء وأتته الوفود ومدحه الشعراء ثم نازعه الامر أبو الكمال تميم بن زيرى ابن يعلى اليفرنى سنة أربع وعشرين من بنى يدوى بن يعلى المتغلبين على نواحى سلا وزحف الى فاس فى قبائل بنى يفرن ومن انضاف اليهم من زناتة وبرز اليه حمامة فى جموع مغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حروب شديدة أجلت عن هزيمة حمامة ومات من مغراوة أمم واستولى تميم على فاس وأعمال المغرب ولما دخل فاس استباح يهود وسبى حرمهم واصطلم نعمتهم ولحق حمامة بوجدة فاستدمن هنالك من قبائل مغراوة ومن انجاد مديونة وملوية وزحف الى فاس فدخلها سنة تسع وعشرين وتحيز تميم الى موضع امارته من سلا وأقام حمامة فى سلطان المغرب وزحف اليه سنة ثلاثين وأربعمائة القائد بن حماد صاحب القلعة فى جموع صنهاجة وخرج اليه مجمعا حربه وبث القائد عطاءه فى زناتة واستعبدهم على صاحبهم حمامة فأقصر عن لقائه ولما دفعه بالسلم والطاعة رجع القائد عنه ورجع هو الى فاس وهلك سنة احدى وثلاثين فولى بعده ابنه دوناس ويكنى أبا العطاف واستولى على فاس وسائر عمل أبيه وخرج عليه لاول أمره حماد بن عمه معنصر بن المعز فكانت له معه حروب ووقائع وكثرت جموع حماد فغلب دوناس على الضواحى وأجحره بمدينة فاس وخندق دوناس على نفسه الخندق المعروف بسياج حماد وقطع حماد جرية الوادى عن عدوة القرويين الى أن هلك محاصرا لها سنة خمس وثلاثين فاستقامت دولة دوناس وانفسحت أيامه وكثر العمران ببلده واحتفل فى تشييد المصانع وأدار السور على أرباضها وبنى بها الحمامات والفنادق فاستبحر عمرانها ورحل التجار اليها بالبضائع وهلك دوناس سنة احدى وخمسين فولى بعده ابنه الفتوح ونزل بعدوة الاندلس ونازعه الامر أخوه الاصغر عجيسة وامتنع بعدوة القرويين وافترق أمرهم بافتراقهما وكانت الحرب بينهما سجالا واختطا لها بين المدينتين حيث يفضى باب الثنية بعدوة القرويين لهذا العهد وشيد الفتوح باب عدوة الاندلس وهو مسمى به الى الآن واختط عجيسة باب الجيسة وهو أيضا مسمى به وانما حذفت عينه لكثرة الاستعمال وأقاموا على ذلك الى أن غدر الفتوح بعجيسة أخيه سنة ثلاث وخمسين وبيته فظفر به وقتله ودهم المغرب اثر ذلك ما دهمه من أمر المرابطين من لمتونة وخشى الفتوح مغبة أحوالهم فأفرج عن فاس وزحف

صاحب القلعة بلكين بن محمد بن حماد الى المغرب سنة أربع وخمسين على عادتهم فى
غزوه ودخل فاس واحتمل من أكابرهم وأشرافهم رهنا على الطاعة وقفل الى قلعته
وولى على المغرب بعد الفتوح معنصر بن حماد بن معنصر وشغل بحروب لمتونة وكانت
له عليهم الوقعة المشهورة سنة خمس وخمسين ولحق بضريبة وملك يوسف بن تاشفين
والمرابطون فاس وخلف عليها عامله وارتحل الى غمارة فخالفه معنصر الى فاس وملكها
وقتل العامل ومن معه من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب ثم زحف الى مهدى
ابن يوسف الكزنائى صاحب مدينة مكناسة وقد كان دخل فى دعوة المرابطين فهزمه
وقتله وبعث برأسه الى سكوت البرغواطى [illegible] صاحب سبتة وقد بلغ
الخبر الى يوسف بن تاشفين فسرح عساكر المرابطين لحصار فاس فأخذوا بمخنقها
وقطعوا المرافق عنها حتى اشتد بأهلها الحصار ومسهم الجهد وبرز معنصر لاحدى
الراحتين فكانت الدائرة عليه وفقد فى الملحمة ذلك اليوم سنة ستين وبايع أهل فاس
من بعده لابنه تميم بن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وفتنة وجهد وغلاء وشغل يوسف
ابن تاشفين عنهم بفتح بلاد غمارة حتى اذا كان سنة ثنتين وستين وفرغ من فتح غمارة صمد
الى فاس فحاصرها أياما ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى
يفرن ومكناسة وقبائل زناتة وهلك تميم فى جملتهم حتى أعوزت مواراتهم فرادى
فاتخذت لهم الاخاديد وقبروا جماعات وخلص من نجا من القتل منهم الى تلمسان وأمر
يوسف بن تاشفين بهدم الاسوار التى كانت فاصلة بين العدوتين وصيرهما مصرا وأدار
عليهما سورا واحدا وانقرض أمر مغراوة من فاس والبقاء لله سبحانه وتعالى

خزر بن عبد الله بن عطية بن زيرى بن المعز بن معنصر بن حماد بن معنصر بن ...

ـ أولاد القديد بن حماد صاحب القلعة

الفتوح بن دوناس حامة بن المعز ـ

{الخبر عن بنى خزرون ملوك سجلماسة من الطبقة}
{الاولى من مغراوة وأوليتهم ملكهم ومصايره}

كان خزرون بن فلفول من أمراء مغراوة واعيان بنى خزر ولما غلبهم بلكين بن زيرى على المغرب الاوسط تحيزوا الى المغرب الاقصى ووراء ملوية وكان بنو خزر يدينون بالدعوة المروانية كما ذكرناه وكان المنصور بن أبى عامر القائم بدولة المؤيد قد اقتصر لاول حجابته من أحوال العدوة على ضبط سبتة برجال الدولة ووجوه القواد وطبقات العسكر ودفع ماوراءها الى أمراء زناتة من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وعول فى ضبط كوره وسداد ثغوره عليهم وتعهدهم بالعطاء وأفاض فيهم الاحسان فازدلفوا اليه بوجوه التقربات وأسباب الوصائل وكان خزرون بن فلفول هذا زحف يومئذ الى سجلماسة وبها المعتز من أعقاب آل مدرار فانتزى بها أخوه المنتصر بعد قفول جوهر من المغرب وظفر بأميرهم الشاكر لله محمد بن الفتح فوثب المنتصر من أعقابهم بعده على سجلماسة وتملكها ثم وثب به أخوه أبو محمد سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة فقتله وقام بأمر سجلماسة وأعاد بها ملك بنى مدرار وتلقب المعتز بالله فزحف اليه خزرون بن فلفول سنة

سبع وستين في جموع مغراوة وبرزاليه المعتز فهزمه خزرون واستولى على مدينة
سجلماسة ومحا دولة آل مدرار والخوارج منها آخر الدهر وأقام الدعوة بها للمؤيد
هشام فكانت أول دولة أقيمت للمروانيين بذلك الصقع ووجد للمعتز مالا وسلاحا
فاحتقنها وكتب بالفتح الى هشام وأنفذ رأس المعتز فنصب بباب سدته ونسب الاثر
في ذلك الفتح لصنايعه محمد بن أبي عامر وبين طائره وعقد لخزرون على سجلماسة ومن بعده
ابنه وانودين ثم كان زحف زيري بن مناد الى المغرب الاقصى سنة تسع وستين وفرت
زناتة أمامه الى سبتة وملك أعمال المغرب وولى عليها من قبله وحاصر سبتة ثم أفرج عنها
وشغل بجهاد برغواطة وبلغه أن وانودين بن خزرون أغار على نواحي سجلماسة وأنه
دخلها عنوة وأخذ عاملها وما كان معه من الاموال والذخيرة فدخل اليها سنة ثلاث
وتسعين وفصل عنها فهلك في طريقه ورجع وانودين بن خزرون الى سجلماسة وفي أثناء
ذلك كان استيلاء زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر على المغرب وملك فاس بعهد
هشام ثم انتقض على المنصور آخرا وأجاز ابنه عبد الملك في العساكر الى العدوة سنة
ثمان وثمانين فغلب عليها بني خزرون نزل فاس وبث العمال في سائر نواحي المغرب لسد
الثغور وجباية الخراج وعقد فيما عقد على سجلماسة لحميد بن يصل المكناسي النازع
اليهم من أولياء الشيعة فعقد له على سجلماسة حين فر عنها بنو خزرون فملكها وأقام فيها
الدعوة ولما انقفل عبد الملك الى العدوة وأعادوا ضحا الى عمله بفاس استأمن اليه كثير من
بني خزر كان منهم وانودين بن خزرون صاحب سجلماسة وابن عمه فلفول بن سعيد فأمنهم
ثم رجع وانودين الى عمله بسجلماسة بعد أن تضمن وانودين وفلفول بن سعيد على مال
مفروض وعدة من الخيل والدرق يحملان اليه ذلك كل سنة وأعطيا في ذلك أبناءهما
رهنا فعقد لهما وأمضى بذلك واستقل وانودين بعد ذلك بملك سجلماسة منذ أول سنة
تسعين مقيما فيها الدعوة المروانية ورجع المعز بن زيري الى ولاية المغرب بعهد المظفر
ابن أبي عامر سنة ست وتسعين واستثنى عليه فيها أمر سجلماسة لمكان وانودين بها ولما
انتثرت سلك الخلافة بقرطبة وكان أمر الجماعة والطوائف واستبد أمراء الانصار
والثغور وولاة الاعمال بما في أيديهم استبد وانودين هذا بأعمال سجلماسة وتغلب على
عمل درعة واستضافه اليه ونهض المعز بن زيري صاحب فاس سنة سبع وأربعمائة مع
جموع من مغراوة يحاول انتزاع هذه الاعمال من يد وانودين فبرز اليه في جموعه وهزموه
وكان ذلك سببا في اضطراب أمر المعز الى أن هلك واستفحل ملك وانودين واستولى على
صبرون من أعمال فاس وعلى جميع قصور ملوية وولى عليها من أهل بيته ثم هلك وولى
أمره من بعده ابنه مسعود بن وانودين ولم أقف على تاريخ ولايته ومهلك أبيه (ولما)

ظهر عبد الله بن ياسين واجتمع اليه المرابطون من لمتونة ومسوفة وسائر الملثمين وافتتحوا أمرهم بغزو درعة سنة خمس وأربعين فاغاروا على ابل كانت هنالك فى حمى لمسعود بن وانودين وقتل كما ذكرناه فى أخبار لمتونة ثم عاودوا الغزو الى سجلماسة فدخلوها من العام المقبل وقتلوا من كان بها من فل مغراوة ثم تتبعوا من بعد ذلك أعمال المغرب وبلاد سوس وجبال المصامدة وافتتحوا صفروى سنة خمس وخمسين وقتلوا من كان بها من أولاد وانودين وبقية مغراوة ثم افتتحوا حصون ملوية سنة ثلاث وستين وانقرض أمر بنى وانودين كان لم يكن والبقاء لله وحده وكل شئ هالك الا وجهه سبحانه وتعالى لا رب سواه ولا معبود الا اياه وهو على كل شئ قدير

مسعود بن وانودين بن خزرون بن فلفول بن خزر

- مسعود — قتله عبد الله بن ياسين والمرابطون
- وانودين — ملك سجلماسة من يد المعتز بن محمد بن مدرار وعقد له عليها هشام المؤيد
- خزرون — فلفول بن سعيد

الخبر عن ملوك طرابلس من بنى خزرون بن فلفول من الطبقة الاولى وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان مغراوة وبنو خزر ملوكهم قد تحيزوا الى المغرب الاقصى أمام بلكين ثم اتبعهم سنة تسع وستين فى زحفه المشهور وأجحرهم بساحل سبتة حتى بعثوا صريخهم الى المنصور وجاءهم الى الجزيرة مشارفا لاحوالهم وأمدهم بجعفر بن يحيى ومن كان معه من ملوك البربر وزناتة فاستغلوا على بلكين ورجع عنهم فتقرأ أعمال المغرب وهلك فى منصرفه سنة ثلاثين وسبعين ورجع أحياء مغراوة وبنو يفرن الى مكانهم منه وبعث المنصور الوزير حسن بن عبد الودود عاملا على المغرب وقدم سنة ست وسبعين واختص مقاتلا وزيرى ابنى عطية بن عبد الله بن خزر بمزيد التكرمة ولحق نظراءهما من أهل بيتهما الغيرة من ذلك فنزع سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر الى صنهاجة سنة سبع وسبعين منصرفا عن طاعة الاموية ووافى المنصور بن بلكين باشير منصرفه من احدى

غزواته فتلقاه بالقبول والمساهمة وبالغ فى تكرمته وعقد له على عمل طبنة سنة
احدى وثمانين وخرج للقائه واحتفل فى تكرمته ونزله وأدركه الموت بالقيروان فهلك
لسنته ووفد ابنه فلفول من مكان عمله فعقد له على عمل أبيه وخلع عليه وزف اليه بنته
وسوغه ثلاثين حملا من المال وثلاثين تختا من الثياب وقرب اليه مراكب بسروج
مثقلة وأعطاه عشرة من البنود مذهبة وانصرف الى عمله وهلك المنصور بن بلكين سنة
خمس وثمانين وولى ابنه باديس فعقد لفلفول على عمله بطبنة ولما انتقض زيرى بن عطية
على المنصور بن أبى عامر وسرح اليه ابنه المظفر كما قلناه فغلبه على أعمال المغرب ولحق
زيرى بالقفر ثم عاج على المغرب الاوسط ونازل ثغور صنهاجة وحاصر تيهرت وبها
يطوفت بن بلكين وزحف اليه حماد بن بلكين من أشير فى العساكر من تلكاتة ومحمد بن
أبى العرب قائد باديس بعثه فى عساكر صنهاجة من القيروان مددا ليطوفت وأوعز
الى فلفول وهو بأشيران يكون معهم ولقيهم زيرى بن عطية ففض جموعهم واستولى على
معسكرهم واضطربت افريقية فتنة وتنكرت صنهاجة لمن كان بجهاتها من قبائل
زناتة وخرج باديس بن المنصور من رقادة فى العساكر الى المغرب ولما مر بطبنة استقدم
فلفول بن سعيد بن خزرون ليستظهر به على حربه فاستراب واعتذر عن الوصول وسأل
تجديد العهد الى مقدم السلطان فأسعف ثم اشتدت استرابته ومن كان معه من مغراوة
فارتحلوا عن طبنة وتركوها ولما أبعد باديس رجع فلفول الى طبنة فعاث فى نواحيها
ثم فعل فى تيجس كذلك ثم حاصر باغاية وانتهى باديس الى أشير وفر زيرى بن عطية الى
صحراء المغرب ورجع على باديس بعد أن ولى على تاهرت وأشير عمه يطوفت بن بلكين
وانتهى الى المسيلة فبلغه خروج عمومته ماكسن وزاوى وعرم ومقنين فخالف أبو
البهار زيرى ولحق بهم من معسكره وبعث باديس فى أثرهم عمه حماد بن
بلكين ورحل هو الى فلفول بن سعيد بعد ان كان سرح عساكره اليه وهو محاصر باغاية
فهزمهم وقتل قائدهم أبا زعبل ثم بلغه وصول باديس فأفرج عنها واتبعه باديس الى
مرماجنة فتزاحفوا وقد اجتمع لفلفول من قبائل زناتة والبربر أمم فلم يثبتوا اللقاء
وانكشفوا عنه وانهزم الى جبل الخناش ونزل القيطون بمافيه وكتب باديس بالفتح
الى القيروان وقد كان الارجاف أخذ منهم المأخذ وفر كثير منهم الى المهدية وشرعوا
فى عمل الدروب بما كانوا يتوقعون من فلفول بن سعيد حين قتل أبا زعبل وهزم جيوش
صنهاجة وكانت الواقعة آخر سنة تسع وثمانين وانصرف باديس الى القيروان ثم بلغه
ان أولاد زيرى اجتمعوا مع فلفول بن سعيد وعاقدوه ونزلوا جميعا لحصر وانبسة فخرج
باديس من القيروان اليهم فافترقوا ولحق العمومة بزيرى بن عطية ماخلا ماكسا وابنه

حسنا فانهما أقاما مع فلفول ورجع باديس فى أثره سنة احدى وتسعين وانتهى الى بسكرة ففر فلفول الى الرمال وكان زيرى بن عطية محاصر الاشير أثناء هذه الفتنة فأفرج عنها ورجع عنها أبو البهار الى باديس وقفل معه الى القيروان وتقدم فلفول بن سعيد الى نواحى قابس وطرابلس فاجتمع اليه من هنالك من زناتة وملك طرابلس على ما نذكره (وذلك) أن طرابلس كانت من أعمال مصر وكان العامل عليها بعد رحيل معد الى القاهرة عبد الله بن يخلف الكتامى ولما هلك معد رغب بلكين من نزار العزيز اضافتها الى عمله فأسعفه بها وولى عليها تصولة بن بكار من خواص مواليه نقله اليها من ولاية بونة فلم يزل عليها الى أن أرسل الى الحاكم بمصر يرغب فى الكون فى حضرته وان يتسلم منه عمل طرابلس وكان برجوان الصقلى يستبد على الدولة وكان يغص بمكان يانس الصقلى منها فأبعده عن الحضرة لولاية برقة ثم لما تتابعت رغبة تصولة صاحب طرابلس أشار برجوان ببعث يانس اليها فعقد له الحاكم عليها وأمره بالنهوض الى عملها فوصلها سنة تسعين ولحق تصولة بمصر وبلغ الخبر الى باديس فسرح القائد جعفر بن حبيب فى العساكر ليصده عنها وزحف اليه يانس فكانت عليه الهزيمة وقتل ولحق فتوح بن على من قواده بطرابلس فامتنع بها ونازله جعفر بن حبيب وأقام عليها مدة وبينما هو محاصر له اذ وصله كتاب يوسف بن عامر عامل قابس يذكر ان فلفول بن سعيد نزل على قابس وانه قاصد الى طرابلس فرحل جعفر عن البلد الى ناحية الجبل وجاء فلفول بن سعيد فنزل بمكانه وضاقت الحال بجعفر وأصحابه فارتحلوا مصممين على المناجزة وقاصدين قابس فتخلى فلفول عن طريقهم وانصرفوا الى قابس وقدم فلفول مدينة طرابلس فتلقاه أهلها ونزل له فتوح بن على عن امارتها فملكها وأوطنها من يومئذ وذلك سنة احدى وتسعين وبعث بطاعته الى الحاكم فسرح الحاكم يحيى بن على بن حمدون وعقد له على أعمال طرابلس وقابس فوصل الى طرابلس وارتحل معه فلفول وفتوح بن على بن غفيان فى عساكر زناتة الى حصار قابس فحاصروها مدة ورجعوا الى طرابلس ثم رجع يحيى بن على الى مصر واستبد فلفول بعمل طرابلس وطالت الفتنة بينه وبين باديس ويئس من صريخ مصر فبعث بطاعته الى المهدى محمد بن عبد الجبار بقرطبة وأوفد اليه رسله فى الصريخ والمدد وهلك فلفول قبل رجوعهم اليه سنة أربعمائة واجتمعت زناتة الى أخيه ورو بن سعيد وزحف باديس الى طرابلس وأجفل ورو ومن معه من زناتة عنها ولحق باديس من كان بها من الجند فلقوه فى طريقه وتمادى الى طرابلس فدخلها ونزل قصر فلفول وبعث اليه ورو بن سعيد يسأل الامان له ولقومه فبعث اليه

محمد بن حسن من صنائعه فاستقدم وفدهم بامانه فوصلهم وولى وروا على نفزاوة
والنعيم بن كنون على قسطينة وشرط عليهم أن يرحلوا بقومهم على أعمال طرابلس
فرجعوا الى أصحابهم وارتحل باديس الى القيروان وولى على طرابلس محمد بن الحسن
ونزل وروا بنفزاوة والنعيم بقسطينة (ثم انتقض) وروا سنة احدى وأربعمائة ولحق
بجبال ايدمر فتعاقدوا على الخلاف واستضاف النعيم بن كنون نفزاوة الى عمله
ورجع خزرون بن سعيد عن أخيه وروا الى السلطان باديس وقدم عليه بالقيروان سنة
ثنتين وأربعمائة فتقبله ووصله وولاه عمل أخيه نفزاوة وولى بتي محلية من قومه على
قفصة وصارت مدن   لزناتة وزحف وروا بن سعيد فيمن [بياض بالأصل]
معه من زناتة الى طرابلس وبرز اليه عاملها محمد بن حسن فتواقعوا ودارت بينهم
حروب شديدة انهزم فيها وروا وهلك الكثير من قومه ثم راجع حصارها وضيق على
أهلها فبعث باديس الى خزرون وأخيه والى النعيم بن كنون وأمراء الجريد من زناتة
بأن يخرجوا الحرب صاحبهم فخرجوا اليه وتواقعوا بعبرة ما بين قابس وطرابلس ثم
اتفقوا ولحق أصحاب خزرون بأخيه وروا ورجع خزرون الى عمله واتهمه السلطان
بالمداهنة فى شأن أخيه وروا فاستقدمه من نفزاوة فاستراب وأظهر الخلاف
وسرح السلطان اليه فتوح بن أحمد فى العساكر فأجفل عن عمله واتبعه النعيم
وسائر زناتة ولحقوا جميعا بوروا بن سعيد سنة أربع وتظاهروا على الخلاف ونصبوا
الحرب على مدينة طرابلس واشتد فساد زناتة فقتل السلطان من كان عنده من رهن
زناتة واتفق وصول مقاتل بن سعيد نازعا عن أخيه وروا فى طائفة من أبنائه
وأخواله فقتلوا معهم جميعا وشغل السلطان بحرب عمه حماد ولما غلبه بثلاث سنته
وانصرف الى القيروان بعث اليه وروا بطاعته ثم كان مهلك وروا سنة خمس وأربعمائة
واقسم قومه على ابنه خليفة وأخيه خزرون بن سعيد واختلفت كلمتهم ودس
حسن بن محمد عامل طرابلس فى التضريب بينهم ثم صار أكثر زناتة الى خليفة وناجز
عمه خزرون الحرب فغلبه على القيطون وضبط زناتة وقام فيهم بأمر أبيه وبعث
بطاعته الى السلطان باديس بمكانه من حصار القلعة فتقبلها ثم هلك باديس وولى ابنه
المعز سنة ست وانتقض خليفة بن وروا عليه وكان أخوه حماد بن وروا يضرب على
أعمال طرابلس وقابس ويواصل عليها الغارة والنهب الى سنة ثلاث عشرة فانتقض
عبد الله بن حسن صاحب طرابلس على السلطان وأمكنه من طرابلس وكان سبب ذلك
ان المعز بن باديس لاول ولايته استقدم محمد بن حسن من عمله واستخلف عليه أخاه
عبد الله بن حسن وقدم على المعز وفوض اليه أمر مملكته وأقام على ذلك سبعا وتمكنت

حاله عند السلطان وكثرت السعاية به فنكب وقتله وبلغ الخبر الى أخيه فانتقض كما قلناه
وامكن خليفة بن وروا وقومه من مدينة طرابلس فقتلوا الصنهاجيين واستولوا عليها
ونزل خليفة بقصر عبد الله وأخرجه عنه واستصفى أمواله وحرمه واتصل ملك خليفة
ابن وروا وقومه بنى خزرون بطرابلس وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحكم سنة
سبع عشرة بالطاعة وضمان السابلة وتشييع الرفاق ويحفظ عهده على طرابلس فأجابه
الى ذلك وانتظم فى عمله وأوفد فى هذه السنة أخاه حمادا على المعز بمدينته فتقبلها وكافأه
عليها (هذا آخر ما حدث به) ابن الرقيق من أخبارهم ونقل ابن حماد وغيره أن المعز زحف
أعوام ثلاثين وأربعمائة الى زناتة بجهات طرابلس فبرزوا اليه وهزموه وقتلوا عبد الله
ابن حماد وسبوا أخته أم العلو بنت باديس ومنوا عليها بعد حين وأطلقوها الى أخيها
ثم زحف اليهم ثانية فهزموه ثم أتيحت له الكرة عليهم فغلبهم وأذعنوا السلطانه واتقوه
بالمهادنة فاستقام أمرهم على ذلك وكان خزرون بن سعيد لما غلبه خليفة بن وروا على
امارة زناتة لحق بمصر فأقام فيها بدار الخلافة ونشأ بنوه بها وكان منهم المنتصر بن
خزرون وأخوه سعيد ولما وقعت الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر وغلبهم الترك
وأجلوهم عنها لحق المنتصر وسعيد بطرابلس وأقاما فى نواحيها ثم ولى سعيد أمر طرابلس
ولم يزل واليا عليها الى أن هلك سنة تسع وعشرين (وقال أبو محمد) التيجانى فى رحلته
عند ذكر طرابلس ولما قتلت زغبة سعيد بن خزرون سنة تسع وعشرين قدم خليفة بن
خزرون من القيطون الى ولايتها فأمكنه منها رئيس الشورى وبها يومئذ من الفقهاء
أبو الحسن بن المنتصر المشتهر بعلم الفرائض وبايع له وقام بها خزرون الى سنة ثلاثين
بعدها فقام المنتصر بن خزرون فى ربيع الاول منها ومعه عساكر زناتة ففر خزرون بن
خليفة من طرابلس مختفيا وملكها المنتصر بن خزرون وأوقع بابن المنتصر ونفاه
واتصلت بها امارته انتهى ما نقله التيجانى (وهذا الخبر) مشكل من جهة أن زغبة من
العرب الهلاليين وانما جاؤا الى افريقية من مصر بعد الاربعين من تلك المائة فلا
يكون وجودهم بطرابلس سنة تسع وعشرين الا ان كان تقدم بعض أحيائهم الى
افريقية من قبل ذلك فقد كان بنو مرة ببرقة بعثهم الحاكم مع يحيى بن على بن حمدون
الا أن ذلك لم ينقله أحد ولم تزل طرابلس بأيدى بنى خزرون الزناتيين ولما وصل العرب
الهلاليون وغلبوا المعز بن باديس على أعمال افريقية واقتسموها كانت قابس
وطرابلس فى قسمة زغبة والبلد لبنى خزرون ثم استولى بنو سليم على الضاحية وغلبوا
عليها زغبة ورحلوهم عن تلك المواطن ولم تزل البلد لبنى خزرون وزحف المنتصر بن
خزرون مع بنى عدى من قبائل هلال مجلبا على بنى حماد حتى نزل المسيلة ونزل أشير ثم

خرج اليهم الناصر ففر أمامه الى الصحراء ورجع الى القلعة فرجعوا الى الاحلاف على اعمالهم فراسله الناصر على الصلح وأقطعه ضواحي الزاب وريغة وأوعز الى عروس ابن سندي رئيس بسكرة لعهده أن يمكر به فلما وصل المنتصر الى بسكرة أنزله عروس ثم قتله غيلة أعوام ستين وأربعمائة وولى طرابلس آخر من بني خزرون لم يحضرني اسمه واختل ملك صنهاجة واتصل فيهم ملك تلك الاعمال الى سنة أربعين وخمسمائة ثم نزل بطرابلس ونواحيها في هذا العام مجاعة وأصابهم منها شدة هلك فيها الناس وفروا عنها وظهر اختلال أحوالها وفناء حاميتها فوجه اليها جارطاغية صقلية اسطولا لحصارها بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولايته فيهما ووقع بين أهل طرابلس الخلاف فغلب عليهم جرجي بن ميخايل قائد الاسطول وملكها وأخرج منها بني خزرون وولى على البلد شيخهم أبا يحيى بن مطروح التميمي فانقرض أمر بني خزرون منها وبقي منهم من بقي بالضاحية الى ان افتتح الموحدون افريقية آخر الدولة الصنهاجية والملك لله وحده يؤتيه من يشاء من عباده سبحانه لا اله غيره

خزرون بن خليفة بن ورو بن سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر

سعيد بن خزرون

المنتصر

[illegible]

زروال

{الخبر عن بني يعلى ملوك تلمسان من آل خزر من أهل}
{الطبقة الاولى والالمام ببعض دولهم ومصائرها}

قد ذكرنا في أخبار محمد بن خزر وبنيه أن محمد بن الخير الذي قتل نفسه في معركة بلكين كان من ولده الخير ويعلى وأنهما اللذان ثأرا منه بأبيهما زيري فقتلوه واتبعهم بلكين من بعد ذلك وأجلاهم الى المغرب الاقصى حتى قتل منهم محمد صبرا أعوام ستين

وثلثمائة بنواحي سجلماسة قبل وصول معد الى القاهرة وولاية بلكين على افريقية وقام بأمر زناتة بعد الخير محمد وعمه يعلى بن محمد وتكررت اجازة محمد بن الخير هذا وعمه يعلى الى المنصور بن أبي عامر كما ذكرنا ذلك من قبل وغلبهم ابناء عطية بن عبد الله بن خزر وهما مقاتل وزيري على رياسة مغراوة وهلك مقاتل واختص المنصور زيري بن عطية باثرته وولاه على المغرب كما ذكرناه وقارن ذلك مهلك بلكين وانتقاض أبي البهار ابن زيري صاحب المغرب الاوسط على باديس فكان من شأنه مع زيري ويدوي بن يعلى ما قدمناه ثم استقل زيري وغلبهم جميعا على المغرب ثم انتقض على المنصور فأجاز اليه ابنه المظفر وأخرج زناتة من المغرب الاوسط فتوغل زيري في المغرب الاوسط ونازل أمصاره وانتهى الى المسيلة واشير وكان سعيد بن خزرون قد نزع الى زناتة وملكوا طبنة واجتمع زناتة بافريقية عليه وعلى ابنه فلفول من بعده وانتقض فلفول على باديس عند زحف زيري الى المسيلة واشير وشغل باديس ثم ابنه المنصور على المغرب الاوسط بحروب فلفول وقومه ودفعوا اليه حماد بن بلكين فكانت بينه وبين زناتة حروب سجال وهلك زيري بن عطية واستقل المعز وابنه بملك المغرب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وغلب صنهاجة على تلمسان وما اليها واختط مدينة وجدة كما ذكرنا ذلك كله من قبل ونزل يعلى بن محمد مدينة تلمسان فكانت خالصة له وبقي ملكها وسائر ضواحيها في عقبه ثم هلك حماد بعد استبداده ببلاد صنهاجة على آل بلكين وشغل بنوه بحرب بني باديس فاستوسق ملك بني يعلى خلال ذلك بتلمسان واختلفت أيامهم مع آل حماد سلما وحربا ولما دخل العرب الهلاليون افريقية وغلبوا المعز وقومه عليها واقتسموا سائر أعمالها ثم تخطوا الى اعمال بني حماد فأجروهم بالقلعة وغلبوهم على الضواحي فرجعوا الى استئلافهم واستخلصوا الاثبج منهم وزغبة فاستظهروا بهم على زناتة المغرب الاوسط وأنزلوهم بالزاب وأقطعوهم الكثير من أعماله فكانت بينهم وبين بني يعلى أمراء تلمسان حروب ووقائع وكان زغب أقرب اليهم بالمواطن وكان أمير تلمسان لعهدهم يحيى من ولد يعلى وكان وزيره وقائد حروبه أبا سعيد بن خليفة بن .... اليفرني فكان كثيرا ما يخرج بالعساكر من تلمسان لقتال عرب الاثبج وزغبة ويحتشد من اليها من زناتة من أهل المغرب الاوسط مثل مغراوة وبني يفرن وبني يلومو وبني عبد الواد وتوجين وبني مرين وهلك في بعض تلك الملاحم هذا الوزير أبو سعيد أعوام خمسين وأربعمائة (ثم ملك) المرابطون أعمال المغرب الاقصى بعد مهلك يحيى وولاية ابنه العباس بن يحيى بتلمسان وسرح يوسف بن تاشفين قائده مزدلي بن .... في عساكر لمتونة لحرب من بقي بتلمسان من مغراوة ومن لحق بهم

بياض في الأصل

بياض في الأصل

من قبل بنى زيرى وقومهم فدوّخ المغرب الاوسط وظفر بمعلى بن العباس بن يختى برز لمدافعتهم فهزمه وقتله وانكفأ راجعا الى المغرب ثم نهض يوسف بن تاشفين بنفسه فى جموع المرابطين سنة ثلاث وسبعين فافتتح تلمسان واستلحم بنى يعلى ومن كان بها من مغراوة وقتل العباس بن يختى أميرها من بنى يعلى ثم افتتح وهران وتنس وملك جبل وانشريس وشلب الى الجزائر وانكفأ راجعا وقد محى أثر مغراوة من المغرب الاوسط وأنزل محمد بن تينعمر المسوفى فى عسكر من المرابطين بتلمسان واختط مدينة تاكرارت بمكان معسكره وهو اسم المحلة بلسان البربر وهى التى صارت اليوم مع تلمسان القديمة التى تسمى أكادير بلدا واحدا وانقرض أمر مغراوة من جميع المغرب كان لم يكن والبقاء والله وحده سبحانه

معلى بن العباس بن يختى بن | بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر

يلحق بالاصل

(الخبر عن أمراء اغمات من مغراوة)

لم أقف على أسماء هؤلاء الا انهم أمراء باغمات آخر دولة بنى زيرى بفاس وبنى يعلى اليفرنى بسلا وتادلا فى جوار المصامدة وبرغواطة وكان لقوط بن يوسف بن على آخرهم فى سنى الخمسين وأربعمائة وكانت امرأته زينب بنت اسحق النفزاوية من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة ولما غلب المرابطون على اغمات سنة تسع وأربعين فر لقوط هذا الى تادلا سنة احدى وخمسين وقتل الامير محمد واستلحم بنى يفرن فكان فيمن استلحم وخلفه أبو بكر بن عمر أمير المرابطين على زينب بنت اسحق حتى اذا ارتحل الى الصحراء سنة ثلاث وخمسين واستعمل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب نزل له عن زوجه زينب هذه فكان لها رياسة أمره وسلطانه وما أشارت اليه عند مرجع أبى بكر من الصحراء فى اظهار الاستبداد حتى تجافى عن منازعته وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه كما ذكرناه فى أخبارهم ولم نقف من لقوط بن يوسف وقومه على غير هذا الذى كتبناه والله ولى العون سبحانه

{الخبر عن بنى سنجاس وريغة والاغواط وبنى وراً من
قبائل مغراوة من أهل الطبقة الاولى وتصاريف أحوالهم}

هذه البطون الاربعة من بطون مغراوة وقد زعم بعض الناس أنهم من بطون زناتة غير مغراوة أخبرنى بذلك الثقة عن ابراهيم بن عبد الله التمزوغتى قال وهو نسابة زناتة لعهده ولم تزل هذه البطون الاربعة من أوسع بطون مغراوة (فأما) بنو سنجاس فلهم مواطن فى كل عمل من افريقية والمغربين فمنهم قبلة المغرب الاوسط بجبل راشد وجبل كريكرة وبعمل الزاب وببلاد شلب ومن بطونهم بنو عيار ببلاد شلب أيضا وبنو عيار

بأعمال قسنطينة وكان بنو سنجاس هؤلاء من أوسع القبائل وأكثرهم عددا وكان لهم في فتنة زناتة وصنهاجة آثار بافريقية والمغرب وأكثرها في افساد السبيل والعيث في المدن ونازلوا قفصة سنة أربع عشرة وخمسمائة بعد ان عاثوا بجهات القصر وقتلوا من وجدوا هنالك من عسكر تلكاتة وخرجت اليهم حامية قفصة فأثخنوا فيهم ثم كثر فسادهم وسرّح السلطان قائده محمد بن أبي العرب في العساكر الى بلاد الجريد فشرّدهم عنها وأصلح السابلة ثم عادوا الى مثلها لسنة خمس عشرة فأوقع بهم قائد بلاد الجريد وأثخن فيهم بالقتل وحمل رؤسهم الى القيروان فعظم الفتح ولم تزل الدولة فيهم بالقتل والاثخان الى أن كسروا من شوكتهم وجاء العرب الهلاليون وغلبوا على الضواحي كل من كان بها من صنهاجة وزناتة وتحيزفلهم الى الحصون والمعاقل وضربت عليهم المغارم الاما كان ببلاد المغرب القفر مثل جبل راشد فانهم لبعدهم عن منازل الملك لايعطون مغرما الا أنه غلب عليهم العمور من بطون الهلاليين ونزلوا معهم وملكوا عليهم أمرهم وصاروا لهم فيه ومن بني سنجاس من نزل الزاب وهم لهذا العهد أهل مغارم لمن غلب على ثغورهم من مشايخهم وأما من نزل منهم ببلاد شلب ونواحي قسنطينة فهم لهذا العهد أهل مغارم للدول وكان دينهم جميعا الخارجية على سنن زناتة في الطبقة الاولى ومن بقي منهم اليوم بالزاب فعلى ذلك ومن بني سنجاس هؤلاء بأرض المشيل من جبل بني راشد وطنوا جبلا في جواره نمرة وصاروا عند تغلب الهلاليين في ملكهم يقبضون الاتاوة منهم ونزل منهم لهذا العهد الصحارى من بطون عروة من زغبة وغلبوهم على أمرهم وأصاروهم خولا (وأما بنو ريغة) فكانوا أحياء متعددة ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم الى جبل عياض وما اليه من البسيط الى نقاوس وأقاموا في قياطينهم فمن كان بجبل عياض منهم أهل مغارم لامراء عياض يقبضونها للدولة الغالبة ببجاية وأما من كان ببسيط نقاوس فهم في اقطاع العرب لهذا العهد ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارجلا فاختطوا قصورا كثيرة في عدوتي واد ينحدر من المغرب الى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة والاطم قد رف عليها الشجر ونضدت حفافيها النخيل وانساحت خلالها المياه وزهت بنابعها الصحراء وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء وبهم تعرف لهذا العهد وهم أكثرها ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة وتفرقت جماعتهم للتنازع في الرياسة فاستقلت كل طائفة منهم بقصور منها أو بواحد ولقد كانت فيما يقال أكثر من هذا العدد أضعافا وان ابن غانية المسوفي حين كان يجلب على بلاد افريقية والمغرب في فتنته مع الموحدين خرب عمرانها واجتث شجرها وغوّر مياهها ويشهد لذلك آثار

العمران بها فى اطلال الديار ورسوم البناء واعجاز النخل المنقعر وكان هذا العمل
يرجع فى أول الدولة الحفصية لعامل الزاب وكان من الموحدين وينزل بسكرة ما بينها
وبين مغرة وكان من اعماله القصور ووار كلا أيضا ولما قتلت المنتصر مشيخة الزواودة كما
قلناه فى أخباره وقتلوا بعد ذلك عامل الزاب بن عتو امن مشيخة الموحدين وغلبوا على
ضواحى الزاب ووار كلا وأقطعتهم اياها الدول بعد ذلك فصارت فى اقطاعهم ثم عقد
صاحب بجاية بعد ذلك على العمل كله لمنصور بن مزنى واستقر فى عقبه فربما يسومون
بعض الاحيان أهل تلك القصور المغرم للسلطان بما كان من الامر القديم ويعسكر
عليهم فى ذلك كتائب رجل الزاب وخيالة العرب ويبرز عليها بأمر الزواودة ثم يقاسمهم
فيما يجتبيه منهم وأكبر هذه الامصار يسمى تقرت مصر مستبحر العمران بدوى الاحوال
كثير المياه والنخل ورياسته فى بنى يوسف بن عبد الله وتغلب على وار كلا من يد أبى
بكر بن موسى ازمان حداثته وأضافها الى عمله ثم هلك وصار أمر تقرت لاخيه مسعود
ابن عبد الله ثم لابنه حسن بن مسعود ثم لابنه أحمد بن حسن شيخها لهذا العهد وبنو
يوسف بن عبد الله هؤلاء من ريغة ويقال انهم من سنجاس وفى أهل تلك الامصار من
المذاهب الخوارج وفرقهم كثير وأكثرهم على دين العزابية ومنهم النكارية أقاموا
على انتحال هذه الخارجية لبعدهم عن منال الاحكام ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين
وهى دونها فى العمران والخطة ورياسته لبنى ابراهيم بن   من ريغة وسائر
أمصارهم كذلك كل مصر منها مستبد بأمره وحرب لجاره (وأما القواطة) وهم بطن
من مغراوة أيضا فهم فى نواحى الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد ولهم هنالك قصر
مشهور بهم فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغلهم فى القفر وهم
مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب وبينهم وبين الروس أقصى عمل الزاب
مرحلتان وتختلف قصودهم اليهم لتحصيل المرافق منهم والله يخلق ما يشاء ويختار
(وأما بنو وريا) فهم بطن من مغراوة أيضا ويقال من زناتة وهم متشعبون ومفترقون
بنواحى المغرب منهم بناحية مراكش والسوس ومنهم ببلاد شلب ومنهم بناحية
قسنطينة ولم يزالوا على حالهم منذ انقراض زناتة الاولين وهم لهذا العهد أهل مغارم
وعسكرة مع الدول وأكثر الذين كانوا بمراكش قد انتقل رؤساؤهم الى ناحية شلب
نقلهم يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين فى أول هذه المائة الثامنة لما ارتاب بأمرهم
فى تلك الناحية وخشى من افسادهم وعيثهم فنقلهم فى عسكر الى موطن شلب لحمايته
فنزلوا به ولما ارتحل بنو مرين من بعد مهلك يوسف بن يعقوب أقاموا ببلاد شلب
فأعقابهم بها لهذا العهد وأخوالهم جميعا فى كل قطر متقاربة فى المغرم والعسكرة

بياض بالاصل

مع السلطان ولله الخلق والامر جميعا سبحانه لا اله الا هو الملك العظيم

* (الخبر عن بني يرنيان اخوة مغراوة وتصاريف أحوالهم) *

وهم منبثون كثيرا بين زناتة في المواطن وأما الجمهور منهم فوطنهم بملوية من المغرب الاقصى ما بين سجلماسة وكرسيف كانوا هنالك مجاورين لمكناسة في مواطنهم واختطوا حفافي وادي ملوية قصورا كثيرة متقاربة الخطة ونزلوها وتعددت بطونهم وأفخاذهم في تلك الجهات ومنهم بنو وطاط متوطنون لهذا العهد بالجبال المطلة على وادي ملوية من جهة القبلة ما بينه وبين تازى وفاس وبهم تعرف تلك القصور لهذا العهد وكان لبني يرنيان هؤلاء صولة واعتزاز وأجاز الحكم المستنصر منهم والمنصور بن أبي عامر من بعده فيمن أجازوه من زناتة في المائة الرابعة وكانوا من أفحل جند الاندلس وأشدهم شوكة وبقي أهل المواطن منهم في مواطنهم مع مكناسة أيام ملكهم بالمغرب الاقصى ولما ملك لمتونة والموحدون من بعدهم لحق الظواعن منهم بالقفر فاختطوا بأحياء بني مرين الموالين لتلول المغرب من زناتة أقاموا معهم في أحيائهم وبقي من عجز عن الظعن منهم بمواطنهم مثل بني وطاط وغيرهم ففرضت عليهم المغارم والجبايات ولما دخل بنو مرين المغرب ساهموهم في اقتسام أعماله وأقطعوهم البلد الطيب من ضواحي سلا والمعمورة زيادة الى وطنهم الاول بملوية وأنزلوهم بنواحي سلا بعد أن كان منهم انحراف عنهم في سبيل المدافعة عن أوطانهم الاولى ثم اصطلحوا ورعى لهم بنو عبد الحق سابقتهم معهم فاصطفوهم للوزارة والتقدم في الحرب ودفعوهم الى المهمات وخلطوهم بأنفسهم وكان من أكابر رجالاتهم لعهد السلطان أبي يعقوب وأخيه أبي سعيد الوزير ابراهيم بن عيسى استخلصوه للوزارة مرة بعد أخرى واستعمله السلطان أبو سعيد على وزارة ابنه أبي علي ثم لوزارته واستعمل ابنه السلطان أبو الحسن ابناء ابراهيم هذا في أكابر الخدمة فعقد لمسعود بن ابراهيم على أعمال السوس عندما فتحها أعوام الثلاثين والسبعمائة ثم عزله بأخيه حسون وعقد لحسون على بلاد الجريد من افريقية عند فتحه اياها سنة ثمان وأربعين وكان فيها مهلكه ونظم أخاهما موسى في طبقة الوزارة ثم أفرده بها أيام نكبته والحاقه بجبل هنتانة واستعمله السلطان ابو عنان بعد في العظيمات وعقد له على أعمال سدويكش بنواحي قسنطينة ورشح ابنه محمد السبيع لوزارته الى ان هلك وتقلبت بهم الايام بعده وقلد عبد الحليم المعروف بحلي بن السلطان أبي علي وزارته محمد بن السبيع بعد هذا أيام حصاره لدار ملكهم سنة ثنتين وستين كما نذكره في أخبارهم فلم يقدر لهم الظفر ثم راجع السبيع بعدها الى محله من دار السلطان وطبقة الوزارة وما زال يتصرف في الخدم الجليلة والاعمال

الواسعة مابين سجلماسة ومراكش وأعمال تازى وتادة وغمارة وهو على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها سبحانه لا اله غيره

(الخبر عن وجديجن واوغمرت من قبائل زناتة ومبادى أحوالهم وتصاريفهم)

قد تقدم أن هذين البطنين من بطون زناتة من ولد ورتنيص بن جانا وكان لهم عدد وقوة ومواطنهم مفترقة فى بلاد زناتة فأما وجديجن فكان جمهورهم بالمغرب الاوسط ومواطنهم منه منداس مابين بنى يفرن من جانب المغرب ولواتة من جانب القبلة فى السرسو ومطماطة فى جانب الشرق فى وانشريس وكان أميرهم لعهد يحيى بن محمد اليفرنى رجل منهم اسمه عنان وكان بينهم وبين لواتة الموطنين بالسرسو فتنة متصلة يذكر أنها بسبب امرأة من وجديجن نكحت فى لواتة وتلاحا معها نساء قيطونهم فعيرنها بالفقر فكتبت بذلك الى عنان تذمره فغضب واستجاش أهل عصبته من زناتة وجيرانه فزحف معه يعلى فى بنى يفرن وكلمام بن حيانى فى مغيلة وغرابة فى مطماطة ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا ثم غلبوا لواتة على بلاد السرسو وانتهوا بهم الى كدية لعابد من آخرها وهلك عنان شيخ وجديجن فى بعض تلك الوقائع بعد ما لاذوا من جهات السرسو ثم لجأت زناتة الى جبل كريرة قبلة السرسو وكان يسكنه أحياء من مغراوة يعرف شيخهم لذلك العهد علاهم ربيب شيخهم عمر بن تامصا الهالك قبله ومعنى تامصا بلسان البربر الغول ولما لجأت لواتة اليه غدر بهم وأغرى قومه فوضعوا أيديهم فيهم قتلا وسلبا فلاذوا بالفرار ولحقوا بجبل معود وجبل دراك فاستقروا هنالك آخر الدهر وورثت وجديجن مواطنهم بمنداس الى ان غلبهم عليها بنو يلومين وبنو ومانو كل من جهته ثم غلب الآخرين عليها بنو عبد الواد وبنو توجين الى هذا العهد والله وارث الارض ومن عليها (وأما أوغمرت) ويسمى لهذا العهد غمرت وهم اخوة وجديجن من ولد ورتنيص بن جانا كما قلناه فكانوا من أوفر القبائل عددا ومواطنهم متفرقة وجمهورهم بالجبال الى قبلة بلاد صنهاجة من المسيلة الى الدوسن وكان لهم مع أبى يزيد صاحب الحمار فى الشيعة آثار وأوقع بهم اسمعيل القائم عند ظهوره على أبى يزيد وأثخن فيهم وكذلك بلكين وصنهاجة من بعده ولما افترق أمر صنهاجة لحماد وبنيه كانوا شيعا لهم على بلكين ونزع عن حماد أيام فتنته ابن أبى حلى من مشيختهم وكان مختصا بهم الى باديس فوصله وحمل أصحابه وعقد له على طبنة وأعمالها حتى اذا جاء العرب الهلاليون وغلبوهم على الضواحى اعتصموا بتلك الجبال قبلة المسيلة وبلاد صنهاجة وقعدوا بها عن الظعن وتركوا القيطون الى سكنى المدن ولما تغلب الزواودة على ضواحى الزاب وما اليها أقطعتهم الدولة مغارم هذه الجبال التى تعمرت وهم لهذا العهد

فى سهمان أولاد يحيى بن على بن سباع من بطونهم وكان فى القديم من عمرت هؤلاء كاهن زناتة موسى بن صالح مشهور عندهم حتى الآن ويتناقلون بينهم كلماته برطانتهم على طريق الرجز فيها أخبار بالحدثان فيما يكون لهذا الجيل الزناتى من الملك والدولة والتغلب على الاحياء والقبائل والبلدان شهد كثير من الواقعات على وفقها بصحتها حتى لقد نقلوا من بعض كلماته ما معناه باللسان العربى ان تلمسان مآلها الخراب وتصير دورها فدنا حتى يثير أرضها حراث أسود بثور أسود أعور وذكر الثقات انهم عاينوا ذلك بعد انتشار كلماته هذه أيام لحقها الخراب فى دولة بنى مرين الثانية سنة ستين وسبعمائة وأفرط الخلاف بين هذا الجيل الزناتى فى التشيع له والحمل عليه فمنهم من يزعم انه نبى أو ولى وآخرون يقولون كاهن شيطان ولم توقفنا الاخبار الصحيحة على الجلى من أمره والله سبحانه وتعالى أعلم لا رب غيره

الخبر عن بنى واركلا من بطون زناتة والمصر المنسوب اليهم بصحراء افريقية وتصاريف أحوالهم

بنو واركلا هؤلاء احدى بطون زناتة كما تقدم من ولد فرنى بن جانا وقد مر ذكرهم وان اخوتهم الديرت ومرنجيصه وسبرترة وغمالة والمعروفون لهذا العهد منهم بنو واركلا وكانت فئتهم قليلة وكانت مواطنهم قبلة الزاب واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة فى القبلة عنها ميامنة الى المغرب بنوها قصورا متقاربة الخطة ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا وكان معهم هنالك جماعة من بنى زندالت من مغراوة واليهم كان هرب أبى يزيد النكارى عند فراره من الاعتقال سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مقامه بينهم سنة يختلف الى بنى برزال قبلة المسيلة بسالات والى قبائل البربر بجبل أوراس يدعوهم جميعا الى مذهب النكارية الى أن ارتحل الى أوراس واستبحر عمران هذا المصر واعتصم به بنو واركلا هؤلاء والكثير من ظواعن زناتة عند غلب الهلاليين اياهم على الضواحى واختصاص الاثبج بضواحى القلعة والزاب وما اليها ولما استبد الامير أبو زكريا بن أبى حفص بملك افريقية وجال فى نواحيها فى اتباع بن غانية مر بهذا المصر فأعجبه وكلف بالزيادة فى تمصيره فاختط مسجده العتيق ومأذنته المرتفعة وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا فى الحجر وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب الى المفازة الصحراوية المفضية الى بلاد السودان يسكنها التجار الداخلون لها بالبضائع وسكانه لهذا العهد من بنى واركلا واعقاب اخوانهم من بنى يفرن ومغراوة ويعرف رئيسه باسم السلطان شهرة غير نكيرة بينهم ورياسته لهذه الاعصار مخصوصة ببنى أبى عبدل ويزعمون انهم

من بنى واكين احدى بيوت بنى واركلا ولهذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بنى أبى عبدل وورياستهم متصلة فى عمود هذا النسب وعلى عشرين مرحلة من هذا فى القبلة منحرفا الى المغرب بسير بلد تكرت قاعدة وطن الملثمين وركاب الحجاج من السودان اختطه الملثمون من صنهاجه وهم سكانه لهذا العهد وصاحبه أمير من بيوتاتهم يعرفونه باسم السلطان وبينه وبين أمير الزاب مراسلة ومهاداة (ولقد قدمت على بسكرة سنة أربع وخمسين أيام السلطان أبى عنان فى بعض الاغراض السلطانية ولقيت رسول صاحب تكرت عند يوسف بن مزنى أمير بسكرة وأخبرنى عن استبحار هذا المصر فى العمارة ومرور السابلة وقال لى اجتاز بنا هذا العام سفر من تجار المشرق الى بلد مالى كانت ركابهم اثنى عشر ألف راحلة وذكر لى غيره أن ذلك هو الشأن فى كل سنة وهذا البلد فى طاعة سلطان مالى من السودان كما فى سائر الصحراوية المعروفة بالملثمين لهذا العهد والله غالب على أمره سبحانه

(الخبر عن دمر من بطون زناتة ومن ولى منهم بالاندلس وأولية ذلك ومصائره)

بنو دمر هؤلاء من زناتة وقد تقدم أنهم من ولد ورسيك بن الديرت بن جانا وشعوبهم كثيرة وكانت مواطنهم بافريقية فى نواحى طرابلس وجبالها وكان منهم آخرون ظواعن من عرب افريقية ومن بطون بنى دمر هؤلاء بنو ورغمة وهم لهذا العهد مع قومهم بجبال طرابلس ومن بطونهم أيضا بطن متسع كثير الشعوب وهم بنو ورنيدين ابن وانتن بن واردين بن دمر وان من شعوبهم بنى ورتاتين وبنى عزرول وبنى تغورت وربما يقال ان هؤلاء الشعوب لا ينتسبون الى بنى ورنيدين كما تقدم وبقايا بنى ورنيدين لهذا العهد بالجبل المطل على تلمسان بعد ان كانوا فى البسيط قبلته فزاحمهم بنو راشد حين أجلوهم من بلادهم بالصحراء الى التل وغلبوهم على تلك البسائط فانزاحوا الى الجبل المعروف بهم لهذا العهد وهو المطل على تلمسان وكان قد أجاز الى الاندلس من بنى دمر هؤلاء أعيان ورجالات حرب فيمن أجاز اليها من زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بدعوة المنتصر فضمهم السلطان الى عسكره واستظهر بهم المنصور بن أبى عامر من بعد ذلك على شأنه وقوى بهم المستعين أديم دولته ولما اعصوصب البربر على المستعين وبنى حمود من بعده وغالبوا جنود الاندلس من العرب وكانت الفتنة الطويلة بينهم التى نثرت سلك الخلافة وفرقت شمل الجماعة واقتسموا خطط الملك وولايات الاعمال وكان من رجالاتهم نوح الدمرى وكان من عظماء أصحاب المنصور وولاه المستعين أعمال مورور وواركش فاستبد بها سنة أربع فى عمار الفتنة وأقام بها سلطانا لنفسه الى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين فولى ابنه أبا مناد محمد بن نوح وتلقب بالحاجب عز الدولة فى قرن شان ملوك الطوائف وكانت بينه وبين ابن عباد شأن

في الاصل

غرب الاندلس ومر المعتضد فى بعض أسفاره بحصن أركش وتطوف به مختفيا فقبض
عليه بعض أصحاب بن نوح وساقه اليه فخلى سبيله وأولاه كرامة احتسبها عنده يدا وذلك
سنة ثلاث وأربعين فانطلق الى دار ملكه ورجع بعدها الى ولاية الملوك الذين حوله
من البربر وأسجل لابن نوح هذا على عمل اركش ومورور فيمن أسجل له منهم فصاروا
الى مخالصته الى أن استدعاهم سنة خمس وأربعين بعدها الى صنيع ودعا اليه الجفلى
من أهل أعماله واختصه بدخول حمام أعده لهم استبلاغا فى تكريمهم وتخلف ابن نوح
عنده من بينهم فلما حصلوا داخل الحمام أطبقه عليهم وسد المنافس للهوى دونهم الى
أن هلكوا ونجا منهم ابن نوح لسالفة يده وطير فى الحين من تسلم معاقلهم وحصونهم
فانتظمها فى أعماله وكان منها رندة وشريش وسائر أعمالها وهلك من بعد ذلك الحاجب
أبو مناد بن نوح سنة   وولى ابنه أبو عبد الله ولم يزل المعتضد يضايقه
بياض بالاصل
الى أن انخلع سنة ثمان وخمسين فانتظمها فى أعماله وسار اليه محمد أبى مناد الى أن هلك
سنة ثمان وستين وانقرض ملك بنى نوح والبقاء لله وحده سبحانه
أبو عبد الله بن الحاجب أبى مناد محمد بن نوح الدمرى

{الخبر عن بنى برزال احدى بطون دمر وما كان لهم من الحال}
{بقرمونة وأعمالها من الاندلس أيام الطوائف وأولية ذلك ومصائره}

قد تقدم لنا ان بنى برزال هؤلاء من ولد ورسيدين بن واتن بن واردين بن دمر كما ذكره ابن
حزم وان اخوتهم بنو يصدرين وبنو صغمان وبنو يطوفت وكان بنو برزال هؤلاء
بافريقية وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما اليها من أعمال المسيلة وكان لهم ظهور
ووفور عدد وكانوا نكارية من فرق الخوارج ولما فر أبو زيد أمام اسمعيل المنصور
وبلغه ان محمد بن خزر يترصد له أجمع الاعتصام بسالات وصعد اليه وأرهقته عساكر
المنصور فانتقل عنه الى كتامة وكان من أمره ما قدمناه ثم استقام بنو برزال على طاعة
الشيعة وموالاة جعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة والزاب حتى صاروا له شيعا
(ولما انتقض) جعفر بن معد سنة ستين وثلثمائة كان بنو برزال هؤلاء فى جملته من أهل
خصوصيته فأجازوا معه البحر الى الاندلس أيام الحكم المستنصر فاستخدمهم ونظمهم
فى طبقات جنده الى من كان به من قبائل زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بالدعوة الاموية
ومحاربتهم عليها للادارسة فاستقروا جميعا بالاندلس وكان لبنى برزال من بينهم ظهور
وغنى مشهور (ولما أراد) المنصور بن أبى عامر الاستبداد على خليفته هشام وتوقع
النكير من رجالات الدولة وموالى الحكم استكثر بنى برزال وغيرهم من البربر
وأفاض فيهم الاحسان فاعتز امره واشتد أزره حتى أسقط رجال الدولة ومحى رسومها

وأثبت أركان سلطانه ثم قتل صاحبهم جعفر بن يحيى كما ذكرناه خشية عصبيته بهم واستمالهم من بعده فأصبحوا له عصبية وكان يستعملهم فى الولايات النبيهة والاعمال الرفيعة وكان من أعيان بنى برزال هؤلاء اسحق بن   فولاه قرمونة بياض بالاصل
وأعمالها فلم يزل عليها أيام بنى عامر وجدد له العقد عليها المستعين فى فتنة البرابرة ووليها من بعده ابنه عبد الله (ولما انقرض) ملك بنى حمود من قرطبة ودفع أهلها القاسم المأمون عنهم سنة أربع عشرة أراد اللحاق بأشبيلية وبها ابنه محمد بن أبى زيرى من وجوه البربر وبقرمونة عبد الله بن اسحق البرزالى فداخلهما القاضى ابن عباد فى خلع طاعة القاسم وصده عن العملين فأجابا الى ذلك ثم دس للقاسم بالتحذير من عبد الله بن اسحق فعدل القاسم عنهما جميعا الى شريش واستبد كل منهم بعمله ثم هلك عبد الله من بعد ذلك وولى ابنه محمد سنة   وكانت بينه وبين المعتمد بن بياض بالاصل
عباد حرب وظاهر عليه يحيى بن على بن حمود فى منازلة أشبيلية سنة ثمان عشرة ثم اتفق مع ابن عباد بعدها وظاهره على عبد الله الافطس وكانت بينهما حرب كانت الدائرة فيها على ابن الافطس وحصل ابنه المظفر قائد العسكر فى قبضة محمد بن عبد الله بن اسحق الى أن من عليه بعد ذلك وأطلقه ثم كانت الفتنة بين محمد بن اسحق وبين المعتضد وأغار اسمعيل بن المعتضد على قرمونة فى بعض الايام بعد ان كمن الكمين من الخيالة والرجل وركب اليه محمد فى قومه فاستطرد له اسمعيل الى أن بلغوا الكمائن فثاروا بهم وقتلوا محمدا البرزالى وذلك سنة أربع وثلاثين وولى ابنه العزيز بن محمد وتلقب بالمستظهر مناغيا للملوك الطوائف لعهده ولم يزل المعتضد يستولى على غرب الاندلس شيأ فشيأ الى ان ضايقه فى عمل قرمونة واقتطع منه استجة والمورور ثم انخلع له العزيز عن قرمونة سنة تسع وخمسين ونظمها المعتضد فى ممالكه وانقرض ملك بنى برزال من الاندلس ثم انقرض من بعد ذلك حيهم من جبل سالات وأصبحوا فى الغابرين والبقاء لله وحده سبحانه

العزيز محمد بن عبد الله بن اسحق البرزالى

{ الخبر عن بنى ومانو وبنى يلومى من الطبقة الاولى وما كان لهم من الملك والدولة بأعمال المغرب الاوسط ومبدا ذلك وتصاريفه }

هاتان القبيلتان من قبائل زناتة ومن توابع الطبقة الاولى ولم نقف على نسبهما الى جانا الا أن نسابتهم متفقون على أن يلومى وورتاجن الذى هو أبو مرين اخوان وان مديون أخوهما للام ذكر ذلك غير واحد من نسابتهم وبنو مرين لهذا العهد يعرفون لهم هذا النسب ويوجبون لهم العصبية له وكانت هاتان القبيلتان من أوفر بطون زناتة

وأشدهم شوكة ومواطنهم جميعا بالمغرب الاوسط وبنو وماتوا منهم الى جهة المشرق عن وادى ميناس ومرات وما اليهما من أسافل شلب وبنو يلومين بالعدوة الغربية منه بالجعبات والبطحاء وسبدوسيرات وجبل هوارة وبنى راشد (وكان لمغراوة) وبنى يفرن التقدم عليهم فى الكثرة والقوة ولما غلب بلكين بن زيرى مغراوة وبنى يفرن على المغرب الاوسط وأزاحهم الى المغرب الاقصى بقيت هاتان القبيلتان بمواطنهما واستعملهم صنهاجه فى حروبهم حتى اذا تقلص ملك صنهاجه عن المغرب الاوسط واعتزوا عليهم واختص الناصر بن علناس صاحب القلعة ومختط بجاية بنى وماتوا هؤلاء بالولاية فكانوا اشيع القوم دون يلومى وكانت رياسة بنى وماتوا فى بيت منهم يعرفون ببنى ماخوخ وأصهر المنصور بن الناصر الى ماخوخ منهم فى أخته فزوجها اليه فكان لهم بذلك مزيد ولاية فى الدولة ولما ملك المرابطون تلمسان أعوام سبعين وأربعمائة وأنزل يوسف بن تاشفين بها عامله محمد بن تينعمر المسوفى ودوخ أعمال المنصور وملك أمصارها الى أن نازل الجزائر وهلك فولى أخاه تاشفين على عمله فغزا أشير وافتتحها ومدها وكان لهذين الحيين فى مظاهرته وامداده أحقد عليهم المنصور بعدها وأغرى بنى وماتوا فى عساكر صنهاجة   له ماخوخ فهزمه وأتبعه منهزما الى بجاية وقتل لدخله الى قصره قتلته زوجه أخت ماخوخ تشفيا وضعفا ثم نهض الى تلمسان فى العساكر واحتشد العرب من الاثبج ورياح وزغبة ومن لحق به من زناتة وكانت الغزاة المشهورة سنة ست وثمانين أبقى فيها ابن تينعمر المسوفى بعد استمكانه من البلد كما ذكرناه فى أخبار صنهاجة ثم هلك المنصور وولى ابنه العزيز وراجع ماخوخ ولايته وأصهر اليه العزيز أيضا فى ابنته فزوجها اياه واعتز البدو فى نواحى المغرب الاوسط واشتعلت نار الفتنة بين هذين الحيين من بنى وماتوا وبنى يلومى فكانت بينهم حروب ومشاهد وهلك ماخوخ وقام بأمره فى قومه بنوه تاشفين وعلى وأبو بكر وكان أحياء زناتة الثانية من بنى عبد الواد وتوجين وبنى راشد وبنى ورسفان من مغراوة مددا   وربما اذ بنو مرين اخوانهم بنى يلومى اقرب بمواطنهم منهم الآن زناتة الثانية لذلك العهد مغلوبون لهذين الحيين وأمرهم تبع لهم الى أن ظهر أمر الموحدين وزحف عبد المؤمن الى المغرب الاوسط فى اتباع تاشفين بن على وتقدم أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن زيد من بنى وماتوا الى طاعته ولحقوه بمكانه من أرض الريف فسرح معهم عسكر الموحدين لنظر   بن واندين بن   بن يغمور فاثخنوا فى بلاد بنى يلومى وبنى عبد الواد ولحق صريخهم بتاشفين بن على بن يوسف فأمدهم بالعساكر ونزلوا منداس واجتمع لبنى يلومى بنو ورسفان من مغراوة

بياض بالأصل

بياض بالأصل

بياضان بالأصل

وبنى توجين من بنى بادين وبنو عبد الواد منهم ايضا وشيخهم حمامة بن مظهر وبنو يكاس من بنى مرزين وأوقعوا ببنى وماتوا وقتلوا أبا بكر فى سمائة منهم واستنقذوا غنائمهم وتحصن الموحدون وفل بنى وماتوا بجبل سيرات ولحق تاشفين بن ماخوخ صريخا بعبد المؤمن وجاء فى جملته حتى نزل تاشفين بن على بتلمسان ولما ارتحل فى أثره الى وهران كما قدمناه سرح الشيخ أبو حفص فى عساكر الموحدين الى بلاد زناتة فنزلوا منداس وسط بلادهم وأثخنوا فيهم حتى أذعنوا الطاعة ودخلوا فى الدعوة ووفد على عبد المؤمن بمكانه من حصار وهران مقدمهم سيد الناس بن أمير الناس شيخ بنى يلومى وحمامة بن مطهر شيخ بنى عبد الواد وعطية الحيو شيخ بنى توجين وغيرهم فتلقاهم بالقبول ثم انتقضت زناتة بعدها وامتنع بنو يلومى بحصنهم الجعبات ومعهم شيخهم سيد الناس ومدرج ابنا سيد الناس فحاصرتهم عساكر الموحدين وغلبوهم عليها وأشخصوهم الى المغرب ونزل سيد الناس بمراكش وبها كان مهلكه أيام عبد المؤمن وهلك بعد ذلك بنو ماخوخ (ولما) أخذ أمر هذين الحيين فى الانتقاض جاذب بنو يلومى فى تلك الاعمال بنو توجين وشاجروهم فى أحواله ثم واقعوهم الحرب فى جوانبه وتولى ذلك فيهم عطية الحيو شيخ بنى توجين وصلى بنارها معه منهم بنو منكوش من قومه حتى غلبوهم على مواطنهم وأذلوهم واصاروهم جيرانا لهم فى قياطينهم واستعلى بنو عبد الواد وتوجين على هذين الحيين وغيرهم بولايتهم للموحدين ومخالطتهم اياهم فذهب شأنهم وافترق قبطونهم أوزاعا فى زناتة الوارثين أوطانهم من عبد الواد وتوجين والبقاء لله سبحانه (ومن بطون بنى وماتوا هؤلاء بنو يامدس) وقد يزعم زاعمون انهم من مغراوة ومواطنهم متصلة قبلة المغرب الاقصى والاوسط وراء العرق المحيط بعمرانها المذكور قبل واختطوا فى المواطن القصور والاطم واتخذوا بها الجنات من النخيل والاعناب وسائر الفواكه فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة ويسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين أخذت من المشرق الى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر فى العمران وهو محط ركاب التجر المترددين من المغرب الى بلد مالى من السودان لهذا العهد ومن بلد مالى اليه وبينه وبين ثغر بلاد مالى المسمى غا المفازة المجهلة لا يهتدى فيها للسبيل ولا يمر الوارد الا بالدليل بياض بالاصل

الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفر يستأجره التجار على الدربة بهم فيها باوفر الشروط وكانت بلد بودى وهى أعلى تلك القصور بناحية المغرب من بادية السوس هى الركاب الى والان الثغر الاخر من أعمال مالى ثم أهملت لما صارت الاعراب بادية السوس يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها فتركوا تلك ونهجوا الطريق الى

بلد السودان من أعلى تمنطيت ومن هذه القصور قبلة تلسان وعلى عشر مراحل منها قصور تيكارين وهى كثيرة تقارب المائة فى بسيط واد منحدر من المغرب الى المشرق واستبحرت فى العمران وغصت بالساكن وأكثر سكان هذه القصور الغريبة فى الصحراء بنو يادس هؤلاء ومعهم من سائر قبائل البربر مثل وتطغير ومصاب وبنى عبد الواد وبنى مرين وهم أهل عدد وعدة وبعد عن هضيمة الاحكام وذل المغارم وفيهم الرجالة والخيالة وأكثر معاشهم من بلح النخل وفيهم التجار الى بلاد السودان وضواحيهم كلها ممشاة للعرب ومختصة بعبيد الله من المعقل عينتها لهم قسمة الرحلة وربما شاركهم بنو عامر بن زغبة فى تيكرارين فتصل اليها ناجعتهم بعض السنين وأما عبيد الله فلا بد لهم فى كل سنة من رحلة الشتاء الى قصور توات وبلد تمنطيت ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الامصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيت ثم يندرفون منها الى بلاد السودان وفى هذه البلاد الصحراوية غريبة فى استنباط المياه الجارية لا توجد فى تلول المغرب وذلك ان البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها الى أن يوصل بالحفر الى حجارة صلدة فتنحت بالمعاول والفؤس الى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر على وجه الارض واديا ويزعمون ان الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شئ وهذه الغريبة موجودة فى قصور توات وتيكرارين وواركلا وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العليم وهذا آخر الكلام فى الطبقة الاولى من زناتة فلنرجع الى أخبار الطبقة الثانية وهم الذين اتصلت دولتهم الى هذا العهد

(أخبار الطبقة الثانية من زناتة وذكر أنسابهم وشعوبهم وأوليتهم ومصائر ذلك)

قد تقدم لنا فى أضعاف الكلام قبل انقراض الملك من الطبقة من زناتة ما كان على يد صنهاجة والمرابطين من بعدهم وأن عصبية أجيالهم افترقت بانقراض ملكهم ودولهم وبقى منهم بطون لم يمارسوا الملك ولا أخلقهم ترفه فأقاموا فى قياطينهم بأطراف المغرب ينتجعون جانبى القفر والتل ويعطون الدول حق الطاعة وغلبوا على بقايا الاجيال الاولى من زناتة بعد أن كانوا مغلوبين لهم فأصبحت لهم السورة والعزة وصارت الحاجة من الدول الى مظاهرتهم ومسالمتهم حتى انقرضت دولة الموحدين فتطاولوا الى الملك وضربوا فيه مع أهله بسهم وكانت لهم دول نذكرها ان شاء الله تعالى وكان أكثر هذه الطبقة من بنى واسين بن يصلتن اخوة مغراوة وبنى يفرن ويقال انهم من بنى وانتن بن ورسيك بن جانا اخوة منسارة وناجدة وقد تقدم ذكر هذه الانساب وكان من بنى واسين هؤلاء ببلد قصطيلة وذكر ابن الرقيق ان أبا يزيد النكارى لما ظهر

بجبل أوراس كتب اليهم بمكانهم حول توزر (١) يأمرهم بحصارها فحاصروها سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وربما كان منهم ببلد الحامة لهذا العهد ويعرفون ببني ورتاجن احدى بطونهم وأما جمهورهم فلم يزالوا بالمغرب الاقصى بين ملوية الى جبل راشد (وذكر موسى) بن أبي العافيـة في كتابه الى الناصر الاموي يعرفه بحربه مع ميسور مولى أبي القاسم الشيعي ومن سار اليه من قبائل زناتة فذكر فيمن ذكر ملوية وسار من قبائل بني واسين وبني يفرن وبني برناتن وبني ورنمت ومطماطة فذكر منهم بني واسين لأن تلك المواطن من مواطنهم قبل الملك (وفي هذه الطبقة منهم بطون) فمنهم بنو مرين وهم أكثرهم عددا وأقواهم سلطانا وملكا وأعظمهم دولة (ومنهم) بنو عبد الواد تلوهم في الكثرة والقوة وبنو توجين من بعدهم كذلك هؤلاء أهل الملك من هذه الطبقة وفيها غير أهل الملك بنو راشد اخوة بني يادين كما نذكره وفيها أهل الملك أيضا من غيرهم بقية من مغراوة بمواطنهم الاولى من وادي شلف فنضت فيهم عروق الملك بعد انقراض جيلهم الاول فتجاذبوا حبله مع أهل هذا الجيل وكانت لهم في مواطنهم دولة كما نذكره (ومن أهل هذه الطبقة) كثير من بطونهم ليس لهم ملك نذكرهم الآن عند تفصيل شعوبهم وذلك أن احياءهم جميعا تشعبت من زرجيك بن واسين فكان منهم بنو يادين ابن محمد وبنو مرين بن ورتاجن فأما بنو ورتاجن فهم من ولد ورتاجن بن ماخوخ ابن جريج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيد بن المعز بن ابراهيم بن زجيك (وأما بنو مرين) بن ورتاجن فتعددت أفخاذهم وبطونهم كما نذكر بعد حتى كثروا سائر شعوب بني ورتاجن وصار بنو ورتاجن معدودين في جملة أفخاذهم وشعوبهم (وأما بنو يادين) بن محمد فمن ولد زرجيك ولا أذكر الآن كيف يتصل نسبهم به وتشعبوا الى شعوب كثيرة فكان منهم بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو مصاب وبنو زردال يجمعهم كلهم نسب يادين بن محمد وفي محمد هذا يجتمع يادين وبنو راشد ثم يجتمع محمد مع ورتاجن في زرجيك بن واسين وكانوا كلهم معروفين بين زناتة الاولى ببني واسين قبل أن تعظم هذه البطون والافخاذ وتتشعب مع الايام وبأرض افريقية وصحراء برقة وبلاد الزاب منهم طوائف من بقايا زناتة الاولى قبل انساحهم الى المغرب فمنهم بقصور غدامس على عشرة مراحل قبلة سرت وكانت مختطة منذ عهد الاسلام وهي خطة مشتملة على قصور وآطام عديدة وبعضها لبني ورتاجن وبعضها لبني واطاس من أحياء بني مرين يزعمون أن أوليتهم اختطوها وهي لهذا العهد قد استبحرت في العمارة واسعة في التمدن بما صارت محطا لركاب الحاج من السودان وقفل التجار الى مصر والاسكندرية عند اراحتهم من قطع المفازة ذات الرمال المعترضة أمام طريقهم دون

(١) توزر بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وفتح الزاى وبعدها راء مهملة عن الشيخ عبد الواحد وهي قاعدة بلاد قصطيلة قال ابن سعيد وتوزر وبلادها جزائر في وسط الرمل والصحارى المكتنفة بها وبها الكتان والحناء وهي مشتهرة بذلك وبقلة المطر لديار مصر وهي من بلاد الجريد اه تقويم البلدان لابي الفداء

الارياف

الأرياف والتلول وبابا الولوج تلك المفازة والحاج والتجر في موضعهم ومنهم ببلد الحامة غربي قابس أمة عظيمة من بني ورتاجن وفرت منهم حاميتها واشتدت شوكتها ورحل اليها التجر بالبضائع لنفاق أسواقها وتبحر عمرانها وامتنعت لهذا العهد على مرين وبها من يجاورها فهم لا يؤدون خراجا ولا يسامون بغرم حتى كأنهم لا يعرفونه عزة جناب وفضل باس ومنعته ويزعمون أن سلفهم من بني ورتاجن اختطوها ورياستهم في بيت منهم يعرفون ببني وشاح ولربما طال على رؤسائهم عهد الخلافة ووطأة الدولة فيتطاولون الى التي تنكر على السوقة من اتخاذ الآلة ويبرزون في زي السلطان أيام الزينة تهاونا بشعار الملك ونسيانا للمألوف الانقياد شأن جيرانهم رؤساء توزر ونفطة وسابق الغاية في هذه الضحكة هو علول مقدم توزر (ومن بني واسين) هؤلاء بقصوره مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة لما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب وهذا الاسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بني بادين حسبما ذكرناهم الآن وضعوها في أرض حرة على احكام وضراب ممتنعة في مساربها بين الارض المحجرة المعروفة بالحمادة في سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد على فراسخ في ناحية القبلة وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني رزدال فيمن انضاف اليهم من شعوب زناتة وان كان شهرتها مختصة بمصاب وحالها في المباني والاغتراس وتفرق الجماعات بتفرق الرياسة شبيهة بحال بني ريغة والزاب ومنهم بجبل أوراس بافريقية طائفة من بني عبد الواد موطونه منذ العهد القديم لاول الفتح معروفون بين ساكنيه (وقد ذكر) بعض الاخباريين أن بني عبد الواد حضروا مع عقبة بن نافع في فتح المغرب عند ايغاله في ديار المغرب وانتهائه الى البحر المحيط بالسوس في ولايته الثانية وهي الغزاة التي هلك فيها في منصرفه منها وانهم أبلوا البلاء الحسن فدعا لهم وأذن في رجوعهم قبل استتمام الغزاة ولما تحيزت زناتة أمام كتامة وصنهاجة اجتمع شعوب بني واسين هؤلاء كلهم ما بين ملوية كما ذكرناه وتشعبت أحياؤهم وبطونهم وانبسطوا في صحراء المغرب الاقصى والاوسط الى بلاد الزاب وما اليها من صحارى افريقية اذ لم يكن للعرب في تلك المجالات كلها مذهب ولا مسلك الى المائة الخامسة كما سبق ذكره ولم يزالوا بتلك البلاد مشتملين لبوس العز مشمرين للانفة وكانت مكاسبهم الانعام والماشية وابتغاؤهم الرزق من تخيف السابلة (١) وفي ظل الرماح المشرعة وكانت لهم في محاربة الاحياء والقبائل ومنافسة الامم والدول ومغالبة الملوك أيام ووقائع نلم بها ولم تعظم العناية باستيعابها فنأتي به والسبب في ذلك أن اللسان العربي كان غالبا لغلبة دولة العرب وظهور الملة العربية فالكتاب والخط

(١) تخيفته تنقصته من حيفه أي نواحيه قاله المجد اه

بلغة الدولة ولسان الملك واللسان العجمى مستتر بجناحه مندرج فى غماده ولم يكن لهذا الجيل من زناتة فى الاحقاب القديمة ملك يحمل أهل الكتاب على العناية بتقييد أيامهم وتدوين أخبارهم ولم تكن مخالطة بينهم وبين أهل الارياف والحضر حتى يشهدوا آثارهم لابعادهم فى القفر كما رأيت فى مواطنهم و توحشهم عن الانقياد فبقوا غفلا الى ان درس منهم الكثير ولم يصل الينا بعد ملكهم الا الشارد القليل يتبعه المؤرخ المضطلع فى مسالكه و يتقراه فى شعابه ويثيره من مكامنه وأقاموا بتلك القفار الى ان تسنموا منها هضبات الملك على ما نصفه

مصاب بن بادين بن محمد بن زرجيك بن واسين بن يصلتن بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن اديدت بن جانا

- زردال
- توجين
- عبد الواد
- [illegible]

{الخبر عن أحوال هذه الطبقة قبل الملك وكيف كانت}
{تصاريف أحوالهم الى ان غلبوا على الملك والدول}

وذلك أن أهل هذه الطبقة من بنى واسين وشعوبهم التى سميناها كانوا تبعا لزناتة الاولى ولما انزاحت زناتة الى المغرب الاقصى أمام كتامة وصنهاجة خرج بنو واسين هؤلاء الى القفر مابين وصا فكانوا يرجعون الى ملك المغرب لذلك العهد مكناسة أولا ثم مغراوة من بعدهم ثم حسر تيار بنى صنهاجة عن المغرب وتقلص ملكهم بعض الشئ وصاروا الى الاستجاشة على القاصية بقبائل زناتة فأومضت بروقهم وورفت فى ممالك زناتة منابتهم كما قدمناه واقتسم أعمالها بنو ومانو وبنو يلومى ناحيتين وكانت ملوك صنهاجة أهل القلعة اذا عسكروا للغرب يستنفرونهم لغزوه ويجمعون حشدهم للتوغل فيه وكان بنو واسين هؤلاء ومن تشعب معهم من القبائل الشهيرة الذكر مثل بنى مرين وبنى عبد الواد وبنى توجين ومصاب قد ملكوا القفر مابين ملوية وأرض الزاب وامتنعت عليهم المغرب بان ممن ملكها من زناتة الذين ذكرناهم (وكان) أهل الرياسة بتلك الارياف والضواحى من زناتة مثل بنى ومانو وبنى يلومى بالمغرب الاوسط وبنى يفرن ومغراوة بتلمسان يستجيشون بنى واسين هؤلاء وشعوبهم ويستظهرون بجموعهم على من زاحمهم أو نازعهم من ملوك صنهاجة وزناتة وغيرهم يحاجون بهم عن مواطنهم لذلك ويقرضونهم القرض الحسن من المال والسلاح والحبوب المعوزة لديهم بالقفار فيتألفون منهم ويرتاشون وعظمت حاجة بنى حماد اليهم فى ذلك عندما عصفت بهم ريح العرب الضوالع من بنى هلال بن عامر وصرعوا دولة المعز وصنهاجة بالقيروان والمهدية والايواء عن مدهم وزحفوا الى المغرب الاوسط فداخلوا بنى حماد عن حوزته وأوعزوا الى زناتة بمدافعتهم أيضا فاجتمع لذلك بنو يعلى ملوك تلمسان من مغراوة وجمعوا من كان اليهم من بنى واسين هؤلاء من بنى مرين وعبد الواد وتوجين وبنى راشد وعقدوا على حرب الهلاليين لوزيرهم أبى سعدى خليفة بن اليفرنى فكان له مقامات فى حروبهم ودفاعهم عن ضواحى الزاب وما اليه من بلاد افريقية والمغرب الاوسط الى أن هلك فى بعض أيامه معهم وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحى وأزاحوهم عن الزاب وما اليه من بلاد افريقية وانشمر بنو واسين هؤلاء من بنى مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب الى مواطنهم بصحراء المغرب الاوسط من مصاب وجبل راشد الى ملوية وفيكك ثم الى سجلماسة ولاذوا ببنى ومانو وبنو يلومى ملوك الضواحى بالمغرب الاوسط وتفيؤا ظلهم واقتسموا ذلك القفر بالمواطن فكان لبنى مرين الناحية الغربية منها قبالة المغرب الاقصى بتيكورارين ودبروا الى ملوية

بياض فى الاصل

وسجلماسة ويعدوا عن بنى يلومى الافى الاحايين وعند الصريخ وكان لبنى يادين منها الناحية الشرقية قبلة المغرب الاوسط مابين فيكيك ومديونة الى جبل راشد ومصاب وكان بينهم وبين بنى مرين فتن متصلة باتصال أيامهم فى تلك المواضع بسبيل القبائل الجيران فى مواطنهم وكان الغلب فى حروبهم أكثر ما يكون لبنى يادين لما كانت شعوبهم أكثر وعددهم أوفر فانهم كانوا أربعة شعوب بنى عبد الواد وبنى توجين وبنى زردال وبنى مصاب كان معهم شعب آخر وهم اخوانهم بنو راشد لانا قدمنا أن راشدا أخو يادين وكان موطن بنى راشد الجبل المشهور بهم بالصحراء ولم يزالوا على هذه الحال الى ان ظهر أمر الموحدين فكان لبنى عبد الواد وتوجين ومغراوة من المظاهرة لبنى يلومى على الموحدين ماهو مذكور فى أخبارهم ثم غلب الموحدون على المغرب الاوسط وقبائله من زناتة فأطاعوا وانقادوا وتحيز بنو عبد الواد وبنو توجين الى الموحدين وازدلفوا اليهم وأمحضوا النصيحة للموحدين فاصطنعوهم دون بنى مرين كما نذكر فى أخبارهم وترك الموحدون ضواحى المغرب الاوسط كما كانت لبنى يلومى وبنى ومانو املكوها وتفرد بنو مرين بعد مدخل بنى يادين الى المغرب الاوسط بتلك الصحراء لما اختار الله لهم من وفور قسمهم فى الملك واستيلائهم على سلطان المغرب الذى غلبوا به الدول واشتملوا الاقطار ونظموا المشارق الى المغارب واقتعدوا كراسى الدول المسامتة لهم بأجمعها مابين السوس الاقصى الى افريقية والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده فأخذ بنو مرين وبنو عبد الواد من شعوب بنى واسين بحظ من الملك أعاد واقيه لزناتة دولة وسلطانا فى الارض واقتاد والامم برسن الغلب وناغاهم فى ذلك الملك البدوى اخوانهم بنو توجين وكان فى هذه الطبقة الثانية بقية أخرى مما ترك آل خزر من قبائل مغراوة الاول كانوا موطنين بقرار عزهم ومنشا اجيلهم بوادى شلب فجاذبوا هؤلاء القبائل حبل الملك وناغوهم فى أطوار الرياسة واستطالوا عن وصل جناحهم من هذه العشائر فقبطوا ولوا الى مقاسمتهم فى الماء ومساهمتهم فى الامر ومازال بنو عبد الواد فى الغض من عنانهم وجدع أنوف عصبيتهم حتى أوهنوا من بأسهم وخصت الدولة العبد الوادية ثم المرينية بسمة الملك المحمية من جناح تطاولهم وتمحض ذلك كله عن استبداد بنى مرين واستتباعهم لجميع هؤلاء العصائب كما نذكر لك الآن دولهم واحدة بعد أخرى ومصائر هؤلاء القبائل الاربعة التى هى رؤس هذه الطبقة الثانية من زناتة والملك لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين (ولنبدأ منها بذكر مغراوة) بقية الطبقة الاولى وما كان لرؤسائهم أولاد منديل من الملك فى هذه الطبقة الثانية كما نراه ان شاء الله تعالى

الخبر عن أولاد منديل من الطبقة الثانية وما أعاد والقوم بهم مغراوة من الملك بموطنهم الاول من شلب وما اليه من نواحى المغرب الاوسط

لما ذهب الملك من مغراوة بانقراض ملوكهم آل خزر واضمحلت دولتهم بتلمسان وسجلماسة وفاس وطرابلس وبقيت قبائل مغراوة متفرقة فى مواطنها الاولى بنواحى المغربين وافريقية بالصحراء والتلول والكثير منهم بمنصرهم ومركزهم الاول بوطن شلب وما اليه فكان به بنو ورسيفان وبنو يرنار وبنو بلت ويقال انهم من ورتمار وبنو سعيد وبنو زحالة وبنو سنجاس وورعما يقال انهم من زناتة وليسوا من مغراوة وكان بنو خزرون الملوك بطرابلس لما انقرض أمرهم وافترقوا فى البلاد ولحق منهم عبد الصمد بن محمد بن خزرون بجبل أوراس فرارا من أهل بيته هنالك الذين استولوا على الامر وجده خزرون بن خليفة السادس من ملوكهم بطرابلس فأقام بينهم أعواما ثم ارتحل عنهم فنزل على بقايا قومه مغراوة بشلب من بنى ورسيفان وبنى وررتمير وبنى بو سعيد وغيرهم فتلقوهم بالمبرة والكرامة وأوجبوا له حق البيت الذى ينسب اليه فيهم وأصهر اليهم فأنكحوه وكثر ولده وعرفوا بينهم ببنى محمد ثم بالخزرية نسبة الى سلفه الاول وكان من ولده الملقب أبوناس بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد وكان منتحلا للعبادة والخيرية وأصهر اليه بعض ولد ماخوخ ملوك بنى وماتوا بابنته فأنكحه اياها لعظم أمره عندهم بقومه ونسبه وصهره وجاءت دولة الموحدين على اثر ذلك فرمقوه بعين التجلة لما كان عليه من طرق الخير فأقطعوه بوادى شلب وأقام على ذلك وكان له من الولد ورجيع وهو كبيرهم وغربى ولغريات وماكور ومن بنت ماخوخ عبد الرحمن وكان أجلهم شأنا عنده وعند قومه عبد الرحمن هذا المليو جبون له بولادة ماخوخ لامه ويتفرسون فيه أن له ولعقبه ملكا وزعموا أنه لما ولد خرجت به أمه الى الصحراء فألقته الى شجرة وذهبت فى بعض حاجاتها فأطاف به يعسوب من النحل متواقعين عليه وبصرت به على البعد فجاءت تعدو ولما أدركها من الشفقة فقال لها بعض العارفين خفض عنك فوالله ليكونن لهذا شأن ونشأ عبد الرحمن هذا فى جو هذه التجلة مدة بنسبه وبأسه وكثرت عشيرته من بنى أبيه واعصوصب عليه قبائل مغراوة فكان له بذلك شوكة وفى دولة الموحدين تقدمة لما كان يوجب لهم على نفسه من الانحياش والمخالطة والتقدم فى مذاهب الطاعة وكان السادة منهم يمرون به فى غزواتهم الى افريقية ذاهبين وجائين فينزلون منه خير نزل وينقلبون بحمده والشكر لمذهبه فيزيد خلفاؤهم اغتباطا به وأدرك بعض السادة وهو بأرض قومه الخبر بهلاك الخليفة بمراكش فخلف الذخيرة والظهر وأحلها العبد الرحمن هذا وتجابد مانه بعد ان صحبه الى

تخوم وطنه فكانت له بها ثروة أكسبته قوة فاستركب من قومه واستكثر من عصابته
وعشيرته وهلك خلال ذلك وقد فشل ريح بنى عبد المؤمن وضعف أمر الخليفة
بمراكش (وكان له من الولد) منديل وتميم وكان أكبرهما منديل فقام بأمر قومه على
حين عصفت رياح الفتنة وسما لمنديل أمل فى التغلب على ما يليه فاستأسد فى عرينه
وحامى عن أشباله ثم فسح خطوه الى ما جاوره من البلاد فملك جبل وانشريس والمرية
وما الى ذلك واختط قصبة مرات وكان بسيط متيجة لهذا العهد فى العمران آهلا بالقرى
والامصار (ونقل الاخباريون) أن أهل متيجة لذلك العهد يعدون فى ثلاثين مصرا
فجاس خلالها وأوطأ الغارات ساحتها وخرب عمرانها حتى تركها خاوية على عروشها
وهو فى ذلك يوهم التمسك بطاعة الموحدين وأنه سلم لمن سالمهم حرب لمن عاداهم وكان ابن
غانية منذ غلبه الموحدون عن افريقية قد أزاحوه الى قابس وما اليها فنزل الشيخ أبو
محمد بن أبى حفص بتونس ودفعه الى افريقية الى أن هلك سنة ثمان عشرة فطمع يحيى
ابن غانية فى استرجاع أمره وسبق الى الثغور والامصار يعيث فيها ويخربها ثم تجاوز
افريقية الى بلاد زناتة وشن عليها الغارات واكتسح البسائط وتكررت الوقائع بينه
وبينهم فجمع له منديل بن عبد الرحمن ولقيه بمتيجة وكانت الدبرة عليه وانفضت عنه
مغراوة فقتله ابن غانية صبرا سنة ثنتين أو ثلاث وعشرين وتغلب على الجزائر فنكبته
فصلب شلوه بها وصيره مثلا للآخرين وقام بأمره فى قومه بنوه وكان مضيافا فكان
لهم العدد والشرف وكانوا يرجعون فى أمرهم الى كبيرهم العباس فتقلد مذاهب أبيه
واقتصر على بلاد متيجة ثم غلبهم بنو توجين على جبل وانشريس وضواحى المرية وما الى
ذلك وانقبضوا الى مركزهم الاول شلب وأقاموا فيها ملكا بدويا لم يفارقوا فيه الظعن
والخيام والضواحى والبسائط واستولى على مدينة مليانة وتنس وبرشك وشرشال
مقيمين فيها للدعوة الحفصية واختطوا قريبة مازونة (ولما استوطن) الملك بتلمسان
ليغمراسن بن زيان واستفحل سلطانه بها وعقد له عليها ولاخيه من قبله عبد المؤمن
سما الى التغلب على اعمال المغرب الاوسط وزاحم بنى توجين وبنى منديل هؤلاء بمكاسة
فلفتوا وجوههم جميعا الى الامير أبى زكريا بن أبى حفص مديل الدولة بافريقية من بنى
عبد المؤمن وبعثوا اليه الصريخ على يغمراسن فاحتشد لهم جميع الموحدين والعرب
وابتز تلمسان وافتتحها كما ذكرناه ولما قفل الى الحضرة عقد فى مرجعه لامراء زناتة
كل على قومه ووطنه فعقد للعباس بن منديل على مغراوة ولعبد القوى على توجين
وولاه ..ورة وسوغ لهم اتخاذ الآلة فاتخذوها بمشهد منه وعقد
العباس السلم مع يغمراسن ووفد عليه بتلمسان فلقاه برة وتكريما عنه

بياض بالأصل

بعدها

بعدها مغاضبا يقال انه تحدث بمجلسه يوما فزعم أنه رأى فارسا واحدا يقاتل ما بين من الفرسان فنكر ذلك من سمعه من بنى عبد الواد وعرضوا بتكذيبه فخرج العباس لها مغاضبا حتى أتى بقومه وأتى يغمراسن مصداق قوله فانه كان يعنى بذلك الفارس نفسه وهلك العباس لخمس وعشرين سنة بعد أبيه سنة سبع وأربعين وقام بالامر بعده أخوه محمد بن منديل وصلحت الحال بينه وبين يغمراسن وصاروا الى الاتفاق والمهادنة ونفر معه بقومه مغراوة الى غزو المغرب سنة كلومان وهى سنة سبع وأربعين وستمائة هزمهم فيها يعقوب بن عبد الحق فرجعوا الى أوطانهم وعاودوا شأنهم فى العداوة وانتقض عليهم أهل مليانة وخلعوا الطاعة الحفصية (وكان من خبر) هذا الانتقاض أن أبا العباس أحمد المليانى كان كبير وقته علما ودينا ورواية وكان عالى السند فى الحديث فرحل اليه الاعلام وأخذ عنه الائمة وأوفت به الشهرة على ثنايا السيادة فانتهت اليه رياسة بلده على عهد يعقوب المنصور وبنيه ونشأ ابنه أبو على فى جو هذه العناية وكان جموحا للرياسة طامحا للاستبداد وهو مع ذلك خلو من المغارم فلما هلك أبوه جرى فى شأو رياسته طلقا ثم رأى ما بين مغراوة وبنى عبد الواد من الفتنة فحدثته نفسه بالاستبداد ببلده فجمع لما جرى وقطع الدعاء للخليفة المستنصر سنة تسع وخمسين وبلغ الخبر الى تونس فسرح الخليفة أخاه فى عسكر من الموحدين فى جملته دون الديك ابن هرزة من آل ادفونش ملوك الجلالقة كان نازعا اليه عن أبيه فى طائفة من قومه فنازلوا مليانة أياما وداخل السلطان طائفة من مشيخة البلد المنحرفين عن ابن المليانى فسرب اليهم جنودا بالليل واقتحموها من بعض المداخل وفر أبو على المليانى تحت الليل وخرج من بعض البلد فلحق بأحياء العرب ونزل على يعقوب بن موسى بن العطاب من بطون زغبة فأجاره الى أن لحق بعدها بيعقوب بن عبد الحق فكان من أمره ما ذكرناه فى أخبارهم وانصرف عسكر الموحدين والامير أبو حفص الى الحضرة وعقد لمحمد بن منديل على مليانة فأقام بها الدعوة الحفصية على سنن قومه ثم هلك محمد بن منديل سنة ثنتين وستين لخمس عشرة من ولايته قتله أخوه ثابت وعابد بمنزل ظوا عنهم بالخميس من بسيط بلادهم وقتل معه عطية ابن أخيه منيق وتولى عابد وشاركه ثابت فى الامر واجتمع اليه قومه وتقطع ما بين أولاد منديل وخشنت صدورهم واستغلظ يغمراسن بن زيان عليهم وداخله عمر بن منديل فى أن يمكنه من مليانة ويشد عضده على رياسة قومه فشارطه على ذلك وأمكنه من أزمة البلد سنة ثمان وستين ونادى بعزل ثابت وموازرة عمر على الامر فتم لهما ما أحكماه من أمرهما فى مغراوة واستمكن بها يغمراسن من قياد قومه ثم تنافى أولاد منديل فى الازدلاف الى يغمراسن بمثلها نكاية

لعمر فاتفق ثابت وعابد أولاد منديل أن يحكماه من تونس فأمكناه منها سنة ثنتين وسبعين على اثنى عشر ألفا من الذهب واستمرت ولاية عمر الى أن هلك سنة ست وسبعين فاستقل ثابت بن منديل برياسة مغراوة وأجاز عابد أخوه الى الاندلس للرباط والجهاد مع صاحبه زيان بن محمد بن عبد القوى وعبد الملك بن يغمراسن لخول زناتة واسترجع ثابت بلاد تونس ومليانة من يد يغمراسن ونبذ اليه العهد ثم استغلظ يغمراسن عليهم واسترد تونس سنة احدى وثمانين بين يدى مهلكه (ولما) هلك يغمراسن وقام بالامر بعده ابنه عثمان انتقضت عليه تونس ثم ردد الغزو الى بلاد توجين ومغراوة حتى غلبهم آخرا على ما بأيديهم وملك المرية بمداخلة بنى لمدية أهلها سنة سبع وثمانين وغلب ثابت بن منديل على مازونة فاستولى عليها ثم نزل له عن تونس أيضا فملكها ولم يزل عثمان مراغما لهم الى أن زحف اليهم سنة ثلاث وتسعين فاستولى على أمصارهم وضواحيهم وأخرجهم عنها وألجأهم الى الجبال ودخل ثابت بن منديل الى برشك مما يليها دونها فزحف اليهم عثمان وحاصره بها حتى اذا استيقن أنه محاطبه ركب البحر الى المغرب وركب الى يوسف ابن يعقوب سلطان بنى مرين صريخا سنة أربع وتسعين فأكرمه ووعده بالنصرة من عدوه وأقام بفاس وكانت بينه وبين ابن الاشعب من رجالات بنى عسكر صحبة ومداخلة فجاءه بعض الايام الى منزله ودخل عليه من غير استئذان وكان ابن الاشعب ثملا فبطش به وقتله وثار السلطان به منه وانفجع لموته وكان ثابت بن منديل قد أقام ابنه محمدا الامير فى قومه ولاه عليهم لعهده واستبد بملك مغراوة دونه (ولما انصرف) أبوه ثابت الى قومه أقام هو فى امارته على مغراوة وهلك قريبا من مهلك أبيه فقام بأمرهم من بعده شقيقه على ونازعه الامر أخواه رحون ومنيف فقتل منيف ونكر ذلك قومهما وأبوا من امارتهما عليهم فلحقا بعثمان بن يغمراسن فأجازهما الى الاندلس (وكان) أخوهما عمر بن ثابت قائدا على الغزاة بالعزة فنزل لمنيف عنها فكانت أول ولاية وليها بالاندلس ولحق بهم أخوهم عبد المؤمن فكانوا جميعا هنالك ومن أعقاب عبد المؤمن يعقوب بن زيان بن عبد المؤمن ومن أعقاب منيف   بن عمر بن منيف بياض فى الاصل

وجماعة منهم لهذا العهد بالاندلس (ولما هلك) ثابت بن منديل سنة أربع وتسعين كما قلناه كفل السلطان ولده وأهله وكان فيهم حافده راشد بن محمد فأصهر اليه فى أخته وأنكحه اياها ونهض الى تلمسان سنة ثمان وتسعين فأناخ عليها واختط مدينته لحصارها وسرح فى نواحيها وعقد على مغراوة وشلب لعمر بن ويعزن بن منديل وبعث معه جيشا ففتح مليانة وتونس ومازونة سنة تسع وتسعين ووجد راشد فى نفسه اذ لم يوله على قومه وكان يرى أنه الاحق لنسبه وصهره فنزع عن السلطان ولحق بجبال متيجة

ودس الى أوليائه من مغراوة حتى وجد فيهم الدخلة فأجد السير ولحق بهم فافترق
أمر مغراوة وداخل أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وبيت عمر بن ويغزن بازمور
من ضواحي بلادهم فقتله واجتمع عليه قومه وسرح السلطان اليه الكتائب من بني
عسكر لنظر الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني ورتاجن ولنظر علي بن محمد الحيو
من بني توجين ولنظر أبي بكر بن ابراهيم بن عبد القوى ومن الجند لنظر علي بن حسان
الصبحي من صنائعه وعقد على مغراوة لمحمد بن عمر بن منديل وزحفوا الى مازونة وقد
ضبطها راشد وخلف عليها عليا وحموا من بني عمه يحيى بن ثابت ولحق هو ببني بوسعيد
مطلا عليهم وأناخت العساكر على مازونة ووالوا عليها الحصار سنين أجهدوهم وبعث
علي بن يحيى أخاه حموا الى السلطان من غير عهد فتقبض عليهم ثم اضطره الجهد الى
مركب الغرر فخرج اليهم ملقيا بيده سنة ثلاث وأشخصوه الى السلطان فعفا عنه
واستبقاه واحتبسها تأنيسا واستمالة لراشد بن محمد في معقل بني بوسعيد وطال حصاره
اياه وأمكنته الغرة ببعض الايام في العساكر وقد تعلقوا بأوعار البلد زاحفين اليه
فهزمهم وهلك في تلك الواقعة خلق من بني مرين وعساكر   وذلك سنة
أربع وسبعمائة وبلغ الخبر الى السلطان فأحفظه ذلك عليهم   ابن عمه
علي ابن يحيى وأخاه حموا ومن معهم من قومهم فقتلوا رشقا بالسهام واستلحمهم
ثم سرح أخاه أبا يحيى بن يعقوب ثانية سنة أربع فاستولى على بلاد مغراوة ولحق
راشد بجبال صنهاجة من متيجة ومعه عمه منيف بن ثابت ومن اجتمع اليهم من قومهم
فنازلهم أبو يحيى بن يعقوب وراسل راشد يوسف بن يعقوب فانعقدت بينهما السلم
ورجعت العساكر عنهم وأجاز منيف بن ثابت معه بنيه وعشيرته الى الاندلس فاستقروا
هنالك آخر الايام (ولما هلك) يوسف بن يعقوب بمناخه على تلمسان آخر سنة ست
انعقدت السلم بين حافده أبي ثابت وبين أبي زيان بن عثمان سلطان بني عبد الواد
على أن يخلي له بنو مرين عن جميع ما ملكوه من أمصارهم وأعمالهم وثغورهم وبعثوا
في حاميتهم وعمالهم وأسلموها العمال بني زيان وكان راشد قد طمع في استرجاع بلاده
وزحف الى مليانة فأحاط بها فلما نزل عنها بنو مرين لأبي زيان وصارت مليانة وتونس
له أخفق سعي راشد وأفرج عن البلد ثم كان مهلك أبي زيان قريبا وولي أخوه أبو حموا
موسى بن عثمان واستولى على المغرب الاوسط فهلك تافركت سنة   وملك
بعدها مليانة والمرية ثم ملك تونس وعقد عليها لمولاه مسامح وقارن ذلك حركة صاحب
بجاية السلطان أبي البقاء خالد ابن مولانا الامير أبي زكريا ابن السلطان أبي اسحق الى
متيجة لاسترجاع الجزائر من يد ابن علان الثائر بها عليهم فلقيه هنالك راشد بن محمد

بياض في الأصل

بياض في الأصل

وصار في جملته وظاهره على شأنه ولقاه السلطان تكرمة وبرا وعقد له ولقومه حلفا مع صنهاجة أولياء الدولة والمتغلبين على ضاحية بجاية وجبال زواوة ثم اتصلت يد راشد بذ عيمهم يعقوب بن خلوف آخر الدولة ولما نهض السلطان للاستيثار بملك الحضرة بتونس استعمل يعقوب بن خلوف على بجاية وعسكر معه راشد بقومه وأبلى في الحروب بين يديه وأغنى في مظاهرة أوليائه حتى اذا ملك حضرتهم واستولى على سرا قسلفهم أسف حاجب الدولة راشد هذا وقومه بامضاء الحكم في بعض حشمه وتعرض للحرابة في السابلة فتقبض عليه ورفع الى سدة السلطان فأمضى فيه حكم الله وذهب راشد مغاضبا ولحق بواليه بن خلوف ومضطربه من زواوة وكان يعقوب بن خلوف قد هلك وولى السلطان مكانه ابنه عبد الرحمن فلم يدع حق أبيه في اكرام صديقه راشد وتشاجر معه في بعض الايام مشاجرة تنكر عبد الرحمن فيها ملاحة راشد له وأنف منها وأدل فيها راشد بمكانه من الدولة وبأس قومه فلدغه بالقول وتناوله عبد الرحمن وحشمه وخزا بالرماح الى أن أقعصوه (١) وانذعر جمع مغراوة ولحقوا بالثغور القاصية وأقفر منهم شلب وما اليه كان لم يكونوا به فأجاز منهم بنو منيف وابن و يعزن الى الاندلس للمرابطة بثغور المسلمين فكانت منهم عصابة موطنة هنالك أعقابهم لهذا العهد وأقام في جوار الموحدين فل آخر من أوسط قومهم كانوا شوكة في عساكر الدولة الى أن انقرضوا ولحق علي بن راشد بعمته في قصر بني يعقوب بن عبد الحق فكفلته وسار أولاد منديل غضبا الى وطن بني مرين فتولوهم وأحسنوا جوارهم وأصهروا اليهم سائر الدولة الى أن تغلب السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط ومحا دولة آل زيان وجمع كلمة زناتة وانتظم مع بلادهم بلاد افريقية وعمل الموحدين وكانت نكبته على القيروان سنة تسع وأربعين كما شرحناه قبل فانتقضت العمالات والاطراف وانتزى أعياص الملك بمواطنهم الاولى فتوثب علي بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل على بلاد شلب وتملكها وغلب على أمصارها مليانة وتنس و برشك وشرشال وأعاد ما كان لسلفه بها من الملك على طريقتهم البدوية وأرهفوا حدهم لمن طالبهم من القبائل وخلص السلطان أبو الحسن من ورطته الى افريقية ثم من ورطة البحر من مرسى الجزائر الى بجاية يحاول استرجاع ملكه المفترق فبعث الى علي بن راشد وذكره ذممهم فتذكر وحن واشترط لنفسه التجافي له عن ملك قومه بشلب على أن يظاهره على بني عبد الواد فأبى السلطان أبو الحسن من اشتراط ذلك فصير عنه الى فئة بني عبد الواد الناجين بتلمسان كما ذكرناه قبل وظاهرهم عليه وبرز اليهم السلطان أبو الحسن من الجزائر والتقى الجمعان بشربونة سنة احدى وخمسين فاختلف مصاف السلطان أبي الحسن

(١) قال الجوهري يقال ضربه فأقعصه أي قتله مكانه والقعص الموت الوحي يقال مات فلان قعصا اذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه وفي الحديث من قتل قعصا فقد استوجب المآب اه

وانهزم جمعه وهلك ابنه الناصر طاح دمه فى مغراوة هؤلاء وخرج الى الصحراء ولحق منها بالمغرب الاقصى كما نذكره بعد وتطاول الناجمون بتلمسان من آل يغمراسن الى انتظام بلاد مغراوة فى ملكهم كما كان سلفهم فنهض اليهم بعساكر بنى عبد الواد رديف سلطانهم وأخوه أبو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فأوطأ قومه بلاد مغراوة سنة ثنتين وخمسين وفل جموعهم وغلبهم على الضاحية والامصار وأجحر على بن راشد بتنس فى شرذمة من قومه وأناخ بعساكره عليه وطال الحصار ووقع الغلب ولما رأى على بن رشد أن قد أحيط به دخل الى زاوية من زوايا قصره انتبذ فيها عن الناس وذبح نفسه بحد حسامه وصار مثلا وحديثا للآخرين واقتحم البلد لحينه واستلحم من عثر عليه من مغراوة وفضّ الآخرون الى أطراف الارض ولحقوا بأهل الدول فاستركبوا واستلحقوا وصاروا جندا للدول وحشما وأتباعا وانقرض أمرهم من بلاد شلب ثم كانت لبنى مرين الكرة الثانية الى تلمسان وغلبوا آل زيان ومحوا آثارهم ثم فاءظلهم بهلك السلطان أبى عنان وحسر تيارهم وجدد الناجمون من آل يغمراسن دولة ثانية بمكان عملهم على يد أبى حمو الاخير ابن موسى بن يوسف كما نذكره فى أخبارهم ثم كانت لبنى مرين الكرة الثالثة الى بلاد تلمسان ونهض السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن اليها فدخلها فاتح سنة ثنتين وسبعين وسرح عساكره فى اتباع أبى حمو الناجم من آل يغمراسن حين فرّ أمامه فى قومه وأشياعه من العرب كما يأتى ذلك كله ولما انتهت العساكر الى البطحاء تلوموا هنالك أياما للازاحة عللهم وكان فى جملتهم صبى من ولد على بن راشد الذبيح اسمه حمزة ربى يتيما فى حجر دولتهم لذمام الصهر الذى لقومه فيهم نكفلته نعمهم وكنفه جوّهم حتى شب واستوى وحظ رزقه فى ديوانهم وحالة بين ولدانهم واعترض بعض الايام قائد الجيوش الوزير أبا بكر بن غازى كيا وأساء رده فركب الليل ولحق بمعقل بنى بوسعيد من بلاد شلب فأجاروه ومنعوه ونادى بدعوة قومه فأجابوه وسرح اليه السلطان وزيره عبد العزيز عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة كبير بنى تربيعن فى جيش كثيف من بنى مرين والجند فنزل بساحة ذلك الجبل حولا كريتا (١) فحاصرهم ينال منهم وينالون منه وامتنعوا واتهم السلطان وزيره الآخر أبا بكر بن غازى فنهض بجر العساكر الضخمة والجيوش الكثيفة الى أن نزل بهم وصحبهم القتال فقذف الله فى قلوبهم الرعب وأزلهم من معقلهم وفر حمزة بن على فى فل من قومه فنزل ببلاد حصين المنتقضين كانوا على الدولة مع أبى زيان بن أبى سعيد الناجم من آل يغمراسن حسبما نذكره وأتى بنو أبى سعيد طاعتهم وأخلصوا الضمائر فى مغبتها فحسن

(١) قال الجوهرى سنة كريت أى تامة اه

بياض بالأصل

موقعهم و بدأ حمزة في الرجوع اليهم فأعد السير في لمة من قومه حتى اذا ألم بهم نكروا
لمكان ما اعتقلوا به من حبل الطاعة فتساهل الى البسائط وقصد تيم روغت يظن بها
غرة ينتهزها فبرز اليه حاميتها فقلوا حده وردوه على عقبه وتسابقوا في اتباعه الى
أن تقبضوا عليه وقادوه الى الوزير بن الغازي بن الكاس فأوعز اليه السلطان بقتله مع
جملة أصحابه فضربت أعناقهم وبعث بها الى سدة السلطان وصلب أشلاؤهم على
خشب مسندة نصبها لهم ظاهر مليانة ومحى أثر مغراوة وانقرض أمرهم وأصبحوا
خولا للأمراء وجندا في الدول وأوزاعا في الاقطار كما كانوا قبل هذه الدولة الأخيرة لهم
والبقاء لله وحده وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون لا رب غيره
ولا معبود سواه وهو على كل شيء قدير

حمزة بن على بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد بن محمد بن غزرون

- محمد:
  - عمر
  - عطية بن منديل
  - يعقوب بن زيان بن عبد الملك
  - على بن هارون
  - حمزة بن يحيى
  - عابد
- ثابت:
  - عمر بن منديل
  - حمزة بن زيد بن منصف بن محمد
  - العباس
- منديل:
  - عمر
  - محمد
  - عيسى بن عمر
  - ابراهيم
- عبد الرحمن:
  - يغرزان
  - ماكورد
  - ورجيع
  - غزية

الخبر عن بنى عبد الواد من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم بتلمسان وبلاد المغرب الاوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصائر أحوالهم

قد تقدم لنا فى أول هذه الطبقة الثانية من زناتة ذكر بنى عبد الواد هؤلاء وأنهم من ولد بادين بن محمد اخوة توجين ومصاب وزردال وبنى راشد وأن نسبهم يرتفع الى ورزجيك ابن واسين بن ورسيك بن جانا وذكرنا كيف كانت حالهم قبل الملك فى مواطنهم تلك وكان اخوانهم بمصاب وجبل راشد وفيكك وملوية ووصفنا من حال فتنتهم مع بنى مرين اخوانهم المجتمعين معهم فى النسب فى ورزجيك بن واسين ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك وبنو راشد وبنو زردال ومصاب مستضرين اليهم بالنسب والحلف وبنو توجين منابذين لهم أكثر أزمانهم ولم يزالوا جميعا متغلبين على ضاحية المغرب الاوسط عامة الازمان وكانوا تبعا فيه لبنى وماتوا وبنى يلومى حين كان لهم التغلب فيهم وربما يقال كان شيخهم لذلك العهد يعرف بيوسف بن تكفا حتى اذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحى تلمسان وسارت عساكرهم الى بلاد زناتة تحت راية الشيخ أبى حفص فأوقعوا بهم كما ذكرناه وحسنت بعد ذلك طاعة بنى عبد الواد وانحياشهم الى الموحدين وكانت بطونهم وشعوبهم كثيرة أظهرها فيما يذكرون ستة بنو ياتكين وبنو اولو وبنو ورسطف ونصوحه وبنو تومرت وبنو القاسم ويقولون بلسانهم ائت القاسم وائت حرف الاضافة النسبية عندهم ويزعم بنو القاسم هؤلاء انهم من أولاد القاسم بن ادريس وربما قالوا فى هذا القاسم انه ابن محمد بن ادريس او ابن محمد ابن عبد الله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب ادريس زعما لامستند له الا اتفاق بنى القاسم هؤلاء عليه مع ان البادية بعداء عن معرفة هذه الانساب والله أعلم بصحة ذلك (وقد قال يغمراسن) ابن زيان أبو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبه الى ادريس كما يذكرون فقال برطانتهم ما معناه ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فانما نلناها بسيوفنا ولم تزل رياسة بنى عبد الواد فى بنى القاسم لشدة شوكتهم واعتزاز عصبيتهم وكانوا بطونا كثيرة فمنهم بنو يكمتين بن القاسم وكان منهم بعزن ابن مسعود بن يكمتين وأخواه يكمتين وعمر وكان أيضا منهم اغدوى بن يكمتين الاكبر ويقال الاصغر ومنهم أيضا عبد الحق من منغفاد بن ولد و بعزن وكانت الرياسة عليهم لعهد عبد المؤمن لعبد الحق بن منغفاد واغدوى بن يكمتين وعبد الحق بن منغفاد هو الذى استنقذ الغنائم من يدى بنى مرين وقتل المخضب المسوف حين بعثه عبد المؤمن مع الموحدين لذلك والمؤرخون يقولون عبد الحق بن معاد بميم وعين مهملة مفتوحتين وألف بعدها وهو غلط وليس هذا اللفظ بهذا الضبط من لغة زناتة وانما

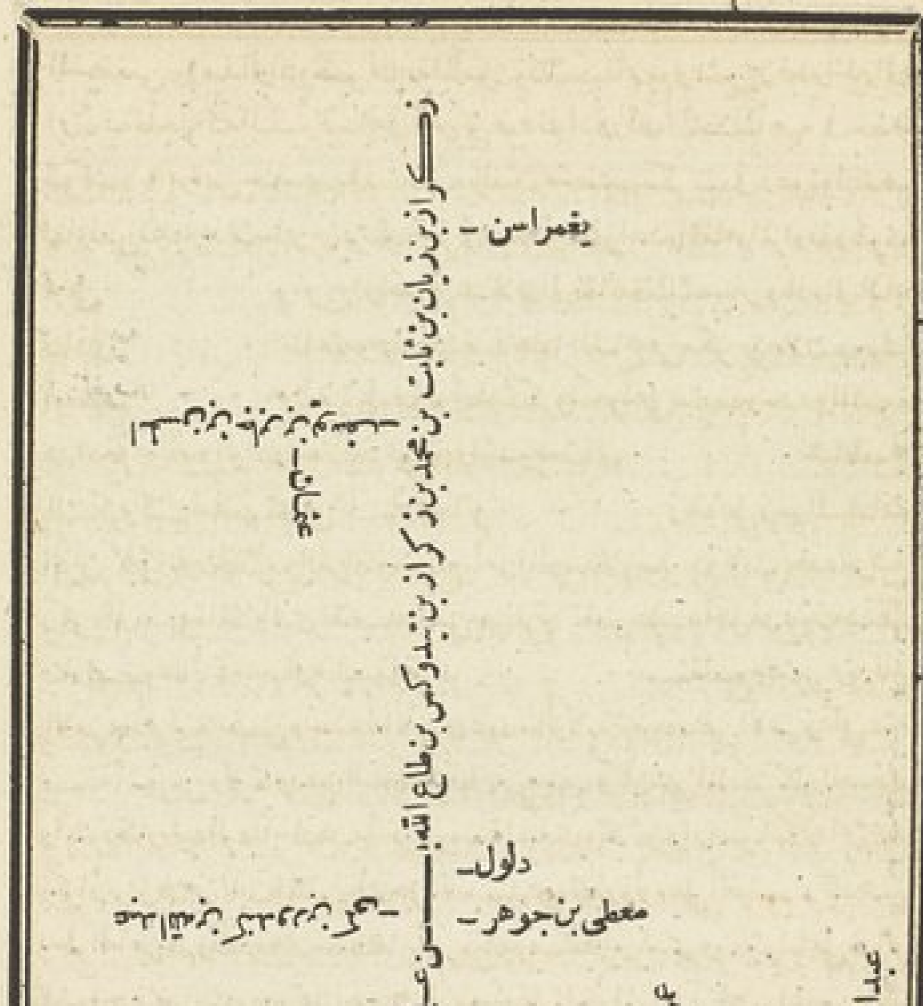
هو تصحيف منغفاد بميم ونون مفتوحتين وغين بعدهما معجمة ساكنة وفاء مفتوحة والله أعلم (ومن بطون) بنى القاسم أيضا بنو مطهر بن يعلى بن يزكين بن القاسم وكان جماعة بن مطهر من شيوخهم لعهد عبد المؤمن وأبلى فى حروب زناتة مع الموحدين ثم حسنت طاعته وانحياشه (ومن بطون) بنى القاسم أيضا بنو علىّ واليهم انتهت رياستهم وهم أشد عصبية وأكثر جمعا وهم أربعة أفخاذ بنو طاع الله وبنو دلول وبنو كمين وبنو معطى بن جوهر والاربعة بنو علىّ ونصاب الرياسة فى بنى طاع الله لبنى محمد ابن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله هذا ملخص الكلام فى نسبهم (ولما) ملك الموحدون بلاد المغرب الاوسط وأبلوا من طاعتهم وانحياشهم ما كان سببا لاستخلاصهم فأقطعوهم عامة بلاد بنى ومانو وأقاموا بتلك المواطن وحدثت الفتنة بين بنى طاع الله وبنى كمين الى أن قتل كندوز بن [بياض بالاصل] من بنى كمين زيان بن ثابت كبير بنى محمد بن زكراز وشيخهم وقام بأمرهم بعده جابر بن عمه يوسف بن محمد فثار كندوز بزيان ابن عمه وقتله فى بعض أيامهم وحروبهم ويقال قتله غيلة وبعث برأسه ورؤس أصحابه الى يغمراسن بن زيان بن ثابت فنصبت عليهم القدور وأثافى شفاية لنفوسهم من شأن أبيه زيان وافترق بنو كمين وفر بهم كبيرهم عبد الله بن كندوز فلحقوا بتونس ونزل على الامير أبى زكريا كما نذكره بعد واستبد جابر بن يوسف بن محمد برياسة بنى عبد الواد وأقام هذا الحى من بنى عبد الواد بضواحى المغرب الاوسط حتى اذا فشل ريح بنى عبد المؤمن وانتزى يحيى بن غانية على جهات قابس وطرابلس وردد الغزو والغارات على بسائط افريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها وعاث فيها وكبس الامصار فاقتحمها بالغارة وافساد السابلة وانتساف الزرع وحطم النعم الى أن خربت وعفا رسمها لسنى الثلاثين من المائة السابعة وكان تلمسان نزلا للحامية ومناخا للسيد من القرابة الذى يضم نشرها ويذب من أكنافها وكان المأمون قد استعمل على تلمسان أخاه السيد أبا سعيد وكان مغفلا ضعيف التدبير وغلب عليه الحسن بن حيون من مشيخة قومه وكان عاملا على الوطن وكانت فى نفسه ضغائن من بنى عبد الواد جرها ما كان حدث لهم من التغلب على الضاحية وأهلها فأغرى السيد أبا سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه فتقبض عليهم واعتقلهم وكان فى حامية تلمسان لمة من بقايا لمتونة تجافت الدولة عنهم وأثبتهم عبد المؤمن فى الديوان وجعلهم مع الحامية وكان زعيمهم لذلك العهد ابراهيم بن اسمعيل بن علان فشفع عندهم فى المشيخة المعتقلين من بنى عبد الواد فردوه فغضب وحمى أنفه وجمع الانتقاض والقيام بدعوة ابن غانية فجدد ملك المرابطين من قومه بقاصية المشرق فاغتال الحسن بن حيون لحينه وتقبض على السيد أبى سعيد وأطلق

المشيخة من بنى عبد الواد ونقض طاعة المأمون وذلك سنة أربع وعشرين فطير الخبر الى
ابن غانية فأجد اليه السير ثم بدا له فى أمر بنى عبد الواد ورأى ان ملاك أمره فى خضد
شوكتهم (١) وقص جناحهم فحدث نفسه بالفتك بمشيختهم ومكر بهم فى دعوة واعدهم
لها وفطن لتدبيره ذلك جابر بن يوسف شيخ بنى عبد الواد فواعده اللقاء والمزاورة وطوى
له على   وخرج ابراهيم بن علان الى لقائه فقتك به جابر وبادر الى البلد
فنادى   طاعته وكشف لاهلها القناع عن مكر بن علان بهم ولما
أوقعهم   بن غانية فحمدوا رأيه وشكروا جابرا على صنيعه وجددوا البيعة
هذا دفع بنى عبد الواد واحلافهم من بنى راشد وبعث الى   فخاطب له
بالشكر وكتب له بالعهد على تلمسان وسائر   زناتة على رسم السادات
الذين كانوا يلون ذلك مع القرابة فاضطلع بأمر المغرب الاوسط (وكانت) هذه الولاية
ركوبا الى صهوة الملك الذى اقتعدوه من بعد ثم انتقض عليه أهل اربونة بعد ذلك
فنازلهم وهلك فى حصارها بسهم غرب   سنة تسع وعشرين وقام
بالامر بعده ابنه الحسن وجدد له المأمون عهده بالولاية ثم ضعف عن الامر وتخلى عنه
لستة أشهر من ولايته ودفع اليه عمه عثمان بن يوسف وكان سيئ الملكة كثير العسف
والجور فثارت به الرعايا بتلمسان وأخرجوه سنة احدى وثلاثين وارتضوا امكانه ابن عمه
زكراز بن زيان بن ثابت الملقب بأبى عزة فاستدعوه لها وولوه على أنفسهم وبلدهم
وسلموا له أمرهم وكان مضطلعا بأمر زناتة ومستبدا برياستهم ومستوليا على سائر
الضواحى فنفس بنو مطهر عليه وعلى قومه بنى على اخوانهم ما آتاهم الله من الملك
واكرمهم الله به من السلطان وحسدوا زكراز وسلفه فيما صار اليه من الملك فشاقوه
ودعوا الى الخروج عليه واتبعهم بنو راشد احلافهم منذ عهد الصحراء وجمع لهم أبو
عزة سائر قبائل بنى عبد الواد فكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك فى بعض أيامها
سنة ثلاث وثلاثين وقام بالامر بعده أخوه يغمراسن بن زيان فوقع التسليم والرضا
وسير القبيل ودان له بالطاعة جميع الامصار وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله
وكان له ذلك سلما الى الملك الذى أورثه بنيه سائر الايام والملك لله يؤتيه من يشاء

(١) قال الجوهرى خضدت الشجر قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود اه

بيض له كله فى الاصل

زكراز



زكراز بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله بن علي بن القاسم بن عبد الواد
يغمراسن
دلول
معطي بن جوهر
منغفاد بن ويعزن بن مسعود بن سيكس
عبد القوي بن
بنو ورصطف
مصوهه والدا

الخبر عن تلمسان وما تأدى الينا من أحوالها من الفتح الى أن تأثل بها سلطان بني عبد الواد ودولتهم

هذه المدينة قاعدة المغرب الاوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم ولم نقف على أخبارها فيما قبل ذلك وما يزعم بعض العامة من ساكنها أنها أزلية البناء وأن الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام هو بناحية اكادير منها فأمر بعيد عن التحصيل لان موسى عليه السلام لم يفارق المشرق الى المغرب وبنو اسرائيل لم يبلغ ملكهم لافريقية فضلا عما وراءها وانما هي من مقالات التشيع المجبول عليه أهل العالم في تفضيل ما ينسب اليه أو ينسبون اليه من بلد أو أرض أو علم أو صناعة ولم أقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأن أبا المهاجر الذي ولي افريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الاولى والثانية توغل في ديار المغرب ووصل الى تلمسان وبه سميت عيون أبي المهاجر قريبا منها وذكرها الطبري عند ذكر أبي قرة واجلائه مع أبي حاتم والخوارج على عمر بن حفص ثم قال فأفرجوا عنه وانصرف أبو قرة الى مواطنه بنواحي تلمسان وذكرها ابن الرقيق أيضا في أخبار ابراهيم بن الاغلب قبل استبداده بافريقية وانه توغل في غزوه الى المغرب ونزلها واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين تلم سان ومعناهما تجمع اثنين يعنون البر والبحر (ولما خلص) ادريس الاكبر بن عبد الله بن الحسن الى المغرب الاقصى واستولى عليه نهض الى المغرب الاوسط سنة أربع وسبعين ومائة فتلقاه محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة وتلمسان فدخل في طاعته وحمل عليها مغراوة وبني يفرن وأمكنه من تلمسان فملكها واختط مسجدها وصعد منبره وأقام بها أشهرا وانكفأ راجعا الى المغرب وجاء على اثره من المشرق أخوه سليمان بن عبد الله فنزلها وولاه أمرها ثم هلك ادريس وضعف أمرهم ولما بويع لابنه ادريس من بعده واجتمع اليه برابرة المغرب نهض الى تلمسان سنة تسع وتسعين ومائة فجدد مسجدها وأصلح منبرها وأقام بها ثلاث سنين دوّخ فيها بلاد زناتة واستوسقت له طاعتهم وعقد عليها لبني محمد ابن عمه سليمان (ولما هلك ادريس) الاصغر واقتسم بنوه أعمال المغرب بإشارة أمه كنزة كانت تلمسان في سهمان عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان وأعمالها لبني أبيه محمد بن سليمان فلما انقرضت دولة الادارسة من المغرب وولي أمره موسى بن أبي العافية بدعوة الشيعة نهض الى تلمسان سنة تسع عشرة وغلب عليها أميرها لذلك العهد الحسن بن أبي العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان فنزع عنها الى مليلة وبنى حصنا لامتناعه بناحية نكور فحاصره مدة ثم عقد له سلما على حصنه ولما تغلب الشيعة على

المغرب الاوسط أخرجوا أعقاب محمد بن سليمان من سائر أعمال تلمسان فأخذوا بدعوة بنى أمية من وراء البحر وأجازوا اليهم وتغلب يعلى بن محمد اليفرنى على بلاد زناتة والمغرب الاوسط فعقد له الناصر الاموى عليها وعلى تلمسان أعوام أربعين وثلثمائة ولما هلك يعلى وأقام بأمر زناتة بعده محمد بن الخير بن محمد بن خزر داعية الحكم المستنصر بتلمسان أعوام ستين وهلك فى حروب صنهاجة وغلبوهم على بلادهم وانجلوا الى المغرب الاقصى ودخلت تلمسان فى عمالة صنهاجة الى أن انقسمت دولتهم وافترق أمرهم واستقل بامارة زناتة وولاية المغرب زيرى بن عطية وطرده المنصور عن المغرب أعوام فصارا الى بلاد صنهاجة وأجلب عليها ونازل معاقلهم وأمصارهم مثل تلمسان وهراة وتنس واشير والمسيلة ثم عقد المظفر بعد حين لابنه المعز بن زيرى على أعمال المغرب سنة ست وتسعين فاستعمل على تلمسان ابنه يعلى بن زيرى واستقرت ولايتها فى عقبه الى أن انقرض أمرهم على يد لمتونة وعقد يوسف بن تاشفين عليها لمحمد بن تينعمر المستوفى وأخيه تاشفين من بعده واستحكمت الفتنة بينه وبين المنصور ابن الناصر صاحب القلعة من ملوك بنى حماد ونهض الى تلمسان وأخذ بمخنقها وكاد أن يغلب عليها كما ذكرنا ذلك كله فى مواضعه (ولما غلب) عبد المؤمن لمتونة وقتل تاشفين ابن على بوهران خربها وخرب تلمسان بعد أن قتل الموحدون عامة أهلها وذلك أعوام أربعين من المائة السادسة ثم راجع رأيه فيها وندب الناس الى عمرانها وجمع الايدى على رم ما تثلم من أسوارها وعقد عليها لسليمان بن واندين من مشايخ هنتانة وأخيار الموحدين وسبب هذا الحى من بنى عبد الواد بما أبلى من طاعتهم وانحياشهم ثم عقد عليها لابنه السيد أبى حفص ولم يزل آل عبد المؤمن بعد ذلك يستعملون عليها من قرابتهم وأهل بيتهم ويرجعون اليه أمر المغرب كله وزناتة أجمع اهتماما بأمرها واستعظاما لعملها وكان هؤلاء الاحياء من زناتة بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو راشد غلبوا على ضواحى تلمسان والمغرب الاوسط وملكوها وتقلبوا فى بسائطها واحتازوا باقطاع الدولة الكثير من أرضها والطيب من بلادها والوافر للجباية من قبائلها فاذا خرجوا الى مشاتيهم بالصحراء خلفوا أتباعهم وحاشيتهم بالتلول لاعتمار أرضهم وازدراع فدنهم وجباية الخراج من رعاياهم وكان بنو عبد الواد من ذلك فيما بين البطحاء وملوية ساحله ورنغة وصحراوة وصرف ولاة الموحدين بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم بشأنها الى تحصينها وتشييد أسوارها وحشد الناس الى عمرانها والتأنى فى عمرانها واتخاذ الصروح والقصور بها والاحتفال فى مقاصد الملك واتساع خطة الدور وكان من أعظمهم اهتماما بذلك وأوسعهم فيه نظرا السيد أبو عمران موسى

بياض بالاصل

ابن أمير المؤمنين يوسف ووليها سنة ست وخمسين على عهد أبيه يوسف بن عبد المؤمن
واتصلت أيام ولايته فيها فشيد بناءها وأوسع خطتها وأدار سياج الاسوار عليها ووليها
من بعد السيد أبو الحسن بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن وتقبل فيها مذهبه
(ولما كان) من أمر ابن غانية وخروجه من ميورقة سنة احدى وغانين ماقدمناه
وكبسوا بجاية فملكوها وتخطوا الى الجزائر ومليانة فغلبوا عليها تلافى السيد أبو
الحسن أمره بانعام النظر فى تشييد أسوارها والاستبلاغ فى تحصينها وسد فروجها
واعماق الحفائر نطاقا عليها حتى صيرها من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره وتقبل
ولاتها هذا المذهب من بعده فى المعتصم بها (واتفق من الغرائب) أن أخاه السيد
أبازيد هو الذى دفع لحرب بنى غانية فكان لها فى رقع الخرق والمدافعة عن الدولة آثار
وكان ابن غانية قد اجتمع اليه ذوبان العرب من الهلاليين بافريقية وخالفتهم زغبة احدى
بطونهم الى الموحدين وتحيزوا الى زناتة المغرب الاوسط وكان مفزعهم جميعا ومرجع
نقضهم وابرامهم الى العامل بتلمسان من السادة أبى مثواهم وحامى حقيقتهم وكان ابن
غانية كثيرا ما يجلب على ضواحى تلمسان وبلاد زناتة ويطرقها مع من ناعق الفتنة الى
ان خرب كثيرا من أمصارها مثل تاهرت وغيرها فأصبحت تلمسان قاعدة المغرب
الاوسط وأم هؤلاء الاحياء من زناتة والمغرب الكافية لهم المهيئة فى حجرها مهاد نومهم
لما خربت المدينتان اللتان كانتا من قبل قواعد فى الدول السالفة والعصور الماضية
وهما أرشكول بسيف البحر وتاهرت فيما بين الريف والصحراء من قبلة البطحاء وكان
خراب هاتين المدينتين فيما خرب من أمصار المغرب الاوسط فتنة ابن غانية وباجلاب
هؤلاء الاحياء من زناتة وطلوعهم على أهلها بسوم الخسف والعيث والنهب وتخطف
الناس من السابلة وتخريب العمران ومغالبتهم حاميتها من عساكر الموحدين مثل
قصر عجيسة وزرفة والخضراء وشلب ومتيجة وحمزة ومرسى الدجاج والجعبات ولم يزل
عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع والصروح بها بالاجر والقهر تعلى وتشاد الى أن نزلها
آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم فاختطوا بها القصور المونقة
والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم
أمصار المغرب ورحل اليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع
فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الاعلام وضاهت أمصار الدول الاسلامية والقواعد
الخلافية والله وارث الارض ومن عليها

{الخبر عن استقلال يغمراسن بن زيان بالملك والدولة بتلمسان
وما اليها وكيف مهد الامر لقومه وأصاره تراثا لبنيه}

كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد هذا الحى بأسا وأعظمهم فى النفوس مهابة واجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة شهدت له بذلك آثاره قبل الملك وبعده وكان مرموقا بعين التجلة مؤملا للامر عند المشيخة وتعظمه من أمره الخاصة وتفزع اليه فى نوائبها العامة فلما ولى هذا الامر بعد أخيه أبى عزة زكراز بن زيان سنة ثلاث وثلاثين قام به أحسن قيام واضطلع باعبائه وظهر على بنى مطهر وبنى راشد الخارجين على أخيه وأصارهم فى جملته وتحت سلطانه وأحسن السيرة فى الرعية واستمال عشيرته وقومه وأحلافهم من زغبة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح واستلحق العساكر من الروم والغز وناشئه وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب وبعث فى الاعمال ولبس شارة الملك والسلطان واقتعد الكرسى ومحا آثار الدولة المؤمنية وعطل من الامر والنهى دستها ولم يترك من رسوم دولتهم وألقابها الا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش وتقلد العهد من يده تأنيسا للكافة ومرضاة للاكفاء من قومه ووفد عليه لاول دولته ابن وضاح اثر الموحدين أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الاندلس فآثره وقرب مجلسه وأكرم نزله وأحله من الخلة والشورى بمكان اصطفاه له ووفد فى جملته أبو بكر بن خطاب المبايع لاخيه بمرسية وكان مرسلا بليغا وكاتبا مجيدا وشاعرا محسنا فاستكتبه وصدر عنه من الرسائل فى خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس فى عهود بيعاتهم ما تنوقل وحفظ ولم يزل يغمراسن محاميا عن غيله محاربا لعدوه وكانت له مع ملوك الموحدين من آل عبد المؤمن ومديلتهم آل أبى حفص مواطن فى التحرس به ومنازلة بلده نحن ذاكروها كذلك وبينه وبين أقتاله بنى مرين قبل ملكهم المغرب وبعد ملكه وقائع متعددة وله على زناتة الشرف من توجين ومغراوة فى فل جموعهم وانتساف بلادهم وتخريب أوطانهم وأيام مذكورة وآثار معروفة نشير الى جميعها ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء الامير أبى زكريا على تلمسان ودخول يغمراسن فى دعوته)

لما استقل يغمراسن بن زيان بأمر تلمسان والمغرب الاوسط وظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة نفسوا عليه ما آتاه الله من العز وكرمه به من الملك فنابذوه العهد وشاقوه الطاعة وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة فشمر لحربهم ونازلهم فى ديارهم وأجحرهم فى أمصارهم ومعتصماتهم من شواهق الجبال وممتنع الامصار وكانت له عليهم أيام مشهورة ووقائع معروفة وكان متولى كبر هذه المشاقة عبد القوى ابن عباس شيخ بنى توجين أقتالهم من بنى يادين والعباس بن مندبل بن عبد الرحمن واخوته أمراء

ناقص بالاصل

مغراوة وكان المولى الامير أبو زكريا بن أبي حفص منذ استقل بأمر افريقية واقتطعها من الايالة المؤمنية سنة خمس وعشرين كما ذكرناه متطاولا الى احتياز المغرب والاستيلاء على كرسي الدعوة بمراكش وكان يرى أن بمظاهرة زناتة له على شأنه يتم له ما يسمو اليه من ذلك فكان يداخل أمراء زناتة فيرغبهم ويراسلهم بذلك على الاحيان من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين ومغراوة وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة بني عبد المؤمن أقام دعوتهم بعمله متحيزا اليهم سلما لوليهم وحربا على عدوهم وكان الرشيد قد ضاعف له البر والخلوص وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة وعاوده الاتحاف بأنواع الالطاف والهدايا عام سبع وثلاثين تقمنا لمسراته وميلا اليه عن جانب أقتال بني مرين المجلبين على المغرب والدولة وأحفظ الامير أبا زكريا بن عبد الواحد صاحب افريقية ما كان من اتصال يغمراسن بالرشيد وهو من جواره بالمحل القريب واستكره ذلك وبينما هو على ذلك اذ وفد عليه عبد القوي بن عباس وولد منديل بن محمد صريخين على يغمراسن وسهلوا له أمره وسولوا له الاستيلاء على تلمسان وجمع كلمة زناتة واعتداد ذلك ركابا لما يرومه من امتطاء ملك الموحدين وانتظامه في أمره وسلما للارتقاء لما يسمو اليه من ملكه وبابا للولوج على أهله فحركه املاؤهم وهزه الى النعرة صريخهم وأهاب بالموحدين وسائر الاولياء والعساكر على الحركة على تلمسان واستنفر لذلك سائر البدو من الاعراب الذين في عمله من بني سليم ورياح بظعنهم [بياض في الاصل] لداغية ونهض سنة تسع وثلاثين في عساكر ضخمة وجيوش وافرة وسرح أمام حركته عبد القوي ابن العباس وأولاد منديل بن محمد لحشد من بأوطانهم من أحياء زناتة وأتباعهم وذوبان قبائلهم وأحياء زغبة احلافهم من العرب وضرب معهم لموافاتهم في تخوم بلادهم ولما نزل زاغر قبلة تيطري منتهى مجالات رياح وبني سليم في المغرب وافته هنالك أحياء زغبة من بني عامر وسويد وارتحلوا معه حتى نازل تلمسان بجمع عساكر الموحدين وحشد زناتة وظعن المغرب بعد أن قدم الى يغمراسن الرسل من مليانة والاعذار والبراءة والدعاء والطاعة فرجعهم بالخيبة (ولما حلت) عساكر الموحدين بساحة البلد وبرز يغمراسن وجوعه نضحتهم ناشبة السلطان بالنبل فانكشفوا ولاذوا بالجدران وعجزوا عن حماية الاسوار فاستمكنت المقاتلة من الصعود ورأى يغمراسن ان قد أحيط بالبلد فقصد باب العقبة من أبواب تلمسان ملتفا على ذويه وخاصته واعترضه عساكر الموحدين فصمد نحوهم وجدل بعض أبطالهم فافرجوا له ولحق بالصحراء وانسلت الجيوش الى البلد من كل حدب فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الاموال ولما تجلى غشاء تلك الهيعة وحسر تيار

الصدمة وخمدت نار الحرب راجع الموحدون بصائرهم وأمعن الامير نظره فيمن يقلده أمر تلمسان والمغرب الاوسط وينزله بثغرها لاقامة دعوته الدائلة من بنى عبد المؤمن والمدافعة عنها واستكبر ذلك أشرافهم وتدافعوه وتبرأ أمراء زناتة منه ضعفا عن مقاومة يغمراسن وعلما بأنه الفحل الذى لا يجدع أنفه ولا يطرق غيله ولا يصد عن فريسته وسرح يغمراسن الغارات فى نواحى العسكر فاختطفوا الناس من حوله وأطلوا من المراقب عليه وخاطب يغمراسن خلال ذلك الامير أبا زكريا راغبا فى القيام بدعوته بتلمسان فراجعه بالاسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش وسوغه على ذلك جباية اقتطعها له وأطلق أيدى العمال ليغمراسن على جبايتها ووفدت أمه سوط النساء للاشتراط والقبول فأكرم موصلها وأسنى جائزتها وأحسن وفادتها ومنقلبها وارتحل الى حضرته لسبع عشرة ليلة من نزوله فى أثناء طريقه ووسوس اليه بعض الحاشية باستبداد يغمراسن عليه وأشاروا باقامة منافسيه من زناتة فأجابهم وقلد عبد القوى بن عطية التوجينى والعباس بن منديل المغراوى وعلى بن منصور الملكيشى على قومهم ووطنهم وعهد اليهم بذلك وأن لهم فى اتخاذ الآلة والمراسم السلطانية على سنن يغمراسن قريعهم فاتخذوها بحضرته وبمشهد من ملك الموحدين وأقاموا مراسمها ببابه وأعد السير لتونس قرير العين بامتداد الملك وبلوغ وطره والاشراف على اذعان المغرب لطاعته وانقياده وحكمه واداله عبد المؤمن فيه بدعوته ودخل يغمراسن بن زيان ووفى للامير أبى زكريا بعهده وأقام بها الدعوة له على سائر منابره وصرف الى مناقبه من زناتة وجوه عزائمه فأذاق عبد القوى وأولاد عباس وأولاد منديل نكال الحرب وسامهم سوء العذاب والفتنة وجاس خلال ديارهم وتوغل فى بلادهم وغلبهم على الكثير من ممالكهم وشرد عن الامصار والقواعد ولاتهم وأشياعهم ودعاتهم ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوانهم وسوء ملكتهم وثقيل عسفهم ولم يزل على تلك الحال الى أن كان من حركة صاحب مراكش

بياض بالاصل

يغمراسن بالدولة الحفصية ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن نهوض السعيد صاحب مراكش ومنازلته يغمراسن بجبل تامزردكت ومهلكه هنالك﴾

لما انقضت دولة بنى عبد المؤمن وانتزى الثوار والدعاة بقاصية أعمالهم وقطعوها عن ممالكهم فاقتطع ابن هود ما وراء البحر من جزيرة الاندلس واستبد بها وورى بالدعاء للمستنصر بن الظاهر خليفة بغداد من العباسيين لعهده ودعا الامير أبو زكريا بن أبى حفص بافريقية لنفسه وسما الى جمع كلمة زناتة والتغلب على كرسى الدعوة بمراكش

فنازل تلمسان وغلب عليها سنة أربعين وقارن ذلك ولاية السعيد على بن المأمون
ادريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان شهما حازما يقظا بعيد
الهمة فنظر فى أعطاف دولته وفاض الملأ فى تثقيف أطرافها وتقويم مائلها وأثار
حفائظهم ما وقع من بنى مرين فى ضواحى المغرب ثم فى أمصاره واستيلائهم على مكناسة
واقامتهم الدعوة الحفصية فيها كما ذكرناه فجهز المولد والعساكر وأزاح عللهم واستنفر
عرب المغرب وما يليه واحتشد كافة المصامدة ونهض من مراكش آخر سنة خمس
وأربعين يريد القاصية ويشرد بنى مرين عن الامصار الدانية   والحشود بياض فى الأصل
بوادى بهت وأغذ السير الى تازى فوصلته هنالك طاعة بنى مرين كما ذكره ونفر معه
عسكر منهم ونهض الى تلمسان وما وراءها ونجا يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد بأهليهم
وأولادهم الى قلعة تامزردكت قبلة وجدة فاعتصموا بها ووفد على السعيد الفقيه
عبدون وزير يغمراسن مؤديا للطاعة   فى مذاهب الخدمة ومتوليا بياض فى الأصل
من حاجات الخليفة بتلمسان ما يدعوه اليه ويصرفه فى سبيله ومعتذرا عن وصول
يغمراسن فلج الخليفة فى شأنه ولم يعذره وأبى الا مباشرة طاعته بنفسه وساعده فى ذلك
كانون بن جرمون السفيانى صاحب الشورى بمجلسه ومن حضر من الملأ ورجعوا
عبدون بالاستقدام فتثاقل خشية على نفسه واعتمد السعيد الجبل فى عساكره وأناخ
بها فى ساحة   وأخذ بمخنقهم ثلاثا وارتحل ابعها راكبا مهجرا على حين غفلة من بياض فى الأصل
الناس فى قائلة ليتطوف على المعتصم ويتقرى مكامنه فبصر به فارس من القوم يعرف
يوسف بن عبد المؤمن الشيطان كان أسفل الجبل للاحتراس وقريبا منه يغمراسن
ابن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر فانقضوا عليه من بعض الشعاب وطعنه يوسف
فأكبه عن فرسه وقتل يعقوب بن جابر وزيره يحيى بن عطوش ثم استلحموا لوقتهم مواليه
ناصحا من العلوج وعنبرا من الخصيان وقائد جند النصارى أخو العمط ووليدا يافعا
من ولد السعيد (ويقال) انما كان ذلك يوم عبى العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم
امام الناس فاقتطعه بعض الشعاب المتوعرة فى طريقه فتواثب به هؤلاء الفرسان وكان
ما ذكرناه وذلك فى صفر سنة ست وأربعين ووقعت النفرة فى العساكر لطائر الخبر
فأجفلوا وبادر يغمراسن الى السعيد وهو صريع بالارض فنزل اليه وحياه وفداه
واقسم له على البراءة من هلكته والخليفة واجم عن مرعه يجود بنفسه الى ان فاض وانتهب
المعسكر بجملته وأخذ بنو عبد الواد ما كان به من الاخبية والعازات واختص
يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه واستولى على الذخيرة التى كانت
فيه منها مصحف عثمان بن عفان يزعمون أنه أحد المصاحف التى انتسخت لعهد خلافته

وانه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ثم صار فى ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ثم الى خزائن الموحدين من خزائن لمتونة وهو لهذا العهد فى خزائن بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان حين غلبهم اياهم على تلمسان واقتحامها عنوة على ملكها منهم عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن فريسة السلطان أبى الحسن مقتحمها غلابا سنة سبع وثلاثين كما نذكره ومنها العقد المنتظم من خرزات الياقوت الفاخرة والدرر المشتمل على مئين متعددة من حصباته يسمى بالثعبان وصار فى خزائن بنى مرين بعد ذلك الغلاب فيما اشتملوا عليه من ذخيرتهم الى أن تلف فى البحر عند غزو الاسطول بالسلطان أبى الحسن بمرسى بجاية مرجعه من تونس حسبما نذكره بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشباهه مما يستخلصه الملوك لخزائنهم ويعنون به من ذخائرهم ولما سكنت النفرة وركد عاصف تلك الهيعة نظر يغمراسن فى شأن مواراة الخليفة فجهز ورفع على الاعواد الى مدفنه بالعباد بمقبرة الشيخ أبى مدين عفا الله عنه ثم نظر فى شأن حرمه وأخته تاعزونت الشهيرة الذكر بعد أن جاءها واعتذر اليها مما وقع وأصحبهن جملة من مشيخة بنى عبد الواد الى مأمنهن والحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان له بذلك حديث جميل فى الابقاء على الحرم ورعى حقوق الملك ورجع الى تلمسان وقد خضدت شوكة بنى عبد المؤمن وأمنهم على سلطانه والله أعلم

(الخبر عما كان بينه وبين بنى مرين من الاحداث سائر أيامه)

قد ذكرنا ما كان بين هذين الحيين من المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة وكان الضخم بين الفريقين وادى صا والى فجيج وكان بنو عبد المؤمن عند فشل الدولة وتغلب بنى مرين على ضاحية المغرب يستجيشون بنى عبد الواد مع عساكر الموحدين على بنى مرين فيجوسون خلال المغرب ما بين تازى الى فاس الى القصر فى سبيل المظاهرة للموحدين والطاعة لهم وسنذكر فى أخبار بنى مرين كثيرا من ذلك فلما هلك السعيد وأسف بنو مرين الى ملك المغرب سما ليغمراسن أمل فى مزاحمتهم وكان أهل فاس وقد تغلب أبو يحيى بن عبد الحق عليهم قد نقموا على قومه سوء السيرة وتمشت رجالاتهم فى الملاذ بطاعة الخليفة المرتضى ففعلوا فعلتهم فى القتل بعامل أبى يحيى بن عبد الحق والرجوع الى طاعة الخليفة وأغذ أبو يحيى المسير الى منازلتهم فحاصرهم شهورا وفى أثناء هذا الحصار اتصلت المخاطبة بين الخليفة المرتضى ويغمراسن بن زيان فى الاخذ بحجزة أبى يحيى بن عبد الحق بفاس فأجاب يغمراسن داعيه واستنفر لها اخوانه من زناتة فنفر معه عبد القوى بن عطية بقومه من

توجين وكافة القبائل من زناتة والمغرب ونهضوا الى وبلغ خبرهم الى أبي
يحيي بن عبد الحق بمكانه من حصار فاس فجهز كتائبه عليها ونهض للقائهم في بقية
العساكر والتقى الجمعان بايسلي من ناحية وجدة وكانت هنالك الواقعة المشهورة بذلك
المكان انكشف فيها جموع يغمراسن وغيره ورجعوا في فلهم الى تلمسان
واتصلت بعد ذلك بينهم الحروب والفتنات سائر أيامه وربما تخللتها الهدنات قليلا وكان
بينه وبين يعقوب بن عبد الحق ذمة مواصلة أوجب له رعيها وكثيرا ما كان يثني عليه
أخوه أبو يحيي من أجلها ونهض أبو يحيي بن عبد الحق سنة خمس وخمسين الى قتاله وبرز
اليه يغمراسن وتزاحفت جموعهم بأبي سليط فانهزم يغمراسن واعتزم أبو يحيي على
اتباعه فرده أخوه يعقوب بن عبد الحق (ولما) قفل الى المغرب صمد يغمراسن الى
سجلماسة لمداخلة كانت بينه وبين المنبات من عرب المعقل أهل مجالاتها وذؤبان فلاتها
حدثته نفسه باهتبال الغرة في سجلماسة من أجلها وكانت قد صارت الى ايالة أبي يحيي
ابن عبد الحق منذ ثلاث كما ذكرناه في أخبارهم ونذر بذلك أبو يحيي فسابق اليها
يغمراسن بمن حضره من قومه فثقفها ووصل يغمراسن عقب ذلك بعساكره وأناخ بها
وامتنعت عليه فأفرج عنها قافلا الى تلمسان وهلك أبو يحيي بن عبد الحق اثر ذلك منقلبه
الى فاس فاستنفر يغمراسن أولياءه من زناتة وأحياء زغبة ونهض الى المغرب سنة
سبع وخمسين وانتهى الى كلدامان ولقيه يعقوب بن عبد الحق في قومه فأوقع به وولى
يغمراسن منهزما ومر في طريقه بتافرسيت فانتسفها وعاث في نواحيها ثم تداعوا للسلم
ووضع أوزار الحرب وبعث يعقوب بن عبد الحق ابنه أبا مالك بذلك فتولى عقده وابرامه
ثم كان التقاؤهما سنة تسع وخمسين بوادي قبالة بني يزناسن واستحكم عقد الوفاق
بينهما بذلك واتصلت المهادنة الى ان كان بينهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن كائنة النصارى وايقاع يغمراسن بهم)

كان يغمراسن بن زيان بعد مهلك السعيد وانفضاض عساكر الموحدين قد استخدم
طائفة من جند النصارى الذين كانوا في جملته مستكثرا بهم معتدا بمكانهم مباهيا بهم في
المواقف والمشاهد ونالوا من طرفا من حبل عنايته فاعتزوا به واستفحل أمرهم بتلمسان
حتى اذا كان سنة ثنتين بعد مرجعه من بلاد توجين في احدى حركاته اليها كانت قصة
غدرهم الشنعاء التي أحسن الله في دفاعها عن المسلمين وذلك أنه ركب في بعض أيامه
لاعتراض الجنود بباب القرمادين من أبواب تلمسان وبينما هو واقف في موكبه عند
قائلة الضحى اعتاعليه قائدهم وبادر النصارى الى محمد بن زيان أخي يغمراسن فقتلوه
وأشار له بالنجوى فبرز من الصف لاسراره وأمكنه من أذنه فتمكن به النصراني وقد

خالطه روعة أحس منها يغمراسن بمكره فانحاص منه وركض النصراني امامه يطلب النجاة وتبين الغدر وثارت بهم الدهماء من الحامية والرعايا فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدى الهلاك بكل مهلك قعصا بالرماح وهبرا بالسيوف وشدخا بالعصى والحجارة حتى استلحموا وكان يوما مشهودا ولم يستخدم من بعدها جند النصارى بتلمسان حذرا من غائلتهم ويقال ان محمد بن زيان هو الذى داخل القائد فى الفتك بأخيه يغمراسن وانه انما قتله عندما لم يتم لهم الامر تبرأ من مداخلته فلم يهمله غاشى الهيعة المتثبت فى شأنها والله أعلم

(الخبر عن تغلب يغمراسن على سجلماسة ثم مصيرها بعد الى ايالة بنى مرين)

كان عرب المعقل منذ دخول العرب الهلاليين الى صحراء المغرب الاقصى احلافا وشيعا لزناتة وأكثر انحياشهم الى بنى مرين الاذوى عبيد الله منهم لما كانت مجالاتهم لصق مجالات بنى عبد الواد ومشاركة لها ولما استفحل شأن بنى عبد الواد بين يدى ملكهم زحوهم عنها بالمناكب ونبذوا اليهم العهد واستلحقوا دونهم المنبات من ذوى منصور اقتالهم فكانوا احلافا وشيعة ليغمراسن ولقومه وكانت سجلماسة فى مجالاتهم ومنقلب رحلتهم وكانت قد صارت الى ملك بنى مرين ثم استبد بها القطرانى ثم ثاروا به ورجعوا الى طاعة المرتضى وتولى كبر ذلك على بن عمر كما ذكرناه فى أخبار بنى مرين ثم تغلب المنبات على سجلماسة وقتلوا عاملها على بن عمر سنة ثنتين وستين وآثروا يغمراسن بملكها وداخل أهل البلد فى القيام بدعوته وحملوهم عليها وحاجنوا يغمراسن فنهض اليها فى قومه وأمكنوه من قيادها فضبطها وعقد عليها لولده يحيى وأنزل معه ابن أخته حنينة واسمه عبد الملك بن محمد بن على بن قاسم بن درم من ولد محمد وأنزل معهما يغمراسن بن حمامة فيمن معهم من عشائرهم وحشمهم فأقام ابنه يحيى أميرا عليها الى أن غلب يعقوب بن عبد الحق الموحدين على دار خلافتهم واطاعته طنجة وعامة بلاد المغرب فوجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من طاعة يغمراسن وزحف اليها فى العساكر والحشود من زناتة والعرب والبربر ونصب عليها آلات الحصار الى أن سقط جانب من سورها فاقتحموها منه عنوة فى صفر سنة ثلاث وسبعين واستباحوها وقتل القائدان عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة ومن معهم من بنى عبد الواد أمراء المنبات وصارت الى طاعة بنى مرين آخر الايام والملك بيد الله يؤتيه من يشاء

(الخبر عن حروب يغمراسن مع يعقوب بن عبد الحق)

قد ذكرنا ما كان من شان بنى عبد المؤمن عند فشل دولتهم واستطالة بنى مرين عليهم فى الاستظهار ببنى عبد الواد واتصال ايديهم فى الاخذ بحجزة عدوهم من بنى مرين عليهم

ولما هلك المرتضى وولى أبو دبوس سنة خمس وستين وحمى وطيس فتنته مع يعقوب بن عبد الحق فراسل يغمراسن فى مدافعته وأكد العهد واسنى الهدية وأجلب اليه يغمراسن وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرمها نارا وكان يعقوب بن عبد الحق محاصر المراكش فأفرج عنها ورجع الى المغرب واحتشد جموعه ونهض الى لقائه وتزاحف الفريقان بوادى تلاغ وقد استكمل كل تعبيته وكانت الوقيعة على يغمراسن استبيحت فيها حرمه واستلحم قومه وهلك ابنه أبو حفص عمر أعز ولده عليه فى أتراب له من عشيرته مثل ابن أخته عبد الملك بن حنينة وابن يحيى بن مكى وعمر بن ابراهيم بن هشام ورجع عنه يعقوب بن عبد الحق الى مراكش حتى انقضى شأنه فى التغلب عليها ومحى أثر بنى عبد المؤمن منها ونزع لمحاربة بنى عبد الواد وحشد كافة أهل المغرب من المصامدة والجموع والقبائل ونهض الى بنى عبد الواد سنة سبعين فبرز اليه يغمراسن فى قومه وأوليائه من مغراوة والعرب وتزاحفوا بايسلى من نواحى وجدة فكانت الدبرة على يغمراسن وانكشف جموعه وقتل ابنه فارس ونجا بأهله بعد ان أضرم معسكره نارا تفاديا من معرة اكتساحه ونجا الى تلمسان فانحجر بها وهدم يعقوب بن عبد الحق وجدة ثم نازله بتلمسان واجتمع اليه هنالك بنو توجين مع أميرهم محمد ابن عبد القوى وصل يده بيد السلطان على يغمراسن وقومه وحاصروا تلمسان أياما فامتنعت عليهم وأفرجوا عنها وولى كل الى عمله ومكان ملكه حسبما نذكره فى أخبارهم وانعقدت بينهما المهادنة من بعد ذلك وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد ويغمراسن لمغالبة توجين ومغراوة على بلادهم الى أن كان من شأنهم ما نذكره والله أعلم

(الخبر عن شأن يغمراسن مع مغراوة وبنى توجين وما كان بينهم من الاحداث)

كانت مغراوة فى مواطنهم الاولى من نواحى شلب قد ساءتهم الدول عند تلاشى ملكهم وساموهم الجباية فرضوا بها مثل بنى ورسفين وبنى يلنت وبنى ورتزمير وكان فيهم سلطان لبنى منديل بن عبد الرحمن من أعقاب آل خزر ملوكهم الاولى منذ عهد الفتح وما بعده على ما ذكرناه فى خبرهم فلما انتثر عقد الخلافة بمراكش وتشظت عصاها وكثر الثوار والخوارج بالجهات استقل منديل بن عبد الرحمن وبنوه بتلك الناحية وملكوا مليانة وتنس وشرشال وما اليها وتطاولوا الى متيجة فتغلبوا عليها ثم مدوا أيديهم الى جبل وانشريس وما اليه فتناولوا الكثير من بلاده ثم أزاحهم عنها بنو عطية الحيو وقومه من بنى توجين المجاورون لهم فى مواطنهم بأعالى شلب شرقى أرض السوس وكان ذلك لاول دخول أحياء زناتة الناجعة بأرض القبلة الى التلول فتغلب بنو عبد الواد على نواحى تلمسان الى وادى صا وتغلب بنو توجين على ما بين الصحراء والتل من بلد المرية

الى جبل وانشريس الى مرات الجعبات وصار التخم لملك بنى عبد الواد سك والبطحاء فمن قبليها مواطن بنى توجين ومن شرقيها مواطن مغراوة وكانت الفتنة بين بنى عبد الواد وبين هذين الحيين من أول دخولهم الى التلول (وكان المولى) الامير أبو زكريا بن أبى حفص يستظهر بهذين الحيين على بنى عبد الواد ويراغمهم بهم حتى كان من فتح تلمسان ماقدمناه وألبس جميعهم شارة الملك على ماذكرناه ونذكره فى أخبارهم فزاحموا يغمراسن بعدها بالمناكب وصرف هواليهم وجه النقمة والحروب ولم يزل الشأن ذلك حتى انقرض ملك هذين الحيين لعهد ابنه عثمان بن يغمراسن وعلى يده ثم على يد بنى مرين من بعدهم كما يأتى ذكره (ولما رجع) يغمراسن بن زيان من لقاء بنى مرين بايسلى من نواحى وجدة وهلك مرجعه منها أنفذ يغمراسن العهد لابنه محمد الامير بعده وزحف الى بلاده فجاس خلالها ونازل حصونها فامتنعت عليه وأحسن محمد بن عبد القوى فى دفاعه ثم زحف ثانية سنة خمسين اليهم فنازل حصن تافركينت من حصونهم وكان به على بن أبى زيان حافد محمد بن عبد القوى فامتنع به فى طائفة من قومه ورجع يغمراسن كظيما ولم يزل يغمراسن بعدها يثير الغارات على بلادهم ويجمع الكتائب على حصونهم وكان تافركينت صنيعة من صنائع بنى عبد القوى ونسبه فى صنهاجة أهل ضاحية بجاية اختص بهذا الحصن ورسخت قدمه فيه واعتز بكثرة ماله وولده فأحسن الدفاع عنه وكان له مع يغمراسن فى الامتناع عليه أخبار مذكورة حتى سطا به بنو محمد بن عبد القوى حين شرهوا الى نقمته وأنفوا من استبداده فأتلفوا نفسه وتخطفوا نعمته فكان حتف ذلك الحصن فى حتفه كما يأتى ذكره (وعند) ماشبت نار الفتنة بين يغمراسن ومحمد بن عبد القوى وصل محمد يده بيعقوب بن عبد الحق فلما نازل يعقوب تلمسان سنة سبعين بعد أن هدم وجدة وهزم يغمراسن بايسلى جاءه محمد بن عبد القوى بقومه من بنى توجين وأقام معه على حصارها ورحلوا بعد الامتناع عليهم فرجع محمد الى مكانه ثم عاود يعقوب بن عبد الحق منازلة تلمسان سنة ثمانين وستمائة بعد ايقاعه بيغمراسن فى خرزوزة فلقيه محمد بن عبد القوى بالقصبات واتصلت أيديهم على تخريب بلاد يغمراسن مليا ونازلوا تلمسان أياما ثم افترقوا ورجع كل الى بلده (ولما) خلص يغمراسن بن زيان من حصاره زحف الى بلادهم وأوطأ عساكره أرضهم فغلب على الضاحية وخرب عمرانها الى أن تملكها بعده ابنه عثمان كما نذكره (وأما) خبره مع مغراوة فكان عمادرأيه فيهم التغريب بين بنى منديل بن عبد الرحمن للمنافسة التى كانت بينهم فى رياسة قومهم ولما رجع من واقعة تلاغ سنة ست وستين وهى الواقعة التى هلك فيها ولده عمر زحف بعدها الى بلاد مغراوة فتوغل فيها وتجاوزها الى من

وراءهم من مليكش والثعالبة وأمكنه عمر من مليانة سنة ثمان وستين على شرط الموازرة والمظاهرة على اخوته فملكها يغمراسن بومئذ وصار الكثير من مغراوة الى ولايته وزحفوا معه الى المغرب سنة سبعين ثم زحف بعدها الى بلادهم سنة ثنتين وسبعين فتجافى له ثابت بن منديل عن تنس بعدان أثخن فى بلادهم ورجع عنها فاسترجعها ثابت ثم نزل له عنها ثانيا سنة احدى وثمانين بين يدى مهلكه عندما تم له الغلب عليهم والاثخان فى بلادهم الى أن كان الاستيلاء عليهم لابنه عثمان على مانذكره ان شاء الله

(الخبر عن انتزاء الزعيم بن مكن ببلد مستغانم)

كان بنو مكن هؤلاء من علية القرابة من بنى زيان يشاركونهم فى محمد بن زكراز بن يندوكس بن طاع الله وكان لمحمد هذا أربعة من الولد كبيرهم يوسف ومن ولده جابر بن يوسف أول ملوكهم وثابت بن محمد ومن ولده زيان بن ثابت أبو الملوك من بنى عبد الواد ودرع بن محمد ومن ولده عبد الملك بن محمد بن على بنى قاسم بن درع المشتهر بأمه حنينة أخت يغمراسن بن زيان ومكن بن محمد وكان له من الولد يحيى وعمرس وكان من ولد يحيى الزعيم وعلى وكان يغمراسن بن زيان كثيرا ما يستعمل قرابته فى الممالك ويوليهم على العمالات وكان قد استوحش من يحيى بن مكن وابنه الزعيم وغربهما الى الاندلس فأجازا من هنالك الى يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان عام مئذ وهما فى جملته فأدركتهما النعرة على قومهما وآثرا مفارقة السلطان اليهم فأذن لهم فى الانطلاق ولحقا بيغمراسن ابن زيان حتى اذا كانت الواقعة عليه بخرزوزة سنة ثمانين كما قدمناه وزحف بعدها الى بلاد مغراوة وتجافى له ثابت بن منديل عن مليانة وانكفأ راجعا الى تلمسان استعمل على ثغر مستغانم الزعيم بن يحيى بن مكن فلما وصل الى تلمسان انتقض عليه ودعا الى الخلاف ومالأ عدوه من مغراوة على المظاهرة عليه فصمد اليه يغمراسن وحجزه بها حتى لاذ منه بالسلم على شرط الاجازة الى العدوة فعقد له وأجازه ثم أجاز على أثره أباه يحيى واستقر بالاندلس الى أن هلك يحيى سنة ثنتين وتسعين ووفد الزعيم بعد ذلك على يوسف ابن يعقوب وسخطه لبعض النزغات فاعتقله وفر من محبسه ولم يزل الاغتراب مطوحا به الى أن هلك والبقاء لله وحده ونشأ ابنه الناصر بالاندلس فكانت مثواه وموقف جهاده الى أن هلك (وأما) أخوه على بن يحيى فأقام بتلمسان وكان من ولده داود بن على كبير مشيخة بنى عبد الواد وصاحب شوراهم وكان منهم أيضا ابراهيم بن على عقد له أبو حمو الاوسط على ابنته فكان منها ولد ذكر وكان لداود ابن اسمه يحيى بن داود استعمله أبو سعيد ابن عبد الرحمن فى دولتهم الثانية على وزارتهم فكان من شأنه ما نذكره فى أخبارهم والامر لله

(الخبر عن شأن يغمراسن في معاقدته مع ابن الاحمر والطاغية) (على فتنة يعقوب بن عبد الحق والاخذ بحجزته)

كان يعقوب بن عبد الحق لما أجاز الى الجهاد وأوقع بالعدو وخرب حصونهم ونازل اشبيلية وقرطبة وزلزل قواعد كفرهم ثم أجاز ثانية وتوغل في دار الحرب وأثخن فيها وتخلى له ابن اشقيلولة عن مالقة فملكها وكان سلطان الاندلس يومئذ الامير محمد المدعو بالفقيه ثاني ملوك بني الاحمر ملكهم هو الذي استدعى يعقوب بن عبد الحق للجهاد لما عهد له أبوه الشيخ بذلك فلما استفحل أمر يعقوب بالاندلس وتعاقب الثوار الى اللياذ به خشيه ابن الاحمر على نفسه وتوقع منه مثل فعل يوسف بن تاشفين بابن عباد فاعتمل في أسباب الخلاص مما توهم وداخل الطاغية في اتصال اليد والمظاهرة عليه وكان بمالقة   ابن علي استعمله عليها يعقوب بن عبد الحق حين ملكها من يد اشقيلولة فاستماله ابن الاحمر   وعده واديا له بشلوبانية من مالقة طعمة له خالصة فتخلى عن مالقة اليها وأرسل الطاغية أساطيله في البحر لمنع الزقاق من اجازة السلطان وعساكره وراسلوا يغمراسن من وراء البحر في الاخذ بحجزة يعقوب وشن الغارات على ثغوره ليكون ذلك شاغلا له عنهم فبادر يغمراسن باجابتهم وترددت الرسل اليه من الطاغية ومنه الى الطاغية كما نذكره وبث السرايا والبعوث في نواحي المغرب فشغل يعقوب عن شأن الجهاد حتى لقد سأله المهادنة وان يفرغ لجهاد العدو فأبى عليه وكان ذلك مما دعا يعقوب الى الصمود اليه ومواقعته بخرزوزة كما ذكرناه ولم يزل شأنهم ذلك مع يعقوب بن عبد الحق وأيديهم متصلة عليه من كل جهة وهو ينتهز الفرص في كل واحد منهم متى أمكنه حتى هلك وهلكوا والله وارث الارض ومن عليها سبحانه

بياض بالاصل

(الخبر عن شأن يغمراسن مع الخلفاء من بني أبي حفص) (الذي كان يقيم بتلمسان دعوتهم ويأخذ قومه بطاعتهم)

كان زناتة يدينون بطاعة خلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن أيام كونهم بالقفار وبعد دخولهم الى التلول فلما فشل أمر بني عبد المؤمن ودعا الامير أبو زكريا بن أبي حفص بافريقية لنفسه ونصب كرسي الخلافة للموحدين بتونس انصرفت اليه الوجوه من سائر الآفاق بالعدوتين وأملوه الكرة وأوفد زناتة عليه رسلهم من كل حي بالطاعة ولاذ مغراوة وبنو توجين بظل دعوته ودخلوا في طاعته واستنهضوه لتلمسان فنهض اليها وافتتحها سنة أربعين ورجع اليها يغمراسن واستعمله عليها وعلى سائر عمالاتها فلم يزل مقيما الدعوته واتبع أثره بنو مرين في اقامة الدعوة له فيما غلبوا عليه من بلاد المغرب وبعثوا اليه ببيعة مكناسة وتازى والقصر كما نذكره في أخبارهم الى ماذا نوا به

ولابنه المستنصر من بعده من خطاب التهويل والاشارة بالطاعة والانقياد حتى غلبوا
على مراكش وخطبوا باسم المستنصر على منابرها حينا من الدهر ثم تبين لهم
بعد تناول تلك القاصية عليه فعطلوا منابرهم من أسماء أولئك وأقطعوهم جانب
الوداد والموالاة ثم سموا الى اللقب والتفنن فى الشارة الملوكية كما تقتضيه طبيعة
الدول وأما يغمراسن و بنوه فلم يزالوا آخذين بدعوتهم واحدا بعد واحد متجافين عن
اللقب أدباء معهم مجددين البيعة لكل من يتجدد قيامه بالخلافة منهم يوفدون بها كبار
أبنائهم وأولى الرأى من قومهم ولم يزل الشأن ذلك ولما هلك الامير أبو زكريا وقام ابنه
محمد المستنصر بالامر من بعده وخرج عليه أخوه الامير أبو اسحق فى احياء الزواودة
من رياح ثم غلبهم المستنصر جميعا ولحق الامير أبو اسحق بتلمسان فى أهله فأكرم
يغمراسن نزلهم وأجاز الى الاندلس للمرابطة بها والجهاد حتى اذا هلك المستنصر
سنة سبع وسبعين واتصل به خبر مهلكه ورأى انه أحق بالامر فأجاز البحر من حينه
ونزل بمرسى هنى سنة سبع وسبعين ولقاه يغمراسن مبرة وتوقيرا واحتفل لقدومه
وأركب الناس لتلقيه وأتاه بيعته على عادته مع سلفه ووعده النصرة على عدوه
والموازرة على أمره وأصهر اليه يغمراسن فى احدى بناته المقصورات فى خيام
الخلافة بابنه عثمان ولى عهده وأسعفه وأجمل فى ذلك وعده وانتقض محمد بن أبى هلال
عامل بجاية على الواثق وخلع طاعته ودعا للامير أبى اسحق واستحثه للقدوم فأغذ اليه
السير من تلمسان وكان من شأنه ما قدمناه فى أخباره فلما كانت سنة احدى وثمانين
وزحف يغمراسن الى بلاد مغراوة وغلبهم على الضواحى والامصار بعث من هنالك ابنه
ابراهيم وتسميه زناتة برهوم ويكنى أبا عامر أوفده فى رجال من قومه على الخليفة أبى
اسحق لاحكام الصهر بينهما فتلقوا منه على خير نزل من اسناء الجراية ومضاعفة
الكرامة والمبرة وظهر من آثاره فى حروب ابن أبى عمارة ما مد الاعناق اليه وقصر
الشيم الزناتية على بيته ثم انقلب آخرا بظعينته محبوا محبورا وابتنى بها عثمان لحين
وصولها وأصبحت عقيلة قصره فكان ذلك مفخرا الدولته وذكرا له ولقومه ولحق الامير
أبو زكريا ابن الامير أبى اسحق بتلمسان بعد خلوصه من مهلك قومه فى واقعة الدعى بن
أبى عمارة عليهم بمرماجنة سنة ثلاث وثمانين فنزل من عثمان بن يغمراسن صهره خير نزل
برا واحتفاء وتكريما وملاطفة وسربت اليه أخته من القصر أنواع التحف والانس
ولحق به أولياؤهم من صنائع دولتهم وكبيرهم أبو الحسن محمد بن الفقيه المحدث أبى بكر
ابن سيد الناس اليعمرى فتفيؤا من كرامة الدولة بهم ظلالا وارفا واستنهضوه الى تراث
ملكه وقارض أبا مثواه عثمان بن يغمراسن فى ذلك فنا كره لما كان قد أخذه بدعوة

الحضرة وأوفد عليه رجال دولته بالبيعة على العادة فى ذلك فحدث الامير أبو زكريا
نفسه بالفرار عنه ولحق بداود بن هلال بن عطاف أمير البدو من بنى عامر احدى بطون
زغبة فأجاره وأبلغه مامنه فحبا الزواودة أمراء البدو بعمل الموحدين ونزل منهم على
عطية بن سليمان بن سباع كما قدمناه واستولى على بجاية سنة أربع وثمانين بعد
خطوب ذكرناها وقطعها عن ملك عمه صاحب الدولة بتونس أبى حفص ووفى لداود
ابن عطاف وأقطعه يومان بجاية عملا كبيرا افرد لجبايته كان فيه (بياض بالاصل) من وادى
بجاية واشتغل الامير أبو زكريا بعمالة بونة وقسنطينة وبجاية والجزائر والزاب وما
وراءه وكان هذا الصهر وصلة له مع عثمان بن يغمراسن وبنيه (ولما نازل) يوسف بن
يعقوب تلمسان سنة ثمان وتسعين بعث الامير أبو زكريا المدد من جيوشه الى عثمان بن
يغمراسن وبلغ الخبر بذلك الى يوسف بن يعقوب فبعث أخاه أبا يحيى فى العساكر
لاعتراضهم والتقوا بجبل الزاب فكانت الدبرة على عسكر الموحدين واستلحموا هنالك
وتسمى المعركة لهذا العهد بمرسى الرؤس واستحكمت من أجل ذلك صاغية الخليفة
بتونس الى بنى مرين وأوفد عليهم مشيخة من الموحدين يدعوهم الى حصار بجاية
وبعث معهم الهدية الفاخرة وبلغ خبرهم الى عثمان بن يغمراسن من وراء جدره
فتنكر لها وأسقط ذكر الخليفة من منابره ومحاه من عمله فنسى لهذا العهد والله مالك
الامر سبحانه

{الخبر عن مهلك يغمراسن بن زيان وولاية ابنه عثمان وما كان فى دولته من الاحداث}

كان السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة احدى وثمانين واستعمل عليها ابنه
عثمان وتوغل فى بلاد مغراوة وملك ضواحيهم ونزل له ثابت بن منديل عن مدينة تنس
فتناولها من يده ثم بلغه الخبر باقبال ابنه أبى عامر برهوم من تونس بابنة السلطان أبى
اسحق عرس ابنه عثمان فتلوم هنالك الى أن لحقه بظاهر مليانة فارتحل الى تلمسان
وأصابه الوجع فى طريقه وعندما أحل سريره اشتد به وجعه فهلك هنالك آخر ذى
القعدة من سنته والبقاء لله وحده فحمله ابنه أبو عامر على أعواد وواراه فى حدر مودبا
لمرضه الى أن تجاوز بلاد مغراوة الى سك ثم أغذ السير الى تلمسان فلقيه أخوه عثمان بن
يغمراسن ولى عهد أبيه فى قومه فبايعه الناس وأعطوه صفقة أيمانهم ثم دخل تلمسان
فبايعه العامة والخاصة وخاطب لحينه الخليفة بتونس أبا اسحق وبعث اليه ببيعته
فراجعه بالقبول وعقد له على عمله على الرسم ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق يخطب منه
السلم لما كان أبوه يغمراسن أوصاه به (حدثنا) شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن

ابراهيم الابلي قال سمعت من السلطان أبي حمو موسى بن عثمان وكان قهرمانا بداره قال أوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان وددادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم فقال له يا بني ان بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الاعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم اذا جمعوا الوفور مددهم ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرب التي أنت بعيد عنها فاياك واعتماد لقائهم وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك فعلقت وصية الشيخ بقلبه وعقد عليها ضمائره وجنح الى السلم مع بني مرين ليفرغ عزمه لذلك وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على يعقوب بن عبد الحق بمكانه من العدوة الاندلسية في اجازته الرابعة اليها فخاض اليه البحر ووصله باركش فلقاه برا وكرامة وعقد له على السلم ما أحب وانكفأ راجعا الى أخيه فطابت نفسه وفرغ لافتتاح البلاد الشرقية كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن شأن عثمان بن يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وغلبه على معاقلهم والكثير من أعمالهم

لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه الى الاعمال الشرقية من بلاد توجين ومغراوة وما وراءها من أعمال الموحدين فتغلب أولا على ضواحي بني توجين ومغراوة وما وراءها ودوخ قاصيتها وسار الى بلاد مغراوة كذلك ثم الى متيجة فانتسف نعمها وحطم زرعها ثم تجاوزها الى بجاية فحاصرها كما نذكره بعد وامتنعت عليه فانكفأ راجعا ومر في طريقه بمازونة فحاصرها وأطاعته وذلك سنة ست وثمانين ونزل له ثابت بن منديل أمير مغراوة عن تنس فاستولى عليها وانتظم سائر بلاد مغراوة في ايالته ثم عطف في ثنيته على بلاد توجين فاكتسح حبوبها واحتكرها بمازونة استعدادا لما يتوقع من حصار مغراوة اياها ثم دلف الى تافركينت فحاصرها وأخذ بمخنقها وداخل قائدها غالبا الخصي من موالي بني محمد بن عبد القوي كان مولى سيد الناس منهم فنزل له غالب عنها وانكفأ الى تلمسان ثم نهض الى بني توجين سنة سبع وثمانين فغلبهم على وانشريس مثوى ملكهم ومنبت عزهم وفر أمامه أميرهم مولى بني زرارة من ولد محمد بن عبد القوي وأخذ الحلف منهم فلحق بضواحي المرية في الاعشار وأولاد عزيز من قومه واتبع عثمان بن يغمراسن آثارهم وشردهم من تلك القاصية وهلك مولى زرارة في مغرة وكان عثمان قبل ذلك قد دوخ بلاد بني يدللتن من بني توجين ونازل رؤساءهم أولاد سلامة بالقلعة المنسوبة اليهم مرات فامتنعوا عليه ثم أعطوه

أيديهم على الطاعة ومفارقة قومهم بنى توجين الى سلطان بنى يغمراسن فنبذوا العهد الى بنى محمد بن عبد القوى أمرائهم منذ العهد الاول ووصلوا أيديهم بعثمان وألزموا رعاياهم وعمالهم المغارم له الى أن ملك وانشريس من بعدها كما نذكر ذلك فى أخبارهم وصارت بلاد توجين كلها من عمله واستعمل الحشم بجبل وانشريس ثم نهض بعدها الى المرية وبها أولاد عزيز من توجين فنازلها وقام بدعوته فيها قبائل من صنهاجة يعرفون بلمدية واليهم ينسب فأمكنوه منها سنة ثمان وثمانين وبقيت فى ايالته سبعة أشهر ثم انتقضت عليه ورجعت الى ولاية أولاد عزيز وصالحوه عليها وأعطوه من الطاعة ما كانوا يعطونه محمد بن عبد القوى وبنيه فاستقام أمره فى بنى توجين ودانت له سائر أعمالهم ثم خرج سنة تسع وثمانين الى بلاد مغراوة لما كانوا عليه لبنى مرين فى احدى حركاتهم على تلمسان فدوخها وأنزل ابنه أبا حمو بشلب مركز عملهم فأقام به وقفل هو الى الحضرة وتحيز فل مغراوة الى نواحى متيجة وعليهم ثابت بن منديل أميرهم فلم يزالوا به ونهض عثمان اليهم سنة ثلاث وتسعين بعدها فانحجزوا المدينة برشك وحاصرهم بها أربعين يوما ثم افتتحها وخاض ثابت البحر الى المغرب فنزل على يوسف ابن يعقوب كما نذكره واستولى عثمان على سائر عمل مغراوة كما استولى على عمل بنى توجين فانتظم بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة الاولى ثم اشتغل بفتنة بنى مرين كما نذكر بعد ان شاء الله تعالى

(الخبر عن منازلة بجاية وما دعا اليها)

قد ذكرنا ان المولى أبا زكريا الاوسط بن المولى أبى اسحق بن أبى حفص لحق بتلمسان عند فراره من بجاية أمام شيعة الدعى بن أبى عمارة ونزل على عثمان بن يغمراسن خير نزل ثم هلك الدعى ابن أبى عمارة واستقل عمه الامير أبو حفص بالخلافة وبعث اليه عثمان ابن يغمراسن بطاعته على العادة وأوفد عليه وجوه قومه ودس الكثير من أهل بجاية الى الامير أبى زكريا يستحثونه للقدوم ويعدونه اسلام البلد اليه وفاوض عثمان بن يغمراسن فى ذلك فأبى عليه وفاء بحق البيعة لعمه الخليفة بالحضرة فطوى عنه الخبر وتردد فى النقض أياما ثم لحق باحياء زغبة فى مجالاتهم بالقفر ونزل على داود بن هلال بن عطاف وطلب عثمان بن يغمراسن اسلامه فأبى عليه وارتحل معه الى أعمال بجاية ونزلوا على أحياء الزواودة كما قدمناه ثم استولى المولى أبو زكريا بعد ذلك على بجاية فى خبر طويل ذكرناه فى أخباره واستحكمت القطيعة بينه وبين عثمان وكانت سببا لاستحكام الموالاة بين عثمان وبين الخليفة بتونس فلما زحف اليه عثمان سنة ست وثمانين وتوغل فى قاصية الشرق أجمل الى عمل بجاية ودوخ سائر أقطارها ثم نازلها بعد

ذلك يوم كيدها بالاعمال فى مرضاة خليفته بتونس ويسر بذلك حسو افى ارتقائه فأناخ عليها بعساكره سبعا ثم أفرج عنها منقلبا الى المغرب الاوسط فكان من فتح تافركينت ومازونة ماقدمناه

(الخبر عن معاودة الفتنة مع بنى مرين وشأن تلمسان فى الحصار الطويل)

لما هلك يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين على السلم المنعقد بينه و بين بنى عبد الواد لشغله بالجهاد وقام بالامر من بعده فى قومه ابنه يوسف كبير ولده على   شأن الجهاد واستتم يغمراسن وابنه بموالاة الطاغية وابن الاحمر فعقد يوسف بن يعقوب السلم مع الطاغية لحينه ونزل لابن الاحمر عن ثغور الاندلس التى كانت لهم وفرغ لحرب بنى عبد الواد واستتب له ذلك لاربع من مهلك أبيه دلف الى تلمسان سنة تسع وثمانين ولاذ منه عثمان بالاسوار فنازلها صباحا وقطع شجرها ونصب عليها المجانيق والآلات ثم أحس بامتناعها فأفرج عنها وانكفأ راجعا وتقبل عثمان بن يغمراسن مذهب أبيه فى مداخلة ابن الاحمر والطاغية وأوفد رسله عليهما فلم يغن ذلك عنه شيأ وكان مغراوة قد لحقوا بيوسف بن يعقوب بتلمسان فنالوا منه أعظم النيل فلما أفرجوا عن تلمسان نهض عثمان الى بلادهم فدوخها وغلبهم عليها وأنزل ابنه أبا حمو بها كما قدمناه فلما كانت سنة خمس وتسعين نهض يوسف بن يعقوب الى حركته الثانية فنازل ندرومة ثم ارتحل عنها الى ناحية وهران وأطاعه أهل جبل كيدره وتاسكدلت رباط عبد الحميد بن الفقيه أبى زيد اليزناسى ثم كر راجعا الى المغرب وخرج عثمان بن يغمراسن فأثخن فى تلك الجبال لطاعتهم عدوه واعتراضهم جنده واستباح رباط تاسكدلت ثم أغزاه يعقوب بن يوسف ثالثة سنة ست وتسعين ثم رجع الى المغرب ثم أغزاه رابعة سنة سبع وتسعين فنازل تلمسان وأحاط بها معسكره وشرعوا فى البناء ثم أفرج عنها لثلاثة أشهر ومر فى طريقه بوجدة فأمر بتجديد بنائها وجمع الفعلة عليها واستعمل أخاه أبا يحيى بن يعقوب على ذلك وأقام لشأنه ولحق يوسف بالمغرب وكان بنو توجين قد نازلوا تلمسان مع يوسف بن يعقوب وتولى كبر ذلك منهم أولاد سلامة أمراء بنى يدللتن وأصحاب القلعة المنسوبة اليهم فلما أفرج عنها خرج اليهم عثمان بن يغمراسن فدوخ بلادهم وحاصرهم بالقلعة ونال منها أضعاف ما نالوا منه وطال مغيبه فى بلادهم فخالفه أبو يحيى بن يعقوب الى ندرومة فاقتحمها عنوة بعسكره بمداخلة من قائدها زكريا بن يخلف بن المطغرى صاحب توقت فاستولى بنو مرين على ندرومة وتوقت وجاء يوسف بن يعقوب على أثرها فوافاهم ودلفوا جميعا الى تلمسان وبلغ الخبر الى عثمان بمكانه من حصار القلعة فطوى المراحل الى تلمسان فسبق اليها يوسف بن يعقوب ببعض يوم ثم أشرفت طلائع

بنى مرين عشى ذلك اليوم فأناخوا بها فى شعبان سنة ثمان وتسعين وأحاط العسكر بها من جميع جهاتها وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجا من الاسوار محيطا بها وفتح فيه أبوابا مداخل لحربها واختط لنزله الى جانب الاسوار مدينة سماها المنصورة وأقام على ذلك سنين يغاديها القتال ويراوحها وسرح عساكره لافتتاح المغرب الاوسط وثغوره فملك بلاد مغراوة وبلاد توجين كما ذكرناه فى أخباره وجثم هو بمكانه من حصار تلمسان لا يعدوها كالاسد الضارى على فريسته الى أن هلك عثمان وهلك هو من بعده كما نذكره والى الله المصير سبحانه وتعالى لا رب غيره

{الخبر عن ملك عثمان بن يغمراسن وولاية ابنه أبى زيان وانتهاء الحصار من بعده الى غايته}

لما أناخ يوسف بن يعقوب بعساكره على تلمسان انحجز بها عثمان وقومه واستسلموا والحصار آخذ بمخنقهم وهلك عثمان لخامسة السنين من حصارهم سنة ثلاث وسبعمائة وقام بالامر من بعده ابنه أبو زيان محمد (أخبرنى) شيخنا العلامة محمد بن ابراهيم الابلى وكان فى صباه قهرمان دارهم قال هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس وكان قد أعد لشربه لبنا فلما أخذ منه وعطش دعا بالقدح فشرب اللبن وقام فلم يكن بأوشك ان فاضت نفسه وكانرى معشر الصنائع انه داف فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم اياهم قال وجاء الخادم الى قعيدة بيته زوجه بنت السلطان أبى اسحق بن الامير أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص صاحب تونس وخبرها الخبر فجاءت ووقفت عليه واسترجعت وختمت على الابواب بسدادها ثم بعثت الى ابنيه محمد أبى زيان وموسى أبى حمو فعزتهما عن أبيهما وأحضرا مشيخة بنى عبد الواد وعرضوا اليهم بمرض السلطان فقال أحدهم مستفهما عن الشأن ومتربحا عن القوم السلطان معنا آنفا ولم يعتد الزمن لوقوع المرض فان يكن هلك فخبرونا فقال له أبو حمو واذا هلك فما أنت صانع فقال انما نخشى من مخالفتك والا فسلطاننا أخوك الاكبر أبو زيان فقام أبو حمو من مكانه وأكب على يد أخيه يقبلها وأعطاه صفقة يمينه واقتدى به المشيخة فانعقدت بيعته لوقته واشتمل بنو عبد الواد على سلطانهم واجتمعوا اليه وبرزوا الى قتال عدوهم على العادة فكأن عثمان لم يمت (وبلغ الخبر) الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فتفجع له وعجب من صرامة قومه من بعده واستمر حصاره اياهم الى ثمانية سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله نالهم فيها من الجهد مالم ينله أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران حتى انهم زعموا انهم أكلوا فيها اشلاء الموتى من الناس وخربوا السقف للوقود وغلت أسعار الاقوات

بياض بالاصل

والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد وعجز وجدهم عنه فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفا واثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمر بثمن المثقال ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشر المثقال والرطل من الجلد البقري ميتة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجن بمثقال ونصف والكلب بمثله والفار بعشرة دراهم والحية بمثله والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والاوقية من الزيت باثني عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين ومن الفول بمثلها ومن الملح بعشرة ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن اللفت بخمسة عشر درهما والواحدة من القثاء والفقوس بأربعين درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها واتسعت خطة مدينة المنصورة المشيدة عليها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق واستبحرت في العمران بما لم تبلغه مدينة وخطب الملوك سلمه ووده ووفدت عليه رسل الموحدين وهداياهم من تونس وبجاية وكذلك رسل صاحب مصر والشام وهديته واعتز اعتزاز الاكفاء له كما يأتي في أخباره وهلك الجند حامية بني يغمراسن وقبيلتهم وأشرفوا على الهلاك فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج بهم للاستماتة فكيف الله لهم الصنع الغريب ونفس عن مخنقهم بهلك السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصي من العبيد فأحفظته بعض النزغات الملوكية فاعتمده في كسر بيته ومخدع نومه وطعنه بخنجر قطع أمعاءه وأدرك فسيق الى وزرائه فمزقوه اشلاء ولم يبق شيء من بقايا عهدهم كما ذكرناه والامر لله وحده وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وساكني مدينتهم كأنما نشروا من اجداث وكتبوا الهافي سكتهم ما أقرب فرج الله استغرابا لحادثتها (وحدثني) شيخنا محمد بن ابراهيم الابلي قال جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء في خلوة زوايا قصره واستدعى ابن حجاف خازن الزرع فسأله كم بقي من الاهراء والمطامير المختومة فقال له انما بقي عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمانها وبينما هم في ذلك دخل عليه أخوه أبو حمو فأخبروه فوجم لها وجلسوا ساكتا لا ينطقون واذا بالخادم دعد قهرمانة القصر من وصائف بيت السلطان أبي اسحق وحظية أبيهم خرجت من القصر اليهم وحيتهم تحيتها وقالت تقول لكم حظايا قصركم

وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء وقد أحيط بكم وأسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق
الا فواق بكية لمصارعكم فأريحونا من معرة السبي وأريحوا فينا أنفسكم وقربوا
الى مهالككم فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم فالتفت أبو حمو الى أخيه وكان
من الشفقة بمكان وقال قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن فقال يا موسى أرجئني ثلاثا لعل
الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورني بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن
وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستميت ويقضي الله ما يشاء فغضب أبو حمو
وأنكر الارجاء في ذلك وقال انما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا وقام عنه
مغضبا وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء قال ابن حجاف وأنا بمكاني بين يديه لا أملك
متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راعني الا حرسي الباب يشير الى أن اذن
السلطان بمكان رسول من معسكر بني مرين لسدة القصر فلم أطق رجع جوابه
الا بالاشارة وانتبه السلطان من خفيف اشارتنا فزعا فأذنته واستدعاه فلما وقف بين يديه
قال له ان يوسف بن يعقوب بهلك الساعة وانا رسول حافده أبي ثابت اليكم فاستبشر
السلطان واستدعى أخاه وقومه حتى أبلغ الرسول رسالته بمسمع منهم وكانت احدى
المغربات في الايام (وكان من خبر هذه الرسالة) ان يعقوب بن يوسف لما هلك تطاول
للامر الاعياص من اخوته وولده وحفدته وتحيز أبو ثابت حافده الى بني ورتاجن
لخؤلة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوصبوا عليه وبعث الى أولاد عثمان بن يغمراسن
أن يعطوه الآلة ويكونوا مفزعا له وأمنا ان أخفق مسعاه على انه ان تم أمره
قوض عنهم معسكر بني مرين فعاقدوه عليها ووفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع
الاعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم وجاء بجميع الكتائب
التي أنزلها في ثغورهم وقفلوا الى أعمالهم بالمغرب الاوسط كلها الى أن كان من أمره
ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن السلطان أبي زيان بعد الحصار الى حين مهلكه)

كان من أول ما افتتح به السلطان أبو زيان أمره بعد الخروج من هون الحصار
وتناوله الاعمال من يد بني مرين أن نهض من تلمسان ومعه أخوه أبو حمو آخر ذي الحجة
من سنة ست وسبعمائة فقصد بلاد مغراوة وشرد من كان هنالك منهم في طاعة
بني مرين واحتاز الثغور من يد عمالهم ودوخ قاصيتها ثم عقد عليها للمسامح مولاه ورجع
عنها فنهض الى السرسو وكان العرب قد تملكوه أيام الحصار وغلبوا زناتة عليه من
سويد والديالم ومن اليهم من بني يعقوب بن عامر فأجفلوا أمامه واتبعوا آثارهم الى
أن أوقع بهم وانكفأ راجعا ومر ببلاد بني توجين فاقتضى طاعة من كان بقي بالجبل من

بني عبد القوي وقفل الى تلمسان لتسعة أشهر من خروجه وقد ثقف أطراف ملكه ومسح أعطاف دولته ثم نظر في اصلاح قصوره ورياضه ورمّ ما تثلم من بلده وأصابه المرض خلال ذلك فاشتدّ وجعه سبعا ثم هلك آخريات شوّال من سنة سبع والبقاء لله وحده

(الخبر عن محو الدعوة الحفصية من منابر تلمسان)

كانت الدعوة الحفصية بافريقية قد انقسمت بين أعياصهم في تونس و بجاية وأعمالها وكان التخم بينهما بلد عجيسة ووشتاته وكان الخليفة بتونس الامير أبو حفص ابن الامير أبي زكريا الاول منهم وله الشفوف على صاحب بجاية والثغور الغربية بالحضرة فكانت بيعة بني زيان له والدعاء على منابرهم باسمه وكانت لهم مع المولى الامير أبي زكريا الاوسط صاحب بجاية وصلة لمكان الصهر بينهم وبينه وكانت الوحشة قد اعترضت ذلك عند منازل عثمان بجاية كما قدمناه ثم تراجعوا الى وصلتهم واستمرّوا عليها الى أن نازل يوسف بن يعقوب تلمسان والبيعة يومئذ للخليفة بتونس السلطان أبي عصيدة بن الواثق والدعوة على منابر تلمسان باسمه وهو حاقد عليهم لولايتهم للامير أبي زكريا الاوسط صاحب الثغر فلما نازل يوسف بن يعقوب بأعلى تلمسان وبعث عساكره في قاصية الشرق استجاش عثمان بن يغمراسن بصاحب بجاية فسرّح عسكرا من الموحدين لمدافعتهم عن تلك القاصية والتقوا معهم بجبل الزاب فانكشف الموحدون بعد معترك صعب واستلحمهم بنو مرين ويسمى المعترك لهذا العهد بمرسى الرؤس لكثرة ما تساقط في ذلك المجال من الرؤس واستحكمت المنافرة بين يوسف بن يعقوب وصاحب بجاية فأوفد الخليفة بتونس على يوسف بن يعقوب مشيخة من الموحدين لتجديد الوصلة سلفهم مع سلفه واغراء بصاحب بجاية وعمله فجاء موقع ذلك من عثمان بن يغمراسن وأحفظه ما أتاه خليفته لعدوّه فعطل منابره من ذكره وأخرج قومه واياه عن دعوته وكان ذلك آخر المائة السابعة والله تعالى أعلم

(الخبر عن دولة أبي حمو الاوسط وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك الامير أبو زيان قام بالامر بعده أخوه أبو حمو في آخريات سنة سبع كما قدمناه وكان صارما يقظا حازما داهية قوي الشكيمة صعب العريكة شرس الاخلاق مفرط الدهاء والحدة وهو أول ملوك زناتة رتب مراسم الملك وهذب قواعده وأرهف في ذلك لاهل ملكه حدّه وقلب لهم مجن بأسه حتى ذلوا لعز ملكه وتأدبوا بآداب السلطان (سمعت) عريف بن يحيى أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية يقول و يعنيه موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة وانما كانوا رؤساء بادية حتى قام فيهم موسى بن عثمان فحدّ حدودها وهذب مراسمها ونقل عنه ذلك أمثاله وانظاره فتقبلوا

مذهبه واقتدوا بتعليمه انتهى كلامه (ولما استقل) بالامر افتتح شأنه بعقد السلم مع سلطان بنى مرين لاول دولته فأوفد كبراء دولته على السلطان أبى ثابت وعقد له السلم كما رضى ثم صرف وجهه الى بنى توجين ومغراوة فردد اليهم العساكر حتى دوخ بلادهم وذلل صعابهم وشرد محمد بن عطية الاصم عن نواحى وانشريس وراشد بن محمد عن نواحى شلب وكان قد لحق بها بعد مهلك يوسف بن يعقوب فأزاحه عنها واستولى على العملين واستعمل عليهما وقفل الى تلمسان ثم خرج سنة عشر فى عساكره الى بلاد بنى توجين ونزل تافركينت وسط بلادهم فشرد من أعقاب محمد بن عبد القوى

بياض بالأصل

عن وانشريس واحتاز رياستهم فى بنى توجين دونهم وأدام منهم بالحشم وبنى تيغرين وعقد لكبيرهم يحيى بن عطية على رياسة قومه فى جبل وانشريس وعقد ليوسف بن حسن من أولاد عزيز على وأعمالها وعقد لسعد من بنى سلامة على قومه من بنى يدللتن احدى بطون بنى توجين وأهل الناحية الغربية من عملهم وأخذ من سائر بطون بنى توجين الرهن على الطاعة والجباية واستعمل عليهم جميعا من صنائعه قائده يوسف بن حيون الهوارى وأذن له فى اتخاذ الآلة وعقد لمولاه مسامح على بلاد مغراوة واذن له أيضا فى اتخاذ الآلة وعقد لمحمد بن عمه يوسف على مليانة وأنزله بها وقفل الى تلمسان والله أعلم

(الخبر عن استنزال زيرم بن حماد من ثغر برشك وما كان قبله)

كان هذا الغمر من مشيخة هذا القصر لوفور عشيرته من مكلاته داخله وخارجه واسمه زيرى بالياء فتصرفت فيه العامة وصار زيرم بالميم ولما غلب يغمراسن على بلاد مغراوة دخل أهل هذا القصر فى طاعته حتى اذا هلك حدثت هذا الغمر نفسه بالانتزاء والاستبداد على برشك ما بين مغراوة وبنى عبد الواد ومدافعة بعضهم ببعض فاعتزم على ذلك وأمضاه وضبط برشك لنفسه سنة ثلاث وثمانين ونهض اليه عثمان بن يغمراسن سنة أربع بعدها ونازله فامتنع ثم زحف سنة ثلاث وتسعين الى مغراوة فلجأ ثابت بن منديل الى برشك وحاصره عثمان بها أربعين يوما ثم ركب البحر الى المغرب كما قلناه وأخذ زيرى بعدها بطاعة عثمان بن يغمراسن دافعه بها وانتقض عليه مرجعه الى تلمسان وشغل بنو زيان بعدها بما دهمهم من شأن الحصار فاستبد زيرى هذا ببرشك واستفحل شأنه بها واتقى بنى مرين عند غلبهم على بلاد مغراوة وترددعساكرهم فيها باخلاص الطاعة والانقياد فلما انقشع ايالة بنى مرين بمهلك يوسف بن يعقوب وخرج بنو يغمراسن من الحصار رجع الى ديدنه من التمريض فى الطاعة ومناولة طرفيها على البعد حتى اذا غلب أبو حمو على بلاد مغراوة وتجاوزت طاعته هذا المصر الى ماوراءه

خشيه زيرى على نفسه وخطب منه الامان على أن ينزل له عن المصر فبعث اليه رئيس
الفتيا بدولته أبازيد عبد الرحمن بن محمد الامام كان أبوه من أهل برشك وكان زيرى
قد قتله لاول ثورته بها وفر ابنه عبد الرحمن هذا وأخوه عيسى ولحقا بتونس فقرأ بها
ورجعا الى الجزائر فأوطناها ثم انتقلا الى مليانة واستعملهما بنو مرين فى خطة القضاء
بمليانة ثم وفدا بعد مهلك يوسف بن يعقوب على أبى زيان وأبى حمو مع عمال بنى مرين
وقوادهم بمليانة وكان فيهم منديل بن محمد الكنانى صاحب أشغالهم المذكور فى أخبارهم
وكانا يقرآن ولده محمدا فأشادا عند أبى زيان وأبى حمو بمكانهما من العلم ووقع ذلك من أبى
حمو أبلغ المواقع حتى اذا استقل بالامر ابتنى المدرسة بناحية المطهر من تلمسان لطلبة
العلم وابتنى لهما دارين على جانبيها وجعل لهما التدريس فيها فى ايوانين معدين لذلك
واختصهما بالفتيا والشورى فكانت لهما فى دولته قدم عالية فلما خطب زيرى هذا
الامان من أبى حمو وان يبعث اليه من يأمن معه فى الوصول الى بابه بعث اليه أبازيد
عبد الرحمن الاكبر منهما فنهض لذلك بعد أن استأذنه فى أن يثأر منه بأبيه ان قدر عليه
فأذن له فلما احتل ببرشك أقام بها أياما يغاديه فيها زيرى ويراوحه بمكان نزله وهو يعمل
الحيلة فى اغتياله حتى اذا أمكنته فتك به فى بعض تلك الايام سنة ثمان وسبعمائة وصار
أمر برشك الى السلطان أبى حمو وانمحى منها أثر المشيخة والاستبداد والامور بيد الله
سبحانه

(الخبر عن طاعة الجزائر واستنزال ابن علان منها وذكر أوليته)

كانت مدينة الجزائر هذه من أعمال صنهاجة ومختطها بلكين بن زيرى ونزلها بنوه من
بعده ثم صارت للموحدين وانتظمها بنو عبد المؤمن فى أمصار المغربين وافريقية ولما
استبد بنو أبى حفص بأمر الموحدين وبلغت دولتهم بلاد زناتة وكانت تلمسان ثغرا لهم
واستعملوا عليها يغمراسن وبنيه من بعده وعلى ضواحى مغراوة بنى منديل بن عبد
الرحمن وعلى وانشريس وما اليها من عمل توجين محمد بن عبد القوى وبنيه وبقى
ماوراء هذه الاعمال الى الحضرة لولاية الموحدين أهل دولته فكان العامل على الجزائر
من الموحدين أهل الحضرة وفى سنة أربع وستين انتقضوا على المستنصر وكانوا
فى ذلك الانتقاض سبعا ثم أوعز الى أبى هلال صاحب بجاية بالنهوض اليها فى سنة احدى
وسبعين فحاصرها أشهرا وأفرج عنها ثم عاودها بالحصار سنة أربع وسبعين أبو الحسن
ابن ياسين بعساكر الموحدين فاقتحمها عليهم عنوة واستباحها وتقبض على مشيختها فلم
يزالوا معتقلين الى أن هلك المستنصر ولما انقسم أمر بنى حفص واستقل الامير أبو
زكريا بالاوسط بالثغور الغربية وأتوه بعثوا اليه بالبيعة وولى عليهم ابن اكماز ير وكانت

بياض بالاصل

ولايتها من قبل فلم يزل هو واليا عليها الى أن أسن وهرم كان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصا به ومنتصبا فى أوامره ونواهيه ومصدر الامارته وحصل له بذلك الرياسة على أهل الجزائر سائر أيامه فلما هلك ابن اكماز رحدثته نفسه بالاستبداد والانتزاء بمدينته فبعث عن أهل الشوكة من نظائره ليلة هلاك أميره وضرب أعناقهم وأصبح مناديا بالاستبداد واتخذ الآلة واستركب واستلحق من الغرباء والثعالبة عرب متيجة واستكثر من الرجل والرماة ونازلته عساكر بجاية مرارا فامتنع عليهم وغلب ملكيش على جباية الكثير من بلاد متيجة ونازله أبو يحيى بن يعقوب بعساكر بنى مرين عندما تملكهم على البلاد الشرقية وتوغلهم فى القاصية فأخذ بمخنقها وضيق عليها ومر بابن علان القاضى أبو العباس الغمارى رسول الامير خالد الى يوسف بن يعقوب فأودعه الطاعة للسلطان والضراعة اليه فى الابقاء فأبلغ ذلك عنه وشفع له فأوعز الى أبيه يحيى بمسالمته ثم نازله الامير خالد بعد ذلك فامتنع عليه وأقام على ذلك أربع عشرة سنة وعيون الخطوب تحدده والايام تستجمع لحربه فلما غلب السلطان أبو حمو على بلاد توجين واستعمل يوسف بن حيون الهوارى على وانشريس ومولاه مسامحا على بلاد مغراوة ورجع الى تلمسان ثم نهض سنة ثنتى عشرة الى بلاد شلب فنزل بها وقدم مولاه مسامحا فى العساكر فدوخ متيجة من سائر نواحيها وترس بالجزائر وضيق حصارها حتى مسهم الجهد وسأل ابن علان النزول على أن يشترط لنفسه فتقبل السلطان اشتراطه وملك السلطان أبو حمو الجزائر وانتظمها فى اعماله وارتحل ابن علان فى جملة مسامح ولحقوا بالسلطان بمكانه من شلب فانكفأ الى تلمسان وابن علان فى ركابه فأسكنه هنالك ووفى له بشرطه الى أن هلك والبقاء لله سبحانه

* (الخبر عن حركة صاحب المغرب الى تلمسان وأولية ذلك) *

لما خرج عبد الحق بن عثمان من أعياص الملك على السلطان أبى الربيع بفاس وبايع له الحسن بن على بن أبى الطلاق صاحب بنى مرين بمداخلة الوزير رحو ابن يعقوب كما قدمناه فى أخبارهم وملكوا تازى زحف اليهم السلطان أبو الربيع فبعثوا وفدهم الى السلطان أبى حمو صريخا فأعجلهم أبو الربيع وأجهضهم على تازى فلحقوا بالسلطان أبى حمو ودعوه الى المظاهرة على المغرب ليكونوا ردأله دون قومهم وهلك السلطان أبو الربيع خلال ذلك واستقل بملك المغرب أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق فطالب السلطان أبا حمو باسلام أولئك النازعين اليه فأبى من اسلامهم واخفار ذمته وأجازهم الى البحر الى العدوة فأغضى له السلطان أبو سعيد عنها وعقد

له السلم ثم استراب يعيش بن يعقوب بن عبد الحق بمكانه عند أخيه السلطان أبي سعيد لما سعي فيه عنده فنزع عنه الى تلمسان فأجاره السلطان أبو حمو على أخيه فأحفظه ذلك ونهض الى تلمسان سنة أربع عشرة وعقد لابنه الامير أبي علي وبعثه في مقدمته وسار هو في الساقة ودخل أعمال تلمسان على هذه التعبية فاكتسح بسائطها ونازل وجدة فقاتلها وضيق عليها ثم تخطاها الى تلمسان فنزل بساحتها وانحجر موسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب على ضواحيها ورعاياها وسار السلطان أبو سعيد في عساكره يتقرى شعارها وبلادها بالحطم والانتساف والعيث فلما أحيط به وثقلت وطأة السلطان عليه وحذر المغبة منه ألطف الحيلة في خطاب الوزراء الذين كان يسرب أمواله فيهم ويخادعهم من نصائح سلطانهم حتى اقتضى مراجعتهم في جاره يعيش بن يعقوب وادالته من أخيه ثم بعث خطوطهم بذلك الى السلطان أبي سعيد فامتلأ قلبه منها خشية ورهبة واستراب بالخاصة والاولياء ونهض الى المغرب على تعبيته ثم كان خروج ابنه عمر عليه بعد مرجعه وشغلوا عن تلمسان وأهلها برهة من الدهر حتى جاء أمر الله في ذلك عند وقته والله تعالى أعلم

•(الخبر عن مبدا احصار بجاية وشرح الداعية اليه)•

لما رجع السلطان أبو سعيد الى المغرب وشغل عن تلمسان فزع أبو حمو لاهل القاصية من عمله وكان راشد بن محمد بن ثابت بن منديل قد جاء من بلاد زواوة أثناء هذه الغمرة فاحتل بوطن شلب واجتمع اليه أوشاب قومه وحين تجلت الغمرة عن السلطان أبي حمو نهض اليه بعد أن استعمل ابنه أبا تاشفين على تلمسان وجمع له الجموع ففر أمامه ناجيا الى مثوى اغترابه ببجاية وأقام بنو سعيد بمعاقلهم من جبال شلب على دعوته فاحتل السلطان أبو حمو بوادي تمل نخيم به وجمع أهل أعماله لحصار بني أبي سعيد شيعة راشد بن محمد واتخذ هنالك قصره المعروف باسمه وسرح العساكر لتدويخ القاصية ولحق به هنالك الحاجب بن أبي حين مرجعه من الحج سنة احدى عشرة وسبعمائة فأغراه بملك بجاية ورغبه فيه وكان قد ثاب له طمع منذ رسالة السلطان مولانا ابي يحيى اليه وذلك انه لما انتقض على اخيه خالد ودعا لنفسه بقسنطينة ونهض الى بجاية فانهزم عنها كما قدمناه في أخباره وأوفد على السلطان أبي حمو بعض رجال دولته مغريا له بابن خلوف وبجاية ثم بعث اليه ابن خلوف أيضا يسأله المظاهرة والمدد فأطمعه ذلك في ملك بجاية (ولما هلك) ابن خلوف كما قدمناه لحق به كاتبه عبد الله بن هلال فأغراه واستحثه وشغله عن ذلك شأن الجزائر فلما استولى على الجزائر بعث مولاه مسامحا في عسكر مع ابن أبي حي فبلغوا الى جبل الزاب وهلك ابن أبي حي ورجع مسامح ثم شغله

عن شأنها زحف وفزع من أمر عدوه ونزل بلد تلب كما ذكرناه آنفا ولحق به عثمان بن سباع بن يحيى بن سباع بن سهل أمير الزواودة يستحثه لملك الثغور الغربية من عمل الموحدين فاهتز لذلك وجمع الجموع وعقد لمسعود بن عمه أبي عامر برهوم على عسكر وأمره بحصار بجاية وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مليانة على عسكر ولمولاه مسامح على عسكر آخر وسرحهم الى بجاية وماوراءها التدويخ البلاد وعقد لموسى بن على الكردى على عسكر ضخم وسرحه مع العرب من الزواودة وزغبة على طريق الصحراء فانطلقوا الى وجههم ذلك وفعلوا الافاعيل كل فيما يليه وتوغلوا فى البلاد الشرقية حتى انتهوا الى بلاد دونة ثم انقلبوا من هنالك ومروا فى طريقهم بقسنطينة ونازلوها أياما وصعدوا جبل ابن ثابت المطل عليها فاستباحوه ثم مروا ببنى باورار فاستباحوها وأضرموها نارا كتسحوا سائر ما مروا عليه وحدثت بينهم المناكرة حسدا ومنافسة فافترقوا ولحقوا بالسلطان ولحق مسعود بن برهوم محاصر الجباية وبنى حصنا بأصفون لمقامه وكان يسرح الجيوش لقتالها فصولا فى ساحتها ثم تراجع الى الحصن ولم يزل كذلك حتى بلغه خبر خروج محمد بن يوسف فأجفل عنها على ما نذكره الآن فلم يرجعوا لحصارها الابعد مدة والله تعالى أعلم

* (الخبر عن خروج محمد بن يوسف ببلاد بنى توجين وحروب السلطان معه) *

لما رجع محمد بن يوسف من قاصية الشرق كما قدمناه وسابقه الى السلطان موسى بن على الكردى وجوانحه تلتهب غيظا حقدا عليه وسعى به عند السلطان فعزله عن مليانة فوجم لها وسأله زيارة ابنه الامير أبى تاشفين بتلمسان وهو ابن أخته فأذن له وأوعز الى ابنه بالقبض عليه فأبى من ذلك وأراده والرجوع الى معسكر السلطان فخلى سبيله ولما وصل اليه تنكر له وحجبه فاستراب وملأ قلبه الرعب وفر من المعسكر ولحق بالمرية ونزل على يوسف بن حسن بن عزيز عاملها للسلطان أبى حمو [بياض بالأصل] به من نزاعته فأخذ له البيعة على قومه ومن اليهم من العرب وزحفوا الى السلطان بعسكره من مهل فلقيهم فى عساكره فكانت الدبرة على السلطان ولحق بتلمسان وغلب محمد بن يوسف على بنى توجين ومغراوة ونزل مليانة وخرج السلطان من تلمسان لأيام من دخولها وقد جمع الجموع وأزاح العلل وأوعز الى مسعود بن برهوم بمكانه من حصار بجاية بالوصول اليه بالعساكر ليأخذ بحجزتهم من ورائهم وخرج محمد بن يوسف على مليانة لاعتراضه واستعمل على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز فلقيه ببلاد ملكش وانهزم محمد بن يوسف ولجأ الى جبل مرصالة وحاصره مسعود بن برهوم أياما ثم أفرج عنه ولحق بالسلطان فنازلوا جميعا مليانة وافتتحها السلطان عنوة وجئ بيوسف

ابن حسن أسيرا من مكمنه ببعض المسارب فعفا عنه وأطلقه ثم زحف الى المرية فملكها وأخذ الرهن من أهل تلك النواحى وقفل الى تلمسان واستطال محمد بن يوسف على النواحى ففشت دعوته فى تلك القاصية وخاطب مولانا السلطان أبا يحيى بالطاعة فبعث اليه بالهدية والآلة وسوغه سهام يغمراسن بن زيان بافريقية ووعده بالمظاهرة وغلب سائر بلاد بنى توجين وبايع له بنو تيغرين أهل جبل وانشريس فاستولى عليه ثم نهض السلطان الى الشرق سنة سبع عشرة وملك المرية واستعمل عليها يوسف ابن حسن لمدافعة محمد بن يوسف واستبلغ فى أخذ الرهن منه ومن أهل العمالات وقبائل زناتة والعرب حتى من قومه بنى عبد الواد ورجع الى تلمسان وأنزلهم بالقصبة وهى الغور الفسيح الخطة تماثل بعض الامصار العظيمة اتخذها للرهن وكان فى ذلك حتى يأخذ الرهن المتعددة من البطن الواحد والفخذ الواحد والرهط وتجاوز ذلك الى أهل الامصار والثغور والمشيخة والسوقة فملأ تلك القصبة من أبنائهم واخوانهم وشحنها بالامم بعد الامم وأذن لهم فى ابتناء المنازل واتخاذ النساء واختط لهم المساجد فجمعوا بها الصلاة الجمعة ونفقت بها الاسواق والصنائع وكان حال هذه البنية من أغرب ما حكى فى العصور عن سجن ولم يزل محمد بن يوسف بمكان خروجه من بلاد توجين الى أن هلك السلطان والبقاء لله

(الخبر عن مقتل السلطان أبى حمو وولاية ابنه أبى تاشفين من بعده)

كان السلطان أبو حمو قد اصطفى ابن عمه برهوم وتبناه من بين عشيرته وأولى قرباه لمكان صرامته ودهائه واختصاص أبيه برهوم المكنى أبا عامر بعثمان بن يغمراسن شقيقه من بين اخوته فكان يؤثره على بنيه ويفاوضه فى شؤونه ويصله الى خلواته وكان دفع الى ابنه عبد الرحمن أبا تاشفين اترابا له من العلوجين يقومون فى بخدمته فى مرباه ومنتشئه كان منهم هلال المعروف بالقطانى ومسامح المسمى بالصغير وفرج بن عبد الله وظافر ومهدى وعلى بن تاكدرت وفرج الملقب شقورة وكان ألصقهم وأعلقهم بنفسه تلاده منهم يسمى هلالا وكان أبو حمو أبوه كثيرا ما يقرعه ويوبخه ارهافا فى اكتساب الخلال وربما يقرع فى تقريعه لما كان عفا الله عنه فحاشا فحفظه لذلك وكان مع ذلك شديد السطوة متجاوزا بالعقاب وحدوده فى الزجر والادب فكان أولئك العلوجين تحت رهب وكانوا يوعزون لذلك مولاهم أبا تاشفين بأبيه ويبعثون غيرته لما يذكرون له من اصطفاء ابن أبى عامر دونه وقارن ذلك أن مسعود بن أبى عامر أبلى فى لقاء محمد بن يوسف الخارج على أبى حمو البلاء الحسن عندما رجع من حصار بجاية فاستحمد له السلطان ذلك وعير ابنه عبد الرحمن بمكان ابن عمه هذا من النجابة والصرامة يستعبد

نبذ لك خلالا ويغريه بالكمال وكان عمه أبو عامر ابراهيم بن يغمراسن ربى بما نال من جوائز الملوك في وفاداته وما أقطع له أبوه وأخوه سائر أيامهما ولما هلك سنة ست وتسعين أوصى أخاه عثمان بولده فضمهم اليه ووضع تراثهم ووضع ماله حتى يأنس منهم الرشد في أحوالهم حتى اذا كانت غزاة ابنه أبي سرحان هذه وعلا فيها ذكره وبعد صيته رأى السلطان أبو حمو أن يدفع اليه تراث أبيه لاستجماع خلاله فاحتمل اليه من المودع ونمى الخبر الى ولده أبي تاشفين وبطانته السوء من العلوجين فحسبوه مال الدولة قد حمل اليه لبعد عهدهم بما وقع في تراث أبي عامر أبيه واتهموا السلطان بايثاره بولاية العهد دون ابنه فأغروا أبا تاشفين بالتوثب على الامر وحملوه على الفتك بعشنويه مسعود بن أبي عامر واعتقال السلطان أبي حمو ليتم له الاستبداد وتحينوا لذلك قائلة الهاجرة عند ما انصرف السلطان من مجلسه وقد اجتمع اليه ببعض حجر القصر خاصته من البطانة وفيهم مسعود بن أبي عامر والوزراء من بني الملاح وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخصهم السلطان بحجابته سائر أيامه وكان مسمى الحجابة عنده قهرمة الدار والنظر في الدخل والخرج وهم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدراهم وربما دفعوا الى النظر في ذلك ثقة بأمانتهم نزل أولهم بتلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الاولى وزادوا اليها الفلاحة وتحلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه وكان لهم في دولة أبي حمو مزيد حظوة وعناية فولى على حجابته منهم لاول دولته محمد بن ميمون ابن الملاح ثم ابنه محمد الاشقر من بعده ثم ابنه ابراهيم بن محمد من بعدهما واشترك معه من قرابته على بن عبد الله بن الملاح فكانا يتوليان مهمه بداره ويحضران خلوته مع خاصته فحضروا يومئذ مع السلطان بعد انفضاض مجلسه كما قلناه ومعه من القرابة مسعود القتيل وحاموش بن عبد الملك بن حنيفة ومن الموالي معروف الكبير ابن أبي الفتوح بن عنتر من ولد نصر بن علي أمير بني يزيد بن توجين وكان السلطان قد استوزره (فلما علم) أبو تاشفين باجتماعهم هجم ببطانته عليهم وغلبوا الحاجب على بابه حتى ولجوه متسايلين بعد أن استمسكوا من اغلاقه حتى اذا توسطوا الدار اعتوروا السلطان بأسيافهم فقتلوه وحام أبو تاشفين عنها فلم يفرجوا عليه ولاذ أبو سرحان منهم ببعض زوايا الدار واستمكن من غلقها دونهم فكسروا الباب وقتلوه واستلحموا من كان هنالك من البطانة فلم يفلت الا الاقل وهلك الوزراء بنو الملاح واستبيحت منازلهم وطاف الهاتف بسكك المدينة بأن أبا سرحان غدر بالسلطان وان ابنه أبا تاشفين ثأر منه فلم يخف على الناس الشأن وكان موسى بن علي الكردي قائد العساكر قد سمع الصيحة فركب الى القصر فوجده مغلقا دونه

فظن الظنون فخشى استيلاء مسعود على الامر فبعث الى العباس بن يغمراسن كبير القرابة فأحضره عند باب القصر حتى اذا مر بهم الهاتف واستيقن مهلك أبى سرحان رد العباس على عقبه الى منزله ودخل الى السلطان أبى تاشفين وقد أدركه الدهش من الواقعة فثبته ونشطه لخفه وأجلسه بمجلس أبيه وتولى له عقد البيعة على قومه خاصة وعلى الناس عامة وذلك آخر جمادى الاولى من تلك السنة وجهز السلطان الى مدفنه بمقبرة سلفه من القصر القديم وأصبح مثلا فى الآخرين والبقاء لله وأشخص السلطان لاول ولايته سائر القرابة الذين كانوا بتلمسان من ولد يغمراسن وأجازهم الى العدوة حذرا من مغبة ترشيحهم وما يتوقع من الفتن على الدولة من قبلهم وقلد حجابته مولاه هلالا فاضطلع بأعبائها واستبد بالعقد والحل والابرام والنقض صدرا من دولته الى أن نكبه حسبما نذكره وعقد ليحيى بن موسى السنوسى من صنائع دولتهم على شلب وسائر أعمال مغراوة وعقد لمحمد بن سلامة بن على على عمله من بلاد بنى يدللتن من توجين وعزل أخاه سعدا فلحق بالمغرب وعقد لموسى بن على الكردى على قاصية المشرق وجعل اليه حصار بجاية وأغرى دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين فاستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك وأربى عليه فاحتفلت القصور والمصانع فى الحسن ما شاءت واتسعت أخباره على ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن نهوض السلطان أبى تاشفين لمحمد بن يوسف بجبل وانشريس واستيلاؤه عليه}

كان محمد بن يوسف بعد مرجع السلطان أبى حمو كما ذكرناه قد تغلب على جبل وانشريس ونواحيه واجتمع اليه الفل من مغراوة فاستفحل أمره واشتدت فى تلك النواحى شوكته وأهم أبا تاشفين أمره فاعتزم على النهوض اليه وجمع لذلك وأزاح العلل وأناخ على وانشريس وقد اجتمع به بنو توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف وكان بتغرين من بنى توجين بطانة ابن عبد القوى يرجعون فى رياستهم الى عمر بن عثمان حسبما نذكره وكان قد استخلص سواه من بنى توجين دونه فأسفه بذلك وداخل السلطان أبا تاشفين وواعده أن يتحول عنه فاقتحم السلطان عليهم الجبل وانحجز واجميعا الى حصن توكال فخالفهم عمر بن عثمان فى قومه الى السلطان بعد أن حاصرهم غمانيا فانفض الجمع واختل الامر وانفض الناس فاقتحم الحصن وتقبض على محمد بن يوسف وجىء به الى السلطان أسيرا وهو فى مركبه فعدد عليه ثم وخزه برمحه وتناوله الموالى برماحهم فأقعصوه وحمل رأسه على القناة الى تلمسان فنصب بشرافات البلد وعقد لعمر بن عثمان على جبل وانشريس وأعمال بنى عبد القوى ولسعيد العربى من مواليه على عمل المرية

وزحف الى الشرق فأغار على أحياء رياح وهم بوادي الجنان حيث الثنية المفضية من بلاد حمزة الى القبلة وصبح أحياءهم فاكتسح أموالهم ومضى في وجهه الى بجاية فعرس بساحتها ثلاثا وبها يومئذ الحاجب يعقوب بن عمر فامتنعت عليه فظهر له وجه المعذرة لأوليائهم في استعصامها وقفل الى تلمسان الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن حصار بجاية والفتنة الطويلة مع الموحدين التي كان فيها حتفه وذهاب سلطانه وانقراض الامر عن قومه برهة من الدهر

لما رجع السلطان ابو تاشفين من حصار بجاية سنة تسع وعشرين اعتمل في ترديد البعوث الى قاصية الشرق والالحاح بالغزو الى بلاد الموحدين فأغزاها جيوشه سنة عشرين فدوخوا ضواحي بجاية وقفلوا ثم غزاهم ثانية سنة احدى وعشرين وعليهم موسى بن علي الكردي فانتهى الى قسنطينة وحاصرها فامتنعت عليه فأفرج عنها وابتنى حصن بكر لاول مضيق الوادي وادي بجاية وأنزل به العساكر لنظر يحيي بن موسى قائد شلب وقفل الى تلمسان ثم نهض موسى بن علي ثالثة سنة ثنتين وعشرين فدوخ نواحي بجاية ونازلها أياما وامتنعت عليه فأفرج عنها ووفد سنة ثلاث وعشرين على السلطان حمزة بن عمر بن أبي الليل كبير البدو بافريقية صريخا على صاحب افريقية مولانا السلطان أبي يحيي فبعث معهم العساكر من زناتة وعامتهم من بني توجين وبني راشد وأمر عليهم القواد وجعلهم لنظر قائده موسى بن علي الكردي فنصلوا الى افريقية وخرج السلطان للقائهم فانهزموا بنواحي مرماجنة وتخطفتهم الايدي فاستلحموا وقتل مسامح مولاه ورجع موسى بن علي فاتهمه السلطان بالادهان وكان من نكبته ما نذكره في أخباره وسرح العساكر سنة أربع وعشرين فدوخت نواحي بجاية ولقيهم ابن سيد الناس فهزموه وهم وثبا الى البلد ووفد على السلطان سنة خمس وعشرين مشيخة سليم حمزة بن عمر بن أبي الليل وطالب بن مهلهل المتزاحمان في رياسة الكعوب ومحمد بن مسكين من بني القوس كبراء حكيم فاستحثوه للحركة واستصرخوه على افريقية وبعث معهم العساكر لنظر قائده موسى بن علي ونصب لهم ابراهيم بن أبي بكر الشهيد من أعياص الحفصيين وخرج مولانا السلطان أبو يحيي من تونس للقائهم وخشيهم على قسنطينة فسابقهم اليها فأقام موسى بن علي بعساكره على قسنطينة وتقدم ابراهيم بن أبي بكر الشهيد في أحياء سليم الى تونس فملكها كما ذكرناه في أخبارهم وامتنعت قسنطينة على موسى بن علي فأقلع عنها لخمس عشرة ليلة من حصارها وعاد الى تلمسان ثم أغزاه السلطان سنة ست وعشرين

في الجيوش وعهد اليه بتدويخ الضاحية ومحاصرة الثغور فنازل قسنطينة وأفسد نواحيها ثم رجع الى بجاية فحاصرها ثم عزم على الاقلاع ورأى أن حصن بكر غير صالح لتجهيز الكتائب اليها لبعده وارتاد للبناء عليها ما هو أقرب منه فاختط بمكان سوق الخميس بوادي بجاية مدينة لتجهيز الكتائب لها على بجاية وجمع الايدي على بنائها من الفعلة والعساكر فتمت لأربعين يوما وسموها تامزيزدكت باسم الحصن القديم الذي كان لبني عبد الواد قبل الملك بالجبل قبلة وجدة وأنزل بها عساكر تناهز ثلاثة آلاف وأوعز السلطان الى جميع عماله ببلاد المغرب الاوسط بنقل الحبوب اليها حيث كانت والادم وسائر المرافق حتى الملح وأخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا جباياتهم فثقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت أسعارها (وبعث) مولانا السلطان أبو يحيي جيوشه وقواده سنة سبع وعشرين فسلكوا الى بجاية على جبل بني عبد الجبار وخرج بهم قائدها أبو عبد الله بن سيد الناس الى ذلك الحصن وقد كان موسى بن علي عند بلوغ خبرهم اليه استنفر الجنود من ورائه وبعث الى القواد قبله بالبدار فالتقى الجمعان بضاحية تامزيزدكت فانكشف ابن سيد الناس ومات ظافر الكبير مقدم الموالي من العلوجين بباب السلطان واستبيح معسكرهم ولما سخط السلطان قائده موسى بن علي ونكبه كما نذكره في أخباره أغزى يحيي بن موسى السنوسي في العساكر الى افريقية ومعه القواد فعاثوا في نواحي قسنطينة وانتهوا الى بلد بونة ورجعوا وفي سنة تسع وعشرين بعدها وفد حمزة بن عمر على السلطان أبي تاشفين صريخا ووفد معه أو بعده عبد الحق بن عثمان فحل الشول من بني مرين وكان قد نزل على مولانا السلطان أبي يحيي منذ سنين فسخط بعض أحواله ولحق بتلمسان فبعث السلطان معهم جميع قواده بجيوشه لنظر يحيي بن موسى ونصب عليهم محمد بن أبي بكر بن عمران من أعياص الحفصيين ولقيهم مولانا السلطان أبو يحيي بالدياس من نواحي بلاد هوارة وانخزل عنه أحياء العرب من أولاد مهلهل الذين كانوا معه وانكشفت جموعه واستولى على ظعائنه بما فيها من الحرم وعلى ولديه احمد وعمر فبعثوا بهم الى تلمسان ولحق مولانا المنصور أبو يحيي بقسنطينة وقد أصابه بعض الجراحة في حومة الحرب وسار يحيي بن موسى وابن أبي عمران الى تونس واستولوا عليها ورجع يحيي بن موسى عنهم بجموع زناتة لأربعين يوما من دخولها فقفل الى تلمسان وبلغ الخبر الى مولانا السلطان أبي يحيي بقفول زناتة عنهم فنهض الى تونس وأجهض عنها ابن أبي عمران بعد أن كان أوفد من بجاية ابنه أبا زكريا يحيي ومعه محمد بن تافراكين من مشيخة الموحدين صريخا على أبي تاشفين فكان ذلك داعية الى انتقاض ملكه كما نذكره

بعدودا خل السلطان أبا تاشفين بعض أهل بجاية ودلوه على عورتها واستقدموه فنهض اليها وحذر بذلك الحاجب ابن سيد الناس فسابقه اليها ودخل يوم نزوله عليها وقتل من اتهم بالمداخلة فانحسم الداء وأقلع السلطان أبو تاشفين عنها وولى عيسى بن مزروع من مشيخة بنى عبد الواد على الجيش الذى بتامزيزدكت وأوعز اليه ببناء حصن أقرب الى بجاية من تامزيزدكت فبناه بالياقوتة من أعلى وادى بجاية فأخذ بمخنقها واشتد الحصار الى أن أخذ السلطان أبو الحسن بحجزتهم فأجفلوا جميعا الى تلمسان ونفس مختنق الحصار عن بجاية ونهض مولانا السلطان أبو يحيى بجيوشه من تونس الى تامزيزدكت سنة ثنتين وثلاثين فخربها فى ساعة من نهار كأن لم تغن بالأمس حسبما ذكرنا ذلك فى أخباره والله تعالى أعلم

الخبر عن معاودة الفتنة بين بنى مرين وحصارهم تلمسان ومقتل السلطان أبى تاشفين ومصائر ذلك

كان السلطان أبو تاشفين قد عقد السلم لأول دولته مع السلطان أبى سعيد ملك المغرب فلما انتقض عليه ابنه أبو على سنة ثنتين وعشرين بعد المهادنة الطويلة من لدن استبداده بسجلماسة بعث ابنه القعقاع الى أبى تاشفين فى الأخذ بحجزة أبيه عنه ونهض هو الى مراكش فدخلها وزحف اليه السلطان أبو سعيد فبعث أبو تاشفين قائده موسى ابن على فى العساكر الى نواحى تازى فاستباح عمل كارت واكتسح زروعه وقفل واعتدها عليه السلطان أبو سعيد وبعث أبو تاشفين وزيره داود بن على بن مكن رسولا الى السلطان أبى على بسجلماسة فرجع عنه مغاضبا وجنح أبو تاشفين بعدها الى التمسك بسلم السلطان أبى سعيد فعقد لهم ذلك وأقاموا عليها مدة فلما نفر ابن مولانا السلطان أبى يحيى على السلطان أبى سعيد ملك المغرب وانعقد الصهر بينهم كما ذكرناه فى أخبارهم وهلك السلطان أبو سعيد نهض السلطان أبو الحسن الى تلمسان بعد أن قدم رسله الى السلطان أبى تاشفين فى أن يقلع بجيوشه عن حصار بجاية ويتجافى للموحدين عن عمل تدلس فأبى وأساء الرد وأسمع الرسل بمجلسه هجر القول وأفزع اليهم الموالى فى الشتم لمرسلهم بمسمع من أبى تاشفين فأحفظ ذلك السلطان أبا الحسن ونهض فى جيوشه سنة ثنتين وثلاثين الى تلمسان فتخطاها الى تاسالت وضرب بها معسكره وأطال المقام وبعث المدد الى بجاية مع الحسن البطوى من صنائعه وركبوا فى أساطيله من سواحل وهران ووافاهم مولانا السلطان أبو يحيى ببجاية وقد جمع لحرب بنى عبد الواد وهدم تامزيزدكت وجاء لموعد السلطان أبى الحسن معه أن يجتمعا بعساكرهما لحصار تلمسان فنهض من بجاية الى تامزيزدكت وقد أجفل منها عساكر بنى عبد الواد

وتركوها قفرا ولحقت بها عساكر الموحدين فعاثوا فيها تخريبا ونهبا وألصقت جدرانها
بالارض وتنفس مخنق بجاية من الحصار وانكمش بنو عبد الواد الى ما وراء تخومهم
وفى خلال ذلك انتقض أبو على ابن السلطان أبى سعيد على أخيه وصمد من مقره
بسجلماسة الى درعة وفتك بالعامل وأقام فيها دعوته كما نذكر ذلك بعد وطار الخبر الى
السلطان أبى الحسن بمحلته بتاسالت فنهض راجعا الى المغرب لحسم دائه وراجع
السلطان أبو تاشفين عزه وانبعثت عساكره فى ضواحى عمله وكتب الكتائب وبعث بها
مددا للسلطان أبى على ثم استنفر قبائل زناتة وزحف الى تخوم المغرب سنة ثلاث وثلاثين
ليأخذ بحجزة السلطان أبى الحسن عن أخيه وانتهى الى الثغر من تاوريرت ولقيه هنالك
تاشفين ابن السلطان أبى الحسن فى كتيبة جهزها أبوه معه هنالك لسد الثغور ومعه
منديل بن حمامة شيخ بنى تيربيعن من بنى مرين فى قومه فلما برزوا اليه انكشف ورجع
الى تلمسان ولما تغلب السلطان أبو الحسن على أخيه وقتله سنة أربع وثلاثين جمع
لغزو تلمسان وحصارها ونهض اليها سنة خمس وقد استنفذ وسعه فى الاحتفال لذلك
واضطربت بها عساكره وضرب عليها سياج الاسوار وسرادقات الخنادق أطبقت عليهم
حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا اليهم وسرح كتائبه الى القاصية من كل جهة
فتغلب على الضواحى وافتتح الامصار جميعا وخرب وجدة كما يأتى ذكر ذلك كله وألح
عليها بالقتال يغاديها ويراوحها ونصب المجانيق وانحجز بها مع السلطان أبى تاشفين زعماء
زناتة من بنى توجين وبنى عبد الواد وكان عليهم فى بعض أيامها اليوم المشهور الذى
استلحمت فيه أبطالهم وهلك أمراؤهم وذلك أن السلطان أبا الحسن كان يباكرهم
فى الاسحار فيطوف من وراء أسواره التى ضربها عليهم شوطا يرتب المقاتلة و يثقف
الاطراف ويسد الفروج ويصلح الخلل وأبو تاشفين يبعث العيون فى ارتصاد فرصة فيه
وأطاف فى بعض الايام منتبذا عن الجملة فكمنوا له حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد
انقضوا عليه يحسبونها فرصة قد وجدوها وضايقوه حتى كاد السرعان من الناس أن
يصلوا اليه وأحس أهل المعسكر بذلك فركبوا زرافات ووحدانا وركب ابناه الاميران
أبو عبد الرحمن وأبو مالك جناحا عسكره وعقابا جحافله وتهاوت اليهم صقور بنى مرين
من كل جو فانكشفت عساكر البلد ورجعوا القهقرى ثم ولوا الادبار منهزمين لا يلوى
أحد منهم على أحد واعترضهم مهوى الخندق فتطارحوا فيه وتهافتوا على ردمه فكان
الهالك يومئذ بالردم أكثر من الهالك بالقتل وهلك من بنى توجين يومئذ كبير الحشم
وعامل جبل وانشريس ومحمد بن سلامة بن على أمير بنى يدللتن وصاحب قلعة تاوغزوت
وما اليها من عملهم وهما ماهما فى زناتة الى أشباههما وأمثال استلحموا فى هذه

الوقعة فحط هذا اليوم جناح الدولة وحطم منها واستمرت منازلة السلطان أبي الحسن اياها الى آخر رمضان من سنة سبع وثلاثين فاقتحمها يوم السابع والعشرين منه غلابا وبلجأ السلطان أبو تاشفين الى باب قصره في لمة من أصحابه ومعه ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي وعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من أعياص بني مرين وهو الذي لحق بهم من تونس كما ذكرناه وسيأتي ذكره وخبره ومعه يومئذ ابنا أخيه أبو زيان وأبو ثابت فانعوا دون القصر مستميتين الى أن استلحموا ورفعت رؤسهم على عصي الرماح فطيف بها وغصت سكك البلد من خارجها وداخلها بالعساكر وكضت أبوابها بالزحام حتى لقد كب الناس على أذقانهم وتواقعوا فوطئوا بالحوافر وتراكمت أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المذهب ما بين السقف ومسلك الباب وانطلقت الايدي على المنازل نهبا واكتساحا وخلص السلطان الى المسجد الجامع واستدعى رؤساء الفتيا والشورى أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى ابني الامام قدمهما من أعماله لمكان معتقده في أهل العلم فحضروه ورفعوا اليه أمر الناس وما نالهم من معرة العسكر ووعظوه فأناب ونادى مناديه برفع الايدي عن ذلك فسكن الاضطراب وأقصر العيث وانتظم السلطان أبو الحسن أمصار المغرب الاوسط وعمله الى سائر أعماله وتاخم الموحدين بثغوره وطمس رسم الملك لآل زيان ومعالمه واستتبع زناتة عصبا تحت لوائه من بني عبد الواد وتوجين ومغراوة وأقطعهم ببلاد المغرب سهاما أدالهم بها من تراثهم من أعمال تلمسان فانقرض ملك آل يغمراسن برهة من الدهر الى أن أعاده منهم أعياص سموا اليه بعد حين عند نكبة السلطان ابي الحسن بالقيروان كما نذكره فأومض بارقه وهبت ريحه والله يؤتي ملكه من يشاء

الخبر عن رجال دولته وهم موسى بن علي ويحيى بن موسى ومولاه هلال وأوليتهم ومصاير أمورهم واختصاصهم بالذكر لما صار من شهرتهم وارتفاع صيتهم

فأما موسى بن علي الحاجب الهالك فأصله من قبيلة الكرد من أعاجم المشرق وقد أشرنا الى الخلاف في نسبهم بين الامم وذكر المسعودي منهم أصنافا سماهم في كتابه من الشاهجان والبرسان والكيكان الى آخرين منهم وان مواطنهم ببلاد أذربيجان والشام والموصل وان منهم نصارى على رأي اليعقوبية وخوارج على رأي البراءة من عثمان وعلي انتهى كلامه (وكان) منهم طوائف بجبل شهرزور من عراق العجم وعادتهم يتقلبون في الرحلة ويتتبعون لسائمتهم مواقع الغيث ويتخذون الخيام لسكناهم من اللبود وجل مكاسبهم الشاء والبقر من الانعام وكانت لهم عزة وامتناع بالكثرة ورياسات ببغداد أيام تغلب الاعاجم على الدولة واستبدادهم بالرياسة ولما طمس ملك

بني العباس وغلب التتر على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة وقتل ملكهم هلاون آخر
خلفاء العباسيين وهو المستعصم ثم ساروا في ممالك العراق وأعماله فاستولوا عليها
وعبر الكثير من الكرد نهر الفرات فرارا أمام التتر لما كانوا يدينون بدين المجوسية
وصاروا في ايالة الترك فاستنكف أشرافهم وبيوتاتهم من المقام تحت سلطانهم وجاز
منهم الى المغرب عشيرتان تعرفان ببني لوين وبني بابير فين اليهم من الاتباع ودخلوا
المغرب لآخر دولة الموحدين ونزلوا على المرتضى بمراكش فأحسن تلقيهم وأكرم
مثواهم وأسنى لهم الجراية والاقطاع وأحلهم بالمحل الرفيع من الدولة (ولما انتقض)
أمر الموحدين بعد ثان وصولهم صاروا الى ملكة بني مرين ولحق بعضهم بيغمراسن بن
زيان ونزع المستنصر الى افريقية يومئذ بيت من بني بابير لا أعرفهم كان منهم
محمد بن عبد العزيز المعروف بالمزوار صاحب مولانا السلطان أبي يحيى وآخرون غيرهم
منهم وكان من اشهر من بقي في ايالة بني مرين منهم ثم من بني بابير علي بن حسن بن صاف
وأخوه سليمان ومن بني لوين خضر بن محمد وكانت تكون الفتنة بينهم كما كانت في مواطنهم
الاولى فاذا التعدو المعرب توافت اليهم أشياعهم من تلمسان وكان نضالهم بالسهام
وكانت القسي سلاحهم وكان من أشهر الوقائع بينهم وقيعة بفاس سنة أربع وسبعين
وستمائة جمع لها خضر رئيس بني لوين وسليمان وعلي رئيسا بني بابير واقتتلوا خارج باب
الفتوح وتركهم يعقوب بن عبد الحق لشأنهم من الفتنة حياء منهم فلم يعرض لهم وكان
مهلك سليمان منهم بعد ذلك مرابطا بثغر طريف عام تسعين وستمائة وكان لعلي بن حسن
ابنه موسى اصطفاه السلطان يوسف بن يعقوب وكشف له الحجاب عن داره وربي بين
حرمه فتمكنت له دالة سخط بسببها بعض الاحوال مما لم يرضه فذهب مغاضبا ودخل
الى تلمسان أيام كان يوسف بن يعقوب محاصرا لها فتلقاه عثمان بن يغمراسن من
التكرمة والترحيب بما يناسب محله من قومه ومنزلته من اصطناع السلطان وأشار
يوسف بن يعقوب على ابنه باستمالته فلقيه في حومة القتال وحادثه واعتذر له بكرامة
القوم اياه فحضه على الوفاء لهم ورجع الى السلطان فخبره الخبر فلم ينكر عليه وأقام
هو بتلمسان وهلك أبوه علي بالمغرب سنة سبع وسبعمائة ولما هلك عثمان بن يغمراسن بن
زيان زاده بنوه اصطناعا ومداخلة وخلطوه بأنفسهم وعقدوا له على العساكر لمحاربة
أعدائهم وولوه الاعمال الجليلة والرتب الرفيعة من الوزارة والحجابة ولما هلك السلطان
أبو حمو وقام بأمره ابنه أبو تاشفين وكان هو الذي تولى له أخذ البيعة على الناس وغص
بمكانه مولاه هلال فلما استبد عليه وكان كثيرا ما ينافس موسى بن علي ويناقشه فخشيه
على نفسه وأجمع على اجازة البحر للمرابطة بالاندلس ثم بادره هلال وتقبض عليه وغربه

بياض بالأصل

الى

الى العدوة ونزل بغرناطة وانتظم فى الغزاة المجاهدين وأمسك عن جراية السلطان ثم عدّ النهاية أيام مقامه وكانت من أثره ما جاء به وتحدّث به الناس فأغربوا وانتقدت لها جوانح هلال حسدا وعداوة فأغرى سلطانه فخاطب ابن الاحمر فى استقدامه فأسلمه اليه واستعمله السلطان فى حروبه على قاصيته حتى كان من نهوضه بالعساكر الى افريقية للقاء مولانا السلطان أبى يحيى سنة سبع وعشرين وكانت الدبرة عليه واستلحمت زناتة ورجع فى الفل فأغرى هلال السلطان وألقى فى نفسه التهمة به ونمى ذلك اليه فلحق بالعرب الزواودة وعقد مكانه على محاصرة بجاية ليحيى بن موسى صاحب شلب ونزل هو على سليمان ويحيى بن على بن سباع بن يحيى من أمراء الزواودة فى أحيائهم فلقوه مبرة وتعظيما وأقام بين أحيائهم مدة ثم استقدمه السلطان ورجع الى محله من مجلسه ثم تقبض عليه لاشهر وأشخصه الى الجزائر فاعتقله بها وضيق محبسه ذهابا مع أغراض منافسة هلال حتى اذا سخط هلالا استدعاه من محبسه أضيق ما كان فانطلق اليه فلما تقبض على هلال قلده موسى بن على حجابته فلم يزل مقيما رسمها الى يوم اقتحم السلطان أبو الحسن تلمسان فهلك مع أبى تاشفين وبنيه فى ساحة قصرهم كما قلناه وانقضى أمره والبقاء لله وانتظم بنوه بعد مهلكه فى جملة السلطان أبى الحسن وكان كبيرهم سعيد قد خلص من بين القتلى فى تلك الملحمة بباب القصر بعد هدوّ من الليل مثخنا بالجراح وكانت حياته بعدها تعدّ من الغرائب ودخل فى عفو السلطان الى أن عادت دولة بنى عبد الواد فكان له فى سوقها نفاق حسبما نذكره والله غالب على أمره (وأما يحيى بن موسى) فأصله من بنى سنوس احدى بطون كومية ولهم ولاء فى بنى كمين بالاصطناع والتربية ولما فصل بنو كمين الى المغرب قعدوا عنهم واتصلوا ببنى يغمراسن واصطنعوهم ونشأ يحيى بن موسى فى خدمة عثمان وبنيه واصطناعهم (ولما كان) الحصار ولاه أبو حمو مهمه من التطواف بالليل على الحرس بمقاعدهم من الاسوار وقسم القوت على المقاتلة بالمقدار وضبط الابواب والتقدم فى حومة الميدان وكان له أعوان على ذلك من خدامه قد لزموا الكون معه فى البكر والآصال والليل والنهار وكان يحيى هذا منهم فعرفوا له خدمته وذهبوا الى اصطناعه وكان من أول ترشيحه ترديد أبى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فيما بينهم من المضاربة فكان يجلى فى ذلك ويوفى من عرض مرسله ولما خرجوا من الحصار أربوا به على رتب الاصطناع والتنويه (ولما ملك أبو تاشفين) استعمله بشلب مستبدا بها وأذن له فى اتخاذ الآلة ثم لما عزل موسى بن على عن حرب الموحدين وقاصية الشرق عزله به وكانت المرية وتنس من عمله فلما نازل السلطان أبو الحسن تلمسان راسله بالطاعة والكون معه فتقبله وجاء به من

مكان عمله فقدم عليه بمخيمه على تلمسان فاختصه باقباله ورفع مجلسه من بساطه ولم يزل عنده بتلك الحال الى أن هلك بعد افتتاح تلمسان والله مصرف الاقدار (وأما هلال) فأصله من سبي النصارى القطلونيين أهداه السلطان ابن الاحمر الى عثمان وصار الى السلطان أبي حمو فأعطاه الى ولده أبي تاشفين فيما أعطاه من الموالى العلوجين ونشأ عنده وتربى وكان مختصا عنده بالراحلة والدالة وتولى كبر تلك الفعلة التي فعلوا بالسلطان أبي حمو ولما ولى بعده ابنه أبو تاشفين ولاه على حجابته وكان مهيبا فظا غليظا فقعد مقعد الفصل ببابه وأرهف للناس سطوه وزحزح المرشحين من رتب المماثلة الى التعلق بأهدابه فاستولى على الامر واستبد على السلطان ثم حذر مغبة الملك وسوء العواقب فاستأذن السلطان في الحج وركب اليه من هنين بعض السفن اشتراها بماله وشحنها بالعبيد والعدة والاقوات والمقاتلة وأقام كاتبه الحاج محمد بن حواتة بباب السلطان على رسم النيابة عنه وأقلع سنة أربع وعشرين فنزل بالاسكندرية وصحب الحاج من مصر في جملة الامير عليهم ولقى في طريقه سلطان السودان من آل منسى موسى واستحكمت بينهما المودة ثم رجع بعد قضاء فرضه الى تلمسان فلم يجد مكانه من السلطان ولم يزل من بعد ذلك يتنكر له وهو يداريه بالمداراة والاستجداء الى أن سخطه فتقبض عليه سنة تسع وعشرين وأودعه سجنه فلم يزل معتقلا الى أن هلك من وجع أصابه قبيل فتح تلمسان ومهلك السلطان بأيام فكانت آية عجبا في تقارب مهلكهما واقتراب سعادتهما ونحوستهما وقد كان السلطان أبو الحسن يتبع الموالى الذين شهدوا مقتل السلطان أبي حمو وأفلت هلال هذا من عقابه بموته والله بالغ حكمه

{الخبر عن انتزاء عثمان بن جرار على ملك تلمسان بعد نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وعود الملك بذلك لبني زيان}

كان بنو جرار هؤلاء من فصائل بني دوكس بن طاع الله وهم بنو جرار بن يعلى بن يدوكس وكان بنو محمد بن زكراز يغضون اليهم من أول الامر حتى صار الملك اليهم واستبدوا به فجروا على جميع الفصائل من عشائرهم ذيل الاحتقار ونشأ عثمان بن يحيى ابن محمد بن جرار هذا من بينهم مرموقا بعين التجلة والرياسة وسعى عند السلطان أبي تاشفين بأن في نفسه تطاولا للرياسة فاعتقله مدة وفر من محبسه فلحق بملك المغرب السلطان سعيد فأكرم نزله وأكرم منزله واستقر بمثواه فنسك وزهد واستأذن السلطان عند تغلبه على تلمسان في الحج بالناس فأذن له وكان قائد الركب من المغرب الى مكة سائر أيامه حتى استولى السلطان أبو الحسن على اعمال الموحدين وحشد أهل المغرب من زناتة والعرب لدخول افريقية اندرج عثمان هذا في جملته واستأذنه قبيل القيروان في الرجوع الى

المغرب فأذن له ولحق بتلمسان فنزل على أميرها من ولد الامير أبي عنان كان قد عقد له على عملها ورشحه لولاية العهد بولايتها فازدلف اليه   من الخبر عن أبيه وتلطف فيما أودع سمعه من تورط أبيه في مهالك افريقية واياسه من خلاصه ووعده بمصير الامر اليه على ألسنة الخبراء والكهان وكان يظن فيه أن لديه من ذلك علما وعلى تفيئة ذلك كانت نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وظهر مصداق ظنه واصابة قياسه فأغراه بالتوثب على ملك أبيه والبدار الى فاس لغلب منصور بن أخيه أبي مالك عليها كان استعمله جده أبو الحسن هنالك وأراه آية سلطانه وشواهد ملكه وتحيل عليه في اشاعة مهلك السلطان أبي الحسن والقائه على الالسنة حتى أوهم صدقه وتصدى الامير أبو عنان للامر وتمايل اليه الفل من عساكر بني مرين فاستلحق وبث العطاء واعلن بالدعاء لنفسه في ربيع سنة تسع وأربعين وعسكر خارج تلمسان للنهوض الى المغرب كما نذكره في أخبارهم ولما فصل دعا عثمان لنفسه واستوى على كرسيه واتخذ الآلة وأعاد من ملك بني عبد الواد رسما لم يكن لآل جرار واستبد أشهرا قلائل الى أن خلص اليه من آل زيان من ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن من طمس معالمه وخسف به وبداره وأعاد امر بني عبد الواد في نصابه حسبما نذكره والله أعلم

•(الخبر عن دولة أبي سعيد وأبي ثابت من آل يغمراسن وما فيها من الاحداث)•

كان الامير أبو يحيى جدهما من أكبر ولد يغمراسن بن زيان وكان ولي عهده بعد مهلك أخيه عمر الاكبر ولما تغلب يغمراسن على سجلماسة سنة احدى وستين وستمائة استعمله عليها فأقام بها حولا وولد له هنالك ابنه عبد الرحمن ثم رجع الى تلمسان فهلك بها ونشأ عبد الرحمن بسجلماسة ولحق بتلمسان بعد أمه فأقام مع بني أبيه الى أن غص السلطان بمكانه وغربه الى الاندلس فمكث بها حينا وهلك في مرابطته بثغر قرمونة في بعض أيام الجهاد وكان له بنون أربعة يوسف وعثمان والزعيم وابراهيم فرجعوا الى تلمسان وأوطنوها أعواما حتى اذا استولى السلطان أبو الحسن على ملكهم وأضاف الى دولته دولتهم نقلهم من تلمسان الى المغرب في جملة أعياصهم ثم سألوا اذنه في المرابطة بثغور الاندلس التي في عمله فأذن لهم وفرض لهم العطاء وأنزلهم بالجزيرة فكانت لهم بالجهاد مواقف مذكورة ومواطن معروفة ولما استنفر السلطان أبو الحسن زناتة لغزو افريقية سنة ثمان وأربعين كانوا في جملته مع قومهم بني عبد الواد في رايتهم ومكانهم معلوم بينهم فلما اضطرب أمر السلطان أبي الحسن وتألب عليه الكعوب من بني سليم أعراب افريقية وواضعوه الحرب بالقيروان كان بنو عبد الواد أول النازعين عنه اليهم فكانت النكبة وانحجز بالقيروان وانطلقت ايدي

بياض في الأصل

الاعراب على الضواحى وانتقض المغرب من سائر أعماله أذنوا لبنى عبد الواد فى اللحاق بقطرهم ومكان عملهم فمروا بتونس وأقاموا بها أياما وخلص الملأ منهم نجيا فى شأن أمرهم ومن يقدمون عليهم فأصفقوا بعد الشورى على عثمان بن عبد الرحمن واجتمعوا اليه اشهدهم يومئذ وقد خرجوا به الى الصحراء وأجلسوه بباب مصلى العيد من تونس على درقة ثم ازدحموا عليه بحيث توارى شخصه عن الناس يسلمون عليه بالامارة ويعطونه الصفقة على الطاعة والبيعة حتى استهلوا جميعا ثم انطلقوا به الى رحالهم واجتمع مغراوة أيضا الى أميرهم على بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل الذى ذكرناه من قبل وتعاهدوا على الصحابة الى أعمالهم والمهادنة آخر الايام واستئثار كل بسلطانه وتراث سلفه وارتحلوا على تفيئة ذلك الى المغرب وشنت البوادى عليهم الغارات فى كل وجه فلم يظفروا منهم بقلامة ظفر مثل وينفن ونونة وأهل جبل بنى ثابت وبلمرتو ابجاية وكان بها فل من مغراوة وتوجين نزلوا بها منذ غلبوا على أعمالهم وصاروا فى جند السلطان فارتحلوا معهم واعترضهم بجبل الزاب برابرة زواوة فأوقعوا بهم وظهر من نجدتهم وبلائهم فى الحروب ما هو معروف لأوليهم ثم لحقوا بشلب فتلقتهم قبائل مغراوة وبايعوا لسلطانهم على بن راشد فاستوسق ملكه وانصرف بنو عبد الواد والاميران أبو سعيد وأبو ثابت بعد ان أحكموا العقد وأبرموا الوثاق مع على بن راشد وقومه وكان فى طريقهم بالبطحاء أحياء سويد ومن معهم من احلافهم قد نزلوا هنالك مع شيخهم ونزمار بن عريف منهزمهم من تاسالت أمام جيوش السلطان أبى عنان فأجفلوا من هنالك ونزل بنو عبد الواد مكانهم وكان فى جملتهم جماعة من بنى جرار بن يندوكس كبيرهم عمران بن موسى ففر ابن عثمان بن يحيى بن جرار الى تلمسان فعقد له على حرب أبى سعيد وأصحابه فنزل الجند الذين خرجوا معه الى السلطان أبى سعيد وانقلب هو الى تلمسان والقوم فى أثره فأدرك بطريقه وقتل ومر السلطان الى البلد فثارت العامة بعثمان بن جرار فاستأمن لنفسه من السلطان فأمنه ودخل الى قصر الملك آخر جمادى الاخيرة من سنة تسع وأربعين فاقتعد أريكته وأصدر أوامره واستوزر واستكتب وعقد لأخيه أبى ثابت الزعيم على ما وراء بابه من متون ملكهما وعلى القبيل والحروب واقتصر هو على ألقاب الملك واسمائه ولزم الدعة وتقبض لأول دخوله على عثمان بن يحيى بن جرار فأودعه المطبق الى أن مات فى رمضان من سنته ويقال قتيلا وكان من أول غزوات السلطان أبى ثابت غزاته الى كومية وذلك أن كبيرهم ابراهيم بن عبد الملك كان شيخا عليهم منذ حين من الدهر وكان ينتسب فى بنى عابد وهم قوم عبد المؤمن بن على من بطون كومية فلما وقع الهرج بتلمسان حسب أنه لا ينجلى

غمامه وحدثته نفسه بالانتزاء فدعا لنفسه وأضرم بلاد كومية وما اليها من السواحل نارا وفتنة فجمع له السلطان أبو ثابت ونهض الى كومية فاستباحهم قتلا وسبيا وأقحمهم هنين ثم تدرومة بعدها وتقبض على ابراهيم بن عبد الملك الخارج فجاء به معتقلا الى تلمسان وأودعه السجن فلم يزل به الى أن قتل بعد أشهر وكانت أمصار المغرب الاوسط وثغوره لم تزل على طاعة السلطان أبي الحسن والقيام بدعوته وبها حاميته وعماله وأقربها الى تلمسان مدينة وهران كان بها القائد عبدون بن سعيد بن جانا من صنائع بني مرين قد ضبطها ولقبها وملأها أقواتا ورجلا وسلاحا وملأ مراسيها أساطيل فكان أول ما قدموه من أعمالهم النهوض اليه فنهض السلطان أبو ثابت بعد أن جمع قبائل زناتة والعرب ونزل على وهران وحاصرها أياما وكان في قلوب بني راشد احلافهم مرض قد داخلوا قائد البلد في الانقضاض على السلطان أبي ثابت ووعدوه الوفاء بذلك عند المناجزة فبرز وناجزهم الحرب فانهزم بنو راشد وجرّوا الهزيمة على من معهم وقتل محمد ابن يوسف بن عنان بن فارس أخي يغمراسن بن زيان من أكابر القرابة وانتهب المعسكر ونجا السلطان أبو ثابت الى تلمسان الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

‌(الخبر عن لقاء أبي ثابت مع الناصر ابن السلطان أبي الحسن وفتح وهران بعدها)

كان السلطان أبو الحسن بعد وقعة القيروان قد لحق بتونس فأقام بها والعرب محاصرون له ينصبون الاعياص من الموحدين لطلب تونس واحدا بعد آخر كما ذكرناه في أخبارهم وبينما هو مؤمل الكرّة ووصول المدد من المغرب الاقصى اذ بلغه الخبر بانتقاض الكافة أجمع وبانتقاض ابنه وحافده ثم استيلاء بني عنان على المغرب كله ورجوع بني عبد الواد ومغراوة وتوجين الى ملكهم بالمغرب الاوسط للدعوة التي كانت قائمة له بأمصاره في الجزائر ووهران وجبل وانشريس وكان به نصر بن عمر بن عثمان بن عطية قائما بدعوته وأن يكون عريف بن يحيى في جملة الناصر لمكانه من السلطان ومكان قومه من الولاية وكان ذلك من عريف تفاديا من المقام بتونس فأجاب اليه السلطان وبعثهم جميعا ولحق الناصر ببلاد حصين فأعطوه الطاعة وارتحلوا معه ولقيه العطاف والديالم وسويد فاجتمعوا اليه وتألبوا معه وارتحلوا يريدون منداس وبينما الامير أبو ثابت يريد معاودة الغزو الى وهران اذ جاءه الخبر بذلك فطيّره الى السلطان أبي عنان وجاءه العسكر من بني مرين مددا صحبة أبي زيان ابن أخيه أبي سعيد كان مستقرا بالمغرب منذ نهوضهم الى القيروان وبعث عنه أبوه فجاء مع المدد من العساكر والمال ونهض أبو ثابت من تلمسان أول المحرم سنة خمسين وبعث الى مغراوة بالخبر فقعدوا عن مناصرته ولحق ببلاد العطاف فلقيه الناصر هنالك في جموعه بوادي ورك آخر شهر

ربيع الاول فانكشفت جموع العرب وانهزموا ولحق الناصر بالزاب فنزل على أبي مزني ببسكرة الى أن أصحبه من رجالات سليم من أوصله الى أبيه بتونس ولحق عريف ابن يحيى بالمغرب الاقصى واحتل عند السلطان أبي عنان بمكانه من مجلسهم فحصل على البغية ورجع العرب كلهم الى طاعة أبي ثابت وخدمته واستراب بصغير بن عامر بن ابراهيم فتقبض عليه وأشخصه معتقلا مع البريد الى تلمسان فاعتقل بها الى أن أطلق بعد حين وقفل أبو ثابت الى تلمسان فتلوم بها أياما ثم نهض الى وهران في جمادى من سنته فحاصرها أياما ثم افتتحها عنوة وعفا عن علي بن جانا القائم بعد مهلك أخيه عبو وعمن معه وأطلق سبيلهم واستولى على ضواحي وهران وما اليها ورجع الى تلمسان وقد استحكمت العداوة بينه وبين مغراوة وكان قد استجرها ما قدمناه من قعودهم عن نصره فنهض اليهم في شوال من سنته والتقوا عدوة وادي زهير فاقتتلوا مليا ثم انكشفت مغراوة ولحقوا بمعاقلهم واستولى أبو ثابت على معسكرهم وملك مازونة وبعث بيعتها الى أخيه السلطان أبي سعيد وكان على اثر ذلك وصول السلطان أبي الحسن من تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن وصول السلطان أبي الحسن من تونس ونزوله بالجزائر وما دار بينه وبين أبي ثابت من الحروب ولحوقه بعد الهزيمة بالمغرب

كان السلطان أبو الحسن بعد واقعة القيروان طال مقامه بتونس وحصار العرب اياه واستدعاء أهل المغرب الاقصى وانتقض عليه أهل الجريد وبايعوا الفضل بن مولانا السلطان أبي يحيى فأجمع الرحلة الى المغرب وركب السفن من تونس أيام الفطر من سنة خمسين فعصفت به الريح وأدركه الغرق فغرق أسطوله على ساحل بجاية ونجا بذمائه على بعض الجزائر هنالك حتى لحقه أسطول من أساطيله فجاء فيه الى الجزائر وبها حمو ابن يحياتن العسري قائده وصنيعة أبيه فنزل عليه وبادر اليه أهل ضاحيتها من مليكش والثعالبة فاستخدمهم وبث فيهم العطاء واتصل خبره بونزمار بن عريف وهو في أحياء سويد فوفد عليه في مشيخة من قومه ووفد معه نصر بن عمر بن عثمان صاحب جبل وانشريس من بني يتغرين وعدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي الثائر بنواحي المرية من ولد عبد القوي فأعطوه الطاعة واستحثوه للخروج معهم فردهم للحشد فجمعوا من اليهم من قبائل العرب وزناتة وبينا الامير أبو ثابت ببلاد مغراوة محاصرا لهم في معاقلهم اذ بلغه الخبر بذلك في ربيع سنة احدى وخمسين فعقد السلم معهم ورجع الى قتال هؤلاء فأخذ على منداس وخرج الى السرسو قبلة وانشريس وأجفل أمامه ونزمار وجموع العرب الذين معه ولحق به هنالك مدد السلطان أبي

عنان قائدهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى فاتبع آثار العرب وشرّدهم ولحقت أحياء حصين بمعاقلهم من جبل تيطرى ثم عطف على المرية فافتتحها وعقد عليها لعمر بن موسى الجلولى من صنائعهم ثم نهض الى حصين فاقتحم عليهم الجبل فلاذوا بالطاعة وأعطوا أبناءهم رهنا عليها فتجاوزهم الى وطاء حمزة فدوّخها واستخدم قبائلها من العرب والبربر والسلطان أثناء ذلك مقيم بالجزائر ثم قفل أبو ثابت الى تلمسان وقد كان استراب بيحيى بن رحو وعسكره من بنى مرين وأنهم داخلوا السلطان أبا الحسن وبعث فيه الى السلطان أبى عنان فأداله بعيسى بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد ابن يعقوب فبعثه قائدا على الحصة المرينية فتقبض على يحيى بن رحو ولحقوا مع أبى ثابت بتلمسان ثم أجاز الى المغرب وأوعز السلطان أبو الحسن الى ابنه الناصر مع أوليائه من زناتة والعرب فاستولى على المرية وقتل عثمان بن موسى الجلولى ثم تقدم الى مليانة فملكها والى تيمزوغت كذلك وجاء على اثره السلطان أبو الحسن كذلك أبوه وقد اجتمعت اليه الجموع من زغبة ومن زناتة ومن عرب افريقية سليم ورياح مثل محمد بن طالب بن مهلهل ورجال من عشيرته وعمر بن على بن أحمد الذوادى وأخيه أبى دينار ورجالات من قومهما وزحف على هذه التعبية وابنه الناصر أمامه فأجفل على بن راشد وقومه مغراوة عن بلادهم الى البطحاء وطير الخبر الى أبى ثابت فوافاه فى قومه وحشوده وزحفوا جميعا الى السلطان أبى الحسن وقومه فالتقى الجمعان بتيغزين من شلب وصابروا مليا ثم انكشف السلطان أبو الحسن وقومه وطعن ولده الناصر بعض فرسان مغراوة وهلك آخر يومه وقتل محمد بن على بن العربى قائد أساطيله وابن البواق والقبائلى كاتباه واستبيح معسكره وما فيه من متاع وحرم وخلص بناته الى وانشريس وبعث بهن أبو ثابت الى السلطان أبى عنان بعد استيلائه على الجبل وخلص السلطان أبو الحسن الى أحياء سويد الى الصحراء فصحبه ونزمار بن عريف الى سجلماسة كما يأتى فى أخباره ودوّخ أبو ثابت بلاد بنى توجين وقفل الى تلمسان والله تعالى أعلم

(الخبر عن حروبهم مع مغراوة واستيلاء أبى ثابت على بلادهم)
(ثم على الجزائر ومقتل على بن راشد بتنس على اثر ذلك)

كان بين هذين الحيين من عبد الواد ومغراوة فتن قديمة سائر أيامهم قد ذكرنا الكثير منها فى أخبارهم وكان بنو عبد الواد قد غلبوهم على أوطانهم حتى قتل راشد بن محمد فى جلائه أمامهم بين زواوة ولما اجتمعوا بعد نكبة القيروان على أميرهم على بن راشد وجاؤه من افريقية الى أوطانهم مع بنى عبد الواد ولم يطمعوهم حينئذ أن يغلبوهم رجعوا حينئذ الى توثيق العهد وتأكيد العقد فأبرموه وقاموا على الموادعة

والتظاهر على عدوهم وعروق الفتنة تنبسط من كل منهم ولما جاء الناصر من افريقية وزحف اليه أبو ثابت قعد عنه على بن راشد وقومه فاعتدها عليهم وأمرها فى نفسه ثم اجتمع بعد ذلك للقاء السلطان أبى الحسن حتى انهزم ومضى الى المغرب فلما رأى أبو ثابت أنه قد كفى عدوه الاكبر وفرغ الى عدوه الاصغر نظر فى الانتقاض عليهم فبينما هو يروم أسباب ذلك اذ بلغه الخبر أن بعض رجالات بنى كمين من مغراوة جاء الى تلمسان فاغتالوه فحمى له أنفه وأجمع لحربهم وخرج من تلمسان فاتحة ثنتين وخمسين وبعث فى أحياء زغبة من بنى عامر وسويد فجاءوه بفارسهم وراجلهم وظعائنهم وزحف الى مغراوة فخافوا من لقائه وتحصنوا بالجبل المطل على تنس فحاصرهم فيه أياما اتصلت فيها الحروب وتعددت الوقائع ثم ارتحل عنهم فجال فى نواحى البلد ودوخ أقطارها وأطاعته مليانة والمرية وبرشك وشرشال ثم تقدم بجموعه الى الجزائر فأحاط بها وبها فل بنى مرين وعبد الله بن السلطان أبى الحسن تركه هنالك صغيرا فى كفالة على بن سعيد ابن جانا فغلبهم على البلد وأشخصهم فى البحر الى المغرب وأطاعته الثعالبة ومليكش وقبائل حصين وعقد على الجزائر لسعيد بن موسى بن على الكردى ورجع الى مغراوة فحاصرهم بمعقلهم الاول بعد أن انصرفت العرب الى مشاتيها فاشتد الحصار على مغراوة وأصاب مواشيهم العطش فانحطت دفعة واحدة من الجبل تطلب المورد فأصابهم الدهش ونجا على بن راشد الى تنس فأحاط به أبو ثابت أياما ثم اقتحمها عليه غلابا منتصف شعبان من سنته فاستعجل المنية وتحامل على نفسه فذبح نفسه وافترقت مغراوة من بعده وصارت أوزاعا فى القبائل وقفل أبو ثابت الى تلمسان الى أن كان من حركة السلطان أبى عنان مانذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن استيلاء السلطان ابى عنان على تلمسان وانقراض أمر بنى عبد الواد ثانية

لما لحق السلطان أبو الحسن بالمغرب وكان من شأنه مع ابنه أبى عنان الى أن هلك بجبل هنتانة على مانذكره فى أخبارهم فاستوسق ملك المغرب للسلطان أبى عنان وفرغ لعدوه وسما لاسترجاع الممالك التى ابتزها أبوه وانتزعها ممن توثب عليه وكان قد بعث اليه على ابن راشد من مكان امتناعه من جبل تنس يسأل منه الشفاعة فرد أبو ثابت شفاعته وأحفظه ذلك وبلغه مقتل على بن راشد فاجمع غزو تلمسان ونذر بذلك أبو سعيد وأخوه فخرج أبو ثابت وحشد القبائل من زناتة والعرب منتصف ذى القعدة ونزل بوادى شلب واجتمع الناس اليه وواصلته هنالك بيعة تدلس فى ربيع من سنة ثلاث غلب عليها الموحدون جانا الخراسانى من صنائعه وبلغه من مكانه ذلك زحف السلطان أبى

عثمان فرجع الى تلمسان ثم خرج الى المغرب وجاء على اثره أخوه السلطان أبو سعيد في العساكر من زناتة ومعه بنو عامر من زغبة والفل من سويد اذ كان جمهورهم قد لحقوا بالمغرب لمكان عريف بن يحيى وابنه من ولاية بنى مرين فزحفوا على هذه التعبية وزحف السلطان أبو عنان في أمم المغرب والعرب المعقل والمصامدة وسائر طبقات الجنود والحشد وانتهوا جميعا الى انكاد من بسيط وجدة فكان اللقاء هنالك آخر ربيع الثاني من سنة ثلاث وخمسين واجتمع بنو عبد الواد على صدمة العساكر وقت القائلة وبعد ضرب الابنية وسقاء الركاب وافتراق أهل المعسكر في حاجاتهم فاعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو الحسن لتلافي الامر فاجتمع اليه اوشاب من الناس وانفض سائر المعسكر ثم زحف اليهم فيمن حضره وصدقوهم القتال فاختل مصافهم ومضوا اكتافهم وخاضوا بحر الظلماء واتبع بنو مرين آثارهم وتقبض على أبي سعيد ليلتئذ مقيدا أسيرا الى السلطان أبى عنان بمشهد الملاوو بخه ثم نقل الى محبسه وقتل لتاسعة من ليالى اعتقاله وارتحل السلطان أبو عنان الى تلمسان ونجا الزعيم أبو ثابت بمن معه من فل بنى عبد الواد ومن خلص اليه منهم ذاهبا الى بجاية ليعيد في ايالة الموحدين ولجأ من عدوه نميته زواوة في طريقه وألدعن أصحابه وأرجل عن فرسه وذهب راجلا عاريا ومعه رفقاء من قومه منهم أبو زيان محمد ابن أخيه السلطان أبو سعيد وأبو حمو موسى ابن أخيهم يوسف ابن أخيه ووزيرهم يحيى بن داود بن فكن وكان السلطان أبو عنان أوعز الى صاحب بجاية يومئذ المولى أبى عبد الله حافد مولانا السلطان أبي بكر بأن يأخذ عليهم الطرق ويذكى في طلبهم العيون فعثر عليهم بساحة البلد وتقبض على الامير أبى ثابت الزعيم وابن أخيه محمد بن أبى سعيد ووزيرهم يحيى ابن داود وأدخلوا الى بجاية ثم خرج صاحبها الامير أبو عبد الله الى لقاء السلطان أبى عنان واقتادهم في قبضة أسره فلقيه بمعسكره من ظاهر المرية فأكرم وفادته وشكر صنيعه وانكفأ راجعا الى تلمسان فدخلها في يوم مسعود وحمل يومئذ أبو ثابت ووزيره يحيى على جملين يتهاديان بهما بين سماطى ذلك المحمل فكان شأنهم ما عجبا ثم سيقا ثاني يومهما الى مصرعهما بصحراء البلد فقتلا قعصا بالرماح وانقرض ملك آل زيان وذهب ما أعاده لهم بنو عبد الرحمن هؤلاء من الدولة بتلمسان الى أن كانت لهم الكرة الثالثة على يد أبى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن المتولى لها لهذا العهد على ما سنذكره ونستوفى من أخباره ان شاء الله تعالى

بياض بالأصل

بياض بالأصل

الخبر عن دولة السلطان أبي حمو الاخير مديل الدولة بتلمسان في الكرة الثالثة لقومه وشرح ما كان فيها من الاحداث لهذا العهد

كان يوسف بن عبد الرحمن هذا في ايالة أخيه السلطان أبي سعيد بتلمسان هو وأخوه أبو حمو موسى وكان متكاسلا عن طلب الظهور متجافيا عن التهالك في طلب العز جانحا الى السكون ومذاهب أهل الخير حتى اذا عصفت بدولتهم رياح بني مرين وتغلب السلطان أبو عنان عليهم وابتزهم ما كان بيدهم من الملك وخلص ابنه أبو حمو موسى مع عمه أبي ثابت الى الشرق وقذفت النوى بيوسف مع أشراف قومه الى المغرب فاستقر به ولما انقبض على أبي ثابت على وطن بجاية أغفل أمر أبي حمو من بينهم ونبت عنه العيون فخلصا الى تونس ونزل بها على الحاجب أبي محمد تافراكين فأكرم نزله وأحله بمكان أعياص الملك من مجلس سلطانه ووفر جرايته ونظم معه آخرين من فل قومه وأوعز السلطان أبو عنان اليه بازعاجهم عن قرارهم في دولته فحمى لها انفه وأبى عن الهضيمة لسلطانه فأغرى ذلك أبا عنان بمطالبته وكانت حركته الى بلاد افريقية ومنابذة العرب من رياح وسليم لعهده ونقضهم لطاعته كما نستوفي أخباره ولما كانت سنة تسع وخمسين قبل مهلكه اجتمع أمر الزواودة من رياح الى الحاجب أبي محمد بن تافراكين ورغبوه في لحاق أبي حمو موسى بن يوسف بالعرب من زغبة وانهم ركابه لذلك ليجلب على نواحي تلمسان ويجعل السلطان أبي عنان شغلا عنهم وسألوه أن يجهز عليه بعض آلة السلطان ووافق ذلك رغبة صغير بن عامر أمير زغبة في هذا الشأن وكان يومئذ في أحياء يعقوب بن علي وجواره فأصلح الموحدون شأنه بما قدروا عليه ودفعوه الى مصاحبة صغير وقومه من بني عامر وارتحل معهم من الزواودة عثمان بن سباع ومن احلافهم بنو سعيد دغار بن عيسى بن رحاب وقومه ونهضوا بجموعهم يريدون تلمسان وأخذوا على القفر ولقيهم أثناء طريقهم الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان فقويت عزائمهم على ارتجاع ملكهم ورجع عنهم صولة بن يعقوب وأغذ السير الى تلمسان وبها الكتائب المجمهرة من بني مرين واتصل خبر ابي حمو بالوزير الحسن بن عمر القائم بالدولة من بعد مهلك السلطان أبي عنان والمتغلب على ولده السعيد من بعده فجهز المدد الى تلمسان من الحامية والاموال ونهض أولياء الدولة من أولاد عريف بن يحيى أمراء البدو من المغرب في قومهم من سويد ومن اليهم من العرب لموافقة السلطان أبي حمو وأشياعه فانفض جمعهم وغلبوا على تلك المواطن واحتل السلطان أبو حمو وجموعه بساحة تلمسان وأناخوا ركابهم عليها ونازلوها ثلاثا ثم اقتحموها في صبيحة الرابع وخرج ابن السلطان أبي عنان الذي كان أميرا عليها في لمة من قومه فنزل على

صغير بن عامر أمير القوم فأحسن تجلته وأصحبه من عشيرته الى حضرة أخيه ودخل السلطان أبو حمو تلمسان لثمان خلون من ربيع الاول سنة ستين واحتل منها بقصر ملكه واقتعد أريكته وبويع بيعة الخلافة ورجع الى النظر في تمهيد قواعد ملكه واخراج بني مرين من أمصار مملكته والله أعلم

(الخبر عن اجفال أبي حمو عن تلمسان أمام عساكر المغرب ثم عوده اليها)

كان القائم بأمر المغرب من بعد السلطان أبي عنان وزيره الحسن بن عمر كافل ابنه السعيد الذي أخذ له البيعة على الناس فاستبد عليه وملك أمره وجرى على سياسة السلطان الهالك واقتفى أثره في الممالك الدانية والقاصية في الحماية والنظر لهم وعليهم ولما اتصل به خبر تلمسان وتغلب أبي حمو عليها قام في ركائبه وشاور الملأ في النهوض اليه فأشاروا عليه بالقعود وتسريح الجنود والعساكر فسرح لها ابن عمه مسعود بن رحو بن علي بن عيسى بن ماساي بن فودود وحكمه في اختيار الرجال واستجادة السلاح وبذل الاموال واتخاذ الآلة فزحف الى تلمسان واتصل الخبر بالسلطان أبي حمو وأشياعه من بني عامر فأفرج عنها ولحق بالصحراء ودخل الوزير مسعود بن رحو تلمسان وخالفه السلطان أبي حمو الى المغرب فنزل بسيط انكاد وسرح اليهم الوزير مسعود بن رحو ابن عمه عامر بن عبد بن ماساي في عسكر من كتائبه ووجوه قومه فاوقع بهم العرب وأبو حمو ومن معهم واستباحوهم وطار الخبر الى تلمسان واختلفت أهواء من كان بها من بني مرين وبدا ما كان في قلوبهم من المرض لتغلب الحسن بن عمر على سلطانهم ودولتهم فتميزوا زرافات لمبايعة بعض الاعياص من آل عبد الحق وفطن الوزير مسعود بن رحو لما دبروه وكان في قلبه مرض من ذلك فاغتنمها وبايع المنصور ابن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق كبير الاعياص المنفرد بالتجلة وارتحل به وبقومه من بني مرين الى المغرب وتجافى عن تلمسان وشأنها واعترضه عرب المعقل في طريقهم الى المغرب فأوقع بهم بنو مرين وصمموا الصليهم ورجع السلطان أبو حمو الى تلمسان واستقر بحضرته ودار ملكه ولحق به عبد الله بن مسلم فاستوزره وأسلم اليه فاشتد به أزره وغلب على دولته كما نذكره الى أن هلك والبقاء لله وحده

{الخبر عن مقدم عبد الله بن مسلم من مكان عمله بدرعة ونزوله من ايالة بني مرين الى أبي حمو وتقليده اياه الوزارة وذكر أوليته ومصاير أموره}

كان عبد الله بن مسلم من وجوه بني زردال من بني بادين اخوة بني عبد الواد وتوجين ومصاب الا أن بني زردال اندرجوا في بني عبد الواد لقلتهم واختلطوا بنسبهم ونشأ عبد الله

ابن مسلم فى كفالة موسى بن على لعهد السلطان أبى تاشفين مشهورا بالبسالة والاقدام
طار له بها ذكر وحسن بلاؤه فى حصار تلمسان ولما تغلب السلطان أبو الحسن على بنى
عبد الواد وابتزهم ملكهم استخدمهم وكان ينتقى أولى الشجاعة والاقدام منهم فرمى بهم
ثغور المغرب ولما اعترض بنو عبد الواد ومرّ به عبد الله هذا ذكر له شأنه ونعت بأسه
فبعثه الى درعة واستوصى عامله به فكان له عنه غناء فى مواقفه مع خوارج العرب
وبلاء حسن جذب ذلك بضبعه ورقى عند السلطان منزلته وعرفه على قومه ولما كانت
نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان ومرج أمر المغرب ووثب أبو عنان على الامر
وبويع بتلمسان واستجمع حافده منصور بن أبى مالك عبد الواحد لمدافعته وحشد
حامية الثغور القاصية وانفضت جموعه بتازى وخلص الى البلد الجديد ونازله وكان عبد
الله بن مسلم فى جملته ولما نازله السلطان أبو عنان واتصلت الحرب بينهم أياما كان له فيها
ذكر ولما رأى انه أحيط بهم سابق الناس الى السلطان أبى عنان فرأى سابقيته وقلده
عمل درعة فاضطلع بها مدة خلافته وتأكدت له أيام ولايته مع عرب المعقل وصلة وعهد
ضرب بهما فى مواخاتهم بسهم وكان السلطان أبو عنان عند خروج أخيه أبى الفضل
عليه لحقه بجبل ابن حميدى من معاقل درعة أوعز اليه بأن يعمل الحيلة فى القبض عليه
فداخل ابن حميدى ووعده وبذل له فأجاب وأمله وقاده عبد الله بن مسلم أسيرا الى أخيه
السلطان أبى عنان فقتله ولما استولى السلطان أبو سالم رفيق أبى الفضل فى مثوى
اغترابهما بالاندلس على بلاد المغرب من بعد مهلك السلطان أبى عنان وما كان اثره من
الخطوب وذلك آخر سنة ستين خشيه ابن مسلم على نفسه ففارق ولايته ومكان عمله
وداخل أولاد حسين أمراء المعقل فى النجاة به الى تلمسان فأجابوه ولحق بالسلطان
أبى حمو فى ثروة من المال وعصبة من العشيرة وأولياء من العرب فسر بمقدمه وقلده
لحينه وزارته وشدّ به أواخى سلطانه وفوض اليه تدبير ملكه فاستقام أمره وجمع
القلوب على طاعته وجاء بالمعقل من مواطنهم الغربية فاقبلوا عليه وعكفوا على
خدمته وأقطعهم مواطن تلمسان وآخى بينهم وبين زغبة فعلا كعبه واستفحل أمره
واستقامت رياسته الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

الخبر عن استيلاء السلطان أبى سالم على تلمسان ورجوعه الى المغرب وبعد أن ولى عليها أبو زيان حافد السلطان أبى تاشفين ومآل أمره

لما استوسق للسلطان أبى سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج على الدولة تعالى
امتداد ظله الى أقصى تخوم زناتة كما كان لابيه وأخيه وحركه الى ذلك ما كان من فرار
عبد الله بن مسلم الى تلمسان بحبالة عمله فأجمع أمره على النهوض الى تلمسان وعسكر

بظاهر فاس منتصف احدى وستين وبعث فى الحشود فتوافت ببابه واكتملت ثم ارتحل اليها وبلغ الخبر الى السلطان أبى حمو ووزيره عبد الله بن مسلم فنادوا فى العرب من زغبة والمعقل كافة فأجابوهم الاشرذمة قليلة من الاحلاف وخرجوا بهم الى الصحراء ونازل حللهم بعسكره ولما دخل السلطان أبو سالم وبنو مرين تلمسان خالفوهم الى المغرب فنازلوا وطاط وبلاد ملوية وكرسيف وحطموا زروعها واكتسحوا أقواتها وخربوا عمرانها وبلغ السلطان أبا سالم ما كان من صنيعهم فأهمه أمر المغرب واجلاب المفسدين عليه وكان فى جملته من آل يغمراسن محمد بن عثمان ابن السلطان أبى تاشفين ويكنى بأبى زيان ويعرف بالقبّى ومعناه العظيم الرأس فدفعه للامر وأعطاه الآلة وكتب له كتيبة من توجين ومغراوة كانوا فى جملته ودفع اليه أعطياتهم وأنزله بقصر أبيه بتلمسان وانكفأ راجعا الى حضرته فأجفلت العرب والسلطان أبو حمو أمامه وخالفوه الى تلمسان فأجفل عنها أبو زيان وتحيز الى بنى مرين بأمصار الشرق من البطحاء ومليانة ووهران وأوليائهم من بنى توجين وسويد من قبائل زغبة ودخل السلطان أبو حمو ووزيره عبد الله بن مسلم الى تلمسان وكان مقبر بن عامر هلك فى مذهبهم ذلك ثم خرجوا فيمن اليهم من كافة عرب المعقل وزغبة فى اتباع أبى زيان ونازلوه بجبل وانشريس فيمن معه الى أن غلبوا عليه وانفض جمعه ولحق بمكانه من ايالة بنى مرين بفاس ورجع السلطان أبو حمو الى معاقل وطنه يستنقذها من ملكة بنى مرين فافتتح كثيرها وغلب على مليانة والبطحاء ثم نهض الى وهران ونازلها أياما واقتحمها غلابا واستلحم بها من بنى مرين عددا ثم غلب على المرية والجزائر وأزعج عنها بنى مرين فلحقوا بأوطانهم وبعث رسله الى السلطان أبى سالم فعقد معه المهادنة ووضعوا أوزار الحرب ثم كان مهلك السلطان أبى سالم سنة ثنتين وستين وقام بالامر من بعده عمر بن عبد الله بن على من أبناء وزرائهم مبايعا لولد السلطان أبى الحسن واحدا بعد آخر كما نذكره عند ذكر أخبارهم ان شاء الله تعالى

(الخبر عن قدوم أبى زيان ابن السلطان أبى سعيد من المغرب لطلب ملكه وما كان من أحواله)

كان أبو زيان هذا وهو محمد ابن السلطان أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن لما تقبض عليه مع عمه أبى ثابت ووزيرهم يحيى بن داود بضاية من أعمال الموحدين وسيقوا الى السلطان ابى عنان فقتل أبا ثابت ووزيره واستبقى محمدا هذا وأودعه السجن سائر أيامه حتى اذا هلك واستوسق أمر المغرب لاخيه أبى سالم من بعد خطوب وأهوال يأتى ذكرها امتن عليه السلطان أبو سالم وأطلقه من الاعتقال

ونظمه بمجلس ملكه فى مراتب الاعياص وأعده لمزاحمة ابن عمه وجرت بينه وبين
السلطان أبي حمو سنة ثنتين وستين بين يدى مهلكه مذ كرى بعد مرجعه من تلمسان
ومرجع أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين من بعده محقق السعى فيما نصبه له فسماله
أمل فى أبي زيان هذا أن يستأثر بملك أبيه ورأى أن يحسن الصنيع فيه فيكون فتنة له
فأعطاه الآلة ونصبه للملك وبعثه الى وطن تلمسان وأتى الى تازى ولقيه هنالك الخبر
بمهلك السلطان أبي سالم ثم كانت فتن واحداث نذكرها فى محالها وأجلب عبد الحليم
ابن السلطان ابى على ابن السلطان أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق على فاس واجتمع
اليه بنو مرين ونازلوا البلد الجديد ثم انفض جمعهم ولحق عبد الحليم بتازى كما نذكره فى
موضعه ان شاء الله تعالى ورجا من السلطان أبي حمو المظاهرة على أمره فراسله فى ذلك
واشترط عليه ابن عمه أبى زيان فاعتقله مرضاة له ثم ارتحل الى سجلماسة كما نذكره
بعد ونازله فى طريقه أولاد حسين من المعقل بحلالهم واحيائهم فاستغفل أبو زيان ذات
يوم الموكلين به ووثب على فرس قائم حذاءه وركضه من معسكر عبد الحليم الى حلة أولاد
حسين مستنجدا بهم فأجاروه ولحق ببنى عامر على حين غفلة وجفوة كانت بين السلطان
أبي حمو وبين خالد بن عامر أميرهم ذهب لها مغاضبا فأجلب به على تلمسان وسرح اليهم
السلطان أبو حمو عسكرا فشردهم عن تلمسان ثم بذل المال لخالد بن عامر على أن يقصيه
الى بلاد رياح ففعل وأوصله الى الزواودة فأقام فيهم ثم دعاه أبو الليل بن موسى شيخ بنى
يزيد وصاحب وطن حمزة وبنى حسن وما اليه ونصبه للأمر مشاقة وعنادا للسلطان أبي
حمو ونهض اليه الوزير عبد الله بن مسلم فى عساكر بنى عبد الواد وحشود العرب وزناتة
فأيقن أبو الليل بالغلب وبذل له الوزير المال وشرط له التجافى عن وطنه على أن يرجع
عن طاعة أبي زيان ففعل وانصرف الى بجاية ونزل بها على المولى أبي اسحق ابن مولانا
السلطان أبي يحيى أكرم نزل ثم وقعت المراسلة بينه وبين السلطان أبي حمو وتمت المهادنة
وانعقد السلم على اقصاء أبي زيان عن بجاية المتاخمة لوطنه فارتحل الى حضرة تونس
وتلقاه الحاجب أبو محمد بن تافراكين قيوم دولة الحفصيين لذلك العهد من المبرة
والترحيب واسناء الجراية له وترفيع المنزلة بما لم يعهد لمثله من الاعياص ثم لم تزل حاله
على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن قدوم أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين ثانية }
{ من المغرب الى تلمسان لطلب ملكها وما كان من أحواله }

كان العرب من سويد احدى بطون زغبة فئة لبنى مرين وشيعة من عهد عريف بن
يحيى مع السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان فكانوا عند بنى عبد الواد فى عداد

عدوهم من بنى مرين مع طاغية الدولة لبنى عامر أقتالهم فكانوا متنابذين لبنى عبد الواد آخر الايام وكان كبيرهم وترمار بن عريف أوطن كرسيف في جوار بنى مرين منذ مهلك السلطان أبى عنان وكان مرموقا بعين التجلة يرجعون الى رأيه ويستمعون الى قوله وأهمه شأن اخوانه فى وطنهم ومع اقتالهم بنى عامر فاعتزم على نقض الدولة من قواعدها وحمل صاحب المغرب عمر بن عبد الله على أن يسرح محمد بن عثمان حافد أبى تاشفين لمعاودة الطلب للملك ووافق ذلك نفرة استحكمت بين السلطان أبى حمو وأحمد بن رحو بن غانم كبير أولاد حسين من المعقل بمدان كانوا فئة له ولوزيره عبد الله ابن مسلم فاغتنمها عمر بن عبد الله وخرج أبو زيان محمد بن عثمان سنة خمس وستين فنزل فى حلل المعقل بملوية ثم نهضوا به الى وطن تلمسان وارتاب السلطان أبو حمو بخالد ابن عامر أمير بنى عامر فتقبض عليه وأودعه المطبق ثم سرح وزيره عبد الله بن مسلم فى عساكر بنى عبد الواد والعرب فأحسن دفاعهم وانفضت جموعهم ورحلهم الى ناحية البرو وهو فى اتباعهم الى أن نزلوا المسيلة من وطن رياح وصاروا فى جوار الزواودة ثم نزل بالوزير عبد الله بن مسلم داء الطاعون الذى عاود أهل العمران عامئذ من بعدما أهلكهم سنة تسع وأربعين قبلها فانكفأ به ولده وعشيرته راجعين وهلك فى طريقه وأرسلوا شلوه الى تلمسان فدفن بها وخرج السلطان أبو حمو الى مدافعة عدوه وقد فت مهلك عبد الله فى عضده ولما انتهى الى البطحاء وعسكر بها ناجزته جموع السلطان أبى زيان الحرب وأطلت راياته على المعسكر فداخلهم الرعب وانفضوا وأعجلهم الأمر عن ابنيتهم وأزوادهم فتركوها وانفضوا وتسلل أبو حمو يبغى النجاة الى تلمسان واضطرب أبو زيان فسطاطه بمكان معسكره وساقه أحمد بن رحو أمير المعقل الى منجاته فلحقه بسك وكر اليه السلطان أبو حمو فيمن معه من خاصته وصدقوه الدفاع فكبا به فرسه وقطع رأسه ولحق السلطان أبو حمو بحضرته وارتحل أبو زيان والعرب فى اتباعه الى أن نازلوه بتلمسان أياما وحدثت المنافسة بين أهل المعقل وزغبة وأسف زغبة استبداد المعقل عليهم وانفراد أولاد حسين برأى السلطان دونهم فاغتنمها أبو حمو وأطلق أميرهم عامر بن خالد من محبسه وأخذ عليه الموثق من الله ليخذلن الناس عنه ما استطاع وليرجعن بقومه عن طاعة أبى زيان وليفرقن جموعه فوفى له بذلك العهد ونفس عليه الخنق وتفرقت احزابهم ورجع أبو زيان الى مكانه من ايالة بنى مرين واستقام أمر السلطان أبى حمو وصلحت دولته بعد الالتياث الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان أبى حمو على ثغور المغرب)

كان ونزمار بن عريف متولى كبرهذه الفتن على أبى حمو وبعث الاعياص عليه واحدا بعد واحد لما كان بينهم من العداوة المتصلة كما قدمناه وكان منزله كرسيف من ثغور المغرب وكان جاره محمد بن زكراز كبير بنى على من بنى ونكاسن الموطنين بجبل دبدو وكانت أيديهما عليه واحدة فلما سكن النوار عنه وزاحمهم عن وطنه الى المغرب وانعقد سلمه معهم رأى أن يعتور هذين الاميرين فى ثغورهما فاعتمل الحركة الى المغرب فاتح سنة ست وستين وانتهى الى دبدو وكرسيف واجفل ونزمار وامتنع بمعاقل الجبال فانتهب أبو حمو الزروع وشمل بالتخريب والعيث سائر النواحى وقصد محمد بن زكراز أيضا فى معقل دبدو فامتنع بحصنه الذى اتخذه هنالك وعاج عليه أبو حمو بركابه وجاس خلال وطنه وشمل بالتخريب والعيث نواحى بلده وانكفأ راجعا الى حضرته وقد عظمت فى تخوم بنى مرين وثغورهم نكايته وثقلت عليهم وطأته وانعقدت بينهما بعد بعده المهادنة والسلم فانصرفت عزائمه الى بلاد افريقية فكانت حركته الى بجاية من العام المقبل ونكبته عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(بياض بالأصل)

(الخبر عن حركة السلطان أبى حمو الى بجاية ونكبته عليها)

كان صاحب بجاية المولى الامير أبو عبد الله لما استولى عليها وعادت اليه العودة الثانية سنة خمس وستين كما ذكرناه فى أخباره زحف الى تدلس فغلب عليها بنى عبد الواد وأنزل بها عامله وحاميته ثم أظلم الجو بينه وبين صاحب قسنطينة السلطان أبى العباس ابن عمه الامير أبى عبد الله لما جرته بينهما المتاخمة فى العمالات فنشأت بينهما فتن وحروب شغل بها عن حماية تدلس وألحت عليها عساكر بنى عبد الواد بالحصار وأحيط بها فأوفد رسله على السلطان أبى حمو صاحب تلمسان فى المهادنة على النزول له عن تدلس فتسلمها أبو حمو وأنزل بها حاميته وعقد معه السلم وأصهر اليه فى ابنته فأجابه وزفها اليه فتلقاها قبلة زواوة بآخر عملهم من حدود بجاية وفرغ صاحب بجاية لشأنه وكان أثناء الفتنة معه قد بعث الى تونس عن أبى زيان ابن عم السلطان أبى سعيد لينزله بتدلس ويشغل به السلطان أبا حمو عن فتنته وكان من خبر أبى زيان هذا انه أقام بتونس بعد مهلك الحاجب أبى محمد بن تافراكين كما ذكرناه الى أن دس اليه مرضى القلوب من مشيخة بنى عبد الواد بتلمسان بالاجلاب على السلطان أبى حمو ووعدوه عن أنفسهم الجنوح معه فصغى اليها واعتدها وارتحل يريد تخوم تلمسان وعمل بجاية ومر بقسنطينة فتجافى عن الدخول اليها وتنكر لصاحبها وبلغ خبره السلطان أبا العباس صاحبها يومئذ فأجمع أمره على صده عن وجهه وحبسه بقسنطينة

واتصلت الفتنة بينه وبين ابن عمه صاحب بجاية وكان شديد الوطأة على أهل بلده مرهف
الحد لهم بالعقاب الشديد حتى لقد ضرب أعناق خمسين منهم قبل أن يبلغ سنتين
فى ملكه فاستحكمت النفرة وسامت الملكة وعضل الداء ونزع أهل البلد الى مداخلة
السلطان أبى العباس باستنقاذهم من ملكة العسف والهلاك بما كان أتيح له من
الظهور على أميرهم فنهض اليها آخر سنة سبع وستين وبرز الامير أبو عبد الله للقائه
وعسكر بنامروا الجبل المطل على تاكردت وصبحه السلطان أبو العباس بعسكره
هنالك فاستولى عليه وركض هو فرسه ناجيا بنفسه ومرت الخيل تعادى فى أثره
حتى أدركوه فأحاطوا به وقتلوه قعصا بالرماح عفا الله عنه وأجاز السلطان
أبو العباس الى البلد فدخلها منتصف يوم العشرين من شعبان ولاذ الناس به من
دهش الواقعة وتمسكوا بدعوته وآتوه طاعتهم فانجلت القيامة واستقام الامر وبلغ
الخبر الى السلطان أبى حمو فأظهر الامتعاض لمهلكه والقيام بثاره وسوس من ذلك حشوده
فى ارتقاء ونهض يجر الامم الى بجاية من العرب وزناتة والحشد حتى أناخ بها وملأت
مخيماته الجهات بساحتها وجنح السلطان الى مبارزته فتهدده أهل البلد ولاذوا بمقامه
فأسعفهم وطير البريد الى قسنطينة فأطلق أبا زيان من الاعتقال وسوغه الملابس
والمراكب والآلة وزحف به مولاه بشير فى عسكر الى أن نزل حذاء معسكر أبى حمو
واضطربوا محلهم بسفح جبل بنى عبد الجبار وشنوا الغارات على معسكر أبى حمو صباحا
ومساء لما كان نمى اليهم من مرض قلوب جنده والعرب الذين معه وبدا السلطان
أبى حمو مالم يحتسب من امتناعها وكان تقدم اليه بعض سماسرة الفتن بوعد على
لسان المشيخة من أهل البلد أطمعه فيها ووثق بأن ذلك يغنيه عن الاستعداد فاستبق
اليها وأغفل الحزم فيما دونها فلما امتنعت عليه انطبق الجو على معسكره وفسدت
السابلة على العير للميرة واستحجم الزبون فى احياء معسكره بظهور العدو المساهم
فى الملك وتفادت رجالات العرب من سوء المغبة وسطوة السلطان فمشوا بينهم
فى الانفضاض وتحينوا لذلك وقت المناوشة وكان السلطان لما كذبه وعد المشيخة أجمع
قتالهم واضطرب الفساطيط مضايقة للاسوار متسعة وعرا من الجبل لم يرضه أهل
الرأى وخرج رجل الجبل على حين غفلة فجاولوا من كان بتلك الاخبية من المقاتلة
فانهزموا أمامهم وتركوها بأيديهم فمزقوها بالسيوف وعاين العرب على البعد انتهاب
الفساطيط فأجفلوا وانفض المعسكر بأجمعه وحمل السلطان أبو حمو أثقاله للرحلة
فأجهضوه عنها فتركها وانتهب مخلفه أجمع وتصايح الناس بهم من كل حدب وضاقت
المسالك من ورائهم وأمامهم وركضت بزحامهم وتواقعوا الجنوبهم فهلك الكثير منهم

وكانت من غرائب الواقعات تحدث الناس بها زمانا وسيقت حظاياه الى بجاية واستأثر الامير أبو زيان منهن بحظيته الشهيرة ابنة يحيى الزابي ينسب الى عبد المؤمن بن على وكان أصهر فيها الى أبيها أيام تقلبه فى سبيل الاغتراب ببلاد الموحدين كما سبق وكانت أعلق بقلبه من سواها فرجت فى مغانم الامير أبى زيان وتحرج عن مواقعتها حتى أوجده أهل الفتيا السبيل الى ذلك لحنث زعموا وقع من السلطان أبى حمو فى نسائه وخلص السلطان أبو حمو من هوة ذلك العصب بعد غصة الريق ونجا الى الجزائر لا يكاد يرد النفس من شناعة ذلك الهول ثم خرج منها ولحق بتلمسان واقتعد سرير ملكه واشتدت شوكة أبى زيان ابن عمه وتغلب على القاصية واجتمعت اليه العرب وكثر تابعه وزاحم السلطان أبا حمو بتلك الناحية الشرقية سنين تباعا نذكر الآن أخبارها ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن خروج أبى زيان بالقاصية الشرقية من بلاد حصين﴾
﴿وتغلبه على المرية والجزائر ومليانة وما كان من الحروب معه﴾

لما انهزم السلطان أبو حمو بساحة بجاية عشى يومه من أوائل ذى الحجة خاتم سنة سبع وستين قرع الامير أبو زيان طبوله واتبع أثره وانتهى الى بلاد حصين من زغبة وكانوا سائمين من الهضيمة والعسف اذ كانت الدول تجريهم مجرى الرعايا المعبدة فى المغرم وتعدل بهم عن سبيل اخوانهم من زغبة أمامهم ووراءهم لبغية العز فبايعوه على الموت الاحمر ووقفوا بمعتصم من جبل تيطرى الى أن دهمتهم عساكر السلطان ثم أجلبوا على المرية وكان بها عسكر ضخم للسلطان أبى حمو لنظر وزرائه عمران بن موسى بن يوسف وموسى بن برغوث ووادفل بن عبو بن حماد ونازلوهم أياما ثم غلبوهم على البلد وملكها الامير أبو زيان ومن على الوزراء ومشيخة بنى عبد الواد وترك سبيلهم الى سلطانهم وسلك سبيلهم الثعالبة فى التجافى عن ذل المغرم فأعطوا يد الطاعة والانقياد للامير أبى زيان وكانت فى نفوس أهل الجزائر نفرة من جور العمال عليهم فاستمالهم بها سالم بن ابراهيم بن نصر أمير الثعالبة الى طاعة الامير أبى زيان ثم دعا أبو زيان أهل مليانة الى مثلها فأجابوه واعمل السلطان أبو حمو نظره فى الحركة الحاسمة لدائهم فبعث فى العرب وبذل المال وأقطع البلاد على اشطاط منهم فى الطلب وتحرك الى بلاد توجين ونزل قلعة بنى سلامة سنة ثمان وستين يحاول طاعة أبى بكر بن عريف أمير سويد فلم يلبث عنه خالد بن عامر ولحق بأبى بكر بن عريف واجتمعا على الخلاف عليه ونقض طاعته وشنوا الغارة على معسكره فاضطرب وأجفلوا وانتهبت محلاته وأثقاله ورجع الى تلمسان ثم نهض الى مليانة فافتتحها وبعث الى رياح على حين صاغية اليه من يعقوب بن على بن أحمد وعثمان

ابن يوسف بن سليمان بن على أميرى الزواودة لما كان وقع بينهما وبين السلطان مولانا أبى العباس من النفرة فاستنظره للمعركة على الامير أبى زيان وبعدها الى بجاية وضمنوا له طاعة البدو من رياح وبعثوا اليه رهنهم على ذلك فردها وثوقا بهم ونهض من تلمسان وقد اجتمع اليه الكثير من عرب زغبة ولم يزل أولاد عريف بن يحيى وخالد بن عامر فى احيائهما منحرفين عنه بالصحراء وصمم اليهم فاجفلوا أمامه وقصد المخالفين من حصين والامير أبا زيان الى معتصمهم بجبل تيطرى وأغذ اليه السير يعقوب بن على وعثمان بن يوسف بمن معهم من جموع رياح حتى نزلوا بالقلعة حذاءهم وبدر أولاد عريف وخالد بن عامر الى الزواودة ليشردوهم عن البلاد قبل أن يدهم السلطان بيدهم فصبحوهم يوم الخميس أخريات ذى القعدة من سنة تسع وستين ودارت بينهم حرب شديدة وأجفلت الزواودة أولا ثم كان الظهور لهم آخرا وقتل فى المعركة من زغبة عدد ويئسوا من صدهم عما جاؤا اليه فانعطفوا الى حصين والامير أبى زيان وصعدوا اليهم بأجمعهم وصار والهم مددا على السلطان أبى حمو وشنوا الغارة على معسكره فصمدوا نحوه وصدقوه القتال فاختل مصافه وانهزمت عساكره ونجا بنفسه الى تلمسان على طريق الصحراء وأجفل الزواودة الى وطنهم وتحيز كافة العرب من زغبة الى الامير أبى زيان واتبع آثار المنهزمين ونزل بسيرات وخرج السلطان أبو حمو فى قومه ومن بقى معه من بنى عامر وتقدم خالد الى مصادمته فقله السلطان وأجفل القوم من ورائه ثم تلطف فى مراسلته وبذل المال له وأوسع له فى الاشتراط اليه والتبس بخدمته ورجع الامير أبو زيان الى أوليائه من حصين متمسكا بولاية أولاد عريف ثم نزع محمد بن عريف الى طاعة السلطان وضمن له العدول بأخيه عن مذاهب الخلاف عليه وطال سعيه فى ذلك فاتهمه السلطان وحمله خالد بن عامر عدوه على نكبته فتقبض عليه وأودعه السجن واستحكمت نفرة أخيه أبى بكر ونهض السلطان بقومه وكافة بنى عامر اليه سنة سبعين واستغلظ أمر أبى بكر لجمع الحرث بن أبى مالك ومن وراءهم من حصين واعتصموا بالجبال من دراك وتيطرى ونزل السلطان بجموعه لعود بلاد الديالمة من الحرث فانتسفها والتهمها وحطم زروعها ونهب مداشرها وامتنع عليه أبو بكر ومن معه من الحرث وحصين والامير أبى زيان بينهم فارتحل عنهم وعطف على بلاد أولاد عريف وقومهم من سويد فلاثها عيثا وخرب قلعة ابن سلامة لما كانت أحسن أوطانهم ورجع عليهم الى تلمسان وهو يرى أن قد شفا نفسه فى أولاد عريف وغلبهم على أوطانهم ورجع عليهم منزلة عدوهم فكان من لحاق أبى بكر بالمغرب وحركة بنى مرين ما نذكره

بياض بالأصل

﴿الخبر عن حركة السلطان عبد العزيز على تلمسان واستيلائه عليها ونكبة أبي حمو وبني عامر بالدوس من بلاد الزاب وخروج أبي زيان من تيطري الى أحياء رياح﴾

لما تقبض أبو حمو على محمد بن عريف وفرق شمل قومه سويد وعاث في بلادهم أجمع رأي أخيه الاكبر على الصريخ بملك المغرب فارتحل اليه بناجعته من بني مالك أجمع من أحياء سويد والديالم والعطاف حتى احتل بسائط ملوية من تخوم المغرب وسار الى أخيه الاكبر ونزمار بمقره من قصر مرادة الذي اختطه بارجاع وادي ملوية في ظل دولة بني مرين وتحت جوارهم لما كان ملاك أمرهم بيده ومصادرهم عن آرائه خطة ورثها عن أبيه عريف بن يحيى مع السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن وابنه أبي عنان فتقبل ملوك المغرب مذاهب سلفهم فيه وتيمنوا برأيه واستأمنوا الى نصيحته فلما قدم عليه أخوه أبو بكر مستصفيا بملك المغرب وأخبر باعتقال أخيه الآخر محمد قدح عزائمه وأوفد أخاه أبا بكر ومشيخة قومهم من بني مالك على السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن منصرفه من افتتاح جبل هنتاتة وظفر بعامر بن محمد ابن علي النازع الى الشقاق في معتصمه فلقوه في طريقه ولقاهم مبرة وتكريما واستصرخوه لاستنقاذ أخيهم فأجاب صريخهم ورغبوه في ملك تلمسان وما وراءها فوافق صاغيته لذلك بما كان في نفسه من الموجدة على السلطان أبي حمو لقبوله كل من ينزع اليه من عربان المعقل أشياع الدولة وبدوها وما كان بعث اليه في ذلك و   عن استماعه فاعتزم على [بياض بالأصل] الحركة الى تلمسان وألقى زمامه بيد ونزمار وعسكر بساحة فاس وبعث الحاشدين في الثغور والنواحي من المغرب فتوافق الحاشدون ببابه وارتحل بعد قضاء النسك من الاضحى سنة احدى وسبعين واتصل الخبر بالسلطان أبي حمو وكان معسكرا بالبطحاء فانكفأ راجعا الى تلمسان وبعث في أوليائه عبيد الله والاحلاف من عرب المعقل فصموا عن اجابته ونزعوا الى ملك المغرب فأجمع رأيه الى التحيز الى بني عامر وأجفل غرة المحرم سنة ثنتين وسبعين واحتل السلطان عبد العزيز تلمسان في يوم عاشوراء بعدها وأشار ونزمار بن عريف بتسريح العساكر في اتباعه فسرح السلطان وزيره أبا بكر بن غازي بن الكاس حتى انتهى الى البطحاء ثم لحق به هنالك ونزمار وقد حشد العرب كافة وأوغد السير في اتباع السلطان أبي حمو وبني عامر وكانوا قد أبعدوا المذهب ونزلوا على الزواودة وسرح اليهم السلطان يومئذ عبد العزيز يحملهم على طاعته والعدوى بهم عن عصابة بني عامر وسلطانهم وسرح فرج بن عيسى بن عريف الى حصين لاقتضاء طاعتهم واستدعاء أبي زيان الى حضرته ونبذهم عهده وانتهيا جميعا الى أبي زيان مقدمة أوليائه ولحق بأولاد يحيى بن علي بن سباع من الزواودة وانتهيت أنا اليهم فخفضت عليهم

الشأن في جواره لما كانت مرضاة السلطان وحذرتهم شأن أبي حمو وبني عامر وأوفدت مشيختهم على ونزمار والوزير أبي بكر بن غازي فدلوهما على طريقه فأغذوا السير وبيتوهم بمنزلهم على الدوسن آخر عمل الزاب من جانب المغرب ففضوا جموعهم وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبي حمو بأموالهم وأمتعته وظهره ولحق فلهم بمصاب ورجعت العساكر من هنالك فسلكت على قصور بني عامر بالصحراء قبلة جبل راشد التي ربا ولون ساعون اليها فانتهبوها وخربوها وعاثوا فيها وانكفؤا راجعين الى تلمسان وفرق السلطان عماله في بلاد المغرب الاوسط من وهران ومليانة والجزائر والمرية وجبل وانشريس واستوسق به ملكه ونزع عنه عدوه ولم يبق به يومئذ الا صرمة من نار الفتنة ببلاد مغراوة   من ولد علي بن راشد حظ خالد في الديوان ولحق

بياض بالأصل

بجبل بني سعيد واعتصم به فجهز السلطان الكتائب لحصاره وسرح وزيره عمر بن مسعود لذلك كما ذكرناه في أخبار مغراوة واحتقر شأنه وأوفدت أنا عليه يومئذ مشيخة الزواودة فأوسعهم حباء وكرامة وصدروا عنه وحقائبهم خالصة فعادوا بهم منطلقة بالشكر ألسنتهم واستمر الحال الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

﴿الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبي زيان الى تيطري واجلاب
أبي حمو على تلمسان ثم انهزامهما وتشريدهما على سائر النواحي﴾

كان بنو عامر من زغبة شيعة خالصة لبني عبد الواد من أول أمرهم وخلص سويد لبني مرين كما قدمناه فكان من شأن عريف وبنيه عند السلطان أبي الحسن وبنيه ما هو معروف فلما استبيحت أحياؤهم بالدوسن مع أبي حمو ذهبوا في القفر اشفاقا ويأسا من قبول بني مرين عليهم لما كان ونزمار بن عريف واخوانه من الدولة فخدبوا على سلطانهم أبي حمو يتقلبون معه في القفار ثم نزع اليهم رحو بن منصور فيمن أطاعه من قومه عبيد الله من المعقل وأجلبوا على وجدة فاضطرم النفاق على الدولة نارا وخشي حصين مغبة أمرهم من السلطان بما اتسموا به من الشقاق والعناد فمدوا أيديهم الى سلطانهم أبي زيان وأوفدوا مشيختهم لاستدعائه من حلة أولاد يحيى بن علي فاحتل بينهم وأجلبوا به على المرية فملكوا نواحيها وامتنع عليهم مصرها واستمر الحال على ذلك واضطرب المغرب الاوسط على السلطان وانتقضت به طاعته وسرح الجيوش والعساكر الى قتال مغراوة وحصين فأجمع أبو حمو وبنو عامر على قصده بتلمسان حتى اذا احتلوا قريبا منها دس السلطان عبد العزيز بعض شيعته الى خالد بن عامر وزغبة في المال   منه

بياض بالأصل

وكان أبو حمو قد آسفه بمغالطة بعض عشيره وتعقب رأيه برأيه ممن لم يسم الى خطته ولم يرتض كفاءته فجنح الى ملك المغرب ونزع يده من عهد أبي حمو وسرح السلطان

عبد العزيز عسكره الى خالد فأوقع بأبى حمو ومن كان من العرب عبيد الله و بنى عامر وانتهب معسكره وأمواله واحتقبت حرمه وحظاياه الى قصر السلطان وتقبض على مولاه عطية فمنّ عليه السلطان وأصاره فى حاشيته ووزرائه وأصفقت زغبة على خدمة ملك المغرب ووافق هذا الفتح عند السلطان فتح بلاد مغراوة وتغلب وزيره أبو بكر بن غازى على جبل بنى سعيد وتقبض على حمزة بن على بن راشد فى ملة من أصحابه فضرب أعناقهم وبعث بها الى سدة السلطان وصلب أشلاءهم بساحة مليانة فعظم الفتح واكمل الظهور وأوعز السلطان الى وزيره أبى بكر بن غازى بالنهوض الى حصين فنهض اليهم وخاطبنى وأنا مقيم ببسكرة فى دعايته بأن احتشد أولياءه من الزواودة ورياح والتقى الوزير والعساكر على حصن تيطرى فنازلناه أشهرا ثم انفض جمعهم وفروا من حصنهم وتفرقوا كل ممزق وذهب أبو زيان على وجهه فلحق بلد وارك لاقبلة الزاب لبعدها عن منال الجيوش والعساكر فأجاروه وأكرموا نزله وضرب الوزير على قبائل حصين والثعالبة المغارم الثقيلة فأعطوها عن يد وجهضهم باقتضائها ودوّخ قاصية الثغور ورجع الى تلمسان عالى الكعب عزيز السلطان ظاهر اليد وقعد له السلطان بمجلسه يوم وصوله قعود الفخم وصل فيه اليه وأوصل من صحبه من وفود العرب والقبائل فقسم فيهم بره وعنايته وقبوله على شاكلته واقتضى من أمراء العرب زغبة أبناءهم الاعزة رهنا على الطاعة وسرّحهم لغزو أبى حمو بمنتبذه من تيكورارين فانطلقوا لذلك وهلك السلطان عبد العزيز لليال قلائل من مقدم وزيره وعساكره أواخر شهر ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين لمرض مزمن كان يتفادى بالكتمان والصبر من ظهوره وانكفأ بنو مرين راجعين الى ممالكهم بالمغرب بعد أن بايعوا لولده درا جا حاسيا ولقبوه بالسعيد وجعلوا أمره الى الوزير أبى بكر بن غازى فملك أمرهم عليهم واستمرت حاله كما نذكره فى أخباره ان شاء الله تعالى

الخبر عن عود السلطان أبى حمو الاخير الى تلمسان الكرة الثالثة لبنى عبد الواد فى الملك

لما هلك السلطان عبد العزيز ورجع بنو مرين الى المغرب نصبوا من أعياص بنى يغمراسن لمدافعة أبى حمو بعدهم عن تلمسان ابراهيم بن السلطان أبى تاشفين كان ناشئا بدولتهم مذ هلك أبوه وتسلل من جملتهم عطية بن موسى مولى السلطان أبى حمو وخالفهم الى البلد غداة رحيلهم فقام بدعوة مولاه ودافع ابراهيم بن تاشفين عن مرامه و بلغ الخبر أولياء السلطان أبى حمو من عرب المعقل أولاد يغمور ابن عبيد الله فطيروا اليه النجيب على حين غلب عليه الناس وأجمع الرحلة الى بلاد

السودان لما بلغه من اجتماع العرب للحركة عليه كما قلناه فأغذ السير من مطرح اغترابه وسابقه ابنه ولى عهده فى قومه عبد الرحمن أبو تاشفين مع ظهيرهم عبد الله بن صغير فدخلوا البلد وتلاهم السلطان لرابعة دخولهم وعاود سلطانه واقتعد أريكته وكانت احدى الغرائب وتقبض ساعتئذ على وزرائه اتهمهم بمداخلة خالد بن عامر فيما نقض من عهده وظاهر عليه عدوه فأودعهم السجن ليومهم حنقا عليهم واستحكم لها نفرة خالد وعشيرته وحصلت ولاية أولاد عريف بن يحيى لمنافرة بنى عامر اياه واقتال السلطان عبد العزيز عليه ووثق بمكان ونزمار كبيرهم فى تسكين عادية ملوك المغرب عليه ورجع الى تمهيد وطنه وكان بنو مرين عند انفضاضهم الى مغربهم قد نصبوا من اقتال مغراوة ثم بنى منديل على بن هرون بن ثابت بن منديل وبعثوه الى   مزاحمة السلطان أبى حمو ونقض الاطراف ملكه وأجلب أبو زيان بن عمه على بلاد حصين فكان من خبره معهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

بياض بالأصل

* (الخبر عن رجوع أبى زيان بن السلطان أبى سعيد الى بلاد حصين ثم خروجه عنها) *

كان الامير أبو زيان بن السلطان أبى سعيد لما هلك السلطان عبد العزيز وبلغه الخبر بمجانه من واركلا نهض منها الى التلول واسف الى الناحية التى كان منتزيا بها وسماها لابى حمو فيها فاقتطعت لدعوته كما كانت ورجع أهلها الى ما عرفوا من طاعته فنهض السلطان أبو حمو لتمهيد نواحيه وتثقيف أطراف ملكه ودفع الخوارج عن ممالكه وظاهره على ذلك أمير البدو من زغبة أبو بكر ومحمد ابنا عريف بن يحيى دس اليهما بذلك كبيرهما ونزمار وأخذهما بمناصحة السلطان ومخالصته فركبا من ذلك أوضح طريق وأسهل مركب ونبذ السلطان العهد الى خالد وعشيره فضاقت عليهم الارض ولحقوا بالمغرب لسابقة نزوعهم الى السلطان عبد العزيز وابتدأ السلطان بما بليه فأزعج بمظاهرتهما على بن هرون عن أرض شلف سنة خمس وسبعين بعد حروب هلك فى بعضها اخوه رحمون بن هرون وخلص الى بجاية فركب منها السفن الى المغرب ثم تخطى السلطان أبو حمو الى ماوراء شلف وسفر محمد بن عريف بينه وبين ابن عمه بعد أن نزع اليه الكثير من أوليائه حصين والثعالبة بما بذل لهم من الاموال وبما سئموا من طول الفتنة فشارطه على الخروج من وطنه الى جيرانهم من رياح على أتاوة تحمل اليه فقبل ووضع أوزار الحرب وفارق مكان ثورته وكان لمحمد بن عريف فيها أثر محمود واستألف سالم بن ابراهيم كبير الثعالبة المتغلب على بسيط متيجة وبلد الجزائر بعد أن كان خبّ فى الفتنه وأوضع فاقتضى له من السلطان عهده من الامان والولاية على قومه وعمله وقلد السلطان أبناءه ثغور أعماله فأنزل ابنه بالجزائر لنظر سالم بن ابراهيم

من تحت استبداده وابنه أبا زيان عبد الدية وانقلب السلطان الى حضرته بتلمسان بعد أن دوخ قاصيته وثقف أطراف عمله وأصلح قلوب أوليائه واستألف شيعة عدوه فكان فتحا لا كفاء له من بعد ما خلع من ربقة الملك ونزع من شرع السلطان وانتبذ من قومه وعماله الى قاصية الارض فى جوار من لا ينفذ أمره ولا يقوم بطاعته والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء

﴿الخبر عن اجلاب عبد الله بن صغير وانتقاض أبى بكر بن﴾
﴿عريف وبيعتهما للامير أبى زيان ورجوع أبى بكر الى الطاعة﴾

كان خالد بن عامر وابن أخيه عبد الله بن صغير وسائر اخوانهم من ولد عامر بن ابراهيم قد لحقوا بالمغرب صريخى بنى مرين لما وقع بينهم وبين أبى حمو من الفعلة التى فعل خالد معه ويئس عبد الله بن صغير من صريخهم بما عقد ونزمار بن عريف من السلم بين صاحب المغرب وصاحب تلمسان فخاض القفر بمن معه من قومه ولحق بوطن زغبة وأجلب على جبل راشد وبه العمور احلاف سويد من بنى هلال فاعترضتهم سويد ودارت بينهم حرب شديدة كان الظهور فيها للسويد عليهم وفى خلال ذلك فسد ما بين السلطان وبين أبى بكر بن عريف بسبب صاحب جبل وانشريس يوسف بن عمر ابن عثمان أراده السلطان عن النزول عن عمله فغضب له أبو بكر لقديم الصداقة بين سلفهما ووصل يده بعبد الله بن صغير بعد الواقعة ودعاه الى بيعة أبى زيان فأجابه وأوفدوا رجالاتهم عليه بمكانه من مجالات رياح فوصلوه معهم ونصبوه للامر وتحيز محمد بن عريف الى السلطان فى جموع سويد ونهض السلطان من تلمسان سنة سبع وسبعين فيمن معه من قبائل بنى عبد الواد وعرب المعقل وزغبة ودس الى أولياء أبى زيان يرغبهم وحكم أبا بكر فى الاشتراط عليه ففاء الى الطاعة والمخالصة ورجع أبو زيان الى مكانه من حلل الزواودة وأغذ السلطان السير الى حضرته فتملى أريكته وحدث بعد ذلك ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن وصول خالد بن عامر من المغرب والحرب التى دارت﴾
﴿بينه وبين سويد وأبى تاشفين هلك فيها عبد الله بن صغير واخوانه﴾

لما بلغ خالد بن عامر بمكانه من المغرب خبر عبد الله ابن أخيه صغير قفل من المغرب يئسا من مظاهرة بنى مرين لخفق السعى فى صريخه بهم لما كانوا عليه من افتراق الامر كما ذكرناه قبل ووصل معه سليمان بن سليم فى قومه بنى يعقوب وتظاهر الحيان على العيث فى بلاد أبى حمو واجتمع اليهم أبناء الفتنة من كل أوب فأجلبوا على الاطراف وشنوا الغارة فى البلاد وجمع أولاد عريف لحربهم قومهم من سويد واحلافهم من العطاف

وبعثوا بالصريخ الى السلطان فسرح لحرب عدوه وعدوهم ابنه أبا تاشفين ولى عهده في قومه وبرز لذلك في العساكر والجنود ولما انتهى الى بلاد هوارة واضطرب عسكره بها أعجله صريخ أوليائه عن مناخ الركاب فاستعجل الراحة ولحق بأوليائه أولاد عريف ومن معهم من أشياع الدولة من زغبة وأغذوا السير الى وادهنالك شرق القلعة فتلاقى الجمعان وتواقفوا للقاء سائر يومهم واستضاؤا باضرام النيران مخافة البيات وأصبحوا على التعبية وغشت الرجالات في مواضعة الحرب فأعجبهم مناشبة القوم وتزاحفت الصفوف وأعلم الكماة وكشفت الحرب عن ساقها وحمي الوطيس وهبت الريح المبشرة فخفقت لها رايات الامير وهدرت طبوله ودارت رحى الحرب وصمدت اليها كتائب العرب فجرى فيها الابطال منهم وانكشفوا وأجلت المعركة عن عبد الله بن صغير صريعا فأمر أبو تاشفين فاحتز رأسه وطير به البريد الى أبيه ثم عثرت المراكب بأخيه ملوك بن صغير مع العباس ابن عمه موسى بن عامر ومحمد بن زيان من وجوه عشيرتهم متواقعين بجنودهم متضاجعين في مراقدهم كأنما أقعدوا للردى فوطأتهم سنابك الخيل وغشيهم قتام المراكب وأطلقت العساكر أعنتها في اتباع القوم فاستاقوا نعمهم وأموالهم وكثرت يومئذ الانفال وغشيهم الليل فتستروا بجناحه ولحقهم فلهم بجبل راشد وأطرب أبو تاشفين أباه بعثتهى ظهوره وأملاه السرور بما صنع الله على يده وما كان له ولقومه من الاثر في مظاهرة أوليائه وطارله بها ذكر على الايام ورجع الى أبيه بالحضرة مملوء الحقائب بالانفال والجوانح بالسرور والايام بالذكر عنه وعن قومه ومذنى خالد لوجهه في فل من قومه ولحق بجبل راشد الى أن كان من أمره مانذكره ان شاء الله والله تعالى أعلم

الخبر عن انتقاض سالم بن ابراهيم ومظاهرته خالد بن عامر على الخلاف وبيعتهما للامير أبي زيان ثم مهلك خالد ومراجعة سالم الطاعة وخروج أبي زيان الى بلاد الجريد

كان سالم بن ابراهيم هذا كبير الثعالبة المتغلبين على حصن متيجة منذ انقراض مليكش وكانت الرياسة فيهم لاهل بيته حسبما ذكرناه في أخبارهم عند ذكر المعقل ولما كانت فتنة أبي زيان بعد نكبة أبي حمو على بجاية وهبت ريح العرب واستغلظ أمرهم وكان سالم هذا أول من غمس يده في تلك الفتنة ومكر بعلي بن غالب من بيوتات الجزائر كان مغربا عنها منذ تغلب بني مرين على المغرب الاوسط أيام بني عثمان ولحق بها عندما أظلم الجو بالفتنة واستحكمت نفرة أهل الجزائر عن أبي حمو اذ ظهر بها الاستبداد واجتمع بها ليه الاوشاب والطغام سالم من الضاحية

بياض بالأصل

أطمعه فى الاستيلاء على الجزائر فداخل فى شأنه الملأ من أهل المدينة وحذرهم منه أنه يروم الدعوة للسلطان أبى حمو فاستأنطوا النفرة وثاروا به حتى اذا رأى أنه قد أحيط به خلصه من أيديهم وأخرجه الى حيه وأبلغه هنالك وحوّل دعوة الجزائر الى الامير أبى زيان تحت استبداده حتى اذا كان من أمر بنى مرين وحلول السلطان عبد العزيز بتلمسان كما قدمناه أقام دعوتهم فى الجزائر الى حين مهلكه ورجوع أبى حمو الى تلمسان وأقبل جيش أبى زيان الى تيطرى فأقام سالم هذا دعوته فى احيائه وفى بلد الجزائر بأمر ابن عمه ولما كان من خروج أبى زيان الى أحياء رياح على يد محمد بن عريف ما قدمناه واقتضى سالم عهده من السلطان وولى سالم على الجزائر أقام سالم على أمره من الاستبداد بتلك الاعمال واستضافة جبايتها لنفسه وأوعز السلطان الى سائر عماله باستيفاء جبايتها فاستراب وبقى فى أمره على المداهنة وحدثت اثر ذلك فتنة خالد بن عامر فتربص دوائرها رجاء أن يكون الغلب له فيشغل السلطان عنه ثم بدا له ما لم يحتسب وكان الغلب للسلطان ولأوليائه وكان قد حدثت بينه وبين بنى عريف عداوة وخشى أن يحمل السلطان على النهوض اليه فبادر الى انتقاض على أبى حمو واستقدام الامير أبو زيان وجاء بخالد بن عامر من المخالفين معه من المغرب فوصلوا اليه أوّل سنة ثمان وسبعين وعقد بينهم حلفا مؤكدا وأقام الدعوة للامير أبى زيان بالجزائر ثم زحفوا الى حصار مليانة وبها حامية السلطان فامتنعت عليهم ورجعوا الى الجزائر فهلك خالد بن عامر على فراشه ودفن بها وولى أمر قومه من بعده المسعود ابن أخيه صغير ونهض اليهم السلطان أبو حمو من تلمسان فى قومه وأوليائه من العرب فامتنعوا بجبال حصين وناوشهم جيوش السلطان القتال بأسافل الجبل فغلبوهم عليها وانفضت الناجعة عنهم من الديالم والعطاف وبنى عامر فلحقوا بالقفر ورأى سالم أصحابه أن قد أحيط بهم فلاذ بالطاعة وحمل عليها أصحابه وعقد لهم السلطان من ذلك ما أرادوه على أن يفارقوا الامير أبا زيان ففعلوا وارتحل عنهم فلحق ببلاد المغرب بديع ثم أجازها الى نفطة من بلاد الجريد ثم الى توزر فنزل على مقدمها يحيى بن يملول فأكرم نزله وأوسع قراه الى أن كان من أمره ما نذكر ورجع السلطان أبو حمو الى تلمسان وفى نفسه من سالم حرارة لكثرة اضطرابه ومراجعته الفتن حتى توسط فصل الشتاء وأبعدت العرب فى مشاتيها فنهض من تلمسان فى جيوش زناتة وأغذ السير فصبح بحصن متيجة بالغارة الشعواء وأجفلت الثعالبة فلحقوا برؤس الجبال وامتنع سالم بجبل بنى خليل وبعثوا ابنه وأولياءه الى الجزائر فامتنعوا بها وحاصروه أياما ثم غلبوه على مكامنه فانتقل الى بنى ميسرة من جبال صنهاجة وخلف أهله ومتاعه وصار الكثير من الثعالبة الى الطاعة

واستمهلوا بأمان السلطان وعهده الى ... متيجة وبعث هو أخاه تاشفين الى السلطان باقتضاء العهد ونزل من رأس ذلك الشاهق الى ابنه أبي تاشفين فأوصله الى السلطان أحدى ليالي العشر الاواخر من رمضان فأخفر عهده وذمة ابنه وتقبض عليه صبيحة ليلته وبعث قائده الى الجزائر فاستولى عليها وأقام دعوته بها وأوفد عليه مشيختها فتقبض عليهم وعقد على الجزائر لوزيره موسى بن برغوث ورجع الى تلمسان فقضى بها عيد النحر ثم أخرج سالم بن ابراهيم من محبسه الى خارج البلد وقتل قعصا بالرماح ونصب شلوه وأصبح مثلا للآخرين ولله البقاء وعهد السلطان لابنه المنتصر على مليانة وأعمالها ولابنه أبي زيان على وهران وراسله ابن يملول صاحب توزر وصهره ابن مزني صاحب بسكرة وأولياؤهما من الكعوب والزواودة لما أهمهم أمر السلطان أبي العباس وخافوه على أمصارهم فراسلوا أبا حمو يضمنون له مسالمة أبي زيان على أن يوفي لهم بما اشترط لهم من المال وعلى أن يشب نار الفتنة من قبله على بلاد الموحدين ليشغل السلطان أبا العباس عنهم على حين عجزه وضعف الدولة عنه فأوهمهم من نفسه القدرة وأطمعهم في ذلك ومازال يراجعهم ويراجعونه بالمقاربة والوعد الى أن أحيط بابن يملول واستولى السلطان على بلده فلحق ببسكرة وهلك بها السنة من خروجه آخر سنة احدى وثمانين وبقي ابن مزني من بعده متعللا بتلك الاماني الكاذبة الى أن ظهر أمره وتبين عجزه فراجع طاعة السلطان أبي العباس واستقام على الموادعة ولحق الامير أبو زيان بحضرة السلطان بتونس فنزل بها أكرم نزل مؤملا منه المظاهرة على عدوه والحال بالمغرب الاوسط لهذا العهد على ماشرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الامصار وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها الى مراكزها بسيف البحر وتضاؤل قدرتها على قدرتهم واعطاء اليد في مغالبتهم ببذل رغائب الاموال واقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الامصار والقنوع بالتغريب بينهم واغراء بعضهم ببعض والله ولي الامور

بياض بالاصل

(قسمة السلطان للاعمال بين ولده وماحدث بينهم من التنافس)

كان لهذا السلطان أبي حمو جماعة من الولد كبيرهم أبو تاشفين عبد الرحمن ثم بعده أربعة لام واحدة كان تزوجها بمحلة من أعمال قسنطينة أيام جولته في بلاد الموحدين كبيرهم المنتصر ثم أبو زيان محمد ثم عمر ويلقب عميرا ثم بعد ولد كثيرون أبناء علات وكان أبو تاشفين ولي عهده وقد رفعه على الباقين وأشركه في رأيه وأوجب له الحق على وزراء دولته فكان لذلك رديفه ومظهر سلطانه وكان مع ذلك يتعاهد أولئك الاخوة الاشقاء بحنوه ويقسم لهم من ترشيحه والنجاء في خلوته فتنغص أبو تاشفين منهم فلما استفحل أمر

السلطان وانمحت من دولته آثار الخوارج أعمل نظره فى قسمة الاعمال بين ولده وترشيحهم للامارة والبعد بهم عن أخيهم أبى تاشفين أن يصيبهم بمكروه عندما يناس الغيرة منهم فولى المنتصر كبيرهم على مليانة وأعمالها وأنفذه اليها ومعه أخوه عمر الاصغر فى كفالته وولى أخاهما الاوسط أبا زيان على المرية وما اليها من بلاد حصين وولى ابنه يوسف ابن الزابية على تدلس وما اليها من آخر أعماله واستقر أمرهم على ذلك ثم كان من انتقاض سالم الثعلبى بالجزائر ما قدمناه فنمى الى السلطان أن ابنه أبا زيان داخله فى الخلاف فلما فرغ من أمر سالم كما مر وطرد أبا زيان ابن عمه عن أعماله الى الجريد أعمل نظره فى نقل ابنه أبى زيان من المرية الى ولاية وهران وأعمالها بعدها عن العرب المجلبين فى الفتن وأنزل معه بعض وزرائه عينا عليه فأقام واليا عليها والله أعلم

(وشية أبى تاشفين بيحيى بن خلدون كاتب أبيه)

كان أول شئ حدث من منافسة أبى تاشفين لاخوته ان السلطان لما ولى ابنه أبا زيان على وهران وأعمالها طلبه أبو تاشفين فى ولايتها لنفسه فأسعفه ظاهرا وعهد الى كاتبه يحيى بن خلدون بمماطلته فى كتابها حتى يرى المخلص من ذلك فأقام الكاتب يطاوله وكان فى الدولة أثير من خطة الشرط يدعى بموسى بن يخلف صحبهم أيام الاغتراب بتيكورارين أيام ملك تلمسان عليهم السلطان عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن كما مر وخلاله وجه السلطان أبى حمو وابنه فتقرب اليه بخدمته ورعاها له فلما رجع السلطان الى تلمسان بعد مهلك عبد العزيز قدمه وآثره واستخلصه فكان من أخلص بطانته وكان أبو تاشفين أيضا استخلصه وجعله عينا على أبيه وكان هو أيضا يغص بابن خلدون كاتب السلطان ويغار من تقدمه عنده ويغرى به أبا تاشفين جهده فدس اليه أثناء هذه المطاولة أن الكاتب ابن خلدون انما مطله بالكتاب خدمة لابى زيان أخيه وايثارا له عليه فاستشاطه أبو تاشفين وترصد له منصرفه من القصر الى بيته بعد التراويح فى احدى ليالى رمضان سنة ثمانين فى رهط من الاوغاد كان يطوف بهم فى سكك المدينة ويطرق معهم بيوت أهل الستر والحشمة فى سبيل الفساد فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتا وغدا الخبر على السلطان صبيحة تلك الليلة فقام فى ركائبه وبث الطلب عن أولئك الرهط فى جوانب المدينة ثم بلغه أن ابنه أبا تاشفين صاحب الفعلة فأغضى وطوى عليها جوانحه وأقطع أبا تاشفين مدينة وهران كما وعده وبعث ابنه أبا زيان على بلاد حصين والمرية كما كان ثم طلب أبو تاشفين من أبيه أن تكون الجزائر خالصة له فأقطعه اياها وأنزل بها من اخوته يوسف بن الزابية بما كان شيعة له من بينهم وفئة فى صحبته ومخالصته فأقام واليا عليها والله أعلم

حركة أبي حمو على ثغور المغرب الاوسط
ودخول ابنه أبي تاشفين الى جهات مكناسة

كان أبو العباس بن السلطان أبي سالم ملك بني مرين بالمغرب الاقصى قد نهض في عساكره سنة ثلاث وثمانين الى مراكش وبها الامير عبد الرحمن بن يفلوسن بن السلطان أبي علي مقاسمه في نسبه وملكه وكان قد سوغ له مراكش وأعمالها عندما أجلب معه على البلد الجديد سنة خمس وسبعين كما في أخبارهم واستقر الامير عبد الرحمن بمراكش ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أحمد ونهض اليه من فاس فحاصره أولا وثانيا يفرج فيهما عنه ثم نهض اليه سنة أربع وثمانين فحاصره وأخذ بمخنقه وأطال حصاره وكان يوسف بن علي بن غانم أمير المعقل من العرب منتقضا على السلطان وقد بعث السلطان العساكر الى احيائه فهزموه وخربوا بيوته وبساتينه بسجلماسة ورجعوا وأقام هو بصحرائه منتقضا فلما جهد الحصار الامير عبد الرحمن بمراكش بعث أبا العشائر ابن عمه منصور بن السلطان أبي علي الى يوسف بن علي بن غانم ليجلب به على فاس وبلاد المغرب فيأخذ بحجزة السلطان عنه وينفس من مخنقه فسار يوسف بن علي مع أبي العشائر الى السلطان أبي حمو بتلمسان يستنجده على هذا الغرض لقدرته عليه دون العرب بماله من العساكر والابهة فأنجده على ذلك وقدم ابنه أبا تاشفين معهم وخرج هو في أثرهم فساروا الى المغرب ونزل يوسف بن علي بقومه قريبا من مكناسة ومعه الاميران أبو العشائر وأبو تاشفين وجاء أبو حمو من خلفهم فحصر تازى سبعا وخرب قصر تازروت المعد هنالك لنزل السلطان وكان السلطان قد استخلف على فاس في مغيبه علي بن مهدي العسكري من عمال دولته ووجوه قبيله وكان هنالك عرب المنبأة من المعقل قد أخذوا الميرة فأهاب بهم ونزمار بن عريف ولي الدولة من عرب سويد وهو نازل بقصر مرادة من جوار تازى فاستألفهم لمدافعة أبي حمو وابنه وخرج بهم علي بن مهدي ثم وصل الخبر باستيلاء السلطان على مراكش منتصف خمس وثمانين فأجفل أبو تاشفين وأبو العشائر ومن معهما من العرب واتبعهم علي بن مهدي بمن معه من المنبأة وأجفل أبو حمو على تازى ومر بمرادة على قصر ونزمار فهدمه وعاث فيه وانكفأ راجعا الى تلمسان وفارق ابنه أبو تاشفين أصحابه أبا العشائر والعرب ولحق بأبيه الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

نهوض السلطان أبي العباس صاحب المغرب الى تلمسان
واستيلاؤه عليها واعتصام أبي حمو بجبل تاجموت

لما استولى السلطان أبو العباس على مراكش كما قلناه رجع الى دار ملكه بفاس

وقد آسفه السلطان أبو حمو باجلابه على وطنه هو وابنه أبو تاشفين مع العرب أيام مغيبه بمراكش فأجمع الرحلة الى تلمسان وخرج فى عساكره وراجع يوسف بن على الطاعة ورحل معه فى جموعه وبلغ الخبر الى السلطان أبى حمو فتردد بين الحصار بتلمسان أو مفارقتها وكان بينه وبين ابن الاحمر صاحب الاندلس مواصلة ولابن الاحمر دالة على السلطان أبى العباس كما [بياض فى الاصل] فكان يحفظ له الشأن فى قصد تلمسان ويلبثه عنها فيعطيه المقادة فى ذلك فيعلل هو السلطان أبا حمو بأن السلطان أبا العباس لا يصل اليه ثم أجمع السلطان أبو العباس أمره ونهض على حين غفلة معتدا الى تلمسان وتقدم الخبر الى أبى حمو فأجمع مفارقة تلمسان بعد أن أظهر لاوليائه وأهل دولته أنه على الحصار ثم خرج حين عشية الى معسكره بالصفيف وافتقده أهل بلده من صبيحتهم فتبادر أكثرهم اليه متعلقين بأذياله خوفا من معرة العدو ثم ارتحل يطوى المراحل الى البطحاء ودخل السلطان أبو العباس تلمسان واستولى عليها وجهز العساكر لاتباع أبى حمو وقومه فأجفل من البطحاء ولحق بتاجموت فاعتصم بمعقلها ولحق به ابنه المنتصر من مليانة بما كان معه من الذخيرة فاستمد بها وأقام هنالك عازما على الامتناع والله تعالى أعلم

رجوع السلطان أبى العباس الى المغرب واختلال دولته ورجوع السلطان أبى حمو الى ملكه بتلمسان

كان السلطان أبو العباس لما استولى على مملكة تلمسان طير كتبه ورسله بفتحها الى ابن الاحمر صاحب الاندلس ويعتذر اليه من مخالفة رأيه فى الحركة اليها وقد كان ابن الاحمر آسفه ذلك الى ما تنظم اليه من النزعات الملوكية التى يوسف بها بعضهم بعضا وهو يطوى جوانحه عليها واطلع على فساد طاعة السلطان أبى العباس فى أهل دولته وفقد ضمائرهم له فأزعج لوقته موسى ابن السلطان أبى عنان من أعياص ملكهم كان عنده بالاندلس وجهزه بما يحتاج اليه وبعث فى خدمته مسعود بن رحو بن ماسى الى وزيرهم المشهور وأركبه السفن الى سبتة فنزلوا بساحتها أول ربيع سنة ست وثمانين واستولوا عليها ثم تقدموا الى فاس فنازلوا دار الملك أياما وبها محمد بن حسن كاتب محمد ابن عثمان القائم بدولة السلطان أبى العباس والمستبد عليه واشتد وافى حصارها وتوافت اليهم الامداد والحشود فداخله الخور وألقى بيده وداخل السلطان موسى الى دار الملك تاسع عشر ربيع الاول من السنة وجلس على أريكته وآتاه الناس طاعتهم وطار الخبر الى السلطان أبى العباس بتلمسان وقد تجهز لاتباع أبى حمو ونزل على مرحلة من تلمسان بعد أن أغراه وترمار بن عريف أمير سويد بتخريب قصور الملك بتلمسان

وكانت لا يعبر عن حسنها اختطها السلطان أبو حمو الاول وابنه أبو تاشفين واستدعى لها الصناع والفعلة من الاندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان فبعث اليهما السلطان أبو الوليد صاحب الاندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالاندلس فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله فأشار وزمار على السلطان أبي العباس بتخريب هذه القصور وأسوار تلمسان انتقاما بزعمه من أبي حمو وأخذا بالثار منه فيما اعتمده من تخريب قصر الملك بتازى وتخريب قصره هو بمرادة فأتى عليها الخراب أسرع من لمح البصر وبينما هو في ذلك وهو يروم السفر لاتباع أبي حمو اذ جاءه الخبر بأن السلطان موسى بن عم السلطان أبي عنان قد استولى على دار ملكهم بفاس واقتعد أريكتهم فكر راجعا الى المغرب لا يلوى على شئ وترك تلمسان لشأنها وكان من أمره ما يأتى ذكره في أخبارهم وطار الخبر الى السلطان أبي حمو بمكانه من تاجموت فاغذ السير الى تلمسان ودخلها وعاد الى ملكه بها وتفجع لتلك القصور بما ذهب من رونق حسنها وراجع دولته بنى عبد الواد وسلطانهم بتلمسان والله سبحانه وتعالى أعلم

(تجدد المنافسة بين أولاد السلطان أبي حمو ومجاهرة أبي تاشفين بذلك لهم ولابيه)

كان التنافس بين هؤلاء الاولاد خفيا على الناس بما كان السلطان أبوهم يؤامل بينهم ويدارى بعضهم عن بعض فلما خرجوا أمام بنى مرين وعادوا الى تلمسان صار تنافسهم الى العداوة واتهم أبو تاشفين أباه بممالأة اخوته عليه فشعر لعقوقه وعداوته وشعر السلطان بذلك فأعمل الحركة الى ناحية البطحاء موريا باصلاح العرب ومعتزما على لقاء ابنه المنتصر بمليانة بجناحه ويتخطى الى الجزائر فيجعلها دار ملكه بعد أن استخلف بتلمسان ابنه أبا تاشفين وحالفه على المناصحة واطلع موسى بن يخلف على خبيئة السلطان بذلك فدس بها الى أبي تاشفين على عادته فطار به الاسف كل مطار وأغذ السير من تلمسان فيمن معه من العسكر وصبح أباه بأسافل البطحاء قبل أن يتصل بالمنتصر وكشف القناع عن التنكير والتسخط على ما بلغه فحلف له السلطان على ذلك وأرضاه بالرجوع معه الى تلمسان فرجعا جميعا

(خلع السلطان أبي حمو واستبداد ابنه أبي تاشفين بالملك واعتقاله اياه)

ولما رجع السلطان من البطحاء وبطل ما كان يؤمله من الاتصال بالمنتصر دس اليه مع خالصة من أهل دولته يعرف بعلى بن عبد الرحمن بن الكليب بأحمال من المال يودعها الى أن يجد السبيل لحاجة نفسه وكتب له بولاية الجزائر ليقيم بها حتى يخلص اليه واطلع موسى على ذلك فأطلع أبا تاشفين على الخبر فبعث في أثره من حاشيته من اغتال ابن

الكاتب وجاء اليه بالمال والكتب فاطلع منها على حقيقة أمرهم وأنهم متربصون به فاستشاط وجاهر أباه وغدا عليه بالقصر فأوقفه على الكتاب وبالغ فى عذله وتعنيفه وسى ابن يخلف الى أبى تاشفين وهجر باب السلطان وأغرى به ابنه فغدا على أبيه بالقصر بعد أيام وخلعه وأسكنه بعض حجر القصر ووكل به واستخلص ما كان معه من الاموال والذخيرة ثم بعث به الى قصبة وهران فاعتقله بها واعتقل من حضر بتلمسان من اخوته وذلك آخر ثمان وثمانين وبلغ الخبر الى المنتصر بمليانة وأبى زيان وعمير فلحقوا بقبائل حصين واستذموا بهم فأذموهم وأنزلوهم عندهم بجبل تيطرى وجمع أبو تاشفين العساكر واستألف العرب من سويد وبنى عامر وخرج فى طلب المنتصر واخوته ومر بمليانة فملكها ثم تقدم الى جبل تيطرى وأقام فى حصارهم به وهم ممتنعون عليه والله تعالى أعلم

(خروج السلطان أبى حمو من الاعتقال ثم القبض عليه وتغريبه الى المشرق)

لما طال مقام أبى تاشفين على تيطرى لحصار اخوته ارتاب بأمر أبيه وطول مغيبه عنه وشاور أصحابه فى شأنه فأشاروا بقتله واتفقوا على ذلك فبعث أبو تاشفين ابنه أبا زيان فى ملأ من حاشيته فيهم ابن الوزير عمران بن موسى وعبد الله بن الخراسانى فقتلوا من كان معتقلا بتلمسان من أبناء السلطان وتقدموا الى وهران وسمع أبو حمو بقدومهم فأوجس الخيفة منهم واطلع من جدران القصبة ينادى بالصريخ فى أهل البلد فتبادروا اليه من كل جهة وتدلى لهم بحبل وصله من عمامته التى كان معتمًا بها فنالوه حتى استقر بالارض واجتمعوا اليه وكان الرهط الذين جاؤا لقتله بباب القصر وقد أغلقه دونهم فلما سمعوا الهيعة واستيقنوا الامر طلبوا النجاة بنفسهم واجتمع أهل البلد على السلطان وتولى كبر ذلك خطيبهم وجددوا له البيعة وارتحل من حينه الى تلمسان فدخلها أوائل تسع وثمانين وهى يومئذ عورة بما كان بنو مرين هدموا من أسوارها وأزالوا حصنها وبعث فيمن كان مخالفا بأحياء بنى عامر من أكابرهم ووجوههم فقدموا عليه وطار الخبر الى أبى تاشفين بمكانه من حصار تيطرى فانكفأ راجعا الى تلمسان فيمن معه من العساكر والعرب وبادره قبل أن يستكمل أمره فأحيط به ونجا الى مأذنة الجامع فاعتصم بها ودخل أبو تاشفين القصر وبعث فى طلبه وأخبر بمكانه فجاء اليه بنفسه واستنزله من المأذنة وأدركته الرقة فجهش بالبكاء وقبل يده وغدا به الى القصر واعتقله ببعض الحجر هنالك ورغب اليه أبوه فى تسريحه الى المشرق لقضاء فرضه

بياض بالأصل

بعض تجار النصارى المترددين الى تلمسان من القيطلان على حمله الى الاسكندرية وأركبه السفن معهم بأهله من مرسى وهران ذاهبا الطية موكلا به وأقبل أبو تاشفين

على القيام بدولته والله تعالى أعلم

نزول السلطان أبي حمو بجاية من السفين واستيلاؤه على تلمسان ولحاق أبي تاشفين بالمغرب

لما ركب السلطان أبو حمو السفين ذاهبا الى الاسكندرية وفارق أعمال تلمسان وحاذى بجاية داخل صاحب السفينة فى أن ينزله بجاية فأسعفه بذلك فخرج من الطارمة التى كان بها معتقلا وصار الموكلون به فى طاعته وبعث الى محمد بن أبى مهدى قائد الاسطول بجاية المستبد على أميرها من ولد السلطان أبى العباس بن أبى حفص وكان محمد خالصة المستنصر بن أبى حمو من ناحية دولتهم قد خلص الى بجاية من تيطرى بعد ما تنفس الحصار عنهم فبعثه ابن أبى مهدى الى السلطان أبى حمو بالاجابة الى ما سأل وأنزله بجاية آخر تسع وثمانين وأسكنه ببستان الملك المسمى بالرفيع وطير بالخبر الى السلطان بتونس فشكر له بما أتاه من ذلك وأمره بالاستبلاغ فى تكريمه وأن يخرج عساكر بجاية فى خدمته الى حدود عمله متى احتاج اليها ثم خرج السلطان أبو حمو من بجاية ونزل متيجة واستنفر طوائف العرب من كل ناحية فاجتمعوا اليه ونهض يريد تلمسان واعصوصب قومه بنو عبد الواد على أبى تاشفين بما بذل فيهم من العطاء وقسم من الاموال فنابذوا السلطان أبا حمو واستصعب أمرهم وخرج الى الصحراء وخلف ابنه أبا زيان فى جبال شلف مقيما لدعوته وبلغ الى تاسة من ناحية المغرب وبلغ الخبر الى أبى تاشفين فبعث عسكرا الى شلف مع ابنه أبى زيان ووزيره محمد بن عبد الله بن مسلم فتواقفوا مع أبى زيان بن السلطان أبى حمو فهزمهم وقتل أبو زيان بن أبى تاشفين ووزيره بن مسلم وجماعة من بنى عبد الواد وكان أبو تاشفين لما بلغه وصول أبيه الى تاسة سار اليه من تلمسان فى جموعه فأجفل أبو حمو الى وادى صا واستجاش بالاحلاف من عرب المعقل هنالك فجاؤا لنصره ودعوا زمامه فنزلها وأقام أبو تاشفين قبالته وبلغه هنالك هزيمة ابنه ومقتله فولى منهزما الى تلمسان وأبو حمو فى اتباعه ثم سرح أبو تاشفين مولاه سعادة فى طائفة من العسكر لمحاولة العرب فى التخلى عن أبى حمو فانتهز فيه الفرصة وهزمه وقبض عليه وبلغ الخبر الى أبى تاشفين بتلمسان وكان يؤمل النجاح عند سعادة فيما توجه فيه فأخفق سعيه وانفض عنه بنو عبد الواد والعرب الذين معه وخرج فارا من تلمسان مع أوليائه من سويد الى مشاتيهم بالصحراء ودخل السلطان أبو حمو تلمسان فى رجب سنة تسعين وقدم عليه أبناؤه فأقاموا معه بتلمسان فطرق المنتصر ابنه المرض فهلك بها لايام من دخوله تلمسان واستقر الامر على ذلك والله أعلم

(نهوض أبي تاشفين بعساكر بني مرين ومقتل السلطان أبي حمو)

لما خرج أبو تاشفين من تلمسان امام أبيه واتصل بأحياء سويد أجمعوا رأيهم على الاستنجاد بصاحب المغرب فوفد أبو تاشفين ومعه محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبي العباس صاحب فاس وسلطان بني مرين صريخين على شأنهما فقبل وفادتهما ووعدهما بالنصر من عدوهما وأقام أبو تاشفين عنده ينتظر انجاز وعده وكان بين أبي حمو وابن الاحمر صاحب الاندلس وشيجة وذو عقيدة وصلة ولابن الاحمر دالة وتحكم في دولة ابي العباس صاحب المغرب بما سلف من مظاهرته على أمره مداول دولته فبعث أبو حمو في الدفاع عنه من اجازة أبي تاشفين من المغرب اليه فلم يجبه صاحب المغرب وفاء بذمته وعداه بالقعود عن نصره وألح عليه ابن الاحمر في ذلك فتعلل بالمعاذير وكان أبو تاشفين قد عقد لاول قدومه مع وزير الدولة محمد بن يوسف بن علال حلفا اعتقد الوفاء به فكان هواه في انجاده ونصره من عدوه فلم يزل يفتل لسلطانه في الذروة والغارب ويلوى عن ابن الاحمر المواعيد حتى أجابه السلطان الى غرضه وسرح ابنه الامير أبا فارس والوزير محمد بن يوسف بن علال في العساكر لمصارخة أبي تاشفين وفصلوا عن فاس أواخر احدى وتسعين وانتهوا الى تازى وبلغ خبرهم الى السلطان أبي حمو فخرج من تلمسان وجمع أشياعه من بني عامر والخراج بن عبيد الله وقطع جبل بني ورنيد المطل على تلمسان وأقام بالغيران من جهاته وبلغ الخبر الى أبي تاشفين فقدم الى تلمسان مجددا المكر والخديعة وشيطان الفتنة والشر موسى بن يخلف فاستولى عليها وأقام دعوة أبي تاشفين فيها فطير الخبر الى أبي حمو ابنه عمير فصبحها لليلة من مسيرة فأسلمه أهل البلد وتقبض عليه وجاء به أسيرا الى أبيه بمكانه من الغيران فوبخه أبو حمو على فعاله ثم أذاقه أليم عقابه ونكاله وأمر به فقتل أشنع قتلة وجاءت العيون الى أبي فارس بن صاحب المغرب ووزيره ابن علال بمكان أبي حمو واغرابه بالغيران فنهض الوزير ابن علال في عساكر بني مرين لغزوه وسار أمامهم سليمان بن ناجي من الاحلاف احدى بطون المعقل يدل بهم طريق القفر حتى صبحوه ومن معه من احياء الخراج في مكان مقامتهم بالغيران وناوشوهم القتال فلم يطيقوهم لكثرتهم وولوا منهزمين وكبا بالسلطان أبي حمو فرسه فسقط وأدركه بعض فرسانهم وعرفه فقتله قعصا بالرماح وجاؤا برأسه الى الوزير بن علال وأبي تاشفين وجيء بابنه عمير أسيرا وهم أبو تاشفين أخوه بقتله فمنعوه أياما ثم أمكنوه منه فقتله ودخل أبو تاشفين تلمسان أواخر احدى وتسعين وخيم الوزير وعساكر بني مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب وأقام هو بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب

ويخطب له على منابره ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(مسير أبي زيان بن أبي حمو لحصار تلمسان ثم اجفاله عنها ولحاقه بصاحب المغرب)

كان السلطان أبو حمو قد ولى على الجزائر ابنه أبا زيان لما عاد الى ملكه بتلمسان وأخرج منها أبا تاشفين فلما قتل أبو حمو بالغيران كما قلناه خرج أبو زيان من الجزائر ناجيا الى أحياء حصين يؤمل الكرة بهم والاخذ بثار أبيه وأخيه فاشتملوا عليه وأجابوا صريخه ثم وفد عليه أمراء بني عامر من زغبة يدعونه لملكه فسار اليهم وقام بدعوته وطاعته شيخهم المسعود بن صغير ونهضوا جميعا الى تلمسان في رجب سنة ثنتين وتسعين فحاصروها أياما وسرب أبو تاشفين المال في العرب فافترقوا على أبي زيان وخرج اليه أبو تاشفين فهزمه في شعبان من السنة ولحق بالصحراء واستألف أحياء المعقل وعاود حصار تلمسان في شوال وبعث أبو تاشفين ابنه صريحا الى المغرب فجاءه بمدد من العسكر ولما انتهى الى تاوريرت أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل الى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخا فتلقاه وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه وأقام عنده الى حين مهلك أبي تاشفين والله تعالى أعلم

(وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان)

لم يزل هذا الامير أبو تاشفين مملكا على تلمسان ومقيما فيها الدعوة لصاحب المغرب أبي العباس بن السلطان أبي سالم ومؤديا للضريبة التي فرضها عليه منذ أول ملكه وأخوه الامير أبو زيان مقيم عند صاحب المغرب ينتظر وعده في النصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبي تاشفين في بعض النزغات الملوكية فأجاب داعي أبي زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة خمس وتسعين وانتهى الى تازى وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به ثم هلك منه في رمضان من السنة وكان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم وكان يمت اليه بخؤلة فولى بعده مكانه صبيا من ابنائه وقام بكفالته وكان يوسف بن أبي حمو وهو ابن الزابية واليا على الجزائر من قبل ابي تاشفين فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب ودخل تلمسان فقتل أحمد بن العز والصبي المكفول ابن أخيه تاشفين فلما بلغ الخبر الى السلطان أبي العباس صاحب المغرب خرج الى تازى وبعث من هنالك ابنه أبا فارس في العساكر ورد أبا زيان بن أبي حمو الى فاس ووكل به وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان فملكها وأقام فيها دعوة أبيه وتقدم وزير أبيه صالح بن حمو الى مليانة فملكها وما بعدها من الجزائر وتدلس الى حدود بجاية واعتصم يوسف بن الزابية بحصن تاجموت وأقام الوزير صالح يحاصره وانقرضت دعوة بني عبد

الوادمن المغرب الاوسط والله غالب على أمره

وفاة أبى العباس صاحب المغرب واستيلاء أبى زيان بن أبى حمو على تلمسان والمغرب الاوسط

كان السلطان أبو العباس بن أبى سالم لما وصل الى تازى وبعث ابنه أبا فارس الى تلمسان فملكها وأقام هو بتازى يشارف أحوال ابنه ووزيره صالح الذى تقدم لفتح البلاد الشرقية وكان يوسف بن على بن غانم أمير أولاد حسين من المعقل قد حج سنة ثلاث وتسعين واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق وتقدمت الى السلطان فتنه واخبرته بمحله من قومه فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم بها يوسف على السلطان أبى العباس عظم موقعها وجلس فى مجلس جعله لعرضها والمباهاة بها وشرع فى المكافأة عنها بتخير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك ما رضيه واعتزم على انفاذها مع يوسف بن على حاملها الاول وانه يرسله من تازى أيام مقامته هنالك فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه فى محرم سنة ست وتسعين واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فبايعوه بتازى وولوه مكانه ورجعوا به الى فاس وأطلقوا أبا زيان بن أبى حمو من الاعتقال وبعثوا به الى تلمسان أميرا عليها وقائما بعد السلطان أبى فارس فيها فسار اليها وملكها وكان أخوه يوسف بن الزابية قد اتصل بأحياء بنى عامر يروم ملك تلمسان والاجلاب عليها فبعث اليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك وبذل لهم عطاء جزيلا على أن يبعثوا به اليه فأجابوه الى ذلك وأسلموه الى ثقات أبى زيان وساروا به فاعترضهم بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى أخيه أبى زيان فسكنت أحواله وذهبت الفتنة بذهابه واستقامت أمور دولته وهم على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره وقد انتهى بنا القول فى دولة بنى عبد الواد من زناتة الثانيه (وبقى) علينا خبر الرهط الذين تحيزوا منهم الى بنى مرين منذ أول الدولة وهم بنو كمى من فصائل على ابن القاسم اخوة طاع الله بن على وخبر بنى كندوز أمرائهم بمراكش فلنرجع الى ذكر أخبارهم وبها نستوفى الكلام فى أخبار بنى عبد الواد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

يوسف بن السلطان أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكراز بن يندوكس بن طاع الله

أبو تاشفين –
عمر –
أبو زيان –
المنصور –

أبو زيان محمد بن عثمان –
أبو ثابت –

أبو تاشفين بن أبي حمو موسى بن عثمان –
فارس –
أبو زيان
عبد الله بن أبي حفص عمر –
أبو عامر برهوم –

زكرار –
عثمان –

الحسن بن جابر بن يوسف –
عبد الملك بن محمد بن قاسم بن درع –

يوسف بن محمد –
الناصر –

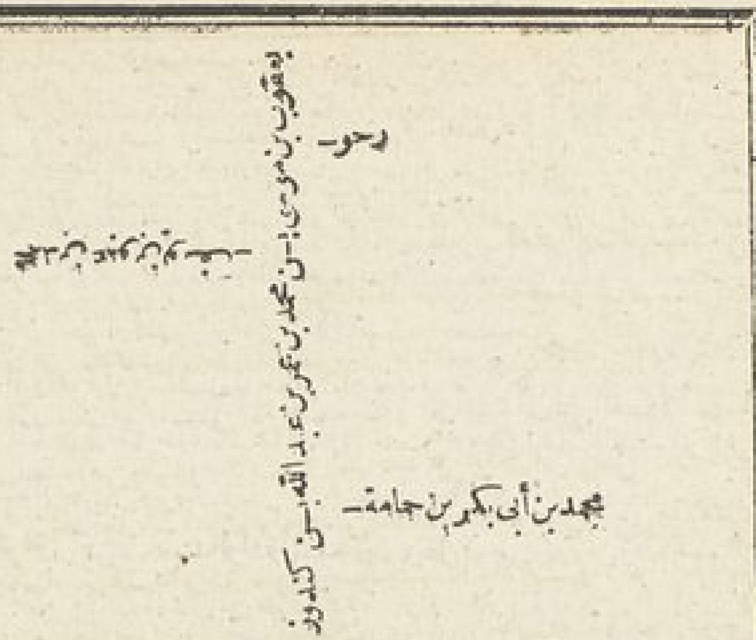
عثمان بن يحيى بن محمد بن أحمد بن يعلى –

الخبر عن بني كمي احد بطون بني القاسم بن عبد الواد وكيف نزعوا الى بني مرين وما صار لهم بنواحي مراكش وأرض السوس من الرياسة

قد تقدم لنا أول الكلام في بني عبد الواد أن بني كمي هؤلاء من شعوب القاسم وأنهم بنو كمي بن يمل بن يزكن بن القاسم اخوة طاع الله وبني دلول وبني معطى دلول وبني معطى بن جوهر بن علي وذكرنا ما كان بين طاع الله وبين اخوانهم بني كمي من الفتنة وكيف قتل كندوز بن عبد الله كبير بني كمي زيان بن ثابت بن محمد كبير بني طاع الله وأن جابر بن يوسف بن محمد القائم بالامر من بعده ثار منهم بزيان وقتل كندوز اغتيالاً أو جهاراً وبعث برأسه الى يغمراسن بن زيان فنصب عليها أهل البيت القدور شفاية لنفوسهم واستمر الغلب بعدها على بني كمي فلحقوا بحضرة تونس وكبيرهم اذ ذاك عبد الله ابن كندوز ونزلوا على الامير أبي زكريا حتى كان من استيلائه على تلمسان ما قدمناه ذكره وطمع عبد الله في الاستبداد بتلمسان فلم يتفق ذلك ولما هلك مولانا الامير أبو زكريا وولي ابنه المنتصر أقام عبد الله صدراً من دولته ثم ارتحل هو وقومه الى المغرب ونزل على يعقوب بن عبد الحق قبل فتح مراكش فاهتز يعقوب لقدومه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مراكش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم وجعل السلطان انتجاع ابله ورواحلته في أحيائهم وقدم على رعايتها حسان ابن أبي سعيد الصبيحي وأخاه موسى وصلا في لفيفهم من بلاد المشرق وكانا عارفين برعاية الابل والقيام عليها وأقاموا يتقلبون في تلك البلاد ويتعدون في نجعتها الى أرض السوس وأوفد يعقوب بن عبد الحق عبد الله بن كندوز هذا على المنتصر صاحب افريقية سنة خمس وستين مع عامر بن أخيه ادريس كما قدمناه والتحم بنو كمي ببني مرين وأصبحوا احدى بطونهم وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم من بعده لابنه عمر بن عبد الله فلما نهض يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الى المغرب الاوسط وشغل بحصار تلمسان وتحدث الناس بما نزل بعبد الواد من بني مرين أخذت بني كمي الحمية واستعضوا لقومهم وأجمعوا الخلاف والخروج على السلطان ولحقوا بحاحة سنة ثلاث وسبعمائة واستولوا على بلاد السوس فخرج اليهم أخو السلطان الامير بمراكش يعيش بن يعقوب فناجزوه الحرب بتادارت وغلبوه واستمروا على خلافهم ثم عاود محاربتهم بتامطوات سنة أربع بعدها فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم وقتل عمر بن عبد الله وجماعة من كبرائهم وفروا أمامه الى الصحراء ولحقوا بتلمسان وهدم يعيش بن يعقوب تارودنت قاعدة أرض السوس وأقام بنو كندوز

بعدها

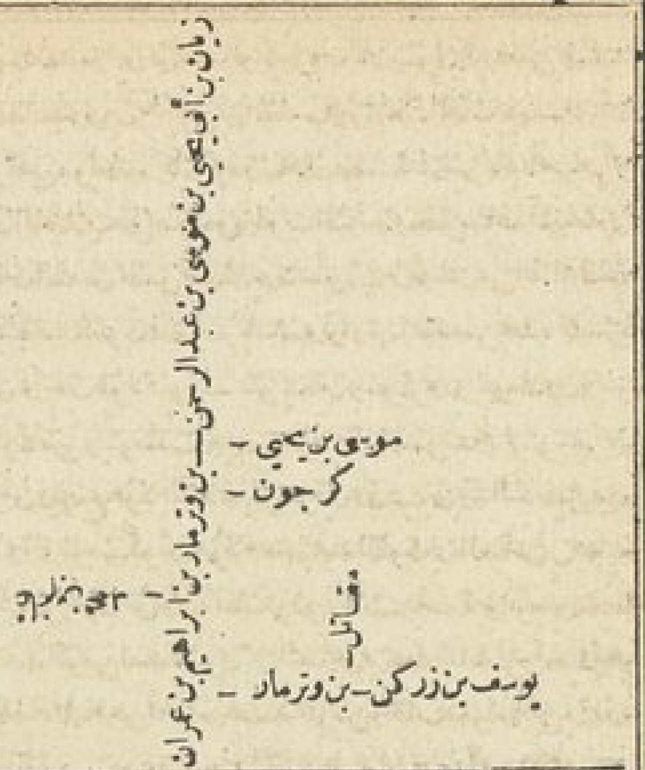
بعدها بتلمسان نحوا من ستة أشهر ثم توجسوا الغدر من ولد عثمان بن يغمراسن فرجعوا
الى مراكش واتبعهم عساكر السلطان وأبلى منهم فى القتال عنهم محمد بن أبى بكر بن
حمامة بن كندوز ولحقوا الى منجاتهم مشردين بصحراء السوس الى أن هلك
السلطان يوسف بن يعقوب وراجعوا طاعة الملوك بالمغرب فعفوا لهم عما سلف من
هذه الجزيرة وأعادوهم الى مكانهم من الولاية فأمحضوا النصيحة والمخالصة وكان
أميرهم من بعد عمر ابنه محمد وأقام فى امارتهم سنين ثم ابنه موسى بن محمد من بعده كذلك
واستخلصه السلطان أبو الحسن أيام الفتنة بينه وبين أخيه أبى على لعهد أبيهما
السلطان أبى سعيد ومن بعده فكانت له فى المدافعة عن نواحى مراكش آثار وأيام
ثم هلك موسى بن محمد فولى السلطان أبو الحسن مكانه ابنه يعقوب بن موسى ولما غلب
على تلمسان وأصار بنى عبد الواد فى خوله وجنوده تمشت رجالاتهم وساءوا أشياعهم
حتى اذا كانت واقعة القيروان وتواقف السلطان وبنى سليم داخلهم يعقوب بن موسى
فى أن ينخذل عن السلطان اليهم ببنى عبد الواد ومن اليهم من مغراوة وتوجين وأوعدهم
لذلك ثم مشى فى قومه وكافة بنى عبد الواد فأجابوه الى ذلك ولحقوا جميعا ببنى سليم تحيزوا
بذلك الهزيمة على السلطان بالقيروان المشهورة ولحقوا بعدها بتلمسان وولوا أمرهم
فى بنى يغمراسن وهلك يعقوب بن موسى بافريقية ولحق أخوه رحو بالمغرب وكان
السلطان أبو عنان قد استعمل على جماعتهم وعلهم عبو بن يوسف بن محمد وهو ابن عمهم
دنيا فأقام فيهم كذلك حتى هلك فولى من بعده ابنه محمد بن عبو وهم على ذلك لهذا العهد
يعسكرون للأمير بمراكش ويتولون من خدمة السلطان مالهم فيه الغناء والكفاية
فكأنهم بمعزل عن بنى عبد الواد لاستحكام العداوة بمقتل زيان بن ثابت والله وارث
الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره ولا معبود سواه



(الخبر عن بني راشد بن محمد بن بادين وذكر أوليتهم وتصاريف أحوالهم)

وانما قدمنا ذكرهم قبل استتمام بني بادين لانهم لم يزالوا أحلافا لبني عبد الواد ومن جملتهم فكانت أخبارهم من أخبارهم وأما راشد أبوهم فهو أخو بادين واختص بنوه كما قلنا ببني عبد الواد وكانت مواطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد اسم أبيهم وكانت مواطن مديونة من قبائل البربر قبلة تاسالت وبنو ورنيد من بطون دمر قبلة تلمسان الى قصر سعيد وكان بجبل هوارة موطنا لبني يلوما الذين كان لهم الملك كما قدمنا ولما اضمحل أمر بني يلوما وذهبت دولتهم زحف بنو راشد هؤلاء من بطونهم بجبل راشد الى بسائط مديونة وبني ورنيد فشنوا عليهم الغارات وطالت بينهم الحرب الى أن غلبوهم على مواطنهم وألجؤهم الى الاوعار فاستوطن بنو ورنيد الجبل المطل على تلمسان واستوطن مديونة جبل تاسالت وملك بنو راشد بسائطهم ثم استوطنوا جبلهم المعروف بهم لهذا العهد وهو بلد بني يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان لاول الاسلام وكان منهم أبو قرة الصفرى كما قدمناه وكان منهم بعد ذلك يعلى بن محمد الامير الذى قتله جوهر الصقلى قائد الشيعة كما ذكرناه فى أخبارهم ويعلى هو الذى اختط بهذا الجبل مدينة ايفكان الذى هدمها جوهر يوم قتله فلما ملك بنو راشد هذا الجبل استوطنوه وصار حصنا لهم ومجالاتهم فى ساحة القبلة الى أن غلبهم العرب عليها لهذا العهد وألجؤهم الى الجبل وكان غلب بني راشد على هذه الاوطان بين دخول بني عبد الواد الى المغرب الاوسط وكانوا شيعة لهم وأحلافا فى فتنتهم مع بني توجين وبني

مرين وكانت رياستهم في بيت منهم يعرفون ببني عمران وكان القائم بها الاول دخولهم ابراهيم بن عمران واستبد عليه اخوه وزمار وقام بأمرهم الى أن هلك فولى ابنه مقاتل بن وزمار وقتل عمه ابراهيم وافترقت رياسة بنى عمران من يومئذ بين بنى ابراهيم وبنى وزمار الا أن رياسة بنى ابراهيم أظهر فولى بعد ابراهيم بن عمران ابنه وزمار وكان معاصر اليغمراسن بن زيان وطال عمره ولما هلك لتسعين من المائة السابعة ولى أمرهم غانم ابن أخيه محمد بن ابراهيم ثم كان فيهم من بعد موسى بن يحيى بن وزمار لا أدرى معاقبا لغانم أو توسطهما أحد ولما زحف بنو مرين الى تلمسان آخر زحفهم صار بنو راشد هؤلاء الى طاعة السلطان أبي الحسن وشيخهم لذلك العهد أبو يحيى موسى بن عبد الرحمن بن وزمار بن ابراهيم وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجون بن وزمار وانقرض أمر بنى عبد الواد وأشياعهم ونقل بنو مرين رؤس زناتة أجمع الى المغرب الاقصى فكان بنو وزمار هؤلاء ممن صار الى المغرب وأوطنوه الى أن صار الامر لبنى عبد الواد الكرة الثالثة على يد أبي حمو الاخير موسى بن يوسف وكان شيخ بنى راشد لعهده ابن أبي يحيى بن موسى المذكور أقبل اليهم من المغرب من ايالة بنى مرين فاتهمه أبو حمو بعد اختلاطهم فتقبض عليه واعتقله مدة بوهران وفر من معتقله فلحق بالمغرب وارتحل بين أحيائهم مدة ثم رجع الى الطاعة واقتضى العهد من السلطان أبي حمو وولاه على قومه ثم تقبض عليه واعتقله الى أن قتله بمحبسه سنة ثمان وستين وسبعمائة وانقرض أمر بنى وزمار بن ابراهيم وأما بنو وزمار بن عمران فقام بأمرهم بعد مقاتل ابن وزمار أخوه أبو زدكن بن وزمار ثم ابنه يوسف بن أبي زدكن ثم آخرون من بعدهم لم تحضرني أسماؤهم الى أن غلب عليهم بنو وزمار بن ابراهيم وقد ذهبت لهذا العهد رياسة أولاد عمران جميعا وصار بنو راشد هؤلاء خولا للسلطان و بقيتهم بجبلهم على الحال التي ذكرناها والله وارث الارض ومن عليها



{الخبر عن بني توجين من شعوب بني بادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة
وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الاوسط وأولية ذلك ومصايره}

كان هذا الحي من أعظم أحياء بني بادين وأوفرهم عددا وكانت مواطنهم حفافي وادي شلف قبلة جبل وانشريس من أرض السرسو وهو المسمى لهذا العهد نهر صا وكان بأرض السرسو بجهة الغرب منه بطون من لواتة وغلبهم عليها بنو وجديجن ومطماطة ثم صارت أرض السرسو لبني توجين هؤلاء واستضافوها الى مواطنهم الاولى وصارت مواطنهم ما بينه وطن بني راشد وجبل درالك في جانب القبلة وكانت لهم رياسة أيام صنهاجة لعطية بن دافلتن وابن عمه لقمان بن المعتز كما ذكره ابن الرقيق ولما كانت فتنة حماد بن بلكين مع عمه باديس ونهض اليه باديس من القيروان حتى احتل بوادي شلف تحيز اليه بنو توجين هؤلاء وكان لهم في حروب حماد آثار مذكورة وكان لقمان بن المعتز أظهر من عطية بن دافلتن وكان قومهم يومئذ زهاء ثلاثة آلاف وأوفد لقمان ابنه بدرا على باديس قبل اللقاء طاعة له وانحياشا فلما انهزم حماد رعى لهم باديس انحياشهم اليه وسوغ لهم ما غنموه وعقد للقمان على قومه ومواطنه وعلى ما يفتحه من البلاد بدعوته ثم انقرض رياستهم بعد حين بنو دافلتن ويقال انه دافلتن بن أبي بكر بن الفلب وكانت رياستهم لعهد الموحدين لعطية بن مناد بن العباس بن دافلتن وكان يلقب

عطية الحيو وكانت بينهم لعهده وبين بنى عبد الواد حروب كان متولى كبرها من بنى عبد الواد شيخهم لذلك العهد عدوى بن يكنيجين بن القاسم فلم تزل تلك الفتنة بينهم الى أن غلبهم بنو عبد الواد آخرا على مواطنهم كما نذكره ولما هلك عطية الحيو قام بأمرهم أبو العباس وكانت له آثار فى الاجلاب على ضواحى المغرب الاوسط ونقض طاعة الموحدين الى أن هلك سنة سبع وستمائة دس عامل تلمسان يومئذ أبو زيد بن بوجان من اغتاله فقتله وقام بأمرهم من بعده ابنه عبد القوى فانفرد برياستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكره وكان من أشهر بطون بنى توجين هؤلاء يومئذ بنو يدللتن وبنو قرى وبنو مادون وبنو زندالن وبنو وسيل وبنو قاضى وبنو مامت ويجمع هؤلاء الستة بنو مدن ثم بنو تيغرين وبنو يرناتن وبنو منكوش ويجمع هؤلاء الثلاثة بنو سرغين وقسب بنى زندالن دخيل فيهم وانما هم من بطون مغراوة وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوى بن العباس بن عطية الحيو هكذا رأيت نسبه لبعض مؤرخى زناتة المنكوشى وكانت رياسة بنى توجين جميعا عند انقراض أمر بنى عبد المؤمن لعبد القوى بن العباس بن عطية الحيو واحياؤهم جميعا بتلك المجالات القبلية فلما وهن أمر بنى عبد المؤمن وتغلب مغراوة على بسائط متيجة ثم على جبل وانشريس نازعهم عبد القوى هذا وقومه أمر وانشريس وغالبوهم الى أن غلبوهم عليه واستقر فى ملكهم وأوطنه بنو تيغرين وبنو منكوش من أحيائهم ثم تغلبوا على منداس وأوطنها أحياء بنى مدن جميعا وكان الظهور منهم لبنى يدللتن ورياسة بنى يدللتن لبنى سلامة وبقى بنو يرناتن من بطونهم بمواطنهم الاولى قبلة وانشريس وكان من أحلاف بنى عطية الحيو بنو تيغرين منهم خاصة وأولاد عزيز بن يعقوب ويعرفون جميعا بالوزراء ولما تغلبوا على الاوطان والتلول وأزاحوا مغراوة عن المدية ووانشريس وتافركينت واستأثروا بملكها وملك الاوطان عن غربيها مثل منداس والجعبات وتاوغزوت ورئيسهم لذلك العهد عبد القوى بن العباس والكل لأمره فصار له ملك بدوى ولم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا الآلاف الرحلتين يشتون فى مشاتيهم الى مصاب والزاب وينزلون فى المصايف بلادهم هذه من التل ولم يزل هذا شأن عبد القوى وابنه محمد الى أن تنازع بنوه الامر من بعده وقتل بعضهم بعضا وتغلب بنو عبد الواد على عامة أوطانهم وأحيائهم واستبد عليهم بنو يرناتن وبنو يدللتن فصاروا الى بنى عبد الواد وبقى أعقابهم بجبل وانشريس الى أن انقرضوا على ما نذكره بعد وكان عبد القوى لما غلب مغراوة على جبل وانشريس اختط حصن مرات بعد أن كان منديل المغراوى شرع فى اختطاطه فبنى منه القصبة ولم يكمله فاكمله محمد بن عبد القوى من بعده ولما استبد بنو أبى حفص بأمر افريقية وصارت لهم

خلافة الموحدين نهض الامير أبو زكريا الى المغرب الاوسط ودخلت فى طاعته قبائل
صنهاجة وفرّت زناتة أمامه وردّد اليهم الغزو فأصاب منهم وتقبض فى بعض غزواته
على عبد القوى بن العباس أمير بنى توجين فاعتقله بالحضرة ثم منّ عليه وأطلقه على
أن يتألف له قومه فصاروا شيعة له ولقومه آخر الدهر ونهض الامير أبو زكريا بعدها الى
تلمسان فكان عبد القوى وقومه فى جملته حتى اذا ملك تلمسان ورجع الى الحضرة عقد
لعبد القوى هذا على قومه ووطنه وأذن له فى اتخاذ الآلة فكانت أول مراسم الملك
لبنى توجين هؤلاء وكانت حالهم مع بنى عبد الواد تختلف فى السلم والحروب ولما هلك
السعيد على يد يغمراسن وقومه كما ذكرناه استنفر يغمراسن سائر أحياء زناتة لغزو
المغرب ومسابقة بنى مرين اليه فنفر معه عبد القوى فى قومه سنة سبع وأربعين
وانتهوا الى تازى واعترضهم أبو يحيى بن عبد الحق أمير بنى مرين فى قومه فنكصوا
واتبعهم الى انكاد فكان اللقاء وانكشفت جموع بنى يادين وكانت الهزيمة التى
ذكرناها فى أخبار بنى عبد الواد وهلك عبد القوى مرجعه منها فى سنته بالموضع
المعروف باحون من مواطنهم وتصدّى للقيام بعده بامرهم ابنه يوسف فمكث فى تلك
الامارة اسبوعا ثم قتله على جدث أبيه أخوه محمد بن عبد القوى ولى عهد أبيه سابع
مواراته وفرّ ابنه صالح بن يوسف الى بلاد صنهاجة بجبال المدية فأقام بها هو وبنوه
واستقل محمد برياسة بنى توجين واستغلظ ملكه وكان الفحل الذى لا يقرع أنفه ونازعه
يغمراسن أمره ونهض الى حربه سنة تسع وأربعين وعمد الى حصن تافركينت فنازله
وبه يومئذ حافده على بن زيان بن محمد فى عصابة من قومه فحاصره أياما وامتنعت عليه
فارتحل عنها ثم تواضعوا أوزار الحرب ودعاه يغمراسن الى مثل ما دعا اليه أباه من
غزو بنى مرين فى بلادهم فأجاب ونهضوا سنة سبع وخمسين ومعهم مغراوة فانتهوا الى
كلدمان ما بين تازى وأرض الريف ولقيهم يعقوب بن عبد الحق فى جموعه فانكشفوا
ورجعوا منهزمين الى بلادهم كما ذكرناه وكانت بينه وبين يغمراسن بعد ذلك فتن
وحروب فنازله فيها بجبل وانشريس مرات وجاس خلال وطنه ولم يقع بعدها بينهما
مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك وسموّه الى التغلب على زناتة أجمع وبلادهم وكانوا
جميعا متحاشين الى الدولة الحفصية وكان محمد بن عبد القوى كثير الطاعة للسلطان
المستنصر (ولما نزل) النصارى الافرنجة بساحل تونس سنة ثمان وستين وطمعوا فى ملك
الحضرة بعث المستنصر الى ملوك زناتة بالصريخ فصرفوا وجوههم اليه وخف من بينهم
محمد بن عبد القوى فى قومه ومن احتشد من أهل وطنه ونزل على السلطان بتونس
وأبلى فى جهاد العدو وأحسن البلاء وكانت له فى أيامه معهم مقامات مذكورة ومواقف

مشهورة وعند الله محتسبة معدودة ولما ارتحل العدو عن الحضرة وأخذ محمد بن عبد القوى فى الانصراف الى وطنه أسنى السلطان جائزته وعم بالاحسان وجوه قومه وعساكره وأقطعه بلاد مغراوة وأوماش من وطن الزاب وأحسن منقلبه ولم يزل بعد ذلك معتقلا بطاعته مستظهرا على عدوه بالانحياش اليه ولما استغلظ بنو مرين على يغمراسن بعد استيلائهم على أمصار المغرب واستبدادهم بملكه وصل محمد يده بهم فى الاستظهار على يغمراسن وأوفد ابنه زيان بن محمد عليهم ولما نهض يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان سنة سبعين وأوقع بيغمراسن فى الوقيعة التى هلك فيها ابنه فارس نهض محمد بن عبد القوى للقائه ومر فى طريقه بالبطحاء وهى يومئذ ثغر لاعمال يغمراسن فهدمها ولقى يعقوب بن عبد الحق فى ساحة تلمسان مباهيا بآلته فأكرم يعقوب وفادته وبر مقدمه ونازلوها أياما فامتنعت عليهم وأجمعوا على الافراج وتأنى لهم يعقوب بن عبد الحق متلوما عليها الى أن يلحق محمد وقومه ببلادهم حذرا عليهم من غائلة يغمراسن ففعل وملأ حقائبهم باتحافه وجنب لهم مائة من الجياد العتاق بالمراكب الثقيلة وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والاخبية والعملان وارتحلوا ولحق محمد بن عبد القوى بمكانه من جبل وانشريس واتصلت حروبه مع يغمراسن وكثر اجلابه على وطنه وعيثه فى بلاده وهو مع ذلك مقيم على موالاة يعقوب بدا اتحافه بالعتاق من الخيل والمستجاد من الطرف حتى ان يعقوب اذا اشترط على يغمراسن فى مهادنته جعل سلمهم من سلمه وحربهم من حربه وبسببهم كان نهوض يعقوب بن عبد الحق سنة ثمانين لما اشترط عليه ذلك ولج فى قبوله فنهض اليه وأوقع به بخرزوزة ثم أناخ عليه بتلمسان ووافاه هنالك محمد بن عبد القوى فلقيه بالقصاب وعاثوا فى نواحى تلمسان نهبا وتخريبا ثم أذن يعقوب لمحمد وقومه فى الانطلاق الى بلادهم وتلوم هو بمكانه من ضواحى تلمسان مدة منجاتهم الى مكانهم من وانشريس حذرا عليهم من اعتراض يغمراسن ولم يزل شأنهما ذلك الى أن هلك يغمراسن ببدلونة من بلاد مغراوة خاتمة احدى وثمانين وفى خلال ذلك استغلظ بنو مرين على بنى عبد الواد واستوسق لمحمد هذا ملكه فتغلب على أوطان صنهاجة بجبال لمدية وأخرج الثعالبة من جبل تيطرى بعد أن غدر بمشيختهم وقتلهم فأزاحوا عنه الى بسائط متيجة وأوطنوها واستولى محمد على حصن لمدية وهو المسمى بأهل لمدية بفتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وهاء النسب فى آخرها وهم بطن من بطون صنهاجة وكان المختط لها بلكين بن زيرى ولما استولى محمد عليها وعلى ضواحيها أنزل أولاد عزيز بن يعقوب من حشمه بها وجعلها لهم موطنا وولاية وفر بنو صالح بن

أخيه يوسف بن عبد القوي من مكانهم بين صنهاجة منذ مقتل أبيه يوسف كما ذكرناه
ولحقوا ببلاد الموحدين بافريقية فلقوهم مبرة وتكريما وقطعوا لهم بضواحي قسنطينة
في ايالة الملوك من آل أبي حفص يعسكرون معهم في غزواتهم ويبلون في حروبهم
ويقومون بوظائف خدمتهم وكان الموالي من أولاد عزيز على المدية حسن بن يعقوب
وبنوه من بعده يوسف وعلي وكانت مواطنهم ما بين المدية وموطنهم الاول ماخنون وكان
بنو يدللتن أيضا من بني توجين قد استولوا على حصن الجعبات وقلعة تاوغزوت ونزل
القلعة كبيرهم سلامة بن علي مقيما على طاعة محمد بن عبد القوي وقومه فاتصل ملك
محمد بن عبد القوي في ضواحي المغرب الاوسط ما بين مواطن بني راشد الى جبال
صنهاجة بنواحي المدية وما في قبلة ذلك من بلاد السرسو وجباله الى أرض الزاب وكان
يبعد الرحلة في مشتاه فينزل الروسن ومغرة والمسيلة ولم يزل دأبه ذلك ولما هلك يغمراسن
سنة احدى وثمانين كما ذكرناه استحقت الفتنة بين عثمان ابنه وبين محمد بن عبد القوي
على اثر ذلك سنة أربع وثمانين وولي من بعده ابنه سيد الناس فلم تطل مدة ملكه وقتله
أخوه موسى لسنة أو نحوها من بعد مهلك أبيه وقام موسى بن محمد في امارة بني توجين
نحوا من عامين وكان أهل مرات من أشد أهل وطنه شوكة وأقواهم غائلة فحدثته نفسه
أن يستلم مشيختهم ويريح نفسه من محاذرتهم فأجمع لذلك ونزلها وندر وابذلك أنه
ورأيهم فيهم فاستماتوا جميعا وثاروا به فقاتلهم ثم انهزم مثخنا بالجراحة وألجؤه
الى مهاول الحصن فتردى منها وهلك وولي من بعده عمر بن اخيه اسمعيل بن محمد مدة
اربعة أعوام ثم غدر به أولاد عمه زيان بن محمد فقتلوه وولوا كبيرهم ابراهيم بن زيان
وكان حسن الولاية عليهم يقال ما ولي بعد محمد فيهم مثله وفي خلال هذه الولايات استغلظ
عليهم بنو عبد الواد واشتدت وطأة عثمان بن يغمراسن عليهم بعد مهلك أبيهم محمد
فنهض اليهم سنة ست وثمانين وحاصرهم بجبل وانشريس وعاث في أوطانهم ونقل
زروعها الى مازونة حين غلب عليها مغراوة ثم نازل حصن تافركينت وملكها بمداخلة
القائد بها غالب الخصي مولى سيد الناس بن محمد وقفل الى تلمسان ثم نهض الى أولاد
سلامة بقلعة تاوغزوت وامتنعوا عليه مرارا ثم أعطوه اليد على الطاعة ومفارقة بني
محمد بن عبد القوي فنبذوا اليهم العهد وصاروا الى ايالة عثمان بن يغمراسن وفرضوا اليهم
المغارم على بني يدللتن وسلك عثمان بن يغمراسن مسلك التضريب بين قبائل بني توجين
وتحريضهم على ابراهيم بن زيان أميرهم فعدا عليه زكراز بن أعجمي شيخ بني مادون
وقتله بالبطحاء في احدى غزواته لسبعة أشهر من ملكه وولي بعده موسى بن زرارة بن
محمد بن عبد القوي بايع له بنو تيغرين واختلف سائر بني توجين فأقام بعض سنة

وعثمان بن يغمراسن فى خلال هذا يستألف بنى توجين شعبا فشعبا الى أن نهض الى
جبل وانشريس فملكه وفرّ أمامه موسى بن زرارة الى نواحى المدية وهلك فى مفره ذلك
ثم نهض عثمان الى المدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها بمداخلة المدية من قبائل
صنهاجة غدروا بأولاد عزيز وأمكنوه منها ثم انتقضوا عليه لسبعة أشهر ورجعوا الى
ايالة أولاد عزيز فصالحوا عثمان بن يوسف على الاتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن
عبد القوى وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد توجين ثم شغل بما دهمه من مطالبة
بنى مرين أيام يوسف بن يعقوب فولى على بنى توجين من بنى محمد بن عبد القوى أبو بكر بن
ابراهيم بن محمد مدة عامين أخاف فيها الناس وأساء السيرة ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده
أخاه عطية المعروف بالاصم وخالفهم أولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا ليوسف
ابن زيان بن محمد وزحفوا الى جبل وانشريس فحاصروا به عطية وبنى تيغرين عاما
أو يزيد وكان يحيى بن عطية كبير بنى تيغرين هو الذى تولى البيعة لعطية الاصم فلما
اشتدّ بهم الحصار رواسلوا ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان ورغبه
فى ملك جبل وانشريس فبعث معه الجيوش لنظر أخيه أبى سرحان ثم أخيه أبى يحيى
وكان نهوض أبى يحيى سنة احدى وسبعمائة فتوغل فى ناحية الشرق ولما رجع حمد الى
جبل وانشريس فهدم حصونه وقتل ونهض ثانية الى بلاد بنى توجين فشردهم عنها
وأطاعه أهل تافركنيت ثم انتهى الى المدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه
يوسف بن يعقوب فانتقض أهل تافركنيت بعد صدوره عنهم ثم راجع بنو عبد القوى
بصائرهم فى التمسك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم وأعادهم الى
بلادهم وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وجعل وزارته ليحيى بن عطية
فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه لمحمد بن
عطية الاصم واستقام على طاعته وقتا ثم انتقض بين يدى مهلكه سنة ست وحمل قومه
على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجافى بنو مرين من بعدها لبنى يغمراسن عن
جميع الامصار التى تملكوها بالمغرب الاوسط استمكن بنو يغمراسن منها ودفعوا المتغلبين
عنها ولحق الفل من أولاد عبد القوى ببلاد الموحدين فحلوا من دولتهم محل الايثار
والتكرمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوى مع الملوك من آل أبى حفص مقام الخلة
والمصافاة الى أن هلك وبقى عقبه فى جند السلطان ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين
تغلب على جبل وانشريس من بعدهم كبير بنى تيغرين أحمد بن محمد من أعقاب يعلى بن
محمد سلطان بنى يفرن فأقام يحيى بن عطية هذا فى رياستهم أياما ثم هلك وقام بأمره من بعده
أخوه عثمان بن عطية ثم هلك وولى من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل

وانشريس واستقل أولاد عزيز بالمدية ونواحيها وريا ستهم ليوسف وعلى ابنى حسن ابن يعقوب والكل فى طاعة أبى حمو سلطان بنى عبد الواد لما غلبهم على أمرهم وانتزع الرياسة من بنى عبد القوى أمرائهم الى أن خرج على السلطان أبى حمو ابن عمه يوسف ابن يغمراسن ولحق بأولاد عزيز فبايعوه وداخلوا فى كثانة عمر بن عثمان كبير بنى تيغرين وصاحب جبل وانشريس فأجابهم وأصفق معهم سائر الاعشار وبكوشة وبنو يرناتن وزحفوا مع محمد بن يوسف الى السلطان أبى حمو فى عسكره بتهل ففضوه وكان من شأن فتنته معهم ماذكرناه فى أخبار بنى عبد الواد الى ان هلك السلطان أبو حمو وولى ابنه أبو تاشفين فنهض اليهم فى العساكر وكان عمر بن عثمان قد لحقته الغيرة من مخالصة محمد بن يوسف لاولاد عزيز دون قومه فداخل السلطان أبا تاشفين فى الانحراف عنه فلما نزل بالجبل ولحق محمد بن يوسف بحصن توكال ليمتنع به نزع عنه عمر ابن عثمان ولحق بأبى تاشفين ودله على مكامن الحصن فدلف اليه أبو تاشفين وأخذ بمخنقه وافترق عن محمد بن يوسف أولياؤه وأشياعه فتقبض عليه وقيد أسيرا الى السلطان أبى تاشفين فقتل بين يديه قعصا بالرماح سنة تسع عشرة وبعث برأسه الى تلمسان وصلب شلوه بالحصن الذى امتنع فيه أيام انتزائه ورجع أمر وانشريس الى عمر بن عثمان هذا وحصلت ولايته لابى تاشفين الى أن هلك بتلمسان فى بعض أيامهم مع بنى مرين أعوام نازلها السلطان أبو الحسن كما ذكرنا فى أخبار الحصار ثم لما تغلب بنو مرين على المغرب الاوسط استعمل السلطان أبو الحسن ابنه نصر بن عمر على الجبل وكان خيرا وال وفاء بالذمة والطاعة وخلوصا فى الولاية وصدقا فى الانحياش واحسانا للمملكة وتوفيرا للجباية ولما كانت نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان وتطاول الاعياص من زناتة الى استرجاع ملكهم انتزى بضواحى المدية من آل عبد القوى عدى بن يوسف بن زيان ابن محمد بن عبد القوى ونازعه الخوارج فى دعوتهم واشتمل عليه بنو عزيز هؤلاء وبنو يرناتن جيرانهم وزحف الى جبل وانشريس لينال مع الحشم من يلى أمرهم والمداخلين لعدوهم فى قطع دابرهم وكبيرهم يومئذ نصر بن عمر بن عثمان وبايع نصر المسعود بن أبى زيد بن خالد بن محمد بن عبد القوى من أعقابهم ثم خلص اليهم من جملة عدى بن يوسف حذرا على نفسه من أصحابه وقاتلهم عدى وقومه فامتنعوا عليه ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لنصر بن عمر وقومه ثم دخل عدى فى جملة السلطان أبى الحسن لما خلص من تونس الى الجزائر وبقى مسعود بينهم وملكه أبو سعيد بن عبد الرحمن لما ملك تلمسان هو وقومه فلم يزل هنالك الى أن غلبهم السلطان أبو عنان فسار فى جملته بعد أن فر الى زواوة واستنزله منها ونقله الى فاس وانقضى

ملكهم ودولتهم وانقطع أثر بنى محمد بن عبد القوى وأقام نصر بن عمر فى ولاية جبل
وانشريس وعقد له السلطان أبو عنان عليه سائر دولته ولم يزل قائما بدعوة بنى
مرين من بعده الى أن غلبهم السلطان أبو حمو الاخير وهو ابن موسى بن يوسف على الامر
فأعطاه نصر الطاعة ثم اضطرمت نار الفتنة بين العرب وبين بنى عبد الواد أعوام سبعين
وسبعمائة وقاموا بدعوة أبى زيان بن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو فانحاش نصر بن
عمر اليهم وأخذ بدعوة الامير أبى زيان حينا ثم هلك أيام تلك الفتنة وقام بأمرهم من
بعده أخوه يوسف بن عمر متقبلا مذاهبه وهو لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين
صاحب جبل وانشريس وحاله مع أبى حمو مختلف فى الطاعة والخلاف والله مالك
الامور لا رب غيره ولا معبود سواه

قالوا

محمد بن عيسى بن موسى بن محمد

عمر

ابراهيم

عمر بن إسماعيل

موسى بن زرارة

عدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية الحمو بن مناد بن العباس بن دافلتن بن أبي بكر بن الغلب

مسعود بن يوزيد بن خالد

محمد بن عطية بن ابراهيم

سيد الناس

موسى

يحيى بن صالح بن عمر بن صالح بن يوسف

زيان بن يوسف بن موسى

الخبر عن بني سلامة أصحاب قلعة تاوغزوت رؤساء بني يدللتن من بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وأوليتهم ومصايرهم

كان بنو يدللتن هؤلاء من شعوب بني توجين وأشدهم شوكة وأوفرهم عددا وكان لهم ظهور من بين سائر تلك البطون وكان بنو عبد القوي ملوك بني توجين يعرفون لهم ذلك ويوجبون لهم حقه ولما دخل الى التلول بعد انقراض بني يلومى وبني ومانو ابنو ماضي وبنو مادون بأرض منداس فأوطنوها وجاء بنو يدللتن على اثرهم فأوطنوا الجبعات وتاوغزوت ورياستهم يومئذ لنصر بن سلطان بن عيسى ثم هلك فقام بأمرهم ابنه مناد بن نصر ثم أخوه علي بن نصر ثم ابنه ابراهيم بن علي من بعده ثم هلك وقام بأمرهم أخوه سلامة بن علي على حين استفحل ملك عبد القوي وبنيه فاستفحل أمره هو في قومه واختط القلعة بتاوغزوت المنسوبة اليه والى بنيه وكانت من قبل رباطا لبعض المنقطعين من عرب سويد ويزعم بنو سلامة هؤلاء أنهم دخلاء في نسب توجين وأنهم من العرب من بني سليم بن منصور وجاء جدهم عيسى أو سلطان نازعا عن قومه لدم أصابه فيهم فخالطه شيخ بني يدللتن من بني توجين بنسبه وكفل بنيه من بعده ولما هلك سلامة بن علي قام بأمرهم من بعده ابنه يغمراسن بن سلامة على حين استغلظ بنو عبد الواد على بني توجين من بعد مهلك محمد بن عبد القوي سلطانهم الأكبر فكان عثمان بن يغمراسن يتردد الى بلادهم بالغزو ويطيل فيها العيث ونازل في بعض غزواته قلعتهم هذه وبها يغمراسن فامتنع عليه وخالفه يوسف بن يعقوب وبنو مرين الى تلمسان فأجفل على القلعة وسابق بني مرين الى دار ملكه واتبعه يغمراسن بن سلامة مغيرا في أعقابه فكر عليه بالمكان المعروف بتليوان ودارت بينهم هنالك حروب هلك فيها يغمراسن بن سلامة وقام بالامر من بعده أخوه محمد بن سلامة فأذعن لطاعته عثمان بن يغمراسن وخالف بنو عبد القوي وجعل الاتاوة على قومه ووطنه لملوك بني عبد الواد فلم تزل عليهم لملوك تلمسان ولحق أخوه سعد بالمغرب وجاء في جملة السلطان يوسف بن يعقوب في غزوته التي حاصر فيها تلمسان حصاره الطويل فرعى لسعد بن سلامة هجرته اليه وولاه على بني يدللتن والقلعة وفر أخوه محمد بن سلامة فلحق بجبل راشد وأقام هنالك الى أن هلك يوسف بن يعقوب ورجع أمر المغرب الاوسط لبني عبد الواد فوضعوا الاتاوة على بني توجين وأصاروهم الى الجباية ولم يزل سعد على ولايته الى أن هلك أبو حمو وولي أبو تاشفين فسخط سعدا وبعث عن أخيه محمد من جبل راشد فولاه مكانه ولحق سعد بالمغرب وجاء في جملة السلطان أبي الحسن ودخل أخوه محمد مع أبي تاشفين فانحصر بتلمسان وولي سعد بن سلامة مكانه ثم هلك محمد في بعض أيام الحصار وحروبه ولما انقرض أمر بني عبد

الوادرغب سعد من السلطان تخلية سبيله لقضاء فرضه فحج وهلك مرجعه من الحج في طريقه وعهد الى السلطان أبي الحسن واستوصاه ببنيه على لسان وليه عريف بن يحيى كبيرهم وبعد فولى السلطان أبو الحسن ابنه سليمان بن سعد على بني يدللتن والقلعة وانتقض أمر السلطان أبي الحسن وعاد الامر الى أبي سعيد وأبي ثابت ابني عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فكانت بينه وبينهم ولاية وانحراف وكان أولياؤهم من العرب بني سويد من زغبة لما كانوا جيرانهم في مواطنهم من ناحية القبلة فطمع ونزمار بن عريف شيخهم في التغلب على وطن بني يدللتن ومانعه دونه سليمان هذا وبالغ في دفاعه الى أن ملك السلطان أبو عنان بلاد المغرب الاوسط ورعى لونزمار وابنه عريف حق اصطناعهم اليه وهجرتهم الى قومه فأقطع ونزمار بن عريف القلعة وما اليها وجباية بني يدللتن أجمع وألحق سليمان بن سعد بن سلامة في جنده ووجوه عسكره الى أن هلك السلطان وعاد الامر لبني عبد الواد على يد أبي حمو الاخير فولى سليمان على القلعة وعلى قومه واستغلظ أمر العرب عليه فاستراب سليمان هذا ونذر بالشر منه فلحق بأولاد عريف ثم راجع الطاعة فتقبض عليه واغتاله وذهب دمه هدرا ثم غلبه العرب على عامة المغرب الاوسط وأقطع القلعة وبني يدللتن لاولاد عريف استئلافا لهم ثم أقطعهم بني مادون ثم منداس فأصبحت بطون بني توجين كلها خولا لسويد وعبيدا لجبايتهم الا جبل وانشريس فانه لم يزل لبني تيغرين والوالي عليهم يوسف بن عمر منهم كما قلناه وتقام أبو حمو أولاد سلامة في جنده وأثبتهم في ديوانه وأقطعهم القصبات من نواحي تلمسان في عطائهم وهم على ذلك لهذا العهد ولله الخلق والامر لا رب سواه ولا معبود الا اياه له الحكم واليه ترجعون وهو نعم المولى ونعم النصير وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سليمان بن سعد بن سلامة بن علي بن نصر بن سلطان بن عيسى

يغمراسن - [illegible]

يغمراسن - [illegible]

[illegible]

[illegible]

{ الخبر عن بنى برناتن احدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التقلب والامارة وذكر أوليتهم ومصايره }

كان بنو برناتن هؤلاء أوفر قبائل بنى توجين وأعزهم جانبا وأكبرهم صيتا ولما دخل بنو توجين الى تلول المغرب الاوسط أقاموا بمواطنهم الاولى مابين ماحون وزمنة ثم يعود من القبلة يجولون جانبى نهر واصل من أعلى وادى شلف

وكانت ر[بياض بالأصل] ياستهم فى نصر بن على بن تميم بن يوسف بن بونوال وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم وكان عبد القوى بن العباس وابنه محمد أمراء بنى توجين يختصونهم بالاثرة والتجلة لمكانهم من قومهم ومايؤنسون من عظيم غنائهم وكان محمد بن عبد القوى فى سلطانه يؤثر عليهم من أولاد عزيز وكان واليهم لعهده وعهد بنيه عمو بن حسن بن عزيز وقد كان أصهر مهيب بن نصر الى عبد القوى فى ابنته فأنكحه اياها وولدت له نصر بن مهيب فشرفت خؤلته لمحمد بن عبد القوى وعلا كعبه فى امارته ثم ولى بعده ابنه على بن نصر وكان له من الولد نصر وعشر وآخرون يعرفون بأمهم واسمها تاسرغينت وولى بعده ابنه نصر بن على فطال أمد امارته فى قومه واختلف بنو عبد القوى وغلب بنو عبد الواد على ما بأيديهم فصرفت ملوك زناتة وجه العناية اليه فبعد صيته وعرف بنوه من بعده بشهرته وكان ولودا فيقال انه خلف ثلاثة عشر من البنين مامنهم الا صاحب حرب أو مقنب ومن مشاهيرهم عمر الذى قتله السلطان أبو الحسن بعرات حين سعى به أنه داخل فى اغتياله فقتروا دراك فقتل بعرات ومنهم مقديل الذى قتله بنو تيغرين أيام ولوا على بن الناصر وقتلوا معه عمو بن حسن بن عزيز ومنهم عثمان ومات قتيلا فى حصار تلمسان أيام أبى تاشفين ومنهم مسعود ومهيب وسعدود اودوموسى ويعقوب والعباس ويوسف فى آخرين معروفين عندهم هذا شأن أولاد نصر بن على بن نصر بن مهيب وأما ولد عشر أخيه فكان منهم أبو الفتوح بن عشر ثم من ولده عيسى بن أبى الفتوح فكان رئيسا على بنى أبيه وكانت احدى وصائفهم سقطت بدار عثمان بن يغمراسن وادّعت الحمل من سيدها أبى الفتوح وجاءت بأخ لعيسى يسمى معروفا ربى بدارهم واستوزره أبو حمو وابنه من بعده وبلغ المبالغ فى دولتهم وكان يدعى معروفا الكبير ولحق به أيام رياسته فى دولة أبى حمو الاول أخوه عيسى بن أبى الفتوح مغاضبا لقومه فسعى له فى الولاية على بنى راشد وجباية أوطانهم وأنزله بلد سعيدة فكانت له بها امارة وكان له من الولد أبو بكر وعمو وطاهر ووترمار وعندما بلغ نومر بن على بنى عبد الواد ولاهم السلطان أبو الحسن على بنى برناتن متداولين وأما ولد تاسرغينت من بنى على بن نصر بن مهيب فلم يكن لهم ذكر فى رياسة قومهم الا أن بعض وصائفهم سقطت أيضا الى دار أبى

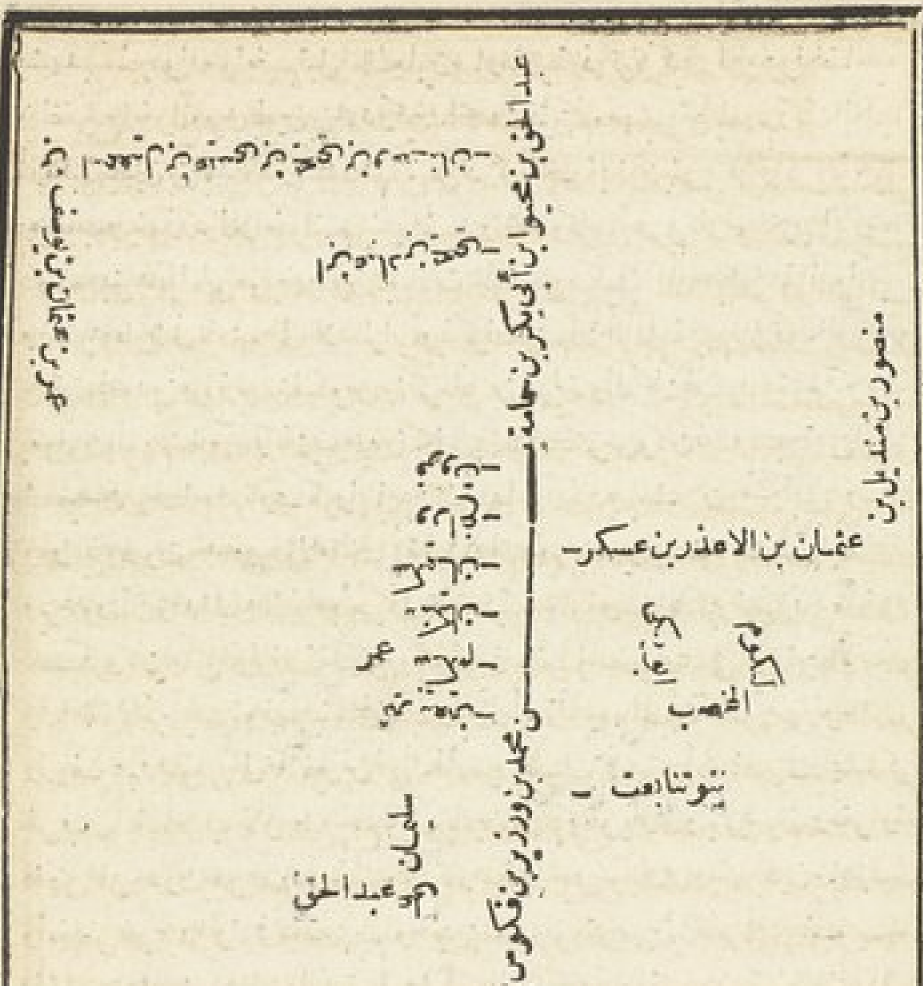
تاشفين فولدت غلاما يعرف بعطية بن موسى نشأ في دارهم فنسب الى بني تاسرغنيت هؤلاء وتداولته النجابة في خدمتهم فولوه الاعمال النبيهة وهو لهذا العهد عامل أبي حمو الاخير على شلف وما اليها وقد غلب العرب لهذا العهد على وطن بني يرناتن وملكوا عليهم بعود وماخوذ وبقيت ضباشهم بجبل ورنيد وعليهم لهذا العهد سعيد بن عمر من ولد نصر بن علي بن نصر بن مهيب يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب بالاتاوة وبيد الله تصاريف الامور سبحانه لا رب غيره

سعيد بن عمر بن نصر بن علي بن نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بونوال بن توال
- عثمان — منديل
- مهيب — مسعود
- يعقوب — يعقد
- موسى — العباس
- عيسى بن ابي الفتوح بن عنتر — عطية بن موسى بن تاسرغنيت

{الخبر عن بني مرين وأنسابهم وشعوبهم وما تأثلوا بالمغرب من السلطان والدولة}
{التي استعملت بها زناتة واستظهرت كراسي الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصايره}

قد ذكرنا أن بني مرين هؤلاء من شعوب بني واسين وذكرنا نسب واسين في زناتة وذكرنا أنهم بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن سجيك بن واسين وأنهم اخوة بني يلومي ومديونة وربما

يشهد بذلك جوار مواطنهم قبل الملك ما بين صا وملوية وذكرنا كيف اقتسموا الضاحية والقفر مع اخوانهم بنى يادين بن محمد وكيف اتصلت فتنتهم معهم سائر أيامهم وكان الغلب أولا لبنى يادين بن محمد لكثرة عددهم فانهم كانوا كما ذكرنا خمسة بطون بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبنو زردال واخوانهم بنو راشد بن محمد وكانوا أهل تلول المغرب الاوسط دونهم وبقى هذا الحى من بنى مرين بمجالات القفر من فكيك الى سجلماسة الى ملوية وربما يخطون فى ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة فيهم قبل تلك العصور وكانت لمحمد بن ورزير بن فكوس بن كرماط بن مرين وأنه كان لمحمد اخوة آخرون يعرفون بأمهم تنلبعت وكان بنو عمه ونكاس بن فكوس وكان لمحمد سبعة من الولد شقيقان وهما حمامة وعسكر وابناء علات أمهات أولادهم سنكان وسكيمان وسكم وورتاغ وفروت ويسمى هؤلاء الخمسة فى لسانهم تيربيعين ومعناه عندهم الجماعة ويزعمون أن محمدا لما هلك قام بأمره فى قومه ابنه حمامة وكان الاكبر ثم من بعده أخوه عسكر وكان له من الولد ثلاثة لكوم وأبو بكر ويلقب المخضب وعلى ويلقب الاعذر ولما هلك قام برياسته فيهم ابنه المخضب فلم يزل أميرا عليهم الى أن كان أمر الموحدين وزحف عبد المؤمن الى تاشفين بن على فحاصره بتلمسان وسرح أبا حفص فى العساكر لحرب زناتة بالمغرب الاوسط وجمع له بنو يادين كلهم وبنو يلومى وبنو مرين ومغراوة ففض الموحدون جموعهم واستلموا أكثرهم ثم راجع بنو يلومى وبنو يادين طاعتهم وأخلص بنو عبد الواد فى خدمتهم ونصيحتهم ولحق بنو مرين بالقفر فلما غلب عبد المؤمن بن على على وهران واستولى على أموال لمتونة وذخيرتهم بعث بتلك الغنائم الى جبل تينمال حيث كانت داره ومن أين كان منبعث الدعوة وبلغ الخبر الى بنى مرين بمكانهم بالزاب وشيخهم يومئذ المخضب بن عسكر فأجمع اعتراضها بقومه ولحق العير بوادى تلاغ فاحتازوها من أيدى الموحدين واستنفر عبد المؤمن لاستنقاذها أولياءه من زناتة وسرحهم مع الموحدين لذلك فأبلى بنو عبد الواد فيها بلاء حسنا وكان اللقاء فى فحص حسون وانكشف بنو مرين وقتل المخضب بن عسكر واكتسح بنو عبد الواد حللهم وذلك سنة أربعين وخمسمائة فلحق بنو مرين بعدها بصحرائهم ومجالات قفرهم وقام بأمرهم من بعد المخضب ابن عمه حمامة بن محمد الى أن هلك فقام بأمرهم ابنه محيو ولم يزل مطاعا فيهم الى أن استنفرهم المنصور لغزاة الارك فشهدوها وأبلوا فيها البلاء الحسن وأصابت محيو يومئذ جراحة هلك منها بصحراء الزاب سنة احدى وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده وبقائها فى عقبه ما نذكره ان شاء الله سبحانه وتعالى


منصور بن منديل بن
عثمان بن الاعذر بن عسكر
الخصيب
بنو تنابعت
سليمان
عبد الحق
بن فاتن بن يدر بن يخفت

(الخبر عن امارة عبد الحق بن محيو المستقرة فى بنيه وامارة ابنه عثمان بعده ثم أخيه محمد بن عبد الحق بعدهما وما كان فيهما من الاحداث)

لما هلك محيو بن أبى بكر بن حمامة من جراحته كما قلناه وكان له من الولد عبد الحق ومساى ويحياتن وكان عبد الحق أكبرهم فقام بأمر بنى مرين وكان خير أمير عليهم قياما بمصالحهم وتعففا عما فى أيديهم وتقويما لهم على الجادة ونظرا فى العواقب واستمرت أيامهم ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستمائة مرجعه من غزاة العقاب وقام بأمر الموحدين بعده ابنه يوسف المستنصر نصبه الموحدون غلاما لم يبلغ الحلم وشغلته أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك فأضاع الحزم وأغفل الامور وتواكل الموحدون بما أرخى لهم من طيل الدالة عليه ونفس عن مخنقهم من قبضة الاستبداد والقهر فضاعت الثغور وضعفت الحامية وتهاونوا بأمرهم وفشلت ريحهم وكان هذا الحى لذلك العهد بمجالات القفار من فيكيك الى صا وملوية كما قدمناه من شأنهم وكانوا يطرقون فى صعودهم الى التلول والارياف منذ أول دولة الموحدين وما قبلها جهات كرسيف الى وطاط ويأنسون بمن هنالك من بقايا زناتة الاولى مثل مكناسة بجبال تازى وبنى يدينان ومغراوة الموطنين قصور وطاط من أعالى ملوية يتقلبون بتلك الجهات عامة المربع والمصيف وينحدرون الى مشاتيهم بما يمتارونه من الحبوب لاقواتهم فلما رأوا من اختلال بلاد المغرب ما رأوا انتهزوا فيها الفرصة وتخلصوا اليه من القفر ودخلوا من ثناياه وتفرقوا فى جهاته وأوجفوا بخيلهم وركابهم على ساكنيه واكتسحوا بالغارة والنهب سائر بسائطه ولجأت الرعايا الى معتصماتهم ومعاقلهم وكثر شاكيهم وأظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة فآذنوهم بالحرب وأجمعوا لغزوهم وقطع دابرهم وأغزى الخليفة المستنصر عظيم الموحدين أبا على بن وانودين بجميع العساكر والحشود من مراكش وسرحه الى السيد أبى ابراهيم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بمكانه من امارة فاس وأوعز اليه أن يخرج بهم لغزو بنى مرين وأمره أن يثخن ولا يستبقى واتصل الخبر ببنى مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أثقالهم بحصن تازوطا وصمدوا اليهم فالتقى الجمعان بوادى بكور فكان الظهور لبنى مرين والدبرة على الموحدين وامتلأت الايدى من اسلابهم وأمتعتهم ورجعوا الى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب حينئذ واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلا حتى لقد سميت الواقعة يومئذ بعام المشعلة وصمد بنو مرين بعدها الى تازى فقاتلوا حاميتها أخرى ثم اختلفت بنو محمد رؤساؤهم وانتبذ عنهم من عشائرهم بنو

عسكر بن محمد للمنافسة وجدوها فى أنفسهم من استقلال بنى عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم بعد أن كان أو من عند هم منها فى عسكر وابنه المخضب ايماض أخلاف بارقه فخالفوا عبد الحق أميرهم وقومه الى مظاهرة أولياء الموحدين وحامية المغرب يومئذ من قبائل رياح الموطنين بالهبط وازغار الحديث عهدهم بالتحرش والعزمنذ انزال المنصور اياهم بذلك المنظر من افريقية فتحيزوا اليهم وكاثروهم على قومهم وصمدوا اجمعون الى لقاء بنى مرين سنة أربع عشرة ودارت بينهم حرب تولى الصبر مقامها وهلك فيها أميرهم عبد الحق وكبير بنيه ادريس وقد أمر لهما لكها بنو مرين وجلا فى تلك الحومة حمامة بن يصلتن من بنى عسكر وطير ابن محيو بن السكمى فانكشف رياح آخرا وقتل منهم ابطال وولى بنو مرين عليهم بعد مهلك عبد الحق ابنه عثمان تلو ادريس وشهرته بينهم ادرغال ومعناه بربطانتهم الاعور وكان لعبد الحق من الولد عشرة تسعة ذكور وأختهم ورتطليم فادريس وعبد الحق ورحو لامرأة من بنى على اسمها سوط النساء وعثمان ومحمد لامرأة من بنى ونكاس تسمى السوار بنت تصاليت وأبو بكر لامرأة من بنى تنالفت وهى تاغزونت بنت أبى بكر بن حفص وزيان لامرأة من بنى ورتاجن وأبو عياد لامرأة من بنى وللواحدى بطون عبد الواد اسمها أم الفرح ويعقوب لام اليمن بنت على من بطوية وكان أكبرهم ادريس الهالك مع أبيه عبد الحق فقام بأمر بنى مرين من بعد عبد الحق ابنه عثمان بادءه لوقته حمامة بن يصلتن وطير بن محيو ومن اليهما من مشيخة قومهما واتبعوا منهزمة رياح وأثخنوا فيهم وثأر عثمان بأبيه وأخيه حتى شفى نفسه منهم ولاذوا بالسلم فسالموهم على اتاوة يؤدونها اليه ولقومه كل سنة ثم استشرى من بعد ذلك داء بنى مرين وأعضل خطبهم وكثر الثوار بالمغرب وامتنع عامة الرعايا عن المغرب وفسدت السابلة واعتصم الامراء والعمال من السلطان فمن دونه بالامصار والمدن وغلبوا أولئك على الضاحية وتقلص ظل الحكام عن البدو جملة وافتقد بنو مرين الحامية دون الوطن والرباع فقدوا للبلاد يدا وسار بهم أميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق فى نواحى المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه ويضع المغارم على أهله حتى دخل أكثرهم فى أمره فبايعوه من الضواحى عن الشاوية والقبائل الآهلة هوارة وزكارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة ثم صدراتة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وألزمهم المغارم وفرق فيهم العمال ثم فرض على أمصار المغرب مثل فاس وتازى ومكناسة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ثم أغزى ضواعن زناتة سنة عشرين وأثخن فيهم حتى أذعنوا وقبض ايديهم عما امتدت اليه من الفساد والنهب وعطف

بعدها على رياح أهل ازغار والهبط وآثار بابه فأثخن فيهم ولم يزل دأبه ذلك الى أن
هلك باغتيال علجه سنة سبع وثلاثين وقام بأمر بنى مرين بعده أخوه عبد الحق فتقبل
سنن أخيه فى تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم والوصائف
من ضواعنه وبدوه وسائر رعاياه . وبعث الرشيد أبا محمد بن واندين لحربهم وعقد له على
مكناسة وأجحف بأهلها فى المغارم ثم نزل بنو مرين   وغبر   من نواحيها
فنادى فى عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين
وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من الروم واختلفا ضربتين هلك العلج
باحداهما واندرج محمد واندمل جرحه فصار أثرا فى وجهه لقب من أجله بأضربة ثم شد
بنو مرين على الموحدين فانكشفوا ورجع ابن واندين الى مكناسة مغلولا وبقى بنو عبد
المؤمن أثناء ذلك فى مرض من الايام وتثاقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم ايماضة
الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة أربعين وستمائة وولى أخوه على وتلقب
بالسعيد وبايعته أهل المغرب انصرفت عزائمه الى غزو بنى مرين وقطع أطماعهم عما
سمت اليه من تلك المواطن فأغزى عساكر الموحدين بقتالهم ومعهم قبائل العرب
والمصامدة وجموع الروم انهضوا سنة ثنتين وأربعين فى جيش كثيف يناهز عشرين
ألفا فيما زعموا وزحف اليهم بنو مرين بوادى ماعاش وصبر الفريقان وهلك الامير
محمد بن عبد الحق فى الجولة بيد زعيم من زعماء الروم وانكشفت بنو مرين وأتبعهم
الموحدون ودخلوا تحت الليل فلحقوا بجبال غياثة من نواحى تازى واعتصموا بها أياما
ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا عليهم أبا يحيى بن عبد الحق فقام بأمرهم على ما نذكره
ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

﴿ الخبر عن دولة الامير أبى يحيى بن عبد الحق مديل الامر لقومه بنى مرين وفاتح الامصار ومقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم ﴾

لما ولى أبو يحيى بن عبد الحق أمر بنى مرين سنة ثنتين وأربعين كان من أول ما ذهب
اليه ورآه من النظر لقومه ان قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل كلا
منهم بناحية سوغها سائر الايام طعمة فاسترتكبوا الرجل أتباعهم واستلحقوا من
غاشيتهم وتوفرت عساكرهم ثم   نار المنافسة بين أحيائهم وخالف بنو عسكر
جماعتهم وصاروا الى الموحدين فحرضوهم على أبى يحيى بن عبد الحق وبنى حمامة
وأغروهم بهم وبعثوا الصريخ الى يغمراسن بن زيان فوصل فى قومه الى فاس
فاجتمعوا جميعا الى قائد الموحدين وأعطوا الرهن على صدق اللقاء فى الامير أبى يحيى
وأشياعه وصمدوا اليه حتى انتهوا الى ورغة ثم الى كرت وأعجزهم فانكفؤا راجعين

بياض بالاصل

الى فاس ونذر يغمراسن بغدر الموحدين فخرج فى قومه مع أوليائه بنى عسكر وعارضهم الامير أبو يحيى بوادى سبو فلم يطق حربهم ورجع عنهم عسكر الموحدين لما صرخ فى معسكرهم من موت الخليفة السعيد ثم بعثوا اليه ملاطفتهم فى الفيئة الى الطاعة ومذاهب الخدمة القائد عنبر الخصى مولى الخليفة فى حصة من الروم والناشبة فتقبض عليهم بنو عسكر وتمسكوا بهم فى رهنهم وقتلوا كافة النصارى فأطلق أبناءهم ولحق يغمراسن وقومه بتلمسان ثم رجع بنو عسكر الى ولاية أميرهم أبى يحيى واجتمع بنو مرين لشأنهم وتملكوا الاعمال ثم مدوا عيونهم الى تملك الامصار فنزل أبو يحيى بجملته جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعة الامير أبى زكريا بن حفص صاحب افريقية لما انه كان يومئذ على دعوته وفى ولايته وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق وترديد الغارات ومقادات الحرب الى أن أذعنوا الطاعته فاقتضها صلحا بداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبى الحسن بن أبى العافية وبعثوا ببيعتهم الى الامير أبى زكريا وكانت من انشاء أبى المطرف بن عميرة كان قاضيا فيهم يومئذ فأقطع السلطان ليعقوب ثلث جبايتها ثم أحس الامير أبو يحيى بن عبد الحق من نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الآلة وبلغ الخبر الى السعيد بتغلبه على مكناسة وصرفها الى ابن أبى حفص فوجم لها وفاوض الملأ من أهل دولته فى أمره وأراهم كيف اقتطع الامر عنهم شيأ فشيأ فابن أبى حفص اقتطع افريقية ثم يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد اقتطعوا تلمسان والمغرب الاوسط وأقاموا فيها دعوة ابن أبى حفص وأطمعوه فى الحركة الى مراكش بمظاهرتهم وابن هود اقتطع عدوة الاندلس وأقام فيها دعوة بنى العباس وابن الاحمر بالجانب الآخر مقيم لدعوة ابن أبى حفص وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحى المغرب ثم سموا الى تملك أمصاره ثم افتتح أبو يحيى أميرهم مكناسة وأظهر فيها دعوة ابن أبى حفص وجاهر بالاستبداد ويوشك ان رضينا بهذه الدنية وأغضينا عن هذه الواقعات أن يحتل الامر وتنقرض الدعوة فتذامروا وامتعضوا وتداعوا للصمود اليهم فجهز السعيد عساكره واحتشد عرب المغرب وقبائله واستنفر الموحدين والمصامدة ونهض من مراكش سنة خمس وأربعين يريد مكناسة وبنى مرين أولا ثم تلمسان ويغمراسن ثانيا ثم افريقية وابن أبى حفص آخرا واعترض العساكر والحشود بوادى بهت ووصل الامير أبو يحيى بعسكره متواريا عنهم عينا لقومه حتى صدقهم كنه الخبر وعلم أن لا طاقة له بهم فأفرج عن البلاد وتنادى بنو مرين بذلك من أماكنهم فلحقوا واجتمعوا اليه بتازوطا من بلاد الريف ونزل السعيد مكناسة ولاذ أهلها بالطاعة وسألوا العفو عن الجريرة واستشفعوا بالمصاحف برزنها الاولاد على رؤسهم والتطموا مع النساء

في صعيد حاسرات منكسرات الطرف من الخشوع ووجوم الذنب والتوسل فعفا عنهم وتقبل فيئتهم وارتحل الى تازى في اتباع بني مرين وأجمع بنو واطاس الفتك بأبي يحيى بن عبد الحق غيرة ومنافسة ودس اليه بذلك مهيب من مشيختهم فترحل الى بني يرناسن ابن   نزول بعين الصفاء ثم راجع نظره في مسالمة الموحدين والفيئة الى أمرهم ومظاهرتهم على عدوهم يغمراسن وقومه من بني عبد الواد ليكون فيه شفاء نفسه منهم فأوفد مشيخة قومه عليه بتازى فأدّوا طاعته وفيئته فتقبلها وصفح لهم عن الجرائر التي أتوها وسألوه أن يستكفي بالامير أبي يحيى في أمر تلمسان ويغمراسن على أن يمدّه بالعساكر رامحة وناشبة فاتهمهم الموحدون وحذروا منهم غائلة العصبية فأمرهم السعيد بالعسكر فمعه فأمدّه الامير أبو يحيى بخمسمائة من قبائل بني مرين وعقد عليهم لابن عمه أبي عياد بن أبي يحيى بن حمامة وخرجوا تحت رايات السلطان ونهض من تازى يريد تلمسان وماوراءها وكان من خبره بهلكه على جبل تامزردكت   بني عبد الواد كما ذكرناه في أخبارهم ولما هلك وانفضت عساكره متسابقين الى مراكش وجمهورهم مجتمعون الى عبد الله ابن الخليفة السعيد ولي عهده وتحت رايات أبيه وطار الخبر بذلك الى الامير أبي يحيى بن عبد الحق وهو بجهات بني يرناسن وقد خلص اليه هنالك ابن عمه أبو عياد وبعث بني مرين من تيار تلك الصدمة فانتهز الفرصة وأرصد لعساكر الموحدين وفلهم بكرسيف فأوقع بهم وامتلأت أيدي بني مرين من اسلابهم وانتزعوا الآلة من أيديهم وأصار اليه كتيبة الروم والناشبة من الغزو واتخذ المركب الملوكي وهلك الامير عبد الله بن السعيد في جوانب تلك الملحمة و   للموحدين بعدها من الكرة فنهض الامير أبو يحيى وقومه   الى بلاد المغرب متسابقين اليه يغمراسن بن زيان بما كان ملوك الموحدين أوجبوهم السبيل الى ذلك باستصباحه على بني مرين أيام فتنتهم معهم فكانوا يبيحونه حرم المغرب ويوطونه عساكر قومه ما بين تازى الى فاس الى القصر مع عساكر الموحدين فكان ليغمراسن وقومه بذلك طمع فيه لولا ما كفتهم بأس بني مرين وجدعهم من أنوفهم وكان أول ما بدا به أبو يحيى بن عبد الحق أعمال وطاط فافتتح حصونهم بعلوية ودوّخ جبلهم ثم رجع الى فاس وقد أجمع أمره على انتزاعها من ملكة بني عبد المؤمن واقامة الدعوة لابن أبي حفص بها وبسائر نواحيها والعامل بها يومئذ السيد أبو العباس بن   فأناخ عليها بركائبه وتلطف في مداخلة أهلها وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم والحماية الكفيلة لهم بحسن المغبة وصالح العائدة فأجابوه ووثقوا بعهده وغنائه وأووا الى ظله وركنوا الى طاعتهم واتصال الدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بني عبد المؤمن يأسا من صريخهم وحضر

هكذا البياض كما بالاصل

أبو محمد الفشتالى وأشهد الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وحسن الملك والكفالة وتقبل مذاهب العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التى يعرف أثرها خلفهم فى تلك البيعة وكانت البيعة بالرابطة خارج باب الفتوح ودخل قصبة فاس لشهرين اثنين من مهلك السعيد فاتح ست وأربعين وخرج السيد أبو العباس من القصبة وأخرج معه سبعين فارسا أجازوه أم الربيع ورجعوا ثم نهض الى منازلة تازى وبها السيد أبو على بن (بياض في الأصل) فنازلها أربعة أشهر ثم نزلوا على حكمه فقتلهم ومنّ على آخرين منهم وسدّ ثغرها وثقف أطرافها وأقطع رباط تازى وحصون ملوية لاخيه يعقوب بن عبد الحق ورجع الى فاس فوفد عليه بها مشيخة أهل مكناسة وجددوا بيعتهم وعاودوا طاعتهم ولحق بهم على أثرهم أهل سلا ورباط الفتح فملك الامير أبو يحيى هذه البلاد الاربعة أمهات أمصار المغرب واستولى على نواحيها الى وادى ربيع وأقام فيها دعوة ابن أبى حفص وبعث بها اليه واستبدّ بنو مرين بملك المغرب الاقصى وبنو عبد الواد بملك المغرب الاوسط وبنو أبى حفص بافريقية وخمدت ذبال عبد المؤمن وركدت ريحهم وأذنت بالانقراض دولتهم وأشرف على الفناء أمرهم والى الله عاقبة الامور سبحانه ما أعظم شأنه لا اله غيره

لما ملك الامير أبو يحيى بن عبد الحق مدينة فاس سنة ست وأربعين واستولى على بلاد المغرب بعد مهلك السعيد وقام بأمر الموحدين بمراكش أبو حفص عمر المرتضى بن للسيد ابراهيم بن اسحق الذى كان قائد عسكر الموحدين فى حربهم مع بنى مرين عام المشعلة بن أمير المؤمنين أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان السعيد تركه والياً بقصبة رباط الفتح من سلا فاستدعاه الموحدون وبايعوه وقام بأمرهم فلما تغلب الامير أبو يحيى على بلاد المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرناه وخرج الى بلاد فازاز والعدن لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستعمل على فاس مولاه المسعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بنى مرين وصنائعهم وكان الامير أبو يحيى استبقى من كان فيها من عسكر الموحدين من غير عصبهم فى السبيل التى كانوا عليها من الخدمة وكان فيهم طائفة من الروم استخدمهم لنظر قائدهم (بياض في الأصل) فكانوا من حصة المسعود هنالك ووقعت بينهم وبين شيع الموحدين من أهل البلد مداخلة وفتكوا بالمسعود عاملهم وقاموا بالدعوة للمرتضى الخليفة بمراكش وبحلف المصار وكان المتولى لكبر تلك الثورة ابن حشار المشرف وأخوه ابن أبى طاهر وابنه اجتمعوا الى القاضى أبى عبد الرحمن المغيلى زعيم فئة الشورى بينهم يومئذ وتآمروا فيها وأوعزوا لقائد الروم فقتل

المسعود

المسعود وعدوا عليه بمقعد حكمه من القصبة وهاجوه ببعض المحاورات فغضب
ووثب عليه الرومي فقتله وطار برأسه الهاتف بسكك المدينة في شوال سنة سبع
وأربعين وانتهبت داره واستبيحت حرمه ونصبوا قائد الروم لضبط البلد وبعثوا
بيعتهم الى المرتضى واتصل الخبر بالامير أبي يحيى وهو منازل بلاد فازازة فأفرج عنها
وأغذ السير الى فاس فأناخ بعساكره عليها وشمر لحصارها وقطع السابلة عنها وبعثوا
الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لمنازلهم
وجها غير انه استجاش بالامير أبي يحيى يغمراسن بن زيان على أمره وأغراه بعدوه وأمله
لكشف هذه النازلة عمن انحاش الى طاعته وتعلقت أطماع يغمراسن بطروق بلاد
المغرب فاحتشد لحركته ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير أبي يحيى عن فاس
وأجاب صريخ الخليفة لذلك وبلغ الامير أبا يحيى خبرهم ونهوضه اليه لتسعة أشهر من منازلة
البلد فجمر الكتائب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده والتقى الجمعان بإسلى من
بسائط وجدة فتزاحف القوم وأبلوا وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن
عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بني عبد الواد ثم انكشف بنو عبد الواد وهلك
يغمراسن بن تاشفين من أكابر مشيختهم ونجا يغمراسن بن زيان الى تلمسان وانكفأ
الامير أبو يحيى بعسكره للاخذ بمخنق فاس فسقط في أيدي أهلها ولم يجدوا وليجة من دون
طاعته فسألوه الامان فبذله لهم على غرم ما تلف له من المال بداره يوم الثورة وقدره مائة
ألف دينار فتحملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها في جمادى من سنة ثمان وأربعين
وطالبهم بالمال فعجزوا ونقضوا شرطه فحق عليهم القول وتقبض على القاضي أبي عبد
الرحمن وابن أبي طاطوا وابنه وابن حشار وأخيه المتولي كبر الفعلة فقتلهم ورفع على
الشرفات رؤسهم وأخذ الباقين بغرم المال طوعا أو كرها فكان ذلك مما عبد رعية فاس
وقادهم لاحكام بني مرين وضرب الرهب على قلوبهم لهذا العهد فخشعت منهم
الاصوات وانقادت الهمم ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يد في فتنة والله مالك
الارض ومن عليها سبحانه

الخبر عن تغلب الامير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها

لما كمل للامير أبي يحيى فتح مدينة فاس واستوسق أمر بني مرين بها رجع الى ما كان
فيه من منازلة بلاد فازاز فافتتحها ودوخ أوطان زناتة واقتضى مغارمهم وحسم
علل الثائرين فيها ثم تخطى الى مدينة سلا ورباط الفتح سنة تسع وأربعين فملكها
وتاخم الموحدين بثغرها واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق

وعقد له على ذلك الثغر وضم الاعمال اليه وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى فأهمه الشأن وأحضر الملأ من الموحدين وفاوضهم واعتزم على حرب بنى مرين وسرح العساكر سنة خمسين فأحاطت بسلا فافتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابى عبد الله بن أبى يعلو من مشيخة الموحدين وكان المرتضى قد صمد بنفسه سنة تسع وأربعين الى محاربة بنى مرين فى جموع الموحدين وعساكر الدولة وصمد بنو مرين للقائه والتقى الجمعان بايملولين ففضوا جموعه وكانت الدبرة عليه والظهور لهم ثم كان بعد فتح سلا وغلب الموحدين عليها وأجمع المرتضى بعدها على احتشاد أهل سلطانه ومعاودة الخروج بنفسه الى غزوهم لما تخشى من امتداد أمرهم وتقلص ملك الموحدين فعسكر خارج حضرته سنة ثلاث وخمسين وبعث الحاشد فى الجهات فاجتمع اليه أمم الموحدين والعرب والمصامدة وأغذ السير تلقاءهم حتى اذا انتهوا الى جبال بهلولة من نواحى فاس وصمد اليه الامير أبو يحيى فى عساكر بنى مرين ومن اجتمع اليهم من ذويهم والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين القتال فاختل مصاف السلطان وانهزمت عساكره وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مغلولا واستولى القوم على معسكره واستباحوا سرادقه وفساطيطه وانتهبوا جميع ما وجدوا به من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر وامتلأت أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوما له ما بعده واغزى اثر هذه الحركة ببنى مرين تادلا واستباح بنى جابر حاميتها من جشم ببلد ابى نفيس واستلحم ابطالهم ولأن من حدهم وخضد من شوكتهم وفى أثناء هذه الحروب كانت مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير أبى يحيى شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوثب به فدس لابنه أبى حديدة تاح بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين والله تعالى أعلم

(الخبر عن فتح سجلماسة وبلاد القبلة وما كان فى ذلك من الاحداث)

لما يئس بنو عبد المؤمن من غلبهم بنى مرين على ما صار فى أيديهم من بلاد المغرب وعادوا الى مدافعتهم عن صبابة الدولة التى تحملت ابادا شفافهم لو أطاقوا المدافعة عنها وملك بنو مرين عامة بلاد التلول اعتزم الامير أبو يحيى بعدها على الحركة الى بلاد القبلة ففتح سجلماسة ودرعة وما اليها سنة ثلاث وخمسين وافتتحها بداخلة من ابن القطرانى غدر بعامل الموحدين فتقبض عليه وأمكن منها الامير أبا يحيى فملكها وما اليها من درعة وسائر بلاد القبلة وعقد لابنه أبى حديد وبلغ الخبر الى المرتضى فسرح العساكر سنة أربع وخمسين لاستنقاذها وعقد عليهم لابن عطوش فقفل راجعا الى مراكش ثم نهض سنة خمس وخمسين الى محاربة يغمراسن وبنيه بأبى سليط فأوقع بهم

واعتزم على اتباعه فثناه عن رأيه فى ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع ولما انتهى الى المقرمدة هذه بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة من بعض أهلها أطمعته فى ملكها فأغذ اليهما السير بجموعه ودخلها ولصبيحة دخوله وصل يغمراسن لشأنه فلما علم بمكان أبي يحيى من البلد سقط فى يده ويئس من غلابه ودارت بينهم حرب تكافؤا فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق ابن أخي الامير أبي يحيى وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو يحيى على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربى وداود بن يوسف وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم

{ الخبر عن مهلك أبي يحيى وما كان اثر ذلك من الاحداث التى }
{ تمخضت عن استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالامر }

لما رجع الامير أبو يحيى من حرب يغمراسن بسجلماسة أقام أياما بفاس ثم نهض الى سجلماسة متفقدا الثغورها فانقلب منها عليلا وهلك حتف أنفه على سرير ملكه فى رجب سنة ست وخمسين أمضى ما كان عزما وأطول الى تناول الملك يدا اختطفته المنون عن شأنه ودفن بمقبرة باب الفتوح من فاس ضجيعا للولى أبي محمد الفشتالى كما عهد لأهل بيته ونصب ذى للقيام بأمره ابنه عمر واشتمل عليه عامة قومه ومالت المشيخة وأهل الحل والعقد الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عن مهلك أخيه بتازى فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر وأحس عمر بصاغية الناس اليه وحرضه أتباعه على الفتك بعمه فاعتصم بالقصبة وسعى الناس فى اصلاح ذات بينهما فتفادى يعقوب عن الامر ودفعه لابن أخيه على أن تكون له بلاد تازى وبطوية وملوية ولما لحق بتازى واجتمع اليه كافة بنى مرين عذلوه فيما كان منه فاستلأم وحملوه على العودة فى الامر ووعدوه من أنفسهم المظاهرة والموازرة فأجاب وبايعوه وصمد الى فاس وبرز عمر للقائه فانتهى الى … ولما تراءى الجمعان خذله جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مغلولا ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر فأجابه الى ذلك ودخل السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وتمت طاعته فى بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر كتامة واقتصر عمر على امارة مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله من عشيره عمر وابراهيم ابنا عمه عثمان بن عبد الحق والعباس بن عمه محمد بن عبد الحق فقتلوه وثأروا منه بدم كانوا يعتدونه عليه وهلك لعام أو بعد عام من امارته فكفى يعقوب شأنه واستقام سلطانه وذهب التنازع والشقاق عن أمره وكان يغمراسن بعد مهلك قرنه

بياض بالاصل

الامير أبي يحيى بماله أمل في الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه واستجاش بني توجين ومغراوة وأطمعهم في غيل الاسد ونهض الى المغرب حتى انتهوا الى كلداman وصمد السلطان يعقوب بن عبد الحق الى لقائهم فغلبهم ورجعوا الى تفيئته ومر يغمراسن ببلاد بطوية فأحرق وانتسف واستباح وأعظم فيها النكاية ورجع السلطان الى فاس وتقبل مذاهب أخيه الامير أبي يحيى في فتح أمصار المغرب وتدويخ أقطاره وكان مما أكرمه الله به أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي النصارى فكان له بها أثر جميل وذكر خالد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن غلبة العدو مدينة سلا واستنقاذها من أيديهم)

كان يعقوب بن عبد الله قد استعمله عمه الامير أبو يحيى على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون من يده أقام يتغلب في جهاتها مراصدا لأهلها وحاميتها ولما بويع عمه يعقوب بن عبد الحق اسفته بعض الاحوال فذهب مغاضبا حتى نزل غبولة وألطف الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا ليعتده اذريعة لما أسر في نفسه فتمت له الحيلة وركب عاملها ابن يعلو البحر فارا الى أزمور وخلف أمواله وحرمه فتملك يعقوب بن عبد الله البلد وجاهر بالخلع وصرف الى منازعة عمه السلطان أبي يوسف وجوه العزم وداخل تجار الحرب في الامداد بالسلاح فتماروا في ذلك وكثر سفر المترددين بينهم حتى كثروا أهلها وأسلموا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين عند شغل الناس بعيدهم وثاروا بسلا وسبوا الحرم وانتهبوا الاموال وضبطوا البلد وامتنع يعقوب بن عبد الله برباط الفتح وطار الصريخ الى السلطان أبي يوسف وكان بتازى مستشرفا لأحوال يغمراسن فنادى في قومه وطار بأجنحة الخيول وصلها اليوم وليلة وتلاحقت به امداد المسلمين من أهل الديوان والمطوعة ونازلها أربع عشرة ليلة ثم اقتحمها عليهم عنوة وأثخن فيهم بالقتل ثم رم بالبناء ما كان متثلما بسورها الغربي حيث أمكنت منه الفرصة في البلد وتناول البناء فيه بيده والله لا يضيع عمل عامل وخشي يعقوب بن عبد الله بادرة السلطان فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد تامسنا وأنفى فملكها وضبطها ولحق يعقوب ابن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته وسار الى لقاء يغمراسن لقاء المهادنة فلقيه بجو حرمان وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه أبناء أخيه أولاد ادريس ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا يعقوب ابن عمهم عبد الله على رأيه واجتمعوا الى أكبرهم محمد بن ادريس فجمن اليهم من العشير والصنائع فنهض

اليهم واعتصموا بجبال غمارة ثم استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس سنة ستين على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من المطوعة من بنى مرين وأغزاهم الى العدوة لجهاد العدو وحملهم وفرض لهم وشفع بها عمله فى واقعة سلا وهو أول جيش أجاز من بنى مرين فكان لهم فى الجهاد والمرابطة مقامات محمودة وذكر خالد تقبل سلفهم فيما خلفهم من بعدهم حسبما نذكره وأقام يعقوب بن عبد الله خارجا بالنواحى متنقلا فى الجهات الى أن قتله طلحة بن على بساقية غبولة من ناحية سلا سنة ثمان وستين فكفى السلطان شأنه وكان المرتضى مذ توالت عليهم الوقائع واستمر الظهور لبنى مرين انحجر فى جدرانه وتوارى بالاسوار من عدوه فلم يسم الى لقاء زحف ولا حدث نفسه بشهود حرب واستأسد بنو مرين على الدولة وشرهوا الى التهام [بياض بالاصل] وأسفوا الى منازلة مراكش دار الخلافة كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن منازلة السلطان أبى يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان اثر ذلك من نزوع أبى دبوس اليه وكيف نصبه للامر وكان هلاك المرتضى على يده ثم انتقض عليه

لما فرغ السلطان من شأن الخوارج عليه من عشيره اعتمع لمنازلة المرتضى والموحدين فى دارهم ورأى أنه أوهن لدولتهم وأقوى لأمره عليهم وبعث قومه واحتشد أهل عمالكه واستكمل تعبيته وسار حتى انتهى الى ايكليز واعتزم على ذلك سنة ستين وشارف دار الخلافة ثم نزل بقعرها وأخذ بمخنقها وعقد المرتضى لحربهم للسيد أبى العلاء ادريس المكنى بأبى دبوس ابن السيد أبى عبد الله ابن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن فعبى كتائبه ورتب مصافه وبرز لدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حروب بعد العهد بمثلها استشهد فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق وكانوا يسمونه برطانتهم العجوب ففت مهلكه فى عضدهم وارتد لواعنها الى أعمالهم واعترضهم عساكر الموحدين بوادى أم الربيع وعليهم يحيى بن عبد الله بن وانودين فاقتتلوا فى بطن الوادى وانهزمت عساكر الموحدين وكان فى مسيل الوادى كدى تعبر عنها غمر الماء تبدو كأنها أرجل فسميت الواقعة بها أم الرجلين ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى فى ابن عمه وقائد حربه السيد أبى دبوس بطلبه الامر لنفسه وشعر بالسعاية فخشى بادرة المرتضى ولحق بالسلطان أبى يوسف مدخله الى فاس من منازلته آخر سنة احدى وستين نازعا اليه فأقام عنده مليا ثم سأل منه الاعانة على أمره بعسكر يمده وآلة يتخذها للملك ومال يصرفه فى ضرورياته على أن يشركه فى الغنيمة والفتح والسلطان فأمده بخمسة آلاف من بنى مرين وبالكفاية من المال والمستجاد من الآلة وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل

بمملكته ومن سواهم أن يكونوا يدا معه وسار في الكتائب حتى شارف الحضرة ودس الى أشياعه ومن يداخله من الموحدين في أمره فثاروا بالمرتضى وأخفضوه عنها فلحق بازمور مستجيشا بصهره ابن عطوش ودخل أبو دبوس الحضرة في المحرم فاتح خمس وستين وتقبض ابن عطوش عامل أزمور على المرتضى واقتاده أسيرا الى أبي دبوس فبعث مولاه من اجهافا حتز رأسه في طريقه واستقل بالخلافة وصبابة آل عبد المؤمن ثم بعث اليه السلطان في الوفاء بالمشارطة فاستنكف وعتا ونقض العهد وأساء الخطاب فنهض اليه في جموع بني مرين وعساكر المغرب فخام عن اللقاء وانحجز بمراكش ونازله السلطان أياما تباعا ثم سار في الجهات والنواحي يحطم الزرع وينسف الاقوات وعجز أبو دبوس عن دفاعه فاستجاش عليه بيغمراسن بن زيان ليفت في عضده ويشغله عما وراءه ويأخذ بحجزته عن التهامه على ما نذكر لوأمهلته الايام وانفسح له الاجل

الخبر عن وقيعة تلاغ بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان باغراء أبي دبوس وتضريبه

لما نازل السلطان أبو يوسف حضرة مراكش وقعد على ترائبه للتوثب عليها لم يجد أبو دبوس وليجة من دون قصده الاستجاشة بيغمراسن وقومه عليه ليأخذوا بحجزته عنه ويشغلوه من ورائه فبعث اليه الصريخ في كشف بلواه ومدافعة عدوه وأكد العهد وأسنى الهدية فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب عدوه من ورائه وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرم نارا فأهاج عليه وعلى قومه من السلطان يعقوب ابتاعاديا وأرهف منه عزما ماضيا وأفرج يعقوب على مراكش بعزم النهوض الى تلمسان ونزل بفاس فتلوم بها اياما حتى أخذ أهبة الحرب وأكمل استعدادها ورحل فاتح ست وستين وسلك على كرسيف ثم على تافرطا وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعبى كل منهم كتائبه وزحف مصافه وبرز النساء سافرات الوجوه على سبيل التحريض لحسن وسعد بن ورغين ولمالقاء التقى ومال النهار وكثرت حشود المغرب وجموع بني عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومضوا العدو وأكلفهم وهلك أبو حفص عمر كبير ولد يغمراسن وولي عهده في جماعة من عشيره ذكرناهم في أخباره وأخذ يغمراسن بأعقاب قومه فكان لهم ردأ الى أن خلصوا من المعترك ووصلوا الى بلادهم في جمادى من سنتهم وعاد السلطان أبو يوسف الى مكانه من حصار مراكش والله أعلم

الخبر عن السفارة والمهاداة التي وقعت بين السلطان يعقوب ابن عبد الحق وبين المستنصر الخليفة بتونس من آل أبي حفص

كان الامير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص منذ دعا لنفسه بتونس سنة خمس

وعشرين طموحا الى ملك مراكش مقر الدعوة ومنبعث الدعوة وأصل الخلافة وكان يؤمل لذلك زناتة ... من خضد شوكة آل عبد المؤمن وتقليم أظافر بأسهم وردهم على أعقابهم أن يخلصوا اليه وتغلب على تلمسان سنة أربعين ودخل يغمراسن بن زيان في دعوته وصار فئة له وشيعة على عدوه كما ذكرناه فوصل به جناحه للمدافعة وناغاه بنو مرين في مراسلة ابن أبي حفص ومخاطبته والتخفيض عليه فيما يهمه من شأن عدوه وحمل ما يفتحون من بلاد المغرب على البيعة له والطاعة مثل فاس ومكناسة والقصر وكان هو يلاطفهم بالتحف والهدايا ويريهم البر في الكتاب والخطاب والمعاملة والتكريم للوفد غير سبيل آل عبد المؤمن فكانوا يخصون بذلك الى مراسلته وايفاد قرابتهم عليه وولى ابنه المستنصر بعده سنة سبع وأربعين فتقبل مذاهب أبيه وأوفى عليه بالايعاز اليهم بمنازلة مراكش وضمان الانفاق عليهم فيها فكان يبعث لذلك أحمالا من المال والسلاح وأعدادا وافرة من الخيل بمراكبها المحملات ولم يزل ذلك دأبه معهم ولما فعل أبو دبوس فعلته في نقض العهد واستجمع السلطان لمنازلته قدم بين يدى عمله مراسلة الخليفة المستنصر يخبره الخبر ويتلطف له في استنزال المدد فأوفد عليه ابن أخيه عامر بن ادريس بن عبد الحق وأصحبه عبد الله بن كندوز العبد الوادى كبير بنى كمى وفريع يغمراسن الذى ثأر يغمراسن من أبيه كندوز بأبيه زيان كما ذكرناه في أخبارهم وكان خلص اليه من حضرة المستنصر فلقاه مبرة وتكريما وأوفد معهم الكاتب أبا عبد الله محمد الكتانى من صنائع دولة آل عبد المؤمن كان نزع الى أخيه الامير أبى يحيى لما رأى من اختلال الدولة وأنزله بمكناسة وآثره بالصحبة والخلة فجمع له يعقوب بن عبد الحق في هذا الوفد من الاشراف من يحسن الرياسة ويعرب عما في ضمائر الناس ويدله على شرف مرسله فوفدوا على المستنصر سنة خمس وستين وأدوا رسالتهم وحركوا له جواد المظاهرة على صاحب مراكش ... عنانه فخف واهتز سرورا من أعواده ولقاهم مبرة التكريم واحسان النزل ورد الامير عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز لوقتهما وتمسك بالكتانى من بينهم لصاحبة وفده فطال مقامه عنده الى أن كان من فتح مراكش ما ذكرناه ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر سنة سبع وثمانين بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده أبا زكريا يحيى بن صالح الهنتاتى مع جماعة من مشيخة الموحدين في مرافقة محمد الكتانى وبعث معهم الى السلطان هدية سنية يلاطفه بها ويتاحفه انتخب فيها من الجياد والسلاح وأصناف الثياب الغريبة العمل ما انتقاه ووفق رضاه وهمته على الاستكثار منه فحسن موقعها وتحدث وانقلب وفده أحسن منقلب بعد أن تلطف محمد الكتانى في ذكر الخليفة المستنصر على منبر مراكش فتم له

بياض في الأصل

بياض في الأصل

وشهدله وفد الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا محبورين مسرورين واتصلت بعد ذلك مهاداة المستنصر ليعقوب بن عبد الحق الى أن هلك وحذا ابنه الواثق من بعده على سننه فبعث اليه سنة سبع وستين هدية حافلة بعث بها القاضي أبا العباس الغماري قاضي بجاية فعظم موقعها وكان لابي العباس الغماري بالمغرب ذكر تحدث به الناس والله أعلم

(الخبر عن فتح مراكش ومهلك أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين من المغرب)

لما رجع السلطان أبو يوسف من حرب يغمراسن ورأى أن قد كفي عدوه وكف غربه ورد من كيده وكيد أبي دبوس صريخه صرف حينئذ عزائمه الى غزو مراكش والعود الى مضايقتها كما كان لاول أمره ونهض لغزاته من فاس في شعبان من سنته ولما جاوزوا أم الربيع بث السرايا وسرح الغارات وأطلق الايدي والاعنة للنهب والعيث فحطموا زروعها وانتسفوا آثارها وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأثخن فيهم واستباحهم ثم نزل وادي العبيد ثم غزا بلاد صنهاجة ولم يزل ينقل ركابه بأنحاء البلاد المراكشية وأحوازها حتى حضرت صدور بني عبد المؤمن وقومه وأغزاهم أولياء الدولة من عرب جشم بنهوض الخليفة لمدافعة عدوه فجمع لذلك وبرز في جيوش ضخمة وجموع وافرة وامتحزه أبو يوسف بالفرار أمامه ليبعد عن مدد الصريخ فيتمكن منه حتى نزل عفو ثم كر اليه والتحم القتال فاختل مصافه وخر صريعا لليدين وللفم واحتز رأسه وهلك بهلكه وزيره عمران وكاتبه علي بن عبد الله المغيلي وارتحل السلطان أبو يوسف الى مراكش وفر من كان بها من الموحدين فلحقوا بجبل تينمال وبايعوا اسحق أخا المرتضى فبقي ذبالة هنالك سنين ثم تقبض عليه سنة أربع وسبعين وسيق الى السلطان هو وأبو سعيد ابن عمه السيد أبي الربيع والقبائلي وأولاده فقتلوا جميعا وانقرض أمر بني عبد المؤمن والله وارث الارض ومن عليها وخرج الملأ وأهل الشورى من الحضرة الى السلطان فأمنهم ووصلهم ودخل مراكش في بروز فخم فاتح سنة ثمان وستين وورث ملك آل عبد المؤمن وغالاه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن الناس لبأسه وسكنوا لظل سلطانه وأقام بمراكش الى رمضان من سنته وأغزى ابنه الامير أبا مالك الى بلاد السوس ففتحها وأوغل في ديارها ودوخ أقطارها ثم خرج بنفسه الى بلاد درعة فأوقع بهم الوقيعة المشهورة التي خضدت من شوكتهم ورجع لشهرين من غزاته ثم أجمع الرحلة الى داره بفاس فعقد على مراكش وأعمالها لمحمد بن علي بن يحيى من كبار أوليائهم ومن أهل خولته وكان من طبقة الوزراء حسبما يأتي التعريف به وبعشيرته وأنزله بقصبة مراكش وجعل المسالح في أعمالها لنظره وعهد اليه بتدويخ الاقطار ومحو آثار بني

عبد المؤمن ووصل الى حضرته فى شوّال وأراح بسلا فكان من خبر عهده لابنه ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن عهد السلطان لابنه أبى مالك وما كان عقب ذلك من خروج القرابة عليه أولاد أخيه ادريس واجازتهم الى الاندلس

لما تلوّم السلطان بسلا منصرفه من رباط الفتح وأراح بها ركابه عرض له طائف من المرض ووعك وعكا شديدا فلما أفضل جمع قومه وعهد لابنه فيهم أبى مالك عبد الواحد كبير ولده لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم فأعطوها طواعية وأسف القرابة من ولد أخويه عبد الله وادريس لامّهما سوط النساء ووجدوا فى أنفسهم لما يرون أنّ عبد الله وادريس أكابر ولد عبد الحق ولهما التقدم على من بعدهما من ولده وأنهما أحق بالامر فرجعت هنّت الى أذنابها ونفسوا عن ابن السلطان لما أخذ له من البيعة والعهد ونزعوا عنه الى جبل علودان من جبال غمارة عش خلافهم ومدرج فتنتهم وذلك سنة تسع وستين ورياستهم يومئذ لمحمد بن ادريس وموسى بن رحو بن عبد الله وخرج معهم ولد أبى عياد بن عبد الحق وأغزاهم السلطان ولده أبا يعقوب يوسف فى خمسة آلاف من عسكره فأحاط بهم وأخذ بمخنقهم ولحق به أخوه أبو مالك فى عسكره ومعه مسعود بن كانون شيخ بسفيان ثم خرج فى أثرهم السلطان أبو يوسف واجتمع معسكرهم بتافركا ونازلوهم ثلاثا وهلك فى حروبهم منديل بن ورتطليم ولما رأوا أن أحيط بهم سألوا الامان فبذله وأنزلهم واحتمل ضغائنهم ومسح ما فى صدورهم ووصل بهم الى حضرته وسألوا منه الاذن فى اللحاق بتلمسان حياء من أكبر ما ارتكبوه فأذن لهم وأجازوا البحر الى الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما أنس من صاغية السلطان اليه فتخلف عنهم بتلمسان حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان بتلمسان كما نذكره الآن واحتل بنو ادريس وعبد الله وابن عمهم أبو عياد بالاندلس على حين أقفر من الحامية جوها واستأسد العدوّ على ثغرها وغابت شفاههم فاحتلوها أسودا ضارية وسيوفا ماضية معوّدين لقاء الابطال وقراع الحتوف والنزال مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش فعظمت نكايتهم فى العدوّ واعترضوا الشجى فى صدره دون الوطن الذى كان طعمة له فى ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمدافعة طاغيتهم وزاحموا أمير الاندلس فى رياسته ابن الاحمر فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل العدوة من أعياصهم وقبائلهم ومن سواهم من أمم البرابرة وتناولوه وساهموه فى الجباية لفرط العطاء والديوان فبذله لهم واستمدوا على العدوّ وحسن أثرهم

فيها كما نذكره بعد فى أخبار القرابة ثم أعمل السلطان نظره فى غزو تلمسان على ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن حركة السلطان أبى يوسف الى تلمسان وواقعته على يغمراسن وقومه بايسلى

لما غلب السلطان أبو يوسف على بنى عبد المؤمن وفتح مراكش واستولى على ملكهم سنة ثمان وستين وعاد الى فاس كما ذكرناه تحرك لما كان فى نفسه من ضغائن يغمراسن وبنى عبد الواد وما أسفوا به من تخذيل عزائمه ومجادلته عن قصده ورأى أن واقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره على غزوهم واقتدر بما صار اليه من الملك والسلطان على حشد أهل المغرب لحربهم وقطع دابرهم فعسكر بفاس وسرح ولده وولى عهده أبا مالك الى مراكش فى خواصه ووزرائه حاشدين فى مدائنها وضواحيها وقبائل العرب والمصامدة وبنى وراوغرة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الانصار من جند الروم وناشية العز فاستكثر من أعدادهم واستوفى حشدهم واحتفل السلطان بحركته وارتحل عن فاس سنة سبعين وستمائة وتلوم بملوية الى أن لحقته الحشود وتوافت اليه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاثبج وقبائل ذوى حسان والشبانات من المعقل أهل السوس الاقصى وقبائل رياح أهل ازغار والهبط فاعترض هنالك عساكره وعبى مواكبه فيقال بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان ولما انتهى الى انكاد وافته رسل ابن الاحمر هنالك ووفد المسلمين بالاندلس صريخا على العدو يستجيشون باخوانهم المسلمين ويسألونهم الاعانة فتحركت همته للجهاد ونصر المسلمين من عدوهم ونظر فى صرف الشواغل عن ذلك وجنح الى السلم مع يغمراسن وصوب الملأ فى ذلك رأيه لما كانوا عليه من ايثار الجهاد وانتدب جماعة من المشيخة الى السعى فى صلاح ذات بينهما وانكفاء من غرب عدوتهما وساروا الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبته واستعد للقاء واحتشد زناتة أهل ممالكه بالشرق من بنى عبد الواد وبنى راشد ومغراوة وأحلافهم من العرب زغبة فلج فى لك واستكبر وصم عن اسماعهم وزحف فى جموعه والتقى الجمعان بوادى ايسلى من بسائط وجدة والسلطان أبو يوسف قد عبى كتائبه ورتب مصافه وجعل ولديه الاميرين أبا مالك وأبا يعقوب فى الجناحين وسار فى القلب فدارت بينهم حرب شديدة أجلت عن هلاك فارس بن يغمراسن وجماعة من بنى عبد الواد وكانوا هم حشود المغرب الاقصى وقبائله وعساكر الموحدين والبلاد المراكشية فولوا الادبار وهلك عامة عسكر الروم

لشناعم

لثباتهم بثبات السلطان فطحنتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم بيرنيس ونجا يغمراسن بن زيان فى فلهم مدافعا دونه الى تلمسان ومر بفساطيطه فأضرمها نارا وانتهب معسكره واستبيحت حرمه وأقام السلطان أبو يوسف على وجدة حتى خربها وأصرع بالتراب أسوارها وألصق بالرغام جدرانها ثم نهض الى تلمسان فحاصرها أياما وأطلق الايدى فى ساحتها بالنهب والعيث وشن الغارات على البسائط فاكتسحها سبيا ونسفها نسفا وهلك فى طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساى وكان من علية وزرائه وحماة ميدانه له فى ذلك أخبار مذكورة وكان مهلكه فى شوال من هذه السنة ووصله بمثواه من حصارها محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين ومستصرخه على بنى عبد الواد لما نال منه يغمراسن من طعم القهر وذل الغلب والخسف فى كافة قبيله مباهيا بآلته فأكرم السلطان أبو يوسف وفادته واستركب الناس للقائه وبرور مقدمه واتخاذ رتبة السلاح لمباهاته وأقام محاصر التلمسان معه أياما حتى وقع اليأس وامتنع البلد واشتد شوكة حاميته ثم أجمع السلطان أبو يوسف على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوى وقومه بالقفول قبل قفوله وأن يغذوا السير الى بلادهم وملاحقا بهم بأتحافه وجنب لهم من المائة من المقربات بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالخلع مع الصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا وتلوم السلطان أياما بمنجاتهم الى مقرهم من جبل وانشريس حذرا من غائلة يغمراسن من انتهاز الفرصة فيهم ثم دخل الى فاس ودخلها مفتتح احدى وسبعين وهلك ولده الامير أبو مالك ولى عهده لأيام من مقدمه فأسف لمهلكه ثم تعزى بالصبر الجميل عن فقده ورجع الى حاله فى افتتاح بلاد المغرب وكان فى غزوته هذه ملك حصن تاونت وهو معقل مطغرة وشحنه بالاقوات لما رآه ثغرا مجاورا لعدوه وأسلمه لنظر هرون بن   شيخ مطغرة ثم ملك حصن مليلة بساحل الريف مرجعه من غزاته هذه وأقام هرون بحصن تاونت ودعا لنفسه ولم يزل يغمراسن يردد الغزو اليه حتى فر من الحصن واستمله سنة خمس وسبعين ولحق بالسلطان أبى يوسف كما ذكرناه فى أخباره عند ذكر قبيلة مطغرة وكان من شأنه ماذكرناه

بياض بالاصل

{الخبر عن افتتاح مدينة طنجة وطاعة أهل سبتة}
{وفرض الاتاوة عليهم وما قارن ذلك من الاحداث}

كانت هاتان المدينتان سبتة وطنجة من أول دولة الموحدين من أعظم عمالاتهم وأكبر ممالكهم لما كانت ثغر العدوة ومرفأ الاساطيل ودار الانشاء الآلات البحرية وفرضة الجواز الى الجهاد فكانت ولايتها مختصة بالقرابة من السادة بنى عبد المؤمن وقد ذكرنا

أنّ الرشيد كان عقد على أعمالها لابي على بن الخلاص من أهل بلنسية وأنه بعد استفحال الامير أبي زكريا بافريقية ومهلك الرشيد صرف الدولة اليه سنة أربعين وبعث اليه بالمال والبيعة مع ابنه أبي القاسم وولى على طنجة يوسف بن محمد بن عبد الله بن أحمد الهمدانى المعروف بابن الامير قائدا على الرجل الاندلسيين وضابطا للقصبة وعقد الإمير أبو زكريا على سبتة لابي يحيى بن أبي زكريا ابن عمه أبي يحيى السعيد بن الشيخ أبي حفص فنزل بها واستراب أبو على بن خلاص من العواقب عند مهلك ابنه الوافد على السلطان غريقا فى البحر فرحل بجملته الى تونس فى السفن وأراح بجاية فكان فيها هلاكه سنة ست وأربعين ويقال هلك فى سفينته ودفن بجاية ولما هلك الامير أبو زكريا سنة سبع بعدها انتقض أهل سبتة على ابنه المنتصر وطردوا ابن الشهيد وقتلوا العمال الذين كانوا معه وصرفوا الدعوة للمرتضى وتولى ذلك حجفون الرنداحى عداخلة أبي القاسم الغرفى كبير المشيخة بسبتة وأعظمهم تجلة نشأ فى حجر أبيه الفقيه الصالح أبي العباس أحمد مكنوفا بالجلالة مغذوّا بالعلم والدين لما كان له فيها قدم الى أن هلك فاوجب أهل البلد لابنه ما عرفوه من حقه وحق أبيه من قبله وكانوا يفزعون اليه فى المهمات ويسلمون له فى الشورى فأغرى الرنداحى بهذه الفعلة ففعلها وعقد المرتضى لابي القاسم الغرفى على سبتة مستقلا من غير اشراف أحد من السادة ولا من الموحدين واكتفى بغنائه فى ذلك الثغر وعقد لحجفون الرنداحى على قيادة الاساطيل بالمغرب فورثها عنه بنوه الى أن زاحمهم الغرفى بمناكب رياسته فقوضوا عن سبتة فنهم من نزل بمالقة على ابن الاحمر ومنهم من نزل بجاية على أبي حفص ولهم فى الدولتين آثار تشهد برياستهم واستقل الفقيه أبو القاسم الغرفى برياسة سبتة وأورثها بنيه من بعده على ما نذكره بعد وكانت طنجة تالية سبتة فى سائر الاحوال وتبعا لها فاتبع ابن الامير صاحبها امارة الفقيه أبي القاسم ثم انتقض عليه لسنة واستبدّ وخطب لابن أبي حفص ثم للعباسى ثم لنفسه وسلك فيها مسلك الغرفى فى سبتة ولبثوا كذلك ما شاء الله حتى اذا ملك بنو مرين المغرب واشرأفى شعابه ومدّوا اليد فى عمالكه فتنا ولوها ونزلوا معاقله وحصونه فافتتحوها وهلك الامير أبو يحيى عبد الحق وابنه عمر من بعده وتحيز بنوه فى ذويهم واتباعهم وحشمهم الى ناحية طنجة وأصيلا فأوطنوا ضاحيتها وأفسدوا سابلتها وضيقوا على ساكنها واكتسحوا ما حوا اليها وشارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وتردّدوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ثم مكروا وأضمروا الغدر ودخلوا فى بعض أيامهم متأبطين السلاح وفتكوا بابن الامير غيلة فثارت بهم العامة لحينهم واستلحموا فى مصرع واحد

سنة خمس وستين واجتمعوا الى ولده وبقيت فى ملكته خمسة أشهر ثم استولى عليها الغرفى فنهض اليها بعساكره من الرجل برّا وبحرا واستولى عليها وفرّ ابن الامير ولحق بتونس ونزل على المستنصر واستقرت طنجة فى ايالة الغرفى فضبطها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملأ من أشرافها فى الشورى ونازلها الامير أبو مالك سنة ست وستين فامتنعت عليه وأقامت على ذلك (بياض بالاصل) حتى اذا انتظم السلطان أبو يوسف بلاد المغرب فى ملكته واستولى على حضرة مراكش ومحا دولة بنى عبد المؤمن وفرغ من أمر عدوه يغمراسن وهم بتلك الناحية واستضافة عملها اليها أجمع الحركة اليها ونازل طنجة مفتتح سنة ثنتين وسبعين بما كانت فى البسيط من دون سبتة وأقام عليها أياما ثم اعتزم على الافراج عنها فقذف الله فى قلوبهم الرعب وافترق بينهم وتنادى فى بعض الناشئة من السور بشعاب بنى مرين فبادر سرعان أناس الى تسوّر حيطانها فملكوها عليهم وقاتلوا أهل البلد ظلام ليلتهم ثم دخلوا البلد من صبيحتها عنوة ونادى منادى السلطان فى الناس بالامان والعفو عن أهل البلد فسكن روعهم ومهد وفرغ من شأن طنجة ثم بعث ولده الامير أبا يعقوب فى عساكر ضخمة لمنازلة الغرفى فى سبتة وارغامه عن الطاعة فنازلها أياما ثم لاذ بالطاعة على المنعة واشترط على نفسه خراجا يؤديه كل سنة فتقبل السلطان منه وأفرجت عساكره عنهم وقفل الى حضرته وصرف نظره الى فتح سجلماسة وانتزاعها من بنى عبد الواد المتغلبين عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن فتح سجلماسة الثانى ودخولها عنوة على بنى عبد الواد والمنبات من عرب المعقل

قد ذكرنا ما كان من تغلب الامير أبى يحيى بن عبد الحق على سجلماسة وبلاد درعة وأنه عقد عليها وعلى سائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن وأنزل معه ابنه مفتاحا المكنى بأبى حديد فى مشيخته لحاطتها وأن المرتضى سرّح وزيره ابن عطوش سنة أربع وخمسين فى العساكر لارتجاعها فنهض الامير أبو يحيى اليه وشرّده عنها ورجعه على عقبه وأنّ يغمراسن بن زيان من بعد واقعة أبى سليط سنة خمس وخمسين قصدها لعورة دلّ عليها وغرّة أمل اصابتها فسابقه اليها الامير أبو يحيى وماالقه من دونها ورجع عنها خائب المسعى مفلول الحامية وكان الامير أبو يحيى من بعد أن عقد عليها ليوسف ابن يزكاسن عقد عليها من بعده لسنة ونصف من ولايته ليحيى بن أبى منديل كبير بنى عسكر اقتالهم ومقاسميهم نسب محمد بن ورطيص ثم عقد عليها الشهر بن لمحمد بن عمران ابن عبلة من بنى يرسان صنائع دولتهم واستعمل معه على الجباية أبا طالب الجشى وجعل مسلحة الجند بها النظر لأبى يحيى القطرانى وملكه قيادتهم وأقاموا على ذلك

سنة ثنتين ولما هلك الامير أبو يحيى وشغل السلطان أبو يوسف بحرب يغمراسن ومنازلة
مراكش سما القطرانى أمل فى الاستبداد بها وداخل فى ذلك بعض أهل الفتن وظاهره
يوسف بن الغزى وفتكوا بعمار الورندغزانى شيخ الجماعة بالبلد وائتمروا بمحمد بن
عمران بن عبلة فخرج ولحق بالسلطان واستبد القطرانى بها ثم ثار به أهل البلد سنة ثمان
وخمسين لسنة ونصف من لدن استبداده وقتلوه وصرفوا بيعتهم الى الخليفة المرتضى
بمراكش وتولى كبر ذلك القاضى بن حجاج وعلى بن عمر فعقد له المرتضى عليها
وأقام بها أميرا ونازلهم عساكر بنى مرين والسلطان أبو يوسف سنة ستين ونصب عليها
آلات الحصار فأحرقوها وامتنعوا وأفرج عنهم وأقام على بن عمر فى سلطانه ذلك
ثلاث سنين ثم هلك وكان الامير يغمراسن بن زيان منذ غلب الموحدين على تلمسان
والمغرب الاوسط وصار فى ملكته تحيز اليه من عرب المعقل قبيل المنبات من ذوى منصور
بما كانت مجالات المعقل مجاورة لمجالات بنى بادين فى القفر وانما ارتحلوا عنها من
بعد ما جاء يغمراسن من بنى عامر بمجالاتهم من مصاب ببلاد بنى يزيد فزاحموا المعقل
بالمناكب عن مجالاتهم ببلاد فيكيك وصاروا حولهم الى ملوية وماوراءها من بلاد
سجلماسة فملكوا تلك المجالات ونبذ يغمراسن العهد الى ذوى عبيد الله منهم واستخلص
المنبات هؤلاء فكانوا له حلفاء وشيعة ولقومه ودعوته خالصة وكانت سجلماسة
فى مجالاتهم ومنقلب ظعنهم وناجعتهم ولهم فيها طاعة معروفة فلما هلك على بن عمر آثروا
يغمراسن بملكها فحملوا أهل البلد على القيام بطاعته وخاطبوه وجاء بجوابه فغشيها
بعساكره وملكها وضبطها وعقد عليها لعبد الملك بن محمد بن على بن قاسم بن درع من
ولد محمد بن زكراز بن تندوكس ويعرف بابن حنينة نسبة الى أم أبيه أخت يغمراسن
ومعه يغمراسن بن حمامة وأنزل معهما ولده الامير يحيى لاقامة الرسم الملوكى ثم أداله
بأخيه من السنة الاخرى وكذا كان شأنه فى كل سنة ولما افتتح السلطان أبو يوسف بلاد
المغرب وانتظم أمصاره ومعاقله فى طاعته وغلب بنى عبد المؤمن على دار خلافتهم ومحا
رسمهم وافتتح طنجة وطوع سبتة مرفأ الجواز الى العدوة وثغر المغرب سما أمله الى
بلاد القبلة فوجه عزمه الى افتتاح سجلماسة من أيدى بنى عبد الواد المتغلبين عليها
وادالة دعوته فيها من دعوتهم فنهض اليها فى العساكر والحشود فى رجب من سنة ثنتين
وسبعين فنازلها وقد حشد اليها أهل المغرب أجمع من زناتة والعرب والبربر وكافة
الجنود والعساكر ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط
القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة فى البارود بطبيعة غريبة ترد
الافعال الى قدرة باريها فأقام عليها حولا كريتا يغاديها القتال ويراوحها الى أن سقطت

ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بالحاح الحجارة من المنجنيق عليها فبادروا الى اقتحام البلد فدخلوها عنوة من تلك الفرجة فى صفر من سنة ثلاث وسبعين فقتلوا المقاتلة والحامية وسبوا الذرية وقتل القائدان عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة ومن كان معهم من بنى عبد الواد وأمراء المنباة وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبى يوسف وعمت طاعته فى أقطاره فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته ولا جماعة تتحيز الى غير فئته ولا امل ينصرف الى سواه ولما كملت لهم نعم الله فى استيساق ملكه وتمهيد أمره انصرف أمله الى الغزو وايثار طاعة الله بجهاد أعدائه واستنقاذ المستضعفين من وراء البحر من عباده على مانذكره ان شاء الله تعالى ولما انكفأ راجعا من سجلماسة قصد مراكش من حيث جاء ثم وقف الى سلا فأراح بها أياما ونظر فى شؤنها وسد ثغورها وبلغه الخبر بوفادة أبى طالب صاحب سبتة الفقيه أبى القاسم العزفى على فاس فأغذ السير الى حضرته وأكرم وفادته وأحسن منقلبه الى أبيه مملوء الحقائب ببره رطب اللسان بشكره ثم شرع فى اجازة ولده كما نذكره الآن ان شاء الله تعالى

{الخبر عن شأن الجهاد وظهور السلطان أبى يوسف على النصارى وقتل زعيمهم ذننة وما قارن ذلك}

كانت عدوة الاندلس منذ أول الفتح ثغر المسلمين فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم وكانت مواطنهم فيه على مثل الرضف وبين الظفر والناب من أسود الكفر لتوفر أممهم جوارها واحاطتهم بها من جميع جهاتها وحجز البحر بينهم وبين اخوانهم المسلمين منها لانقطاعهم عن قومهم وأهل دينهم وبعدهم عن الصريخ وشاور فى ذلك كبار التابعين وأشراف العرب فرأوه رأيا واعتزم عليه لولا ماعاقه من المنية وعلى ذلك فكان للاسلام فيه اعتزاز على من جاورهم من أهل الكفر بطول دولة العرب من قريش ومضر واليمن وكانت نهاية عزهم وسورة غلبهم أيام بنى أمية بها الطائرة الذكر الباسطة جناحها على العدوتين منذ ثلاثمئين من السنين أو مايقاربها حتى انتثر سلكها بعد المائة الرابعة من الهجرة وافترقت الجماعة طوائف وفشلت ريح المسلمين وراء البحر بفناء دولة العرب واعتز البربر بالمغرب واستفحل شأنهم وجاءت دولة المرابطين فجمعت ماكان مفترقا بالمغرب من كلمة الاسلام وتمسكوا بالسنة وتشوفوا الى الجهاد واستدعاهم اخوانهم من وراء البحر للمدافعة عنهم فأجازوا اليهم وأبلوا فى جهاد العدو أحسن البلاء وأوقعوا بالطاغية بن أدفونش يوم الزلاقة وغيرها وفحصوا عنوا واسترجعوا أخرى واستنزلوا الثوار ملوك الطوائف وجمعوا الكلمة بالعدوتين وجاء على اثرهم الموحدون سالكين أحسن مذاهبهم فكان لهم فى الجهاد آثار وعلى

الطاغية أيام منها يوم الارد ليعقوب بن المنصور وغيره من الايام حتى اذا فشلت ريح الموحدين وافترقت كلمتهم وتنازع الامر سادة بنى عبد المؤمن الامراء بالاندلس وتضاربوا على الخلافة واستجاشوا بالطاغية وأمكنوه من كثير من حصون المسلمين طعمة على الاستظهار نخشى أهل الاندلس على أنفسهم وثاروا بالموحدين وأخرجوهم وتولى ذلك ابن هود بمرسية وشرق الاندلس وعم بدعوته سائر أقطارها وأقام الدعوة فيها للعباسيين وخاطبهم ببغداد كما ذكرناه فى أخبارهم واستوفينا كلا مما وضعناه فى مكانه ثم انحجز ابن هود على الغربية لبعدها عنه وفقده للعصابة المتناولة لها وانه لم تكن صنعته فى الملك مستحكمة وتكالب الطاغية على الاندلس من كل جهة وكثر اختلاف المسلمين منهم وشغل بنو عبد المؤمن بما دهمهم من المغرب من شأن بنى مرين من زناتة فتكافى محمد بن يوسف بن الاحمر أمر الغربية وثار بحصنه أرجونة وكان شجاعا قرما آيتا فى الحروب فتلقف الكرة من يد ابن هود يجاذبه الحبل ويقارعه على عمالات الاندلس واحدة بعد أخرى الى أن هلك ابن هود سنة خمس وثلاثين وتكالب العدو خلال ذلك على جزيرة الاندلس من كل جانب ووفر له ابن هود الجزية وبلغ بها أربعمائة ألف من الدنانير فى كل سنة ونزل له على ثلثين من حصون المسلمين وخشى ابن الاحمر أن يستغلظ عليه بالطاغية فجنح هو اليه وتمسك بعروته ونفر فى جملته الى منازلة اشبيلية نكاية لأهلها واتخذ الامير أبو زكريا بن الدعوة الحفصية واستبد لنفسه وتسمى بأمير المسلمين ونازعه بالشرق أعقاب ابن هود وبنى مردنيش ودعاه الامر الى النزول للطاغية من بلاد الفرنتيرة فنزل عليها بأسرها وكانت هذه المدة من سنة سبعين فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين واستبيح حماهم والتهم العدو بلادهم وأموالهم نهبا فى الحروب ووضعة ومداراة فى السلم واستولى طواغيت الكفر على أمصارها وقواعدها فملك ابن أدفونش قرطبة سنة ست وأربعين وتملك قطبرشلونة مدينة بلنسية سنة سبع وثلاثين الى ما بينهما من الحصون والمعاقل التى لا تعد ولا تحصى وانقرض أمر الثوار بالشرق وتفرد ابن الاحمر بغرب الاندلس وضاق نطاقه عن الممانعة دون البسائط الفيح من الفرنتيرة وما قاربها ورأى أن التمسك بها مع قلة العدد وضعف الشوكة مما يوهن أمره ويطمع فيه عدوه فعقد السلم مع الطاغية على النزول عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتصمين بأوعاره من عدوهم واختار لنزله مدينة غرناطة وابتنى بها لسكناه حصن الحمراء حسبما شرحناه ذلك كله فى مواضعه وفى أثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادى بالمسلمين من وراء البحر والملأ من أهل الاندلس يفدون على أمير المسلمين أبى يوسف للاعانة ونصر الملة واستنقاذ الحرم والولدان من أنياب العدو فلا يجد مفزعا الى

ذلك بما كان فيه من مجاذبة الحبل مع الموحدين ثم مع يغمراسن ثم شغله بفتح بلاد المغرب وتدويخ أقطاره الى أن هلك السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الاحمر المعروف بالشيخ وأبى دبوس لقيين كانا له على حين استكمال أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من شأن عدوه سنة احدى وسبعين على أن بنى مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون اليه وفى نفوسهم جنوح اليه وصاغية ولما استوحش بنو ادريس بن عبد الحق وخرجوا سنة احدى وستين على السلطان يعقوب بن عبد الحق واسترضاهم واستصلحهم انتدب الكثير منهم للغزو واجازة البحر لصريخ المسلمين بالاندلس واجتمع اليهم من مطوعة بنى مرين عسكر ضخم من الغزاة ثلاثة آلاف او يزيدون وعقد السلطان على ذلك العسكر لعامر بن ادريس فوصلوا الى الاندلس فكان لهم فيها ذكر ونكاية فى العدو وكان الشيخ ابن الاحمر عهد الى ولده القائم بالامر بعده محمد الشهير بالفقيه لانتحاله طلب العلم أيام أبيه وأوصاه أن يتمسك بعروة أمير المسلمين ويخطب نصيره ويدرأ به ويقدمه عن نفسه وعن المسلمين تكالب الطاغية فبادر لذلك لحين مواراة أبيه وأوفد مشيخة الاندلس كافة عليه ولقيه وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة خاتم الفتوح بالثغور المغربية وملاذ العز ومقاد الملك وتبادروا للاسلام وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحيا وفدهم ورؤساءهم وبادر لاجابة داعى الله واستئثار الجنة وكان أمير المسلمين منذ أول أمره مؤثرا أعمال الجهاد كلفا به مختارا له حتى أعطى الخيار من آماله حتى لقد كان اعتزم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الامير أبى يحيى وطلب اذنه فى ذلك عندما ملكوا مكناسة سنة ثلاث وأربعين فلم يأذن له وفصل الى الغزو فى حشمه وذويه ومن أطاعه من عشيرته وأوعز الامير أبو يحيى لصاحب الامر بسبتة لذلك العهد أبى على بن خلاص بأن يمنعه الاجازة ويقطع عنه أسبابها ولما انتهى الى قصر الجواز ثنى عزمه عن ذلك الولى يعقوب بن هرون الخبرى ووعده بالجهاد أميرا مستنفرا للمسلمين ظاهرا على العدو فكان فى نفسه من ذلك شغل واليه صاغية فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزائمه وذكروا همته فأعمل فى الاحتشاد وبعث فى النفير ونهض من فاس شهر شوال من سنة ثلاث وسبعين الى فرصة المجاز من طنجة وجهز خمسة آلاف من قومه أزاح عللهم واستوفى أعطياتهم وعقد عليهم لابنه منديل وأعطاه الراية واستدعى من الغد فى صاحب سبتة السفن لاجازتهم فوافاه بقصر الجواز عشرون من الاساطيل فأجازوا العسكر ونزل بطريف وأراح ثلاثا ودخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلأت أيديهم من المغانم وأثخنوا بالقتل والاسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريش فأحجم حاميتها عن اللقاء

وانحجزوا في البلاد وقفل عنها الى الجزيرة وقد امتلأت أيديهم من الاموال وحقائبهم من السبي وركائبهم من الكراع والسلاح ورأى أهل الاندلس قد ثاروا بهم ام العقاب حتى جاءت بعدها الطامة الكبرى على أهل الكفر واتصل الخبر بأمير المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه وخشي على ثغور بلاده من عادية يغمراسن في الفتنة فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه وبادر الى الاجابة والالفة وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسني الهدية وجمع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذا السلم من أمير المسلمين لما كان في نفسه من الصاغية الى الجهاد وايثاره مبرورات الاعمال وبث الصدقات بشكر الله على ما منحه من التفرغ لذلك ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين الى الجهاد وخاطب في ذلك كافة أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البرابرة وأهل المغرب من المرتزقة والمطوعة وأهاب بهم وشرع في اجازة البحر فأجازه من فرضة طنجة لصفر من سنة أربع وسبعين واحتل بساحة طريف وكان لما استصرخه السلطان ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس اشترط عليه النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال عساكره فتجافى له عن رندة وطريف ولما احتل بطنجة بادر اليه ابن هشام الثائر بالجزيرة الخضراء وأجاز البحر اليه ولقيه بظاهر طنجة فأدى له طاعته وأمكنه من قياد بلده وكان الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو اسحق صهر السلطان ابن الاحمر بعاله في أمره وموازراه على شأنه كله وأبوهما أبو الحسن هو الذي تولى كبر الثورة على ابن هود ومداخلة أهل اشبيلية في القتل بابن الباجي فلما استوت قدمه في ملكه وغلب الثوار على أمره فسد ما بينهما بعد أن كان ولى أبا محمد على مقالة وأبا اسحق على وادي آش فامتنع أبو محمد بن اشقيلولة بمالقة واستأثرها ونفر يتهادونه ومع ذلك فكانوا على الصاغية فئة ولجة ولما أحس أبو محمد باجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق قدم اليه الوفد من أهل مالقة ببيعتهم وصريخهم وانحاش الى جانب السلطان وولايته وأمحضه الخالصة والنصيحة فلما احتل السلطان بناحية طريف ملأت كتائبه ساحة الارض ما بينها وبين الجزيرة وتسابق السلطان ابن الاحمر وهو الفقيه أبو محمد بن الشيخ أبي دبوس صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد بن اشقيلولة صاحب مالقة والغربية الى لقاء السلطان وتنازعوا في برور مقدمه والاذعان له ففاوضهما في أمور الجهاد وأرجعهما لحينه الى بلديهما وانصرف ابن الاحمر مغاضبا لبعض النزغات

احفظه

أحدظته وأغذ السير الى القرتيرة وعقد لولده الامير أبي يعقوب على خمسة آلاف من
عسكره وسرح كتائبه في البسائط وخلال المعاقل تنسف الزرع وتحطم الغروس وتخرب
العمران وتنتهب الاموال وتكتسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية
حتى انتهى الى المدوور وتالسة وأبدة واقتحم حصن بلمة عنوة وأتى على سائر الحصون في
طريقه فطمس معالمها واكتسح أموالها وقتل والارض تموج سبيا الى أن عرس باستجة
من تخوم دار الحرب وجاء النذير باتباع العدو آثارهم لاستنقاذ أسراهم وارتجاع
أموالهم وان زعيم الروم وعظيمهم ذننه خرج في طلبهم بأمم بلاد النصرانية من المحتلم
فما فوقه فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا من الفرسان أمامها وسار يقتفيها
حتى اذا طلت رايات العدو من ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرد وذكر
وراجعت زناتة بصائرها وعزائمها وتحركت هممها وأبلت في طاعة ربها والذب عن
دينها وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها ولم يكن الا كلا ولا
حتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جوع النصرانية وقتل الزعيم ذننه
والكثير من جموع الكفر ومنح الله المسلمين اكتافهم واستمر القتل فيهم وأحصى القتلى في
المعركة فكانوا ستة آلاف واستشهد من المسلمين ما ناهز الثلاثين أكرمهم الله بالشهادة
وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أولياءه ونصر دينه وبدا للعدو ما لم يحتسبه بمحاماة
هذه العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث أمير المسلمين برأس الزعيم ذننه الى ابن
الاحمر فرده زعموا سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم مداراة وانحرافا
عن أمير المسلمين ظهرت شواهده عليه بعد حين كما نذكره وقفل أمير المسلمين من غزاته الى
الجزيرة منتصف ربيع من سنته فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم
وسباياهم وأسراهم وكراعهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب
والسنة ليصرفه في مصارفه ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر
وأربعة وعشرين ألفا ومن الاسارى سبعة آلاف وثمان مائة وثلاثين ومن الكراع
أربعة عشر ألفا وستمائة وأما الغنم فاتسعت عن الحصر كثرة حتى لقد زعموا بيع الشاة
في الجزيرة بدرهم واحد وكذلك السلاح وأقام أمير المسلمين بالجزيرة أياما
ثم خرج   غازيا الى أشبيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها وأثخن (بياض في الاصل)
بالقتل والنهب في جهاتها وعمرانها وارتحل الى شريش فأذاقها وبال العيث والاكتساح
ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته ونظر في اختطاط مدينة بفرضة المجاز من
العدوة لنزل عسكره متنبذا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخيرلها
مكانا لصق الجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية وجعل ذلك لنظر من يثق به من

ذويه ثم أجاز البحر الى المغرب فى رجب من سنة أربع وسبعين فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ الجواز ببلاد غمارة وتولى ذلك ابراهيم بن عيسى كبير بنى وسناف بن محيو ثم رحل الى فاس فدخلها فى شعبان وصرف النظر الى أحوال دولته واختطاط البلد الجديد لنزله ونزل حاشيته واستنزال الثوار عليه بالمغرب على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن اختطاط البلد الجديد بفاس وما كان على بقية ذلك من الاحداث)

لما قفل السلطان أمير المسلمين من غزاته الجهادية وتم صنع الله لديه فى ظهور الاسلام على يديه واعتزاز أهل الاندلس بفيئته راح بالمغرب الى نعمة أخرى من ظهور أوليائه وحسم أدواء الفساد فى دولته شفعت مواهب السعادة وأجلت عوائد الصنع وذلك ان صبابة بنى عبد المؤمن وفلهم لما فروا من مراكش عند الفتح لحقوا بجبل تينمال جرثومة أمرهم ومنبعث دعوتهم وملاحد خلفائهم وحضرة سلفهم ودار امامهم ومسجد مهديهم كانوا يعكفون عليه متيمنين بطيره ملتمسين بركة زيارته ويقدمون ذلك أمام غزواتهم قربة بين يدى أعمالهم يعتدونها من صالح مساعيهم فلما خلص الفل اليه اعتصموا بمعقله وآووا الى ركونه ونصبوا القيام بأمرهم عيصا من أعياص خلفاء بنى عبد المؤمن ضعيف المنبه خاسر الصفقة من مواهب الحظ وهو اسحق أخو المرتضى وبايعوه سنة تسع وستين يرجون منه رجع الكرة وادالة الدولة وكان المتولى لكبر ذلك وزير دولتهم ابن عطوش ولما عقد السلطان يعقوب بن عبد الحق لمحمد بن على بن محلى على أعمال مراكش لم يقدم عملا على محاربتهم وتخذيل الناس عنهم واستمالة أشياعهم وجمع لهم سنة أربع وسبعين على غرة ظنوها فأوقع بهم وفل من غربهم ثم صعد الى الجبل لشهر ربيع من سنته فافتض عذرته وفض ختامه واقتحمه عليهم عنوة بعد مطاولة النزال والحرب وهلك الوزير ابن عطوش فى جوانب الملحمة وتقبض على خليفته المستضعف وابن عمه أبى سعيد بن السيد أبى الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة بمراكش فضربت أعناقهم وصلبت اشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم كاتبه القبائلى وأولاده وعاثت العساكر فى جبل تينمال واكتسحت أمواله و   قبور خلفاء بنى عبد المؤمن واستخرج   يوسف [بياض بالأصل] وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤسهم وتولى كبر ذلك أبو على المليانى النازع الى السلطان أبى يوسف من مليانة عش غوائيه ومواطن انتزائه كما قدمناه وكان السلطان أقطعه بلاد اغمات اكراما لوفادته فحضر هذه الغزاة فى جملة العساكر ورأى أن قد شفى نفسه باخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعبث باشلائهم لما نقم منه الموحدون

وأزعجوه عن قراره فتكرها السلطان لجلاله وتجاوز عنها للمسياق تأنيب الغربته وجواره وعدها من هناته ولما وصل أمير المسلمين الى حضرته من غزاة الجهاد ترادفت عليه أخبار هذه الملحمة وقطع دابر بنى عبد المؤمن فتظاهر السرور لديه وارتفعت الى الله كلمات الشكر طيبة منه ولما سكن غرب الثوار تمهد أهل المغرب ورأى أمير المسلمين ان أمره قد استفحل وملكه قد استوسق واتسع نطاق دولته وعظمت غاشيته وكثر وافده رأى أن يختط بلدا يتميز بسكناه فى حاشيته وأهل خدمته وأوليائه حاملين سرير ملكه فأمر ببناء البلد الجديد لصق فاس بساحة الوادى المخترق وسطها من أعلاه وشرع فى تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وجمع الايدى عليها وحشد الصناع والفعلة لبنائها وأحضر لها والمعدلين لحركة الكواكب فاعتاموا فى الطوالع النجومية مارضون اثره ورصدوا أوانه وكان فيهم امامان أبو الحسن بن القطان وأبو عبد الله ابن الحباك المقدمان فى الصناعة فكمل تشييد هذه المدينة على مارسم وكما رضى ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين كما ذكرنا واختطوا بها الدور والمنازل وأجرى فيها المياه الى قصوره وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الايام ثم أوعز بعد ذلك ببناء قصبة مدينة مكناسة فشرع فى بنائها من سنته وكان لحين اجازته البحر قافلا من غزاته لحق طلحة بن محلى بجبل أزرو نازعا الى قبائل من صنهاجة فأوعز السلطان اليه بعساكره وأناخ عليه واستنزله لشهر على ماسأل من الامان والرتبة وحسم الداء من خروجه واستوزر صنيعته فتح الله الصدراتى وأجرى له رزق الوزارة على عوائدهم ثم بعث الى يغمراسن كفؤ هديته التى أتحفه بها بين يدى غزاته وكان شغله عنها أمر الجهاد فبعث له فسطاطا رائقا كان صنع له بمراكش وحكمات مموهة بالذهب والفضة وثلاثين من البغال الفارهة ذكرانا وانانا بمراكبها الفارسية من السروج من الولايا واحمالا من الاديم المعروف دباغه بالشركى الى غير ذلك مما يباهى به ملوك المغرب ويتنافسون فيه وفى سنة خمس وسبعين من بعدها أهدى له محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين وصاحب جبل وانشريس أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية وفى نفسه أثناء هذا كله من الجهاد شغل شاغل يتخطى اليه ما نراعمله حسبما نذكره ان شاء الله تعالى

بياض فى كل الاصول

* (الخبر عن اجازة أمير المسلمين ثانية وما كان فيهما من الغزوات) *

لما قفل أمير المسلمين من غزاته الاولى واستنزل الخوارج وثقف الثغور وهادى الملوك واختط المدينة لنزله كما ذكرنا ذلك كله ثم خرج فاتح سنة ست وسبعين الى جهة مراكش لسد ثغوره وتثقيف أطرافه وتوغل فى أرض السوس وبعث وزيره فتح الله

في العساكر بفاس خلاله ثم انكفأ راجعا وخطب قبائل المغرب كافة بالنفير فتباطؤا
واستمر على تمريضهم ونهض الى رباط الفتح وتلوم بها في انتظار الغزاة فتثبطوا فخف
في خاصته وحاشيته واحتل بالفرضة من قصر المجاز وتلاحق به الناس فأجازوا البحر
واحتل بطريف آخر محرم ثم ارتحل الى الجزيرة ثم الى رندة ووافاه هنالك الرئيسان
أبو اسحق بن اشقيلولة صاحب قارش وأبو محمد صاحب مالقة للغزو معه وارتحلوا الى
منازلة اشبيلية فعرسوا عليها يوم المولد النبوي وكان بها ملك الجلالقة بن ادفونش فخام
عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن أهله ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل ولده
الامير أبا يعقوب في المقدمة وزحف في التعبية فأجحروا العدو في البلد واقتحموا
اثرهم الوادي وأثخنوا فيهم وباتت العساكر ليلتهم يجاودون في متون الخيل وقد أضرموا
النيران بساحتها وارتحل من الغد الى أرض الشرق وبث السرايا والغوازي في سائر
النواحي وأناخ بجمهور العسكر عليها فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها
وطمس معالمها ودخل حصن قطيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأثخن
في القتل والسبي ثم ارتحل بالغنائم والاثقال الى الجزيرة لسرار شهره فأراح وقسم
الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا الى شريش منتصف ربيع الآخر فنازلها وأذاقها
نكال الحرب وأقفر نواحيها وقطع أشجارها وأباد خضراءها وحرق ديارها ونسف
آثارها وأثخن فيها بالقتل والاسر وبعث ولده الامير أبا يعقوب في سرية من معسكره
للغوار على اشبيلية وحصون الوادي فبالغ في النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقة
وغليانة والقناطير ثم صبح اشبيلية بمقاره فاكتسحها وانكفأ الى أمير المسلمين فقفلوا
جميعا الى الجزيرة وأراح وقسم في المجاهدين غنائمهم ثم ندب الى غزو قرطبة ورغبهم
في عمرانها وثروة ساكنها وخصب بلادها فانعطفوا الى اجابته وخاطب ابن الاحمر
يستنفره وخرج لاول جمادى من الجزيرة ووافاهم ابن الاحمر بناحية أرشدونة فأكرم
وصوله وشكر خفوفه الى الجهاد وبداره ونازلوا حصن بني بشير فدخله عنوة وقتلت
المقاتلة وسبيت النساء ونفلت الاموال وخرب الحصن ثم بث السرايا والغارات
في البسائط فاكتسحها وامتلأت الايدي وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمران
في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وانجحرت حامية العدو من وراء
الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياه في نواحيها فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها
واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا على جهاتها ودخل حصن بركونة عنوة ثم ارجونة
كذلك وقدم بعثا الى جيانة فقاسمها حظها من الخسف والدمار وخام الطاغية عن اللقاء
وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلاده فجنح الى السلم وخطبه من أمير المسلمين فدفعه الى

ابن

ابن الاحمر وجعل الامر فى ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه وأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانعقد السلم وقفل أمير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ودخل أمير المسلمين الى الجزيرة فى أول رجب من عامئذ فأراح ونظر فى ترتيب المسالح على الثغور وتملك مالقة كما نذكره

(الخبر عن تملك السلطان مدينة مالقة من يد ابن اشقيلولة)

كان بنو اشقيلولة هؤلاء من رؤساء الاندلس المؤملين لمدافعة العدو وكانوا انظراء لابن الاحمر فى الرياسة وهما أبو محمد عبد الله وأبو اسحق ابراهيم ابنا أبى الحسن بن اشقيلولة وكان أبو محمد منهم صهراً له على ابنته فكانوا له بذلك خاصة فأشركهم فى أمره واعتضد بعصابتهم وبابيهم من قبل على مقاومة بن هود وسائر الثوار حتى اذا استمكن من فرصته واستوى على كرسيه استبد دونهم وأنزلهم الى مقامات الوزراء وعقد لابى محمد صهره على ابنته على مدينة مالقة والغربية وعقد لابى الحسن صهره على أخته على وادى آش وما اليها وعقد لابنه أبى اسحق ابراهيم بن على على قمارش وما الى ذلك ووجدوا فى أنفسهم واستمر الحال على ذلك ولما هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وولى ابنه الفقيه محمد سموا الى منازعته وأوفد أبو محمد صاحب مالقة ابنه أبا سعيد على السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو منازل طنجة ووفد معه أبو محمد الى السلطان بطاعته وبيعته أهل مالقة سنة ثلاث وسبعين وعقد له عليها ونزع ابنه أبو سعيد فرج الجدار الحرب ثم رجع لسنته فقتل بمالقة ولما أجاز السلطان الى الاندلس اجازته الاولى سنة أربع وسبعين تلقاه أبو محمد بالجزيرة مع ابن الاحمر وفاوضهما السلطان فى أمر الجهاد وردهما الى أعمالهما ولما أجاز اجازته الثانية سنة ست وسبعين لقيه بالجزيرة الرئيسان ابنا اشقيلولة أبو محمد صاحب مالقة واخوه اسحق صاحب وادى آش وقمارش فشهدا معه الغزاة ولما قفل اعتل أبو محمد صاحب مالقة ثم هلك غرة جمادى من سنته فلحق ابنه محمد بالسلطان آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة منصرفه من الغزو كما ذكرناه فنزل له عن البلد ودعاه الى احتيازها فعقد عليها لابنه أبى زيان منديل فسار اليها فى بعث وكان ابن اشقيلولة حين فصوله الى لقاء السلطان أمر ابن عمه محمد الازرق بن أبى الحجاج يوسف بن الزرقاء باخلاء منازل السلطان بالقصبة واعداده فتم ذلك لثلاث ليال واضطرب الامير أبو زيان معسكره بخارجها وأنفذ محمد بن عمران بن عبلة فى رهط من رجال بنى مرين الى القصبة فنزلها وملك أمر البلد وكان السلطان بن الاحمر لما بلغه

وفاة أبي محمد بن اشقيلولة سمت آماله الى استيلائه على مالقة وان ابن أخته شيعة له وبعث لذلك وزيره أبا سلطان عزيز الدانى فوافى معسكر الامير أبي زيان بساحتها ورجا أن يتجافى عنها السلطان فأعرض عن ذلك وتجهم له ودخل اليها الثلاث بقين من رمضان وانقلب الدانى عنها بخفى حنين ولما قضى السلطان بالجزيرة صومه ونسكه خرج الى مالقة فوافاها سادس شوال وبرز اليه أهلها في يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان ودخولهم في ايالته وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم وأنزل معه المسالح وزيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة لنظره من ابطال بنى مرين واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب سنة سبع وسبعين وتباهت الدنيا بقدومه وامتلأت القلوب سرورا بما كيفه الله من نصر المسلمين بالعدوة وعلو راية السلطان على كل راية وعظمت لذلك موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن تظاهر ابن الاحمر والطاغية على منع السلطان أبي يوسف من اجازة ابن الاحمر واصفاق يغمراسن بن زيان معهم من وراء البحر على الاخذ بحجزته عنهم ووقعة السلطان على يغمراسن بخرزوزة

لما أجاز أمير المسلمين الى العدوة اجازته الاولى ولقى العدو واستلحمه وقتل الله ذنته بأيدى عسكره وصنع له من الظهور والعز ما لم كفاه له ارتاب ابن الاحمر بمكانه فبدا له ما لم يكن يحتسب وظن بأمير المسلمين الظنون واعترض ذكر شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد سلطان الاندلس وأكد ذلك عنده جنوح الرؤساء من بنى اشقيلولة وغيرهم اليه وانقيادهم لامره فشرق بمكانه وحذر غوائله وتكدر الجو بينهما واجاز الاجازة الثانية فانقبض ابن الاحمر عن لقائه ودارت بينهما مخاطبات شعرية في معنى العتاب على السنة كتابهما نسردها الآن (فمن ذلك) قصيدة كتبها اليه ابن الاحمر سنة أربع وسبعين بعد واقعة ذنته واعتزامه على الرجوع الى المغرب يخاطبه بها ليلة الاقامة بالجزيرة حذرا من غائلة العدو ويحرضه فيها على الاستعطاف وهى من نظم كاتبه أبي عمر بن المرابط

هل من معيني في الهوى أو منجدى * من متهم في الارض أو من منجد
هذا الهوى داع فهل من مسعف * باجابة وانابة أو مسعد
هذا سبيل الرشد قد وضحت فهل * بالعدوتين من امرئ مسترشد
يرجو النجاة بجنة الفردوس أو * يخشى المصير الى الجحيم الموقد
يا آمل النصر العزيز على العدا * أجب الهدى تسعد به وتؤيد

سر النجاة الى النجاة مشمرا * ان الهدى لهو النجاة لمن هدى
يامن يقول غدا أتوب ولا غد * ألديك علم أن تعيش الى غد
لاتغترر بنسيئة الاجل الذى * ان لم يحن لك نقده فكان قد
سفر عليك طويلة أيامه * لم تستعد الطوله فاستعدد
أوما علمت بأنه لابد من * زاد لكل مسافر فتزود
هذا الجهاد رئيس أعمال التقا * خذ منه زادك لارتحالك تسعد
هذا الرباط بأرض اندلس فرح * منه لما يرضى الهك واغتد
سودت وجهك بالمعاصى فالتمس * وجها للقيا الله غير مسود
وامح الخطايا بالذنوب فربما * محت الدموع خطيئة المتعمد
من ذا يتوب لربه من ذنبه * أو يقتدى بنبيه أو يهتدى
من ذا يطهر نفسه بعزيمة * مشحوذة فى نصر دين محمد
أتعز من أرض العدو مدائن * والله فى أقطارها لم يعبد
وتذل أرض المسلمين وتبتلى * بعبادة من سطوا بكل موحد
كم جامع فيها أعيد كنيسة * فاهلك عليه أسى ولا تتجلد
القس والناقوس فوق مناره * والخمر والخنزير وسط المسجد
أسفا عليها أقفرت صلواتها * من قانتين وراكعين وسجد
وتعوضت منهم بكل معاند * مستكبر قد كان لم يتشهد
كم من أسير عندهم وأسيرة * فكلاهما يبغى الفداء فما فدى
كم من عقيلة معشر معقولة * فيهم تود لو انها فى ملحد
كم من وليد بينهم قد ودمن * ولداه ودا أنه لم يولد
كم من تقى فى السلاسل موثق * يبكى لآخر فى الكبول مقيد
وشهيد معترك توزعه الردى * ما بين حدى ذابل ومهند
ضجت ملائكة السماء لحالهم * ورثى لهم من قلبه كالجلمد
أفلا تذوب قلوبكم اخواننا * مما دهانا من ردى أو من ردى
أفلا تراعون الاذمة بيننا * من حرمة ومحبة وتودد
أكذا يعيث الروم فى اخوانكم * وسيوفكم للثار لم تتقلد
ياحسرتى لحمية الاسلام قد * خمدت وكانت قبل ذات توقد
أين العزائم مالها لاتقتضى * هل يقطع الهندى غير مجرد
أبنى مرين أنتم جيراننا * وأحق من فى صرخة بهم ابتدى

فالجار كان به يوصي المصطفى * جبريل حقا في الصحيح المسند
أبني مرين والقبائل كلها * في المغرب الادني لنا والابعد
كتب الجهاد عليكم فبادروا * منه الى الفرض الاحق الاوكد
وارضوا باحدى الحسنيين وأقرضوا * حسنا تفوزوا بالحسان الخرد
هذي الجنان تفتحت أبوابها * والحور قد عدت لكم بالمرصد
هل من بايع من ربه من مشتر * منه الحصول على النعيم السرمد
لله في نصر الخليفة موعد * صدق فنور والانجاز الموعد
هذي الثغور بكم اليكم تشتكي * شكوى العديم الى الغني الاوجد
مابال شمل المسلمين مبدد * فيها وشمل الكفر غير مبدد
أنتم جيوش الله ملء فضائه * تأسون للدين الغريب المفرد
ماذا اعتذاركم غدا لنبيكم * وطريق هذا العذر غير ممهد
ان قال لم فرطتم في أمتي * وتركتموهم للعدو المعتدي
تالله لو أن العقوبة لم تخف * لكفى الحيا من وجه ذاك السيد
اخواننا صلوا عليه وسلموا * وسلوا الشفاعة منه يوم المشهد
واسعوا النصرة دينه يسقيكم * من حوضه في الحشر أعذب مورد

وصدر جوابها من نظم عبد العزيز شاعر السلطان يعقوب بن عبد الحق بما نصه لبيك لا تخش اعتداء المعتدي الخ وكذلك أجاب عنها أيضا مالك بن المرحل بقوله شهد الاله وأنت يا أرض اشهدي الخ فأجابهما أبو عمرو بن المرابط كاتب ابن الاحمر بقوله قل للبغاة وللعداة الحسد الخ ولما أجاز السلطان يعقوب بن عبد الحق الاجازة الثانية سنة ست وسبعين كما ذكره صار ابن الاحمر الى الاستعتاب والرضا ولقي يعقوب بن عبد الحق فأنشد كاتبه أبو عمرو بن المرابط يوم اجتماعهما قوله * بشرى لحزب الله والايمان الخ ولما انفض المجلس امر السلطان شاعره عبد العزيز بساجلة قصيدته وأنشدها ثاني المجلس بحضرة ابن الاحمر وندبها * اليوم كن في غبطة وأمان * الخ ثم كان أثناء ذلك ماوقع من استيلاء السلطان يعقوب بن عبد الحق على مدينة مالقة والغربية جل عملها بعد مهلك صاحبها أبي عبد الله بن اشقيلولة فبرم لذلك وخيل عليه ففزع الى مداخلة الطاغية في شأنه واتصال يده بيده وان يعود الى مكان أبيه من ولايته ليدافع به السلطان وقومه على أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه لما كانت كلمة الاسلام مجرادونه فاهتبل الطاغية غرتها ونكث عهد أمير المسلمين ونقض السلم ونبذ اليه العهد واغزى أساطيله الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره وأرست بالزقاق حيث فراض الجواز

وانقطع المداون من جنود السلطان وقومه وراء البحر وبقوا من صريخه وانتبذ عمر
ابن يحيي بن محلى عن قومه بمكان امارته مالقة وكان بنو محلى هؤلاء من كبار قومهم بطوية
وكانوا احلافا لبنى حمامة بن محمد منذ دخولهم المغرب وأصهر عبد الحق أبو الاملاك الى
أبيهم محو فى بنته أم اليمن فكان من ولدها السلطان يعقوب بن عبد الحق وكانت
امرأة صالحة خرجت الى الحج سنة ثلاث وأربعين فقضت فريضة الله عليها وعادت
الى المغرب رابعة من السنين سنة سبع وأربعين ثم خرجت ثانية سنة ثنتين وخمسين
فتطوعت بحجة أخرى وهلكت بمصر منصرفها من تلك السنة سنة ثلاث وخمسين فكان
لبنى محلى أيها مكان من الدولة والة على السلطان لخؤلتهم وغنائهم فى قومهم ولما
استولى السلطان على حضرة الموحدين مراكش عقد لمحمد بن على بن محلى على جميع
أعمالها فكانت له بالاضطلاع بها مقامات محمودة واتصلت ولايته عليها من لدن سنة ثمان
وستين الى سنة سبع وثمانين ثم كان مهلكه أيام يوسف بن يعقوب كما نذكر ولما نزع محمد
ابن اشقيلولة الى السلطان بالجزيرة سنة ست وسبعين متجافيا له عن ولاية مالقة بعد
وفاة أبيه الرئيس أبى محمد واستولى السلطان عليها واعتزم على الاجازة كما قدمناه وعقد
على مالقة والغربية وسائر ثغورها وأعمالها لعمر بن يحيى بن محلى وكان أخوه طلحة بن
يحيي ذا بأس وصرامة وقوة شكيمة واعتزاز على السلطان بمكان الخؤولة وهو الذى قتل
يعقوب بن عبد الحق   سنة ثمان وستين كما قلناه وظاهر فتح الله الهدراى (بياض بالأصل)
مولى السلطان ووزيره على قتال أبى العلاء بن أبى طلحة بن أبى قريش عامل المغرب
بكدية العرايس بظاهر فاس سنة ثنتين وستين ونزع سنة أربع وسبعين الى جبل آزروا
عند مرجع السلطان من أمر مالقة وأجاز البحر الى بلاد الريف ثم رجع الى القبلة
وأقام بين بنى توجين ثم أجاز الى الاندلس سنة سبع وسبعين عندما أضرم نار هذه
الفتنة بين هذا السلطان وبين ابن الاحمر والطاغية واحتل أسطول النصارى بالزقاق
وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وأحس أخوه عمر صاحب مالقة باظلام الجو بينه
وبين السلطان بما كان من أمر أخيه طلحة من قبل فلاطفه ابن الاحمر عند استقراره
بغرناطة فى مداخلة أخيه عمر فى النزول على مالقة والاعتياض عنها بشلوبانية والمنكب
طعمة وخاطبه فى ذلك أخوه طلحة فأجاب وخرج ابن الاحمر بعساكره الى مالقة وتقبض
عمر بن محلى على زيان بن بوعياد قائد بنى مرين ومحمد بن اشقيلولة وأمكن ابن الاحمر من
البلد فدخلها آخر رمضان من سنته وأنزل ابن محلى بشلوبانية واحتمل ذخيرته وما كان
السلطان ائتمنه عليه من المال والعدد الجهادية واتصلت يد ابن الاحمر بيد الطاغية على
منع أمير المسلمين من الاجازة وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم فى

مشاقة السلطان وافساد ثغوره وازال العوائق به المانعة من حركته والاخذ باذياله
عن النهوض الى وأسنوا فيما بينهما الاتحاف والمهاداة وجنب يغمراسن الى ابن
الاحمر ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف وبعث اليه ابن الاحمر صحبة
ابن مروان التجانى كفء ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال فى هديته وردها
وأصفقت أيديهم جميعا على السلطان ورأوا أن قد بلغوا فى احكام أمرهم وسد مذاهبه
اليهم واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش كان صمد اليها برجعه من الغزو فى شهر
المحرم فاتح سبع وسبعين لما كان من عيث العرب جشم بتامسنا وافسادهم السابلة
فثقف أطرافها وحسم أدواءها ولما بلغه خبر ابن محلى ومالقة ومنازلة الطاغية للجزيرة
نهض لثالثة من شوال يريد طنجة ولما انتهى الى تامسنا وافاه الخبر بنزول الطاغية
على الجزيرة واحاطة عساكره بها بعد ان كانت أساطيله منازلتها
منذ ربيع وانه مشرف على التهامها وبعثوا اليه يستعدونه فاعتزم على الرحيل ثم
اتصل به الخبر بخروج مسعود بن كانون أمير سفيان من جشم ببلاد نفيس من المصامدة
خامس ذى القعدة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم فكر اليه راجعا وقدم
بين يديه حافده تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى حازم وجاء على ساقتهم وفروا أمام
جيوشه وانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحرث بن سفيان ولحق مسعود
بمعقل السكسيوى ونازله السلطان بعساكره أياما وسرح ابنه الامير أباز يان منديل
الى بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه خامس
سنته واتصل بالسلطان ما نال أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال واعواز
الاقوات وانهم قتلوا الاصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرة الكفر فأهمه ذلك
وأعمل النظر فيه وعقد لولى عهده ابنه الامير أبى يعقوب من مراكش على الغزو اليها
وأغزى الاساطيل فى البحر الى جهاد عدوهم فوصل الى طنجة لصفر من سنة ثمان
وتسعين وأوعز الى البلاد البحرية لاعداد الاساطيل بسبتة وطنجة وسلا وقسم
الاعطاآت وتوفرت همم المسلمين على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت وأبلى
الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبتة لما بلغه خطاب أمير المسلمين فى ذلك البلاء الحسن
وقام فيه المقام المحمود واستفر كافة أهل بلده فركبوا البحر أجمعين من المحتلم فما فوقه
ورأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين فى الجزيرة وأشراف الطاغية على أخذها فندم فى
ممالأته ونبذ عهده وأعد أساطيل سواحله من والمرية ومالقة مددا للمسلمين
واجتمعت الاساطيل بمرفا سبتة تناهز السبعين قد أخذت بطرفى الزقاق فى أحفل زى
وأحسن قوة وأكمل عدة وأوفر عدد وعقد عليهم الامير أبو يعقوب رايته وأقلعوا

عن

عن طنجة ثامن ربيع الاول وانتشرت قلوعهم فى البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم بمرفأ الجبل وصبحوا العدو وأساطيلهم تناهز أربعمائة فتظاهروا فى دروعهم وأسبغوا من شكتهم وأخلصوا لله عزائمهم وصدقوا مع الله نياتهم وتنادوا بالجنة شعارهم ووعظ وذكر خطباؤهم والتحم القتال ونزل الصبر ولم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل فانكشفوا وتساقطوا فى العباب فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم وملك المسلمون أساطيلهم ودخلوا مرفأ الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل معسكر الطاغية وداخلهم الرعب من اجازة الامير أبى يعقوب ومن معه من الحامية فأفرج لحينه عن البلد وانتشرت النساء والصبيان بساحته وغلبت المقاتلة كثيرا من العسكر على مخلفهم فغنموا من الحنطة والادام والفواكه ما ملأ أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحى وأجاز الامير أبو يعقوب من حينه فأرهب العدو فى كل ناحية وصده عن الغزو وشأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل به لمنازلة غرناطة يدا وأجابه الى ذلك الطاغية رهبة من بأسه وموجدة على ابن الاحمر فى مدد أهل الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك فأجازهم الامير أبو يعقوب الى أبيه أمير المسلمين فغضب لها ونكر على ابنه وزوى عنه وجه رضاه ورجعهم الى طاغيتهم مخفق السعى وأجاز أبو يعقوب بن السلطان الى أبيه ومعه وفد أهل الجزيرة فلقوا السلطان بمكانهم من السوس وولى عليهم ابنه أبا زيان فنزل بالجزيرة وأحكم العقد مع الطاغية ونازل المرية من طاعة ابن الاحمر برا وبحرا فامتنعت عليه وانضوى اليه أهل الحصون الغربية بطاعتهم حذرا من الطاغية فتقبلهم ثم جاءه المدد من المغرب ونازل رندة فامتنعت والطاغية أثناء ذلك يجوس خلال الاندلس ونازل ابن الاحمر غرناطة مع بنى اشقيلولة وابن الدليل ثم راجع ابن الاحمر مسالمة بنى مرين وبعث لابى زيان بن السلطان بالصلح واجتمع معه بأحواز مربلة كما نذكر بعد ولما ارتحل السلطان من معسكره على جبل السكسيوى يريد السوس ثم أغزى العساكر ورجع من طريقه الى مراكش حتى اذا انقضت غزاة البربر رجع الى فاس وبعث خطابه الى الآفاق مستنفرا فى الجهاد وفصل فى رجب من سنة ثمان وسبعين حتى انتهى الى طنجة وعاين ما اختل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وما جرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ومن فيها وظاهره على ابن الاحمر منافسوه فى رياسته بنو اشقيلولة فاستجره الرئيس أبو الحسن بن أبى اسحق صاحب وادى آش ونازل معه غرناطة سنة تسع وسبعين خمسة عشر يوما ثم أفرجوا ولقيهم عساكر غرناطة من زناتة بعد ذلك من سنتهم وعليهم طلحة بن محلى وتاشفين بن معطى كبير

بتربيعين بحصن المسلى فاظهرهم الله عليهم وهلك من النصارى ما ينا هز
سبعمائة من فرسانهم واستشهد فيها من أعياص بنى مرين عثمان بن محمد بن عبد الحق
واستجر الطاغية بعدها الرئيس أبو محمد عبد الله أخو صاحب وادى آش الى منازلة
غرناطة فنازلها الطاغية وأقام عليها أياما ثم ارتحل وقد اعتز عليهم وأشفق السلطان على
المسلمين وعلى ما نال ابن الاحمر من خسف الطاغية فراسله فى المواد به وتفاق الكلمة
وشرط عليه النزول عن مالقة فرجع السلطان الى ازالة العوائق عن شأنه من الجهاد
وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ماد بر بينه وبين ابن الاحمر والطاغية بن
أخى أدفونش من الاتصال والاصفاق فى تجديد الصلح والاتفاق فلج وكشف الوجه فى
العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة سلمهم وكافرهم من الوصلة وانه معتزم على
طى بلاد المغرب فصرف أمير المسلمين عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة
أشهر من نزوله طنجة فدخلها آخر شوال وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحجة عليه
والتماس السلم فى توجين والتجافى عنهم لموالاتهم أمير المسلمين فقام يغمراسن فى ركائبه
وقعد ولج فى طغيانه وارتحل أمير المسلمين من فاس سنة تسع وقدم ابنه أبا يعقوب
فى العساكر وأدركه بتازى ولما انتهى الى ملوية تلوم فى انتظار العساكر ثم ارتحل الى
تامسة ثم تاقيا وحمد اليه يغمراسن بحشود زناتة والعرب بحللهم وكانة ناجعتهم
والتقت عيون القوم فكانت بينهما حرب وركب على آثارهما العسكران والتحم
القتال وكان الزحف بخرزة وزتمن ملغب سبق ورتب أمير المسلمين مصافه
وجعل كتيبته وكتيبة ابنه الامير أبى يعقوب جناحين للعسكر واشتد القتال سائر
النهار وانكشف بنو عبد الواد عندما أراح القوم وانتهب جميع مخلفهم وما كان
فى معسكرهم من المتاع والكراع والسلاح والفساطيط وبات عسكر أمير المسلمين
ليلتهم فى صهوات خيلهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم واكتسحت أموال العرب
الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلأت أيدى بنى مرين من نعمهم وشائهم ودخلوا
بلاد يغمراسن وزناتة ووافاه هنالك محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين لقيه بناحية
القصبات وعاثوا جميعا فى بلاده نهبا وتخريبا ثم أذن لبنى توجين فى اللحاق ببلادهم
وأخذ هو بمخنق تلمسان متلوما لوصول محمد بن عبد القوى وقومه الى منجاتهم من
جبل وانشريس حذرا عليهم من غائلة يغمراسن ثم أفرج عنها وقفل الى المغرب
ودخل فاس شهر رمضان من سنة ثمانين ثم نهض الى مراكش فاحتل بها احدى
وثمانين بعدها وسرح ابنه الامير أبا يعقوب الى السوس لتدويخ أقطاره وافاه
بمراكش صريخ الطاغية على ابنه شانجة الخارج عليه فاغتنم الفرصة فى فساد بينهم

لقتاء

بياض بالاصل

لقضاء أربه من الجهاد وارتحل بادر بالاجازة الى الاندلس والله تعالى أعلم

الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف صريخا للطاغية لخروج ابنه شانجة عليه وافتراق كلمة النصرانية وما كان في هذه الاخبار من الغزوات

لما رجع السلطان من غزاة تلمسان الى فاس وارتحل الى مراكش وافاه بها وفد الطاغية من بطارقته وزعماء دولته وقواميس ملته صريخا على ابنه شانجة خرج عليه في طائفة من النصارى وغلبوه على أمره فانتصر أمير المسلمين ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من أيديهم فأجاب أمير المسلمين داعيه رجاء للكرة باقترانهم وارتحل حتى انتهى الى قصر المجاز وأوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد وأجاز الى الخضراء فاحتل بها ربيع الثاني من سنة احدى وثمانين واجتمعت عليه مسالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه بها الطاغية ذليلا لعز الاسلام مؤملا صريخ السلطان فأكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وأمده لنفقاته بمائة ألف من مال المسلمين استرهن فيها التاج الذخيرة عند سلفه وبقي بدارهم فخرا للاعقاب لهذا العهد ودخل معه دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وبها شانجة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفة فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتنقل في جهاتها ونواحيها وارتحل الى طليطلة فعاث في جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلأت أيدى المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها وقفل الى الجزيرة فاحتل بها شعبان من سنته وكان عمر بن محلي نزع الى طاعة السلطان فهم به ابن الاحمر ونبذ اليه عهده وارتجع المنكب من يده ونازله بعساكره فاتح هذه السنة فجهز السلطان اليه لوصوله الجزيرة اسطوله وأفرج ابن الاحمر فبادر الى السلطان بطاعته ووصل بيعة شلوبانية فأبقاه فيها بدعوته ثم راجع طاعة ابن الاحمر في شوال من سنته فتقبل فيئته وأعاضه عنها بالمنكب الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن شأن السلم مع ابن الاحمر وتجافي السلطان له عن مالقة ثم تجدد الغزو بعد ذلك

لما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشي ابن الاحمر غائلته فجنح الى موالاة شانجة الخارج عن أبيه ووصل يده بيده وأكد له العقد وأضرمت له الاندلس نارا وفتنة ولم تغن شانجة عن ابن الاحمر شيأ ورجع السلطان من غزاته مع الطاغية وقد نبهر على ابنه فأجمع على منازلة مالقة ونهض اليها من الجزيرة فاتح ثنتين وثمانين فتغلب على الحصون الغربية كلها ثم أسعف الى مالقة فأناخ عليها بعساكره وضاق النطاق على ابن الاحمر وبدا له سوء المغبة في شأن مالقة ومداخلة ابن محلي في الغدر بها وأعمل نظره في الخلاص

من ورطتها ولم يرلها الاولى عهد السلطان ابنه أبا يوسف فخاطبه بمكانه من المغرب مستصرخا لوقع هذا الخرق وجمع كلمة المسلمين على عدوهم فأجابه واغتنم المثوبة في مسعاه وأجاز لشهر صفر فوافى أمير المسلمين بمعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر عن شأن مالقة والتجافي له عنها فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضا الله في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا في دار الحرب فأوغلوا وأثخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني من سنة ثنتين وثمانين حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وخلف معسكره بظاهر ساسة وأغذ السير في أرض قفر ليلتين انتهى الى البرت من نواحي طليطلة فسرح الخيل في البسائط حتى تقرى جميع ما فيها ولم ينته الى طليطلة لتثاقل الناس بكثرة الغنائم وأثخن في القتل وقفل على غير طريقه فأثخن وخرب وانتهى الى ووقف بساحتها والعدو منهزمون ثم رجع الى معسكره بساسة وأراح ثلاثا ينسف آثارها ويقتلع أشجارها وقفل الى الجزيرة فاحتل بها شهر رجب وقسم الغنائم ونفل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن الامير أبي مالك ابنه فهلك شهيدا بالمعرى لشهرين من ولايته وأجاز السلطان غرة شعبان الى المغرب ومعه ابنه أبو زيان منديل وأراح بطنجة ثلاثا وأغذ السير الى فاس فاحتل بها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسكه ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلا وازدرد فأقام برباط الفتح شهرين اثنين واحتل مراكش فاتح ثلاث وثمانين وبلغه مهلك الطاغية ابن أدفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج عليه فتحركت الى الجهاد عزائمه وسرح الامير أبا يعقوب ولي عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك القفار مسغبة وعطشا وقفل لما بلغه من اعتلال أمير المؤمنين ووصل الى مراكش وقد أبل وقد اعتزم على الجهاد والغزو شكر الله كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف الرابعة ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات

لما اعتزم أمير المسلمين على الاجازة واعترض جنوده وحاشيته وأزاح عللهم وبعث في قبائل المغرب بالتفير ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين

واحتل

واحتل رباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر مصمودة
وشرع فى اجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمطوعة خاتم سنته ثم أجاز البحر بنفسه
غرة صفر من سنة أربع بعدها واحتل بظاهرها ثم سار من الخضراء وأراح أياما ثم خرج
غازيا حتى انتهى الى وادلك وسرح الخيول فى بلاد العدو وبسائطها يحرق وينسف
فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها
وبث السرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالح التى كانت بالثغور
فتوافت اليه ولحقه حافده عمر بن أبى مالك بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب
فرسانا ورجالا ووافته حصة العزفى من سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولى
عهده الامير أبى يعقوب باستنفار من بقى من العدوة واعطاه الراية وسرحه لغزو اشبيلية
لآخر صفر من سنته فغزوا ومروا بقرمونة فى منصرفهم فاستباحوها وأثخنوا بالقتل
والاسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم وبعث وزيره محمد بن عطو ومحمد بن
عمران بن عبلة عيونا فوافوا حصن القناطر وروضه واستكشفوا ضعف الحامية
واختلال الثغور فعقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان لثالثة
من ربيع وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادلك فرجعوا من الغنائم بما ملأ
العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا
عمرانها ثم سرح ثامن ربيع عسكرا للاغارة على حصن أركش ووافوه على غرة
فاكتسحوا أموالهم ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبى معروف على ألف من الفرسان
وسرحه لغزو اشبيلية فسار واحتى ... عليها واخجرت منه حاميتها

ناقص بالاصل

فخرب عمرانها وقطع شجرها وامتلأت أيدى عسكره سبيا وأموالا ورجع الى معسكر
السلطان مملوء الحقائب ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع لغزو حصن كان
بالقرب من معسكره وسرح الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات وأمده بالرجل من
المصامدة وغزاه سنته فاقتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية
وأرغموا خده بالتراب ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن سقوط
قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى أهله ولعشرين
من شهره وصل ولى عهده الامير أبو يعقوب من العدوة بنفير أهل المغرب وكافة القبائل
فى جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب أمير المسلمين للقائهم وبروره قدمهم
واعترض العساكر الموافية يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف
من برابرة المغرب متطوعون كلهم بالجهاد فعقد السلطان له على خمسة آلاف من
المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجلين وألفين من الناشبة وسرحه

لغزو اشبيلية والاثخان في نواحيها فعبى كتائبه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه
فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الاموال وعاج على الشرف
والغابة من بسيط اشبيلية فنسف تراهما واقتحم من حصونها وقفل الى معسكر أمير
المسلمين فعقد له غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادى الكبير فأغار
على قرمونة وطمعت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى
أحجروهم في البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه
عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشبيلية فأغار واقتحم برجا كان
هنالك عينا على المسلمين وأضرمه نارا وامتلأت أيدي عساكره وقفل الى معسكر أمير
المسلمين ولثلاث عشرة من ربيع الثاني عقد للامير أبي يعقوب لمنازلة جزيرة كبوثر فصمد
اليها وقاتلها واقتحمها عنوة وفي ثاني جمادى عقد لطلحة بن يحيى بن محلي وكان بعد
مداخلته أخاه عمر في شأن مالقة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج فقضى فرضه ورجع
ومر في طريقه بتونس واتهمه الدعي بن أبي عمارة كان بها ونبذ فاعتقله سنة ثنتين وثمانين
ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم أجاز الأندلس غازيا في ركاب السلطان فعقد له في هذه
الغزاة على مائتين من الفرسان وسرحه الى اشبيلية ليكون رتبة للمعسكر وبعث معه
لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين من النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية شانجة
وأمير المسلمين أثناء ذلك يغادى شريش ويراوحها بالقتال والتخريب ونسف الآثار
وبث السرايا كل يوم وليلة في بلاد العدو فلا يخلو يوما من تجهيز عسكر أو اغزاء
جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتسف العمران في جميع بلاد النصرانية وخرب
بسائط اشبيلية ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرف وجميع بسائط الفرتيرة وأبلى
في هذه الغزوات عباد العاصمي من شيوخ جشم وخضر الغزى أمير الاكراد بلاء
عظيما وكان لهم فيها ذكر وكذلك غزاة سبتة وسائر المجاهدين والعرب من جشم وغيرهم
فلما دمرها تدميرا ونسفها تخريبا واكتسحها غارة ونهبا وزحم فصل الشتاء وانقطعت
الميرة عن العسكر اعتزم على القفول وأفرج عن شريش لآخر رجب ووافاه مدد غرناطة
من عساكر الغزاة وقائدهم يعلى بن أبي عياد بن عبد الحق بوادي بردة فلقاهم برة
وتكريما وانقلبوا الى أهلهم واتصل به أن العدو اعتزم على اساطيله باحتيال الزقاق
والاعتراض دون المراسى فأوعز أمير المسلمين الى جميع سواحله من سبتة وطنجة
والمنكب وجزيرة طريف وبلاد الريف ورباط الفتح واستدعى أساطيله فتوافت منها
ستة وثلاثون أسطولا متكاملة في عدتها فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على
أعقابها واحتل بالجزيرة غرة رمضان واستيقن الطاغية شانجة وأهل ملته أن بلادهم

قد فنيت وأرضهم خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فجنحوا الى السلم وضرعوا الى أمير المسلمين فى كف عاديته عنهم على ما يذكر ووصل الى السلطان بمكانه من منازلة شريش عمر بن أبى يحيى بن محلى نازعا الى طاعته فاتهمه لما سبق من تلاعبه وأمر أخاه طلحة فنكبه واحتمل الى طريف فاعتقل بها وسار طلحة الى المنكب فاستصفى أموال أخيه عمرو وذخائره وسار الى السلطان و أخاه موسى على عمله بالمنكب

بياض بالأصل

وأمده بعسكر من الرجل ثم أطلق عمر لليال من اعتقاله وأجاز طلحة وعمر فى ركاب السلطان ونزع منصور بن أبى مالك حافد السلطان الى غرناطة ثم لحق منها بالمنكب وأقام مع موسى بن يحيى بن محلى فأقره السلطان ورضى بمقامه والله تعالى أعلم

* (الخبر عن وفادة الطاغية شانجة وانعقاد السلم ومهلك السلطان على تفيئة ذلك) *

لما نزل ببلاد النصرانية بلاد ابن أدفونش من أمير المسلمين ما نزل من تدمير قراهم واكتساح أموالهم وسبى نسائهم وابادة مقاتلتهم وتخريب معاقلهم واتساف عمرانهم زاغت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا عاصم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاغيتهم شانجة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين فى السلم وايفاد الملا من كبار النصرانية عليه فى ذلك والا فلا تزال تصيبهم منه قارعة وتحل قريبا من دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهضيمة لدينه وأوفد على أمير المسلمين وفدا من بطارقتهم وشمامستهم وأساقفتهم يخطبون السلم ويضرعون فى المهادنة والابقاء ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسعفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن من صاغيتهم اليه وذلهم لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالمة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته فى ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم فى فتنة وبعث لعمه عبد الحق بن الترجمان باشتراط ذلك واحكام عقده فاستبلغ وأكد فى الوفاء ووفدت رسل ابن الاحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه دون أمير المسلمين على قومه ومدافعته عنهم فأحضرهم عبد الحق ابن الترجمان وأسمعهم ما عقد أمير المسلمين على قومه وأهل ملته وقال لهم انما أنتم عبيد آبائى فلستم معى فى مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ولما رأى عبد الحق صاغيته الى مرضاة السلطان وسوس اليه بالوفادة لتتمكن الالفة وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك فى نيل

السخيمة وتسكين الحفيظة وتمكين الالفة فصغى الى وفاقه وسأل لقى الامير أبي يعقوب ولى عهده من قبل ليطمئن عليه فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وبات بمعسكر المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء أمير المسلمين وقد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وأهبته فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية ولقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلتي بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية أتحف بها أمير المسلمين وابنه من طرف بلاده كان فيها زوج من الحيوان الوحشي المسمى بالفيل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الطرف فقبلها السلطان وابنه وقابلوه بكفائها ومضاعفتها وكمل عقد السلم وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضي بعز الاسلام عنه وانقلب الى قومه بملء صدره من الرضا والمسرة وسأل منه أمير المسلمين أن يبعث من كتب العلم التي بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فاستكثر من أصنافها في ثلاثة عشر حملا بعث بها اليه فوقفها السلطان بالمدرسة التي أسسها بفاس لطلب العلم وقفل أمير المسلمين الجزيرة للبلدين بقية الرمضان فقضى صومه ونسكه وجعل من قيام ليله جزأ لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم الفطر بمشهد الملا في مجلس أمير المسلمين وكان من أسبقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة عزوز المكناسي ذكر فيها سير أمير المسلمين وغزواته على نسق ثم أعمل أمير المسلمين نظره في الثغور فرتب بها المسالح وعقد عليها لابنه الامير أبي زيان منديل وأنزله بركوان مقربة مالقة واستوصاه بأن لا يحدث في بلاد ابن الاحمر حدثا وعقد لعياد بن أبي عياض العاصمي على مسلحة أخرى وأنزله باسطبونة وأجاز ابنه الامير أبا يعقوب لتفقد أحوال المغرب ومباشرة أموره فأجاز في أسطول القائد محمد بن القاسم الرنداحي قائد سبتة وأوعز اليه بالبناء على قبر أبيه أبي الملوك عبد الحق ولقيه ادريس بتافرطست اختط هنالك رباطا وبنى على قبورهم أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء التلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وفدنا وهلك خلال ذلك وزيره يحيى بن أبي منديل العسكري لمنتصف رمضان ثم اعتل بعد ذلك أمير المسلمين لشهر ذي الحجة واشتد وجعه وهلك لآخر محرم سنة خمس وثمانين وستمائة والله أعلم

(الخبر عن دولة السلطان وما كان فيها من الاحداث وشأن الخوارج لاول دولته)

لما اعتل أمير المسلمين أبو يوسف بالجزيرة مرضه نساؤه وطير الخبر الى ولى العهد الامير أبي يعقوب وهو بمكانه من المغرب فأغذ السير وقضى على أمير المسلمين قبل وصوله فأخذ له البيعة على الناس وزراء أبيه وعظماء قومه وأجاز اليهم البحر فجددوا بيعته غرة

صفر سنة خمس وثمانين وأخذوها على الكافة وانعقد أمر السلطان يومئذ ففرق الاموال وأجزل الصلات وسرّح المسجون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ووكلهم فيها الى أماناتهم وقبض أيدى العمال عن الظلم والاعتداء والجور على الرعايا ورفع المكوس ومحا رسم الرتب وصرف اعتناءه الى اصلاح السابلة وكان أول شئ أحدث من أمره الى ان بعث ابن الاحمر وضرب موعد الملاقاة فبدر اليه ولقيه بظاهر مربالة الاول ربيع ولقاء مبرة وتكريما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التى كانت لمملكته ماعدا الجزيرة وطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان الى الجزيرة ووافاه بها وفد الطاغية شانجة مجددين عقد السلم الذى عقده له أمير المسلمين عفا الله عنه فأجابهم ولما تمهد أمر الاندلس ومرّ عن النظر فيها عهد لأخيه أبى عطية العباس على الثغور الغربية والامارة عليها وعقد لعلى بن يوسف بن على مصالحها وأمده بثلاثة آلاف من عساكره وأجاز الى المغرب فاحتل بقصر مصمودة سابع ربيع الثانى ثم ارتحل الى فاس واحتل بها لثنتى عشرة خلت من جمادى ولحين استقراره بدار ملكه خرج عليه محمد بن ادريس ابن عبد الحق فى اخوته وبنيه وذويهم ولحق بجبل ورغة ودعا لنفسه وسرّح اليه السلطان أخاه أبا معروف فبدا له فى النزوع اليهم ولحق بهم فأغزاهم السلطان عساكره وردد اليهم البعوث والكتائب وتلطف فى استنزال أخيه فنزل عن الخلاف وعاد الى أحسن طاعته وفرّ أولاد ادريس الى تلمسان وتقبض عليهم أثناء طريقهم وسرّح السلطان أخاه أبا زيان الى تازى وأوعز اليه بقتلهم خارج تازى لرجب من سنة خمس وثمانين وذهب الاعياص عند ذلك من بادرة السلطان ففرقوا ولحق بغرناطة أولاد أبى العلاء ادريس بن عبد الحق وأولاد يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان ابن برزول ورجع أولاد أبى يحيى الى السلطان بعد اقتضاء عهده وامانه وهلك أخوه محمد بن يعقوب بن عبد الحق لشعبان من سنته وهلك عمر بن أخيه أبى مالك بطنجة ثم خرج على السلطان عمر بن عثمان بن يوسف العسكرى بقلعة فندلاوة ونبذ الطاعة وأذن بالحرب وأوعز السلطان الى بنى عسكر ومن اليهم من القبائل المجاورين لها فاحتشدوا له ونازلوه ثم نهض بركابه وعساكره الى منازلته واحتل بسدورة وخافه عمر على نفسه وأيقن أنه أحيط به فسأل الامان وبذله السلطان على شريطة اللحاق بتلمسان فبعث من يوثق به من الخيرة فنزل فوفى له السلطان بعهده ولحق بتلمسان بأهله وولده ثم ارتحل السلطان فى رمضان من سنته الى مراكش لتمهيد اعمالها وتثقيف أطرافها واحتل بها فى شوال واعمل النظر فى مصالحها ونزع خلال ذلك طلحة بن محلى البطوى الى بنى حسان من

سلطان الاكحل

المعقل وخرج على السلطان ودعا لنفسه وعقد السلطان لمنصور بن أخيه أبي مالك على العساكر وعهد له بولاية السوس وسرحه لاستنزال الخوارج ومحو آثار الفساد وارتاب بمكان أخيه عمر فغرّبه الى غرناطة فقتله أولاد أبي العلاء يوم وصوله اليها فسار الامير منصور في الجيوش والكتائب وغزا عرب المعقل وأثخن فيهم وقتل طلحة بن محلي في بعض حروبهم لثلاثة عشر في جمادى سنة ست وثمانين وبعث براسه الى سدة السلطان فعلق بتازى ثم نهض في رمضان لغزو المعقل بصحراء درعة لما أضرّوا العمران وأفسدوا السابلة وسار اليهم في اثنى عشر ألفا من الفرسان ومرّ على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم بالقفر نواجع فأثخن فيهم بالقتل والسبي واستكثر من رؤسهم فعلقت بشرافات مراكش وسجلماسة وفاس وعاد من غزوه الى مراكش آخر شوال فنكب محمد بن على بن محلي عاملها القديم الولاية عليها من لدن غلب الموحدين لما وقع من الارتياب بأولاد محلي لما آتاهم كبيرهم طلحة فنكب غرة المحرم من سنة سبعين وهلك في محبسه لشهر صفر بعده وهلك على ذلك المزوار قاسم بن عتو وعقد السلطان على مراكش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالي دولتهم ولاة الحلف وترك معه ابنه أبا عامر ثم ارتحل الى حضرة فاس فاحتل بها منتصف ربيع ووافته بها عرسه بنت موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق من غرناطة في وفد من وزراء ابن الاحمر وأهل دولته فأعرس بها وكان بعث الى أبيها من قبل في الاصهار بها ووافت معها رسل ابن الاحمر يسألونه التجافي عن وادي آش فأسعفهم بها كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن دخول وادي آش في طاعة السلطان ثم رجوعها الى طاعة ابن الاحمر)

كان أبو الحسن بن اشقيلولة ظهير السلطان بن الاحمر على ملكه ومعينه على شأنه وكان له في الدولة بذلك مكان ولما هلك خلف من الولد أبا محمد عبد الله وأبا اسحق ابراهيم فعقد ابن الاحمر لابي محمد على مالقة ولابي اسحق على قمارش ووادي آش ولما هلك السلطان ابن الاحمر حدثت مغاضبات ومنافسات بينهما وبينه وتأدى ذلك الى الفتنة كما قلناه ودخل أبو محمد في طاعة السلطان أبي يوسف ثم هلك فلحق ابنه محمد بالسلطان ونزل له عن البلد سنة ست وسبعين ثم هلك أبو اسحق سنة ثنتين وثمانين وغلب ابن الاحمر على حصن قمارش وصار اليه وكان الرئيس أبو اسحق قد عقد لابنه أبي الحسن على وادي آش وحصونها واتصلت الفتنة بينه وبين ابن الاحمر وظاهر أبو الحسن عليه الطاغية وأجلب أخوه أبو محمد معه على غرناطة هو وابن الدليل وطال أمر الفتنة بينهما وبين ابن الاحمر ثم انعقد السلم بين المسلمين والنصارى وخشى أبو محمد بن اشقيلولة على نفسه عادية

ابن الاحمر فتذمم بطاعة صاحب المغرب وأقام دعوته بوادى آش سنة ست وثمانين فلم يعرض لها ابن الاحمر حتى اذا وقعت المواصلة بينه وبين ابن السلطان أبي يعقوب وكان شأن هذا الصهر على يده بعث رسله الى السلطان يسأله التجافى عن وادى آش فتجافى له عنها وبعث الى أبي الحسن بن اشقيلولة بذلك فتركها وارتحل اليه سنة سبع وثمانين ولقيه بسلا فأعطاه القصر الكبير وأعماله طعمة سوغه اياها ثم لم تزل البقية آخر دولتهم واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم

(الخبر عن خروج الامير أبي عامر ونزوعه الى مراكش ثم فيئته الى الطاعة)

لما احتل السلطان بفاس وأقام بها خرج عليه ابنه أبو عامر ولحق بمراكش ودعا لنفسه اخريات شوال من سنة سبع وثمانين وساعده على الخلاف والانتزاء عاملها محمد بن عطوا وخرج السلطان فى أثره الى مراكش فبرزا الى لقائه فكانت الدائرة عليهم وحاصرهم السلطان بمراكش أياما ثم خلص أبو عامر الى بيت المال فاستصفى ما فيه وقتل المشرف بن أبي البركات ولحق بجبال المصامدة ودخل السلطان من غده الى البلد يوم عرفة فعفا وسكن ونهض منصور ابن أخيه الامير أبو مالك من السوس الى حاحة فدوخ انحاءها ثم سرح اليه المدد من مراكش فأوقعوا بركنة من برابرة السوس وقتل منهم ما يناهز أربعين من سرواتهم وكان فيمن قتل منهم شيخهم حيون بن ابراهيم ثم ان ابنه أبا عامر ضاق ذرعه بسخط أبيه واجلابه فى الخلاف فلحق بتلمسان ومعه وزيره ابن عطوا فاتح سنة ثمان وثمانين فآواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان ولبثوا عنده أياما ثم عطفت السلطان على ابنه رحم كما عطفت ابنه عليه فرضى عنه وأعاده الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطوا الناجم فى النفاق مع ابنه فأبى من اضاعة جواره واخفار ذمته وأغلظ له الرسول فى القول فطابه واعتقله فثارت من السلطان الحفائظ الكامنة وتحركت الاحن القديمة والترات المتوارثة واعتزم على غزو تلمسان والله أعلم

{الخبر عن تجدد الفتنة مع عثمان بن يغمراسن
وغزو السلطان مدينة تلمسان ومنازلته اياها}

كانت الفتنة بين هذين الحيين قديمة من لدن مجالاتهم بالقفر من صحراء ملوية الى صا الى فكيك ولما انتقلوا الى التلول وتغلبوا على الضواحى بالمغرب الاقصى والاوسط لم تزل فتنتهم متصلة وأيام حروبهم فيها مذكورة وكانت دولة الموحدين عند اختلالها والتياثها تستنصر منهم بالتضريب بينهم والفتنة فتكاثرت لذلك أحوالها واتصلت

أيامهما وكان بين يغمراسن بن زيان وأبي يحيى بن عبد الحق فيهما وقائع ومشاهد نقلنا بعضها من كل واستظهر الموحدون بيغمراسن عليه في بعضها وكان الغلب أكثر ما يكون لأبي يحيى عبد الحق لوفور قبيله الا أن يغمراسن كان يتصدى لمقاومته في سائر وقائعه ولما طمس أثر بني عبد المؤمن واستولى يعقوب بن عبد الحق على ملكهم وصارت في جملته عساكرهم وتضاعف عليه وأسف على ملك يغمراسن ملكه وجمع له فأوقع به في تلاغ الواقعة المعروفة ثم أوقع به ثانية وثالثة ولما استوت قدم يعقوب بن عبد الحق في ملكه واستكمل فتح المغرب وسائر أمصاره وكع يغمراسن عن التطاول الى مقاومته ووهن قواه بفل جموعه ومنازلته في داره ومظاهرة أقتاله من زناتة بني توجين ومغراوة عليه فانصرف بعد ذلك الى الجهاد فكان له فيه شغل عما سواه كما نقلناه في أخباره ولما انصرف ارتاب ابن الاحمر بمكان السلطان يعقوب بن عبد الحق من الاندلس وحذره على ملكه وتظاهر مع الطاغية على منعه من الاجازة الى عدوتهم ثم خشوا أن لا يستقلوا بمدافعته فراسلوا يغمراسن في الاخذ بحجزته وأجابهم اليها وجرد عزائمه لها واتصلت أيديهم في التظاهر عليه ثم فسد ما بين ابن الاحمر والطاغية ولم يكن له بد من ولاية يعقوب بن عبد الحق فتولى بواسطة ابنه يوسف بن يعقوب كما ذكرناه وأطلعوه على خبء يغمراسن في مظاهرتهم فأغزاه سنة تسع وسبعين وهزمه بخرزونة ونازله بتلمسان ووطأ عدوه من بني توجين بساحته كما ذكرناه ثم انصرف الى شأنه من الجهاد وهلك يغمراسن بن زيان على تفيئة ذلك سنة احدى وثمانين وأوصى ابنه عثمان ولي عهده زعموا أن لا يحدث نفسه بمقاومة بني مرين ومساماتهم في الغلب وأن لا يبرز الى لقائهم بالصحراء وان يلوذ منهم بالجدران متى سموا اليه وألقى اليه زعموا أن بني مرين بعد تغلبهم على مراكش وانضياف سلطان الموحدين الى سلطانهم ازدادت قوتهم وتضاعف غلبهم وقال له زعموا فيما أوصاه ولا يغرنك اني رجعت اليهم بعدها وبرزت الى لقائهم فاني أنفت ان أرجع عن مقاومتهم بعد اعتيادها وأترك مبارزتهم وقد عرفها الناس وأنت لا يضرك العجز عن مبارزتهم والنكول عن لقائهم فليس لك في ذلك مقام معلوم ولا عادة سالفة واجهد جهدك في التغلب على افريقية وراءك فان فعلت كانت المناهضة وهذه الوصاة زعموا هي التي حملت عثمان وبنيه من بعده على طلب ملك افريقية ومنازلة بجاية وحربهم مع الموحدين ولما هلك يغمراسن ذهب ابنه الى مسالمة بني مرين فبعث أخاه محمدا الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وأجاز البحر اليه بالاندلس ووافاه بأركش في اجازته الرابعة سنة أربع وثمانين فعقد له ما جاء اليه من السلم والمهادنة ورجعه الى أخيه وقومه ممتلئا كرامة وسرورا وهلك

يعقوب بن عبد الحق اثر ذلك سنة خمس وثمانين وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب وانتزى الخوارج عليه بكل جهة فشمر لهم واستنزلهم وحسم أدواءهم ثم خرج عليه ابنه آخرا كما ذكرناه بممالأة وزير السلطان محمد بن عطوا ثم فاء الى طاعة أبيه ورضي عنه وأعاده الى مكانه من حضرته وطالب عثمان بن يغمراسن كما ذكرناه في ابن عطوا المنتزي عليه مع ابنه فأبى عثمان من تسليمه وتحركت حفيظة السلطان واعتزم على غزوهم فارتحل من مراكش لصفر من سنة سبع وثمانين وعقد عليها لابنه الامير أبي عبد الرحمن ثم نهض لغزاته من فاس آخر ربيع من سنته في عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نزل تلمسان فانحجز عثمان وقومه بها ولاذوا منه بجدرانها فسار في نواحيها ينسف الآثار ويخرب العمران ويحطم الزرع ثم نزل بذراع الصابون بساحتها ثم انتقل منه الى تامة وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولما امتنعت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بني يزناتن ونسك الاضحى وقربانه بتازى وتلبث بها ومنها كان فصوله للغزو عند انتقاض الطاغية كما نذكره ان شاء الله تعالى

•(الخبر عن انتقاض الطاغية واجازة السلطان لغزوه)•

لما رجع السلطان من غزو تلمسان وافاه الخبر بأن الطاغية شانجة انتقض ونبذ العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور فأوعز الى قائد المسالح علي بن يوسف بن يزكاسن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين وجاس خلالها وتوغل في أقطارها وأبلغ في النكاية وفصل السلطان من تازى غازيا على اثره في جمادى واحتل قصر مصمودة واستنفر أهل المغرب وقبائله ونفروا وشرع في اجازتهم البحر وبعث الطاغية اساطيله الى الزقاق حجرا دون الاجازة وأوعز السلطان الى قواد اساطيله بالسواحل فأغزاهم والتقت الاساطيل ببحر الزقاق في شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله ثم أغزاهم ثانية وخامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق وملكته أساطيل السلطان فأجاز آخريات رمضان واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا في أرض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى أن بلغ في النكاية والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن العسكر فأفرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب فاتح احدى وتسعين فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن انتقاض ابن الاحمر ومظاهرته للطاغية على طريف اعادها الله للمسلمين)

لما قفل السلطان من غزاته فاتح احدى وتسعين كما ذكرناه وقد أبلغ فى نكاية العدو وأثخن فى بلاده فأهم الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته والتمس الوليجة من دونه وحذر ابن الاحمر غائلته ورأى أن مغبة حاله الاستيلاء على الاندلس وغلبه على أمره ففاوض الطاغية وخلصوا نجيا وتحدثوا أن استمكانه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفافيه لتصرف شوانيهم وسفنهم متى أرادوا فضلا عن الاساطيل وان أم تلك الثغور طريف وأنهم اذا استمكنوا منها كانت ربيئة لهم على بحر الزقاق وكان اسطولهم بمرفاها برصد الاساطيل صاحب المغرب الخائضين لجة ذلك البحر فاعتزم الطاغية على منازلة طريف وزعم له ابن الاحمر بمظاهرته على ذلك وشرط له المدد والميرة لاقوات العسكر ايام منازلتها على ان تكون له ان خلصت وتعاونوا على ذلك واناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف والح عليها بالقتال ونصب الآلات وانقطع عنها المدد والميرة واحتلت أساطيله ببحر الزقاق فحالوا دون الصريخ من السلطان واخوانهم المسلمين واضطر ابن الاحمر معسكره بمالقة قريبا منه وسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات وبعث عسكر المنازلة حصن اصطبونة وتغلب عليه بعد مدة من الحصار واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية فى الصلح والنزول عن البلد فصالحهم واستنزلهم سنة احدى وتسعين ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الاحمر الى تجافى الطاغية عنها للمعاقدة عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان نزل له عن ستة من الحصون عوضا منها ففسد ذات بينهما ورجع ابن الاحمر الى تمسكه بالسلطان واستغاثته به لاهل ملته على الطاغية وأوفد ابن عمه الرئيس أبا سعيد فرج بن اسمعيل ابن يوسف ووزيره أبا سلطان عزيز الدانى فى وفد من أهل حضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف فوافوه بمكانه من منازلة تازوطا كما نذكر بعد فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ثنتين وتسعين باسعاف غرضه من المواخاة واتصال اليد وهلك خلال ذلك قائد المسالح بالاندلس على بن يزكاسن فى ربيع الاول سنة ثنتين وتسعين وعقد السلطان لابنه ولى عهده الامير أبى عامر على ثغور الاندلس التى فى طاعته وعهد له بالنظر فى مصالحها وأنفذه الى قصر المجاز بعساكر فوافاه هنالك السلطان ابن الاحمر كما نذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن وفادة ابن الاحمر على السلطان والتقائهما بطنجة)

لما رجعت الرسل الى ابن الاحمر وقد كرمت وفادتهم وقضيت حاجتهم وأحكمت فى المواخاة مقاصدهم وقع ذلك من ابن الاحمر أجل موقع وطار سرورا من اعواده وأجمع الرحلة الى السلطان لاحكام الود والاستبلاغ فى العذر عن واقعة طريف وشأنها واستعدادهم لاغاثة المسلمين ونصرهم من عدوهم فاعتزم على ذلك وأجاز البحر ذا القعدة سنة ثنتين وتسعين واحتل ببنيونش من ساحة سبتة ثم ارتحل الى طنجة وقدم بين يدى نجواه هدية أتحف بها السلطان كان من أحفلها وأحسنها موقعا لديه فيما زعموا المصحف الكبير أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الاربعة المتبعثة الى الا فاق المختص هذا منها بالمغرب كما نقله السلف كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة فتلقاه الامير أبو عامر هنالك وأخوه الامير أبو عبد الرحمن ابنا السلطان واحتفلا فى مبرته ثم جاء السلطان على اثرهما من حضرته لتلقيه وبرور مقدمه ووافاه بطنجة وبلغ فى تكرمته وبر وفادته مايكرم به مثله وبسط ابن الاحمر العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان عن العذل وأعرض عنه وقبل منه وبر واحتفى ووصل وأجزل ونزل له ابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب ونزل عساكره وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتم ثنتين وتسعين محبورا وأجازت عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد على حربها ومنازلتها الوزيره انطاثر الذكر عمر بن السعود بن الخرباش الجشمى فنازلها مدة وامتنعت فأفرج عنها وصرف السلطان همته الى غزو تلمسان وحصارها كما نذكر ان شاء الله تعالى

الخبر عن انتزاء الوزير الوساطى بحصن تازوطا من جهات الريف واستنزال السلطان اياه

كان بنو الوزير هؤلاء رؤساء بنى واطاس من قبل بنى مرين ويرون ان نسبهم دخيل فى بنى مرين وأنهم من أعقاب على بن يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو ونزلوا على بنى واطاس ورسخت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم ولم يزل السرو متربعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بأنوفهم وكانوا يرون الفتك بالامراء من أولاد عبد الحق فلم يطيقوه ولما احتل السعيد شازى غازيا الى تلمسان كما ذكرناه ولحق ببلدهم الامير أبو يحيى بن عبد الحق ائتمروا فى الفتك به ونذر بشأنهم فارتحل ففروا الى غبولة وعين الصفا من بلاد بنى يزناسن وهنالك بلغه خبر مهلك السعيد وكانت بلاد الريف لبنى واطاس من لدن دخول بنى مرين المغرب واقتسامهم لاعماله فكانت ضواحيها لنزلهم وأمصارها ورعاياها لجباياتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع المعاقل بالمغرب وكان الملوك من أولاد عبد الحق يعتنون بشأنه وينزلونه من أوليائهم من يثقون بغنائه

واطلاعه ليكون آخذا بناصية هؤلاء الرهط وشجا في صدر وردهم عما يسمون اليه وكان
السلطان قد عقد عليه لمنصور ابن أخيه الامير أبي مالك بعد مهلك ابنه أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق وكان عمر بن يحيي بن الوزير وأخوه عامر رئيسين على وطاس
لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان بعد مهلك أبيه وحدثوا أنفسهم بالانتزاء بتازوطا
والاستبداد بتلك الناحية فوثب عمر منهم بمنصور ابن أخي السلطان شهر شوال من سنة
احدى وتسعين وفتك برجاله وذويه وأزعجه عنها وغلبه على مال الجباية الذي كان
بقصره فاستصفاه وتأثر به واستبد وشحن الحصن برجاله وحاشيته ووجوه قومه ووصل
منصور الى السلطان وهلك للبال من مضانه أسفا لما أصابه وسرح السلطان وزيره الغائر
الذكر عمر بن السعود بن خرباش بالعساكر لمنازلته فأناخ عليه ثم نهض السلطان على أثره
ووافاه واضطرب معسكره بساحته وخالف عامر أخاه عمر الى السلطان بقومه حذرا من
مغبة الامر وأشفق عمر لشدة الحصار ويئس من الخلاص وظن أن قد أحيط به ودس
الى أخيه عامر فاستأذن السلطان في مداخلته في الدخول على الحصن فأذن له واحتمل
ذخيرته وفر الى تلمسان وبدا لعامر في رأيه عندما خلص الى الحصن وخلاله من أخيه
عمر الجو وحذر غائلة السلطان وخشي أن يثأر منه بابن أخيه فامتنع بالحصن ثم ندم
وسقط في يده وفي خلال ذلك كان وصول وفد الاندلس وأرسوا أساطيلهم بمرسى
غساسة فبعث اليهم عامر أن يشفعوا له عند السلطان لو جاهتهم لديه فتقبلت شفاعتهم
على شريطة اجازته الى الاندلس وكره ذلك وقدم بين يديه بعض حاشيته الى الاسطول
مكرا بهم وخاض الليل الى تلمسان وتقبض السلطان على ولده وقتا واسلم
أهل الاسطول من كان من حاشيته لديهم وتجافوا عن اجازتهم على السلطان لما مكر
بهم عامر فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم وتملك
السلطان حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلحته وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادى
من سنة ثنتين وتسعين والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

(الخبر عن نزوع أبي عامر ابن السلطان الى بلاد الريف وجهات غمارة)

كان الامير أبو عامر بعد اجازة ابن الاحمر الى السلطان أبيه ورضاه عنه وتأكيد مواخاته
واغراء وزيره بمنازلة طريف واستنزاله أولاد الوزير المنتزين بحصن تازوطا رجع من
قصر مصمودة الى بلاد الريف بايعاز أبيه اليه بتمكين أحوالها وكان أولاد الامير أبي
يحيى بن عبد الحق قد نزعوا الى تلمسان لسعاية فيهم وقرت في صدر السلطان
فأقاموا بها أياما ثم استعطفوا السلطان واسترضوه فرضي وأذن لهم في الرجوع الى
محلهم من قومهم ودولتهم وبلغ الخبر الامير أبا عامر وهو بمعسكره من الريف فأجمع على

اغتيالهم

اغتيالهم فى طريقهم فظن أنه رضى بذلك أباه واعترضهم بوادى القطف من ملوية سنة خمس وتسعين فاستلحمهم وانتهى الخبر الى السلطان فقام فى ركائبه وقعد وتبرأ الى ابنه من اخفار ذمته ومن صنيع ابنه وسخطه وأقصاه فذهب مغاضبا ولحق ببلاد الريف ثم صاعدا الى جبل غمارة فلم يزل طريدا بينهم ونازلته عساكر أبيه لنظر ميمون بن ودرار الحشمى ثم لنظر يرزيكن بن الولاة تاميمونت وأوقع بهم مرارا آخرها بيرزيكن سنة سبع وتسعين وذكر الربحى مؤرخ دولتهم أن خروجه بجبل غمارة كان سنة أربع وتسعين وقتله لأولاد الامير أبى يحيى كان سنة خمس وتسعين بعدها أغزاهم من منوى انتزائه وقتلهم كما ذكرناه والله أعلم ولم يزل هذا دأبه الى أن هلك ببنى سعيد من جبال غمارة سنة ثمان وتسعين ونقل شلوه الى فاس فوورى بباب الفتوح ملحد قومهم هنالك وأعقب ولدين نقلهما السلطان جدهما فكانا الخليفتين من بعده على ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

*(الخبر عن حصار تلمسان الكبير وما تخلل ذلك من الاحداث)

كان عثمان بن يغمراسن بعد افراج السلطان سنة تسع وثمانين وانتقاض الطاغية وابن الاحمر عليه كما قلناه صرف الى ولايتهما وجه تدبيره وأوفد على الطاغية ابن بريدى من صنائع دولته سنة ثنتين وتسعين ووجهه الطاغية مع الريك ريكس رسول من كبار قومه ثم عاد اليه الحاج مسعود من حاشيته ووصل يده بيده يظن ذلك دافعا عنه واعتدها السلطان عليه وطوى له على الغش حتى اذا فرغ من شأن الاندلس وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين لاحدى عشرة من سنى ملكه وارتحل السلطان الى طنجة لمشارفة أحوال الاندلس سنة أربع وتسعين فأجاز اليه السلطان ابن الاحمر ولقيه بطنجة وأحكم معه المواخاة ولما استيقن سكون أحوالها نزل لابن الاحمر عن جميع الثغور التى بها الطاغية وأجمع غزو تلمسان ولحق به بين يدى ذلك ثابت بن منديل المغراوى صريخا على ابن يغمراسن ومستجيشا بقومه فتقبله وأجاره وكان أصاب الناس أعوام ثنتين وتسعين قحط ونالتهم سنة وجنوا لها ثم ان الله رحم خلقه وأدر نعمته وأعاد الناس الى ما عهدوه من سبوغ نعمهم وخصب عيشهم ووفد عليه سنة أربع وتسعين ثابت بن منديل أمير مغراوة مستصرخا به من عثمان بن يغمراسن فبعث من كبار قومه موسى بن أبى حمو الى تلمسان شفيعا فى ثابت بن منديل فرده عثمان أقبح رد وأساء فى اجابته فعاود الرسالة اليهم فى شأنه فلم يزدهم الا اصرارا فاعتزم على غزو بلادهم واستعد لذلك ونهض سنة أربع وتسعين حتى انتهى الى بلاد تاوريرت وكانت تخما العمل بنى مرين وبنى عبد الواد فى جانبها عامل السلطان أبى يعقوب وفى جانبها

بياض بالاصل

الآخر عامل عثمان بن يغمراسن فطرد السلطان عامل ابن يغمراسن واختط الحصن الذى هنالك لهذا العهد وتولاه بنفسه يغادى الفعلة ويراوحهم وأكمل بناءه فى شهر رمضان من سنته واتخذه ثغر المملكة وأنزل بنى عسكر لحياطته وسد فروجه وعقد عليهم لاخيه أبى يحيى بن يعقوب وانكفأ راجعا الى الحضرة ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين غازيا الى تلمسان ومر بوجدة فهدم أسوارها وتغلب على مسيفة والزعاوة وانتهى الى ندرومة ونازلها أربعين يوما ورماها بالمنجنيق وضيق عليها وامتنعت عليه فأفرج عنها ثانى الفطر ثم أغزى تلمسان سنة ست وتسعين وبرز لمدافعته عثمان بن يغمراسن فهزمه وحجزه بتلمسان ونزل بساحتها وقتل خلقا من أهلها ونازلها أياما ثم أقلع عنها وقفل الى المغرب وقضى منسك الاضحى من سنته بتازى فأعرس هنالك لحافدة أبى ثابت بن منديل كان أصهر فيها الى جدها قبل مهلكه سنة ست وتسعين قتيلا بحيرة الزيتون من ظاهر فاس قتله بعض بنى ورتاجن فى دم كان لهم فى قومه فثأر السلطان به من قاتله وأعرس بحافدته وأوعز ببناء القصر بتازى وقفل الى فاس فاتح سنة سبع وتسعين ثم ارتحل الى مكناسة وانكفأ الى فاس ثم نهض فى جمادى غازيا تلمسان ومر بوجدة فأوعز ببنائها وتحصين أسوارها واتخذ بها قصبة ودار السكنى ومسجدا وأوعز الى تلمسان ونزل بساحتها وأحاطت عساكره احاطة الهالة بها ونصب عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار ازدلف اليه الصناع والمهندسون فعملها وكانت توقر على احد عشر بغلا ثم لما امتنعت عليه تلمسان أفرج عنها فاتح سنة ثمان ومر بوجدة فأنزل بها الكتائب من بنى عسكر لنظر أخيه أبى يحيى بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت وأوعز اليهم بترديد الغزاة على أعمال يغمراسن وافسادسابلتها وضاقت أحوالهم ويئسوا من صريخ صاحبهم فأوفدوا على الامير أبى يحيى وفدا منهم يسألون الامان بمن وراءهم من قومهم على أن يمكنوه من قياد بلدهم ويدينوا بطاعة السلطان فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم ودخل البلد بعسا كره وأتبعهم أهل تاونت وأوفد مشيختهم جميعا على السلطان آخر جمادى فقدموا عليه بحضرته وأدوا طاعتهم فقبلها ورغبوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم ابن يغمراسن ووصفوا من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما استنهض السلطان لذلك على ماىذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن الحصار الكبير لتلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما توفرت عزائم السلطان عن النهوض الى تلمسان ومطاولة حصارها الى أن يظفر بها ويقومها واستيقن أنه لا مدافع له عن ذلك نهض من فاس شهر رجب من سنة ثمان

وتسعين بعد أن استكمل حشده ونادى فى قومه واعترض عساكره وأجزل أعطياتهم
وأزاح عللهم وارتحل فى التعبية واحتل بساحة تلمسان ثانى شعبان وأناخ عليها
واضطرب معسكره بفنائها وحجز عثمان بن يغمراسن وحاميتها من قومه وأدار
الاسوار سياجا على عمرانها كله ومن ورائها نطاق الخندق البعيد المهوى ورتب المسالح
على أبوابها وفروجها وسرح عساكره لمحاصرتها فاقتحموها وآتوا طاعتهم وأوفد
مشيختهم وسط شعبان ثم سرح عساكره لمحاصرة وهران وتقرى البسائط ومنازلة
الامصار فأخذت مازونة فى جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وتنس فى شعبان
بعده وتالموت والقصبات وتامزردكت فى رمضان منه وفيه كان فتح مدينة وهران
وسارت عساكره فى الجهات الى أن بلغت بجاية كما نذكره وأخذ الرعب بقلوب الامم
بالنواحى وتغلب على ضواحى مغراوة وتوجين وسارت فيها عساكره ودوختها كتائبه
واقتحمت أمصارها مثل مليانة ومستغانم وشرشال والبطحاء ووانشريس والمرية
وتافركينت وأطاعه زيرى المتزى ببرشك وأتى بيعته وابن علان المتزى بالجزائر
وأزعج الناكثين منهم عن طاعته واستألف أهل الطاعة كما نذكره وحذره الموحدون
من ورائهم بافريقية ملوك بجاية وملوك تونس فخدوا اليه يد المواصلة ولاطفوه
بالمتاحفة والمهاداة كما نذكره وخاطب صاحب الديار المصرية ملك الترك وهاداه
وراجعه كما نذكره ووفد عليه شرفاء مكة بنى نمى كما نذكر وهو فى خلال ذلك مستجمع
للمطاولة بالحصار والتضييق متجافى عن القتال الا فى بعض الايام ولم تبلغ أربعة
أو خمسة ينزل شديد العقاب والسطوة بمن عبرها ويأخذ بالمرصاد على من يتسلل بالاقوات
اليها قد جعل سرداق الاسوار المحيطة ملاكا لامره فى ذلك فلا يخلص اليهم الطيف
ولا يكاد يصل اليهم العيث مدة مقامه عليها الى أن هلك بعد مائة شهر كما نذكره واختط
بمكان فسطاط المعسكر قصر السكناه واتخذ به مسجد الصلاة وأدار عليها السور وأمر
الناس بالبناء فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الانيقة واتخذوا
البساتين وأجروا المياه ثم أمر بادارة السور سياجا على ذلك سنة ثنتين وسبعمائة وصيرها
مصرا فكانت من أعظم الامصار والمدن وأحفلها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق
أسواق واحتفال بناء وتشييد منعة وأمر باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدا
جامعا وشيد له مأذنة رفيعة فكان من أحفل مساجد الامصار وأعظمها وسماها
المنصورة واستبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل اليها التجر بالبضائع من الآفاق
فكانت احدى مدائن المغرب وخربها آل يغمراسن عند مهلكه وارتحال كتائبه بعد
أن كان بنو عبد الواد أشرفوا على الهلاك وأذنوا بالانقراض كما نذكره فتداركهم من

لطف الله ما شأنه أن يتدارك المتورطين في المهالك والله غالب على أمره

(الخبر عن افتتاح بلاد مغراوة وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما أناخ السلطان على تلمسان وتغلب على ضواحي بني عبد الواد وافتتح أمصارهم سما الى التغلب على ممالك مغراوة وبني توجين وكان ثابت بن منديل قد وفد على السلطان بمقر ملكه من فاس سنة أربع وتسعين وأصهر اليه في حافدته فعقد له عليها وهلك ثابت بمكان وفادته من دولتهم وأعرس السلطان بحافدته سنة ست وتسعين كما ذكرنا ذلك من قبل فلما تغلب السلطان على مال بني عبد الواد جهز عساكره الى بلاد مغراوة وعقد عليها لعلي بن محمد من عظماء بني ورتاجن فتغلبوا على الضواحي وشردوا مغراوة الى رؤس المعاقل واعتصم راشد بن محمد بن ثابت بن منديل صهر السلطان بمليانة فنازلوه بها ثم استنزلوه على الامان سنة تسع وتسعين فأوفدوه على السلطان فلقاه مبرة وتكرمة وخلطه بجملة صهره معه ثم افتتحوا مدينة تدلس ومازونة وشرشال وأعطى زيري بن حماد المنتزي على برشك من بلادهم يد الطاعة ووفد على السلطان البيعة واستولوا على ضواحي شلف كلها ولاذت مغراوة بطاعة السلطان وعقد عليهم وعلى جميع بلادهم لعمر بن ويغرن بن منديل فأنف ذلك راشد بن محمد لما كان يراه لنفسه من الاختصاص ولما كانت أخته حظية السلطان وكريمته ونافس عمر بن ويغرن في امارة قومه فلحق بجبال متيجة وأجلب على من هنالك من عمال السلطان وعساكره وانضاش اليه مرضى القلوب من قومه فاعصوصبوا عليه وداخلوا أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وملكوه أمرهم في ربيع من المائة السابعة ثم بيت عمر بن ويغرن بعسكره من أزمور فقتله واستباح العسكر وبلغ الخبر الى السلطان فسرح العساكر من بني مرين وعقد لعلي بن الحسن بن أبي الطلاق على قومه من بني عسكر ولعلي بن محمد الخيري على قومه من بني ورتاجن وجعل الامر شورى بينهما وأشرك معهما عليا الحساني من صنائع دولته وأبا بكر بن ابراهيم بن عبد القوي من أعياص بني توجين وعقد على مغراوة لمحمد ابن عمر بن منديل واشركه معهم وزحفوا الى راشد ولما أحس بالعساكر لجأ الى معقل بني بوسعيد فيمن معه من شيعة مغراوة وأنزل بمازونة عليا وحموا ابني عمه يحيى بن ثابت واستوصاهم بضبط البلد وأنه مشرف عليهم من الجبل وجاءت عساكر السلطان الى بلاد مغراوة فتغلبوا على البسائط وأناخوا بمازونة واضطربوا معسكرهم بساحتها وأخذوا بمخنقها واهتبل علي وقومه غرة معسكر بني مرين فبيتهم سنة احدى وسبعمائة وانفض المعسكر وتقبض على علي بن محمد الخيري ثم امتنعوا عليه وعاد المعسكر الى مكانهم من حصارهم وجهدهم حالهم فنزل اليهم حمو بن يحيى على حكم السلطان وأنفذوه اليه

فتقبض

فتقبض عليه ثم نزل على ثانية من غير عهد فأشخصوه الى السلطان فلقاه مبرة وتكريما تأنيسا لراشد المنتزى بعقله واقتحمت على أهلها عنوة سنة ثلاث فمات منهم عالم واحتملت رؤسهم الى سدة السلطان فرميت فى حفائر البلد المحصور ارهابا لهم وتخذيلا ولما عقد السلطان لأخيه أبى يحيى على بلاد الشرق وسرحه لتدويخ التخوم نازل راشد بعقله من بنى بوسعيد فبيت راشد معسكرهم احدى لياليه فانفضوا وقتل طائفة من بنى مرين ووجد السلطان لها فأمر بقتل على وحوا بنى عمه يحيى ومن كان معتقلا معهما من قومهما ورفعوا على الجذوع وأثبتوهم بالسهام ونزل راشد بعدها عن معقله ولحق بمتيجة وانحاش اليه منيف بن ثابت وأوشاب من مغراوة وتحيز الآخرون الى أميرهم محمد بن عمر بن منديل الذى عقد له السلطان عليهم ثم ناشبت على راشد ومنيف خوارج الثعالبة ومليكش وصمد اليهم الامير أبو يحيى فى عساكره ثانية ونازلهم بعماتهم ورغبوا فى السلم فبذله السلطان لهم وأجاز منيف بن ثابت الى الاندلس فبين اليه من بنيه وعشيره فاستقروا بها آخر الايام ولحق راشد ببلاد الموحدين ووفد محمد بن عمر بن منديل سنة خمس على السلطان فأوسعه حباوتكريما وتمهدت بلاد مغراوة واستبد بملكها السلطان وصرف اليها العمال ولم يزل كذلك الى أن هلك سنة ست والله تعالى أعلم

(الخبر عن افتتاح بلاد توجين وما تخلل ذلك)

لما نازل يوسف بن يعقوب تلمسان وأحاط بها وتغلب على بنى عبد الواد وسما الى تملك بلاد توجين وكان عثمان بن يغمراسن قد غلبهم على مواطنهم وملك جبل وانشريس وتصرف فى بنى عبد القوى بالولاية والعزل وأخذ الاتاوة سنة احدى وسبعمائة وأوعز اليه السلطان ببناء البطحاء التى هدمها محمد بن عبد القوى فبناها وتوغل فى قاصية المشرق ثم انكفأ راجعا الى حضرة أخيه وعطف على بلاد بنى توجين سنة ثنتين وفر بنو عبد القوى الى ضواحيهم بالقفر ودخل الى جبل وانشريس وهدم حصونهم به ورجع الى الحضرة ثم بادر أهل تافركينت سنة ثلاث باتيان طاعتهم وانتقضوا طاعتهم بعدها ثم بعث أهل المرية بطاعتهم السلطان فتقبلها وأوعز ببناء قصبتها وراجع بنو عبد القوى بعد ذلك بصائرهم فدخلوا فى طاعة السلطان ووفدوا عليه بمكانه من المنصورة مدينته المحيطة على تلمسان سنة ثلاث فتقبل طاعتهم ورعى سابقتهم وأعادهم الى بلادهم وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وأوعز ببناء قصبة المرية سنة أربع وكملت سنة خمس وهلك على بن الناصر خلال ذلك فعقد عليهم لمحمد بن عطية الاصم كما ذكرناه فاستمر على الطاعة ثم انتقض سنة ست وحمل قومه على الخلاف وانتبذوا عن الوطن الى أن هلك يوسف بن يعقوب كما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(الخبر عن مراسلة ملوك افريقية بتونس وبجاية لزناتة وأحوالهم معهم)

كان لبنى أبى حفص ملوك افريقية مع زناتة هؤلاء أهل المغرب من بنى مرين وبنى عبد الواد سوابق مذكورة فكان لهم على يغمراسن وبنيه طاعة معروفة يؤدون بيعتها ويخطبون على منابرهم بدعوتها من تغلب الامير أبى زكريا بن عبد الواحد على تلمسان وعقده عليها ليغمراسن واستمرت حالهم على ذلك وكانت لهم أيضا مع بنى مرين ولاية وسابقة بما كان بنو مرين مذ اول أمرهم يخاطبون الامير أبا زكريا ويبعثون له ببيعة البلاد التى يتغلبون عليها مثل مكناسة والقصر ومراكش آخرا ثم صارت مخالصته من لدن عهد المستنصر ويعقوب بن عبد الحق وكانوا يتحفونهم بالمال والهدايا فى سبيل المدد على صاحب مراكش وقد ذكرنا السفارة التى وقعت بينهما سنة خمس وستين وأن يعقوب أوفد عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز ومحمد الكنانى وأوفد عليه المستنصر سنة سبع بعدها كبير الموحدين يحيى بن صالح الهنتاتى فى وفد من مشيخة الموحدين ومعهم هدية سنية ثم أوفد الواثق ابنه سنة تسع وسبعين قاضى بجاية المذكور أبا العباس أحمد الغمارى وأسنى الهدية معه ولم يزل الشأن بينهم هذا الى أن افترق أمر آل أبى حفص وطار الامير أبو زكريا بن الامير أبى اسحق بن يحيى بن عبد الواحد من عشه تلمسان فى وكر عثمان بن يغمراسن وأسف الى بجاية فاستولى عليها سنة ثلاث وثمانين واستضاف اليها قسنطينة وبونة وصيرهما عملا لملكه ونصب لهما كرسيا لامره وأسف عثمان بن يغمراسن لفراره من بلده لما كان عليه من التمسك بدعوة عمه أبى حفص صاحب تونس فشق ذلك عليه ونكره واستمرت الحال على ذلك ولما نزل السلطان يوسف بن يعقوب بمخنق تلمسان وأرسى قواعد ملكه بساحتها وسرح عساكره لالتهام الامصار والجهات وتوجس الموحدون الخيفة منه على أوطانهم وكان الامير أبو زكريا فى جهات تدلس محاميا عن حوزته وعمله ووصل هنالك راشد بن محمد نازعا عن السلطان أبى يعقوب ثم طلعت العساكر على تلك الجهات فى اتباعه فزحف اليه عسكر الموحدين سنة تسع وتسعين بناحية جبل الزاب ففضوا جمعه وأوقعوا به واستلحموا جنوده واستمر القتل فيهم وبقيت عظامهم مثلة بمصارعهم سنين ورجع الامير أبو زكريا الى بجاية فانحصر بها وهلك على تفيئة ذلك على رأس المائة السابعة وقارن ذلك مغاضبة بينه وبين أمير الزواودة لعهده عثمان بن سباع بن يحيى بن دريد بن مسعود البلط فوفد على السلطان أخريات احدى وسبعمائة ورغبه فى ملك بجاية واستقدمه للسير اليها فأوعز الى أخيه الامير أبى يحيى بمكانه من منازلة مغراوة ومليكش والثعالبة بأن ينهض الى أعمال الموحدين وسار عثمان بن سباع وقومه بين يدى العساكر يتقصون الطريق الى

أن تجاوز الامير أبو يحيى بعساكره بجاية واحتمل بشاكرارت من أوطان سدويكش من أعمال بجاية وأطل على بلاد سدويكش وانكفأ راجعا فأوطأ عساكره ساحة بجاية وبها الامير خالد بن يحيى وناشبهم القتال بعض أيام جلا فيها أولياء السلطان أبي البقاء عن أنفسهم وسلطانهم وأمر بروض السلطان المسمى بالبديع فخربه وكان من آنق الرياض وأحفلها وقفل الى مكانه من تدويخ البلاد وأعرض عن أعمال الموحدين وكان صاحب تونس لذلك العهد محمد بن المستنصر الملقب بابي عصيدة بن يحيى الواثق فأوفد على السلطان شيخ الموحدين بدولته محمد بن اكماز يرعاقد أسباب الولاية ومحكما مذاهب الوصلة ومقررا سوابق السلف فوفد في مشيخة من قومه لشعبان سنة ثلاث وناغاه الامير أبو البقاء خالد صاحب بجاية وأوفد مشيخة من أهل دولته كذلك وبر السلطان وفادتهم وأحسن منقلبهم ثم عاد ابن اكماز يرسنة أربع وسبعمائة ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان أبو عبد الله بن يرزيكن في وفد من عظماء الموحدين وأوفد صاحب بجاية حاجبه أبا محمد الرخامي وشيخ الموحدين بدولته عباد بن سعيد بن عثمن ووفدوا جميعا على السلطان ثالث جمادى فأحسن السلطان في تكرمتهم ماشاء ووصلهم الى نفسه بمساكن داره وأراهم أريكة ملكه وأطافهم قصوره ورياضه بعد أن فرشت ونعقت فلا قلوبهم جلالا وعظمة ثم بعثهم الى المغرب ليطوفوا على قصور الملك بفاس ومراكش ويشاهدوا آثار سلفهم وأوعز الى عمال المغرب بالاستبلاغ في تكرمتهم واتحافهم فانتهوا من ذلك الى الغاية وانقلبوا الى حضرته آخر جمادى وانصرفوا الى ملكهم بالحديث عن شأن رسالتهم وكرامة وفدهم ثم أعاد ملوكهم مراسلة السلطان سنة خمس بعدها فوفد أبو عبد الله بن اكماز ير من تونس وعباد بن سعيد من بجاية وأوفد السلطان على صاحب تونس مع رسوله صاحب الفتيا بحضرته الفقيه أبا الحسن التونسي وعلى بن يحيى البركشي رسولين يسألان المدد بأسطوله فقضوا رسالتهم وانقلبوا سنة خمس ووصل بخبرها أبو عبد الله المزدوري من مشيخة الموحدين واقترن بذلك وصول حسون بن محمد بن حسون المكناسي من صنائع السلطان كما أوفده مع ابن عثمن على مراسلة الامير أبي البقاء خالد صاحب بجاية في طلب الاسطول أيضا فرجعوه بالمعاذير وأوفدوا معه عبد الله بن عبد الحق بن سليمان فتلقاهم السلطان بالمبرة وأوعز الى عامله بوهران أن يستبلغ في تكريم عمرة الاسطول فجرى في ذلك على مذهبه وانقلبوا جميعا أحسن منقلب وغنى السلطان عن أسطولهم لفوات وقت الحاجة اليه من منازلة بلاد السواحل اذ كان قد تملكها أيام محاصرتهم بعثه واتصل الخبر بصاحب تلمسان الامير أبي زيان بن عثمان المبايع أيام الحصار عند مهلك أبيه عثمان

ابن يغمراسن آخر سنة ثلاث فبلغه صنيع الموحدين في موالاة عدوه السلطان يوسف ابن يعقوب ومظاهرته بأساطيلهم عليه فأسفهم ذلك وأخرسوا منابرهم عما كانت تنطق به من الدعاء من عهد يغمراسن فلم يراجعوا دعوتهم من بعد وهلك السلطان على تفيئة ذلك والبقاء لله وحده

الخبر عن مراسلة ملوك المشرق الاقصى ومهاداتهم ووفادة أمراء الترك على السلطان وما تخلل ذلك

لما استولى السلطان على المغرب الاوسط بممالكه وأعماله وهنأته ملوك الاقطار واعراب الضواحي والقفار وصلحت السابلة ومشت الرفاق الى الآفاق واستجد أهل المغرب عزما في قضاء فرضهم ورغبوا من السلطان اذنه لركب الحاج في السفر الى مكة فقد كان عهدهم عنها الفساد السابلة واستبحان الدول فبينما السلطان في ذلك آمل اذ داخله لحرم الله وروضة نبيه صلى الله عليه وسلم شوق فأمر بانتساخ مصحف رائق الصنعة كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن واستوسع في جرمه وعمل غشاءه من بديع الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنتظم بخرزات الدر والياقوت وجعلت منها حصاة وسط المعالق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا واستكثر من الاصونة عليه ووقفه على الحرم الشريف وبعث به مع الحاج سنة ثلاث وعني بشأن هذا الركب فسرح معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة من الابطال وقلد القضاء عليهم محمد بن رغبوش من أعلام أهل المغرب وخاطب صاحب الديار المصرية واستوصاه بحاج المغرب من أهل مملكته وأتحفه بهدية من طرف بلاده استكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة يقال المطايا كانت منها أربعمائة حدثني بذلك من لقيته الى ما يناسب ذلك من طرف المغرب وماعونه ونهج بها السبيل للحاج من أهل المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها وعقد السلطان على دلالتهم لابي زيد الغفاري وفصلوا من تلمسان لشهر ربيع الاول وفي شهر ربيع الآخر بعده كان مقدم الحاج الاولين حملة المصحف ووفد معهم على السلطان الشريف لبيدة بن أبي نمي نازعا عن سلطان الترك لما كان تقبض على اخويه حميضة ورميثة اثر مهلك أبيهم أبي نمي صاحب مكة سنة احدى وسبعمائة فاستبلغ السلطان في تكريمه وسرحه الى المغرب ليجول في أقطاره ويطوف على معالم الملك وقصوره وأوعز الى العمال بتكريمه واتحافه على شاكلته ورجع الى حضرة السلطان سنة خمس وفصل منها الى المشرق وصحبه من أعلام المغرب أبو عبد الله موري حاجا واشعبان من سنة خمس وصل أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الآخرين ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان لما اسفهم صاحب مصر بالتقبض على

اخوانهم وكان شأنهم ذلك متى غاظهم السلطان فقد سبق فى أخبار المستنصر بن أبى
حفص مثلها وأهدوا الى السلطان ثوبا من كسوة البيت شغف به واتخذ منه ثوبا للباسه
فى الجمع والاعياد يستطنه بين ثيابه تبركا به ولما وصلت هدية السلطان الى صاحب
مصر لعهده الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى حسن موقعها لديه وذهب الى
المكافأة فجمع من طرف بلاده من الثياب والحيوان ما يستغرب جنسه وشكله
من نوع الفيل والزرافة وأوفد بها من عظماء دولته الامير البيلبى وفصل من القاهرة
أخريات سنة خمس ووصلت الى تونس فى ربيع من سنة ست بعدها ثم كان وصولها الى
سدة السلطان بالمنصورة من البلد الجديد فى جمادى الآخرة واهتز السلطان لقدومها
وأركب الناس الى لقائها واحتفل للقاء هذا الامير البيلبى ومن معه من أمراء الترك
وبر وفادتهم واستبلغ فى تكريمهم نزلا وقرى وبعثهم الى المغرب على العادة فى مبرة
أمثالهم وهلك السلطان خلال ذلك وتقبل أبو ثابت سنة من بعده فى تكريمهم
فأحسن منقلبهم وملأ حقائبهم صلة وفصلوا من المغرب لذى الحجة سنة سبع ولما
انتهوا الى بلاد بنى حسن فى ربيع من سنة ثمان اعترضهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم
وخلصوا الى مصر   الزمن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا التفتوا اليه
وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له ويهادونهم
ويكافئون ولا يزيدون فى ذلك كله على الخطاب شيأ وكان الناس لعهدهم ذلك
يتهمون ان الذين نهبوهم اعراب حصين بدسيسة من صاحب تلمسان أبى حمو لعهدهم
منافسة لصاحب المغرب لما بينهم من العداوات والاحن القديمة (أخبرنى) شيخنا محمد
ابن ابراهيم الابلى قال حضرت بين يدى السلطان وقد وصله بعض الحاج من أهل بلاده
مستصحبا كتاب الملك الناصر بالعتاب عن شأن هؤلاء الامراء وما أصابهم فى طريقهم
من بلاده وأهدى له مع ذلك كوبين من دهن البلسان المختص ببلدهم وخمسة مماليك
من الترك رماة بخمسة أقواس من قسى الغز الموثقة الصنعة من العرى والعقب فاستقل
السلطان هديته تلك بالنسبة الى ما أهدوا الى ملك المغرب ثم استدعى القاضى محمد بن
هدية وكان يكتب عنه فقال له اكتب الآن الى الملك الناصر كما أقول لك ولا تصرف
كلمة عن موضعها الا ما تقتضيه صناعة الاعراب وقل له أما عتابك عن شأن الرسل
وما أصابهم فى طريقهم فقد حضروا عندى   لهم الاستعجال حذرا مما
أصابهم وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الاعراب فكان جوابهم انا جئنا
من عند ملك المغرب فكيف نخاف مغترين بشأنهم يحسبون أن أمره نافذ فى اعراب
فلاتنا وأما الهدية فترد عليك أما دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف الا الزيت

بياض بالاصل :

وحسبنا به دهنا وأما الممالك الرماة فقد انتخبناهم باشبيلية وصرفناهم اليك لتستفتح بهم بغداد والسلام قال لي شيخنا وكان الناس اذ ذاك لا يشكون ان انتهابهم كان باذن منه وكان هذا الكتاب دليلا على ما في نفسه وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون

الخبر عن انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس سعيد على سبتة وخروج عثمان بن العلاء في غمارة

لما أحكم السلطان عقد المهادنة والولاية مع السلطان بن الاحمر المعروف بالفقيه عند اجازته اليه بطنجة سنة ثنتين وتسعين كما ذكرناه وفرغ لعدوه تمسك ابن الاحمر بولايته تلك الى أن هلك سنة احدى وسبعمائة في شهر شعبان منه وقام بالامر الاندلسي من بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله بن الحكيم من مشايخ رندة كان اصطفاه للكتابة أيام أبيه فاضطلع بأموره وغلب عليه وكان هذا السلطان المخلوع ضرير البصر ويقال انه ابن الحكيم فغلب عليه واستبد الى أن قتلهما أخوه أبو الجيوش نصر سنة ثمان كما نذكره وكان من أول آثره عند استيلائه على الامر من بعد أبيه المبادرة الى احكام ولاية السلطان واتصال يده بيده فأوفد اليه لحين ولايته وزير أبيه السلطان أبي عزيز الداني ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم فوصلا الى السلطان بمعسكره من حصار تلمسان وتلقاهما بالقبول والمبرة وجددت له أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرسلهما خير منقلب وتقدم السلطان اليهم في المدد برجل الاندلس وناشبتهم المعودين منازلة الحصون والمناغرة بالرباط فبادروا الى اسعافه وبعثوا حصتهم لحين مرجعهم الى سلطانهم فوصلت سنة ثنتين وسبعمائة وكانت لهم نكاية في العدو وأثر في البلد المحروب ثم بدا لمحمد بن الاحمر المخلوع في ولاية السلطان لمنافسات جرت الى ذلك وبعث الى ادفونش هراندة بن شانجة وأحكم له عقد السلم ولاطفه في الولاية وانعقد ذلك بينهما سنة ثلاث واتصل خبره بالسلطان فسخطه ورجع اليهم حصتهم آخر سنة ثلاث واتصل خبره بالسلطان لسنة من مقدمهم بعد أن أبلوا وأثخنوا وطوى لهم عن البث واعتمل ابن الاحمر وشيعته في الاستعداد لمدافعة السلطان والارصاد لسطوته بهم وأوعز الى صاحب مالقة ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسمعيل بن محمد ابن نصر وليه من دون القرابة بما كان له من الصهر على أخته والمضطلع له بثغر الغربية فأوعز اليه بمداخلة أهل سبتة في خلع طاعة السلطان والقبض على ابن العزفي والرجوع الى ولاية ابن الاحمر وكان أهل سبتة منذ ابراهيم الفقيه أبو القاسم العزفي سنة سبع وسبعين قام بأمرهم ولده أبو حاتم وكان أبو طالب رديفا له في الامر الا أنه استبد عليه بصاغيته الى الرياسة وايثارا أبي حاتم للخمول مع ايجابه حق أخيه الاكبر واجابته الداعي

من دون دفع اليه فاستقام أمرهما مدة وكان من سياستهما من أول أمرهما الاخذ بدعوة السلطان فيما النظر هما والعمل بطاعته والتجافى عن السكنى بقصور الملك والتحرج من أبهة السلطان امكانهم فأنزلوا بالقصبة عبد الله بن مخاص قائدا من البيوتات اصطنعوه وجعلوا اليه أحكام البلد وضبط الحامية له فاضطلع بذلك سنين ثم ادفه يحيى بن أبي طالب ببعض النزعات الرياسية وحجر عليه الاحكام فى ذويه ثم أغرى به أباه وطالبه بحساب الخرج لعطاء الحامية وغفلوا عما وراءها من التظنن فيه والريبة به ثقة بمكانه واستنامة اليه وهم مع ذلك على أولهم فى موالاة السلطان والاخذ بدعوته والوفود عليه فى أوقاته ولما افسدت ولاية ابن الاحمر للسلطان وعقد على محاولة سبتة وجد السبيل الى ذلك عاطوى صاحب الاحكام بالقصبة على البث اذ داخله الرئيس أبو سعيد صاحب الثغر عالقة جاره بسبتة ووعده الغدر ببنى العزفى وأن يحيهم فى أساطيله فشرع الرئيس أبو سعيد فى انشاء الاساطيل البحرية واستنفار الناس للمشاغرة وان العدو عالقة بالمرصاد وشحنها بالفرسان والرجل والناشبة والاقوات وأخفى وجه قصده عن الناس حتى اذا أقلعت أساطيله بت سبتة لسبع وعشرين من شوال سنة خمس وأرسى بساحتها الموعد صاحب القصبة فأدخله الى حصنه فلكه ونشر راياته بأسوارها وسرب جيوشه الى البلد فتسايلوا وركب الى دور بنى العزفى فقبض عليهم وعلى والدهم وحاشيتهم وطار الخبر الى السلطان بغرناطة فوصل الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ونادى فى الناس بالامان وبسط المعدلة وأركب ابن العزفى السفن الى مالقة ثم أجازوا غرناطة وقدموا على ابن الاحمر فأجل قدومهم وأركب الناس الى لقائهم وجلس لهم جلوسا فخما حتى أدوا بيعتهم وقضوا وفادتهم وأنزلوا بالقصور وأجريت عليهم سنية الارزاق واستقروا بالاندلس الى أن صاروا بعد الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة وثقف أطرافها وسد ثغورها وأقام دعوة ابن عمه صاحب الاندلس بانحائها وكان عثمان بن أبي العلاء بن عبد الله بن عبد الحق من أعياص الملك المرينى أجازه عمه البحر اليها أميرا على الغزاة عالقة وقائد العصبتهم فحدث ولاية بنفوه بنصبه للملك بالمغرب وخاطب قبائل غمارة فى ذلك فوقفوا بين الاقدام والاحجام واتصل ذلك كله بالسلطان وهو بمعسكره من حصار تلمسان فاستشاط لها غيظا وحمى أنفه نفرة واستنفره الصريخ فبعث ابنه الامير أبا سالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر وتقدم اليه باحتشاد قبائل الريف وبلاد تازى فأغذ السير اليها وأحاطت عساكره بها فحاصرها مدة ثم بيته عثمان بن أبي العلاء فاختل معسكره وأفرج عنها منهزما فسخطه السلطان وذوى عنه وجه رضاه وسار عثمان بن أبي العلاء فى نواحى سبتة وبلاد غمارة وتغلب على

تكيساس وانتهى الى قصر ابن عبد الكريم فى آخر سنة ست لسنة من استيلائهم على سبتة مقيما رسم السلطان مناديا بالدعاء لنفسه فاعتزم السلطان عند النهوض اليه من أمر تلمسان لما كانت على شفا هلكة ومحاينة انقضاض لولا عوائق الاقدار بهلكه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض بنى كمى من بنى عبد الواد وخروجهم بأرض السوس)

كان هؤلاء الرهط من بنى عبد الواد من بطون بنى على من شعب ايت القاسم وكانوا يرجعون فى رياستهم الى كندوز بن (بياض بالأصل) بن كمى ولما استقل زيان برياسة أولاد على بن ثابت بن محمد من أولاد طاع الله ونفس عليه كندوز هذا ما آتاه الله من الرياسة وجاذبه حبالها واحتقر زيان شأنه فلم يحفل به ثم تأشب عليه اخلاط من قومه وواضعه الحرب وهلك زيان بيد كندوز وقام بأمر أولاد على جابر بن يوسف بن محمد ثم تناقلت الرياسة فيهم الى أن عادت لولد ثابت بن محمد واستقل بها أبو عزة زكار بن زيان ولم تطل أيامه والتحم بين أولاد كمى وبين أولاد طاع الله وتناسوا الاحن وصارت رياسة طاع الله لولد يغمراسن بن زيان واستتبعوا قبائل عبد الواد كافة واعتمل يغمراسن فى الثأر بأبيه زيان من قاتله كندوز فاغتاله بيته دعاه لأدبة جمع بنى أبيه حتى اذا اطمأن المجلس تعاوروه بأسيافهم واحتزوا رأسه وبعثوا به الى أمهم فنصبت عليه القدر ثالث أثافيها تشفيا منه وحفيظة وطالب يغمراسن بقية بنى كندوز ففروا أمام مطالبته وأبعدوا المذهب ولحقوا بالامير أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص فأقاموا بسدته أحوالا وكانوا يرجعون فى رياستهم لعبد الله بن كندوز ثم تذكروا عهد البداوة وحنوا الى عشير زناتة فراجعوا المغرب ولحقوا ببنى مرين اقتالهم ونزل عبد الله بن كندوز على يعقوب بن عبد الحق خير نزل فلقاه من البر والترحيب بما ملأ صدره وأكد غبطته وأقطعه بناحية مراكش الكفاية له ولقومه وأنزلهم هنالك وجعل انتجاع ابله وراحلته لحسان بن أبى سعيد الصبيحى وأخيه موسى من ذويهم وحاشيتهم وألطف منزلة عبد الله ورفع مكانه بمجلسه واكتفى به فى كثير من أموره وأوفده على المستنصر صاحب افريقية سنة خمس وستين مع عامر بن أخيه ادريس كما قدمناه واستقر بنو كندوز هؤلاء بالمغرب الاقصى واستمرت الايام على ذلك وصاروا من جملة قبائل بنى مرين وعدادهم وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم لعمر ابنه من بعده ولما الفت السلطان يوسف بن يعقوب بعزائمه الى بنى عبد الواد ونازل تلمسان وطاول حصارها واستطال بنو مرين وذووهم على بنى عبد الواد وأحسوا بهم أخذتهم العزة بالاثم وأدركتهم النعرة فأجمع بنو كندوز هؤلاء الخلاف والخروج على السلطان

ولحقوا بجاحة سنة ثلاث وسبعمائة واحتفل الامير بمراكش يعيش بن يعقوب لغزوهم سنة أربع وسبعمائة فناجزوا الحرب بتادرت واستمروا على خلافهم ثم قاتلهم يعيش وعساكره ثانية بتامطريت سنة أربع فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم وأوهت من رياستهم وقتل جماعة من بني عبد الواد بزعار وتاكماو وأثخن يعيش بن يعقوب في بلاد السوس وهدم تارودانت قاعدة أرضها وأم قراها كان بها عبد الرحمن ابن الحسن بن يدر بقية الامراء على السوس من قبل عبد المؤمن وقد مر ذكرهم وكانت بينه وبين عرب المعقل من الشبانات وبني حسان منذ انقرضت دولة الموحدين حرب سجال هلك في بعضها عمه على بن يدر سنة ثمان وستين وصارت امارته بعد حين الى عبد الرحمن هذا ولم يزل الوافى حربه الى أن تملك السوس يعيش بن يعقوب وهدم تارودانت قاعدة أرضها ثم راجع عبد الرحمن أمره وبنى بلده تارودانت هذه سنة ست بعدها ويزعم بنو يدر هؤلاء انهم مستقرون بذلك القصر من لدن عهد الطوالع من العرب وانهم لم يزالوا أمراء به تعقد لهم ولايته كابرا عن كابر ولقد أدركت على عهد السلطان أبي عنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخا كبيرا من ولد عبد الرحمن فحدثني بمثل ذلك وانهم من ولد أبي بكر الصديق رضى الله عنه والله أعلم ولم يزل بنو كندوز مشردين بصحراء السوس الى أن هلك السلطان وراجعوا طاعة الملوك من بني مرين من بعده وعفوا لهم عما سلف من هذه الجريمة وأعادوهم الى مكانهم من الولاية فأمحضوا النصيحة والمخالصة الى هذا العهد كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك المشيخة من المصامدة بتلبيس أبي الملياني)

قد ذكرنا شأن أبي على الملياني وأوليته في أخبار مغراوة الثانية وما كان من ثورته بمليانة وانتزائه عليها ثم ازعاج العساكر اياه منها ولحاقه بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين وما أحله من مراتب التكرمة والمبرة وأقطعه بلد أغمات طعمة فاستقر بها وما كان منه في العبث باشلاء الموحدين ونبش أجداثهم وموجدة السلطان والناس عليه وأرصدله المصامدة الغوائل لما كان منه في ذلك ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جباية المصامدة فلم يضطلع بها وسعى به مشيختهم عند السلطان انه احتجر المال لنفسه وحاسبوه فصدقوه السعاية فاعتقله السلطان وأقصاه وهلك سنة ست وثمانين واصطنع السلطان أحمد ابن أخيه واستعمله في كتابته وأقام على ذلك ببابه في جملته وكان السلطان سخط على مشيخة المصامدة على بن محمد كبير هنتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير كرمتة وأوعز الى ابنه الامير على بمراكش باعتقالهما فاعتقلهما فبين أهلهما من الولد والحاشية وأحس بذلك أحمد بن الملياني فاستعجل الثار وكانت

العلامة السلطانية على الكتاب فى الدولة لم تختص بكاتب واحد بل كل منهم يضع العلامة بخطه على كتابه اذا أكمله لما كانوا كلهم ثقاتا امناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط فكتب أحمد بن الملياني الى ابن السلطان الامير بمراكش سنة سبع وتسعين كتابا عن أمر أبيه يأمره فيه بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليها العلامة التى تنفذ بها الاوامر وختم الكتاب وبعث به مع البريد ونجا بنفسه الى البلد الجديد وعجب الناس بشأنه ولما وصل الكتاب الى ابن السلطان بمراكش أخرج أولئك الرهط المعتقلين من المصامدة الى مصارعهم وقتل على بن محمد وولده وعبد الكريم بن عيسى وولده عيسى وعلى ومنصور وابن أخيه عبد العزيز وطير الامير وزيره الى أبيه بالخبر فقتله لحينه حنقا عليه وأنفذ البريد باعتقال ابنه وبحر دعلى ابن الملياني ففقد ولحق بتلمسان ونزل على آل زيان ثم لحق من بعدها بالاندلس عند افراج السلطان عنها فى تلك السنة كما ذكرناه وبها هلك واقتصر السلطان من يومئذ فى علامته على من يختاره من صنائعه ويثق بأماناته وجعلها لذلك العهد لعبد الله بن أبى مدين خالصته المضطلع بأمور مملكته فاختصت من بعده لهذا العهد والله تعالى أعلم

بياض بالأصل

كان السلطان يعقوب فى صباه مؤثر اللذاته ومستترا بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق لمكانه من الدين والوقار وكان يشرب الخمر ويعاقر بها الندمان وكان خليفة بن وقاصة من اليهود المعاهدين بفاس قهرمانا لداره على عادة الامراء فى مثله من المعاهدين فكان يزدلف اليه بوجوه الخدم ومذاهبها فاستعمله هذا الامير فى اعتصارها والقيام على شؤنها فكانت له بذلك خلوة منه أوجبت له الحظ عنده حتى اذا هلك يعقوب بن عبد الحق واستقل ابنه يوسف باعباء ملكه واتصلت خلواته فى معاقرة الندمان وانفرد ابن وقاصة بخلوته لذلك مع ما كان من القهرمة عظمت رياسته وعلا كعبه فى الدولة وتلقى الخاصة الاوامر منه فصار له الوجه بينهم وعظم قدره بعظم الدولة (أخبرنى) شيخى الابلى قال وكان لخليفة هذا أخ يسمى ابراهيم وابن عم يسمى خليفة انبزوه بالصغير لمكانه هو من هذا الاسم وكان له صهر يعرفون ببنى السبتى كبيرهم موسى وكان رديفه فى قهرمته فلم يفق السلطان من نشوة صباه وملهاه حتى وجدهم على حال استتبعوا فيها الغيلة من القبيل والوزراء والشرفاء والعلماء فأهمه ذلك وترصدهم وتفطن بمذهبه فيهم خالصته عبد الله بن أبى مدين فسعى عنده فيهم وأوجد السبيل عليهم فسطا بهم سطوة واحدة واعتقلوا فى شعبان من سنة احدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه ابراهيم وموسى بن السبتى واخوته بعد أن امتحنوا ومثل

بهم وأتت النكبة على حاشيتهم وذويهم وأقاربهم فلم تبق منهم باقية واستبقى منهم خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ما نذكره وعبث بسائرهم وطهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرة رياستهم والامور بيد الله سبحانه

* (الخبر عن مهلك السلطان أبي يعقوب) *

كان في جملة السلطان وحاشيته مولى من العبيد الخصيان من موالي أبي الملياني يسمى سعادة صار الى السلطان من لدن استعماله اياه بمراكش وكان شيخا من الجهل والغباوة بمكان وكان السلطان يخالط الخصيان بأهله ويكشف لهم الحجاب عن ذوات محارمه ولما كانت واقعة العزفي ولاه واتهم بمداخلة بعض الحرم وقتل بالظنة واستراب السلطان بكثير من حاشيته الملابسين لداره اعتقل جملة من الخصيان كان فيهم عنبر الكبير عريفهم وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وسولت لهذا الخصي الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو في بعض الحجر من قصره وآذنه فأذن له فألفاه مستلقيا على فراشه مختضبا بالحناء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الاولياء في اثره فأدركه من العشي بناحية تاسلة فتقبض عليه وسيق الى القصر فقتله العبيد والحاشية وصابر السلطان ميتته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بجامع سلفه والبقاء لله وحده

* (الخبر عن ولاية السلطان أبي ثابت) *

كان الامير أبو عامر بن السلطان أبي يعقوب وولي عهده لما هلك طريدا ببلاد بني سعيد بغمارة والريف سنة ثمان وتسعين كما ذكرنا خلف ولديه عامرا وسليمان في كفالة السلطان جدهما فكان لهما بعينه حلاوة وفي قلبه لوطة لمكان حبه فيهما واغترابه عنه فحدب عليهما وآثرهما من نفسه بمكان وكان الامير أبو ثابت عامر أصغر قومه اقداما وشجاعة وجراءة وكانت له في بني ورتاجن خؤولة فطين مهلك السلطان عرضوا له ودعوه للبيعة فبايعوه وحضر لها الامير أبو يحيى بن يعقوب عم أبيه عن مجتمعهم اتفاقا وحملوه على الطاعة وكان أقرب للامر منه لو حضره رجال فأعطى القياد في المساعدة وطوى على البث وبادر الحاشية والوزراء بالبلد الجديد عند مهلك السلطان فبايعوا ابنه الامير أبا سالم وكاد أمر بني مرين أن يفترق وكلمتهم أن تفسد فبعث الامير أبو ثابت حينه الى تلمسان للامير أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن وعقد لهما حلفا على الافراج عنهم ثم أمره أن يمده بالآلة ورفعا له كسر البيت ان كان غيره ما أمل وحضر للعقد أبو حمو فأحكمه ومال أكثر بني مرين وأهل الحل والعقد الى الامير أبي ثابت وتفرد

ببيعة أبي سالم البطانة والوزراء والحاشية والاجناد ومن لافهم أو كان بالبلد الجديد
مسكنه وأشاروا عليه بالمناجزة فخرج وقد عبى كتائبه فوقف وتهيب وخام عن اللقاء
ووعدهم الاقدام بالغداة وكر راجعا الى قصره فيئسوا منه وتسللوا اذا الى الامير
أبي ثابت وهو بمرقب من الجبل مطل عليهم حتى اذا انحجر أبو سالم بالبلد انحاش اليه
الجملة دفعة واحدة فلما استوفت القبائل والعساكر لديه زحف الى البلد الجديد مثوى
السلطان وسياج قصوره ومختط عزه وانتهى الى ساحتها مغتنما الفرصة وخرج اليه
أبو زيد مخلف بن عمران الفودودى فارجل عن فرسه بأمر أبي يحيى وقتل بين يديه
قعصا بالرماح وكان قريب عهد بالوزارة استوزره السلطان قبيل مهلكه في
شعبان من سنة ست وفر أبو سالم الى جهة المغرب وصحبه من عشيره من أولاد رحو
ابن عبد الله بن عبد الحق العباس وعيسى وعلى ابنا رحو وابن أخيهم جمال الدين بن
موسى وأتبعهم الامير أبو ثابت شرذمة من عسكره أدركوهم بندرومة فتقبضوا
عليهم ونفذ أمر السلطان بقتل أبي سالم وجمال الدين واستبق الآخرين وأمر
باحراق باب البلد ليقتحها العسكر فأطل عليهم قهرمان دارهم عبد الله بن أبي مدين
الكاتب وأخبره بفرار أبي سالم و باتفاق الناس على طاعته و رغب اليه في المسالمة
ليلتهم حتى يتفجر الصباح خشية على دارهم من معرة العساكر وهجوم ها ففعل وأمره
الامير أبو يحيى باعتقال أبي الحجاج ابن تفلولة فاعتقله لقديم من العداوة كان بينهما
ثم أمر بقتله وانفاذ رأسه فقتل وأمر السلطان ليلتئذ باضرام النيران حتى اذا أضاء
الظلام و بات راكبا ودخل القصر لصبحه فوارى جسده بعد أن صلى عليه وغص بمكان
الامير أبي يحيى لما تهدد فيه الترشيح وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبد الحق بن
عثمان بن الامير أبي يفرن محمد بن عبد الحق ومن حضره من الوزراء مثل ابراهيم بن عبد
الجليل الونكاسي وابراهيم بن عيسى اليرنياني وغيرهما من الخاصة فأشاروا بقتله
ونميت عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته وابتغاء العصابة لامره وركب
الامير أبو يحيى الى القصر ثالث البيعة فأخذ السلطان بيده ودخل معه الى الحرم
لعزائهن عن أخيه السلطان ثم خرج على الخاصة وتخلف عنه السلطان وقد دس الى
عبد الحق بن عثمان أن يتقبض عليه ففعل ثم برز السلطان اليهم وهو موثق فأمر
بالاجهاز عليه ولم يمهله والحق به يومئذ وزيره عيسى بن موسى الفودودى وفشا الخبر
بمهلك هؤلاء الرهط فرهب منه القرابة وفر يعيش بن يعقوب أخو السلطان وابنه عثمان
المعروف بأمه قضيبت ومسعود بن الامير أبي مالك والعباس بن رحو بن عبد الله بن
عبد الحق ولحقوا جميعا بعثمان بن أبي العلاء بمكانه من غمارة وخلا الجو من المرشحين

واستبد السلطان بملك قومه وأمن غوائل المنازعين ولما تم له الامر واستوسق أمر الملك وفى لبنى عثمان بن يغمراسن بالافراج عنهم ونزل لهم عن جميع البلاد التى صارت الى طاعته من بلاد المغرب الاوسط من أعمالهم وأعمال بنى توجين ومغراوة ودعاه الى بدار المغرب ما كان من اختلال عثمان بن أبى العلاء بن عبد الله بن عبد الحق بسبتة ودعائه لنفسه بين يدى مهلك السلطان وخروجه الى بلاد غمارة واستيلائه على قصر كتامة فاعتزم على الرحلة الى المغرب وفوض الامر فى الرحلة بأهل المدينة الجديدة للوزير ابراهيم بن عبد السلام لما كانت حينئذ غاصة بالساكن مستبحرة فى الاعتمار ممتلئة من الخرثى والآلة فأحسن السياسة فى أمرهم وضرب لهم الآجال والمواعيد الى أن استوفوا الرحلة وتركوها قواء خربها بنو عثمان بن يغمراسن عند رحلة بنى مرين الى المغرب وتحينوا الذلات بترات الفتن فطمسوا معالمها طامسا ونسفوها انسفا وقدم السلطان بين يديه من قرابته الحسن بن عامر بن عبد الحق النجوت فى العساكر والجنود وعقد له على حرب ابن أبى العلاء وتلوم بالبلد الجديد لموافاة المسالح التى كانت بثغور المشرق ولما نزل عنها جميعا لبنى عثمان بن يغمراسن ارتحل غرة ذى الحجة ودخل فاس فاتح سبع وسبعمائة والله أعلم

لما فصل أبو ثابت عن معسكرهم بتلمسان الى المغرب قدم بين يديه من قرابته الحسن
بياض بالأصل ابن عامر بن عبد الحق النجوت ابن السلطان ... فى العساكر والجنود وعقد له على حرب عثمان بن أبى العلاء كما ذكرناه وعقد على بلاد مراكش ونواحيها لابن عمه الآخر يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وعهد له بالنظر فى أحوالها فصعد اليها واتصل بها ثم حدثته نفسه بالانتزاء فقتل الوالى بمراكش واستركب واستلحق واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على والى البلد فقتل بالسوط فى جمادى سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه واتصل الخبر بالسلطان لاول قدومه فسرح اليه وزيره يوسف ابن عيسى بن السعود الحشمى ويعقوب بن اصناك فى خمسة آلاف من عساكره ودفعهم الى حربه وخرج فى اثرهم بكتائبه وبرز يوسف بن أبى عياد وأجاز وأمام الربيع فانهزم أمام الوزير وعساكره واتبعه الوزير ففر الى اغمات ثم فر الى جبال هسكورة ولحق به موسى بن سعيد الصبيحى من أغمات تدلى من سورها ودخل الوزير يوسف الى مراكش ثم خرج اثره ولحقه فكانت بينهما جولة وقتل منهم خلق ولحق بهسكورة ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وأمر بقتل أوربة المداخلة كانوا له فى انتزائه فاستلحموا ولما لحق يوسف بن أبى عياد بال

عسكورة ونزل على مخلوف بن هنو اوتذمم بجواره فلم يجره على السلطان وتقبض عليه واقتاده الى مراكش مع ثمانية من أصحابه تولوا كبر ذلك الامر فقتلوا فى مصرع واحد بعد ان مثل بهم السلطان بالسياط وبعث برأس يوسف الى فاس فنصب بسورها وأثخن القتل فيمن سواهم ممن داخله فى الانتزاء فاستلحم منهم أمم بمراكش وأغمات وسخط خلال ذلك وزيره ابراهيم بن عبد الجليل فاعتقله واعتقل عشيره من بنى دولين ومن بنى ومكاسن وقتل الحسن بن دولين منهم ثم عفا عنهم وخرج منتصف شعبان الى منازلة السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فتلقاه السكسيوى بطاعته المعروفة واسنى الهدية فتقبل طاعته وخدمته ثم سرح قائده يعقوب بن آصناد فى اتباع زكنة حتى توغل فى بلاد السوس ففروا أمامه الى الرمال وانقطع أثرهم ورجع الى معسكر السلطان وانكفأ السلطان بعساكره الى مراكش فاحتل بها غرة رمضان ثم قفل الى فاس بعد أن قتل جماعة من بنى ورا وجعل طريقه فى بلاد صنهاجة وسار فى بلاد تامسنا وتلقاه عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبنى جابر والعاصم فاستصحبهم الى آنفا وتقبض على ستين من أشياخهم فاستلحم منهم عشرين ممن نمى عنه افساد السابلة ودخل رباط الفتح أخريات رمضان فقتل هنالك من الاعراب أمة ممن تؤثر عنه الحرابة ثم ارتحل منتصف شوال لغزو رياح أهل آزغار والهبط واثار بالاحن القديمة فأثخن فيهم بالقتل والسبى وقفل الى فاس فاحتل بها منتصف ذى القعدة وجاء الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان واستلحام الروم من عساكره ومهلك عبد الواحد الفودودى من رجالات دولته وأن عثمان بن أبى العلاء قد استفحل أمره بجهات غمارة فأجمع لغزوه والله أعلم

﴿الخبر عن غزاة السلطان لمدافعة عثمان بن أبى العلاء ببلاد الهبط ومهلكه بطنجة بعد ظهوره﴾

لما ملك الرئيس أبو سعيد فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر سبتة سنة خمس وسبعمائة وأقام بها الدعوة لابن عمه المخلوع محمد بن محمد الفقيه ابن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر كما ذكرناه وأجاز معه رئيس الغزاة المجاهدين بعمل امارته من مالقة عثمان بن أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق من أعياص هذا البيت كان مرشحا للملك فيهم واستقدمه معه ليفرق به الكلمة فى المغرب بفتنة الدولة مدافعة عن سبتة لما كان هاج السلطان قومه فأخذها واستقام ملكها وطمع عثمان فى ملك المغرب بامدادهم ومظاهرتهم وسولت له نفسه ذلك فخرج من سبتة وولى على جيش الغزاة بعده عمر ابن عمه رحو بن عبد الله ونجم هو ببلاد غمارة فدعا لنفسه واجابته القبائل

منهم واحتل بحصن علودان من أمنع معاقلهم وبايعوه على الموت ثم نهض الى أصيلا والعرايش فغلب عليها واتصل ذلك كله بالسلطان الهالك أبى يعقوب فلم يحرّكه استهانة بأمرهم وبعث ابنه أباسالم بالعساكر فنازل سبتة أياما ثم أقلع عنها وبعث بعده اخاه يعيش بن يعقوب وأنزله طنجة وجمر معه الكتائب وجعلها ثغرا وزحف اليه عثمان بن أبى العلاء فتأخر عن طنجة الى القصر ثم اتبعه فخرج اليه أهل القصر فرسانا ورجالا ورماة مع يعيش فوصلوا الى وادى وراء ثم انهزموا الى البلد ومات عمر بن ياسين ونزل عثمان عليهم القصر أياما ثم دخله من غده ثم كان مهلك السلطان وفرّ يعيش بن يعقوب خيفة من أبى ثابت فلحق بعثمان بن أبى العلاء واستقام أمره بتلك الجهات برهة وكان السلطان أبو ثابت لما احتل بالمغرب شغله ما كان من انتزاء يوسف بن أبى عياد بمراكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبى العلاء مكان عمه يعيش بن يعقوب لعبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق من رجال بيته فزحف اليه ونهض عثمان الى لقائه منتصف ذى الحجة سنة سبع فهزمه واستلحم من كان معه من جند الروم وهلك فى تلك الوقعة عبد الواحد الفودودى من رجالات السلطان المرشحين ردفاء الوزارة وسار عثمان الى قصر كتامة فنزله واستولى على جهاته وعلى تفيئة ذلك كان رجوع السلطان من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحا أثر النفاق فاعتزم على الحركة الى بلاد غمارة يمحو منها أثر دعوة ابن أبى العلاء التى كادت تلج عليه ممالكه بالمغرب ويرده على عقبه ويستخلص سبتة من يد ابن الاحمر لما صارت ركابا لمن يروم الانتزاء والخروج من القرابة والاعياص المستقرين وراء البحر غزاة فى سبيل الله فنهض من فاس منتصف ذى الحجة من سنة سبع ولما انتهى الى قصر كتامة تلوم به ثلاثا حتى توافت عساكره وحشوده وكمل اعتراضها وفرّ عثمان بن أبى العلاء أمامه وارتحل السلطان فى اتباعه فنازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ثم نازل بلد الدمنة واقتحمها وأثخن فيها قتلا وسبيا لتمسكهم بطاعة ابن أبى العلاء ومظاهرتهم له ثم كبس القصر واستباحه ثم ارتحل الى طنجة واحتل بها غرة شعبان وانحجر ابن أبى العلاء بسبتة مع أوليائه وسرّح السلطان عساكره فتفرقت نواحى سبتة بالاكتساح والغارة وأمر باختطاط بلد تيطاوين لنزول معسكره والاخذ بمخنق سبتة وأوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبى الصبر اليهم فى شأن النزول له عن البلد وفى خلال ذلك اعتل السلطان فمرض وقضى أياما قلائل وهلك فى ثامن صفر من سنته ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فووري هنالك رحمة الله عليه وعليهم

(الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه على بن السلطان أبى يعقوب المعروف بأمه رزيكة وخلص الملأ من بنى مرين أهل الحل والعقد الى أخيه الربيع فبايعوه وتقبض على عمه على بن رزيكة المستام للامرة فاعتقله بعضه الى أن هلك بها سنة عشر لهادى وبث العطاء فى الناس وأجزل وارتحل نحو فاس واتبعه عثمان بن أبى العلاء فى جيش كثيف وبيته وقد نذر به العسكر فأيقظوا الليلتهم ووافاهم على الظهر بساحة علودان فناجزهم الحرب وكانت الدائرة على عثمان وقومه وتقبض على ولده وكثير من عساكره وأثخن أولياء السلطان فيهم بالقتل والسبى وكان الظهور الذى لا كفاء له ووصل أبو يحيى بن أبى الصبر الى الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح وقد كان ابن الاحمر جاء للقاء السلطان أبى ثابت ووصل الى الجزيرة الخضراء فأدركه خبر مهلكه فتوقف عن الجواز وأجاز ابن أبى الصبر باحكام الموافاة واجتاز عثمان بن أبى العلاء الى العدوة فيمن معه من القرابة فلحق بغرناطة وأغذ السلطان السير الى حضرته فدخل فاس آخر ربيع من سنة ثمان واستقامت الامور وتمهد الممالك وعقد السلم مع صاحب تلمسان موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته وكانت أيامه خير أيام هدنة وسكونا وترفا لاهل الدولة وفى أيامه تغالى الناس فى أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس فى البناء فعالوا الصروح واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش وتناغوا فى لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والترف والسلطان وادع بداره متملى أريكته الى أن هلك كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

أخبار بني أبي شعيب

كان أبو شعيب بن مخلوف من بنى أبى عثمان من قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير وكان منتحلا للدين ومشتهرا به ولما أجلب بنو مرين على المغرب وجالوا فى بسائطه وتغلبوا على ضواحيه صحب البر منهم البر والفاجر من أهل مثله وكان بنو عبد الحق قد تميزوا لابى شعيب هذا فيمن تميزوه للصحابة من أهل الدين فكان امام صلاتهم وكان يعقوب بن عبد الحق أشدهم صحابة له وأوفاهم به ذماما فاتصل به حبله واتصلت صحابته وعظم فى الدولة قدره وانبسط بين الناس جاه ولده وأقاربه وحاشيته وربى بنو شعيب هذا عبد الله ومحمد المعروف بالحاج وأبو القاسم ومن بعدهم من اخوتهم بقصر كتامة فى جو ذلك الجاه وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستخلصهم يوسف بن عبد الحق لخدمته واستعملهم على مختصاته ثم ترقى بهم فى رتبة خدمته وأخصائه درجة بعد

أخرى الى أن هلك أبوهم أبو مدين شعيب سنة سبع وتسعين وكان المقدم منهم عند السلطان عبد الله فارتقى على ثنيات العز والوزارة والخلة والولاية وتقدم لحظوته في مجلسه كل حظوة واختصه بوضع علامته على الرسائل والاوامر الصادرة عنه وجعل اليه حسبان الخراج والضرب على أيدى العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاة الخلوات والافضاء بذات الصدور رفوقف به الاشراف من الخاصة والقبيل والقرابة والولد وسوّدوه وخطبوا نائله وكان عمرا واستعمل مع ذلك أخاه محمدا على جباية المصامدة بمراكش وهنأ أبا القاسم الدعة بفاس فأقام بها ممتدا راحته عريضا جاهه طاعما كاسيا تتسرب اليه أموال العمال في سبيل الاتحاف وتقف ببابه صدور الركائب الى أن هلك السلطان أبو يوسف ويقال ان له خائنة في دمه مع سعاية المليانى ولما ولى السلطان أبو ثابت ضاعف رتبته وشفع لديه حظه ورفع على الاقدار قدره ثم ولى من بعده أخوه أبو الربيع فتقبل فيه مذاهب سلفه وكان بنو وقاصة اليهودى حين نكبوا بانتزاع كبتهم لمكانه من اصدار الاوامر ويزعمون ان له فيهم سعاية وكان خليفة الاصغر منهم قد استبقى كما ذكرناه فلما أفضى الامر الى السلطان أبى الربيع استعمل خليفة بداره في بعض المهن وباشر الخدم حتى اتصل بمباشرة السلطان فجعل غايته السعاية بعبد الله بن أبى مدين وكان يؤثر عن السلطان أبى الربيع بأنه لا تؤمن بوائقه مع حرم ذويه وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدس الى السلطان أن عبد الله بن أبى مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته وان صدره وغل بذلك وأنه مترصد بالدولة وكان يخشى الغائلة بما كان عليه من مداخلة القبيل ولما كان داعيته من دواعى آل يعقوب فتعجل السلطان دفع غائلته واستدعاه صبيحة زفاف بنته زعموا عن زوجها فاستحثه قائد الروم بقبرة ابى يحيى بن العربى فطعنه القائد هنالك من ورائه طعنة أكبته على ذقنه واحتز رأسه وألقاه بين يدى السلطان ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجده بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة واسفا وأيقظ السلطان لمكر اليهودى فوقفه على براءة كان ابن أبى مدين بعثها للسلطان معه بالنصل والحلف فتيقظ وعلم مكر اليهودى به فندم وفتك لحينه بخليفة بن وقاصة وذويه من اليهود المتصدين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فأصبحوا مثلا للآخرين والله أعلم

(الخبر عن ثورة أهل سبتة بالاندلسيين ومراجعتهم طاعة السلطان)

لما قفل السلطان أبو الربيع من غزاة سبتة بعد أن شرد عثمان بن أبى العلاء وأجهضه بسبتة وأجازهم الى العدوة ومن كان معه من القرابة كما قلناه بلغه الخبر بخبر

أهل سبتة ومرض قلوبهم من ولاية الاندلسيين وسوء ملكتهم ودس اليه بعض أشياعه بالبلد بمثل ذلك فأغزى صنيعته تاشفين بن يعقوب الوطاسى أخا وزيره فى عساكر ضخمة من بنى مرين وسائر الطبقات من الجند وأوعز اليه بالتقدم الى سبتة ومنازلتها فأغذ اليها السير ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد ثمت وتنادوا بشعارهم وثاروا على من كان بينهم من قواد ابن الاحمر وعماله وأخرجوا منها حاميته وجنوده واقتحمها العساكر واحتل بها تاشفين بن يعقوب عاشر صفر من سنة تسع وطير بالخبر الى السلطان فعم السرور وعظم الفرح وتقبض على قائد القصبة أبى زكريا يحيى بن ملية وعلى قائد البحر أبى الحسن بن كماشة وعلى قائد الحروب بها من الاعياص عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق كان صاحب الاندلس عقد له مكان ابن عمه عثمان بن أبى العلاء عند اجازته البحر الى الجهاد كما ذكرناه وكتب الى السلطان بالفتح وأوفد عليه الملأ من مشيخة أهل سبتة وأهل الشورى وبلغ الخبر الى ابن الاحمر فارتاع لذلك وخشى عادية السلطان وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وقد كان الطاغية فى تلك الايام نازل الجزيرة الخضراء وأقلع عنها على الصلح بعد أن أذاقها من الحصار شدة وبعد أن نازل جبل الفتح فتغلب عليه وانهزم زعيم من زعمائه يعرف بالفنش بيرس هزمه أبو يحيى بن عبد الله بن أبى العلاء صاحب الجيش عالقة لقيه وهو يجوس خلال البلاد بعد تملك الجبل فهزم النصارى وقتل أبرح وأهم المسلمين شأن الجبل فبادر السلطان أبو الجيوش بانفاذ رسله راغبين فى السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونهما ترغيبا للسلطان فى الجهاد فتقبل منه السلطان وعقد له الصلح على مارغب وأصهر اليه فى أخته فأنكحه اياها وبعث بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع عثمان بن عيسى اليرنيانى واتصلت بينهما الولاية الى مهلك السلطان والبقاء لله وحده

بياض بالاصل

الخبر عن بيعة عبد الحق بن عثمان بعمالأة الوزير والمشيخة وظهور السلطان عليهم ثم مهلكه باثر ذلك

كانت رسل ابن الاحمر خلال هذه المهادنة والمكاتبات تختلف الى باب السلطان ووصل منهم فى بعض أحيانها خلف من مترفيهم تجاهر بالكبائر فكشف صفحة وجهه فى معاقرة الخمر والادمان عليه وكان السلطان منذ شهر جمادى الاولى سنة تسع قد عزل القاضى بفاس أبا غالب المغيلى وعهد باحكام القضاء لشيخ الفتيا المذكور بها أبى الحسن الملقب بالصغير وكان على نهج من تغيير المنكرات والتعسف فيها حتى لقد كان مطاوعا فى ذلك وسواس النسك الاعجمى ومتجاوزا به الحدود المتعارفة بين أهل الشريعة

فى سائر الامصار وأحضر عنده ذات يوم هذا الرسول علا وحضر العدول فاستروحوه ثم أمضى حكم الله فيه وأقام عليه الحد وأضرمته هذه الموجدة فاضطرم غيظا وتعرض للوزير رحو بن يعقوب الوطاسى منصرفه من دار السلطان فى موكبه وكشف عن ظهره بوريه السياط ونعى عليهم سوء هذا المرتكب مع الرسل فبرم لذلك الوزير وأدركته الحفيظة وسرح وزعته وحشمه فى احضار القاضى على أسوأ الحالات من التنكيل والتل لاذقنه فضو التلك الوجهة واعتصم القاضى بالمسجد الجامع ونادى المسلمين فثارت العامة فيهم ومرج أمر الناس واتصل الخبر بالسلطان فتلافاه بالبعث فى أولئك النفر من وزعة الوزير وضرب أعناقهم وجعلهم عظة لمن وراءهم فأسرها الوزير فى نفسه وداخل الحسن بن على بن أبى الطلاق من بنى عسكر بن محمد شيخ بنى مرين والمسلم له فى شوارهم وقائد الروم عنصالة المنفرد برياسة العسكر وشوكته وكان لهم بالوزير اختصاص آثروه له على سلطانه فدعالهم لبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص وخلع طاعة السلطان فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم نجيا ثم خرج عاشر جمادى من سنة عشر الى ظاهر البلد الجديد بمكان

بياض بالاصل

وجاهروا بالخلعان وأقاموا الآلة وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملاء وعسكروا بالعدوة القصوى من سبوا تازى وخرج السلطان فى اثرهم فعسكر بسبوا وتلوم لاعتراض العساكر وازاحة العلل واحتل القوم برباط تازى وأوفدوا على موسى ابن عثمان بن يغمراسن سلطان بنى عبد الواد يدعونه الى المظاهرة واتصال اليد والمدد بالعساكر والاموال جنوحا الى التى هى آثر لديه من تفريق كلمة عدوه فتثاقل عن ذلك لمكان السلم الذى عقدله السلطان مداول الدولة ولتستبين سبيل القوم وقدم السلطان بين يديه يوسف بن عيسى الجشمى وعمر بن موسى القودودى فى جموع كتيبة من بنى مرين وسار فى ساقتهم فانكشف القوم عن تازى ولحقوا بتلمسان ديرخاو جد السلطان مغبة تثاقله عن نصرهم ووجد بها الحجة عليهم اذ غاية مظاهرته اياهم أن يملكهم تازى وقد انكشفوا عنها فيئسوا من صريخه وأجاز عبد الحق بن عثمان ورحو بن يعقوب الى الاندلس فأقام رحو بها الى أن قتله أولاد ابن أبى العلاء ورجع الحسن بن على الى مكانه من مجلس السلطان بعد أن اقتضى عهده بالامان على ذلك ولما احتل السلطان بتازى حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأثخن فى حاشية الخوارج وذويهم بالقتل والسبى ثم اعتل أثناء ذلك وهلك لليال من اعتلاله سلخ جمادى الاخيرة من سنة عشر وورى بصحن الجامع الاعظم من تازى وبويع السلطان أبو سعيد كما نذكره ان شاء الله

(الخبر عن دولة السلطان أبى سعيد وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك السلطان أبو الربيع بتازى تطاول للامر عمه عثمان بن السلطان أبي يعقوب المعروف بأمه قضنيت واستام المنصب وأسدى فى ذلك وألحم وحضر الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدء من الليل واستشار واشيخ القرابة يومئذ وكبير الاعياص المرشحين وسربت اليهم الاموال وجاءهم عثمان بن السلطان أبي يعقوب مستاما فزجروه واستدعوا السلطان أبا سعيد فحضر وبايعوه ليلتئذ وأنفذ كتبه الى النواحى والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الاكبر الامير أبا الحسن الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر ودخل القصر واطلع على أمواله وذخيرته وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان بظاهر تازى على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والقبائل والعساكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء فقام بالامر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين ورفع الظلامات وحط المغارم والمكوس وسرح السجون ورفع عن أهل فاس وظيفة الرباع وارتحل لعشرين من رجب الى حضرته فاحتل بفاس وقدم عليه وفود التهنئة من جميع بلاد المغرب ثم خرج لذى القعدة بعدها الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر فى أحوال الرعايا واهتم بالجهاد وأنشأ الاساطيل للغزو فى سبيل الله ولما قضى منسك الاضحى بعده رجع الى حضرته بفاس ثم عقد سنة احدى عشرة لاخيه الامير أبى البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة ورندة وما اليها من الحصون ثم نهض من الحضرة سنة ثلاث عشرة الى مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكورى ونقضه للطاعة فنازله وحاصره مدة واقتحم حصنه عنوة عليه وحمله الى دار ملكه عنوة فأودعه المطبق ثم رجع الى غزو تلمسان والله أعلم

(الخبر عن حركة السلطان أبى سعيد الى تلمسان أولى حركاته اليها)

لما خرج عبد الحق بن عثمان على السلطان ابى الربيع وتغلب على تازى بمظاهرة الحسن ابن على بن أبى الطلاق كبير بنى عسكر واختلف رسلهم الى أبى حمو موسى بن عثمان سلطان بنى عبد الواد اسف ذلك بنى مرين وحرك من احنهم ولما لحق الخارجون على الدولة بالسلطان أبى حمو وأقبل عليهم أضرم ذلك حقد بنى مرين وولى السلطان أبو سعيد الامر وفى أنفسهم من بنى عبد الواد غصة فلما استوسق أمر السلطان ودوخ الجهات المراكشية وعقد على البلاد الاندلسية وفرغ من شأن المغرب اعتزم على غزو تلمسان فنهض اليه سنة أربع عشرة ولما انتهى الى وادى ملوية قدم ابنيه أبا الحسن وأبا على فى عسكرين عظيمين فى الجناحين وسار فى ساقتهما ودخل بلاد بنى عبد الواد على هذه التعبية فاكتسح نواحيها واصطلم نعمها ونازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا وامتنعت

عليه ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وانجحر موسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب على معاقلها ورعاياها وسائر ضواحيها فحطمها حطماونسف جهاتها نسفا ودوّخ جبال بني يزناسن وفتح معاقلها وأثخن فيها وانتهى الى وجدة وكان معه في معسكره أخوه يعيش بن يعقوب وقد أدركته بعض استرابة بأمره ففرّ الى تلمسان ونزل على أبي حمو ورجع السلطان على تعبيته الى تازى فأقام بها وبعث ابنه الامير أباعلي الى فاس فكان من خروجه على ابيه مانذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الامير أبي علي وما كان بينه وبين أبيه من الواقعات)

كان للسلطان أبي سعيد اثنان من الولد أكبرهما لامته الحبشية وهو علي والاصغر لمملوكة من سبي النصارى وهو عمر وكان هذا الاصغر آثرهما لديه وأعلقهما بقلبه منذ نشأ فكان عليه حدباوبه مشغوفا ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية عهده وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كتبه وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليرنياني من صنائع دولتهم وكبار المرشحين بها ولما رآه أخوه الاكبر أبو الحسن صاغية أبيه اليه وكان شديد البرور بوالديه انحاش اليه وصار في جملته وخالط نفسه بحاشيته طاعة لابيه واستمرت حال الامير أبي علي على هذا وخاطبه الملوك من النواحي وخاطبهم وهادوه وعقد الرايات وأثبت في الديوان ومحا وزاد في العطاء ونقص وكاد أن يستبد ولما قفل السلطان أبو سعيد من غزاته الى تلمسان سنة أربع عشرة أقام بتازى وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير أبو علي بفاس حدثته نفسه بالاستبداد على أبيه وخلعه وراوضه المداخلون له في المكر بالسلطان حتى يتقبض عليه فأبى وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ودعا لنفسه فأطاعه الناس لما كان السلطان جعل اليه من أمرهم وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو السلطان فبرز من تازى بعسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم بدا للامير أبي علي في شأن وزيره وحدثته نفسه بالتقبض عليه استرابة به لما كان بلغه من المكاتبة بينه وبين السلطان فبعث لذلك عمر بن يخلف الفردودي وتفطن الوزير لما حاوله من المكر فتقبض عليه ونزع الى السلطان أبي سعيد فتقبله ورضي عنه وارتحل الى لقاء ابنه ولما تراءى الجمعان بالقرمدة ما بين فاس وتازى واختل مصاف السلطان وانهزم عسكره وأفلت بعد ان أصابته جراحة في يده وهن لها ولحق بتازى فليلا جريحا ولحق به ابنه الامير أبو الحسن نازعا اليه من جملة أخيه أبي علي بعد المحنة وفاء لحق أبيه فاستبشر السلطان بالظهور والفتح وحمد المغبة وأناخ الامير أبو علي بعساكره على تازى وسعى الخواص بين السلطان وابنه في الصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر

ويقتصر على تازى وجهاتها فتم ذلك بينهما وانعقد وشهد الملأ من مشيخة العرب
وزناتة وأهل الامصار واستحكم عقده وانكفأ الامير أبو على الى حضرة فاس مملكا
وتوافت اليه بيعات الامصار بالمغرب ووفودهم واستوسق أمره ثم اعتل على اثر ذلك
واشتد وجعه وصار الى حال الفوت وخشى الناس على أنفسهم تلاشى الامر بمهلكه
فسايلوا الى السلطان بتازى ثم نزع على الامير أبى على وزيره أبو بكر بن النوار وكاتبه
منديل بن محمد الكنانى وسائر خواصه ولحقوا بالسلطان وحملوه على تلافى الامر فنهض
من تازى واجتمع اليه كافة بنى مرين والجند وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصرا
لها وابتنى دارا لسكناه وجعل لابنه الامير أبى الحسن ما كان لاخيه أبى على من ولاية
العهد وتفويض الامر وفرد أبو على بطائفة من النصارى المستخدمين بدولتهم كان
قائدهم عتا اليه بخؤولة وضبط البلد مدة مرضه حتى اذا أفاق وتبين اختلال أمره
بعث الى أبيه فى الصلح ويحتمل من المال والذخيرة من دراهم فأجاب لذلك وانعقد بينهما
سنة خمس عشرة وخرج الامير أبو على بخاصته وحشمه وعسكر بالزيتون من ظاهر البلد
ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل الى سجلماسة ودخل السلطان الى البلد الجديد
ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره
وفوض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع
العلامة على كتبه وسائر ما كان لاخيه ووفدت اليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا
الى طاعته ونزل الامير أبو على لسجلماسة فأقام بها ملكا ودون الدواوين واستلحق
واستركب وفرض العطاء واستخدم ظواعن العرب من المعقل وافتتح معاقل الصحراء
وقصور تاورت وتيكورارين وتمنطيت وغزا بلاد السوس فافتتحها وتغلب على
ضواحيها وأثخن فى اعرابها من ذوى حسان والشبانات وزكنة حتى استقاموا على
طاعته وبيت عبد الرحمن بن يدر أمير الانصار بالسوس فى تارودانت مقره فافتتحها
عليه عنوة وقتله واصطلم نعمته وأباد سلطانه وأقام لبنى مرين فى بلاد القبلة ملكا
وسلطانا وانتقض على السلطان سنة عشرين وتغلب على درعة وسما الى طلب مراكش
فعقد السلطان على حربه لاخيه الامير أبى الحسن وجعله اليه وأغزاه ونهض على اثره
واعتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عللها وعقد عليها الكندوز بن عثمان من صنائع
دولتهم وقفل بعساكره الى الحضرة ثم نهض الامير أبو على سنة ثنتين وعشرين بجموعه
من سجلماسة وأغذ السير الى مراكش فاختلفت عساكره بها قبل أن يجمع لكندوز
أمره فقبض عليه وضرب عنقه ورفعه على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها
وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من حضرته فى عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل

واستوفى

واستوفى الاعطيات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولى عهده الغالب على أمره فى عساكره وجموعه وجاء فى ساقته وسار على هذه التعبية ولما انتهى الى بويومن وادى ملويه تذروا بالبيات من أبى على وجنوده فحذروهم وأيقظوا ليلتهم وبيتهم بمعسكرهم ذلك فكانت الدبرة عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغد فى اثره وسلك على جبال درن وافترقت جنوده فى أوعاره ولحقهم من معراتها شناعات حتى ترجل الامير أبو على عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان نواحى مراكش وعقد عليها لموسى بن على الهنتاتى فعظم غناؤه فى ذلك واضطلاعه وامتدت أيام ولايته وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير أبو على بالخضوع فى الصفح والرضا والعودة الى السلم فأجابه السلطان لما كان شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو على بمكانه من ملك القبلة الى أن هلك السلطان وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نكبة منديل الكنانى ومقتله)

كان أبوه محمد بن محمد الكنانى من علية الكتاب بدولة الموحدين ونزع من مراكش عند ما انحل نظام بنى عبد المؤمن وانفض جمعهم الى مكناسة فأوطنها فى ايالة بنى مرين واتصل بالسلطان يعقوب بن عبد الحق فصحبه فيمن كان يتأثر على صحابته من أعلام المغرب وسفر عنه الى الملوك كما ذكرناه فى سفارته الى المستنصر سنة خمس وستين وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق فازداد الكنانى عند ابنه يوسف بن يعقوب حظوة ومكانة الى أن سخطه ونكبه سنة سبع وستين وأقصاه من يومئذ وهلك فى حال سخطته وبقى من بعده ابنه منديل هذا فى جملة السلطان أبى يعقوب متبرما بمقام عبد الله بن أبى مدين المستولى على قهرمة دار السلطان ومحادثته فى خلواته مغضيا لذلك متوقعا النكبة فى أكثر أيامه مضطرمة له بالحسد جوانحه مع ما كان عليه من القيام على حسبان الديوان عرف فيه بسبقه وتشابه صديقه وعدوه ولما تغلب السلطان على ضواحى شلف ومغراوة واستعمل على حسبان الجباية وجعل اليه ديوان العسكر هنالك والى نظره اعتراضهم وتمحيصهم فنزل على مليانة مع من كان هنالك من الامراء مثل على بن محمد الخيرى والحسن بن على بن أبى الطلاق العسكرى الى أن هلك السلطان أبو يعقوب ورجع أبو ثابت البلاد الى أبى زيان وأخيه أبى حمو فخلف عليهما وحلا بعيونهما واستبلغا فى تكريمه وانصرف الى مغربه وكان معسكر السلطان يوسف بن يعقوب على تلمسان قد صحب أخاه أبا سعيد عثمان بن يعقوب فى حال خموله وتأكدت بينهما الخلة

التي رعاها له السلطان أبو سعيد فلما ولي أمر المغرب مت بذلك اليه فعرفه له واختصه وخالصه وجعل اليه وضع علامته وحسبان جبايته ومستخلص أحواله والمفاوضة بذات صدره ورفع مجلسه في بسائطه وقدمه على خاصته وكان كثير الطاعة للامير أبي علي ابنه المتغلب على أبيه قبل أول أمره ولما استبد وخلع أباه انحاش منديل هذا اليه ثم نزع عنه حين تبين اختلال أمره وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه ولايته أخيه أبي علي لما كان بينهما من المنافسة وكان كثيرا ما يوغر صدره بايجاب حق عمر عليه وامتهانه في خدمته وطوى له على البث حتى اذا انفرد بمجلس أبيه وفصل عمر الى سجلماسة أحكم السعاية فيه والحاح في الهلكة التي أحكم السلطان عليها أذنا واعية حتى أذن الله باهلاكه وكان منديل هذا كثيرا ما يغضب السلطان في المحاورة والخطاب دالة عليه وكبرا فاعتد عليه من ذلك كلمات وأحوالا وسخطه سنة ثمان عشرة واذن لابنه الامير أبي الحسن في نكبته فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه أياما ثم قتله بمحبسه خنقا ويقال جوعا وذهب مثلا في الغابرين والله خير الوارثين

الخبر عن انتقاض العزفي بسبتة ومنازلته ثم مصيرها الى طاعة السلطان بعد مهلكه

كان بنو العزفي لما تغلب عليهم الرئيس أبو سعيد ونقلهم الى غرناطة سنة خمس استقروا بها في ايالة المخلوع ثالث ملوك بني الاحمر حتى اذا استولى السلطان أبو الربيع على سبتة سنة تسع أذنوه في الاجازة الى المغرب فأجازوا الى فاس فاستقروا بها وكان يحيى وعبد الرحمن ابنا أبي طالب من سراتهم وكبارهم وكانوا يغشون مجالس أهل العلم لما كانوا عليه من انتحال الطلب وكان السلطان ابو سعيد أيام امارة بني أبيه يجالس بالمسجد جامع القرويين شيخ الفتيا أبا الحسن الصغير وكان يحيى بن أبي طالب يلازمه فاتصل به وصارت له وسيلة يحتسبها عنده فلما ولي الامر واستقل به رعى لهم زمام صحابتهم ووفى لهم مقاصدهم وعقد ليحيى على سبتة ورجعهم الى مقر امارتهم منها ومحل رياستهم فارتحلوا اليها سنة عشر وأقاموا دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته ثم تغلب الامير أبو علي على أمر أبيه واستبد عليه فعقد على سبتة لابي زكريا حيون بن ابي العلاء القرشي وعزل يحيى بن أبي طالب عنها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه حاتم واستقروا في جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس خلال ذلك حتى اذا كان من خروج الامير أبي علي على أبيه ما قدمناه لحق يحيى بن أبي طالب وأخوه بالسلطان نازعين من جملة الامير أبي علي فلما اعتصم بالبلد الجديد ونازله السلطان بها حينئذ عقد السلطان ليحيى بن أبي طالب على سبتة وبعثه اليها ليقيم دعوته بتلك الجهات

وعند

وتمسك بابنه محمد رهنا على طاعته فاستقل بامارتها وأقام دعوة السلطان وطاعته بها وأخذ بيعته على الناس واتصل ذلك سنتين وهلك عمه أبو حاتم هنالك بعد مرجعه معه من المغرب سنة ست عشرة ثم انتقض على طاعة السلطان ونبذ طاعة الامراء ورجع الى حال سلفه من أمر الشورى فى البلد واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق الكلمة به ويوهن بأسه عزائم السلطان فى مطالبته وجهز السلطان اليه العساكر من بنى مرين وعقد على حربه للوزير ابراهيم بن عيسى فزحف اليه وحاصره وتعلل عليهم بطلب ابنه فبعث به السلطان الى وزيره ابراهيم ليعطى طاعته فيسلمه وجاءه الخبر من عيون كانت بالعسكر وان ابنه كائن بفسطاط الوزير بساحة البحر بحيث تتأتى الفرصة فى أخذه فبيت العسكر وهجم عبد الحق بن عثمان بحشمه وذويه على فسطاط الوزير فاحتمله الى أبيه وركبت العساكر للهيعة فلم يقفوا على خبر حتى تفقد الوزير بن العزفى واتهموا قائدهم ابراهيم بن عيسى الوزير بممالأة العدو على ذلك فاجتمعت مشيختهم وتقبضوا عليه وحملوه الى السلطان ابتلاء للطاعة واستبصارا فى نصح السلطان فشكر لهم وأطلق وزيره لابتلاء نصيحته ورغب يحيى بن العزفى بعدها فى رضا السلطان وولايته ونهض السلطان سنة تسع عشرة الى طنجة لاختبار طاعته فعقد له على سبتة واشترط هو على نفسه لجباية السلطان وأسنى هديته فى كل سنة واستمرت الحال على ذلك الى أن هلك يحيى العزفى سنة عشرين وقام بالامر بعده ابنه محمد الى نظر عمه محمد ابن على بن الفقيه أبى القاسم شيخ قرابتهم وكان قائد الاساطيل بسبتة وولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحى الى الاندلس واختلف الغوغاء بسبتة وانتهز السلطان الفرصة فاجمع على النهوض اليها سنة ثمان وعشرين وبادروا باتياء طاعتهم وعجز محمد ابن يحيى عن المناهضة وظنها محمد بن عيسى من نفسه فتعرض للامر فى أوغاد من اللفيف فاجتمعوا اليه ودافعهم الملاعن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفى الى السلطان فانقادوا واحتل السلطان بقصبة سبتة وثقف جهاتها ورم منثلمها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه فى أعمالها فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله الصدراتى على حاميتها وعقد لابى القاسم بن أبى مدين على جبايتها والنظر فى مبانيها واخراج الاموال للنفقات فيها وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبتة فشرعوا فى بنائها سنة تسع وعشرين وانكفأ راجعا الى حضرته والله تعالى أعلم

* (الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة والعلامة) *

كان بنو عبد المهيمن من بيوتات سبتة ونسبهم فى حضرموت وكانوا أهل تجلة ووقار

متحلين للعلم وكان أبو محمد قاضيا بسبتة أيام أبي طالب وأبي حاتم وكان له معهم صهر ونشأ ابنه عبد المهيمن هذا في حجر الطلب والجلالة وقرأ صناعة العربية على الاستاذ الغافقي وحذق فيها ولما نزلت بهم نكبة الرئيس أبي سعيد سنة خمس واحتملوا الى غرناطة احتمل فيهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه وقرأ عبد المهيمن بغرناطة على مشيختها وازداد علما وبصرا باللسان والحديث واستكتب بدار السلطان محمد المخلوع واختص بوزيره المتغلب على دولته محمد بن الحكيم الرندي فيمن اختص به من رؤساء بني العزفي ثم رجع بعد نكبة ابن الحكيم الى سبتة وكتب عن قائدها يحيي بن مسلمة مدة ولما استخلص بنو مرين سبتة سنة تسع اقتصر على الكتابة وأقام منتحلا مذاهب سلفه في انتحال العلم ونزول المروءة ولما استولى السلطان أبو سعيد على المغرب واستقل بولاية العهد وتغلب على الامر ابنه أبو علي وكان محبا للعلم مولعا بأهله منتحلا لفنونه وكانت دولته خلوا من صناعة الترسل منذ عهد الموحدين للبداوة الموجودة في أولهم وحصل للامير أبي علي بعض البصر بالبلاغة واللسان تفطن به لشأن ذلك وخلو دولتهم من الكتاب المرسلين وأنهم انما يحكمون الخط الذي حذقوا فيه ورأى الاصابع تشير الى عبد المهيمن في رياسة تلك الصناعة فولع به وكان كثير الوفادة مع أهل بلده أوقات وفادتهم فيختصه الامير أبو علي بمزيد بره وكرامته ويرفع مجلسه ويخطبه للكتابة وهو يمتنع عليه حتى اذا أمضى عزيمته في ذلك أوعز الى عامله بسبتة سنة ثنتي عشرة أن يشخصه الى بابهم فقلده كتابته وعلامته حتى اذا خرج أبو علي على أبيه تحيز عبد المهيمن الى الامير أبي الحسن فلما صولح أبو علي على النزول عن البلد الجديد وكتب شرطه الى السلطان كان من جملتها كون عبد المهيمن معه وأمضى له السلطان ذلك وأنف الامير أبو الحسن منها فأقسم ليقتلنه ان عمل بذلك فرفع عبد المهيمن أمره الى السلطان ولاذ به وألقى نفسه بين يديه فرق لشكواه وأمره باعتزالهما والرجوع الى خدمته وأنزله بعسكره وأقام على ذلك واختصه منديل الكناني كبير الدولة وزعيم الخاصة وأنكحه ابنته ولما نكب منديل جعل السلطان علامته لابي القاسم بن أبي مدين وكان غفلا خلوا من الآداب فكان يرجع الى عبد المهيمن في قراءة الكتب واصلاحها وانشائها حتى عرف السلطان له ذلك فاقتصر عليه وجعل وضع العلامة اليه سنة ثمان عشرة فاضطلع بها ورسخت قدمه في مجلس السلطان وارتفع صيته واستمر على ذلك أيام السلطان وابنه أبي الحسن من بعده الى أن هلك بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين والله سبحانه وتعالى خير الوارثين

* (الخبر عن صريخ أهل الاندلس ومهلك بطرة على غرناطة) *

كان الطاغية شانجة بن ادفونش قد تكالب على أهل الاندلس من بعد أبيه هراندة الهالك سنة ثنتين وثمانين منذ غلب على طريف شغل السلطان يوسف بن يعقوب بعده بنى يغمراسن ثم تشاغل حفدته من بعده بأمرهم وتقاصرت مددهم وهلك شانجة سنة ثلاث وسبعين وولى ابنه هراندة ونازل الجزيرة الخضراء فرضة الجهاد لبنى مرين حولا كاملا ونازلت أساطيله جبل الفتح واشتد الحصار على المسلمين وراسل هراندة بن ادفونش صاحب برشلونة أن يشغل أهل الاندلس من ورائهم ويأخذ بحجزتهم فنازل المرية وحاصرها الحصار المشهور سنة تسع ونصب عليها الآلات وكان منها برج العود المشهور بطول الاسوار بمقدار ثلاث قامات وتحيل المسلمون على احراقه فأحرق وحفر العدو تحت الارض مسربا بمقدار ما يسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون واحتفروا قبالتهم مثله الى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا من تحت الارض وعقد ابن الاحمر لعثمان بن أبى العلاء زعيم الاعياص على عسكر بعثه مددا لاهل المرية فلقيه جمع من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عثمان واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية خلال ذلك على جبل الفتح وأقامت عساكره على سماتة واسطبونة وزحف العباس بن رحو بن عبد الله وعثمان بن أبى العلاء فى العساكر لاغاثة البلدين فاوقع عثمان بعسكر اسطبونة وقتل قائدهم الفنش بيرش فى نحو ثلاثة آلاف فارس واستلحموا ثم زحف عثمان لاغاثة العباس وكان دخل عوجين لمحاصرته جموع النصارى به فانفضوا لخبر زحفه وبلغ الخبر الى الطاغية بمكانه من ظاهر الجزيرة بشكة عثمان فى قومه فسرح جموع النصرانية اليه ولقيهم عثمان فأوقع بهم وقتل زعماءهم وارتحل الطاغية يريد لقاءهم فخالف أهل البلد الى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وأتيحت للمسلمين عليهم الكرة وامتلأت الايدى من غنائمهم واسراهم ثم هلك الطاغية اثر هذه الهزائم سنة ثنتى عشرة وهو هراندة بن شانجة وولى بعده ابنه الهنشة طفلا صغيرا جعلوه لنظر عمه دون بطرة بن شانجة وزعيم النصرانية جوان فكفلاه واستقام أمرهم على ذلك وشغل السلطان أبو سعيد ملك المغرب بشأن ابنه وخروجه فاهتبل النصرانية الغرة فى الاندلس وزحفوا الى غرناطة سنة ثمان عشرة وأناخوا عليها بعسكرهم وأممهم وبعث أهل الاندلس صريخهم الى السلطان واعتذر لهم بمكان أبى العلاء من دولتهم ومحله من رياستهم وأنه مرشح للامر فى قومه بنى مرين يخشى معه تفريق الكلمة وشرط عليهم أن يدفعوه اليه برمته حتى يتم الجهاد ويعيده اليهم حوطة على المسلمين ولم يمكنهم ذلك لمكان عثمان بن أبى العلاء لصرامته وعصابته من قومه فأخفق سعيهم واستلحموا وأطالت أمم النصرانية

بغرناطة وطمعوا فى التهامها ثم ان الله نفس مخنقهم ودافع بيد قدرته عنهم وكيف لعثمان بن أبى العلاء وعصبته واقعة كانت أغرب الوقائع صمموا الى موقف الطاغية بجملتهم وكانوا زهاء مائتين أو أكثر وصابروهم حتى خالطوهم فى مراكزهم فصرعوا بطرة وجوان وولوهم الادبار واعترضتهم من ورائهم مسارب الماء للشرب من شقيل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وأعز الله دينه وأهلك عدوه ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لمن يذكر وهو باق هنالك لهذا العهد والله تعالى أعلم

(الخبر عن صهر الموحدين والحركة الى تلمسان على اثره وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما انفرج الحصار عن ولد يغمراسن بن زيان أحد ملوك بنى عبد الواد سنة ست وتجافى أبو ثابت عن بلادهم ونزل لهم عما كان بنو مرين ملكوه منها بسيوفهم واستقل أبو حمو بملك بنى عبد الواد على رأس الحول منها صرف نظره واهتمامه الى بلاد المشرق فتغلب على بلاد مغراوة ثم على بلاد بنى توجين ومحا منها أثر سلطانهم ولحق أعياصهم من ولد عبد القوى بن عطية وولد منديل بن عبد الرحمن بالموحدين بنى أبى حفص مع من تبعهم من رؤس قبائلهم وصاروا فى جملة عساكرهم واستلحق مولانا السلطان أبو يحيى وحاجبه يعقوب بن عمر منهم جندا كثيفا أثبتهم فى الديوان وغالب بهم الخوارج والمنازعين للدولة ثم زحف أبو حمو الى الجزائر وغلب ابن علان عليها سنة وثقله الى تلمسان ووفد له وفر بنو منصور أمراء ملكيش أهل بسيط متيجة من صنهاجة فلحقوا بالموحدين واصطنعوهم وغلب قاصية المغرب الاوسط وتاخم عمل الموحدين بعمله ثم تغلب على تدلس سنة ثنتى عشرة وتجنى على مولانا السلطان أبى يحيى بما وقع بينهم من المراسلة أيام انتزى ابن مخلوف ببجاية كما ذكرناه فى أخباره فحث عزائمه لمنازلتها وطلب بلاد الموحدين وأوطأ عساكره أرضهم ونازل أمصارهم بجاية وقسنطينة واختص بجاية بشوكته من ذلك وجهز العساكر مع مسعود ابن عمه أبى عامر ابراهيم بمضايقتها وكان خلال ذلك ما قدمناه من خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن عنه سنة وقيام بنى توجين بأمره واقتطاع جبل وانشريس من عمالة ملكه واستمرت الحال على ذلك حتى هلك السلطان أبو حمو سنة ثمان عشرة وقام بأمرهم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن فصنع له فى ابن عمه محمد بن يوسف ونهض اليه بعساكر بنى عبد الواد حتى نازله بمعتصمه من جبل وانشريس وداخله عمر بن عثمان كبير بنى تيغرين فى المكر به فتقبض عليه وقتله سنة تسع عشرة وارتحل الى بجاية حتى احتل بساحتها وامتنع

بياض بالاصل

عليه الحاجب ابن عمر فأقام يوماً أو بعضه ثم انكفأ راجعاً الى تلمسان وردد البعوث الى أوطان بجاية وابتنى الحصون لتجمير الكتائب فابتنى بوادى بجاية من أعلاه حصن بكر ثم حصن تامزيزدكت ثم اختط بتيكلات على مرحلة منها بلداً سماها تامزيزدكت على اسم المعقل الذى كان لأوليهم بالجبل قبالة وجدة وامتنع يغمراسن به على السعيد كما قدمناه فاختط بلد تيكلات هذه وشحنها بالأقوات والعساكر وصيرها ثغراً للملكه وأنزل بها جنده وعقد عليها لموسى بن على الكردى كبير دولته ودولة أبيه واستحثه أمراء الكعوب من بنى سليم لملك افريقية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبى يحيى اللحيانى وأبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أبى عمران وأبى اسحق بن أبى يحيى الشهيد مرة بعد أخرى كما ذكرناه فى أخبارهم جميعاً وكانت حروبهم سجالاً الى أن كان بين جيوش زناتة والموحدين الزحف المشهور بالرياش من نواحى مرماجنة سنة تسع وعشرين زحفت فيه الى السلطان أبى يحيى عساكر زناتة مع حمزة بن عمر أمير بنى كعب ومن اليه من البدو وعليهم يحيى بن موسى من صنائع دولة آل يغمراسن وقد نصبوا للملك محمد بن أبى عمران ابن أبى حفص ومعهم عبد الحق بن عثمان من أعياص بنى عبد الحق فى بنيه وذويه كان نزع اليهم من عند الموحدين كما ذكرناه فاختل مصاف مولانا السلطان أبى يحيى وانهزم واستولوا على فساطيطه بما فيها من الذخيرة والحرم وانتهبوا معسكره وتقبضوا على ولديه المولين أحمد وعمر وأشخصوهما الى تلمسان وأصيب السلطان فى بدنه بجراحات أوهنته وخاص الى بونة ناجياً برمقه وركب السفين منه الى بجاية فأقام بها يدامل جراحه واستولت زناتة على تونس ودخلها محمد بن أبى عمران وسموه باسم السلطان ومقادته فى يد يحيى بن موسى أمير زناتة واعتزم مولانا السلطان أبو يحيى على الوفادة على ملك المغرب السلطان أبى سعيد صريخاً على آل يغمراسن وأشار حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبى زكريا صاحب الثغر استنكافاً له عن مثلها فتقبل اشارته وأركب ابنه البحر لذلك وبعث اليه معه أبا محمد عبد الله بن تافراكين من مشيخة الموحدين نافضاً امامه طرف المقاصد والمحاورات ونزلوا بغساسة من سواحل المغرب وقدموا على السلطان أبى سعيد بحضرته وأبلغوه صريخ مولانا السلطان أبى يحيى فاهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لابنه الامير فى ذلك المحفل يا بنى لقد قصدك أكبر أقوامنا وموصلك والله لابذلن فى مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولاسيرن بعساكرى الى تلمسان فأنزلها مع أبيك فانصرفوا الى منازلهم مسرورين وكان فيما شرطه عليهم السلطان أبو سعيد مسير مولانا السلطان أبى يحيى بعساكره الى منازلة تلمسان معه فقبلوا ونهض السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين ولما انتهوا الى وادى ملوية

وعسكر بصره جاءهم الخبر اليقين باستيلاء السلطان أبي يحيى على حضرة تونس واجهاضه زناتة وسلطانهم عنها فاستدعى مولانا السلطان الامير أبا زكريا يحيى ابنه ووزيره أبا محمد عبد الله بن تافراكين وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم واسنى جوائزهم وحاجاتهم وركبوا أساطيلهم من غساسة وأرسل معهم لخطبة الصهر ابراهيم ابن أبي حاتم العزفي والقاضي بحضرته أبي عبد الله بن عبد الرزاق وانكفأ على عقبه راجعا الى حضرته ولما انعقد الصهر بين الامير أبي الحسن والسلطان أبي يحيى في ابنته شقيقة الامير يحيى زفها اليهم في أساطيله مع مشيخة من الموحدين كبيرهم أبو القاسم بن عتو ووصلوا بها الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين بين يدي مهلك السلطان أبي سعيد فقاموا لها على أقدام البر والتكرمة وبعثوا الظهر الى غساسة لركوبها وحمل أثقالها وصيغت حكمات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل لوافدها واعراسها غاية الاحتفال بما لم يسمع مثله في دولتهم وتولت قهارمة الدار من عجز النساء ما يتولاه مثلهم من ذلك فعظم الصنيع وتحدث الناس به وهلك السلطان أبو سعيد بين يدي موصلها والبقاء لله وحده

{ الخبر عن مهلك السلطان أبي سعيد عفا الله عنه وولاية }
{ السلطان أبي الحسن وما تخلل ذلك من الاحداث }

كان السلطان لما بلغه وصول العروس بنت مولانا السلطان أبي يحيى سنة احدى وثلاثين واهتزت الدولة لقدومها عليهم تعظيما لحق أبيها وقومها واحتفاء بها ارتحل السلطان أبو سعيد الى تازى ليباشر أحوالها بنفسه احتفاء في تكرمتها وسرورا بعرس ابنه واعتل هنالك ومرض حتى اذا أشفى على الهلكة ارتحل به ولي العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة وحمله في فراشه على أكتاد الحاشية والخيول حتى نزل بسبو ثم أدخله كذلك ليلا الى داره وأدركته المنية في طريقه فقضى رحمة الله عليه فوضعوه بمكانه من البيت واستدعى الصالحين لمواراته فووري لشهر ذي الحجة سنة احدى وثلاثين والبقاء لله وحده وكل شيء هالك الا وجهه ولما هلك السلطان أبو سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة لولي عهده الامير أبي الحسن وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم وبيعتهم وأمر بنقل معسكره من سبو واضطرب بالزيتون من ساحة فاس ولما ووري السلطان خرج الى معسكره بالتعبية واجتمع اليه الناس على طبقاتهم لاداء البيعة وتولى بفسطاطه وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس المزوار عبو بن قاسم رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب القديم الولاية بذلك في دارهم منذ عهد السلطان يوسف بن يعقوب وزفت اليه يومئذ عروسه بنت السلطان أبي يحيى فأعرس بها

بمكانه من المعسكر وأجمع أمره على الانتقام لابيها من عدوه وبدا باستكشاف حال أخيه أبي علي وكان السلطان أبو همايستوصيه به لما كان له بقلبه من العلاقة وكان ولي العهد هذا موثرا رضاه جهده فاعتزم على الحركة الى سجلماسة لمشارفة أحواله والله تعالى أعلم

الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن الى سجلماسة وانكفائه عنها الى تلمسان بعد الصلح مع أخيه والاتفاق

لما هلك السلطان أبو سعيد وكملت بيعة السلطان ابي الحسن وكان كثيرا مايستوصيه بأخيه أبي علي لما كان كلفا به شفوقا عليه فأراد مشارفة أحواله قبل النهوض الى تلمسان فارتحل من معسكره بازيتون قاصدا سجلماسة وتلقته في طريقه وفود الامير أبي علي أخيه مؤدبا حقه موجبا مبرته مهنئاله بما آتاه الله من الملك متجافيا عن المنازعة فيه قانعا من تراث أبيه بما حصل في يده طالبا العقد له بذلك من أخيه فأجابه السلطان أبو الحسن الى ماسأل وعقد له على سجلماسة وما اليها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيهما وشهد الملأ من القبيل وسائر زناتة والعرب وانكفأ راجعا الى تلمسان لاجابة صريخ الموحدين وأغذ السير اليها ولما انتهى الى تلمسان تنكب عنها متجاوزا الى جهة المشرق لوعد مولانا السلطان أبي يحيى بالنزول معه على تلمسان كما كان عليه وفاقهم ومشارطتهم مع الامير أبي زكريا الرسول اليهم فاحتل بتاسالت في شعبان من من سنة ثنتين وثلاثين وتلوم بها وأوعز الى أساطيله بمراسي المغرب فأغزاها الى سواحل تلمسان وجهز لمولانا السلطان أبي يحيى مددا من عسكره أركبهم الاساطيل من سواحل وهران وعقد عليهم لمحمد البطوي من صنائع دولته ونزلوا بجاية ووافوا بها مولانا السلطان أبا يحيى فصاروا في جملته ونهضوا معه الى تيكلات ثغر بني عبد الواد المجمرة بها الكتائب لحصار بجاية وبها يومئذ ابن هزرع من قوادهم وأجفل من كان بها من العسكر قبل وصوله اليهم فلحقوا بآخر عملهم من المغرب الاوسط وأناخ مولانا السلطان أبو يحيى عليها بعساكره من الموحدين والعرب والبربر وسائر الحشود فخربوا عمرانها وانتهبوا ما كان من الاقوات مختزنا بها وكان بحر الايدلن ساحله لما كان السلطان أبو حمو من لدن اختطها قد أوعز الى العمال بسائر البلاد الشرقية منذ عمل البطحاء أن ينقلوا أعشار الحبوب اليها وسائر الاقوات وتقبل ابنه السلطان أبو تاشفين مذهبه في ذلك ولم يزل دأبهم الى حين حلت بها هذه الفاقرة فانتهب الناس من تلك الاقوات مالا كفاء له وأضرعوا مختطها بالارض فنسفوها نسفا وذروها قاعا صفصفا والسلطان أبو الحسن خلال ذلك متشوف لاحوالهم منتظر قدوم مولانا

السلطان أبي يحيى عليه لمنازلة تلمسان حتى وافاه الخبر بانتقاض أخيه كما نذكره فانكفأ راجعا واتصل الخبر بمولانا السلطان أبي يحيى فقفل الى حضرته وحمل البطوى معه واسنى جائزته وجوائز عسكره وانصرفوا الى السلطان مرسلهم من داعتها وانقبض عنان السلطان أبي تاشفين عن غزو بلاد الموحدين الى أن انقرض أمره والبقاء لله وحده

(الخبر عن انتقاض الامير أبي علي ونهوض السلطان أبي الحسن اليه وظفره به)

لما توغل السلطان أبو الحسن في غزاة تلمسان وتجاوزها الى تاسالت لوعد مولانا السلطان أبي يحيى دس أبو تاشفين الى الامير أبي علي في اتصال اليد والاتفاق على السلطان أبي الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه حتى ذمم به وانعقد بينهما على ذلك وانتقض الامير أبو علي على أخيه السلطان أبي الحسن ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل بها عامل السلطان واستعمل عليه من ذويه وسرح العسكر الى بلاد مراكش واتصل الخبر بالسلطان وهو بمعسكره بتاسالت فأحفظه شأنه وأجمع على الانتقام منه فانكفأ راجعا الى الحضرة وأنزل بثغر تاوريرت تخم عمله معسكرا وعقد عليه لابنه تاشفين وجعله الى نظر وزيره منديل بن حمامة بن تيربيعين وأغذ السير الى سجلماسة فنزل عليها وأحاطت عساكره بها وأخذ بمخنقها وحشد الفعلة والصناع لعمل الآلات لحصارها والبناء بساحتها وأقام يغاديها القتال ويراوحها حولا كريتا ونهض أبو تاشفين في عساكره وقومه الى ثغر المغرب ليوطئه عساكره وبعث في نواحيه يجاذب السلطان عن مكانه من حصاره ولما انتهى الى تاوريرت برز اليه ابن السلطان في وزرائه وعساكره وزحفوا اليه في التعبية فاختل مصافه وانهزم ولم يلق أحدا وعاد الى منجحره وبادر الى امداد الامير أبي علي بعسكره فعقد على حصة من جنده وبعث بهم اليه فتسربوا الى البلد زرافات ووحدانا حتى استكملوا عنده وطاولهم السلطان الحصار وأنزل بهم أنواع الحرب والنكال حتى تغلب عليهم واقتحم البلد عنوة وتقبض على الامير أبي علي عند باب قصره وسيق الى السلطان فأبهله واعتقله واستولى على ملكه وعقد على سجلماسة واستعمل عليها ورحل منكفئا الى الحضرة فاحتل بها سنة ثلاث وثلاثين واعتقل أخاه في احدى حجر القصر الى أن قتله لاشهر من اعتقاله خنقا بمحبسه وعند له هذا الفتح بفتح الجبل واسترجاعه من يد العدو دمره الله بأيدي عسكره وتحت راية ابنه أبي مالك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن منازلة جبل الفتح واستنقاذ الامير أبي مالك والمسلمين به)

لما هلك السلطان أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش قام بالامر بعده ابنه محمد طفلا صغيرا لنظر وزيره محمد بن المحروق من بيوت الاندلس وصنائع الدولة واستبد عليه فلما شب وناهز أنف من الاستبداد عليه وأغراه المعلوجي من حشمه بالوزير فاغتاله وقتله سنة تسع وعشرين وشمر للاستبداد وشد أواخي الملك وكان الطاغية قد أخذ جبل الفتح سنة تسع وجاورت النصرانية به ثغور الفرضة وكان شجا في صدرها وأهم المسلمين شأنه وشغل عنهم صاحب المغرب بما كان فيه من فتنة ابنه فرجعوا الجزيرة وحصونها الى ابن الاحمر منذ سنة ثنتي عشرة لاول المائة الثامنة واستغلظ الطاغية عليهم بعد ذلك فرجعوا الجزيرة الى صاحب المغرب سنة تسع وعشرين وولي عليها السلطان أبو سعيد من أهل دولته سلطان بن مهلهل من عرب الخلط أخواله وأسف الطاغية الى حصونها عند مهلك السلطان أبي سعيد فملك أكثرها ومنع البحر من الاجازة وقارن ذلك استبداد صاحب الاندلس وقتله لوزيره ابن المحروق وأهمه شأن الطاغية فبادر لاجازة البحر ووفد على السلطان أبي الحسن بدار ملكه من فاس سنة ثنتين وثلاثين فأكبر موصله وأركب الناس للقائه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ في تكريمه وفاوضه ابن الاحمر في شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكا اليه حال الجبل واعتراضه شجا في صدر الثغور فأشكاه السلطان وعامل الله في أسباب الجهاد وكان مشغوفا به متقبلا مذهب جده يعقوب فيه وعقد لابنه الامير أبي مالك على خمسة آلاف من بني مرين وأنفذه مع السلطان محمد بن اسمعيل لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتتابع اليه الاسطول بالمدد وأرسل ابن الاحمر حاشرين في الاندلس فتسايلوا اليه واضطرب معسكرهم جميعا بساحة الجبل وأبلوا في حربه ومنازلته البلاء الحسن الى أن تغلبوا عليه سنة ثلاث وثلاثين واقتحمه المسلمون عنوة ونفلهم الله من كان به من النصرانية بما معهم ووافاه الطاغية بأمم الكفر لثالثة فتحه وقد شحنه المسلمون بالاقوات نقلوها من الجزيرة على خيولهم وباشر نقلها الامير أبو مالك وابن الاحمر فنقلها الناس عامة وتحيز الامير أبو مالك الى الجزيرة وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلي من وزراء أبيه ووصل الطاغية بعد ثلاث فأناخ عليه وبرز أبو مالك بعساكره فنزل بحذائه وبعث الى الامير أبي عبد الله صاحب الاندلس فوصل بجند المسلمين بعد أن دوخ أرض النصرانية وخرج فنزل بازاء عسكر الطاغية وتحصن العدو في محلتهم وقاموا كذلك عادية لقرب العهد بارتجاعه وخفة ما به من الحامية والسلاح فبادر السلطان ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه مجلا بأتعا نفسه من الله في رضا المسلمين وسد فرجتهم فتلقاه الطاغية راجلا

حاسرا اعظاما لموصله وأجابه الى ما سأل من الافراج عن هذا المعقل وأتحفه بذخائر عمالديه وارتحل بفوره وأخذ الامير أبو مالك فى تثقيف أطراف الثغر وسد فروجه وأنزل الحامية به ونقل الاقوات اليه وكان فصا طوق دولة السلطان أبى الحسن قلادة الفخر الى آخر الايام ثم رجع بعدها الى شأنه من منازلة تلمسان والله تعالى أعلم

الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان أبى الحسن عليها وانقراض أمر بنى عبد الواد بمهلك أبى تاشفين

لما تغلب السلطان على أخيه وحسم علة انتزائه ومنازعته وسد ثغور المغرب وعظمت لديه نعمة الله بظهور عسكره على النصرانية وارتجاع جبل الفتح من أيديهم بعد أن أقام فى ملكة الطاغية ثمانى عشرين سنة فرغ لعدوه وأجمع لتلمسان ووفد عليه الامير … السلطان أبى يحيى فى سبيل التهنئة بالفتح والاخذ بحجزة أبى تاشفين بياض بالأصل
على الثغور وأوفد السلطان الى أبى تاشفين شفعاء فى أن يتخلى عن عمل الموحدين جملة ويتراجع لهم عن تدلس ويرجع الى تخوم عمله منذ أول الامر ولو عامئذ ليعلم الناس جاه السلطان عند الملوك ويقدروه حق قدره واستنكف أبو تاشفين مع ذلك وأغلظ للرسل فى القول وأفحش بمجلسه بعض السفهاء من العبيد فى الرد عليهم والنيل من مرسلهم فانقلبوا اليه بما أحفظه فانبعثت عزائم السلطان للصمود اليهم وعسكر بساحة البلد الجديد وبعث وزراءه الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والعساكر ثم ارتحل فاعترض جنوده وأزاح عللهم وعبى مواكبه وسار فى التعبية وفصل بعساكره من فاس أواسط خمس وثلاثين وسار بحر الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده ومر بوجدة فجمر الكتائب لحصارها ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم واقتحمها فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس ثم سار على تعبيته حتى أناخ على تلمسان وبلغه الخبر بتغلب عساكره على وجدة سنة ست وثلاثين فأوعز اليه بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت امداد النواحى وجهاتها وحشودها ورجع بعض على فريسته ووفدت اليه قبائل مغراوة وبنى توجين فآتوه طاعتهم ثم سرح عساكره الى الجهات فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتنس والجزائر كذلك سنة ست وثلاثين ونزع اليه يحيى بن موسى صاحب القاصية الشرقية من عمله والمتاخم كان لعمل الموحدين والقائم بحصار بجاية بعد نكبة موسى بن على فلقاه مبرة وتكريما ورفع بساطه ونظمه فى طبقات وزرائه وجلسائه وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى ابن سليمان العسكرى كبير بنى عسكر بن محمد وشيخ بنى مرين وصاحب شوراهم بمجلس السلطان والمخصوص بصهر من السلطان عقده على ابنته فسار فى الولاية والجنود

وطوع ضاحية الشرق وقبائله وافتتح أمصاره حتى انتهى الى المرية ونظم البلاد في طاعة السلطان واحتشد حشد قبائلها الى معسكره فلحقوا به وكاثروا جنوده واستعمل السلطان على وانشريس وعمل الحشم من بني توجين وعقد لسعد بن سلامة ابن علي على بني يدللتن وجعل الوالي بالقلعة الى نظره وكان خلص اليه بالمغرب قبل فصوله نازعا عن أبي تاشفين لمكان أخيه قريعه محمد من الدولة واستعمل السلطان أيضا على شلف وسائر أعمال المغرب الاوسط واختط السلطان بغربي تلمسان البلد الجديد لسكناه ونزل عساكره وسماه المنصورية وأدار على البلد المخروب سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق والآلات من وراء خندقه ينضح رماته بالنبل رماتهم ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر أقرب منه وترتفع شرفاته فوق خندقهم ويصاصع المقاتلة بالسيوف من أعاليها ورتب المجانيق الى رجمها ودكها فنالت من ذلك فوق الغاية واشتد الحرب وضاق نطاق الحصار وكان السلطان يصبحهم كل يوم بالبكور والتطواف على البلد من جميع جهاته لتفقد المقاتلة في مراكزهم وربما ينفرد في طوافه بعض الايام عن حاشيته فاهتبلوا الامر يحسبونه غرة وصفوا جيوشهم من وراء السور مما يلي الجبل المطل على البلد حتى اذا حاذاه السلطان في تطوافه فتحوا أبوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد أن ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير سويد ووصل الصائح الى المعسكر من كل جانب فشمر جنود بني عبد الواد الى مراكزهم ثم دفعوهم عنها وجلوهم على هوة الخندق فتطارحوا فيه وترادفوا وهلك بالكظيظ أكثر ممن هلك بالقتل واستلحم في ذلك اليوم زعماؤهم مثل عمر بن عثمان كبير الحشم من بني توجين ومحمد بن سلامة بن علي كبير بني يدللتن منهم أيضا وغيرهم وكان يوما له ما بعده واعتز بنو مرين عليهم من يومئذ وندر بنو عبد الواد بالتغلب عليهم واتصلت الحرب مدة عامين ثم اقتحمها السلطان غلابا السبع وعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين ووقف أبو تاشفين بساحة قصره مع خاصته وقاتل هنالك حتى قتل ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي ووليه عبد الحق ابن عثمان من أعياص عبد الحق نزع اليه من جملة الموحدين كما أشرنا اليه واستوفى خبره فهلك هو وابنه وابن أخيه وأثخنت السلطان أبا تاشفين الجراحة ووهن لها فتقبض عليه واختبته بعض الفرسان الى السلطان فلقيه الامير أبو عبد الرحمن

بياض في الأصل

تلك الحروب وأورد غمرتها بنفسه فاعترضه وقد غض الطرف بموكبه فأمر به في الحين فقتل واحتز رأسه وسخط ذلك السلطان من فعله لحرصه على توبيخه وتقريعه وذهب مثلا في الغابرين واقتحم السلطان البلد بكافة عساكره وتواقع الناس

بباب كشوط لجنوبهم من كظيظ الزحام فهلك منهم أمم وانطلقت أيدى النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرّات فى أموالهم وحرمهم وخلص السلطان الى المسجد الجامع مع لمة من خواصه وحاشيته واستدعى شيوخ الفتيا بالبلد أبو زيد وأبو موسى ابنا الامام وفاء بحق العلم وأهله فخلصوا اليه بعد الجهد وعناء وذكروه بما نال الناس من النهب فركب لذلك بنفسه وسكن وأوزع جنوده وأشياعه من الرعية وقبض أيديهم عن الفساد وعاد الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر وشهد ذلك اليوم أبو محمد بن تافراكين وافاه رسولا عن مولانا السلطان أبي يحيى ومجدّد العهد فأعجله السلطان الى مرسله بالخبر وسابق السابقين ودخل تونس لسبع عشرة ليلة من نوبة الفتح فعظم السرور وعند السلطان أبي يحيى بمهلك عدوّه والانتقام منه بثاره واعتدّها بمساعيه ورفع السلطان أبو الحسن القتل عن بنى عبد الواد أعدائهم وشفى نفسه بقتل سلطانهم وعفا عنهم وأثبتهم فى الديوان وفرض لهم العطاء واستتبعهم على راياتهم ومراكزهم وجمع كلمة بنى واسين من بنى مرين وبنى عبد الواد وتوجين وسائر زناتة وأنزلهم ببلاد المغرب وسدّ بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله وساروا عصائب تحت لوائه فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس حامية ومرابطين واندرجوا فى جملته واتسع نطاق ملكه وأصبح ملك زناتة بعد أن كان ملك بنى مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

• (الخبر عن نكبة الامير عبد الرحمن بمتيجة وتقبض السلطان عليه ثم مهلكه اخرا) •

قد قدمنا ما كان من اشتراط السلطان أبى سعيد على الموحدين منازلتهم تلمسان مع عساكره وتلوّم السلطان أبي الحسن بتاسالت لانتظار مولانا السلطان أبي يحيى ولما نازل تلمسان بعساكره المرّة الثانية لم يطالبهم بذلك وكان أبو محمد بن تافراكين يتردّد اليه وهو بمعسكره من حصار تلمسان مؤدّيا حقه مستخبرا ما آل عدوّهم فلما تغلب على تلمسان أسرّ اليه سفيره أبو محمد بن تافراكين بأنّ سلطانه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوّه وتشوّف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به وارتحل من تلمسان سنة ثلاث وثلاثين وعسكر بمتيجة منتظرا وفادة مولانا السلطان أبي يحيى عليه وتكاسل السلطان عنها لما أراه المتحكم فى دولته محمد بن الحكيم من حذر مغبتها وقال له انّ لقاء سلطانين لا يتفق الا فى يوم على أحدهما فكره ذلك السلطان وتقاعد عنه وطال مقام السلطان أبي الحسن فى انتظار الموعد الذى ألقى اليه أبو محمد بن تافراكين واعتل لاشهر من لقائه ومرض فسطاطه وتحدّث أهل المعسكر بمهلكه وكان ابناه

الامير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين فى ولاية عهده منذ أيام جدهما أبى سعيد وكان السلطان قد جعل لهما من أول دولته ألقاب الامارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان والانفراد بالعساكر فكانا من ذلك على نهج وجعل لهما مع ذلك الجلوس لمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له فى سلطانه ولما اشتد وجع السلطان تمشت سماسرة الفتن بين هذين الاميرين وحزب أهل المعسكر لهما أحزابا وبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصارت شيعا وانقسموا فرقا وهم الامير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك وتفطن خاصة السلطان لها فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى الناس قبل أن يتفاقم الامر ويتسع الخرق فبرز الى فسطاط جلوسه وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا على مجلسه وتقبيل يده وتقبض على أهل الظنة من العساكر وتسامع أهل المعسكر فأودعهم السجن وسخط على الاميرين ورحل الناس من معسكرهما فردهما الى معسكره ثم رجع الى فسطاطه فارتاب الاميران لذلك ووجا وطفئت نار فتنتهما وسكن سعى المفسدين وانتبذ الناس عنهما فاشتدت روعة الامير أبى عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض الليل وأصبح بحلة أولاد على أمراء زغبة الموطنين بأرض حمزة فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبى الفضل ورده الى أبيه فاعتقله بوجدة ورتب العيون لحراسته من حشمه الى أن قتل بعد ذلك سنة ثنتين وأربعين وثب بالحصان فقتل وأنفذ السلطان حاجبه علان بن محمد فقضى عليه ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسى بالموحدين فأجاروه ورضى السلطان صنيعة زوع أبى عبد الرحمن عن أخيه أبى مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ الى تلمسان والله أعلم

(الخبر عن خروج ابن هيدور وتلبيسه بأبى عبد الرحمن)

لما تقبض السلطان على ابنه عبد الرحمن وأودعه السجن تفرق حرمه وحشمه وانذعروا فى الجهات وهمل جازر من مطبخه كان يعرف بابن هيدور كان شبيها له فى الصورة فلحق ببنى عامر من زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن الطاعة خوارج على الدولة لما كان السلطان وأبوه اختصا عريف بن يحيى أمير سويد أقتالهم منذ نزع اليهم عن أبى تاشفين فركبوا اسنن الخلاف ولبسوا جلدة النفاق وانتبذوا بالقفار ورياستهم لذلك العهد لصغير بن عامر واخوته وعقد السلطان على حربهم لونزمار بن وليه عريف وكان سيد البدو يومئذ فجمع لهم وشمر لطلابهم وأبعدوا أمامه فى المذاهب وأوقع بهم مرارا ولحق بهم هذا الجازر وانتسب لهم الى السلطان أبى الحسن وأنه أبو عبد الرحمن ابنه النازع

عنه فشبه لهم وبايعوه وأجلبوا به على نواحي المرية وبرز اليهم قائدها مجاهد بن
من صنائع الدولة ففضوا جمعه وانهزم أمامهم ثم جمع لهم وترمار وفروا عن
تلك النواحي وافترق جمعهم ونبذوا لذلك الحازر عهده فلحق ببني يرناتن من زواوة ونزل
على سيدتهم شمسي فقلدت بأمره وحمل بنوها من بني عبد الصمد قومهم على طاعته
وشاع في الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب حتى تبينت ووقفوا على كذبه في انتسابه
فنبذوا عهده ولحق بالزواودة أمراء رياح ونزل على سيدهم يعقوب بن علي وانتسب
له في مثل ذلك فأجاره ان صدق نسبه وأوعز السلطان الى السلطان أبي يحيى صاحب
افريقية في شأنه فبعث الى يعقوب وأشخصه الى السلطان مع ذويه فلحق به بمكانه من
سبتة فامتحنه السلطان وقطعه من خلاف وانحسم داؤه وبقي بالمغرب تحت جراية من
الدولة الى أن هلك سنة ثمان وثمانين والله تعالى أعلم

لما فرغ السلطان من أمر عدوه وما تبع من ذلك الاحوال صرف اعتزامه الى الجهاد
لما كان كافابه وكان الطاغية منذ شغل بني مرين عن الجهاد منذ عهد يعقوب بن عبد
الحق قد اعتزوا على المسلمين بالعدوة ونازلوا معاقلهم وتغلبوا على الكثير منها وارتجعوا
الجبل ونازلوا السلطان أبا الوليد في عقر داره بغرناطة ووضعوا عليه الجزية فتقبلها
وأسفوا الى التهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت
على الايدي يده وانفسح نطاق ملكه دعته نفسه الى الجهاد وأوعز الى ابنه الامير أبي
مالك أمير الثغور من عمله بالعدوة سنة أربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه
العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء فشخص غازيا في الحفل وتوغل في بلاد الطاغية
واكتسحها وخرج بالسبي والغنائم الى أدنى صدره من أرضهم وأناخ بها واتصل به الخبر
بأن النصارى جمعوا له وأغذوا السير في اتباعه واشار عليه الملأ بالخروج من أرضهم
واجازة الوادي الذي كان تخما بين أرض الاسلام ودار الحرب وأن يصير الى مدن
المسلمين فيمتنع بها فلج في اباته وصمم على التعريس وكان قرما ثبتا الا أنه غير بصير بالحروب
لمكان سنه فصبحهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم في
اباياتهم وأدرك الامير أبو مالك بالارض قبل أن يستوي على فرسه فجدلوه واستلحموا
الكثير من قومه واحتووا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا
على أعقابهم واتصل الخبر بالسلطان فتفجع لهلاك ابنه واسترحم له واحتسب عند الله
أجره وفي سبيله قتله وشرع في اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل

هذا البياض في المواضع الثلاثة بالأصل

لما بلغ الخبر الى السلطان باستشهاد ابنه أخرج وزراءه الى السواحل لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء واعترض الجنود وأزاح عللهم واستنفر أهل المغرب وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد وتسامعت أمم النصرانية بذلك فاستعدوا للمدافعة وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مراسي العدوة وبعث الى الموحدين بتجهيز أسطولهم اليه فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم ووافى سبتة فى ستة عشر من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغرب بمرسى سبتة تناهز المائة وعقد السلطان عليها لمحمد بن على العزفى الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد اكمل عديدهم وعدتهم فاستلأموا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى أسطول النصارى وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يعض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشدت الشعراء بين يديه وكان يوما من أعز الايام والمنة لله

(الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين)

لما ظفر المسلمون بأسطول النصارى وخضدوا شوكتهم عن ممانعة الجواز شرع السلطان فى اجازة العساكر الغزاة من المطوعة والمرتزقة وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدوة الى العدة ولما استكمل اجازة العساكر أجاز هو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين ونزل بساحة طريف وأناخ بعساكره عليها واضطرب معسكره بفنائها وبدأ بمنازلتها ووافاه سلطان الاندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بعسكر الاندلس من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو فعسكر واحدا معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بهم أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر وطال ثواؤهم بمكانهم من حصار البلد ففنيت أزودتهم وافتقدوا العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوال المعسكر واحتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه فى قومه وزحف اليهم لستة أشهر من نزولهم ولما قرب معسكرهم سرب الى طريف جيشا من النصارى أكمنه بها فدخلوه ليلا على حين غفلة من العسس الذى أرصدلهم

وأحسوا بهم آخر ليلتهم فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان بأنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته وزحف الطاغية من الغد فى جموعه وعبى السلطان مواكب المسلمين صفوفا وتزاحفوا ولما نشب الحرب برز الجيش الكمين من البلد وخالفوهم الى المعسكر وعمدوا الى فسطاط السلطان ودافعهم عنه الناشبة الذين أعدوا لحراسته فاستلحموهم ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه أبى يحيى ابن يعقوب وفاطمة بنت مولانا السلطان أبى يحيى ملك افريقية وغيرهما من حظاياه فقتلوهن واستلبوهن وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر نارا وأحس المسلمون بما وراءهم فى معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان ابن السلطان صمم فى طائفة من قومه وذويه حتى خالطهم فى صفوفهم فأحاطوا به وتقبضوا عليه وولى السلطان متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية الى فسطاط السلطان من المحلة وأنكر قتل النساء والولدان ووقف منه لمنتهى أثره وانكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة وخلص السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب السفين الى سبتة فى ليلة ومحص الله المسلمين وأجزل ثوابهم

لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة وعلى مرحلة منها وجمع الآلات والايدى على حصارها واشتد مخنقها وأصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة ثنتين وأربعين وأدال الله الطيب منها بالخبيث وانصرف الى بلاده وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعودة الى الجهاد لرجع الكرة وبعث فى الامصار للاستنفار وأخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكتمل له منها عدد ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدوة مع وزيره عسكر بن تاحضريت وبعث على الجزيرة محمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليهامددا من العسكر مع موسى بن ابراهيم اليرنيانى من المرشحين للوازرة نيابة وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراه الى بحر الزقاق لمدافعته وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوه دون المسلمين وأقبل الطاغية من اشبيلية فى عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضة المجاز وأمل أن ينظمها فى مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الايدى عليها وطاول لها الحصار واتخذ

اهل

أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاولة وجاء السلطان أبو الحجاج بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة ليسرّب عليها المدد من الفرسان والمال والزرع في   الفعلة من أساطيلهم وتحت جناح الليل فلم يغنهم ذلك واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد وأجاز اليه السلطان أبو الحجاج يفاوضه في شأن السلم مع الطاغية بعد اذن الطاغية له في الاجازة مكرا به وترصد له بعض الاساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضاق أحوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الامان على أن ينزلوا عن البلد فبذله وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما أعاضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم وأجازهم بما تحدث به الناس وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة على تقصيره في المدافعة مع تمكنه منها من العساكر وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده في رجوع الكرة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون

كان عثمان بن أبي العلا من أعياص آل عبد الحق شيخ الغزاة المجاهدين من زناتة والبربر بالاندلس وكان له فيها مقام معلوم في حماية الثغور ومدافعة العدو وغزو دار الحرب ومساهمة صاحب الاندلس الجهاد كما نذكر في أخباره وكان السلطان أبو سعيد لما استصرخ بأهل الاندلس اعتذر بمكانه بينهم واشترط عليهم أن يمكنوه من قياده حتى يقضي نوبة الجهاد فلم يسعفوه بذلك ولما هلك عثمان بن أبي العلاء قام بالامر من بعده في مراسم الجهاد بنوه وكانوا يرجعون في رياستهم الى كبيرهم أبي ثابت عامر وقويت عصابتهم بالموالي والابناء وغلبت على يد السلطان واستبدوا عليه في أكثر الاحوال واستنكف لها وكان ذلك مما دعاه الى القدوم على السلطان أبي الحسن وارتاب بنو أبي العلا في اجازته اليه واتهموه على أنفسهم وأسعدهم الى منازلة جبل الفتح على كره فلما تغلب المسلمون عليه وقضى ابن الاحمر من مدافعة الطاغية عنه ارغبة ما قضى كما ذكرناه واعتزم على القفول الى حضرته أجمعوا الفتك به في طريقه وداخلوا في ذلك مولاه ابن المعلوجي لما أسفهم به من ارهاف حده والتضييق عليهم في جاههم فرصدوا وأوطؤا على البث حتى اذا وجدوا من أبي العلا مصاغية الى ذلك دفوا الى اجابتها وندبهم محمد ابن الاحمر فبعث عن السفن تعرضه في طريقه وساحل اليهم وتسابقوا الشأنهم قبل فرته فأدركوه دون حصن اصطبونة وعتبوه فاستعتب واغلظوا له في القول وقتلوا

البياض في المواضع الثلاثة بالاصل

مولاه عاصما صاحب ديوان العطاء تجنيا عليه ونكر ذلك السلطان فتناولوه بالرماح قعصا وطعنا حتى أقعصوه ورجعوا الى المعسكر فاستدعوا من كان داخلهم من الموالى وجاؤا بأخيه أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد فبايعوا له وأصفقوا على تقديمه وسرح لحينه قائده ابن عزون فاستولى له على دار الملك وتم أمره وحجبه رضوان مولى أبيهم واستبد عليه وسكن بين جنبيه من بنى أبى العلاء وقتلهم لأخيه داء دخيل حتى اذا سما السلطان أبو الحسن الى الجهاد وأجاز المدد الى ثغور عمله بالاندلس وعقد لابنه الامير أبى مالك أسر اليهم فى شأن بنى أبى العلاء بما كان أبوه السلطان أبو سعيد اشترط عليهم فى مثلها ووافق منه داعية لذلك فتقبض عليهم أبو الحجاج وأودعهم المطبق أجمع ثم أشخصهم فى السفين الى مراسى افريقية فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبى يحيى وبعث فيهم السلطان أبو الحسن اليه فاعتقلهم ثم أوعز اليه مع عريف الوزعة ببابه ميمون ابن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف عنها وأبى من اخفار ذمتهم ووسوس اليه وزيره أبو محمد بن تافراكين بأن مقصد السلطان فيهم غير ما ظنوا به من الشر ورغب بعثهم اليه والمبالغة فى الشفاعة فيهم علما بأن شفاعته لا ترد فأجابه لذلك وجنبوهم اليه مع بكرون واتبعهم أبو محمد بن تافراكين بكتاب الشفاعة فيهم من السلطان وقدموا على السلطان أبى الحسن مرجعه من الجهاد سنة ثنتين وأربعين فتلقاهم بالبر والترحيب اكراما لشفيعهم وأنزلهم بمعسكره وجنب لهم المقربات بالمراكب الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملته فلما احتل بسبتة لمشارفة أحوال الجزيرة سعى عنده فيهم بأن كثيرا من المفسدين يداخلونهم فى الخروج والتوثب على الملك فتقبض عليهم وأودعهم فى السجن بمكناسة الى أن كان من خبرهم مع ابنه أبى عنان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن هدية السلطان الى المشرق وبعثه نسخ المصحف من خطه الى الحرمين والقدس

كان للسلطان أبى الحسن مذهب فى ولاية ملوك المشرق والكلف بالمعاهد الشريفة تقبله من سلفه وضاعفه لديه متين ديانته ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى وتغلب على المغرب الاوسط وصار أهل النواحى تحت ربقة منه واستطال بجناح سلطانه خاطب لحينه صاحب مصر والشأم محمد بن قلاوون الملك الناصر وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن الحاج فى سابلتهم وكان ... فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار بياض بالاصل
وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين السلف وأجمع السلطان على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف قربة الى الله تعالى وابتغاء

للمنوبة فانتسخها وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنقيطها والقراء لضبطها وتهذيبها حتى اكمل شأنها وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الابنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ونظم بالجوهر والياقوت واتخذ له اصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب من فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها وأوفد على الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير زغبة والسابق المقدم في بساطه على كل خاصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير الخولة وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد ابن أبي مدين وعريف الوزعة ببابه وصاحب دولته عبو بن قاسم المزوار واحتفل في الهدية للمزوار للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرا ووقفت على برنامج الهدية بخط أبي الفضل بن أبي مدين هذا الرسول ووعيته وأنسيته وذكر لي بعض قهارمة الدار أنه كان فيها خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى ومموها وخمسمائة حمل من متاع المغرب وماعونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وازرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة بالدباغ المعارف وتنسب الى اللمط ومن خرثي المغرب وماعونه ومايستظرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج في ركابه ذلك فأذن لها واستبلغ في تكريمها واستوصى بها وافده وسلطان مصر في كتابه وفصلوا من تلمسان سنة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وهديتهم فتقبلها وحسن لديه موقعها وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث به الناس دهرا ولقاهم في طريقهم أنواع البر والتكرمة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبهم واسنى هدية السلطان من قماطيطهم الغريبة الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ في تكريمهم وصلتهم وبقي حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد ثم انتسخ السلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراءة بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وولي الامر من بعده ابنه أبو الفداء اسمعيل فخاطبه السلطان وأتحفه وعزاه

بياض بالأصل

عن أبيه وأوفد عليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين فقضى من وفادته ما حصل وكان شأنه عجبا في اظهار ابهة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم ثم شرع بعد استيلائه على افريقية كما ذكره في كتاب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن هدية السلطان الى ملك مالي من السودان المجاورين للمغرب)

كان للسلطان أبي الحسن مذهب في الفخر يتطاول به الى مناغات الملوك الاعاظم واقتفاء سنتهم في مهاداة الاقتال والامصار وانفاد الرسل على ملوك النواحي القاصية والتخوم البعيدة وكان ملك مالي أعظم ملوك السودان لعهده ومجاور الملكه بالمغرب على مائة مرحلة في القفر من ثغور ممالكه القبلية ولما غلب بني عبد الواد على تلمسان وابتزهم ملكهم واستولى على ممالك المغرب الاوسط وتحدث الناس بشأن أبي تاشفين وحصاره ومقتله وما كان للسلطان في ذلك من سورة التغلب وآية العز وشاعت أخبار ذلك في الآفاق وسما سلطان مالي منسا موسى المتقدم ذكره في أخبارهم الى مخاطبته فأوفد عليه فرانقين من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة فوفدوا على السلطان في التهنئة بالغلب والظفر فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم ونزع الى طريقته في الفخر فأتحف طرفا من متاع المغرب وماعونه من ذخيرة داره واستاهاو عين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصي وأوفدهم بها على ملك مالي منسا سليمان بهلاك أبيه قبل مرجع وفده وأوعز الى اعراب الفلاة من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجائين فشمر لذلك على بن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل وصحبهم في طريقهم امتثالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركاب في القفر الى بلد مالي بعد الجهد وطول الشقة فأحسن مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم وعادوا الى مرسلهم في وفد من كبار مالي يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتماله في مرضاته ما استوصاهم به فأدوا رسالتهم وبلغ السلطان أربا من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه وقضاء حق الشكر لله في صنعه

(الخبر عن اصهار السلطان الى صاحب تونس)

لما هلكت ابنة السلطان أبي يحيى بطريف فيمن هلك من حظايا السلطان أبي الحسن بفساطيطه بقي في نفسه منها شئ حنينا الى ما شغفته به من خلالها وعزة سلطانها وقيامها

على بنتها وظفرها فى تصريفها والاستمتاع بأصول الترف ولذاذة العيش فى عشرتها فسما أمله الى الاعتياض عنها ببعض أخواتها وأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير زغبة وكاتب الجباية والعساكر بدولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبى مدين وفقيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبرا الخصى فوفدوا يوم من سنة ست وأربعين وأنزلوا منزل البر واستبلغ فى تكريمهم ودس الحاجب أبو عبد الله ابن تافراكين الى سلطانه غرض وفادتهم فأبى من ذلك صونا لحرمه عن جولة الاقطار وتحكم الرجال واستعظاما لمثل هذا العرس ولم يزل حاجبه ابن تافراكين يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع الاذمة السابقة بينهما من الصهر والمخالصة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك اليه فانعقد الصهر بينهما وأخذ الحاجب فى شوار العروس وتأنق فيه واحتفل واستكثر ومطال ثواء الرسل الى أن استكمل وارتحلوا من تونس لربيع من سنة تسع وأوعز مولانا السلطان أبو يحيى الى ابنه الفضل صاحب بونة وشقيق هذا العروس أن يزفها على السلطان أبى الحسن قياما بحقه وبعث من بابه مشيخة من الموحدين مقدمهم عبد الواحد بن محمد ابن كماز ليصحبوا ركابها اليه ووفدوا جميعا على السلطان واتصل الخبر أثناء طريقهم بمهلك مولانا السلطان أبى يحيى عفا الله عنه فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ فى تكريمهم وأجمل موعد أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فاطمأنت به الدار الى أن سار فى جملة السلطان وتحت ألويته الى افريقية كما نذكر ان شاء الله تعالى

بياض بالأصل

(الخبر عن حركة السلطان الى افريقية واستيلائه عليها)

كان السلطان أبو الحسن قد امتدت عينه الى ملك افريقية لولا مكان السلطان أبى يحيى من ولايته وصهره وأقام يتحين لها الاوقات ولما بعث اليه فى الصهر وأشيع بتلمسان أن الموحدين ردوا خطبته نهض من المنصورة بتلمسان وأغذ السير الى فاس ففتح ديوان العطاء وأزاح علل العسكر وعقد على المغرب الاقصى لحافده منصور بن الامير أبى مالك وفوض الى الحسن بن سليمان بن يرزيكن فى أحكام الشرطة وعقد له على الضاحية وارتحل الى تلمسان مضمرا الحركة الى افريقية حتى اذا جاء الخبر اليقين بالاسعاف والزفاف سكن عزمه وهدأ طائره فلما هلك السلطان أبو يحيى فى رجب من سنة سبع وأربعين وكان من قيام ابنه عمر بالامر ونزوع الحاجب أبى محمد بن تافراكين فى رمضان منها ما ذكرناه تحركت عزائم السلطان لذلك ورغبه ابن تافراكين فى ملك الموحدين فرغب وجاء على أثره الخبر بما كان من قبل عمر لاخيه أحمد ولى العهد

وكان يستظهر على عهده بكتاب أبيه وما أودعه السلطان بحاشيته من الوفاق على ذلك
بخطه واقتضاه منه حاجبه أبو القاسم بن عتو فى سفارته اليه فامتعض السلطان لما
أضاع عمر من عهد أبيه وهدر من دم أخيه وارتكب مذاهب العقوق فيهم وخرق
السياج الذى فرضه بخطه عليهم فأجمع الحركة الى افريقية ولحق به خالد بن حمزة بن عمر
نازعا اليه ومستعدا مسيره ففتح ديوان العطاء ونادى فى الناس بالمسير الى افريقية
وأزاح عللهم وكان صاحب بجاية المولى أبو عبد الله حافد مولانا الامير أبى يحيى وفد على
السلطان أبى الحسن اثر مهلك جده بقرب المآب بسفارة أبيه اليه وبطلب الاقرار
على عمله فلما استيأس منه واستيقن حركته بنفسه الى افريقية طلب الرجوع الى
مكانه فأسعف وفصل الى بجاية ولما قضى السلطان منسك الاضحى من سنة تسع
وأربعين عقد لابنه الامير أبى عنان على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر فى أموره كافة
وجعل اليه جبايته وارتحل يريد افريقية وسار فى جملته هو وخالد بن حمزة أمير البدو
ولما احتل بوهران ووافاه هنالك وفد قسنطينة وبلاد الجريد يقدمهم أحمد بن مكى
أمير جربة ورديف أخيه عبد الملك فى امارته ويحيى بن محمد بن يملول أمير توزر سقط اليها
بعد خروج الامير أبى عمر العباس ولى العهد عنها ومهلكه بتونس وأحمد بن عامر بن
العابد رئيس نفطة رجعا اليهما كذلك بعد مهلك ولى العهد فلقيه هؤلاء الرؤساء
بوهران فى ملاء من وجوه بلادهم فأتوه ببيعتهم وقضوا حق طاعته محمد بن ثابت بياض فى الاصل
أمير طرابلس عن اللحاق به فبعث ببيعته معهم فأكرم وفدهم وعقد لهم على أمصارهم
وصرفهم الى أعمالهم وتمسك بأحمد بن مكى لصحابة ركابه وفى جملته وأغذ السير
ولما احتل ببنى حسن من أعمال بجاية وافاه بها منصور بن فضل بن مزنى أمير بسكرة
وبلاد الزاب فى وفد من أهل وطنه ويعقوب بن على بن أحمد سيد الزواودة وأمير البدو
بضاحية بجاية وقسنطينة فتلقاهم بالمبرة والاحتفاء وألزمهم ساقته وسرح بين يديه
قائده حمو بن يحيى العسكرى من صنائع أبيه فلما عسكر بساحة بجاية أبى أبو عبد الله
وأبى عليه أهل البلد رهبة من السلطان ورغبة فيه وانفضوا من حوله ولاقت مشيختهم
من القضاة وأهل الفتيا والشورى بمجلس السلطان وسابقهم اليه حاجبه فارح بن سيد
الناس فأدى طاعته ورجعه اليه للخروج للقاء ركابه وارتحل حتى اذا أطلت راياته على
البلد بادر المولى أبو عبد الله ولقيه بساحة البلد واعتذر عن تخلفه فتقبل عذره وأحله
من البرور والتكرمة محل الولد العزيز وأقطعه عمل كومية من نواحى تلمسان وأسنى
جرايته بتلمسان وأصحبه الى ابنه أبى عنان صاحب المغرب الاوسط واستوصاه به ودخل
بجاية فرفع عنهم الظلامات وحط عنهم الربع من المغارم ونظر فى أحوال ثغورها

فثقفها

فثقفها وسد ثغورها وعقد عليها لمحمد بن النوار من طبقة الوزراء والمرشحين لها وأنزل
معه حامية من بني مرين وكاتب الخراج ببابه بركات بن حسون بن البواق وارتحل
بعد السيرة حتى احتل بقسنطينة وتلقاه أميرها أبو زيد حافد مولانا السلطان أبي يحيى
وأخواه أبو العباس أحمد وأبو يحيى زكريا وسائر اخوتهم فأتوه ببيعتهم ونزلوا له عن
عملهم وأدالهم السلطان منه بندرومة من عمل تلمسان عقد للمولى أبي زيد على امارتها
وجعل له اسوة اخوته في اقطاع جبايتها ودخل البلد وعقد عليها لمحمد بن العباس
وأنزل معه العباس بن عمر في قومه من بني عسكر وأمضى اقطاعات الزواودة ووافاه
هنالك عمر بن حمزة سيد الكعوب لعهده وأمير البدو مستحثا ركابه وأخبره برحيل
السلطان عمر ابن مولانا السلطان أبي يحيى من تونس فيمن اجتمع اليه من أولاد مهلهل
اقتالهم من الكعوب بموجها الى ناحية قابس وأشار على السلطان بتسريح
العساكر لاعتراضه قبل أن يخلص الى طرابلس فسرح معه حمو بن يحيى العسكري
قائده في عسكر من بني مرين والجند وارتحلوا في اتباع السلطان أبي حفص وتلوم
السلطان أبو الحسن بقسنطينة واعترض عساكره بسطح الجعاب منها وصرف يوسف
ابن مزني الى عمله بالزاب بعد أن خلع عليه وحمله ثم عقد للمولى الفضل ابن مولانا
السلطان أبي يحيى على مكان عمله ببونة وملأ حقائبه بجائزة وخلعا نفيسة وسرحه
ثم ارتحل على أثرهم وأوعز حمو بن يحيى مع الناجعة من أولاد أبي الليل ولحقوا بالامير
أبي حفص   لمباركة من ناحية قابس فأوقعوا به وتردى عن فرسه في حومة
القتال هو ومولاه ظافر السنان القائم بدولته من المعلوجي فتقبض عليهما وسيقا
الى أبي حمو فاعتقلهما الى الليل ثم ذبحهما وأنفذ رؤسهما الى السلطان ولحق الفل
بقابس فتقبض عبد الملك بن مكي على أبي القاسم بن عتو صاحب الامير أبي حفص
وشيخ الموحدين وعلى صخر بن موسى شيخ بني سكين من سدويكش فيمن تقبض عليه من
ذلك الفل وأشخصهم مقرنين في الاصفاد الى السلطان وسرح السلطان عساكره الى
تونس وعقد عليهم ليحيى بن سليمان صهره من بني عسكر على ابنته وأنفذ معه أحمد بن مكي
فاحتلوا بتونس واستولوا عليها وانطلق ابن مكي الى مكان عمله من هنالك لما عقد له
السلطان عليه وسرحه اليه بعد أن خلع عليه وعلى حاشيته وحملهم ونزل السلطان
بناحية   فوافاه هنالك البريد برأس الامير أبي حفص وعظم الفتح ثم ارتحل
الى تونس واحتل بها يوم الاربعاء الثامن لجمادى الآخرة من سنة ثمان وتلقاه وفد
تونس وملؤها من شيوخ الشورى وأرباب الفتيا فأتوا طاعتهم وانقلبوا مسرورين
لمكانتهم ثم عبى يوم السبت الى دخولها مواكبه وصف جنوده سماطين من معسكره

هذان البياضان بالأصل

بهجوم الى باب البلد بناهز ثلاثة أميال أو أربعة وركب بنو مرين الى مراكزهم
في جموعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطه وراكبه من على يمينه ويليه
عريف بن يحيى أمير زغبة ويليه أبو محمد عبد الله بن تافراكين ومن على يساره الامير
أبو عبد الله محمد أخو مولانا السلطان أبي يحيى ويليه الامير أبو عبد الله ابن أخيه
خالد كانا معتقلين بقسنطينة مع ولدهما منذ خروج أخيه الامير ابى فارس
فأطلقهم السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طرازا في ذلك الموكب فمن
لا يحصى من أعياص بني مرين وكبرائهم وهدرت طبوله وخفقت راياته وكانت يومئذ
مائة وجاءوا المواكب تجتمع عليه صفا صفا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض
بالجيوش وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ودخل السلطان الى القصر وخلع على أبي محمد
ابن تافراكين كسوته وقرب اليه فرسه بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا
ودخل السلطان مع أبي محمد بن تافراكين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف
عليها ودخل منه الى الرياض المتصلة به المدعوة برأس الطابية فطاف على بساتينه : بياض بالاصل
وأفضى منه الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر
لحمايتها ووصل اليه فل الامير أبي حفص والاسرى بقابس مقرنين في أصفادهم
فأودعهم السجن بعد ان قطع أبا القاسم بن عتو وصخر بن موسى من خلاف افتيا
الفقهاء بحرابتهم وارتحل من الغد الى القيروان فجال في نواحيها ووقف على آثار
الاولين ومصانع الاقدمين والطلول الماثلة لصنهاجة والعبيديين وزار اجداث العلماء
والصالحين ثم سار الى المهدية ووقف على ساحل البحر ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبل
أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر بأحوالهم ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط
المنستير وانكفأ راجعا الى تونس واحتل بها غرة رمضان وأنزل المسالح على ثغور
افريقية وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات الموحدين للعرب
واستعمل على الجهات وسكن القصر وقد عظم الفتح وعظمت في الاستيلاء على الممالك
والدول المنة واتصلت ممالكه ما بين مسراتة والسوس الاقصى من هذه العدوة والى
رندة من عدوة الاندلس والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * ودفع
اليه الشعراء بتونس يهنؤنه بالفتح وكان سابقهم في تلك النوبة أبو القاسم الرحوي
من ناشئة أهل الادب فرفع اليه قوله

أجابك شرق اذ دعوت ومغرب * فمكة هشت للقاء ويثرب
وناداك مصر والعراق وشامه * بدار فاصدع الدين عندك يشعب
وحيتك أو كادت تحيي منابر * عليها دعاة الحق باسمك تخطب

فسارع

فسارع منا كل دار وشاسع * الى طاعة من طاعة الله تجلب
وتاقت لك الارواح حبا ورغبة * وأنت على الآمال تنأى وتقرب
في البلدة البيضاء البالك معشر * وأنت بأفق الشادمر يترقب
ووافتك من ذات النخيل وفودها * فلاقاهم أهل لديك ومرحب
ولم تتلكأ عن اباء بجاية * ولكن تراض الصعب ثم تركب
تأبت فلما ان أطلت عساكر * ترى الشهب منها تستباح وتنهب
تبادر منهم مذعن ومسلم * وأذعن منهم شاغب ومؤلب
وما تونس الا بعصر مروع * وفي حرم أمست لديك تسرب
وما أهلها الا بغاث لصائد * وبالعز منها استنسروا وتعقبوا
وقد كنت قبل اليوم كهف زعيمهم * فها أنت كهف للجميع ومهرب
فكان يرى أن الزمان أداله * بكم فاجتاب العيش والعيش مخصب
كذلك ابن طائع وان اعتلت * به السن أحوالا وأنت له أب
وما ذاك الا أن عدلك ينتمي * الى الخلفاء الراشدين وينسب
تساميت في ملك ونسك بخطبه * حذياك محراب لديها ومركب
اذا الذ للاملاك خمر مدامة * فلذلك القرآن يتلى ويكتب
وان أدمن القوم الصبوح نعما * على ركعات بالضحى أنت تدأب
وان حمدوا الشرب الغبوق فانما * شرابك بالامساء ذكر مرتب
وان خشنت أخلاقهم وتحجبوا * فما أنت فظ بل ولا متحجب
لقد كرمت منك السجايا فأصبحت * اذا ما أمر الدهر تحلو وتعذب
كما شيدت بيتا ذؤابة معشر * زيدهم قحطان فخرا ويعرب
هم التاركو قلب القنا ورخضها * ومن شأوهم كفت عبيد وأغلب
هم الناس والاملاك تحت جوارهم * هم العظم والارض العظيمة مغرب
هم المالكو الملك العظيم فبيتهم * على كاهل السبع الشداد مطنب
لقد أصبحت بغداد تحمد باسمهم * وحق ودت أن تكون مناسب
تجلت ببيت المجد منهم كواكب * لقد حل منها مشرق ومغرب
فلله منهم نبلة بغريبة * يروم بناها الاعجمي فيعرب
لقد قام عبد الحق للحق طالبا * فأفاته منه الذي قام يطلب
وأعقب يعقوب بايومم سبيله * فلم يخطه وهو السبيل المخصب
وخلف عثمانا فلله صارم * به بان للاسلام شرع ومذهب

فكم فى سبيل الله شن اغارة * لما شاد أهل الكفر أمست تخرب
ولما أراد الله اتمام منه * تقلدها منا مطيع ومذنب
أبى لك للدين الحنيفى آية * تعزى بها عن لامع الحق غيهب
لجئت بما يرضى به الله سالكا * سبيلا الى رضوانه بك يذهب
وقمت بأمر الله حق قيامه * يناضل عنه منك نصل مدرب
وأصبح أهل الله أهلا وشيعة * لكم ولهم منكم مكان ومنصب
وحل بأهل الفتك ماحل عزمهم * وقام لديهم واعظ مترقب
وجاهدت فى الرحمن حق جهاده * فراهب أهل الكفر بأسك يرهب
وأنقذت من أيدى الاغارة أمة * وأولى جهاد كان بل هو أوجب
فأصبحت الدنيا وما زفها * لامرك من جارى المقادير مغرب
فلا مصر الا قد عناك أهله * ولا أرض الا باذكارك تخصب
وما الارض الا منزل أنت ربه * وما حلها الا الودود المرحب
تملكت شطر الارض كسبا وشطرها * وراثا فطاب الكل ارثا ومكسب
بجيش على الالواح والماء يمتطى * وجيش على الضمر السوابق يركب
وجيش من الاحسان والعدل والتقى * وذلك لعمر الله أعلى وأغلب
فلا مركب الازين راكبا * ولا راكب الا به ازدان مركب
ولا رمح الا وهو أهيف خاطر * ولا سيف الا وهو أبيض قاضب
فكم كاتب خطيه ودوانه * ولم يقر خطا يغتدى وهو يكتب
يمر على الابطال وهو كانه * هزبر وابطال الفوارس ربرب
وكم كاتب لا ينكر الطعن رمحه * خبير بأيام الاعارب معرب
له من عجيب السحر بالقول أضرب * وفى هامة القوم المضارب مضرب
فها هو فى الاقوال واش محبر * وها هو فى الامثال ثاو مجرب
ومن ساحب بردا من العلم والتقى * عليه ذيول الداودية تسحب
له صبغة فى العلم جاءت بأصبغ * وشهبان فهم لم يشمهن أشهب
فيا عسكر قد ضم أعلام عالم * به طاب فى الدنيا لنا متقلب
هم الفئة العلياء والمعشر الذى * اذا حل شعبا فهو للحق مشعب
لك الفضل فى الدنيا على كل قاطن * ومرتحل أنى يجىء ويذهب
ويا مالكا عدلا رضا متورعا * مناقبه العلياء تتلى وتكتب
شرعت من الاحسان فينا شريعة * تساوى بها ناء ومن يتقرب

وأصبحت

وأحييت أهل النسك اذ كنت منهم * فنسك أخو التقوى قريب مقرب
وأعليت قدر العلم اذ كنت عالما * ففيه وفى طلابه لك مأرب
فمدحك محتوم على كل قائل * ومن ذا الذى يحصى الرمال ويحسب
فلله كم تعطى وتغطى وتجتبى * فللبحر من كفيك قد صح منسب
فلا برحت كفاك فى الارض مزنة * يطيب بها للخلق مرعى ومشرب
ولازلت فى علياء مجدك راقيا * وشانئك المدحوض ينكى وينكب
توافى على أقصى أمانيك آمنا * فلا ريب تعصى ولا تتعصب

الخبر عن واقعة العرب مع السلطان أبى الحسن بالقيروان وما تخللها من الاحداث

كان هؤلاء الكعوب من بنى سليم رؤساء البدو بافريقية وكان لهم اعتزاز على الدولة لا يعرفون غيره منذ اولها بل وما قبلها اذ كان سليم هؤلاء منذ تغلب العرب من مضر على الدول والممالك أول الاسلام انتبذوا الى الضواحى والقفار وأعطوا من صدقاتهم عن عزة وارتاب الخلفاء بهم لذلك حتى لقد أوصى المنصور ابنه المهدى أن لا يستعين بأحد منهم كما ذكر الطبرى فلما اشتالت الدولة العباسية واستبد الموالى من العجم عليهم اعتز بنو سليم هؤلاء بالقفر من أرض نجد وأجلبوا على الحاج بالحرمين ونالتهم منهم معرات ولما انقسم ملك الاسلام بين العباسية والشيعة واختطوا القاهرة نفقت لهم أسواق الفتنة والتعزز وساموا الدولتين بالهضيمة وقطع السابلة ثم أغراهم العبيديون بالمغرب وأجازوا الى برقة على اثر الهلاليين فخربوا عمرانها وأجروا فى خلالها حتى اذا خرج ابن غانية على الموحدين وانتزى بالثغور الشرقية طرابلس وقابس واجتمع معه قراقش الغزى مولى بنى أيوب ملوك مصر والشام وانضاف اليهم أفاريق العرب من بنى سليم هؤلاء وغيرهم أجلبوا معه على الضواحى والامصار وصاروا فى جملتهم من ناعق فتنتهم ولما هلك قراقش وابن غانية واستبد آل أبى حفص بافريقية وأعزاز الزواودة على الامير أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص استظهر عليهم ببنى سليم هؤلاء وزاحمهم بظواعنهم وأقطعهم بافريقية ونقلهم عن مجالاتهم بأطرابلس وأنزلهم بالقيروان فكان لهم من الدولة مكان وعليها اعتزاز ولما افترق سلطان بنى أبى حفص واستبد الكعوب برياسة البدو وضربوا بين أعياصها وسعوا فى شقاقها وأصابت منهم وأصابوا منها وكان بين مولانا الامير أبى يحيى وبين حمزة بن عمر أخى الامير منازعة وفتن وحروب سجال اعانه عليها ما كان من رغب بنى عبد الواد الى افريقية وطمعهم فى تملك ثغورها فكان يستجر جيوشهم لذلك وينصب الاعياص من بنى أبى

حفص يزاحمهم ثم غلبه مولانا السلطان أبو بكر آخرا واستجره الى الطاعة ما كان
من قطع كلمة الزبون عن مولانا السلطان أبي يحيى وهلاك عدوه من آل يغمراسن
بسيف وليه وظهيره السلطان أبي الحسن فأذعن وسكن غرب اعتزازه وحمل بني سليم
على اعطاء صدقاتهم فأعطوها باكراهه ثم هلك باغتيال الدولة له فيما زعمون وقام
بالامر بنوه ولم يعرفوا عواقب الامور ولا أبلوا باعتساف الدولة ولم يعهدوا ولا سمعوا
لسلفهم غير الاعتزاز فحدثتهم أنفسهم بالفتنة والاعتزاز على قائد الدولة وحاربوه
فغلبوه وأجلبوا على السلطان في ملكه ونازلوه بعقر داره سنة ثنتين وأربعين ولما
شامهم الامير ابن مولانا السلطان أبي يحيى الهضيمة بعد مهلك أبيه نزعوا الى أخيه
ولي العهد فجاء الى تونس وملكها بيعا ثم اقتحم عليه أخوه الامير أبو حفص فقتله
وتقبض يوم اقتحامه البلد على أبي الهول بن حمزة أخيهم فقتله صبرا بباب داره بالقصبة
فأسفهم بها ونزعوا الى السلطان أبي الحسن ورغبوه في ملك افريقية واستعدوه
اليها ولما تغلب السلطان على الوطن وكانت حاله في الاعتزاز على من في طاعته غير حال
الموحدين وملكته للبدو وغير ملكتهم وحين رأى اعتزازهم على الدولة وكثرة ما أقطعتهم
من الضواحي والامصار نكره وأدالهم من الامصار التي أقطعهم الموحدون بأعطيات
فرضها لهم في الديوان واستكثر جبايتهم فنقصهم الكثير منها وشكا اليه الرعية من
البدو وما ينالونهم به من الظلامات والجور بفرض الاتاوة التي يسمونها الخفارة فقبض
أيديهم عنها وأوعز الى الرعايا بمنعهم منها فارتابوا لذلك وفسدت نياتهم وثقلت وطأة
الدولة عليهم فترصدوا الها وتسامع ذوبانهم وبواديهم بذلك فأغاروا على قياطين بني
مرين ومسالحهم بثغور افريقية وفروجها واستاقوا أموالهم وكثر شاكيهم وأظلم
الجو ما بينهم وبين السلطان والدولة ووفد عليه بتونس بعد مرجعه من المهدية وفد
من مشيختهم كان فيهم خالد بن حمزة مستصحبه الى افريقية وأخوه أحمد وخليفة بن عبد
الله بن مسكين وابن عمه خليفة بن بوزيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان وأكرمهم
ثم رفع اليه الامير عبد الرحمن ابن السلطان أبي يحيى زكريا بن اللحياني كان في جملته وكان
من خبره انه رجع من المشرق بعد مهلك أبيه بمصر كما قدمناه سنة ثنتين وثلاثين فدعا
لنفسه بجهات طرابلس وتابعه اعراب ذباب وبايع له عبد الملك بن مكي صاحب قابس
ونهض معه الى تونس في غيبة السلطان لتخريب تامزيزدكت كما ذكرناه فملكها أياما
وأحس بمرجع السلطان فأجفل عنها ولحق عبد الواحد بن اللحياني الى تلمسان الى
أن دلف اليها السلطان أبو الحسن بعساكره ففارقهم وخرج اليه فأحله محل
التكرمة والمبرة واستقر في جملته الى أن ملك تونس ورفع اليه عن مقدم هذا الوفد

انهم دسوا اليه مع بعض حشمه وطلبوه فى الخروج معهم لينصبوه للامر بافريقية وتبرأ الى السلطان من ذلك فأحضروا بالقصر ووبخهم الحاجب علال بن محمد بن المصمودوأمر بهم فسحبوا الى السجن وفتح السلطان ديوان العطاء وعسكر بسيجوم من ساحة البلد بعد قضائه منسك الفطر من سنته وبعث فى المسالح والعساكر فتوافت اليه واتصل الخبر بأولاد أبى الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وعسكرة السلطان لهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتعاقدوا على الموت وبعثوا الى اقتالهم أولاد مهلهل بن قاسم بن أحمد وكانوا بعد مهلك سلطانهم أبى حفص قد لحقوا بالقفر وانتبذوا عن افريقية فرارا من مطالبة السلطان بما كانوا شيعة لعدوهم فأغذ السير اليهم أبو الليل بن حمزة مستطرحا عليهم بنفسه فى الاجتماع على الخروج على السلطان فأجابوه وارتحلوا معه وتوافت احياء بنى كعب وحكيم جميعا بتوزر من بلاد الجريد فهدروا الدماء بينهم وتدامروا وتبايعوا على الموت والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من أعقاب أبى دبوس فرتبة بنى مرين من خلفاء بنى عبد المؤمن بمراكش عندما استولى عليها وكان من خبره ان أباه عثمان بن ادريس بن أبى دبوس لحق بمهلك أبيه بالاندلس وصحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بنى ذباب ببرشلونة فلما انطلق من أسره صحبه الى وطن ذباب بعد أن عقد قمص برشلونة بينهما حلفا وأمدهما باسطول على مال التزماه ونزل بنواحى طرابلس وجبال البربر بها ودعا لنفسه هنالك وقام بدعوته كافة العرب من ذباب وقاتل طرابلس فامتنعت عليه ثم بايعه أحمد بن ابى الليل شيخ الكعوب بافريقية وأجلب به على تونس فلم يتم أمره لرسوخ دعوة الحفصيين بافريقية وانقطاع أمر بنى عبد المؤمن منها وآثارهم منذ الاحوال العديدة والآماد المتقادمة فنسى أمرهم وهلك عثمان بن ادريس هذا بجربة ثم ابنه عبد السلام بعده وترك من الولد ثلاثة أصغرهم أحمد وكان صناع اليدين ولحقوا بتونس بعد ما طوحت بهم طوائح الاغتراب وظنوا ان قد تنوسى شأن أبيهم فتقبض عليهم مولانا السلطان أبو يحيى وأودعهم السجن الى أن غربهم الى الاسكندرية سنة أربع وأربعين ورجع أحمد الى افريقية واحتل بتوزر محترفا بالخياطة يتعيش فاستدعاه بنو كعب هؤلاء حين اتفقت أهواؤهم ومن اتبعهم من احلافهم أولاد القوس وسائر شعوب علاق وخرج اليهم من توزر فنصبوه للامر وجمعوا له شيأ من الفساطيط والآلة والكسوة الفاخرة والمقربات وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بمحالهم وقياطينهم وارتحلوا المناجزة السلطان ولما قضى منسك الاضحى من سنة ثمان وأربعين ارتحل من ساحة تونس يريدهم فوافاهم فى الفرح بين بسيط تونس وبسيط

القيروان المسمى بالثنية فأجفلوا أمامه وصدقوه القتال منهزمين وهو في اتباعهم الى أن حصل بالقيروان ورأوا أن لا ملجأ منه فتدامروا واتفقوا على الاستماتة ودس اليهم من عسكر السلطان بنو عبد الواد ومغراوة وبنو توجين فغلبوا بني مرين ووعدوهم بالمناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا اليهم براياتهم وصبحوا معسكر السلطان وركب اليهم في الآلة والتعبية فاختل المصاف وتحيز اليهم الكثير ونجا السلطان الى القيروان فدخلها في الفل من عساكره ثامن المحرم سنة تسع وأربعين وتدافعت ساقات العرب في اثره وتسابقوا الى المعسكر فانتهبوه ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه وأحاطوا بالقيروان وأحاطت حللهم بها سياجا وتعاوت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان وبلغ الخبر الى تونس فاستحصن بالقصبة أولياء السلطان وحرمه ونزع ابن تافراكين من جملة السلطان بالقيروان اليهم فعقدوا له على حجابة سلطانهم أحمد بن أبي دبوس ودفعوه الى محاربة من كان بالقصبة بتونس وأغذ اليها السير واجتمع اليه أشياخ الموحدين وزعانف الغوغاء والجند وأحاطوا بالقصبة وعاودها القتال ونصب المنجنيق لحصارها ووصل سلطانه أحمد على اثره فامتنعت عليهم ولم يغنوا فيها غناء وافترق أمر الكعوب وخالف بعضهم بعضا الى السلطان وتساقطوا اليه فتنفس مخنق الحصار عن القيروان واختلفت اليه رسل أولاد مهلهل وأحسن بهم أولاد أبي الليل بن حمزة بنفسه وعاهد السلطان على الافراج ولم يفوا بعهده وداخل السلطان أولاد مهلهل في الخروج معهم الى سوسة فعاهدوه على ذلك وأوعز الى أسطوله بمرساها وخرج معهم ليلا على تعبية فلحق بسوسة وبلغ الخبر الى ابن تافراكين بمكانه من حصار القصبة فركب السفين ليلا الى الاسكندرية وارتاب سلطانهم ابن أبي دبوس لما وقف على خبره فانفض جمعهم وأفرجوا عن القصبة وركب السلطان أسطوله من سوسة ونزل بتونس آخر جمادى واعتمل في اصلاح اسوارها وادارة الخندق عليها وأقام لها من الامتناع والتحصين رسما ثبت لمن بعده ودفع به في نحر عدوه واستقل من نكبة القيروان وعثرتها وخلص من هوتها والله يفعل ما يشاء ولحق أولاد أبي الليل وسلطانهم أحمد بن أبي دبوس بتونس فأحاطوا بالسلطان واستبلغوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ثم راجع بنو حمزة رأيهم في طاعة السلطان فدخل كبيرهم عمر اليه في شعبان وتقبضوا على سلطانهم أحمد بن أبي دبوس وقادوه الى السلطان استبلاغا في الطاعة وامحاضا للولاية فتقبل فيئتهم وأودع ابن أبي دبوس السجن وأصهر الى عمر بابنه أبي الفضل فعقد له على بنته واختلفت أحوالهم في الطاعة والانحراف الى أن كان ما نذكره والله غالب

على أمره

(الخبر عن انتقاض الثغور الغربية ورجوعها الى دعوة الموحدين)

كان المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى لما قدم على السلطان أبي الحسن بتلمسان في زفاف شقيقته سنة سبع وأربعين بعدما اتصل به في طريقه مهلك أبيه أوسع له السلطان كنفه ومهد له جانب كرامته وبره وعمر له بوعد في المظاهرة على ملك أبيه تعزى به عن فقده وارتحل السلطان الى افريقية والمولى الفضل يرجو أن يجعل سلطانه اليه حتى اذا استولى السلطان على الثغرين بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على مكان امارته أيام أبيه ببونة فصرفه اليه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد رموا من الدولة واستثقلوا وطأة الايالة لما اعتادوا من الملك الرفيق فاشرأبوا الى الثورة عندما بلغهم خبر النكبة وقد كان توافى بقسنطينة ركاب من المغرب في طوائف من الوفود والعساكر وكان فيهم ابن صغير من أبناء السلطان عقد له على عسكر من أهل المغرب وأوعز اليه باللحاق بتونس وفيهم أعمال المغرب قدموا عند رأس الحول بجباياتهم وحسبانهم وفيهم أيضا وفد من زعماء النصارى بعثهم الطاغية بن أدفونش مع تاشفين ابن السلطان لما أطلقه من الاسر بعدما عقد السلم والمهادنة وكان أسيرا عندهم من لدن واقعة طريف كما ذكرناه وكان أصابه مس من الجنون فلما خلصت الولاية بين السلطان والطاغية وعظم عنده الاتحاف والمهاداة وبلغه خبر السلطان وتملكه افريقية أطلق ابنه تاشفين وبعث معه هؤلاء الزعماء للتهنئة وفيهم أيضا وفد من أهل مالي ملوك السودان بالمغرب أوفدهم ملكهم منسا سليمان للتهنئة بسلطان افريقية وكان معهم أيضا يوسف بن مزني عامل الزاب وأميره قدم بجباية عمله واتصل به خبر الركاب بقسنطينة فلحق مؤثرا اصحابتهم الى سدة السلطان وتوافت هؤلاء الوفود جميعا بقسنطينة واعصوصبوا على ولد السلطان فلما وصل خبر النكبة اشرأب الغوغاء من أهل البلد الى الثورة وتحلبت شفاههم الى ما بأيديهم من اموال الجباية وأحوال الثورة فنقموا عليهم سوء الملكة ودس مشيختهم الى المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى بمكانه من بونة وقد كشف القناع في الانتزاء على عمله والدعاء لنفسه فخطبوه للامر واستحثوه للقدوم فأغذ السير وتسامع بخبره أولياء السلطان فخشى ابن مزني على نفسه وخرج الى معسكره بحلة أولاد يعقوب ابن علي أمير الزواودة ولجأ ابن السلطان وأولياؤه الى القصبة ومكر بهم أهل البلد في الدفاع دونهم حتى اذا أطلت رايات المولى الفضل ونبذوا ابهم وحجزوهم الى القصبة

وأحاطوا بها حتى استنزلوهم على أمان عقدوه لهم ولحقوا بحلة يعقوب فعسكروا بها بعد أن نقض أهل البلاد عهدهم فى ذات يدهم فاستصفوه وأشار عليهم ابن مزنى باللحاق ببسكرة لتكون ركابهم الى السلطان فارتحلوا جميعا فى جوار يعقوب لماله فى تلك الضواحى حتى لحقوا ببسكرة ونزلوا منها على ابن مزنى خير نزل وكفاهم كل شئ يهمهم على طبقاتهم ومقاماتهم وعناية السلطان بمن كان وافدا منهم حتى سار بهم يعقوب بن على الى السلطان وأوفدهم عليه فى رجب من سنته واتصل الخبر بأهل بجاية بالفعلة التى فعل أهل قسنطينة فساجلوهم فى الثورة وكنسوا منازل أولياء السلطان وعماله فاستباحوها واستلبوهم وأخرجوهم من بين ظهرانيهم عراة فلحقوا بالمغرب وطيروا الخبر الى المولى الفضل واستحثوه للقدوم فقدم عليهم وعقد على قسنطينة وبونة لمن استكفى به من خاصته ورجالات دولته واحتل بجاية آخر ربيع من سنته وأعاد ملك سلفه واستوسق أمره بهذه الثغور الى أن كان من خبره مع السلطان بعد خروجه من بجاية ما نذكره ان شاء الله

الخبر عن انتزاء أولاد السلطان بالمغرب الاوسط والاقصى ثم استقلال أبى عنان بملك المغرب

لما اتصل خبر النكبة بالقيروان بالامير أبى عنان ابن السلطان وكان صاحب تلمسان والمغرب الاوسط وتساقط اليه الفل من عسكر أبيه عراة زرافات ووحدانا وأرجف الناس بهلك السلطان بالقيروان فتطاول الامير أبو عنان للاستئثار بسلطان أبيه دون الابناء لما كان له من الايثار عند أبيه لصيانته وعفافه واستظهاره القرآن فكان بعين أبيه لامنا لها وكان عثمان بن يحيى بن جرار من مشيخة بنى عبد الواد وأولاد يندوكس ابن طاع الله منهم وكان له محل من الدولة كما ذكرناه عند أخباره وكان السلطان أذن له فى الرجوع الى المغرب فرجع من معسكره بالمهدية ونزل بزاوية العباد من تلمسان وكان مسمتا وقورا جهينة خبر ممتعا فى حديثه وكان مرجما فيه الوقوف على الحدثان وكان الامير أبو عنان متشوقا الى خبر أبيه ففزع الى عثمان بن جرار فى تعرفها واستدعاه وأنس به وكان فى قلبه مرض من السلطان فأودع اذن الامير أبى عنان ما أراد من الامانى بتورط السلطان فى المهلكة وبشره بمصير الامر اليه فصادف منه اذنا واعية واشتمل عليه ابن جرار من بعدها وورد الخبر بنكبة السلطان فأغراه ابن جرار بالتوثب على الملك وسول له الاستئثار به من دون اخوانه يقينا بهلك السلطان ثم أوهمه الصدق بارجاف الناس بموت السلطان فاعتزم ونفذ عزيمته فى ذلك ما اتصل به من حافد السلطان منصور ابن الامير أبى مالك صاحب فاس وأعمال المغرب من الانتزاء على

عمله وأنه فتح ديوان العطاء واستلحق واستركب لغيبة بنى مرين عن بلادهم وخلاء جوه
من عساكرهم وأظهر العسكر والحشد لاستنقاذ السلطان من هوة القيروان يسدمنها
حسوا فى ارتقاء وتفطن لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس
وصاحب الشرطة بالضواحى فاستأذنه باللحاق بالسلطان فأذن له راحة من مكانه
وأصحبه عمال المصامدة ونواحى مراكش ليستقدمهم على السلطان بجباياتهم فلحق
بالامير أبى عنان على حين أمضى عزيمته على التوثب والدعاء لنفسه فقبض أموالهم
وأخرج ما كان بموضع السلطان بالمنصورة من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه
وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره فى ربيع من سنة تسع فبايعه الملأ وقرأ كتاب
بيعتهم على الاشهاد ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد عقد سلطانه ورست قواعد ملكه
وركب فى التعبية والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطم الناس وانتشروا وعقد على
وزارته للحسن بن يرزيكن ثم لفارس بن ميمون بن ودرار وجعله رديفاله وتبعا ورفع
مكان ابن حدار عليهم واختص لولايته ومناجاة خلوته كاتبه أبا عبد الله محمد بن
أبى عمرو وسنذكر خبره ثم فتح الديوان واستركب من تساقط اليه من فل أبيه وخلع عليهم
ودفع اليهم أعطياتهم وأزاح عللهم وبينما هو يريد الرحلة الى المغرب بلغه أن ونزمار بن
عريف ولى السلطان وخالصته عريف بن يحيى وكان أمير زغبة لعهده ومقدما على
سائر البدو أنه قد جمع له يريد حربه وغلبه على ما صار اليه من الانتزاء والثورة على أبيه
وانه قصد تلمسان بجموعه من العرب وزناتة المغرب الاوسط فعقد للحسن بن سليمان
وزيره على حربه وأعطاه الآلة وسرحه للقائه وسرح معه من حضر من بنى عامر
اقتال سويد وارتحل فى عسكره حتى احتل تسالة وناجزه ونزمار الحرب ففلت جموعه
ومضوا ا كافهم واتبع الوزير عسكرهم واكتسح أموالهم وحللهم وعاد الى سلطانه
بالفتح والغنائم وارتحل الامير أبو عنان الى المغرب وعقد على تلمسان لعثمان بن جرار
وأنزله بالقصر القديم منها حتى كان من أمره مع عثمان بن عبد الرحمن ما ذكرناه
فى أخبارهم ولما انتهى الى وادى الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان انه مضمر
الفتك به بتازى تزلفا الى السلطان ووفاء بطاعته وانه داخل فى ذلك الحافد منصورا
صاحب أعمال المغرب بما كان يظهر من طاعة جده فارتاب الامير أبو عنان به
واستظهر واشيه على ذلك بكتابه فلما قرأه تقبض عليه وقتله بالماء خنقا وأغذ السير الى
المغرب وبلغ الخبر منصور بن أبى مالك صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان
بناحية تازى وبوادى أبى الاجراف فاختل مصاف منصور وانهزمت جموعه ولحق
بفاس وانحجر بالبلد الجديد وارتحل الامير أبو عنان فى اثره وتسايل الناس على

طبقاتهم اليه وآتوه الطاعة وأناخ بعساكره على البلد الجديد فى ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وأخذ بمخنقها وجمع الايدى والفعلة على الآلات لحصارها ولحين نزوله على البلد الجديد أوعز الى الوالى بمكانه أن يطلق أولاد أبى العلاء المعتقلين بالقصبة فأطلقهم ولحقوا به فأقاموا معه على حصار البلد الجديد وطال تمرسه بها الى أن ضاقت أحوالهم واختلفت أهواؤهم ونزع اليه أهل الشوكة منهم ونزع اليهم عثمان بن ادريس بن أبى العلاء فيمن اليه من الحاشية باذنه له فى ذلك سرا ليمكن اليه فدس اليه وواعدوه الثورة بالبلد فثاروا بها واقتحمها الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور بن أبى مالك على حكمه فاعتقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على دار الملك وسائر أعمال المغرب وتسابقت اليه وفود الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان والانقياد لقائدهم عبد الله بن على بن سعيد من طبقة الوزراء حتى ثاروا به وعقدوا على أنفسهم للامير أبى عنان وقادوا عاملهم اليه وتولى كبر الثورة فيهم زعيمهم الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن رافع من بيت أبى الشرف من آل الحسين كانوا انتقلوا اليها من صقلية واستوسق للامير أبى عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين للامر وأقام مع السلطان بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على الكعوب الناكثين لعهده الناكبين عن طاعته فأقام بتونس يرجو الايام ويؤمل الكرة والاطراف تنتقض والخوارج تتجدد الى أن ارتحل الى المغرب بعد اليأس كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن انتقاض النواحى وانتزاء بنى عبد الواد بتلمسان ومغراوة بشلف وتوجين بالمرية}

لما كانت نكبة السلطان بالقيروان وانتثر ملك زناتة وانتقضت قواعد سلطانهم اجتمع كل قوم منهم لابرام أمرهم والنظر فى شأن جماعتهم وكانوا جميعا نازعوا الى الكعوب الخارجين على السلطان وبنزوعهم تمت الدبرة عليه ولحقوا بتونس مع الحاجب أبى محمد بن تافراكين ليلحقوا منها بأعمالهم وكان فى جملة السلطان جماعة من أعياصهم منهم عثمان واخوته الزعيم ويوسف وابراهيم ابناء عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان سلطان بنى عبد الواد صاروا فى ايالة السلطان منذ فتح تلمسان وانزالهم بالجزيرة للرباط ثم رجعوا أمدا استئثار الطاغية بها من مكانهم من دولته وساروا الى القيروان تحت لوائه ومعهم على بن راشد بن محمد بن منديل وقد ذكرنا أخبار أبيه وانه ربى فى ايالة السلطان وحجر الدولة يتيما وكفلته نعمتها منذ نشأته حتى كأنه لا يعرف سواها فاجتمع بنو عبد الواد بتونس وعقدوا على أنفسهم لعثمان بن عبد الرحمن لما كان كبير اخوته وآتوه

بيعتهم شرقي المصلى العتيق المطل على سيجوم من ساحة البلد لعهدي بهم يومئذ وقد وضعوا له درقة بالارض من اللمط أجلسوه عليها ثم ازدحموا مكبين على يده يقبلونها للبيعة ثم اجتمع من بعدهم مغراوة الى علي بن راشد وبايعوه وحفوا به وتعاهد بنو عبد الواد ومغراوة على الالفة وانتظام الكلمة وهدر الدماء وارتحلوا الى أعمالهم بالمغرب الاوسط فنزل علي بن راشد قومه بموضع عملهم من ضواحي شلف وتغلبوا على أمصاره وافتتحوا تدلس وأخرجوا منها أولياء السلطان وعسكره وقتلوا القاضي بمازونة سرحان كان مقيما بها الدعوة السلطان ثم سولت له نفسه التوثب والانتزاء فدعا لنفسه وقتله علي بن راشد وقومه وأجاز عبد الرحمن وقومه من بني عبد الواد الى محل ملكهم بتلمسان فألفوا عثمان بن جرار قد انتزى بها بعد منصرف الامير أبي عنان ودعا لنفسه فتجهم له الناس لتوثبه على المنصب الذي ليس لأبيه واستمسك بالبلد أياما يؤمل نزوع قومه اليه ثم زحف اليه بنو عبد الواد وسلطانهم فصدقوه الزحف وثارت به الغوغاء وكسروا أبواب البلد وخرجوا الى السلطان فأدخلوه القصر واحتل به في جمادى من سنة تسع وتسابق الناس الى مجلسه مثنى وفرادى وبايعوه البيعة العامة ثم تفقد ابن جرار ثم أغرى به البحث فعثر عليه ببعض زوايا القصر واحتمل الى المطبق فأودع به الى أن سرب اليه الماء فخات غريقا في هوته وساهم السلطان أبو سعيد عثمان أخاه أبا ثابت الزعيم في سلطانه وأشركه في أمره وأردفه في ملكه وجعل اليه أمر الحرب والنواحي والبدو وكلها واستوزر زكريا بن يحيي بن داود بن مكن من ولد محمد بن يندوكس بن طاع الله واستوسق ملكهم وأوفدوا مشيختهم على الامير أبي عنان صاحب المغرب وسلطان بني مرين فعقدوا معه السلم والمهادنة واشترطوا له عن أنفسهم دفاع السلطان اليه وزحفوا الى وهران من ثغور أعمالهم ونازلوا بها أولياء السلطان وعساكره وعاملها يومئذ عبد الله بن اجانا من صنائع السلطان أبي الحسن الى أن غلبوه عليها واستنزلوه صلحا لاشهر من حصارها واستمسك أهل الجزائر بطاعة السلطان واعتصموا بها وعقد عليها قائده محمد بن يحيي بن العسكري من صنائع أبيه بعثه اليهم من تونس بعد نكبة القيروان ونجم بالمدية علي ابن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي داعيا لنفسه وطالبا سلطان سلفه وامتنع عليه معقل ملكهم بجبل وانشريس لمكان ولد عمر بن عثمان وقومهم من بني تيغرين في رياسته وانضاش اليه أولاد عزيز من بني توجين أهل ضاحية لمدية فقاموا بأمره واعصوصبوا عليه وكانت بينه وبين أبناء عمر بن عثمان بن انشريس حرب سجال الى أن هلك وخلص أمر بني توجين لابناء عمر بن عثمان وهم على مذهبهم من طاعة السلطان وتمسكهم بدعوته وهو مقيم خلال هذا بتونس الى أن أزمع الرحلة

واحتل بالجزائر كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن رجوع الثغور الغربية لامراء الموحدين بجاية وقسنطينة)

لما توثب الامير أبو عنان على ملك أبيه وبويع بتلمسان وكانت للامير أبي عبد الله محمد ابن الامير أبي زكريا صاحب بجاية لديه خلة ومصافاة من لدن بعثه اليه السلطان أمره من بجاية وأنزله بتلمسان فدعاه السابقة وآثره بالامارة وعقد له على محل امارته من بجاية وأمده بما رضيه من المال والسلاح ودفعه اليها ليكون حجرا دون السلطان بتونس وضمن له هذا الامير صده عن النفوص اليه وسد المذاهب دونه وأوعز أبو عنان الى أساطيله بوهران فركبها الامير الى تدلس ودخلها ونزل اليه صنهاجة أهل ضاحية بجاية عن عمه الامير أبي العباس الفضل واعصوصبوا عليه وقاموا بأمره لقديم نعمته وسالف امارة أبيه ولما ارتحل الامير أبو عنان الى المغرب رحل في جملته الامير أبو زيد عبد الرحمن ابن الامير أبي عبد الله صاحب قسنطينة ومعه اخوته فاختصهم يومئذ بتغريبه وخلطهم بنفسه فلما غلب الامير أبو عنان منصور ابن أخيه أبي مالك على البلد الجديد واستولى على المغرب رأى أن يبعث ملوك الموحدين الى بلادهم ويدفع في صدر أبيه بمكانهم فسرح الامير أبا زيد واخوته وكان منهم السلطان أبو العباس الذي جبر الله به الصدع ونظم الشمل فوصلوا الى موطن ملكهم ومحل امارتهم وكان مولاهم نبيل صاحب أبيهم قد تقدم الى بجاية ولحق بالامير أبي عبد الله من حصارها ثم تقدم الى قسنطينة وبها مولى من موالي السلطان المتغلب عليها وهو الامير أبو العباس الفضل فلطف اطلاله على جهاتها وشعور أهلها بمكانه لقيت منهم عزائز المودة وذكروا جميع الايالة وأجمعوا التوثب بواليهم واحتل نبيل بظاهر قسنطينة فشرهت العامة الى امارته والقيام بدعوة مواليه وتوثب أشياعهم على أولياء عمهم فأخرجوهم واستولى القائد نبيل على قسنطينة وأعمالها وأقام دعوة الامير أبي زيد واخوته كما كانت أول مرة بها وجاؤا من المغرب الى مراكز امارتهم ودعوتهم بها قائمة وراياتهم على انحائها خافقة فاستقلوا بها حلول الآساد بعرائنها والكواكب بآفاقها ونهض الامير أبو عبد الله محمد فيمن اجتمع اليه من البطانة والاولياء الى محاصرة بلد بجاية فأجحر عمه بالبلد وأخذ بمخنقها أياما ثم أفرج عنها ثم رجع الى مكانه من حصارها ودس اليه بعض أشياعه بالبلد وسرب اليه المال في الغوغاء فواعدوه فتح أبواب الربض في احدى ليالي رمضان سنة تسع وأربعين واقتحم البلد وملأ الفضاء بهدير طبوله فهب الناس من مراقدهم فزعين وقد ولج الامير وقومه البلد ونجا الامير الفضل الى شعاب الجبل وكواريه المطل على القصبة راجلا حافيا فاختفى به الى أن عثر عليه ضحى النهار وسيق الى ابن أخيه فمن

عليه وأركبه السفين الى محل امارته من بونة وخلص ملك بجاية للامير أبي عبد الله هذا واقتعد سرير آبائه بها وكتبوا للامير أبي عنان بالفتح وتجديد المخالصة والموالاة والعمل عن مدافعة أبيه عن جهاته والله تعالى أعلم

الخبر عن نهوض الناصر ابن السلطان ووليه عريف بن يحيي من تونس الى المغرب الاوسط

لما بلغ السلطان خبر ما وقع بالمغرب من انتقاض أطرافه وتغلب الاعياص من قومه وسواهم على أعماله ووصل اليه يعقوب بن علي أمير زواودة بولده وعياله ووفده نظر في تلافي أمره بتسريح ولده الناصر الى المغرب الاوسط لارتجاع ملكه ومحو آثار الخوارج من أعمالهم فنهض مع يعقوب بن علي وأصحبه وليه عريف بن يحيي أمير زغبة ليستظهر به على ملك المغرب وقدمها طليعة بين يديه وسار الناصر الى بسكرة واضطرب معسكره بها ثم فصل من بلاد رياح الى بلاد زغبة واجتمع اليه أولياؤهم من العرب ومن زناتة من بني توجين أهل وانشريس وغيره وزحف اليهم الزعيم أبو ثابت من تلمسان في قومه من بني عبد الواد وغيرهم للمدافعة والتقى الجمعان بوادي ورك فانفضت جموع الناصر وانذعروا ورجع على عقبه الى بسكرة وخلص عريف بن يحيي الى قومه سويد ثم قطع القفر الى المغرب الاقصى ولحق بالامير أبي عنان فنزل منه بألطف محل ورجع الناصر الى بسكرة وارتحل مع أوليائهم أولاد مهلهل لمدافعة أولاد أبي الليل وسلطانهم المولى الفضل عن تونس كما ذكرناه وأحسوا به فنهض اليهم وفروا أمامه الى أن خلص الناصر الى بسكرة ثانية واتخذها مثوى الى أن لحق بأبيه بالجزائر عند رحلته من تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن رحلة السلطان أبي الحسن الى المغرب وتغلب المولى الفضل على تونس وما دعا الى ذلك من الاحوال

لما خلص المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى من نكبة بجاية وامتن عليه ابن أخيه فلحق بمحل امارته من بونة واقته بها مشيخة أولاد أبي الليل أوفدهم عليه بنو حمزة ابن عمر يستحثونه لملك افريقية ويرغبونه فيه فأجاب داعيهم ونهض اليهم بعد قضاء نسك الفطر من سنة تسع وأربعين ونزل بحللهم وأوجفوا بخيلهم وركابهم على ضواحي افريقية ويحوها وصمدوا الى تونس فنازلوها وأخذوا بمخنقها أياما ثم أخذ بحجزتهم عنها شيعة السلطان وأولياؤه من أولاد مهلهل وابنه الناصر عند قفوله من المغرب الاوسط مفلولا فرحلوهم وشردوهم ثم رجعوا الى مكانهم من حصارها ثم انفضوا عنها وتحيز خالد بن حمزة الى شيعة السلطان أبي الحسن مع أولاد مهلهل وقومه فاعتزوا به

وذهب عمر بن حمزة الى المشرق لقضاء فرضه وأجفل أبو الليل أخوه مع المولى الفضل الى
القفر حتى كان من دخول أهل الجريد فى طاعته ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان السلطان
لما خلص من القيروان الى تونس وفد اليه أحمد بن مكى مهنيا ومفاوضا فى شأن الثغر
وما منى به من انتقاض الاطراف وفساد الرعية وتدارك السلطان أمره عند فواته
بالتولية على أهل القطر من جنسهم استئلافا للمكافة واستبقاء لطاعتهم فعقد على عمل
قابس وجربة والحامة وما اليها العبد الواحد ابن السلطان زكريا بن أحمد اللحيانى
وأنفذه مع أحمد بن مكى الى عمله فهلك بجربة لليال من مقدمه فى الطاعون الجارف
عامئذ وعقد لابى القاسم بن عتو شيخ الموحدين على توزر ونفطة وسائر بلاد الجريد بعد
أن كان استخلصه بعد مفر أبى محمد بن تافراكين قريعه وما أضمر من سوء دخلته فنزل
بتوزر وجمع أهل الجريد على الولاية والمخالصة ولما نازل المولى أبو العباس الفضل
تونس مرتين وشرد أولاد مهلهل وامتنعت عليه عمد الى الجريد سنة خمس يحاول فيه
ملكا وخاطب أبا القاسم بن عتو يذكره عهده وعهد سلفه وحقوقهم فتذكر وحن ونظر الى
ما ناله به السلطان من النكبة فى أطرافه واستثار كامن حقده فانحرف وحمل الناس على
طاعة المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبى يحيى فسارعوا الى الاجابة وبايعه أهل توزر
وقفصة ونفطة والحامة ثم دعا ابن مكى الى طاعته فأجاب اليها وبايعه أهل قابس وجربة
أيضا وانتهى الخبر الى السلطان باستيلاء المولى الفضل على أمصار افريقية وأنه ناهض
الى تونس فأهمه الشأن وخشى على أمره وكانت بطانته يوسوسون اليه بالرحلة الى
المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه فأجابهم اليها وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح
علل المسافرين ولما قضى منسك الفطر من سنة خمسين ركب البحر أيام استفحال فصل
الشتاء وعقد لابنه أبى الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين أولاد حمزة من الصهر وتفاديا
بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم وأقلع من مرسى تونس ونجم دخل مرسى بجاية وقد
احتاجوا الى الماء فمنعهم صاحب بجاية من الورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم
فزحفوا الى الساحل وقاتلوا من صدهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا
وعصفت بهم الريح ليلتئذ وجاءهم الموج من كل مكان وألقاهم اليم بالساحل بعد أن
تكسرت الاجفان وغرق الكثير من بطانته وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان
فألقاه الى الجزيرة قرب الساحل من بلاد زواوة مع بعض حشمه عراة فكثوا اليلتهم
وصبحهم جفن من الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف فقربوا اليه حين رأوه وقد
تصايح به البربر من الجبال وتواثبوا اليه فاختطفه أولياؤه من أهل الجفن قبل أن
يصل اليه البربر وقذفوا به الى الجزائر فنزل بها ولأم صدعه وخلع على من وصل من فل

الاسماعيل ومن خرج اليه من أوليائه ولحق به ابنه الناصر من بسكرة واتصل بالمولى الفضل خبر رحيله من تونس وهو ببلاد الجريد فأغذ السير الى تونس ونزل بها على ابنه ومن كان بها من مخلف أوليائه فغلبوهم عليها واتصل أهل البلد بهم وأحاطوا يومئذ بالقصبة واستنزلوا ابن السلطان أبا الفضل الامير بالقصبة على الامان فخرج الى بيت أبي الليل بن حمزة وأنفذ معه من أبلغه الى مأمنه فلحق بأبيه بالجزائر وبادر الى السلطان على بن يوسف المنتزى بالمدية من بنى عبد القوى فصار فى جملته وخرج له عن الامر وزعم أنه انما كان قائما بدعوته فتقبل منه وأقره على عمله ووفد عليه أولياؤه من العرب سويد والحرث والحصين ومن اليهم ممن اجتمع الى ونزمار بن عريف المتمسك بطاعته ووفد عليه أيضا على بن راشد أمير مغراوة وأغزاه بنى عبد الواد واشترط عليه اقراره بوطنه وعمله اذا تم أمره فأبى من قبول الاشتراط ضنا بعهده من النكث فنزع عنه وصار الى مظاهرة بنى عبد الواد وبعث أبو سعيد عثمان صاحب تلمسان الى الامير أبي عنان فى المدد فبعث اليه بعسكر من بنى مرين عقد عليهم ليحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى من تيربيعن وزحف الزعيم ابو ثابت الى حرب السلطان أبي الحسن فيمن اجتمع له من عسكر بنى مرين ومغراوة وخرج السلطان من الجزائر وعسكر بمتيجة واحتشد ونزمار سائر العرب بحللهم ووافاهم وارتحلوا الى شلف ولما التقى الجمعان بشدبونة صدقه مغراوة الحملة وصابرهم ابنه الناصر وطعن فى الجولة فهلك واختل مصاف السلطان واستبيح معسكره وانتهب فساطيطه وخلص مع ونزمار بن عريف وقومه بعد ان استبيحت حللهم فخرجوا الى جبل وانشريس ثم لحقوا بجبل راشد ورجع القوم عن اتباعهم وانكفؤا الى الجزائر فتغلبوا عليها وأخرجوا من كان بها من أولياء السلطان ومحوا آثار دعوته من المغرب الاوسط جملة والامر بيد الله يؤتيه من يشاء

{الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة ثم فراره عنها وامام ابنه الى مراكش واستيلائه عليها وما تخلل ذلك}

لما انفضت جموع السلطان بشدبونة وقتل عساكره وهلك الناصر ابنه خلص الى الصحراء مع وليه ونزمار ولحق بحلل قومه سويد وأوطانهم قبلة جبل وانشريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه وارتحل معه وليه ونزمار بالناجعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم أبعدوا المذاهب وقطعوا المفاوز الى سجلماسة فى القفر فلما أطلوا عليها رعاين أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش وخرج اليه العذارى من وراء ستورهن صاغية اليه وايثارا لايالته وفر العامل بسجلماسة الى منجاته وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد سجلماسة وارتحل اليها

فى قومه وكافة عساكره بعد أن أزاح عللهم وأفاض عطاءه فيهم وكان ببنى مرين نفرة عن السلطان وحذر من غائلته لجناياتهم بالتخاذل فى المواقف والفرار عنه فى الشدائد ولما كان يعذبهم فى الاسفار ويجشمهم المهالك فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين فى مناصحة ابنه منازعة فغالبت السلطان أن جاءه الخبر بوصولهم اليه فى العساكر الضخمة مغذين السير الى دفاعه وعلم من حاله انه لا يطيق دفاعهم وأجفل عنه ونزمار وليه فى قومه سويد وكان من خبره أن عريف بن يحيى كان نزع الى الامير أبى عنان وأحله محله المعهود من تشريفهم وولايتهم حتى اذا بلغه الخبر بمناصحة ونزمار للسلطان ومظاهرته وقصده المغرب معه بناجعته زوى عنه وجه رضاه بعض الشئ وأقسم له لئن لم تفارق السلطان لأوقعن بك وبابنك عشر وكان معه فى جملة الامير أبى عنان وأمره بأن يكتب له بذلك فآثر ونزمار رضا أبيه وعلم أن غناءه عن السلطان فى وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق   عن قومه وألقى عصاه ببسكرة فكان ثواؤه بها الى أن لحق بالامير أبى عنان على ما نذكره ولما أجفل السلطان عن سجلماسة دخل الامير أبو عنان اليها وثقف أطرافها وسد فروجها وعقد عليها لحيان بن عمر بن عبد المؤمن كبير بنى ونكاسن وبلغه قصد السلطان الى مراكش فاعتزم على الرحلة اليها وانثنى عليه قومه فرجع بهم الى فاس الى أن كان من خبرهم مع السلطان ما نذكره ان شاء الله تعالى بياض بالاصل

﴿الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش ثم انهزامه أمام
الامير أبى عنان ومهلكه بجبل هنتاتة عفا الله عنه﴾

لما أجفل السلطان عن سجلماسة سنة احدى وخمسين بين يدى الامير أبى عنان وعسكر بنى مرين قصد مراكش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ولما شارفها تسارع اليه أهل جهاتها بالطاعة من كل أوب ونسلوا من كل حدب ولحق عامل مراكش بالامير أبى عنان ونزع الى السلطان صاحب ديوان الجباية أبو محمد بن محمد بن أبى مدين بما كان فى المودع من مال الجباية فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته واستركب واستلحق وجبى الاموال وبث العطاء ودخل فى طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة وثاب له بمراكش ملك أمل معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره من يد مبتزه وكان الامير أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع فى العطاء وازاحة العلل وتقبض على كاتب الجباية يحيى بن حمزة بن شعيب بن محمد بن أبى مدين اتهمه بممالأة بنى مرين فى الامالة عليه عن اللحاق بمراكش من سجلماسة وأثار حقده فى ذلك ما كان من نزوع عمه أبى المجد الى السلطان بأموال الجباية ووسوس اليه فى السعاية به كاتبه وخالصته أبو عبد الله محمد بن أبى محمد بن أبى عمر لما بينهما من المنافسة فتقبض عليه

وامتحنه

وامتحنه ثم قطع لسانه وهلك فى ذلك الامتحان وارتحل الامير أبو عنان وجموع بنى مرين الى مراكش وبرز السلطان الى لقائهم ومدافعتهم وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادى أم ربيع وتربص كل بصاحبه اجازة الوادى ثم اجازه السلطان أبو الحسن وأصحروا جميعا فى التعبية والتقى الجمعان بتامرغوست فى آخر صفر من سنة احدى وخمسين فاختل مصاف السلطان وانهزم عسكره ولحق به أبطال بنى مرين فرجعوا عنه حياء وهيبة وكبا به فرسه يومئذ فى مفرّه فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله واعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن على بن أحمد أمير الزواودة ورديف أخيه يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل فى جملته الى يومئذ فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه ردأ له وتقبض على حاجبه علال بن محمد فصار فى يد الامير أبى عنان وأودعه السجن الى أن امتن عليه بعد مهلك أبيه وخلص السلطان الى جبل هنتاتة ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن على فنزل عليه وأجاره واجتمع اليه الملأ من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتآمروا وتعاهدوا على الدفاع عنه وبايعوه على الموت وجاء أبو عنان على اثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هنتاتة ورتب المسالح لحصاره وحربه وطال عليه ثواؤه وطلب السلطان من ابنه الابقاء وبعث فى حاجبه محمد بن أبى عمر لحضر عنده وأحسن العذر عن الامير أبى عنان والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز اليه بأن يبعث له مالا وكسا فسرّح الحاجب بن أبى عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فرضه أولياؤه وخاصته وافتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء لفصده للطهارة فورم وهلك لليال قريبة عفا الله عنه لثلاث وعشرين من ربيع الثانى سنة ثنتين وخمسين وبعث أولياؤه الخبر الى ابنه بمعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواده اليه فتلقاه حافيا حاسرا وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضى عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذى رضوه من دولته وووارى أباه بمراكش الى أن نقله الى مقبرة سلفهم بشالة فى طريقه الى فاس وتلقى أبا دينار بن على بن أحمد بالقبول والكرامة وأحله محل الرحب والسعة وأسنى جائزته وخلع عليه وحمله وانصرف من فاس الى قومه يستضمهم للقاء السلطان أبى عنان بتلمسان لما كان أجمع على الحركة اليها بعد مهلك أبيه ورعى لعبد العزيز بن محمد أمير هنتاتة اجارته للسلطان واستماتته دونه فعقد له على قومه وأحله بالمحل الرفيع من دولته ومجلسه واستبلغ فى تكريمه والله تعالى أعلم

﴿الخبر عن حركة السلطان أبى عنان الى تلمسان وايقاعه
ببنى عبد الواد بانكاد ومهلك سلطانهم سعيد﴾

لما هلك السلطان أبو الحسن وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى مقبرتهم بشالة فدفنه مع من هنالك من سلفه وأغذ السير الى فاس وقد استبد بالامر وخلت الدولة عن المنازع فاحتل بفاس وأجمع أمره على غزو بنى عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذى سموا الاستخلاصه ولما كان فتح سنة ثلاث وخمسين نادى بالعطاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد واعترض العساكر وارتحل يريد تلمسان واتصل الخبر بأبى سعيد وأخيه فجمعوا قومهم ومن اليهم من الاشياع والاحزاب من زناتة والعرب وارتحلوا الى لقائه ونزل السلطان بعساكره وادى ملوية وتلوم به أياما لاعتراض الجنود والعرب ثم رحل على التعبية حتى اذا احتل بسيط أنكاد وتراءى الجمعان انفض سرعان المعسكر ولحقوا بالعرب وركب السلطان فى التعبية وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو به حتى اذا خاض اليهم من غمره وخالطهم فى صفوفهم ولوهم الادبار ومنحوهم الاكتاف واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوه واستباحوهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى وغشيهم الليل وهم متمايلون فى أثرهم وتقبض على أبى سعيد سلطانهم فسيق الى السلطان فأمر باعتقاله وأطلق أيدى بنى مرين من الغد على حلل العرب من المعقل فاستباحوهم واكتسحوا أموالهم جزاء بما شرهوا اليه من النهب فى المحلة فى هيعة ذلك الجمال ثم ارتحل على تعبيته الى تلمسان فاحتل بها لربيع من سنته واستوت فى ملكها قدمه وأحضر أبا سعيد فقرعه ووبخه وأراه أعماله حسرة عليها وأحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأفتوا بحرابته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح فى محبسه لتاسعة من اعتقاله وجعله مثلا للآخرين وخلص أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق فكان من خبره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن شأن أبى ثابت وايقاع بنى مرين به بوادى شلف وتقبض الموحدين عليه ببجاية

لما أوقع السلطان ببنى عبد الواد بانكاد وتقبض على أبى سعيد سلطانهم خاص أبو ثابت أخوه فى فل منهم ومر بتلمسان فاحتمل حرمهم ومخلفهم وأجفل الى الشرق فاحتل بشلف من بلاد مغراوة وعسكر هنالك واجتمع اليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والثبات وسرح السلطان وزيره فارس بن ميمون بن ودرار فى عساكر بنى مرين والجند فأغذ السير اليهم وارتحل من تلمسان على اثره ولما تراءى الجمعان صدق الفريقان المجاولة وخاضوا النهر بالقراع ثم صدق بنو مرين الحملة واجتازوا النهر اليهم فانكشفوا واتبعوا آثارهم واستلحموهم واستباحوا معسكرهم

و اسناقوا

واستاقوا أموالهم ودوابهم ونساءهم وارتحلوا فى اتباعهم وكتب الوزير بالفتح الى السلطان ومرّ أبو ثابت بالجزائر طارقا وأجاز الى ناحية المشرق فاعترضهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم وانتهبوا أسلابهم ومرّوا حفاة عراة واحتل الوزير بالجزائر واستولى عليها واقتضى بيعة السلطان منهم فأتوها واحتل الوزير بلدية وأوعز الى أمير بجاية المولى أبى عبد الله حافد مولانا الامير أبى يحيى مع وليه وترمار وخالصته يعقوب بن على بالتقبض على أبى ثابت فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمرصاد وعثر بعض الحشم على أبى ثابت وأبى زيان ابن أخيه أبى سعيد ووزيرهم يحيى بن داود فرفعوهم الى الامير ببجاية فاعتقلهم وارتحل للقاء السلطان بلدية وبعثهم مع مقدمته وجاء على اثرهم ونزل على السلطان بمعسكره من لمدية خير نزل بعد ان تلقاه بالمبرة والاحتفاء وركب للقائه ونزل عن فرسه للسلطان فنزل السلطان بواءله وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الزواودة بمكانه من لمدية فأكرم وفدهم وأسنى أعطياتهم من الخلع والحملان والذهب وانقلبوا خير منقلب ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزنى عامل الزاب ووفدهم فأكرمهم ووصلهم وفرغ السلطان من شأن المغرب الاوسط وبث العمال فى نواحيه وثقف اطرافه وسما الى ملك افريقية كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن تملك السلطان أبى عنان بجاية وانتقال صاحبها الى المغرب)

لما وصل السلطان أبو عبد الله محمد بن الامير أبى زكريا يحيى صاحب بجاية الى السلطان بمكانه من لمدية فى شعبان من سنته وأقبل السلطان عليه وبوأه كنف ترحيبه وكرامته خلص الامير به نجيا وشكا اليه مايلقاه من أهل عمله من الامتناع من الجباية والسعى فى الفساد ومايتبع ذلك من زبون الحامية واستبداد البطانة وكان السلطان متشوقا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يدله عنها بما شاء من بلاده فسارع الى قبول اشارته ودس اليه مع حاجبه محمد بن أبى عمرو أن يشهد بذلك على رؤس الملا ففعل ونقم عليه بطانته ذلك وفرّ بعضهم من معسكره فلحق بافريقية ومنهم على ابن القائد محمد بن الحكيم وأمره السلطان أن يكتب بخطه الى عامله على البلد بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل وعقد السلطان عليها لعمر بن على الوطاسى من أولاد الوزير الذى ذكرنا خبرا نتزائهم بتازوطا من قبل ولما قضى السلطان حاجته من المغرب الاوسط واستولى على بجاية انكفأ راجعا الى تلمسان لشهود الفطر بها ودخلها فى يوم مشهود وحمل أبا ثابت ووزيره يحيى بن داود على جملين يخطوان بهما فى ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر وجنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح وأنزل السلطان المولى الامير أبا عبد الله صاحب بجاية خير نزل وفرش له فى مجلسه تكرمة له

الى أن كان من توثب صنهاجة وأهل بجاية بعمر بن على مانحن ذاكروه ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ثورة اهل بجاية ونهوض الحاجب اليها فى العساكر)

كان صنهاجة هؤلاء من أعقاب ملكانة ملوك القلعة وبجاية نزل أولوهم بوادى بجاية بين القبائل من برابرتها الكامنين فى مواطن بنى وريا كل منذ أول دولة الموحدين وأقطعوهم على العسكرة معهم ولما ضعفت جنود الموحدين وقل عددهم انفردوا بالعسكرة مع السلطان وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة وكان الامير أبو عبد الله هذا قد أصاب منهم لاول أمره وقتل محمد بن تميم من أكابر مشيختهم وكان صاحبه فارح مولى ابن سيد الناس عريفا عليهم من عهد أبيه الامير أبى زكريا وكان مستبدا على المولى أبى عبد الله فلما نزل عن امارته للسلطان أبى عنان سخط ذلك ونقمه عليه وأسرّها فى نفسه ولم يبدها الكماله وسرّحه أميره مع عمر بن على الوطاسى لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره فوصل اليها وشكا اليه الصنهاجيون مغبة أمرهم فى ثقل الوطأة وسوء الملكة فأشكاهم ودعاهم الى الثورة ببنى مرين والقيام بدعوة الموحدين للمولى أبى زيان صاحب قسنطينة فأجابوه وتواعدوا بالفتك بعمر بن على بمجلسه من القصبة وتولى كبرها منصور بن الحاج من مشيختهم وباكره بداره على عادة الامراء ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه بخنجره وفرّ الى بيته جريحا فولجوا عليه واستلحموه وثارت الغوغاء من أهل البلد فى ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وركب الحاجب فارح وهتف الهاتف بدعوة المولى أبى زيد صاحب قسنطينة وطيروا بالخبر واستدعوه فتثاقل عن اجابتهم وبعث مولى ابن المعلوجى للقيام بأمرهم وبلغ الخبر الى السلطان فاتهم المولى أبا عبد الله بمداخلة حاجبه فاعتقله بداره واعتقل وفدا من ملا بجاية كان ببابه وتنبت آراء المشيخة من أهل بجاية وتعنت رجالاتهم وأولوا الرأى والشورى منهم فى الفتك بصنهاجة والعلج وداخلهم القائد هلال مولى ابن سيد الناس وتواعدوا للفتك بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسنطينة فجهروا بالنكير على الحاجب ودعوه الى المسجد ليؤامروه ونذر بأمرهم فاعتصم بدار شيخ الفتيا أحمد بن ادريس فاقتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس فطعنه وأشواه ورمى بشلوه من سقف الدار وقطع رأسه فبعثوا به الى السلطان وفرّ منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد وكان بالمرسى أحمد بن سعيد القرمونى من خاصة السلطان جاء فى السفن لبعض حاجاته من تونس وروا فى مرسى بجاية يومئذ فأنزلوه واعصوصبوا عليه وتنادوا بدعوة السلطان وطاعته فأشار عليهم أحمد القرمونى أن يبعثوا الى قائد تدلس من مشيخة بنى مرين يحياتن بن عمر بن عبد المؤمن الونكاسى فاستدعوه ووصل اليهم فى جملة من

العسكر وبعثوا بأخبارهم الى السلطان وانتظروا فلما بلغ الخبر الى السلطان أمر حاجبه محمد بن أبي عمر بالنهوض الى بجاية فعسكر بساحة تلمسان واتبع له السلطان من قومه وجنوده خمسة آلاف فارس أزاح عللهم واستوفى أعطياتهم وسرحه فنهض من تلمسان بعد قضاء منسك الاضحى وأغذ السير الى بجاية ولما نزل ببنى حسن جمع له صنهاجة ثم نكلوا عن اللقاء ولحقوا بقسنطينة وأجازوا منها الى تونس واحتل الحاجب بعسكرهم من تيكلات وخرج اليه المشيخة والوزراء فتقبض على القائد هلال وأشخصه الى السلطان ودخل البلد على التعبية واحتل بقصبتها المحرم فاتح أربع وخمسين وسكن الناس وخلع على المشيخة واختص علي بن ‌ ‌ ‌ ‌ ومحمد بن سيد الناس واستظهر بهم على أمره وتقبض على جماعة من الغوغاء وعلى من تحت أيديهم ممن يتهم بالمداخلة في الثورة يناهزون مائتين واعتقلهم وأركبهم السفن الى المغرب فودع الناس وسكنوا وتوافت وفود الزواودة من كل جهة فأجزل صلاتهم واقتضى الطاعة منهم ووصل عامل الزاب يوسف وسد فروجه وارتحل الى تلمسان أول جمادى لشهرين من مدخله وأغذ السير بمن معه من العرب والوفود وكنت يومئذ في جملتهم وقد خلع علي وحملني وأجزل صلتي وضرب لي الفساطيط فوفدت في ركابه وقدم تلمسان لاول جمادى الاخيرة فجلس السلطان للوفد واعترض ما جنب له من الجياد والهدية وكان يوما مشهودا ثم أسنى السلطان جوائز الوفد واختص يوسف بن مزنى ويعقوب بن علي بمزيد من البر والصلة وخصوا بجاه من الكرامة وآمرهم في شأن افريقية ومنازلة قسنطينة ورجع معهم الحاجب ابن أبي عمر على كرمنه لما نذكره من أخباره وانصرفوا الى مواطنهم لاول شعبان من سنة أربع وخمسين وانقلبت معه بعد استناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومه ببلده من الاقطاع والله أعلم

بياض بالأصل

الخبر عن الحاجب ابن أبي عمرو وما عقد له السلطان على ثغر بجاية وعلى منازلة قسنطينة ونهوضه لذلك

سلف هذا الرجل من أهل المهدية من أجواد العرب من بني تميم بافريقية وانتقل جده علي الى تونس باستدعاء السلطان المستنصر وكان فقيها عارفا بالفتيا والاحكام وقلده القضاء بالحضرة واستعمله على كتب علامته في الرسائل والاوامر الكبرى والصغرى فاضطلع بذلك وهلك على حاله من التجلة والمنصب وقلدا بنه عبد الله من بعده العلامتين أيام أبي حفص عمر ابن الامير أبي زكريا كما كان لابيه فاضطلع لذلك وكان أخوه أحمد بن علي مستبنا وقورا منتحلا للعلم ونشأ ابنه محمد وقرأ بتونس وتفقه على

مشيختها ولما التاثت أمورهم وتلاشت أحوالهم خرج محمد بن أحمد بن على مبتغيا للرزق والمعاش وطوحت به الطوائح الى بلد القل وكان منتحلا للطلب والكتابة فاستعمل شاهدا بمرسى القل أيام رياسة الحاجب ابن أبى عمرو وكانت له صحبة مع حسن بن محمد السبتى المنتحل نسب الشرف وكانا رفيقين فى مطارح اغترابهما فسعى له فى مرافقة الشهرة فأسعفا واتصلا بابن أبى عمرو فحمد مذاهبهما ولما نزع الشريف عبد الوهاب زعيم تدلس الى طاعة الموحدين أيام الثبات أبى حمو بخروج محمد بن يوسف عليه واعتلال الدولة ودخل فى أمر ابن أبى عمرو وجملته فبعث محمد بن أبى عمرو هذا وصاحبه الى تدلس واستعمل حسن الشريف فى القضاء ومحمد بن أبى عمرو فى شهادة الديوان فلما برئت الدولة من مرضها واستفحل أمر أبى حمو وتغلب على تدلس وصار رئيس الفتيا من الامام لاقتضاء طاعتها وانفاذ أهلها على السلطان فى الوفد واستقر بتلمسان يومئذ واستعملا فى خطة القضاء متعاقبين أيام بنى عبد الواد وأيام السلطان أبى الحسن وتعصب على ابن أبى عمرو أيام قضائه جماعة من مشيخة البلد وسعوا به الى السلطان أبى الحسن وتظلموا فأشكاهم على علم ببراءته واختصه بتأديب ولده فارس هذا وتعليمه فأفرغ وسعه فى ذلك ورُبِّى ولده محمد هذا الحاجب مع السلطان أبى عنان توأما وخليلا وألقى عليه محبته حتى اذا خلص له الملك رفع رتبة محمد بن أبى عمرو هذا ورقاه من منزلة الى أخرى حتى اذا أربى به على سائر المراتب وجعل اليه العلامة والقيادة والحجابة والنظارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر ألقاب دولته وخصوصيات داره فانصرفت اليه الوجوه ووقفت ببابه الاشراف من الاعياص والقبائل والشرفاء والعلماء وسرب اليه العمال أموال الجباية تزلفا وطال أمره واستبلاؤه على السلطان ونفس عليه رجال الدولة ووزراؤها ما آتاه الله من الحظ حتى اذا خلا لهم وجه السلطان منه عند نهوضه الى بجاية حامت أغراض السعاية على مكانه فقرطس وألقى السلطان أذنه الى استماعها فلما رجع من بجاية وكانت له الدولة على السلطان وجد عليه فى قبول   واقيه مغاضبا فتنكر له السلطان ثم تجنى بطلب الغيبة عن الدولة

(بياض بالاصل)

ويعقد له على بجاية متوهما ان السلطان ضنين به فبادر السلطان الى اسعافه وبدا له ما لم يحتسب من الاعراض عنه ورجع الى الرغبة فى الاقالة فلم يسعف وعقد له على حرب قسنطينة وحكمه فى المال والجيش وارتحل فى شعبان من سنة أربع وخمسين واحتل بجاية آخرها ونصب الموحدون تاشفين ابن السلطان أبى الحسن المعتقل عندهم من لدن عهد المولى الفضل واعتقاله اياه فنصبوه للامر لتفريق كلمة بنى مرين وجمعوا له الآلة والفساطيط وقام بأمره ميمون بن على لمنافسته مع أخيه يعقوب وتسمع بخبره يعقوب

فأغذ السير بحاله من بلاد الزاب وفرق جمعهم وردهم على أعقابهم وأحجزهم بالبلد ولما انصرم الشتاء وقضى منسك الاضحى عسكر بساحة البلد واعترض العساكر وأزاح عللهم وفرق أعطياتهم وارتحل الى منازلة قسنطينة واجتمع اليه الزواودة بحللهم وجمع المولى أبو زيد صاحب قسنطينة من كان على دعوته من أحياء نوبة وميمون ابن على بن أحمد وشيعته من الزواودة وعقد عليهم لحاجبه نبيل وسرحه للقاء ابن أبى عمرو وعساكره فأوقع بهم الحاجب لجمادى من سنة خمس وخمسين واكتسح أموالهم ونازل قسنطينة حتى تفادوا منه بتمكينه من تاشفين ابن السلطان أبى الحسن المنصوب للامر فاقتادوه اليه وأشخصه الى أخيه السلطان وأوفد المولى أبو زيد ابنه على السلطان أبى عنان فتقبل وفادته وشكر مراجعته وانكفأ الحاجب ابن أبى عمرو الى بجاية وأقام بها الى أن هلك فى المحرم سنة ست وخمسين فذهب حميد السيرة عند أهل البلد وتفجعوا لمهلكه وبعث السلطان دوابه لارتحال عياله وولده ونقل شلوه الى مقبرة أبيه بتلمسان وسرح ابنه أبا زيان فى عساكر بنى مرين لموارأته بها وعقد على بجاية لعبد الله بن على بن سعيد وزيره فنهض اليها فى شهر ربيع من سنة ست وخمسين واستقر بها وتقبل ما حمده الناس من مذاهب الحاجب وسيرته فيها على ما نذكره وجهز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

{الخبر من خروج أبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن}
{بجبل السكسيوى ومكر عامل درعة به ومهلكه}

كان السلطان أبو عنان بعد مهلك أبيه لحق به فى جملته أخواه أبو الفضل محمد وأبو سالم ابراهيم وتدبر فى ترشيحهما وتصدر عليه مغبته فأشخصهما الى الاندلس واستقرا بها فى ايالة أبى الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بن الرئيس أبى سعيد ثم ندم على ما أتاه من ذلك فلما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز بسلطانه أغذ السير الى ابى الحجاج أن يشخصهما اليه ليكون مقامهما لديه أحوط للكلمة من أن يعقد تفريقهما مساعرة الفتن وخشى أبو الحجاج عليهما غائلته فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته وجوار المسلمين المجاهدين فأحفظ السلطان كلمته وأوعز الى حاجبه محمد بن أبى عمرو بان يخاطبه فى ذلك بالتوبيخ واللائمة فكتب له كتابا قرعه فيه وقفنى عليه الحاجب ببجاية أيام كونى معه فقضيت عجبا من فصوله واغراضه ولما قرأه أبو الحجاج دس الى كبيرهما أبى الفضل باللحاق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة منذ مهلك أبيه الهنتة على جبل الفتح سنة احدى وخمسين وسبعمائة فنزع اليه أبو الفضل وجهز به أسطولا الى مراسى المغرب وأنزله بساحة السوس فلحق

بالسكسيوى عبد الله ودعا لنفسه وبلغ الخبر الى السلطان بين مقدم حاجبه ابن أبى عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين فجهز عساكره الى المغرب وعقد على حرب السكسيوى لوزيره فارس بن ميمون بن وردار وسرحه اليه فنهض من تلمسان لربيع سنة أربع وخمسين وأغذ السير الى السكسيوى ونزل بمخنقه وأحاط به واختط مدينة لعسكره وتجهيز كتائبه بسفح جبله سماها القاهرة واستبد الحصار على السكسيوى وأرسل الى الوزير فى الرجوع الى طاعته المعروفة وأن ينبذ العهد الى أبى الفضل ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ودخل الوزير فارس الى أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد الحال وسارت الولاية والجيوش فى جهاته ورتب المسالح فى ثغوره وأمصاره مثل وتارودانت وثقف أطرافه وسد فروجه وسار أبو الفضل فى جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى بنفسه على ابن حميدى منهم مما يلى بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة دولة بنى عبد الواد كان اصطنعه السلطان أبو الحسن منذ تغلبه عليهم وفتحه لتلمسان سنة سبع وثلاثين فاستقر فى دولتهم ومن جملة صنائعهم فأخذ بمخنق ابن حميدى وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه وداخله فى التقبض على أبى الفضل وان يبذل له فى ذلك ما أحب من المال فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل ووعده من نفسه الدخول فى الامر وطلب لقاءه فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه عبد الله ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترطه من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله لليال من اعتقاله خنقا بمحبسه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

(الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح ومهلكه)

كان عيسى بن الحسن بن على بن أبى الطلاق هذا من مشيخة بنى مرين وكان صاحب شوراهم لعهده وقد كنا قصصنا من أخبار أبيه الحسن عند ذكر دولة أبى الربيع وكان السلطان أبو الحسن قد عقد له على ثغور عمله بالاندلس وأنزله بجبل الفتح عندما أكمل بناءه وجعل اليه النظر فى مسالح الثغور وتفريق العطاء على مسالحها فطال عهد ولايته ورسخ فيها قدمه وكان السلطان أبو الحسن يبعث عنه فى الشورى متى عنت وحضره عند سفره الى افريقية وأشار عليه بالاقتصار عنها وأراه ان قبائل بنى مرين لا تفى أعدادهم بمسالح الثغور اذا رتبت شرقا وغربا وعدوة البحر وان افريقية تحتاج من ذلك الى أوفر الاعداد وأشد الشوكة لتغلب العرب عليها وبعد عهدهم بالانقياد

فأعرض السلطان عن نصيحته لما كان شره الى تملكها وصرفه الى مكان عمله بالثغور
الاندلسية ولما كانت نكبة القيروان وانتزى الابناء بفاس وتلمسان أجاز البحر لحسم
الداء ونزل بقساسة ثم انتقل الى وطنه بتازى وجمع قومه بنى عسكر السلطان
أبى عنان قد هزم عساكر ابن أخيه وأخذ بمخنقه فأجلب عليه وبيته بمعسكره من
ساحة البلد الجديد وعقد السلطان أبو عنان على حربه لصنيعته سعيد بن موسى العجيسى
وأنزله بثغر بلاد بنى عسكر على وادى بوحلو وتواقفا كذلك أياما حتى تغلب السلطان
أبو عنان على البلد الجديد ثم أرسل عيسى بن الحسن فى الرجوع الى الطاعة وأبطأ عنه
صريخ السلطان أبى الحسن بافريقية فراجعه واشترط عليه فتقبل وسار اليه فتلقاه
السلطان وامتلأ سرورا بقدمه وأنزله بصدوره وجعل الشورى اليه فى مجلسه
واستمرت على ذلك حاله ولما حال ابن أبى عمرو انفرد بخلة السلطان ومناجاته وحجبه عن
الخاصة والبطانة أحفظه ذلك ولم يبدها واستأذن السلطان فى الحج فأذن له وقضى فرضه
ورجع الى محله من بساط السلطان سنة ست وخمسين ولقى ابن أبى عمرو ببجاية وتطارح
عليه فى أن يصلح حاله عند سلطانه فوعده فى ذلك ولما وفد على السلطان وجده قد استبد
فى الشورى وتنكر للخاصة والجلساء فاستأذنه فى الرجوع الى محله من الثغر لاقامة
رسم الجهاد فأذن له وأجاز البحر الى جبل الفتح من سنته وكان صاحب ديوان العطاء
بالجبل يحيى الفرقاجى وكان مستظهرا على العمال وكان ابنه أبو يحيى قدم برم بمكانه
فلما وصل عيسى الى الجبل اتبعه السلطان بأعطيات المسالح مع مسعود بن كندوس
من صنائع دولته فسرب الفرقاجى الى الضرب على يده شأنه مع ابنه أيام مغيبه وأنف
عيسى من ذلك فتقبض عليه وأودعه المطبق ورد ابن كندوس على عقبه وأركبه
السفين من ليلته الى سبتة وجاهر بالخلعان وبلغ الخبر الى السلطان أبى عنان فقلق لذلك
وقام فى ركائبه وقعد وأوعز بتجهيز الاساطيل وظن أنه قد تدبر من الطاغية وابن الاحمر
وبعث أحمد بن الخطيب قائد البحر بطنجة عينا على شأنهم فوصل الى مرسى الجبل وكان
عيسى بن الحسين لما جاهر بالخلعان غشت رجالات الثغر وعرفاء الرجل من غمارة الغزاة
الموطنون بالجبل وتحدثوا فى شأنه وامتنعوا من الخروج على السلطان وتآمروا وخالفه
سليمان بن داود من عرفاء العسكر كان من خواصه وأهل شوراه وكان عيسى قد مكن
قومه عند السلطان واستعمله على رندة فلما جاهر عيسى بالخلعان وركب ظهر الغدر
خالفه سليمان هذا الى طاعة السلطان وأنفذ كتبه وطاعته واشتبه عليه الامر
فندم اذ لم يكن بنى أمره على أساس من الرأى فلما احتل أسطول أحمد بن الخطيب بمرسى
الجبل خرج اليه وناشده الله والعهد أن يبلغ السلطان طاعته والبراءة مما صنع أهل

بياض بالأصل

الجبل ونسبها اليهم فعند ذلك خشي عمارة على أنفسهم فثار وابه ولجأ الى الحصن فاقتحموه عليه وشدوه وابنه وثاقا وألقوه في أسطول ابن الخطيب وأنزله بسبتة وطير للسلطان بالخبر فخلع عليه وأمر خاصته فخلعوا عليه وبعث عمر ابن وزيره عبد الله بن على وعمر بن العجوز قائد جند النصارى فأحضروهما بدار السلطان يوم منى من سنة ست وجلس لهما السلطان ووقفا بين يديه وتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وشدد وثاقهما حتى قضى منسك الاضحى ولما كان خاتم سنته أمر بهما فجنبا الى مصارعهما وقتل عيسى قعصا بالرماح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداراة قطعه فلم يزل يتخبط فى دمه الى أن هلك لثالثة قطعه وأصبحا مثلا فى الآخرين وعقد على جبل الفتح وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داود الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض السلطان الى فتح قسنطينة وقبضها ثم فتح تونس عقبها)

لما هلك الحاجب محمد بن أبى عمرو عقد السلطان على ثغور بجاية وما وراءها من بلاد افريقية لوزيره عبد الله بن على بن سعيد وسرحه اليها وأطلق يده فى الجباية والعطاء وكانت جبال ضواحى قسنطينة قد تملكها السلطان لما كانت الزواودة متغلبة عليها وكان عامة أهل ذلك الوطن قبائل سدويكش وعقد السلطان عليهم لموسى بن ابراهيم ابن عيسى وأنزله بتاوريرت آخر عمل بجاية وأخذ بمخنق قسنطينة ثم ارتحل عنها على ما عقد من السلم على المولى الامير أبى زيد أنزل موسى بن ابراهيم بميلة فاستقر بها ولما ولى الوزير عبد الله بن على أمر افريقية أوعز اليه السلطان بمنازلة قسنطينة فنزلها سنة سبع وأخذ بمخنقها ونصب المنجنيق عليها واشتد الحصار بأهلها وكادوا أن يلقوا باليد لولا ما بلغ العسكر من الارجاف بهلك السلطان فأفرجوا عنها ولحق المولى أبو زيد ببونة وأسلم البلد الى أخيه مولانا الامير أبى العباس أيده الله تعالى عندما وصل اليه من افريقية كان بها مع العرب طالبا ملكهم بتونس ومجلبا بهم على ابن تافراكين منذ نازلوا تونس سنة ثلاث وخمسين كما مر فلما رجع الآن الى قسنطينة مع خالد بن حمزة داخل المولى أبا زيد فى خروجه الى حصار تونس واقامة مولانا أبى العباس بقسنطينة فأجاب لذلك وخرج معه ودخل مولانا أبو العباس الى قسنطينة ودعا لنفسه وضبط قسنطينة وكان مدلا بأسه واقدامه وداخله بعض المنحرفين من بنى مرين من أولاد بوسعيد وسدويكش فى تبييت موسى بن ابراهيم بمعسكره من ميلة فبيتوه وانتهبوا معسكره وقتلوا أولاده وخلص الى تاوريرت ثم الى بجاية ولحق بمولانا السلطان مفلولا ونكر السلطان على وزيره عبد الله بن على ما وقع بموسى بن ابراهيم وانه قصر فى امداده فسرح شعيب بن ميمون وتقبض عليه وأشخصه الى السلطان معتقلا وعقد على بجاية

مكانه ليحيى بن ميمون بن مصمود من صنائع دولته وفى خلال ذلك راسل المولى أبو زيد الحاجب أبا محمد عبد الله بن تافراكين المتغلب على عمه ابراهيم فى النزول لهم على قومه والقدوم عليهم بتونس فقبلوه وأحلوه محل ولى العهد واستعملوه على بونة من صنائعهم ولما بلغ خبر موسى بن ابراهيم الى السلطان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين اعتزم على الحركة الى افريقية واضطرب معسكره بساحة البلد الجديد وبعث فى الحشد الى مراكش وأوعز الى بنى مرين بأخذ الاهبة للسفر وجلس للعطاء والاعتراض من لدن وصول الخبر اليه الى شهر ربيع من سنة ثمان وخمسين ثم ارتحل من فاس وسرح فى مقدمته وزيره فارس بن ميمون فى العساكر وسار فى ساقته على التعبية الى أن احتل بجاية وتلوم لازاحة العلل ونازل الوزير قسنطينة ثم جاء السلطان على اثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بعساكره ذعر أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الاذعان وانفضوا من حول سلطانهم مهطعين الى السلطان وتحيز صاحب البلد فى خاصته الى القصبة ووصل أخوه المولى الفضل فطلب الامان فبذله السلطان لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره أياما ثم بعث بالسلطان فى الاسطول الى سبتة فاعتقلا بها الى أن كان من أمره ما نذكره بعد وعقد على قسنطينة لمنصور ابن الحاج خلوف البابانى من مشيخة بنى مرين وأهل الشورى منهم وأنزله بالقصبة فى شعبان من سنته ووصل اليه بمعسكره من ساحة قسنطينة بيعة يحيى بن يملول صاحب توزر وبيعة على بن الخلف صاحب نفطة ووفد ابن مكى مجدداطاعته ووصل اليه أولاد مهلهل أمراء الكعوب وأقيال بنى أبى الليل يستحثونه لملك تونس فسرح معهم العساكر وعقد عليهم ليحيى بن رحو بن تاشفين وبعث اسطوله فى البحر مددا لهم وعقد عليهم للرئيس محمد بن يوسف الابكم وساروا الى تونس وأخرج الحاجب أبا محمد بن تافراكين سلطانه أبو اسحق ابن مولانا السلطان أبى يحيى مع أولاد أبى الليل وجهز معه العساكر لما أحس بقدوم عساكر السلطان ووصل الاسطول الى مرسى تونس فقاتلهم يوما أو بعض يوم وركب الليل الى المهدية فتحصن بها ودخل أولياء السلطان الى تونس فى رمضان من سنة ثمان وخمسين وأقاموا بها دعوته واحتل يحيى بن رحو بالقصبة وأنفذ الاوامر وكتبوا الى السلطان بالفتح ونظر السلطان بعد ذلك فى أحوال ذلك وقبض أيدى العرب من رياح عن الاتاوة التى يسمونها الخفارة فارتابوا وطالبهم بالرهن فأجمعوا على الخلاف فأرهف بهم حده و   يعقوب بن على أميرهم   فخرج معهم ولحقوا معا بالزاب وارتحل فى اثرهم وسار يوسف بن مزنى عامل الزاب ببعض الطريق أمامه حتى نزل ببسكرة ثم ارتحل الى طولقة

البياض فى الموضعين بالأصل

فتقبض على مقدمها عبد الرحمن بن أحمد بن باشادة بن مزنى وخرب حصون يعقوب ابن على وأجفلوا الى القفر أمامه ورجع عنهم وحمل له ابن مزنى جباية الزاب بعد أن ردعاته معسكره بالقرى من الادم والحنطة والحملان والعلوفة ثلاث ليال

بياض بالاصل

في ذلك وكافأه السلطان على صنيعه بخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس وضاق ذرع العساكر بشأن النفقات والابعاد في المذهب وارتكاب الخطر في دخول افريقية فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وأذن المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب حتى يفردوا وأنهى الى السلطان انهم تآمروا في قتله ونصب ادريس بن أبي عثمان بن أبي العلاء للامر فأسرها في نفسه ولم يبدها لهم ورأى قلة من معه من العساكر وعلم بانفضاضهم فكر راجعا الى المغرب بعد أن ارتحل عن قسنطينة مرحلتين الى الشرق وأغذ السير الى فاس واحتل بها غرة ذي الحجة من سنته وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون اتهمه بمداخلة بني مرين في شأنه وقتله رابع أيام التشريق قعصا بالرماح وتقبض على مشيخة بني مرين فاستلحمهم وأودع منهم السجن وبلغ الى الجهات خبر رجوعه من قسنطينة الى المغرب فارتحل أبو محمد بن تافراكين من المهدية الى تونس ولما أطل عليها ثارت شيعته بالبلد على من كان بها من عساكر السلطان وخاصوا الى السفين فلحقوا الى المغرب وجاء على اثرهم يحيى بن رحو بمن معه من العساكر من أولاد مهلهل كان بناحية الجريد لاقتضاء جبايته واجتمعوا جميعا بباب السلطان وأرجأ حركته الى العام القابل فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية)

لما رجع السلطان من افريقية ولم يستتم فتحها بقي في نفسه منها شيء وخشي على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن على ومن معه من الزواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بثغور الاندلس وعقد له على وزارته وسرحه في العساكر الى افريقية فارتحل اليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وكان يعقوب بن على لما كشف وجهه في الخلاف أقام السلطان مكانه أخاه ميمون بن على منازعه وقدمه على أولاد محمد من الزواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو والضواحي ونزع اليه عن أخيه يعقوب الكثير من قومهم وتمسك بطاعة السلطان طوائف من أولاد سباع بن يحيى وكبيرهم يومئذ عثمان بن يوسف بن سليمان فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا على معسكره بحللهم وارتحل السلطان في اثره حتى احتل بتلمسان فأقام بها المشارفة احوال المنهاوا احتل

الوزير سليمان بوطن قسنطينة وأغذ السير الى عامل الزاب يوسف بن مزنى بأن تكون يده معه وأن يأمره فى أحوال الزواودة لرسوخه فى معرفتها فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أوراس واقتضوا جبايته ومغارمه وشردوا المخالفين من الزواودة عن العيث فى الوطن فتم غرضهم من ذلك وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افريقية من آخر مجالات رياح وانكفأ راجعا الى المغرب ووافى السلطان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم العطاء بالزاب وكتب لهم به وانقلبوا الى أهلهم ووفد على اثرهم أحمد ابن يوسف بن مزنى أوفده أبوه بهدية السلطان من الخيل والرقيق والرزق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته وأنزله واستصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته وليستبلغ فى الاحتفاء به واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنة تسع وخمسين والله أعلم

{الخبر عن مهلك السلطان أبى عنان ونصب السعيد للأمر باستبداد الوزير حسن بن عمر فى ذلك}

لما وصل السلطان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدى العيد الأكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الأضحى أدركه المرض وأعجله طائف الوجع عن الجلوس يوم العيد على العادة فدخل الى قصره ولزم فراشه واستبد به وجعه وأطاف به النساء يمرضنه وكان ابنه أبو زيان ولى عهده وكان وزيره يحيى بن موسى القفولى من صنائع دولتهم وأبناء وزرائهم قد عقد له السلطان على وزارته واستوصاه به فتعجل الامر وداخل رؤس بنى مرين فى الاضياش الى أمرهم والفتك بالوزير الحسن بن عمر وداخله فى ذلك عمر بن ميمون لعداوة بينهما وبين الوزير فخشيهما الحسن بن عمر على نفسه وفاوض عليه أهل المجلس بذات صدره وكانت نفرتهم عن ولى العهد مستحكمة لما أبلوا من سوء خلقه وشره ملكته فاتفقوا على تحويل الامر عليه ثم نمى اليهم أن السلطان مشرف على الهلكة لا محالة وأنه موقع بهم من قبل مهلكه فأجمعوا أمرهم على الفتك به والبيعة لأخيه السعيد طفلا خماسيا وباكروا دار السلطان فتقبضوا على وزيره موسى بن عيسى وعمر بن ميمون فقتلوهما وجلسوا للبيعة وأغروا وزيره مسعود بن رحو بن ماسى بالتقبض على أبى زيان من نواحى القصر فدخل اليه وتلطف فى اخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه فبايع وتل الى بعض حجر القصر فأتلف فيه مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين لذى الحجة من سنة تسع وخمسين والسلطان أثناء ذلك على فراشه يجود بنفسه وارتقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفشا الكلام وارتاب الجماعة فأدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من بيته من غطه حتى أتلفه

ودفن يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للأمر وأغلق عليه بابه وتفرّد بالامر والنهى دونه ولحق عبد الرحمن ابن السلطان أبي عنان بجبل الكاى يوم بيعة أخيه وكان أسنّ منه وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن ماسى من وزارته فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الامان وجاء به الى أخيه فاعتقله الحسن بالقصبة من فاس وبعث على أبناء السلطان الاصاغر الامراء بالثغور فجاء المعتصم من سجلماسة وامتنع المعتمد بمراكش وكان بها فى كفالة عامر بن محمد الهنتاتى استوصاه به السلطان وجعله هنالك لنظره فمنعه من الوصول وخرج به من مراكش الى معقله من جبل هنتاتة وجهز الوزير العساكر لمحاربته ولم يزل هنالك الى أن استنزله عمه السلطان أبو سالم عند استيلائه على ملك المغرب كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن تجهيز العساكر الى مراكش ونهوض الوزير سليمان بن داود لمحاربة عامر بن محمد

كان عامر بن محمد بن على شيخ هنتاتة من قبائل المصامدة وكان السلطان يعقوب قد استعمل أباه محمد بن على على جباياتهم والسلطان أبو سعيد استعمل عمه موسى بن على وربى عامر هذا فى كفالة الدولة وصار فى جملة السلطان الى افريقية وولاه السلطان أحكام الشرطة بتونس ولما ركب البحر الى المغرب أركب حرمه وحظاياه فى السفن وجعلهم الى نظر عامر بن محمد وأجاز البحر الى الاندلس وبلغهم غرق السلطان أبى الحسن وعسكره فأقام بهم بمكانه من لمدية ودعى للسلطان أبى عنان فلم يجب داعيه وفاء ببيعة أبيه حتى اذا هلك السلطان أبو الحسن بدارهم بالجبل دعاه لهم السلطان أبو عنان وأحسن نزله ثم عقد له على جباية المصامدة سنة أربع وخمسين وبعثه له من تلمسان فاضطلع بهذه الولاية وأحسن الغناء فيها والكفاية عليها حتى كان السلطان أبو عنان يقول وددت لو أصبت رجلا يكفيني ناحية المشرق من سلطانى كما كفانى عامر بن محمد ناحية المغرب وأودع ونافسه الوزراء فى مقامه ذلك عند السلطان ورتبته وانفرد الحسن بن عمر آخر الامر بوزارة السلطان واشتدت منافسته وانتهت الى العداوة والسعاية وكان السلطان بين يدى مهلكه ولى أبناءه الاصاغر على أعمال ملكه فعقد لابنه محمد المعتمد على مراكش واستوزر له وجعله الى نظر عامر واستوصاه به فلما هلك السلطان واستقل الحسن بن عمر بالامر ونصب السعيد للملك استقدم الابناء من الجهات فبعث عن المعتمد من مراكش فأبى عليه عامر من الوفادة عليهم وصعد به الى معقله من جبل هنتاتة وبلغ الحسن بن عمر خبره فجهز اليه العساكر وأزاح عللهم وعقد على حربه للوزير سليمان بن داود مساهمه فى القيام بالامر وسرّحه فى المحرم سنة ستين وسبعمائة فأغذ السير الى

مراكش واستولى عليها وصعد الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر وطاول منازلته وأشرف على اقتحام معقله الى أن بلغه خبر افتراق بني مرين وخروج منصور بن سليمان من أعياص الملك على الدولة وأنه منازل للبلد الجديد فانفض العسكر من حوله وتسابقوا الى منصور بن سليمان فلحق به الوزير سليمان بن داود وتنفس الحصار عن عامر الى أن استولى السلطان أبو سالم على ملك المغرب في شعبان من سنة ستين واستقدم عامرا والمعتمد ابن أخيه من مكانهم بالجبل فقدم عليه وأسلمه اليه كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن ظهور أبي حمو بنواحي تلمسان وتجهيز العساكر لمدافعته ثم تغلبه وما تخلل ذلك

كان ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن هؤلاء أربعة كما ذكرناه في أخبارهم وكان يوسف كبيرهم وكان سكوتا منتحلا لطرق الخير لا يريدون علوا في الارض ولما هلك أخوه عثمان بتلمسان عقد له على هنين وكان ابنه يوسف بن موسى متقبلا مذهبه في السكوت والدعة ومجانبة أهل الشر ولما تغلب السلطان أبو عنان عليهم سنة ثلاث وخمسين وفر أبو ثابت الى قاصية المشرق واستلبهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم سعوا على أقدامهم وانتبذ أبو ثابت وأبو زيان ابن أخيه أبي سعيد وموسى ابن أخيه يوسف ووزيرهم يحيى بن داود ناحية عن قومهم وسلكوا غير طريقهم وتقبض على أبي ثابت ويحيى بن داود ومحمد بن عثمان وخلص موسى الى تونس فنزل على الحاجب محمد بن تافراكين وسلطانه خير نزل وأجارهم مع فل من قومه خلصوا اليهم وأسنوا جرايتهم وبعث السلطان أبو عنان فيهم الى ابن تافراكين فأبى من اسلامهم وجاهر باجارتهم على السلطان ولما استولت عساكر السلطان على تونس وأجفل عنها سلطانها أبو اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبي يحيى خرج موسى بن يوسف هذا في جملته ولما رجع السلطان الى المغرب صمد المولى أبو اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبي يحيى وابن أخيه المولى أبي زيد صاحب قسنطينة مع يعقوب بن علي وقومه من الزواودة الى منازلة قسنطينة وارتجاعها وسار في جملتهم موسى بن يوسف هذا فيمن كان عنده من زناتة قومه وكان بنو عامر من زغبة خارجين على السلطان أبي عنان منذ غلبه بني عبد الواد على تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم لحق بافريقية في قومه ونزلوا على يعقوب بن علي وجاوروه بمحالهم وظعنهم فلما أفرجوا عن قسنطينة بعد امتناعها واعتزم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب دعوا موسى ابن يوسف هذا الى الرحلة معهم لينصبوه للامر ويجلبوا به على تلمسان فخلى الموحدون

سبيله وأعانوه بما اقتدروا عليه لوقتهم وعلى حال سفرهم من آلة وفسطاط وارتحل مع بنى عامر وارتحل مع صولة بن يعقوب بن على وزيان بن عثمان بن سباع من أمراء الزواودة وصغار بن عيسى فى حال من سعيد احدى بطون رياح وأغذوا السير الى المغرب للعيث فى نواحيه وجمع لهم أقيالهم من سويد أولياء السلطان والدولة والتقوا بقبلة تلمسان فانهزمت سويد وهلك عثمان بن ونزمار كبيرهم وكان مهلك السلطان فى خلال ذلك ولما اتصل الخبر بوفاة السلطان بالغرب أغذوا السير الى تلمسان وملكوا ضواحيها وجهز الحسن بن عمر لها عسكرا عقد عليه وعلى الحامية الذين بها السعيد بن موسى العجيسى من صنائع السلطان وسرحه اليها وسار فى جملته أحمد بن مزنى فاصلا الى عمله بعد أن وصله وخلع عليه وحمله وسار سعيد بن موسى فى العساكر الى تلمسان واحتل بها فى صفر من سنة ستين وزحف اليه جموع بنى عامر وسلطانهم أبو حمو موسى بن يوسف فغلبوهم على الضاحية وأحجزوهم بالبلد ثم ناجزوهم الحرب أياما واقتحموها عليهم لليال خلون من ربيع واستباحوا من كان بها من العسكر وامتلأت أيديهم من أسلابهم ونهابهم وخلص سعيد بن موسى بابن السلطان الى حلة صغير بن عامر فأجاره ومن جاء على اثره من قومه وأوفد برجالات من بنى عامر ينصبون له الطريق أمامه الى أن أبلغوه مأمنه من دار ملكهم واستولى أبو حمو على ملك تلمسان واستأثر بالهدية التى ألفى بمودعها كان السلطان أبقاها وبعث بها الى صاحب برشلونة ابن القبط وبعث اليه فيها بفرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام مذهبين ثقيلين فاتخذ أبو حمو ذلك الفرس لركوبه وصرف الهدية فى مصارفه ووجوه مذاهبه والله غالب على أمره (بياض بالأصل)

الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماسى الى تلمسان وتغلبه عليها ثم انتقاضه ونصبه سليمان بن منصور للامر

لما بلغ الوزير الحسن بن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبى حمو عليها جمع مشيخة بنى مرين وأمرهم بالنهوض اليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه وأشاروا بتجهيز العساكر ووعده ومسيرهم كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال وأسنى الصلات وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ثم عقد عليهم لمسعود بن رحو بن ماسى وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار فى الالوية والعساكر وكان فى جملته منصور بن سليمان بن منصور بن أبى مالك بن يعقوب بن عبد الحق وكان الناس يرجفون بأن سلطان المغرب صائر اليه بعد مهلك بنى عنان وشاع ذلك على ألسنة الناس وذاع وتحدث به السمر والندمان وخشى منصور على نفسه لذلك فجاء الى الوزير الحسن وشكا اليه ذلك فانتهره أن يختلج بفكره هذا الوسواس انتهارا خلا من وجه السياسة فازدجر واقتصر ولقد شهدت

هذا الموطن ورجحت ذلة انكساره وخضوعه فى موقفه ورحل الوزير مسعود فى التعبية وأفرج أبو حمو عن تلمسان ودخلها مسعود فى ربيع الثانى واستولى عليها وخرج أبو حمو الى الصحراء وقد اجتمعت عليه جموع العرب من زغبة والمعقل ثم خالفوا بنى مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللهم وظواعنهم وجهز اليهم مسعود بن رحو عسكرا من جنوده انتقى فيه مشيخة بنى مرين وأمراءهم وعقد عليهم لعامر بن عمه عبو بن ماسى وسرحهم فزحفوا اليه بساحة وجدة وصدقهم العرب الحملة فانكشفوا واستبيح معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيلهم ودخلوا الى وجدة عراة وبلغ الخبر الى بنى مرين بتلمسان وكان فى قلوبهم مرض من استبداد الوزير عليهم وحجره سلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة فلما بلغ الخبر وحاص الناس لها حيصة الحمر خلص بعضهم نجيا بساحة البلد واتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان ابن السلطان أبى يعقوب فبايعوه وانتهى الخبر الى الوزير مسعود بن رحو وكان

السلطان منصور بن سليمان فأكرهه على البيعة وبايعه معه الرئيس الابكم من بنى الاحمر وقائد جند النصارى انقهردور وتسايل اليه الناس وتسامع الملأ من بنى مرين بالخبر فتهاووا اليه من كل جانب وذهب يعيش بن أبى زيان لوجهه فركب البحر وخلص الى الاندلس وانعقد الامر لمنصور بن سليمان واحتمل بنى مرين على كلمته وارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب واعترضهم جموع العرب فى طريقهم فأوقعوا بهم وامتلأت أيديهم من أسلابهم وظعنهم وأغذوا السير الى المغرب واحتلوا بسبو فى منتصف جمادى الاخيرة وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فاضطرب معسكره بساحة البلد وأخرج السلطان فى الآلة والتعبية الى أن أنزله بفسطاطه ولما غشيهم الليل انفض عنه الملأ الى السلطان منصور بن سليمان فأوقد الشموع وأذكى النيران حوالى الفسطاط وجمع الموالى والجند وأركب السلطان ودخل الى قصره وانحجر بالبلد الجديد وأصبح منصور بن سليمان فارتحل فى التعبية حتى نزل بكدية العرائس فى الثانى والعشرين لجمادى الاخيرة واضطرب معسكره بها وغدا عليها بالقتال ومد عليها الحالات وامتنعت يوميا ثم جمع الايدى على اتخاذ الآلات للحصار واجتمعت اليه وفود الامصار بالمغرب للبيعة ولحقت به كتائب بنى مرين التى كانت مجمرة بمراكش لحصار عامر مع الوزير سليمان بن داود فاستوزره وأطلق عبد الله بن على وزير السلطان أبى عنان من معتقله بسبتة لخلص منه خلوص الابريز بعد السبك وأمر منصور بن سليمان بتسريح المسجون فخرج من كان بها من دعار بجاية وقسنطينة وكانوا معتقلين من لدن استيلاء السلطان أبى عنان على بلادهم وانطلقوا الى مواطنهم وأقام على البلد الجديد يغاديها

بياض بالاصل

القتال ويراوحها ونزع عنه الى الوزير الحسن بن عمر طائفة من بنى مرين ولحق آخرون ببلادهم وانتقضوا عليه ينتظرون ما يؤول أمره ولبث على هذه الحال الى غرة شعبان فكان من قدوم السلطان أبى سالم الملك سلفه بالمغرب واستيلائه عليه ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن نزول المولى أبى سالم بجبال غمارة واستيلائه على ملك المغرب ومقتل منصور بن سليمان

كان السلطان أبو سالم بعد مهلك أبيه واستقراره بالاندلس وخروج أبى الفضل بالسوس لطلب الامر ثم ظفر السلطان أبى عنان به ومهلكه كما ذكرناه قد توادع وسكن ثم لما هلك سلطان الاندلس أبو الحجاج سنة خمس وخمسين يوم الفطر بمصلى العيد طعنه أسود مدسوس كان ينسب الى أخيه محمد من بعض اماء قصرهم ونصبوا للامر ابنه محمدا وحجبه مولاه رضوان واستبد عليه وكان للسلطان أبى عنان اعتزاز كما ذكرناه وكان يؤمل ملك الاندلس وأوعز اليهم عندما طرقه طائف المرض سنة سبع وخمسين أن يبعثوا اليه طبيبدارهم ابراهيم بن زرزور الذمى وامتنع من ذلك اليهودى واعتذر وردوه فتنكر لهم السلطان ولما وصل الى فاس من فتح قسنطينة وافريقية تقبض على وزيره والمشيخة وقتلهم تجنيا عليهم اذ لم يبادروا السلطان بنفسه أو حاجبه للتهنئة وأظلم الجو بينهم واعتزم على النهوض اليهم وكانوا متحاشين بالجملة الى الطاغية بطرة بن أذفونش صاحب قشتالة منذ مهلك أبيه الهنشة على جبل الفتح سنة احدى وخمسين ثم استبد رضوان على الدولة بعد مهلك أبى الحجاج فكانت له ساعية اليه ظاهرها النظر للمسلمين بمسالمة عدوهم وكان السلطان أبو عنان يعتقد ذلك عليهم وعلم أنه لا بد أن يمدهم بأساطيله ويدافعوه عن الاجازة اليهم وكان بين الطاغية بطرة وبين قمص برشلونة فتنة هلك فيها أهل ملتهم فصرف السلطان قصده الى قمص برشلونة وخاطبه فى اتصال اليد على ابن اذفونش واجتمع أسطول المسلمين وأسطول النصارى القمص بالزقاق وضربوا لذلك الموعد وأتحفه السلطان بهدية سنية من متاع المغرب وماعونه ومركب ذهبى صنيع ومقربة من جياده فبلغت تلمسان وهلك قبل وصولها الى محلها ولما هلك السلطان أبو عنان اذل اخوه المولى أبو سالم ملك أخيه وطمع فى مظاهرة أهل الاندلس له على ذلك لما كان بينهم وبين أخيه واستدعاه أشياع من أهل المغرب ووصل البعض منهم اليه بمكانه من غرناطة وطلب الاذن من رضوان فى الاجازة فأبى عليه فأحفظه ذلك ونزع الى ملك قشتالة متطارحا بنفسه عليه أن يجهز له الاسطول للاجازة الى المغرب فاشترط عليه وتقبل شرطه وأجازه فى أسطوله الى مراكش فامتنع عامر من قبوله لما كان فيه من

التضييق والحصار بحضرة سليمان بن داود كما ذكرناه فانكفأ راجعا على عقبه فلما حاذى طنجة وبلاد غمارة ألقى بنفسه اليهم ونزل من الصفيحة من بلادهم واشتملت عليه قبائلهم وتسايلوا اليه من كل جانب وبايعوه على الموت وملك سبتة وطنجة وبها يومئذ السلطان أبو العباس بن أبي حفص صاحب قسنطينة لحق بهما بعد الخروج من اعتقاله بسبتة كما ذكرناه فاستصحبه المولى أبو سالم بالصحبة والخلة والبواء في اغترابه ذلك الى أن استولى على ملكه وألقى بطنجة الحسن بن يوسف الورتاجني وكاتب ديوان الجند أبا الحسن بن علي بن السعود والشريف أبا القاسم التلمساني كان منصور بن سليمان ارتاب بهم واتهمهم بمداخلة الوزير الحسن بن عمر بمكانه من البلد الجديد فصرفهم من معسكره الى الاندلس فوافوا الامير أبا سالم عند استيلائه على طنجة فصاروا الى ايالته واستوزر الحسن بن يوسف واستكتب لعلامته أبا الحسن علي بن السعود واختص الشريف بالمجالسة والمراكبة ثم قام أهل الثغور الاندلسية بدعوته وأجاز يحيى بن عمر صاحب جبل الفتح بمن كان معه من العسكر وطالت (بياض بالأصل) المولى أبي سالم واتسع معسكره وبلغ الخبر الى الثائر على البلد الجديد منصور بن سليمان فجهز عسكرا لدفاعه وعقد عليه لاخيه عيسى وطلحة وأنزلهما قصر كتامة وقاتلوه فهزموه واعتصم بالجبل وبادر الحسن بن عمر من وراء الجدران فبعث طاعته اليه ووعده بالتمكين من دار ملكه وداخل بعض أشياع المولى أبي سالم مسعود بن رحو بن ماسي وزير منصور في النزوع الى السلطان وكان قد ارتاب بمنصور وابنه علي فنزع وانفض الناس من حول منصور وتخاذل أشياعه من بني مرين ولحق ببادس من سواحل المغرب ومشى أهل العسكر بأجمعهم في ساقاتهم ومواكبهم على التعبية فلحقوا بالسلطان أبي سالم واستحثوه الى دار ملكه فأغذ السير وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الامر لتسعة أشهر من خلافته وأسلمه الى عمه وخرج اليه فبايعه ودخل السلطان الى البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين واستولى على ملك المغرب وتوافت وفود النواحي بالبيعات وعقد للحسن بن عمر على مراكش وجهزه اليها بالعساكر ريبة بمكانه واستوزر مسعود بن رحو بن ماسي والحسن بن يوسف الورتاجني واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل الى مؤلف هذا الكتاب توقيعه وكتابة سره وكنت نزعت اليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلال أحواله ومصير الامر الى السلطان فأقبل علي وأنزلني بمحل التنويه واستخلصني لكتابته واستوسق أمره بالمغرب وتقبض شيعة السلطان ببادس على منصور بن سليمان وابنه علي وقادوهم مصفدين الى سدته وأحضرهم ووبخهم وجنبوا الى مصارعهم فقتلوا

قعصا بالرماح آخر شعبان من سنته وجمع الابناء والقرابة المرشحين من ولد أبيه وأشخصهم الى رندة من ثغورهم بالاندلس ووكل بهم من يحرسهم ونزع محمد ابن أخيه أبو عبد الرحمن منهم الى غرناطة ثم لحق منها بالطاغية واستقر لديه حتى كان من تملكه المغرب ما نقصه ان شاء الله تعالى وهلك الباقون غرقا بالبحر بايعاز السلطان بذلك بعد مدة من سلطانه أركبهم السفن الى المشرق ثم غرقهم وخلص الملك من الخوارج والمنازعين واستوسق له الامر والله غالب على أمره واحتفل السلطان في كرامة مولانا السلطان أبي العباس وأشاد ليره وأوعز   دار عامر بن فتح الله وزير أبيه لنزله ومهد له المجالس لضيق أريكته ووعده بالمظاهرة على ملكه الى أن بعثه من تلمسان عند استيلائه عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

بياض بالأصل

(الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان)

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ونصب ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وقد كان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل ابن الرئيس أبي سعيد في شقيقته فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان الى بعض منتزهاته برياضه فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين من رمضان من سنة ستين في بعض أوشاب جمعهم من الطعام لثروته وعمد الى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسمعيل فرسه فركب فأدخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من مكانه بمنتزهه الى وادى آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالسلطان المولى أبي سالم فامتعض لهلاك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له في جوارهم وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل الدولة على اجازة المخلوع من وادى آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول أمرهم لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا لدولة المخلوع فأوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فأطلقوه ولحق الرسول أبو القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للاجازة الى المغرب وأجاز لذى القعدة من سنته وقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائقة يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة

سلا هل لديها من مخبرة ذكر * وهل أعشب الوادى ونم به الزهر
وهل باكر الوسمى دارا على اللوى * عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادى التى عاطيت مشمولة الهوى * بأكنافها والعيش فينان مخضر
وجوى الذى ربى جناحى وكره * فها أنا ذا مالى جناح ولا وكر
نفت بى لا عن جفوة وملالة * ولا نسخ الوصل الهنى لها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها * ولذاتها دأبا تزور وتزور
فمن لى بنيل القرب منها ودوننا * مدى طال حتى يومه عندنا شهر
ولله عينا من رآنا وللأسى * ضرام له فى كل جانحة جمر
وقد بددت در الدموع يد النوى * وللبين أشجان يضيق لها الصدر
بكينا على النهر السرور عشية * فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهر
أقول لأظعانى وقد عالها السرى * وآنسها الحادى وأوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسر فأبشرى * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
وان تجبن الايام لم تجبن النهى * وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت منى الخطوب مجربا * نقابا تساوى عنده الحلو والمر
فقد محمت عودا صليبا مقوما * وعزما كما تمضى المهندة البتر
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلى * فلا اللحم حل ما جنيت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم مل ء همومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما * دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه * فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لذ مذاقه * ولم يتعقب مده أبدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى * وترفل فى أذياله الفتنة البكر
أطاعته حتى العصم فى قنن الربا * وهشت الى تأمليه الانجم الزهر
قصدنا الى الناموليى الملوك على النوى * لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوائها * وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرف الردى * ولذنا بذاك العز فانهزم الشر
ولما أتينا البحر نرهب موجه * ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها * فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه * اذا ضل فى أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المسلمين وأخلصت * وقد طاب منها السر لله والجهر

ومدّت الى الله الاكف ضراعة * فقال لهن الله قد قضى الامر
وألبسها النعمى ببعثك التى * لها الطائر الميمون والمحتد الحر
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفتر
وأمّنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا ضيعة تعدو ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبوك مصرحا * بأنك فى أولاده الولد البرّ
وقد كنت حقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شىء له قدر
فأوحشت من دار الخلافة أهلها * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
وردّ عليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى تدعى اذا دهم الردى * وأنت الذى ترجى اذا أخلف القطر
وأنت اذا جار الزمان بحكمه * لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * كسير ومن عليائك يلتمس النصر
غريب يرجى منك ما أنت أهله * فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
فعد يا أمير المؤمنين ببيعة * موثقة قد حل عقدتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا * بآل مرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق للحق ثاره * ففى ضمن ما تأتى به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال مالك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر المجرّ
يكف بك العادى ويحيا بك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
أعده الى أوطانه عنك ثانيا * وقلده نعماك التى مالها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدّهم منك التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها عناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤودك كفله * سوى أنه عرض له فى العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة * تردّ ولكنّ الثناء هو العمر
ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا مالك العلا * جياد المذاكى والمحجلة الغر
وراد وشقر واضحات شياتها * فأجسامها تبر وأرجلها درّ
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مطهمة غارت بها الانجم الزهر

وأسر

وأسر رجال من مرين أعزة * عمائمها بيض وآسالها سمر
عليهم من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا أعطوا وان نوزعوا سطوا * وان وعدوا وفوا وان عاهدوا بروا
وان حجزوا العواء وافوا بأنفس * كرام على هاماتها فى الورى البر
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وتبسم مابين الوشيج ثغورهم * وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
أمولاى غاضت فكرتى وتبلدت * طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
ولولا احتنان منك داركتنى به * وأحييتنى لم يبق عين ولا أثر
فأوجدت منى فائتا أى فائت * وأنشرت ميتا ضم أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه * بأهل فحل اللطف وانشرح الصدر
وطوقتنى النعمى المضاعفة التى * يقل عليها منى الحمد والشكر
وأنت بتتميم الصنائع كافل * الى أن يعود العز والجاه والوفر
بجاهك الذى أسنى مقامك رحمة * تفك بها العانى وينعش مضطر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحة * فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه * ومن بذل المجهود حق له العذر

ثم انقضى المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتب الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطانته من الصنائع واحتفظ عليه رسم سلطانه فى الركب والرجل ولم يفقد من ألقاب ملكه الا الاداة أدبا مع السلطان واستقر فى جملته الى أن كان من لحاقه بالاندلس وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الحسن بن عمر وخروجه بتادلا وتغلب السلطان عليه ومهلكه)

لما فصل الوزير الحسن بن عمر الى مراكش واستقر بها تأثل له بها سلطان ورياسة نفسها أهل مجلس السلطان وسعوا فى تنكر السلطان له حتى أظلم الجو بينهما وشعر الوزير بذلك فارتاب بمكانه وخشى بادرة السلطان على نفسه وخرج من مراكش فى شهر صفر من سنة احدى وستين فلحق بتادلا منحرفا عن الطاعة مرتكبا أمره وتلقاه بنو جابر من جشم واعصوصبوا عليه وأجاروه وجهز السلطان عساكره الى حربه وعقد عليها لوزيره الحسن بن يوسف وسرحه اليه فاحتل بتادلا ولحق الحسن بن عمر بالجبل واعتصم به مع الحسين بن على الوردبغى كبيرهم وأحاطت بهم العساكر وأخذوا بمخنقهم وداخل الوزير

بعض أهل الجبل من صنا كة في الثورة بهم وسرّب اليهم المال فثاروا بهم وانفض جمعهم وتقبض على الحسن بن عمر وقاده برمّته الى عسكر السلطان فاعتقله الوزير وانكفأ راجعا الى الحضرة وقدم بها على السلطان في يوم مشهود استركب السلطان فيه العسكر وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد لاعتراض عساكره وحمل السلطان الحسن بن عمر على جمل طيف به بين أهل ذلك المحشر وقرب الى مجلس السلطان فأومأ الى تقبيل الارض فوق جمله وركب السلطان الى قصره وانفض الجمع وقد شهروا وصاروا عبرة من عبر الدنيا ودخل السلطان قصره فاقتعد أريكته واستدعى خاصته وجلساءه وأحضره فوبخه وقرّر عليه مرتكبه فتلوى بالمعاذير وفزع الى الانكار وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من العلية والخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وعبرة ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصى وتل الى محبسه وقتل لليال من اعتقاله قعصا بالرماح بساحة البلد ونصب شلوه بسور البلد عند باب المحروق وأصبح مثلا في الآخرين

(الخبر عن وفد السودان وهديتهم واغرابهم فيها بالزرافة)

كان السلطان أبو الحسن لما أهدى الى ملك السودان منسا سليمان بن منسا موسى هديته المذكورة في خبره اعتمل في مكافأته وجمع لهاداته من طرف أرضه وغرائب بلاده وهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك ووصلت الهدية الى أقصى ثغورهم من الارض وهلك منسا سليمان قبل فصولها واختلف أهل مالي وافترق أمرهم وتواثب ملوكهم على الامر وقتل بعضهم بعضا وشغلوا بالفتنة حتى قام فيهم منسا زاطة واستوسق له أمرهم ونظر في اعطاف ملكه وأخبر بشان الهدية وانها بولاتن فأمر بانفاذها الى ملك المغرب وضم اليها حيوان الزرافة الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا الى فاس في صفر من سنة اثنتين وستين وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان ببرج الذهب مجلس العرض ونودي في الناس بالبروز الى الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا في الازدحام على الزرافة اعجابا بخلقتها وأنشد الشعراء في معرض المدح والتهنئة ووصف الحال وحضر الوفد بين يدي السلطان وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن ابطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالي وتواثبهم على الامر وتعظيم سلطانهم وما صار اليه والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيهم عادة معروفة لهم وحيوا السلطان يحثون التراب على رؤسهم على سنة ملوك العجم ثم ركب السلطان وانفض ذلك الجمع وقد طار به الذكر

واستقر ذلك الوفد في ايالة السلطان وتحت جرايته وهلك السلطان قبل انصرافهم فوصلهم القائم بالامر من بعده وانصرفوا الى مراكش وأجازوا منها الى ذوى حسان عرب المعقل من السوس المتصلين ببلادهم ولحقوا من هنالك بسلطانهم والامر لله وحده

الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وايثار أبى زيان حافد أبى تاشفين بملكها وما كان مع ذلك من صرف أمراء الموحدين الى بلادهم

لما استقل السلطان بملك المغرب سنة ستين كما ذكرناه وكان العامل على درعة عبد الله بن مسلم الزردالى من احلاف بنى عبد الواد وشيعة أبى زيان اصطنعه السلطان أبو الحسن عند تغلبه على تلمسان واستعمله أبو عنان بعد ذلك على بلاد درعة كما ذكرناه وتأتى له المكر بأبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن حين خروجه على أخيه السلطان أبى عنان بجبل ابن حميدى فارتاب عند استقلال المولى أبى سالم بالامر وخشى بادرته لما رآه من حقده عليه بسبب أخيه أبى الفضل لما كان بينهما من لحمة الاغتراب فداخل بطانته من عرب المعقل واحتمل ذخائره وأمواله وأهله وقطع القفر الى تلمسان ولحق بالسلطان أبى حمو آخر سنة ستين فنزل منه خير نزل وعقد له حين وصوله على وزارته وباهى به وبمكانه وفوض اليه فى التدبير والحل والعقد فشمر عن ساعده فى الخدمة وجاجأ بعرب المعقل من مواطنهم رغبة فى ولايته وايثارا لمكانته من الدولة ورهبة من سلطان المغرب لما كانوا ارتكبوه من موافقة بنى مرين مرة بعد أخرى فاستقروا بتلمسان وانحاشوا جميعا الى بنى عبد الواد وبعث السلطان أبو سالم الى أبى حمو فى شأن عاملهم عبد الله بن مسلم فلم يرجع له جوابا عنه وحضر عليه ولاية المعقل أهل وطنه فلج فى شأنهم فأجمع السلطان أمره على النهوض اليهم واضطرب معسكره بساحة البلد وفتح ديوان العطاء ونادى فى الناس بالنفير الى تلمسان وأزاح العلل وبعث الحاشدين من وزرائه الى مراكش فتوافت حشود الجهات وفصل من فاس فى جمادى من سنة احدى وستين وجمع أبو حمو من فى ايالته وعلى التشيع لدولته من زناتة والعرب بنى عامر والمعقل كافة ما عدا العمارنة كان أميرهم الزبير بن طلحة متحيزا الى السلطان واجفلوا عن تلمسان وخرجوا الى الصحراء ودخل السلطان الى تلمسان ثالث رجب وخالفه أبو حمو وأشياعه الى المغرب فنزلوا كرسيف بلد ونزمار بن عريف وخربوه واكتسحوا ما وجدوا فيه حقدا على ونزمار وقومه بولاية بنى مرين وتخطوا الى وطاط فعاثوا فى نواحيه وانقلبوا الى انكاد وبلغ السلطان خبرهم فتلافى أمر المغرب وعقد على تلمسان لحافد من حفدة السلطان أبى تاشفين كان ربى فى حجرهم وتحت

كفالة نعمتهم وهو ابو زيان محمد بن عثمان وشهرته بالقبي وأنزله بالقصر القديم من تلمسان
وعسكر عليه زناتة الشرق كلهم واستوزر له ابن عمه عمر بن محمد بن ابراهيم بن مكي ومن
أبناء وزرائهم سعيد بن موسى بن علي وأعطاه عشرة أحمال من المال دنانير ودراهم
ودفع اليه الآلة وذكر حينئذ لمولانا السلطان أبي العباس سوابقه وايلافه في المنزل
الخشن فنزل له عن محل امارته قسنطينة وصرف أيضا المولى أبا عبد الله صاحب بجاية
لاسترجاع بلده بجاية فعقد لهما بذلك وحباهما وخلع عليهما وأعطاهما حملين من المال
وكانت بجاية لذلك العهد قد تغلب عليها عمهم المولى أبو اسحق ابراهيم صاحب تونس
فكتب الى عاملهم على قسنطينة منصور بن الحاج خلوف أن ينزل عن بلده لمولانا
السلطان أبي العباس أحمد ويمكنه منها وودع هؤلاء الامراء وانكفأ راجعا الى حضرته
لسد ثغور المغرب وحسم داء العدو فدخل فاس في شعبان من سنته ولم يلبث ان رجع
أبو زيان على اثره بعد أن أجفل عن تلمسان ولحق بوانشريس وتغلب عليه أبو حمو
وفض جموعه فلحق بالسلطان واستقل أبو حمو بملك تلمسان وبعث في السلم الى السلطان
فعقد له من ذلك ما رضيه كما ذكرناه

{ الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم واستيلاء عمر بن عبد الله }
{ على ملك المغرب ونصبه للملوك واحدا بعد واحد الى أن هلك }

كان السلطان قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وكان من خبره
ان سلفه من أهل رباط الشيخ أبي مدين كان جده قيما على خدمة قبره واستخدمه
واتصل القيام على هذا الرباط في عقبه وكان جده الثالث محمد معروفا بالولاية ولما مات
دفنه يغمراسن بالقصر القديم ليجاوره بجدثه تبركا به وكان ابنه أحمد أبو محمد هذا قد
ارتحل الى المشرق وجاور الحرمين الى أن هلك وربي ابنه محمد بالمشرق ما بين الحجاز
ومصر وقفل الى المغرب بعد أن أسر أشياء في الطلب وتفقه على أولاد الامام ولما ابتنى
السلطان أبو الحسن مسجد العباد ولاه الخطابة به وسمعه يخطب على المنبر وقد أحسن
في ذكره والدعاء له فلا بعينه واستخلصه لنفسه وأحله محل القرب من نفسه وجعله
خطيبا حيث يصلي من مساجد المغرب وسفر عنه الى الملوك ولما كانت نكبة القيروان
خلص الى المغرب واستقر برباط العباد بجبل سلفه بعد أحوال أضربنا عن ذكرها
اختصارا ولما خلص السلطان الى الجزائر داخله أبو سعيد صاحب تلمسان في السفارة
عنه الى السلطان أبي الحسن وصلاح ما بينهما فسار لذلك ونقمه أبو ثابت وبنو عبد
الوادي وذكروه على سلطانهم وسرحوا صغير بن عامر في اتباعه فتقبض عليه
وأودعوه المطبق ثم أشخصوه بعد حين الى الاندلس فاتصل بأبي الحجاج صاحب

غرناطة وولاه خطابته لما اشتهر به من اجادة الخطبة للملوك بزعمهم وألف السلطان
أباسالم فى مثوى اغترابهما من غرناطة وشاركه عند أبى الحجاج فرعى السلطان وسائله
ونوآته القديمة والمادنة الى مقامه عند أبيه فلما استوسق له ملك المغرب استخصه بولايته
وألقى عليه محبته وعنايته وكان مؤامره ونجى خلوته والغالب على هواه فانصرفت اليه
الوجوه وخضعت ووطئ عقبه الاشراف والوزراء وعطف على بابه القواد والامراء
وصار زمام الدولة بيده وكان يتجافى عن ذلك أكثر أوقاته حذرا من سوء المغبة ويزجر
من يتعرض له فى الشكاية ويوهم الى أصحاب المراتب والخطط بباب السلطان وهم
يعلمون انه قد ضرب على أيديهم فنقموا ذلك وسخطوا الدولة من أجله ومرضت القلوب
أهل الحل والعقد من تقدمه ونفس عليه الوزراء ما ثبت له عند السلطان
من الحظ فتربصوا بالدولة وشمل هذا الداء الخاصة والعامة وكان عمر بن عبد الله بن
على لما هلك أبوه الوزير عبد الله بن على فى جمادى سنة ستين عند استيلاء السلطان على
ملكه تحلبت شفاه أهل الدولة على تراثه وكان مثريا فاستجار منهم بابن مرزوق وساهمه
فى تراث أبيه بعد أن حملوا السلطان على النيل منه والاهانة له فأجاره منهم ورفع عند
السلطان رتبته وحمله على الاصهار اليه فى أخته وقلده السلطان أمانة البلد الجديد دار
ملكه متى عنت له الرحلة عنها وأصهر عمر الى وزير الدولة مسعود بن ماسى تسكينا
لروعته واستخلاصا لمودته وسفر عن السلطان الى صاحب تلمسان فى شعبان من سنة
اثنين وستين ونمى عنه أنه داخل صاحب تلمسان فى بعض المكر فهم بنكبته وقتله ودافع
عنه ابن مرزوق وخلص من عقابه وطوى على البث وتصرف فى الدولة وتربص بالدولة
واعيد الى مكانه من الامانة على دار الملك أول ذى القعدة مرجعه من تلمسان لما كان
السلطان قد تحول عنها الى القصبة بفاس واختط ايوانا فخما لجلوسه بها لضيق قصوره
بها فلما استولى عمر على دار الملك حدثته نفسه بالتوثب وسول له ذلك ما اطلع عليه من
مرض القلوب والنكير على الدولة لمكان ابن مرزوق فداخل قائد الجند غرسية بن
انطول واتعدوا الذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة سنة اثنين وستين
وخلصوا الى تاشفين الموسوس ابن السلطان أبى الحسن بمكانه من البلد الجديد فخلعوا
عليه وألبسوه شارة الملك وقربوا اليه مركبه وأخرجوه الى أريكة السلطان فأقعدوه
عليها وأكرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة له وجاهروا بالخلعان
وقرعوا الطبول ودخلوا الى مودع المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حسبان
وماج أهل البلد الجديد من الجند بعضهم فى بعض واختطفوا ما وصلوا اليه من العطاء
وانتهبوا ما كان بالمخازن الخارجة من السلع والعدة وأضرموا النار فى بيوتها استرا

على ماضاع منها وأصبح السلطان بمكانه من القصبة فركب واجتمع اليه من حضر من الاولياء والقبائل وغدا على البلد الجديد وطاف بها وروم منها منفذا فاستصعب واضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها ونادى فى الناس بالاجتماع اليه ونزل عند قائلة الهاجرة بفسطاطه فتسايل الناس عنه الى البلد الجديد فوجا بعد فوج بمرأى منه الى أن سار اليها أهل مجلسه وخاصته فطلب النجاء بنفسه وركب فى لمة من الفرسان مع وزرائه مسعود بن رحو وسليمان بن داود ومقدم الموالى والجند ببابه سليمان بن نصار وأذن لابن مرزوق فى الدخول الى داره ومضى على وجهه ولما غشيهم الليل انفضوا عنه ورجع الوزير الى دار الملك فتقبض عليهما عمر بن عبد الله وساهمه غريسة بن أنطول واعتقلاهما متفرقين وأشخص على بن مهدى وبدر يحيى فى طلب السلطان فعثر عليه نائما فى بعض المحاشر بوادى ورغة وقد نزع عنه لباسه اختفاء بشخصه وتوارى على العيون بمكانه فتقبض عليه وحمله على بغل وطير الخبر الى عمر بن عبد الله فأزعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن وردار وفتح الله بن عامر بن فتح الله وأمرهما بقتله وانفاذ رأسه فلقياه بخندق القصب ازاء كدية العرائس فأمر بعض جنود النصارى أن يتولى ذبحه وحمل رأسه فى مخلاة فوضعه بين يدى الوزير والمشيخة واستقل عمر بالامر ونصب الموسوس تاشفين يموه به على الناس وذوات الامور الى غاياتها ولكل أجل كتاب

الخبر عن الفتك بابن أنطول قائد العسكر من النصارى ثم خروج يحيى بن رحو وبنى مرين عن الطاعة

لما تقبض عمر بن عبد الله على الوزير كان معتقل سليمان بن داود بدار غريسة قائد النصارى ومعتقل بن ماسى بداره ضنانة عن الامتهان بمكان صهره ولما فيه من الاستظهار بعصابته من الابناء والاخوة والقرابة وكان غريسة بن أنطول صديقا لسليمان بن ونصار فلما رجع عن السلطان ليلة انفضاضهم نزل عليه وكان يعاقره الخمر فأتاه مصرا وتفاوضا فى اعتقال عمر واقامة معتقله سليمان بن داود فى الوزارة لما هو عليه من السن ورسوخ القدم فى الامر ونمى الى عمر الخبر فارتاب وكان خلوا من العصابة ففزع الى قائد المركب السلطانى من الرجل الاندلسيين يومئذ ابراهيم البطروجى أمره وبايعه على الاستماتة دونه ثم استقل عصابتهم ففزع الى يحيى بن رحو شيخ بنى مرين وصاحب شوراهم فشكا اليه فأشكاه ووعده الفتك بابن أنطول وأصحابه وابرم عقد ابن أنطول وسليمان ابن ونصار على شأنهم وغدوا الى القصر وداخل ابن أنطول طائفة من النصارى للاستظهار بهم ولما وافت بنو مرين بمجلس

بياض فى الاصل

بياض بالأصل

السلطان على عادتهم و   عمر بن عبد الله القائد بن أنطول بين يدى يحيى بن رحو وقد أحضر البطروجى رجل الاندلسيين فسأله تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى وضن به عن الاهانة حتى سأل مثلها من ابن ماسى صاحبه فأمر عمر بالتقبض عليه فكثر فى وجوه الرجال واخترط سكينه للمدافعة فتواثبت بنو مرين وقتلوه لحينه واستلحموا من وجد بالدار من جند النصارى عند دخولهم وفروا الى معسكرهم ويعرف بالملاح جوار البلد الجديد وأرجف الغوغاء بالمدينة أن ابن أنطول غدر بالوزير فقتل جند النصارى حيث وجدوا من سكك المدينة وتزاحفوا الى الملاح لاستلحام من به من الجند وركب بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وآنيتهم وأمتعتهم وقتل النصارى كثيرا من المجان كانوا يعاقرون الخمر بالملاح واستبد عمر بالدار واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل وبعث من قتله بمحبسه وحول سليمان بن داود ببعض الدور بدار الملك اعتقله بها واستولى على أمره ورجع فى الشورى الى يحيى بن رحو واعصوصب بنو مرين عليه واعتزعلى الامراء والدولة وكان عدو الخاصة السلطان أبى سالم حريصا على قتلهم وكان عمر يريد استبقاءهم لما أملوا فى ابن ماسى فخشنت صدورهم عليه ودبروا فى شأنه وخاطبوا عامر ابن محمد فى اتصال اليد واقتسام ملك المغرب وبعث اليه بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم اعتقده عنده والجة لخلاصه من ربقة الحصار الذى هم به مشيخة بنى مرين وكان أبو الفضل هذا بالقصبة تحت الرقبة والارصاد فتفقد من مكانه وأغلظ المشيخة فى العتب لعمر فى ذلك فلم يستعتب ونبذ اليهم العهد وامتنع بالبلد الجديد ومنعهم من الدخول اليه فاعصوصبوا على كبيرهم يحيى بن رحو وعسكروا بباب الفتوح وجاءوا بعبد الحليم ابن السلطان أبى على وكان من خبره معه ما نذكره وأطلق عمر بن عبد الله مسعود بن ماسى من محبسه وسرحه الى مراكش وأوعده فى الاجلاب عليهم ان حاصروه كما نذكره ان شاء الله تعالى

• (الخبر عن وصول عبد الحليم بن السلطان من تلمسان وحصار البلد الجديد) •

كان السلطان أبو الحسن لما قتل أخاه السلطان أباعلى وقضى الحق الذى له فى ذمته عمل بالحق الذى عليه فى ذمته ولده وحرمه فكفلهم وغذاهم بنعمته وساواهم بولده فى كافة شؤنهم وأنكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه عليا منهم المكنى بأبى سلوس ونزع عنه وهو بالقيروان أيام النكبة ولحق بالعرب وأجلب معهم على السلطان بالقيروان وتونس ثم انصرف من افريقية ولحق بتلمسان ونزل على سلطانها أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن فبوأه كرامته ثم شرع فى الاجازة الى الاندلس وبعث فيه السلطان أبو عنان قبل فصوله

فاشخصوه اليه فاعتقله ثم أحضره ووبخه على مرتكبه مع السلطان أبي الحسن وجحده
حقه ثم قتله لليلتين من شهور احدى وخمسين ولما هلك السلطان أبو الحسن ولحقت
جملته من الخاصة والابناء بالسلطان أبي عنان وأشخص اخوته الى الاندلس وأشخص
معهم ولد الامير أبي علي هؤلاء عبد الحليم وعبد المؤمن والمنصور والناصر وسعيد ابن
أخيهم زيان فاستقروا بالاندلس في جوار ابن الاحمر ثم طلب أبو عنان اشخاصهم بعد كما
طلب اشخاص أخيه فأجارهم ابن الاحمر جميعا وامتنع من اسلامهم اليه وكان من
المغاضبة لذلك ماقدمناه ولما اعتقل السلطان أبو سالم الابناء المرشحين وكان بردة كما
قدمناه نزع منهم عبد الرحمن بن علي بن أبي يفلوس الى غرناطة فلحق بأعماله وكان
السلطان أبو سالم بمكانهم مستريبا بشأنهم حتى لقد قتل محمد بن أبي يفلوس بن بياض بالاصل
أخته تاحضريت وهو في حجرها وحجره استرابه بما نمى عنه ولما أجاز أبو عبد الله المخلوع ابن
أبي الحجاج الى المغرب ونزل عليه وصار الى ايالته ورأى ان قد ملك أمره في هؤلاء
المرشحين بغرناطة وأرسل الرئيس محمد بن اسمعيل عند توثبه على الامر امواستطامه
أبناء السلطان أبي الحجاج فراسله في اعتقالهم ثم فسد ما بين الرئيس والطاغية وأخذ منه
كثيرا من حصون المسلمين وبعث الى السلطان أبي سالم في أن يخلي سبيل المخلوع اليه
فامتنع وفاء للرئيس ثم دافع الطاغية عن ثغوره باسعاف طلبته فجهز المخلوع وملأ
حقائبه صلة وأعطاه الآلة وأوعز الى أسطوله بسبتة فجهز وبعث علال بن محمد ثقة أبيه
فأركبه الاسطول وركب معه الى الطاغية وخلص الخبر الى الرئيس بمكانه من ملك
غرناطة وكان أبو حمو صاحب تلمسان راسله في أولاد أبي علي وأن يجيزهم اليه ليجدهم
زبونا على السلطان أبي سالم فبادر لحينه وأطلقهم من مكان اعتقالهم وأركب عبد
الحليم وعبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيهما علي أبي يفلوس في الاسطول وأجازهم الى
مرسى هنين بين يدي مهلك السلطان أبي سالم فنزلوا من صاحب تلمسان بأعز جوار
ونصب عبد الحليم منهم لملك المغرب وكان محمد السبيع بن موسى بن ابراهيم نزع عن عمر
ولحق بتلمسان فتوافى معهم وأخبرهم بمهلك السلطان وبايع له واغراه بالرحلة الى المغرب
ثم تتابعت وفود بني مرين بمثلها فسرحه أبو حمو وأعطاه الآلة واستوزر له محمد السبيع
وارتحل معه يغذ السير ولقي في طريقه محمد بن زكراز من أولاد علي من شيوخ بني ونكاس
أهل دبدو وثغر المغرب منذ دخول بني مرين اليه فبايعه وحمل قومه على طاعته وأغذ
السير وكان يحيى بن رحو والمشيخة لما نبذ عمر بن عبد الله اليهم العهد وعسكروا بباب
الفتوح أوفدوا مشيخة منهم على تلمسان لاستقدام السلطان عبد الحليم فوافوه بتازى
ورجعوا معه وتلقته جماعة بني مرين بسبو ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع

محرم من سنة ثلاث وستين واضطرب معسكرهم بكدية العرائس وغادوا البلد القتال وراوحوها سبعة أيام وتتابعت وفودهم والحشود تسايل اليهم ثم ان عمر بن عبد الله برز من السبت القابل فى مقدمة السلطان أبى عمر بمن معه من جند المسلمين والنصارى رامحة وناشبة ووكل بالسلطان من جاء به فى الساقة على التعبية المحكمة وناشبهم الحرب فدلفوا اليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الاسوار حتى فشت فيهم الجراحات ثم صمم نحوهم وانفرج القلب وانفضت الجموع وزحف السلطان فى الساقة فاندعروا فى الجهات وافترق بنو مرين الى مواطنهم ولحق يحيى بن رحو بمراكش مع مبارك بن ابراهيم شيخ الخلط ولحق عبد الحليم واخوته بتازى بعد أن شهد لهم أهل المقام بصدق الجلاد وحسن البلاء فى ذلك المجال وصابر عمر بن عبد الله قدوم محمد بن أبى عبد الرحمن كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم الامير محمد بن الامير عبد الرحمن وبيعته بالبلد الجديد فى كفالة عمر بن عبد الله

لما نبذ بنو مرين عهدهم واعصوصبوا عليه ونكروا ما جاء به من البيعة لابى عمر مع فقده العقل الذى هو شرط الخلافة شرعا وعادة ونقموا عليه اتهم نفسه فى نظره وفرغ الى التماس المرشحين فوقع نظره على حافد السلطان أبى الحسن محمد ابن الامير أبى عبد الله النازع لاول دولة السلطان أبى سالم من رندة الى الطاغية وكان قد نزل منه بخير مثوى فبعث اليه مولاه عتيقا الخصى ثم تلاه بعثمان بن الياسمين ثم تلاهما بالرئيس الابكم من بنى الاحمر فى كل ذلك يستحث قدومه وخاطب المخلوع ابن الاحمر وهو فى جوار الطاغية كما قدمناه قريب عهد بجواره فخاطبه فى استحثاثه واستخلاصه من يد الطاغية وكان المخلوع يرتاد لنفسه منزلا من ثغور المسلمين لما فد بينه وبين الطاغية ورام النزوع عن ايالته فاشترط على الوزير عمر النزول له عن رندة فتقبل شرطه وبعث اليه الكتاب بالنزول عنها بعد أن وضع الملأ عليه خطوطهم من بنى مرين والخاصة والشرفاء والفقهاء فسار ابن الاحمر الى الطاغية وسأله تسريح محمد هذا الى ملكه وأن قبيله دعوه الى ذلك فسرّحه بعد أن شرط عليه وكتب الكتاب بقبوله وفصل من اشبيلية فى شهر المحرم فاتح ثلاث وستين ونزل بسبتة وبها سعيد بن عثمان من قرابة عمر بن عبد الله أرصده لقدومه فطير بالخبر اليه فخلع أبا عمر من الملك لعام من بيعته وأنزله بداره مع حرمه وبعث الى السلطان أبى زيان محمد بالبيعة والآلة والفساطيط ثم جهز عسكرا للقائه فتلقوه بطنجة وأغذ السير الى الحضرة فنزل منتصف شهر صفر بكدية العرائس واضطرب معسكره بها وتلقاه الوزير يومئذ وبايعه وأخرج فسطاطه فاضطرب بمعسكره

وتلوم السلطان هنالك ثلاثا ثم دخل فى الرابع الى قصره واقتعد أريكته وتودع ملكه وعمر مستبد عليه لا يكل اليه أمرا ولانهيا واستطال عند ذلك المنازعون أولاد أبى على كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن السلطان عبد الحليم
واخوته الى سجلماسة بعد الوقعة عليهم بمكاسة}

لما سمع عبد الحليم بقدوم محمد بن أبى عبد الرحمن من سبتة الى فاس وهو بمكانه من تازى سرح أخاه عبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيه الى اعتراضه فانتهوا الى مكاسة وحاموا عن لقائه فلما دخل الى البلد الجديد أجلبوا بالغارة على النواحى وكثر العيث وأجمع الوزير عمر على الخروج اليهم بالعساكر فبرز بالتعبية والآلة وبات بوادى النجا ثم أصبح على تعبيته وأغذ السير الى مكاسة فزحف اليه عبد المؤمن وابن أخيه عبد الرحمن فى جموعهما فجاولهما القتال ساعة ثم صمم اليهم فدفعهم عن مكاسة وانكشفوا فلحقوا بأخيهم السلطان عبد الحليم بتازى ونزل الوزير عمر بساحة مكاسة وأوفد بالفتح على السلطان وكنت وافده اليه يومئذ فعمت البشرى واتصل السرور وتهنأ السلطان بملكه وتودع من يومئذ سلطانه ولما وصل عبد المؤمن الى أخيه عبد الحليم بتازى مفلولا انتقض معسكره ونزعوا عنه الى فاس وذهب لوجهه هو واخوته مع وزيرهم السبيع بن محمد ومن كان معهم من عرب المعقل فلحقوا بسجلماسة وكان أهلها قد دخلوا فى بيعتهم ودانوا بطاعتهم فاستعزوا بها وجددوا رسم الملك والسلطان الى أن كان من خروجهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن قدوم عامر بن محمد ومسعود بن ماسى من مراكش
وما كان من وزارة ابن ماسى واستبداد عامر بمراكش}

كان السلطان أبو سالم لما استقل بملك المغرب استعمل على جباية المصامدة وولاية مراكش محمد بن أبى العلاء بن أبى طلحة من أبناء العمال وكان مطلعا بها وناقش الكبير من ذوى عامر فأحفظه ذلك وربما تكررت سعايته فى عامر عند السلطان ولم يقبل ولما بلغ الى عامر مهلك السلطان أبى سالم وقيام عمر بالامر وكانت بينهما خلة بيت محمد ابن أبى العلاء فتقبض عليه وامتحنه وقتله واستقل بأمر مراكش وبعث اليه الوزير عمر بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم يعتده لما يقع من حصار بنى مرين اياه أن يجلب به عامر عليهم ويستنقضه كما ذكرناه ثم سرح مسعود بن ماسى كما ذكرناه ولما أحاط بنو مرين بالبلد الجديد جمع عامر من اليه من الجند والحشود وزحف بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم الى وادى أم ربيع ولما انفض جمعهم من على ونزل ب

ناقص بالاصل

ناقص بالاصل

البلد الجديد لحق به يحيى بن رحو وكان له صديقا ملاطفا فتنكر له توقيه لعمر بن عبد الله وصاحبه مسعود وبعثه الى الجبل ولم يشهد الجمع فذهب مغاضبا ولحق بسجلماسة بالسلطان عبد الحليم وهلك في بعض حروبه مع العرب ولما انفض عبد المؤمن وأجفل عبد الحليم من تازى ولحقوا بسجلماسة واستوسق الامر لعمر بن عبد الله وفرغ من شأن المنازعين ومضايقتهم له رجع الى ما كان يؤمله من الاستظهار على أمره بمسعود ابن ماسي واخوته وأقاربه لمكان الصهر الذي بينهما فاستقدمه للوزارة مرضاة لبني مرين لما كانوا عليه من استمالتهم لجميع المذاهب والاغضاء عما نالوه به من النكاية وكان عامر بن محمد مجمعا القدوم على السلطان فقدم في صحابته ونزلا من الدولة بخير منزل وعقد السلطان لمسعود بن رحو على وزارته باشارة الوزير عمر فاضطلع بها ودفعه عمر اليها استمالة اليه وثقة بمكانه واستظهارا بعصابته وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب من لحم وأدم رفيع وجعل امارة مراكش لابي الفضل بن السلطان أبي سالم اسعافا بغرض عامر بن محمد في ذلك وأصهر عامر اليهم في بنت مولانا السلطان أبي يحيى المتوفى عم السلطان أبو عنان فحملوا أولياءها على العقد عليها رانكفأ راجعا الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزا وثروة وتابعا لجمادى من سنة ثلاث وستين وصرف عمر عزيمته الى تشريد عبد الحليم وأخيه من سجلماسة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن زحف الوزير عمر بن عبد الله الى سجلماسة)

لما احتل عبد الحليم واخوته بسجلماسة اجتمع اليهم عرب المعقل كافة بحللهم واقتضوا خراج البلد فوزعوه فيهم واتضوا على الطاعة رهنهم وأطعمهم جنات المختص بأمرها واعصوصبوا عليه واستحثه يحيى بن رحو ومن هنالك من مشيخة بني مرين الى النهوض للمغرب فأجمع أمره على ذلك وتدبر الوزير عمر أمره وخشي أن يضطره حوه فأجمع اليه الحركة ونادى في الناس بالعطاء والرحلة فاجتمعوا اليه وبث العطاء فيهم واعترض العساكر وأزاح العلل وارتحل من ظاهر فاس في شعبان من سنة ثلاث وستين وارتحل معه ظهيره مسعود بن ماسي وبرز السلطان عبد الحليم الى لقائهم ولما تراءت الفئات بتاغز وطت عند فرج الجبل المفضي من تلول المغرب الى الصحراء هموا باللقاء ثم تواقفوا أياما وغشت بينهم رجالات العرب في الصلح والتجافي لعبد الحليم عن سجلماسة تراث أبيه فعقد بينهما وافترقا ورجع كل واحد منهما الى عمله ومكانه من سلطانه ودخل عمر والوزير مسعود الى البلد الجديد في رمضان من سنته وتلقاهما سلطانهما بأنواع المبرة والكرامة ونزع الوزير محمد بن السبيع عن السلطان عبد الحليم الى الوزير عمر وسلطانه فتقبل وحل محل التكرمة والردافة للوزارة واستقر كل

بمكانه وتوادعوا أمرهم الى ما كان من خلع عبد المؤمن لاخيه عبد الحليم مانذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن بيعة العرب لعبد المؤمن وخروج عبد الحليم الى المشرق)

لما رجع عبد الحليم بعد عقد السلم مع الوزير عمر الى سجلماسة واستقر بها وكان عرب المعقل من ذوى منصور فريقين الاحلاف وأولاد حسين وكانت سجلماسة وطنا للاحلاف وفى مجالاتهم منذ أول أمرهم ودخولهم المغرب وكان من أولاد حسين فى ممالأة الوزير عمر ماقدمناه فكانت صاغية السلطان عبد الحليم الى الاحلاف بسبب ذلك أكثر فأسف ذلك أولاد حسين على الاحلاف وتجددت لذلك الفتنة وتزاحفوا وأخرج السلطان عبد الحليم أخاه عبد المؤمن لرقع ما بينهما من الخرق ولأمه فلما قدم على أولاد حسين دعوه الى البيعة والقيام بأمره فأبى فأكرهوه عليها وبايعوه وزحفوا الى سجلماسة فى صفر من سنة أربع وستين وبرز عبد الحليم اليهم فى أوليائه من الاحلاف وتواقفوا مليا وعقلوا رواحلهم وانكشف الاحلاف وانهزموا وهلك يحيى بن رحو كبير المشيخة من بنى مرين يومئذ فى حربهم وتغلبوا على سجلماسة ودخل اليها عبد المؤمن وتخلى له أخوه عبد الحليم عن الامر وخرج الى المشرق لقضاء فرضه فودعه وزوده بما أراد وارتحل الى الحج وقطع المفازة الى بلد مالى من السودان وصحب منها ركاب الحج الى مصر ونزل على أميرها المتغلب على سلطانها يومئذ وهو مليغا الخاصكى وأنهى خبره اليه وعرف بمكانه فاستبلغ فى تكريمه بما يناسب بيته وسلطانه وقضى حجه وانصرف الى المغرب فهلك بقرب الاسكندرية سنة ست وستين واستقل عبد المؤمن بأمر سجلماسة حتى كان من نهوض العسكر اليه ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن نهوض ابن ماسى بالعساكر الى سجلماسة
واستيلائه عليها ولحاق عبد المؤمن بمراكش}

لما افترقت كلمة أولاد السلطان أبى عنان وخلع عبد المؤمن أخاه تطاول الوزير عمر الى التغلب عليهم ونزع اليه الاحلاف عدو أولاد حسين وشيعة عبد الحليم المخلوع فجهز العساكر وبث العطاء وأزاح العلل وسرح ظهيره مسعود بن ماسى الى سجلماسة فنهض اليها فى ربيع من سنة أربع وتلقاه الاحلاف بحللهم وناجعتهم وأغذ السير ونزع الكثير من أولاد حسين للوزير مسعود وبعث عامر بن محمد عن عبد المؤمن من سجلماسة فتركها ولحق بعامر فتقبض عليه واعتقله بداره من جبل هنتانة ودخل الوزير مسعود الى سجلماسة واستولى عليها واقتلع منها جرثومة الشقاق بافتراق دعوة أولاد أبى على منها وكر راجعا الى المغرب لشهرين من حركته فاحتل بفاس الى

ان كان من خبر انتقاضه على عمر وفساد ذات بينهما مانذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض عامر ثم انتقاض الوزير بن ماسى على اثره)

لما استقل عامر بالناحية الغربية من جبال المصامدة ومراكش وما الى ذلك من الاعمال واستبدبها ونصب لامره أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم واستوزر له واستكفأ لامره وصارت كأنها دولة مستقلة فصرف اليه النازعون من بنى مرين على الدولة وجوه مفرهم ولجؤا اليه فأجارهم عن الدولة واجتمع اليه منهم ملأ وأشاروا اليه باستقدام عبد المؤمن وانه أبلغ ترشيحا من أبي الفضل بنسبه وقيامه على أمره وصاغية بنى مرين اليه فاستدعاه وأظهر لعمر أنه يروم بذلك مصلحته والمكر بعبد المؤمن وغا ذلك كله الى عمر فارتاب به ونزع اليه آخرا السبيع بن موسى بن ابراهيم الوزير كان لعبد الحليم فكشف القناع في بطانته وتجهيز العساكر اليه واسترابا بأهل ولايته وعثر على كتاب من الوزير مسعود بن ماسى اليه بمخالصته ويبذل له النصيحة فتقبض على حامله وأودعه السجن فتنكر مسعود وأغراه صحابته الملاشون له من بنى مرين بالخروج ومنازعة عمر في الامر ووعدوه النصر منه فاضطرب معسكره بالزيتون من خارج فاس موريا بالنزهة ابان الربيع وزخرف الارض في شهر رجب من سنة خمس وبنى أصحابه الفساطيط في معسكره حتى اذا استوفى جمعهم واعتزم على الخروج ارتحل مهاجرا بالخلاف وعسكر بوادي النجايين كان معه بعده الخروج معه من بنى مرين ثم ارتحل الى مكناسة وكتب الى عبد الرحمن بن على بن يفلوس يستقدمه للبيعة   تادلا قد خرج بها بعد انصرافهم من سجلماسة وتخلف عن عبد المؤمن وبعث عامر اليهم بعثا فهزموه ثم لحق ببنى ونكاسن فبعث اليه ابن ماسى وأصحابه فقدم عليهم وبايعوه وأخرج عمر سلطانه محمد بن أبي عبد الرحمن وعسكر بكدية العرائس وبث العطاء وأزاح العلل ثم ارتحل الى وادي النجا فبيته مسعود وقومه فثبت هو وعسكره في مراكزهم حتى انجاب الظلام وفروا أمامهم فاتبعوا آثارهم وانفض جمعهم وبدا لهم مالم يحتسبوه من اصفاق الناس على السلطان ووزيره عمر واعتصامهم بطاعته فانذعروا ولحق مسعود بن ماسى بن رحو بتادلا ولحق الامير عبد الرحمن ببلاد بنى ونكاسن ورجع عمر والسلطان الى مكانهما من الحضرة واستمال مشيخة بنى مرين فرجعوا اليه وعفا لهم عنها واستصلحهم وتمسك أبو بكر بن حمامة بدعوة عبد الرحمن بن أبي يفلوس وأقامهما في نواحيه وبايعه عليها موسى بن سيد الناس من بنى   أهل جبل دبروا من بنى ونكاسن بما كان صهراله وخالفه قومه الى الوزير عمر وواعدوه بالنهوض الى أبي بكر بن حمامة فنهض وغلبه على بلاده واقتحم حصنه انكاوان وفرهو وصهره موسى

بياض بالاصل

وفارقوا سلطانهم عبد الرحمن ونبذوا اليه عهده ورجعوا الى طاعة صاحب فاس فلحق هو بتلمسان ونزل على السلطان أبي حمو فاستبلغ في تكريمه ولحق وزيره مسعود بن ماسي بدبرا ونزل على أميره محمد بن زكراز صاحب ذلك الثغر وبعث الى الامير عبد الرحمن من تلمسان ليطارد به لفرصة ظنها في المغرب ينتهزها وأبي عليه أبو حمو من ذلك فركب مطية الفرار ولحق بابن ماسي وأصحابه فنصبوه للامر وأجلبوا على تازى ونهض الوزير اليهم في العساكر واحتل بتازا وتعرضوا للقائه ففض جموعهم وردهم على أعقابهم الى جبل دبرا وسعى بينهم ونرمار بن عريف ولي الدولة في قبض عنانهم عن المنازعة والتجافي عن طلب الامر وأن يجيزوا الى الاندلس للجهاد فأجاز عبد الرحمن بن أبي يفلوس ووزيره ابن ماسي من غساسة فاتح سبع وستين وخلا الجو من اجلابهم وعنادهم ورجع الوزير الى فاس واحتشد الى مراكش كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض الوزير عمر وسلطانه الى مراكش)

لما فرغ عمر من شأن مسعود وعبد الرحمن بن أبي يفلوس صرف نظره الى ناحية مراكش وانتزى عامر بن محمد بها وأجمع أمره على الحركة اليه فأفاض العطاء ونادى بالسفر الى حرب عامر وأزاح العلل وارتحل اليه لرجب من سنة سبع وصعد عامر وسلطانه أبو الفضل الى الجبل فاعتصم به وأطلق عبد المؤمن من معتقله ونصب له الآلة وأجلسه على سرير حذاء سرير أبي الفضل يوهم انه قد بايع له وانه أحكم أمره تحامى بذلك لبني مرين لما يعلم من صاغيتهم اليه وخشي مغبة ذلك فالان له القول ولاطفه في الخطاب وسعى بينهما في الصلح حسون بن علي الصبيحي فعقد له عمر من ذلك ما أرضاه وانقلب الى فاس ورجع عامر عبد المؤمن الى معتقله وأمر الاحوال على ما كانت من قبل الى أن بلغهم قتل الوزير لسلطانه كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبي عبد الرحمن
وبيعة عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن}

كان شأن هذا الوزير عمر في الاستبداد على سلطانه هذا عجبا حتى بلغ مبلغ الحجر من الصبيان وكان قد جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه وأهل قصره وكان السلطان كثيرا ما يتنفس الصعداء مع ندمائه ومن يختصه بذلك من حرمه الى أن حدثت نفسه باغتيال الوزير وأمر بذلك طائفة من العبيد كانوا يختصون به في نجي القول وأرسل به الى الوزير بعض الحرم كانت عيناله عليه فخشي على نفسه وكان من الاستبداد والدولة أن الحجاب مرفوع له عن خلوات السلطان وحرمه ومكاشفة رتبه فخلص اليه في حشمه

وهو معاقر لندمائه فطردهم عنه وتناوله فطا حتى فاض وألقوه فى بئر فى روض الغزلان واستدعا الخاصة فأراهم مكانه وانه سقط عن دابته وهو ثمل فى تلك البئر وذلك فى المحرم فاتح ثمان وستين لست سنين من خلافته واستدعى من حينئذ عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن وكان فى بعض الدور من القصبة بفاس تحت الرقباء والحراسة من الوزير لما كان السلطان محمد يروم الفتك به غيرة منه على الملك لمكان ترشيحه فحضر بالقصر وجلس على سرير الملك وفتحت الابواب لبنى مرين والخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده معطين الصفقة بطاعته وكمل أمره وبادر الوزير من حينه الى تجهيز العساكر الى مراكش ونادى بالعطاء وفتح الديوان وكمل الاعراض وارتحل بسلطانه من فاس فى شهر شعبان وأغذ السير الى مراكش ونازل عامر بن محمد بمعقله من جبل هنتاتة ومعه الامير أبو الفضل ابن السلطان أبى سالم وعبد المؤمن ابن السلطان أبى على أطلقه من الاعتقال أيضا وأجلسه موازى ابن عمه واتخذه الآلة يموه به فى شأنه الاول ثم سعى بينه وبين عمر فى الصلح فانعقد بينهما وانكفأ راجعا بسلطانه الى فاس فى شهر شوال فكان حتفه اثر ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره)

كان عمر قد عظم استبداده على السلطان عبد العزيز بحجره ومنعه من التصرف فى شئ من أمره ومنع الناس من النهوض له فى شئ من أمورهم وكانت أمه حذرة عليه اشفاقا وحبا وكان عمر لما ملك أمره واستبد عليه سما الى الاصهار اليهم فى بنت السلطان أبى عنان واشترط لها زعموا تولية أخيها الامير وغا ذلك الى السلطان وان عمر مغتاله لامحالة وقارن ذلك ان عمر أوعز الى السلطان بالتحول عن قصره الى القصبة فركب أسنة الغدر لاضطراره واعتزم على الفتك به وأكمن بزوايا داره جماعة من الرجال وأعدهم بالتوثب به ثم استدعاه الى بيته للمؤامرة معه سنته فدخل معه وأغلق الموالى من الخصيان باب القصر من ورائه ثم أغلظ له السلطان بالقول وعتبه ودلف الرجال اليه من زوايا الدار فتناولوه بالسيوف هبرا وصرخ ببطانته بحيث أسمعهم فحملوا على الباب وكسروا اغلاقه فألفوه مضرجا بدمائه فولوا الادبار وانفضوا من القصر واندعروا وخرج السلطان الى مجلسه فاقتعد أريكته واستدعى خاصته وعقد لعمر بن مسعود ابن منديل بن حمامة من بنى مرين وشعيب بن ميمون بن وردان من الحشم ويحيى بن ميمون بن المصمود من الموالى وكملت بيعته منتصف ذى القعدة سنة ثمان وستين وتقبض على على بن الوزير عمر وأخيه وعمه وحاشيتهم وسربهم واعتقلهم حتى أتى القتل عليهم لليال واستأصل المكان شأفتهم وسكن وأمن وورد النافرين بأمانه وبسط لهم بشره

ثم تقبض لايام على سليمان بن داود ومحمد السبيع وكانا في مخالصة عمر بمكان فاعتقلهما استرابة بهما ولشئ نمى له عنهما وأودعهما السجن الى أن هلكا واعتقل معهما علال بن محمد والشريف أبا القاسم ريبة بهما تهمام ثم امتن عليهما بشفاعة ابن الخطيب وزير ابن الاحمر وأقصاه ثم أطلق عنانه في الاستبداد وقبض أيدى الخاصة والبطانة عن التصرف في شئ من سلطانه الا باذنه وعن أمره وهلك لاشهر من استبداد الوزير شعيب ابن ميمون ثم هلك يحيى بن ميمون على ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن انتزاء أبي الفضل بن المولى أبي سالم ثم نهوض السلطان اليه ومهلكه) *

لما قتل السلطان عبد العزيز بعمر بن عبد الله المتغلب عليه سولت لابي الفضل ابن السلطان أبي سالم نفسه مثلها في عامر بن محمد لمكان استبداده عليه وأغراه بذلك البطانة وتوحش لها عامر فتمارض بداره واستأذنه في الصعود الى معتصمه بالجبل لمرضه هنالك أقاربه وحرمه وارتحل بجملته ويئس أبو الفضل من الاستمكان منه وأغراه حشمه بالراحة من عبد المؤمن والمال من منصرف عامر عمل أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمر بقتل عبد المؤمن بمكان معتقله من قصبة مراكش فجاء برأسه اليه وطار الخبر الى عامر فارتاع وحمد الله اذ خلص من غائلته وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز وأغراه بأبى الفضل ورغبه في ملك مراكش ووعده بالمظاهرة فاجمع السلطان أمره على النهوض الى مراكش ونادى في الناس بالعطاء وقضى أسباب حركته وارتحل من فاس سنة تسع وستين واستبد أبو الفضل من بعد مهلك عبد المؤمن واستوزر طلحة النورى وجعل علامته لمحمد بن محمد بن منديل الكنانى وجعل شوراه لمبارك بن ابراهيم بن عطية الخلطى ثم أشخص طلحة النورى لسعاية الكنانى فقتله واعتمد منازلة عامر ولما فصل لذلك من مراكش جاءه الخبر بحركة السلطان عبد العزيز اليه فانفض معسكره ولحق بتادلا ليعتصم بها في معقل بنى جابر وعاج السلطان بعساكره عن مراكش اليها فنازله وأخذ بمخنقه وقاتله فقتل عسكره وداخله بعض بنى جابر في الاخلال بمصافه يوم الحرب على مال يعطيه لهم ففعلوا وانهزمت عساكر أبى الفضل وجموعه وتقبض على أشياعه وسيق مبارك بن ابراهيم الى السلطان فاعتقله الى أن قتله مع عامر عند مهلكه كما نذكره وفر الكنانى الى حيث لم يعلم مسقطه ثم لحق بعامر بن محمد ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة من ورائهم وداخلهم أشياع السلطان من بنى جابر وبذلوا لهم المال الدثر في اسلامه فأسلموه وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيرا وأحضره السلطان فوبخه وقرعه واعتقله بفسطاط جواره ثم غط من الليل وكان مهلكه في رمضان من سنة تسع اثنتين سنين من

امارته على مراكش وبعث السلطان الى عامر يختبر طاعته بذلك فأبى عليه وجاهر بالخلاف الى ان كان من شأنه ماذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نكبة الوزير يحيى بن ميمون بن مصمود ومقتله)

كان يحيى بن ميمون هذا من رجالات دولتهم وربى فى دولة السلطان أبى الحسن وكان عمه علال عدوّاله بعداوة أبيه ولما انتزى السلطان أبو عنان على ملك أبيه استخلص يحيى هذا اسائر أيامه وهلك عمر يوم مهلكه كماذكرناه واستعمل يحيى هذا ببجاية فلم يزل بها الى أن تقبض عليه الموحدون لما استخلصوا بجاية من يده وساروا الى تونس واعتقل بها مدّة ثم صرفوه الى المغرب أيام عمر فاختص به ولما عقد له السلطان عبد العزيز على وزارته وكان قوى الشكيمة شديد الحزم صعب العداوة مرهف الحدّ وكان عمه علال بعد أن أطلقه السلطان من الاعتقال نكبه عن اذنه وأقامه متصرّفا بين يديه فألقى الى السلطان استبداد يحيى عليه وحذره من شأنه ورفع اليه انه يروم تحويل الدعوة لبعض القرابة من آل عبد الحق وانه داخل فى ذلك قواد الجند من النصارى وأصاب الوزير وجع قعدبه عن مجلس السلطان فاختلف الناس الى زيارته وعكف ببابه قواد النصارى فاسترب بأمرهم وتيقن الامر بعكوفهم فأرسل السلطان من حشمه من تقبض عليه وأودعه السجن ثم جنب الى مصرعه من الغد وقتل قعصا بالرماح وقتل المتهمون من القرابة وقواد الجند واستلحموا جميعا وصاروا مثلا فى الآخرين والامر لله

(الخبر عن حركة السلطان الى عامر بن محمد ومنازلته بجبله ثم الظفر به)

لما فرغ السلطان من شأن أبى الفضل عقد على مراكش لعلى بن محمد بن اجانا من صنائع دولتهم وأوعز اليه بالتضييق على عامر والاخذ بمخنقه والجائه الى الطاعة وانقلب الى فاس واعتزم على الحركة الى تلمسان وبينما هو فى الاستنفار لذلك اذ جاءه الخبر بأن على بن اجانا نهض الى عامر وحاصره أياما وان عامر ازحف اليه ففض معسكره وتقبض على بن اجانا والكثير من العسكر فاعتقلهم فقام السلطان فى ركائبه وقعد وأجمع أمره على النهوض اليه بكافة بنى مرين وأهل المغرب فبعث فى الحشود وبث العطاء وعسكر بظاهر البلد حتى استوفى الغرض وعقد على وزارته لابى بكر بن الغازى بن يحيى بن الكاس لمكان فيه من مخايل الرياسة وارتفع محله وارتحل سنة سبعين فاحتل بمراكش ثم خرج الى منازلة الجبل ونازله وكان عامر بن محمد قد نصب بعض الاعياص من آل عبد الحق من ولد أبى ثابت بن يعقوب اسمه تاشفين ولحق به على بن عمر ويعلان من شيوخ بنى ورتاجن كبير بنى مرين وصاحب الشورى فيهم لعهده فاشتد

أزره به وتوافى به كثير من الجند النازعين عن السلطان رهبة من بأسه وسخطة لحاله
أو رغبة فيما عند عامر فرتبهم وأمسك الله يده عن العطاء فلم تنس بقطرة وطال مثوى
السلطان بساحته وعلى حصاره ورتب المقاعد للمقاتلة وغاداه للقتال وراوحه وتغلب
على حصونه شيأ فشيأ الى أن تعلق بأعلى جبل تامسكروط وكان لابى بكر بن غازى غناء
مذكور وبثّ أصحاب عامر وأشياعه من عطائه وفسد ما بينه وبين على بن عمر هذا
فدس الى السلطان بطلب الامان وتوثق لنفسه ثم نزع اليه وداخله فارس بن عبد العزيز
أخى عامر فى القيام بدعوة السلطان والخلاف على عمه لما كان به من بياض بالأصل
ارهاف الحد وتفضيل ابنه أبى بكر عليه فبلغ خبره الى السلطان واقتضى له وثيقة من
الامان والعهد بعث به اليه فثار بعمه واستدعى القبائل من الجبل فأجابوه واستحث
السلطان للزحف اليهم فزحفت العساكر والجنود واستولت على معتصم الجبل ولما
استيقن عامر ان قد أحيط به أوعز الى ابنه أن يلحق بالسلطان مموّها بالنزوع فألقى
بنفسه اليه وبذل له الامان وألحقه بجملته واتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه
ليخلص الى السوس فردّه الثلج وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام بردا وتلاحق
تراكم بالجبل بعضه على بعض وسدّ المسالك فاقتحمه عامر وهلك فيه بعض حرمه ونفق
مركوبه وعاين الهلكة العاجلة فرجع مختفيا أثره الى غار اوى اليه مع أدلاء بذل لهم
المال يسلكون به ظهر الجبل الى الصحراء بالسوس وأقاموا ينتظرون امساك
الثلج وأقام وأغرى السلطان بالبحث عنه فدلهم عليه بعض البربر فعثروا عليه
فسيق الى السلطان وأحضره بين يديه ووبخه فاعتذر وتجع بالطاعة ورغب
فى الاقالة واعترف بالذنب فحمل الى مضرب بنى له بازاء فسطاط السلطان واعتقل
هنالك وتقبض يومئذ على محمد الكاتى فاعتقل وانطلقت الايدى على معاقل عامر
ودياره فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والاقوات ما لا عين رأت
ولا خطر على قلب أحد منهم واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة
احدى وسبعين لحول من يوم حصاره وعقد على هنتاتة لفارس بن عبد العزيز بن محمد
ابن على وارتحل الى فاس واحتفل بها آخر رمضان ودخلها فى يوم مشهود برز فيه الناس
وحمل عامر وسلطانه تاشفين على جملين وقد أفرغ عليهما الرث وعبثت بهما أيدى
الاهانة فكان ذلك عبرة لمن رآه ولما قضى منسك الفطر أحضر عامر فقرعه بذنوبه
وأوقفه بكتابه بخطه يخاطب فيه أبا حمو ويستنجده على السلطان فشهد عليه وأمر به
السلطان فامتحن ولم يزل يجلد حتى انتثر لحمه وضرب بالعصى حتى ورمت أعضاؤه وهلك
بين يدى الوزعة وأحضر الكاتى ففعل به مثله وجنب تاشفين سلطانه الى مصرعه فقتل

قعصا

قعصا بالرماح وجنب مبارك بن ابراهيم من محبسه بعد الاعتقال فالحق بهم ولكل أجل كتاب وصفا الجو للسلطان من المنازعين وفرغ لغزو تلمسان كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ارتجاع الجزيرة الخضراء)

قد تقدم ذكر تغلب الطاغية ابن الهنشة على الجزيرة سنة ثلاث وأربعين وانه نازل بعدها جبل الفتح سنة احدى وخمسين وهلك بالطاعون وهو محاصر له عندما استفحل أمره واشتدت شوكته وكفى الله شأنه وولى أمر الخلافة بعده ابنه بطرة وعدا على سائر اخوته وفر أخوه القمط بن حظية أبيه المسماة بلغتهم الريق همزة الى قط برشلونة فأجاره وأنزله خير نزل ولحق به من الزعماء المريكس بن خالته وغيره من اقماطهم وبعث اليه بطرة ملك قشتالة فى اسلام أخيه فأبى من اخفار جواره وحدثت بينهما بذلك الفتنة الطويلة افتتح بطرة فيها كثيرا من معاقل صاحب برشلونة وأوطأ عساكره نواحى أرضه وحاصر بلنسية قاعدة شرق الاندلس مرارا أوجف عليها بعساكره وملأ البحر اليها بأساطيله الى أن ثقلت على النصرانية وطأته وساءت فيها ملكته فانتقضوا عليه ودعوا القمط أخاه فزحف الى قرطبة وثار على بطرة أهل اشبيلية وتبقن صاغية النصارى اليه ففر عن ممالكه ولحق بملك الافرنج وراء جليقية فى الجوف عنها وهو صاحب انكلطرة واسمه القلس غالس ووفد عليه صريخا سنة سبع وستين فجمع قومه وخرج فى صريخه الى أن استولى على ممالكه ورجع ملك الافرنج فعاد النصارى الى شأنهم مع بطرة وغلب القمط على سائر الممالك فتحيز بطرة الى ثغوره مما يلى بلاد المسلمين ونادى صريخا بابن الاحمر فانتهز فيها الفرصة ودخل بعساكر المسلمين فأثخن فى أرض النصرانية وخرب معاقلهم ومدنهم مثل ابرة وجيان وغيرهما من امهات أمصارهم ثم رجع الى غرناطة ولم تزل الفتنة قائمة بين بطرة وأخيه القمط الى ان غلب عليه القمط وقتله وفى خلال هذه الفتن بقيت ثغورهم مما يلى أرض المسلمين عورة وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة التى قرب عهدهم بانتظامها فى ملكة المسلمين وكان صاحب المغرب فى شغل عن ذلك بما كان فيه من انتقاض أبى الفضل ابن أخيه وعامر بن محمد فراسل صاحب الاندلس أن يزحف اليه بعساكره على أن عليه عطاءهم وامداده بالمال والاساطيل على أن يكون مثوبة جهاده خالصة له فأجاب الى ذلك وبعث اليه أحمال المال وأوعز الى أساطيله بسبتة فعمرت وأقلعت من مرسى الجزيرة لحصارها وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين على أثرها بعد أن قسم فيهم العطاء وأزاح العلل واستعد الآلات للحصار فنازلها أياما قلائل ثم أيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم عن مدد ملوكهم والقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم

فأجابهم السلطان اليه ونزلوا عن البلد وأقيمت فيها شعائر الاسلام ومراسمه ومحيت منها كلمة الكفر وطواغيته وكتب الله أجرها لمن أخلص فى معاملته وكان ذلك سنة سبعين وولى ابن الاحمر عليها من قبله ولم تزل لنظره الى أن تمحض النظر عن هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها فهدمت أعوام ثمانين وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس والبقاء لله

{الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه
عليها وعلى سائر بلادها وفرار أبى حمو عنها}

كان عرب المعقل موطنين بصحراء المغرب من لدن السوس ودرعة وتافيلالت وملوية وصا وكان بنو منصور منهم أولاد حسين والاحلاف مختصين بطاعة بنى مرين وفى وطنهم وكانوا مغلوبين للدولة تحت قهر من كان سلطانها ولما ارتجع بنو عبد الواد ملكهم بتلمسان على يد أبى حمو وكان الاحلاف بالمغرب عاث هؤلاء المعقل وأكثروا فى الوطن الفساد ولما استقالت الدولة من عثارها تحيزوا الى بنى عبد الواد وأقطعوهم فى أوطانهم واستقروا هنالك من لدن نزوع عبد الله بن مسلم العامل بدرعة الى أبى حمو ووزارته له وفسد ما بين سلطان المغرب وأبى حمو من جراء ذلك ونهض أبو حمو سنة ست وستين الى المغرب وعاث فى نواحى دبرو ثغر المغرب فنشأت لذلك نار العداوة بينه وبين صاحب الثغر محمد بن زكراز مكان داعيه يعد وصاحب المغرب به على الايام ولما استبد السلطان عبد العزيز وهلك صاحبهم عبد الله بن مسلم وترددت الرسل بين أبى حمو وبين السلطان عبد العزيز كان فيما اشترط عليه الصافى من قبول عرب المعقل عرب وطنه لما فيه من الاستكثار بهم عليه وأبى عليهم أبو حمو منها الاستظهاره بهم على زغبة من أهل وطنه وعدوهم وكثر التلاحى فى ذلك وأحفظ السلطان وهم بالنهوض اليه سنة سبعين وأقصر لما أخذ بحجزته من خلاف عامر وصاحب الثغر محمد بن زكراز أثناء ذلك يحرضه على الحركة الى أبى حمو ويرغبه فى ملك تلمسان ولما قضى السلطان حركة مراكش وفرغ من شأن عامر ورجع الى فاس ولقى بها أبو بكر بن عريف أمير سويد فى قومه من بنى مالك بحللهم وناجعتهم صريخا على أبى حمو لما نال منهم وتقبض على أخيهم محمد رؤساء بنى مالك جزاء بما يعرف لهم ولسلفهم من ولاية صاحب المغرب ووفد عليه رسل أهل الجزائر ببيعتهم يستحثون السلطان لاستنقاذهم من لهواته وأمر السلطان بذلك وليه ونزمار ومحمد بن زكراز صاحب دبرو وأفرغوا له الغناء فى ذلك واعتزم على النهوض الى تلمسان وبعث الحاشدين الى مراكش للاحتشاد ووافى الناس به على طبقاتهم أيام منى من سنة احدى وسبعين وأفاض العطاء وأزاح العلل ولما قضى

منسلخ الاضحى اعترض العساكر ورحل الى تلمسان واحتل بتازا وبلغ خبر نهوضه الى أبي حمو فجمع من اليه من زناتة الشرق وبني عامر من عرب المعقل وزغبة وتوافت جموعه بساحة تلمسان واضطرب هنالك معسكره واعترض جنوده واعتزم على الزحف للقاء بني مرين ثقة بمكان المعقل وتحيز من كان معه من عرب المعقل الاحلاف وعبيد الله الى السلطان عبد العزيز بمداخلة وليهم ونزمار واجتمعوا اليه وسرح معهم صنائعه فارتحلوا بين يديه وسلكوا طريق الصحراء وبلغ خبر تحيزهم واقبالهم الى أبي حمو فأجفل هو وجنوده وأشياعه من بني عامر وسلكوا على البطحاء ثم ارتحلوا عنها وعاجوا على منداس وخرجوا الى بلاد الديالم ثم لحقوا بوطن رياح فنزلوا على أولاد سباع بن يحيى واحتل السلطان عبد العزيز بتازا وقدم بين يديه وزيره أبا بكر بن غازي فدخل تلمسان وملكها ورحل السلطان على اثره واحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين فدخلها في يوم مشهود واستولى عليها وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي على العساكر من بني مرين والجنود والعرب من المعقل وسويد وسرحه في اتباعه وجعل شواره الى وليه ونزمار وفوض اليه في ذلك فارتحلوا من تلمسان آخر المحرم وكنت وافدا على أبي حمو فلما أجفل عن تلمسان ودعته وانصرفت الى هنين للاجازة الى الاندلس ووشى بعض المفسدين الى السلطان بأني احتملت مالا للاندلس فبعث جريدة من معسكره للقبض علي ووافوني بوادي الزيتون قبل مدخلي الى تلمسان فأحضرني وسألني وتبين كذب الواشي فأطلقني وخلع علي ولما ارتحل الوزير في اتباع أبي حمو استدعاني وأمرني بالنهوض الى رياح والقيام فيهم بدعوته وطاعته وصرفهم عن طاعة أبي حمو وصريخه فنهضت لذلك ولحقت بالوزير بالبطحاء وارتحلت معه الى وادي ورك من بلاد العطاف فودعته وذهبت لوجهي وجمعت رياح على طاعة السلطان ونكبت بهم عن طاعة أبي حمو فنكبوا عنها وخرج أبو زيان من محل نزوله بحصين فلحق بأولاد محمد بن علي بن سباع من الزواودة وارتحل أبو حمو من المسيلة فنزل بالدوسن وتلوم بها وأوفدت من الزواودة على الوزير ونزمار فكانوا أدلاءهم في النهوض اليه ووافوه بمكانه من الدوسن في معسكره من زناتة وحلل بني عامر والوزير في التعبية وأمم زناتة والعرب من المعقل وزغبة ورياح مخيفة به فأجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهب بأسره واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بدمائه الى مصاب وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة وتلوم الوزير بالدوسن أياما ووافاه بذلك لحاق بني مرين وانقلب الى المغرب ومر على قصور بني عامر بالصحراء فاستباحها وشردهم عنها الى قاصية القفر ومفازة العطش ولحق بتلمسان في ربيع الثاني ووفدت أنا بالزواودة

على السلطان ورئيسهم أبو دينار بن على بن أحمد فبر السلطان مقدمه ورعى له سابقة عند أخيه وخلع عليه وحمله وخلع على الوفد كافة وانصرفوا الى مواطنهم وبعث السلطان عماله على الامصار وعقد لصنائعه على النواحى وجهز الكتائب مع وزيره عمر ابن مسعود بن منديل بن حمامة لحصار حمزة بن على بن راشد من آل ثابت بن منديل كان ربى فى حجر الدولة ونشأ فى جو نعمتها وسخط حاله لديهم فنزع الى وطن سلفه من مغراوة ونزل بجبل بنى بو سعيد فأجاروه وبايعوه على الموت دونه وسرح السلطان وزيره الى الاخذ بمخنقهم فنزل عليهم وقاتلهم وامتنعوا فى رأس شاهقهم فأوطن الوزير بالخميس من وادى شلف وأجرهم بمعتصمهم وتوافت لديه الامداد من تلمسان فجهزها كتائب وبوأهم المقاعد للحصار وأقام هنالك واستولى السلطان على سائر الوطن من الامصار والاعمال وعقد عليها واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه والله تعالى أعلم

الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبى زيان الى تيطرا واجلاب العرب بأبى حمو على تلمسان الى أن غلبهم السلطان جميعا على الامر واستوسق له الملك

لما خلص أبو حمو من وقعة الدوسن هو وأحياء بنى عامر أشياعه لحقوا بالصحراء وأبعدوا النجعة عن قصورهم قبلة جبل راشد وجمع الوزير وترمار بن عريف بأحياء العرب كافة من زغبة والمعقل وكان السلطان لما احتل بتلمسان طلب العرب منه اطلاق أيديهم على ما أقطعهم أبو حمو اياه من الوطن على الزبون والاعتزاز عليه فاستنكف من ذلك لعظم سلطانه واستبداد ملكه فسخطوا أحوالهم ورجوا أن يكون لأبى حمو ظهور ينالون به من ذلك لما أملوه فلما انهزم وقلت عساكره وظهر السلطان ظهورا لا كفاء له أجمع رحو بن منصور أمير الخراج من عبيد الله احدى بطون المعقل الخروج على السلطان ولما خرج العرب الى مشاتيهم لحق بأبى حمو وأحياء بنى عامر وكاثروهم وقادوهم الى العيث فى الاوطان فأجلبوا على ممالك السلطان ونازلوا وجدة فى رجب من سنة اثنتين وسبعين وصمدت نحوهم العساكر من تلمسان فأجفلوا وعاجوا الى البطحاء فاكتسحوا أوطانها ونهض اليهم الوزير فى العساكر ففروا أمامه واتبع آثارهم الى أن أصحروا خلال ذلك حمزة بن على بن راشد فبيت معسكر الوزير بمكانه من حصار شلف ففض جموعه ولحق مفلولا بالبطحاء وبلغ الخبر الى حصين وكانوا راهبين من السلطان لما اشتهر عنهم من الاجلاب على الدول والقيام بأمر الخوارج فجاؤا بأبى زيان الثائر كان عندهم من مكانه بأحياء أولاد يحيى بن على بن سباع من الزواودة فلحق بهم وأجلبوا على ضواحى المدية ونازلوا عسكر السلطان

بياض بالأصل

بها واضطرم المغرب الاوسط نارا واتصل ذلك به ولما كان سنة ثلاث وسبعين استمال
السلطان رحو بن منصور عن أبي حمو وبذل له مالا وأقطعه ما أحب من الضواحي وفعل
ذلك بسائرهم وملأ صدورهم ترغيبا واعتزم على تجهيز العساكر معهم لحسم أدواء
الفساد واخراج الثوار من النواحي واتهم وزيره عمر بن مسعود بالمداهنة في أمر
المغراوي فسرح من دولته من تقبض عليه وأشخصه الى حضرته مقيدا واعتقله بفاس
وجهز عساكره واعترض جنوده وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي على حرب الثوار
والخوارج فنهض من تلمسان في رجب سنة ثلاث وسبعين واعتمد حمزة على ابن راشد
في معتصمه بجبل بني بوسعيد وألح عليه بالقتال فعضتهم الحرب بنابها وداخلهم الرعب
وأوفدوا مشيختهم على الوزير بالطاعة ونبذ العهد الى حمزة فعقد لهم ما ابتغوه ولحق
حمزة بأبي زيان بمكانه من حصين ثم ثنى عزمه عن ذلك ورجع الى ضواحي شلف وبيته
بعض الحامية فثبتوا في مراكزهم وانفض جمعه وتقبض عليه وسيق الى الوزير فاعتقله
وبعث الى السلطان في شأنه وعلق أشلاءهم بسور مليانة ثم زحف الى حصين فأجرهم
بمعقلهم بتيطرا واجتمعت اليه أحياء زغبة كافة فأحاط بهم من كل جانب وطاولهم
الحصار وعاودوهم الحرب وخاطبني السلطان بمكاني من الزاب وأوعز الى انفير رياح
كافة الى معسكر الوزير فاستنزلهم بأحيائهم وناجعتهم ونازلنا الجبل من ناحية
الصحراء مما يلي ضواحي رياح فأصابهم الجهد وداخلهم الرعب وانفضوا من المعقل
وانتهب ما فيه واقتضى رهن حصين على الطاعة وقرر عليهم الوضائع والمغارم فأعطوها
عن يد وكان أبو حمو في خلال ذلك قد أجلب على تلمسان ينتهز الفرصة في انتباذ العسكر
عن السلطان وكان وليه خالد بن عامر أمير بني عامر من زغبة مريض الطاعة لما اتهم
أبو حمو به من ولاية رديفه عبد الله بن عسكر بن معروف دونه فأحفظه ذلك وداخل
السلطان عبد العزيز في الانحراف اليه عن أبي حمو على مال حمله اليه فنزع عنه وجهز
له السلطان عسكرا لحرب أبي حمو في ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين من بني
عامر وأولاد يغمور من المعقل وعقد عليهم لمحمد بن عثمان من قرابة أبي بكر بن غازي
وتعرضوا اللقائهم ففض جمعهم ومضوا أكافهم وأحيط بمعسكر أبي حمو وحلل العرب
فاكتسح ما فيها واستولى بنو مرين على أمواله وحرمه وولده فاستاقوهم الى السلطان
وأشخصهم الى فاس فأنزلهم بقصوره وتقبض على مولاه عطية بن موسى صاحب
شلف فامتن عليه وألحقه وبعث معه الادلاء الى تيكورارين من بلاد القبلة فنزلها
وكان ذلك بين يدي فتح تيطرا بليال واستوت قدم السلطان في ملكه واستولى على
المغرب الاوسط ودفع الثوار والخوارج عنه واستمال كافة العرب الى طاعته فأتوها

راغبين راهبين ووفد عليه للوزير أبو بكر بن غازى من قاصية الشرق ومعه مشيخة العرب من كل حى من أحيائهم فوصلهم واحتفى بقدومهم وركب للقاء الوزير وطلب المشيخة فى الرهن على الطاعة والاستعداد لتشريد أبى حمو من تيكورارين وأوسع حفايتهم وبرهم وانصرفوا الى مشاتيهم معتملين فى أسباب الحركة الى تيكورارين الى أن كان مانذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم ابن الخطيب على السلطان بتلمسان نازعا اليه عن سلطانه ابن الاحمر صاحب الاندلس

أصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة فى الشمال من البسيط الذى فيه ساحتها المسمى بالمرج على وادى سنجيل ويقال شنيل المنعرف فى ذلك البسيط من الجنوب الى الشمال كان له بها سلف معروفون فى وزارتها وانتقل أبو عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بنى الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز فى الطب وانتحل الادب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه وبلغ فى الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بنى الاحمر وملأ الدولة بمدائحه وانتشرت فى الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته فى ديوان الكتاب ببابه مرؤسا بأبى الحسن بن الجياب شيخ العدوتين فى النظم والنثر وسائر العلوم الادبية وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه كما مر فى أخبارهم فاستبد ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ الى أن هلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة فولى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل فى مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان فى تولية العمال على يديه بالمشارطات فجمع له بها أموالا وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد من قبله وسفر عنه الى السلطان أبى عنان ملك بنى مرين بالعدوة معزيا بأبيه السلطان أبى الحسن فجلى فى اغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين عدا عليه بعض الزعانف يوم الفطر بالمسجد فى سجوده للصلاة وطعنه فأتواه لوقته وتعاورت سيوف الموالى المعلوجى هذا القاتل فمزقوه اشلاء وبويع ابنه محمد بالامر لوقته وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن

الخطيب رديفاله فى أمره ونشاركا فى الاستبداد معا فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا الى السلطان أبى عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها استأذنه فى انشاد شئ من الشعر يقدمه بين يدى نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر * علاك ما لاح فى الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته * ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك فى النائبات بدر دجا * لنا وفى المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس * لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت حبلهم * ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم نفوسهم * فوجهونى اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له فى الجلوس وقال له قبل أن يجلس ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه وقال شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف وكان معه فى ذلك الوفد لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم نازلهم محمد الرئيس ابن عم السلطان يشاركه فى جده الرئيس أبى سعيد وتحين خروج السلطان الى متنزهه خارج الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء فأخرجه وبايع له وقام بأمره مستبدا عليه واحتس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب باديا الى وادى آش وضبطها وبعث بالخبر الى السلطان أبى سالم اثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه أيام أخيه أبى عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه فى محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالاندلس كما مر وكان غالبا على هوى السلطان أبى سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادى آش يعده زبونا على أهل الاندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمعوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب أهل الاندلس فى تسهيل طريقه من وادى آش اليه وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمسانى وحمله مع ذلك الشفاعة فى ابن الخطيب وحل معتقله فاطلق وصحب الشريف أبا القاسم الى وادى آش وسار فى ركاب السلطان وقدموا على السلطان أبى سالم فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب فى الموكب لتلقيه وأجلسه ازاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر يستصرخ السلطان بنصره فوعده وقد كان يوما مشهودا وقد مر ذكره ثم أكرم

مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين فى ركابه واتصر به وأرغد عيش ابن الخطيب فى الجراية والاقطاع   واستأذن السلطان فى التجول الى جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها فأذن له وكتب الى العمال بالتحافه فبادروا الى ذلك وحصل منه على حظ وعند ما مر بسلا فى قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبى الحسن وأنشد قصيدته على روى الراء الموصولة يرثيه ويستجير به لاسترجاع ضياعه بغرناطة مطلعها بياض بالاصل

ان بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره

قسم زمانك عبرة أو عبرة * هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم فى ذلك الى أهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين كما مر فى أخباره وبعث من مخلفه بفاس من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن على فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان بمقدمه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية فى ركاب أبيه عند ما أحس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة وأجاز يحيى من هنالك الى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان فى مثوى اغترابه هنالك وتغلب فى مذاهب خدمته وانحرفوا عن الطاغية بعد ما يئسوا من الفتح على يديه فتحولوا عنه الى ثغور بلاده وخاطبوا عمر بن عبد الله فى أن يمكنهم من بعض الثغور القريبة التى أطاعتهم بالاندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبنى السلطان المخلوع فى ذلك وكانت بينى وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية متأكدة فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة اذ هى من تراث سلفه فقبل اشارتى فى ذلك وتسورها السلطان المخلوع ونزل بها عثمان بن يحيى فى جملته وهو مقدم فى بطانته ثم غزوا منها مالقة فكانت ركابا للفتح وملكها السلطان واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة وعثمان بن يحيى مقدم القوم فى الدولة عريق فى المخالصة وله على السلطان دالة واستبداد على هواه فلما فصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده وأعاده السلطان الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته فأدركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان وأخذ فى التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته فى رمضان سنة أربع وستين وأودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان وأخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بنيه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن

الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشى بابه
الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صم
السلطان عن قبولها ونما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده فى التقويض
عنهم واستخدم للسلطان عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن ملك العدوة يومئذ
فى التقبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبى يفلوس بن السلطان أبى على كانوا قد نصبوه
شيخا على الغزاة فى الاندلس لما أجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها لطلب الملك وأضرم
بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بنى
مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فأجازهو ووزيره مسعود بن ماسى ونزلوا على
السلطان على المخلوع أعوام سبع وستين فأكرم نزلهم وتوفى على بن بدر الدين شيخ
الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد قتله
الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاض أمره منهم
ووقف على مخاطبات ابن عبد الرحمن يسربها بنى مرين وأغرى ابن الخطيب سلطانه
بالقبض على ابن أبى يفلوس وابن ماسى فتقبض عليهما وفى خلال ذلك استحكمت
نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما تخيل أن السلطان
مال الى قبولها وانهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن
السلطان فى تفقد الثغور الغربية وسار اليها فى لمة من فرسانه ومعه ابنه على الذى كان
خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه
اذنفذ بين يديه فخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز قد أوعز اليه بذلك
وجهز اليه الاسطول من حينه فأجاز الى سبتة وتلقاه بها بأنواع التكرمة وامتثال
الاوامر ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين بمقامته من تلمسان فاهتزت
له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه بمحل الامن والغبطة ومن
دولته بمكان الشرف والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى الاندلس
فى طلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل الحالات من الامن والتكرمة ثم لغط المنافسون
له فى شأنه وأغروا سلطانه بتتبع عثراته وأبدوا ما كان كامنا فى نفسه من سقطات دابته
واحصاء عصابته وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه
ونسبوها اليه ورفعت الى قاضى الحضرة الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه
بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضى أبو الحسن الى السلطان عبد
العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم لذلك وأنف لذمته
أن تخفر ولجواره أن يردى وقال لهم هلا انتقمتم وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه

وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد مما كان في جواري ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من قرابته الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز وبيعة ابنه السعيد واستبداد أبي بكر بن غازي عليه ورجوع بني مرين الى المغرب}

كان السلطان منذ أول نشأته قد أزمنت به الحمى بما أصابه من مرض النحول ولاجل ذلك تجافى السلطان أبو سالم على احتماله مع الابناء الى رندة ولما شب أفاق من مرضه وصلح بدنه ثم عاوده وجعه في مثواه بتلمسان وتزايد نحوله ولما كمل الفتح واستفحل سلطانه واشتد به الوجع وصابر المرض وكتمه عن الناس خشية الارجاف واضطرب معسكره خارج تلمسان للحاق بالمغرب ولما كان ليلة الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين قضى متوسدا بين أهله وولده ودس الحرم بالخبر الى الوزير فخرج على الناس وقد احتمل محمد السعيد ابن السلطان على كتفه فعزى الناس عن خليفتهم لسبع سنين من خلافته وألقى ابنه بين أيديهم فازدحموا عليه باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة وأخرجوه للمعسكر ثم أخرج الوزير شلو السلطان على أعواده وأرزله بفساطيطه وأيقظ الليل بحراسة المعسكر وأذن للناس بالرحيل فخرجوا أفواجا الى المحلة ثم ارتحلوا الثلاث وأغذوا السير الى المغرب واحتلوا تازا ثم أغذوا السير الى فاس واحتل ابن السلطان بدار ملكه وجلس لبيعة العامة بقصره ووافت وفود الامصار ببيعتهم على العادة واستبد عليه الوزير أبو بكر بن غازي وحجبه بقصره وحجره عن التصرف في شيء من سلطانه ولم يكن في سن التصرف واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بأمر المغرب ابراما ونقضا الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط)

لما فصل بنو مرين من تلمسان اثر مهلك السلطان عبد العزيز واحتلوا تازا اجتمع المشيخة وعقدوا على تلمسان لابراهيم ابن السلطان أبي تاشفين كان ربي في كفالة دولتهم منذ مهلك أبيه فآثروه بذلك لخلوصه وبعثوا مع رحو بن منصور أمير عبيد الله من المعقل وسرحوا معهما من كان بالمغرب من مغراوة الى وطن ملكهم بشلف وعقدوا عليهم لعلي بن هرون بن منديل بن عبد الرحمن وانصرفوا الى بلادهم وكان

عطية بن موسى مولى أبي حمو قد صار الى السلطان عبد العزيز وألحقه بجملته وبطانته فلما هلك السلطان خرج من القصر واختفى بالبلد حتى اذا فصل بنو مرين من معسكرهم ظاهر البلد خرج من مكان اختفائه وقام بدعوة مولاه أبي حمو واجتمع اليه شيعة من أهل البلد مع من تشاب اليه من الغوغاء وحملوا الخاصة على البيعة لابي حمو ووصلهم ابراهيم بن أبي تاشفين مع رحو بن منصور وقومه من عبيد الله فنبذوه وامتنعوا عليه فرجع عنهم الى المغرب وطير أولاد يغمور أولياء أبي حمو من عبيد الله بالخبر اليه وهو بعثواه من تيكورارين واتصل بابنه تاشفين وهو عند يحيى بن عامر فدخل الى تلمسان ومن معه من بني عبد الواد وتساقط اليه فلهم من كل جانب ووصل السلطان على اثرهم بعد اليأس منه فدخلها في جمادى من سنة أربع وسبعين واستقل بملكه وتقبض على بطانته الذين آسفوه في اغترابه ونمى له عنهم السعي عليه فقتلهم ورجع ملك بني عبد الواد وسلطانهم ونهض الى مغراوة أولياء بني مرين بمكانهم من شلف فغلبهم عليه بعد مطاولة وحروب سجال هلك فيها وحمون بن هرون ومحي دعوة بني مرين من ضواحي المغرب الاوسط وأمصاره واستقل بالامر حسبما ذكرناه في أخباره واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فهم بالنهوض اليه ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بناحية بطوية فشغله شأنه عن ذلك

الخبر عن اجازة الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الى المغرب واجتماع بطوية اليه وقيامهم بشأنه

كان محمد المخلوع ابن الاحمر قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزي على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب واستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى ان نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق عند ملوكه وكان لابناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة على ولد عمهم السلطان أبي علي ويخشونهم على أمرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع في الدولة رتبته وأعلى منزلته وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه من الاعياص فكانت له آثار في الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره المطارد به مسعود بن ماسي وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل

السلطان عليهما الى أن طالبهما ابن الاحمر واعتقالهما اثر أيام السلطان عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين لما تقدم من الوسائل ومهد من السوابق فقدمه السلطان وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن الاحمر في أهله وولده فبعثهم اليه واستقر في جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان في ملك الاندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند مرجعه من تلمسان الى المغرب ونمي ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجي السبي وجواريه وأوفد بها رسله يطالب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالامر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان فلم يؤب واستنكف ذلك ورأى قبح الرد وانصرف رسله اليه وقد رهب سطوته فأطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الاسطول وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماسي ونهض الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن بطوية في ذي القعدة من سنة أربع وسبعين ومعه وزيره مسعود ابن ماسي فاجتمع قبائل بطوية اليه وبايعوه على القيام بدعوته والموت دونه واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فعقد لابن عمه محمد بن عثمان على سبتة وبعثه لسد ثغورها المخشي عليها من ابن الاحمر ونهض من فاس بالآلة والعساكر ونازل عبد الرحمن بطوية فقاتله أياما ثم رجع الى تازا ثم الى فاس ودخل الامير عبد الرحمن تازا واستولى عليها ودخل الوزير الى فاس وقعد بمجلس الفصل وهو مجمع العودة الى تازا لتشريد عدوه الى أن جاء الخبر ببيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن بيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم واستقلاله بالملك وما كان خلال ذلك من الاحداث

لما نزل محمد بن عثمان بالثغر من سبتة لسد فروجها ومدافعة ما يخشى من عادية ابن الاحمر عليها وكان قد طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان بالعتاب فاستعتب له وقبح ما جاءه ابن عمه من الاستغلاظ له فوجد ابن الاحمر بذلك السبيل الى غرضه وداخله في البيعة للسلطان أبي سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الرقبة والحوطة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا يحوط سياجهم ويدافع عنهم ولا يتركهم فوضى هملا ويجب بيعة الصبي الذي لم تنعقد بيعته شرعا واختص هذا بالسلطان من بين أولئك الابناء وفاء بحقوق أبيه ووعده بالمظاهرة على ذلك واشترط

عليه

عليه أن ينزلوا له عن الجبل اذا انعقد أمرهم ويشخصوا ابن الخطيب متى قدروا عليه ويبعثوا اليه بقية الابناء والقرابة فتقبل محمد بن عثمان شرطهم وكان سفيره في ذلك أحمد المرغنى من طبقات كتاب الاشغال بسبتة كان السلطان أبو الحسن تزوج أمه ليلة اجازته من واقعة طريف واقتاد حظاياه حتى لحق به الحرم من فاس فردها الى أهلها ونشأ المرغنى فى توهم هذه الكفالة فانتفخ نحره لذلك وبحسبها وصله الى أبناء السلطان أبى الحسن وكان سفيرا بين محمد بن عثمان وابن الاحمر فأمل الرياسة فى هذه الدولة وركب محمد بن عثمان من سبتة الى طنجة وقصد مكان اعتقالهم واستدعى أبا العباس أحمد بن السلطان أبى سالم من مكانه مع الابناء فبايع له وحمل الناس على طاعته واستقدم أهل سبتة بكتاب البيعة فقدموا وخاطب أهل الجبل فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان بالنزول عن جبل الفتح وخاطبوا أهله بالرجوع الى طاعته فارتحل من مالقة اليه ودخله واستولى عليه ومحا دعوة بنى مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبى العباس وأمده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على أمره وكان محمد بن عثمان عند فصوله من فاس وودعه الوزير ابن عمه فاوضه فى شأن السلطان وأن يقدم للناس اماما يرجعون اليه ويترك له أمرهم وآمره فى ذلك ولم يفترقا على مبرم من أمرهم فلما ارتكب هذا المركب وجاء بهذا الامر خاطب الوزير يعوه عليه بأنه فعل بمقتضى المؤامرة وانه عن اذنه والله أعلم بما دار بينهما ولج الوزير فى تكذيبه والبراءة للناس مما رمى به ولاطفه فى نقض ذلك الامر ورد أبا العباس الى مكانه مع الابناء تحت الحوطة وأبى محمد بن عثمان من ذلك ودافعه باجتماع الناس عليه وانعقاد الامر وبينما الوزير يروم ذلك جاءه الخبر بأن محمد بن عثمان أشخص الابناء المعتقلين كلهم الى الاندلس وانهم حصلوا فى كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض عن ابن عمه وسلطانه ونهض الى تازا ليفرغ من عدوه اليهم فنازل الامير عبد الرحمن وأخذ بمخنقه واهتبل محمد بن عثمان الغرة فى ملك المغرب فوصله مدد السلطان ابن الاحمر وعسكره تحت رايته عقدها عليهم ليوسف بن سليمان بن عثمان بن أبى العلاء من مشيخة الغزاة المجاهدين وعسكرا آخر من رجل الاندلس الناشبة بسبعمائة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه السلطان أبى العباس أحمد ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتها وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس خالفوا اليها الوزير وانتهوا الى قصر بن عبد الحليم وبلغ الخبر الى الوزير بمكانه من حصار تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى

السلطان أبو العباس أحمد الى زرهون فصعد اليه الوزير بعساكره وصمم نحوه بمكانه من قنة الجبل فاختل مصافه وانهزمت ساقة العسكر من ورائه ورجع على عقبه فلولا وانتهب المعسكر ودخل الى البلد الجديد وجاء بالعرب أولاد حسين أن يعسكروا له بالزيتون ظاهر فاس ويخرج بجموعه الى حللهم فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الاحلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان أبا العباس أحمد بجموعه العرب وزناتة وبعثوا الى ونى سلفهم ونزمار بن عريف بمكانه من قصر مراده الذى اختطه بملوية بخامهم وأطلعوه على كامن اسرارهم فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادى النجا وحضر لعقدهم واتفاقهم وحلفهم على اتصال اليد على عدوهم ومنازلته بالبلد الجديد حتى يمكن الله منه وارتحلوا بجمعهم الى كدية العرائس فى ذى القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز اليهم الوزير بعساكره فدارت الحرب وحمى الوطيس واشتد القتال مليا ثم زحف اليه العسكران بساقتهما وآلتهما فاختل مصافه وانهزمت جيوشه وجموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غص الريق واضطرب السلطان أبو العباس معسكره من كدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال والارهاف ووصلهم مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الناشبة واحتكموا فى ضياع ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه أبا بكر فى النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لما كان الحصار قد اشتد ويئس من الصريخ وأعجزه المال فأجاب واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافى له عن أعمال مراكش وان يدلوه بها من سجلماسة فعقدوا له على كره وطووا على المكر وخرج الوزير أبو بكر للسلطان ابى العباس أحمد وبايعه واقتضى عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة فبذله ودخل السلطان أبو العباس أحمد الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها وارتحل معه على بن عمر بن ويعلان شيخ بنى مرين والوزير ابن ماسى ثم نزع عنه ابن ماسى الى فاس لعهد كان قد اقتضاه من السلطان أبى العباس وأجاز البحر الى الاندلس فاستقر بها فى ايالة ابن الاحمر واستقل السلطان أبو العباس ابن السلطان أبى سالم بملك المغرب ووزيره محمد بن عثمان وفوض اليه شؤنه وغلب على هواه وصار أمر الشورى الى سليمان بن داود كان نزع اليه من البلد الجديد من جملة أبى بكر ابن غازى بعد أن كان أطلقه من محبسه واستخلصه وجعل اليه مرجع أمره فتركه أحوج ما كان اليه ولحق بالسلطان أبى العباس بمكانه من حصار البلد الجديد فلما

امتنق

استوسق ملكه ألقى الوزير محمد بن عثمان مقاد الدولة له وصار اليه أمر الشورى ورياسة المشيخة واستحكمت المودة بينه و بين ابن الاحمر وتأكدت المداخلة وجعلوا اليه المرجع فى نقضهم وابرامهم لمكان الابناء المرشحين من ابالته ولما ارتحل الامير عبد الرحمن الى مراكش نبذوا اليه العهد وتعللوا عليه بأن العقد الاول له انما كان على ملك سلفه ومراكش انما ألجأهم الى العقد عليها الجاء واعتزموا على النهوض اليه ثم أقصروا وانعقدت بينهما السلم سنة ست وسبعين وجعلوا التخم بينهما أزمور وعقدوا على ثغرها لحسان الصبيحى فلم يزل عليها الى أن هلك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مقتل ابن الخطيب)

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين واستقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود رديف له وقد كان الشرط وقع بينه و بين السلطان ابن الاحمر عند ما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمى اليه عنه انه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقى الوزير أبا بكر بن غازى بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار آوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس حتى أعاده الله الى ملكه فلما استقر له سلطانه أجاز اليه سليمان سفيرا عن عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده ابن الخطيب عن ذلك بأن تلك الرياسة انما هى لاعياص الملك من آل عبد الحق لانهم يعسوب زناتة فرجع آيسا وحقد ذلك لابن الخطيب ثم جاور الاندلس بمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه و بين ابن الخطيب مكاتبات ينفس كل منهما لصاحبه بما يحفظه لما كمن فى صدورهما وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب الى السلطان بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبى العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة وأهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له فى كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملاثم تل الى محبسه واشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود اليه لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا فى لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا فى

محبسه وآخر جواشلوه من الغد فدفن فى مقبرة باب المحروق ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد واضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره وأعيد الى حفرته وكان فى ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفى الله عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فيجيش هواتفه بالشعر يبكى نفسه (ومما قال فى ذلك)

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربن فناحت عليها البيوت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته الخطوب
وكم سيق للقبر فى خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذى لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

(الخبر عن اجازة سليمان بن داود الاندلس ومقامه الى أن هلك بها)

كان سليمان بن داود هذا منذ عضته الخطوب واختلفت عليه النكبات يروم الفرار بنفسه الى الاندلس للمقامة مع غزاة المجاهدين من قومه ولما استقر السلطان ابن الاحمر بفاس عند خلعه ووفادته على السلطان أبى سالم سنة احدى وستين وداخله سليمان بن داود فى تأميل الكون عنده فعاهده على ذلك وأن يقدمه على الغزاة المجاهدين من قومه ولما عاد الى ملكه وفد عليه سليمان بن داود بغرناطة فى سبيل السفارة عن عمر بن عبد الله سنة ست وستين وأن يؤكد عقده من السلطان فحال دون ذلك ابن الخطيب ومارى السلطان عن ذلك بأن شياخة الغزاة مخصوصة بأعياص الملك من بنى عبد الحق لمكان عصابتهم بالاندلس فأخفق أمل سليمان حينئذ وحقدها على ابن الخطيب ورجع الى مرسلة ثم كانت نكبته أيام السلطان عبد العزيز فلم يخلص منها الابعد مهلكه أطلقه أبو بكر بن غازى المستبد بالامر من بعده لعضد بمكانه على شأنه فلما استبد الحصار على ابن غازى خرج عنه سليمان ولحق بالسلطان أبى العباس ابن المولى أبى سالم بمكانه من ظاهر البلد الجديد فكان ذلك من أسباب الفتح ولما دخل السلطان الى دار ملكه من البلد الجديد فاتح سنة ست وستين واستوسق أمره رفع مجلس سليمان وأحله محل الشورى واعتضد به وزيره محمد بن عثمان واستخلصه كما ذكرناه وكان يرجع الى رأيه

وهو

وهو فى خلال ذلك يحاول اللحاق بالاندلس فكان من أول عمله التقرب الى السلطان ابن الاحمر باغراء الوزير محمد بن عثمان بقتل ابن الوزير مسعود به فتم ذلك لاول الدولة وجرت الامور بعدها على الاعتمال فى مرضاته الى أن حاول السفارة اليه فى أغراض سلطانه سنة ثمان وستين فى صحابة وترمار بن عريف فتلقاهما السلطان ابن الاحمر بما يليق به أمثالهما وعزة فى تكرمتهما وأمار ترمار فانقلب راجعا لاول تأدية الرسالة يقتضى من السلطان خطه بقواد أسطوله بتسهيل الاجازة اليه متى رامها وخرج يتصيد فلحق موسى بمالقة ودفع أمر السلطان بخطه الى قائد الاسطول فاجازه الى سبتة ولحق بمكانه وأما سليمان فاعتزم على المقام عند ابن الاحمر وأقام هنالك خالصة ونجيا ومشاورا الى أن هلك سنة احدى وثمانين

﴿الخبر عن شأن الوزير أبي بكر ابن غازى وما كان من﴾ ﴿تغريبه الى مارقة ثم رجوعه وانتقاضه بعد ذلك﴾

لما اشتد الحصار بالوزير أبي بكر بن غازى وفنيت أمواله وأموال السلطان وظن أنه أحيط به داخله الوزير محمد بن عثمان من مكانهم بحصاره فى النزول عن البلد على الامان والابقاء فأجاب وخرج الى السلطان أبي العباس بن أبي سالم فعقد له أمانا بخطه وتحول الى داره بفاس وأسلم سلطانه المنصوب للامر قبله منه الوزير محمد بن عثمان واستبد فى الاحتياط عليه الى أن بعثه الى السلطان ابن الاحمر فكان فى جملة الابناء عنده ودخل السلطان أبو العباس الى دار ملكه واقتعد سريره ونفذت فى الممالك أوامره وأقام أبو بكر بن غازى على حاله بداره والخاصة يباكرونه والنفوس منطوية على تأميله فغص به أهل الدولة وترددت فيه السعاية وتقبض عليه السلطان وأشخصه الى غساسة وركب منها السفين الى مارقة آخر ست وسبعين فأقام بها شهرا ومخاطباته مترددة الى الوزير محمد بن عثمان ثم عطفته عليه رحم فأذن له فى القدوم الى المغرب والمقامة بغساسة فقدمها أوائل سنة سبع واستبد بامارتها وبدا له رأى فى تأميل الوثبة وظهر ما كان يخفيه لابن عمه من المنافسة فخاطب ابن الاحمر وراء البحر ولاطفه بالتحف والهدايا فكتب الى ابن عمه محمد بن عثمان يحضه على اعادته الى مكانه دفعا للغوائل فأبى من ذلك وداخله وترمار بن عريف فى بعضها كذلك فلج فى الامتناع وحمل سلطانه على نبذ العهد لابي بكر بن غازى فتنكر له وأجمع المسير اليه بعساكر العرب فخرج من فاس سنة تسع وسبعين وبلغ الخبر الى أبي بكر بن غازى فاستجاش بالعرب وأحثهم للوصول فوصل اليه الاحلاف من المعقل وسرب فيهم أمواله وخرج من غساسة فألقى بينهم نفسه وعمد الى بعض الطارئين فنصبه للامر مشبها ببعض أبناء السلطان أبي الحسن

وزحف اليه السلطان حتى نزل بتازا فأجفلت أحياء العرب أمام العساكر من بنى مرين والجند ونجا ابن غازى معهم بدمائه ثم داخله ونزمار بن عريف فى الاذعان للسلطان عن شق الخلاف فأجاب ووصل به الى سدة الملك فبعث به السلطان محتاطا عليه الى فاس فاعتقل بها ونزلت مقدمات العساكر بوادى ملوية وداخل صاحب تلمسان منها رعب فأوفد على السلطان من قومه وكبار مجلسه ملاطفا مداريا فتقبل منه وعقد السلم وأصدر به كتابه وعهده بخطه وانكفأ راجعا الى حضرته بعد أن بث العمال فى تلك النواحى على جبايتها فجمعوا الهم منها ما رضى ولما احتل بدار ملكه أنفذ أمره بقتل أبى بكر بن غازى فقتل بمحبسه طعنا بالرماح واستوسق للسلطان أمره وأحكم العقد مع الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن صاحب مراكش وترددت المهاداة بينهما بعض الى بعض والى صاحب الاندلس واليه منهما عامل المغرب وبعث بساطا وغبطا والحال متصلة على ذلك لهذا العهد آخر سنة احدى وثمانين أيام اشرافنا على هذا التأليف

الخبر عن انتقاض الصلح بين الامير عبد الرحمن صاحب مراكش والسلطان أبى العباس صاحب فاس واستيلاء عبد الرحمن على ازمور ومقتل عاملها حسون بن على

كان على بن عمر كبير بنى ورتاجن وشيخ بنى ويعلان منهم قد تحيز الى الامير عبد الرحمن منذ اجازته الى الاندلس واستيلائه على تازا ربعه الى حصار البلد الجديد مع السلطان أبى العباس كما مر فوصل فى جملته الى مراكش وكان صاحب شوراه وكبير دولته وكان يطلعن على خالد بن ابراهيم الهربرجى شيخ جاجة من قبائل المصامدة ما بين مراكش وبلاد السوس وقد كان على بن عمر انتقض على ابن غازى الوزير المستبد بعد السلطان عبد العزيز ولحق بالسوس ومر بخالد بن ابراهيم هذا فاعترضه فى طريقه وأخذ الكثير من أثقاله ورواحله وخلص هو الى منجاته بالسوس وقد حقد ذلك لخالد ثم حث شيوخ المعقل عندما أجاز الامير عبد الرحمن من الاندلس الى نواحى تازا يروم اللحاق بهم فوفدوا عليه وسار معهم الى أحيائهم وأقام معهم وهو فى طاعة الامير عبد الرحمن ودعوته الى أن اتصل به بين يدى حصاره البلد الجديد مع السلطان أبى العباس فلما فتح السلطان البلد الجديد أول سنة ست وسبعين واستولى على ملكهم بها وفصل عبد الرحمن الى مراكش كما كان الوفاق بينهم وسار على بن عمر فى جملة السلطان عبد الرحمن الى مراكش واستأذنه فى قتل خالد صاحبه فلم يأذن له فأحفظه ذلك وطوى عليه وبعد أيام صعد جبل وريكة فى غرض من أغراض الدولة وتقدم الى حافده عامر

بقتل خالد فقتله بظاهر مراكش جدته على بن عمر بوديكة فتلطف له الامير عبد الرحمن
وراسله بالملاينة والاستعطاف ثم ركب اليه بنفسه واستصلحه ونزل به الى مراكش
فأقام معه أياما ثم ارتاب ولحق بأزمور وعاملها يومئذ حسون بن على الصبيحى فأغراه
بالاجلاب على عمل مراكش وزحفوا جميعا الى عمل صنهاجة وسرح الامير عبد
الرحمن لمدافعتهم كبير دولته يومئذ وابن عمه عبد الكريم بن عيسى بن سليمان بن منصور
ابن أبى مالك عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق فخرج فى العساكر ومعه منصور مولى
الامير عبد الرحمن فلقوا على بن عمر فهزموه وأخذوا سواده ولجأ الى أزمور ثم وفد هو
وحسون بن على الى السلطان بفاس ووقعت أثناء ذلك المراسلة بين السلطانين وانعقد
بينهما الصلح فأقام على بن عمر بفاس ورجع حسون بن على الى مكان عمله بأزمور
ثم انتقض ما بين السلطانين ثانيا وكان عند الامير عبد الرحمن اخوان من ولد محمد بن
يعقوب بن حسان الصبيحى وهما على وأحمد جرتومتا بغى وفساد وعدا على كبيرهما على
ابن يعقوب بن على بن حسان فقتله واستعدى أخوه موسى عليه السلطان فاعداه
وأذن له فى أن يثأر منه بأخيه فقتله فخرج لذلك أحمد أخو على وهم بقتل موسى فاستجار
بعويس بن يعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير بنى ونكاسن وصهر الامير عبد الرحمن
وأقام أياما فى جواره ثم هرب الى أزمور فلحقت نار الفتنة ونهض الامير عبد الرحمن
الى أزمور فلم يطق حسان بن على دفاعه فملكها عليه وقتله واستباحها وبلغ الخبر الى
السلطان بفاس فنهض فى عساكره وانتهى الى سلا ورجع الامير عبد الرحمن الى
مراكش وسار السلطان فى اتباعه حتى نزل بحصن أكليم من مراكش وأقام هنالك
نحوا من ثلاثة أشهر والقتال يتردد بينهم ثم سعى بين السلطانين فى الصلح فاصطلحوا على
حدود العمالات أولا وانكفأ صاحب فاس الى عمله وبلده وبعث الحسن بن يحيى بن
حسون الصنهاجى عاملا على الثغر بأزمور فأقام بها وكان أصله من صنهاجة أهل وطن
أزمور وله سلف فى خدمة بنى مرين منذ أول دولتهم وكان أبو يحيى فى دولة السلطان
أبى الحسن عاملا فى الجباية بأزمور وغيرها وهلك فى خدمته بتونس أيام مقام السلطان
بها وترك ولده يستعمل فى مثل ذلك ونزع الحسن هذا منهم الى الجندية فلبس شارتها
وتصرف فى الولاية المناسبة لها واتصل بخدمة السلطان أبى العباس لاول بيعته
بطنجة وكان يومئذ عاملا بالقصر الكبير فدخل فى دعوته وصار فى جملته وشهد معه الفتح
واستعمله فى خطط السيف حتى ولاه أزمور هذه الولاية فقام بها كما ذكره (وأما
الصبيحيون) فالخبر عن أوليتهم ان جدهم حسان من قبيلة صبيح من أفاريق سويد جاء
مع عبد الله بن كندوز الكمى من بنى عبد الواد حين جاء من تونس وأوفد على السلطان

ابن عبد الحق ولقبه بكامرز وكان حسان من رعاء ابله فلما استقر عبد الله بن كندوز بناحية مراكش وأقطعه السلطان يعقوب في أعمالها وكان الظهر الذي يحمل عليه السلطان متفرقا في سائر بلاد المغرب فجمعه وجعله لنظر عبد الله بن كندوز فجمع له الرعاء وكبيرهم يومئذ حسان الصبيحي فكان يباشر السلطان في شأن ذلك الظهر ويطالعه في مهماته فحصلت لهم دالة أجلبت اليه الحظ حتى ارتفع وكبر ونشؤا في ظل الدولة وغيرها وتصرفوا في الولايات فيها وانفردوا بالشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد الى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات وكان لحسان من الولد علي ويعقوب وطلحة وغيرهم ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده وهم لهذا العهد متصرفون في الدولة على ما كان سلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحمل من الابل ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة والله أعلم

﴿الانتقاض الثاني بين صاحب فاس وصاحب مراكش ونهوض صاحب فاس اليه وحصاره ثم عودهما الى الصلح﴾

لما رجع السلطان الى فاس على ما استقر من الصلح طلب الامير عبد الرحمن أن يدخل عمالة صنهاجة ودكالة في أعماله وكتب السلطان الى الحسن بن يحيي عامل أزمور وتلك العمالة بأن يتوجه اليه ويسد المذاهب في ذلك دونه وكان الحسن بن يحيي مصطنعا على الدولة فلما وصل اليه داخله في الخلاف وان يملكه تلك العمالة فازداد الامير عبد الرحمن بذلك قوة على أمره وتعلل على صاحب فاس بأن يكون حدا بين الدولتين وادام ربيع واستمر صاحب فاس على الاباية من ذلك فنهض الامير عبد الرحمن من مراكش ودخل الحسن بن يحيي في طاعته فملكها وبعث مولاه منصورا في العساكر الى انفاء فاستولى عليها وصادر اعيانها وقاضيها وواليها وبلغ الخبر الى السلطان فنهض من فاس في عساكره وانتهى الى سلا فهرب منصور من انفا وتركها ولحق بمولاه عبد الرحمن فأجفل من أزمور الى مراكش والسلطان في أثره حتى انتهى الى قنطرة الوادي على غلوة من البلد وأقام خمسة أشهر يحاصرها واتصل الخبر بالسلطان ابن الاحمر صاحب الاندلس فبعث خالصته الوزير أبا القاسم الحكيم الرندي ليعقد الصلح بينهما فعقده على أن يسترهن السلطان أولاد الامير عبد الرحمن من بني مرين وغيرهم نزعوا عنه وكان محمد بن يعقوب الصبيحي لقي في طريقه مولى الامير عبد الرحمن جاء به مكرها الى السلطان وكان من النازعين أيضا يعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير بني ونكاسن وأبو بكر بن رحو بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق ومحمد بن مسعود الادريسي وزيان بن عمر بن علي الوطاسي وغيرهم من المشاهير وقدموا على السلطان بسلا فأكرمهم

ورحل راجعا الى فاس والله أعلم

انتقاض علي بن زكريا شيخ الهساكرة على الامير عبد الرحمن وفتكه بمولاه منصور ومقتل الامير عبد الرحمن

لما رجع السلطان الى فاس وبدا من الخلل فى دولة الامير عبد الرحمن وانتقاض الناس عليه ما قدمناه نزع يده من التعويل على العساكر وشرع فى تحصين البلد وضرب الاسوار على القصبة وحفر الخنادق وتبين بذلك اختلال أمره وكان على بن زكريا شيخ هسكورة وكبير المصامدة وكان فى دعوته منذ دخل مراكش متلافى أمره مع صاحب فاس ومد اليه يدا من طاعته ثم انتقض على الامير عبد الرحمن ودخل فى دعوة السلطان وبعث اليه الامير عبد الرحمن مولاه منصورا يستألفه فأرصد اليه فى طريقه من حاشيته من قتله وبعث برأسه الى فاس فنهض السلطان فى عساكره الى مراكش واعتصم الامير عبد الرحمن بالقصبة وقد كان أفردها عن المدينة بالاسوار وخندق عليها فملك السلطان المدينة ورتب على القصبة المقاتلة من كل جهة ونصب الآلة وأدار عليها من جهة المدينة حائطا وأقام يحاصرها تسعة أشهر يغاديها القتال ويراوحها وكان أحمد بن محمد الصبيحى من الذين بوّؤا المقاعد لقتالها فهم بالانتقاض وحدثته نفسه بغدرة السلطان والتوثب به وسعى بذلك الى السلطان فتقبض عليه وحبسه وبعث السلطان بالنفير الى أعماله فتوافت الامداد من كل ناحية وبعث اليه صاحب الاندلس مددا من العسكر فلما اشتد القتال والحصار بالامير عبد الرحمن ونفذت الاقوات وأيقن أصحابه بالهلكة وأهمتهم أنفسهم وهرب عنه وزيره محمد بن عمر شيخ الهساكرة والمصامدة لعهد السلطان أبى الحسن وابنه وقد مرّ ذكره فلما لحق هذا بالسلطان وعلم انه انما جاء مضطرا قبض عليه وحبسه ثم انفض الناس عن الامير عبد الرحمن ونزلوا من الاسوار ناجين الى السلطان وأصبح فى قصبته منفردا وقد بات ليلته يراوض ولديه على الاستماتة وهما أبو عامر وسليم وركب السلطان من الغد فى التعبية وجاء الى القصبة فاقتحمها بمقدمته ولقيهم الامير عبد الرحمن وولداه مباشرا الى الميدان بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها وولداه قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسى وطالما كان زيان يتربى بين يدى نعمهم ويجر ذيله خيلاء فى جاههم فذهب مثلا فى كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة وكان ذلك خاتم جمادى الاخيرة سنة أربع وثمانين لعشر سنين من امارته على مراكش ثم رحل السلطان منقلبا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع النازعين عن ملكه والله أعلم

{اجلاب العرب على المغرب فى مغيب السلطان بغربية من ولد أبى على}
{وأبى تاشفين بن أبى حمو صاحب تلمسان ومجىء أبى حمو على أثرهم}

كان أولاد حسين من عرب المعقل مخالفين على السلطان من قبل مسيره الى مراكش وكان شيخهم يوسف بن على بن غانم قد حدثت بينه وبين الوزير القائم على الدولة محمد بن عثمان منافرة وفتنة وبعث العساكر الى سجلماسة فخرب ما كان له بها من العقار والاملاك وأقام منتقضا بالقفر فلما حاصر السلطان الامير عبد الرحمن بمراكش وأخذ بمخنقه أرسل أبا العشائر ابن عمه منصور الى يوسف بن على وقومه ليجلبوا به على المغرب ويأخذوا بحجزة السلطان عن حصاره فسار لذلك ولما قدم على يوسف سار به الى تلمسان مستجيشا بالسلطان أبى حمو لذلك القصد لما كان بينه وبين الامير عبد الرحمن من العهد على ذلك فبعث أبو حمو معهم ابنه أبا تاشفين فى بعض عساكره وسار فى الباقين على أثرهم وسار أبو تاشفين وأبو العشائر الى أحياء العرب فدخلوا الى أحواز مكناسة وعاثوا فيها وكان السلطان عند سفره الى مراكش استخلف على دار ملكه بفاس على بن مهدى العسكرى فى جماعة من الجند واستعد بونزمار بن عريف شيخ سويد وولى الدولة المقيم بأحياء ملوية مخالف بين عرب المعقل واستألف منهم العمارنة والمنبات وهم الاحلاف واجتمع مع على بن مهدى وسار والمدافعة العدو بنواحى مكناسة فصدوهم عن مرامهم ومنعوهم من دخول البلاد فأقاموا متواقفين أياما وقصد أبو حمو فى عسكره مدينة تازى وحاصرها سبعا وخرب قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغ الخبر اليقين بفتح مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فأجفلوا من كل ناحية وخرج أولاد حسين وأبو العشائر وأبو تاشفين والعرب الاحلاف فى اتباعهم وأجفل أبو حمو عن تازى راجعا الى تلمسان ومر بقصر ونزمار فى نواحى بطوية المسمى بمرادة فهدمه ووصل السلطان الى فاس وقد تم له الظهور والفتح الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(نهوض السلطان الى تلمسان وفتحها وتخريبها)

كان السلطان لما بلغه ما فعل العرب وأبو حمو بالمغرب لم يشغله ذلك عن شأنه ونقم على أبى حمو ما أتاه من ذلك وانه نقض عهده من غير داع الى النقض فلما احتل بدار ملكه بفاس أراح أياما ثم أجمع النهوض الى تلمسان وخرج فى عساكره على عادتهم وانتهى الى تاوريرت وبلغ الخبر الى أبى حمو فاضطرب أمره واعتزم على الحصار وجمع أهل البلد عليه واستعد واله ثم خرج فى بعض تلك الليالى بولده وأهله وخاصته وأصبح مخيما بالصفصف وانفض أهل البلد اليه بعضهم بعياله وولده مستمسكين به متفادين من معرة

هجوم العساكر فلم يرعه ذلك عن قصده وارتحل ذاهبا الى البطحاء ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فى بنى بوسعيد قريبا من شلف وأنزل أولاده الاصاغر وأهله بحصن تاجموعت وجاء السلطان الى تلمسان فملكها واستقر فيها أياما ثم هدم أسوارها وقصور الملك بها بإغراء وليه ونزمار جزاء بما فعله أبو حمو فى تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ثم خرج من تلمسان فى اتباع أبى حمو ونزل على مرحلة منها وبلغه الخبر هنالك باجازة السلطان موسى ابن عمه أبى عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعا وأغذ السير الى المغرب كما نذكر ورجع أبو حمو الى تلمسان واستقر فى ملكه بها كما ذكرناه فى أخباره

﴿اجازة السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان من الاندلس الى المغرب واستيلاؤه على الملك وظفره بابن عمه السلطان أبى العباس وازعاجه الى الاندلس﴾

قد تقدم أن السلطان محمد بن الاحمر المخلوع كان له تحكم فى دولة السلطان أبى العباس بن أبى سالم صاحب المغرب بما كان من اشارته على محمد بن عثمان ببيعته وهو معتقل بطنجة ثم بما أمده من مدد العساكر والاموال حتى أمره واستولى على البلد الجديد كما قدمناه فى أول خبره ثم بما كان له من الزبون عليهم بالقرابة المرشحين الذين كانوا معتقلين بطنجة مع السلطان أبى العباس من أسباط السلطان أبى الحسن من ولد أبى عنان وأبى سالم والفضل وأبى عامر وأبى عبد الرحمن وغيرهم وكانوا متعاهدين فى معتقلهم ان من أتاح الله له الملك منهم يخرجهم من الاعتقال ويجيزهم الى الاندلس فلما بويع السلطان أبو العباس وفى لهم بهذا العهد وأجازهم الى الاندلس فنزلوا على السلطان ابن الاحمر أكرم نزل أنزلهم بقصور ملكه بالحمراء وقرب لهم المراكب وأفاض عليهم العطاء ووسع لهم الجرايات والارزاق وأقاموا هنالك فى ظل ظليل فكان لهم به وثوب على ملك المغرب وكان الوزير القائم بها محمد بن عثمان يقدر له قدر ذلك فيجرى فى أغراضه وقصوده ويحكمه فى الدولة ماشاء أن يحكمه حتى توجهت الوجوه الى ابن الاحمر وراء البحر من أشياخ بنى مرين والمغرب وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس ولما نهض السلطان الى تلمسان خاطبوه وأوصوه بالمغرب وترك محمد بن عثمان بدار الملك كاتبه محمد بن الحسن كان مصطنعا عنده من بقية شيع الموحدين ببجاية فاختصه ورقاه واستخلفه فى سفره هذا على دار الملك فلما انتهوا الى تلمسان وحصل لهم من الفتح ما حصل كتبوا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر مع شيطان من ذرية عبو بن قاسم المزوارى كان بدارهم وهو عبد الواحد بن محمد بن عبو كان يسمو بنفسه الى العظائم التى ليس لها بأهل ويتربص لذلك بالدولة وكان ابن الاحمر

مع كثرة تحكمه فيهم يتنفى لهم بعض الاوقات بما يأتونه من تقصير فى شفاعة أو مخالفة فى الامر لا يجدون عنها وليجة فيصطنع لهم ذلك فلما قدم عليه عبد الواحد هذا بخبر الفتح وقص عليه القصص دس له أن أهل الدولة مضطربون على سلطانهم ومستبدلون به لو وجدوا وبلغ من ذلك ما حمل وما لم يحمل وأشار له بجلاء المغرب من الحامية جملة وأن دار الملك ليس بها الا كاتب حضرى لا يحسن المدافعة وهو أعرف به فانتهز الفرصة ابن الاحمر وجهز موسى ابن السلطان أبى عنان من الاسباط المقيمين عنده واستوزر له مسعود بن رحو بن ماسى من طبقات الوزراء من بنى مرين ومن بنى فودود من أحلافهم وله فى ذلك سلف وقد كان بعثه من قبل وزيرا للأمير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن حين أجاز الى المغرب أيام استبداد أبى بكر بن غازى فلم يزل معه حتى كان حصار البلد الجديد واستيلاء السلطان أبى العباس عليها وذهب عبد الرحمن الى مراكش فاستأذنه مسعود فى الانصراف الى الاندلس فأذن له ورجع عنه الى فاس ثم فارقها وأجاز الى الاندلس متودعا ومتوددا للكل ومعولا على ابن الاحمر فتلقاه بالقبول وأوسع له النزول والجراية وخلطه بنفسه وأحضره مع ندمائه ولم يزل كذلك الى أن جهزه وزيرا الى المغرب مع السلطان أبى عنان وبعث معهما عسكرا ثم ركب السفين الى سبتة وكانت بينه وبين شرفائها ورؤساء الشورى بها مداخلة فقاموا بدعوة السلطان موسى وأدخلوه وقبضوا على عاملها رحو بن الزعيم المكدولى وجاؤا به الى السلطان فملكها غرة صفر من سنة ست وثمانين وسلمها الى ابن الاحمر فدخلت فى طاعته وسار هو الى فاس فوصلها لايام قريبة وأحاط بدار الملك واجتمع عليه الغوغاء ونزل الدهش بمحمد ابن الحسن فبادر بطاعته ودخل السلطان الى دار الملك وقبض عليه لوقته وذلك فى عشر ربيع الاول من السنة وجاء الناس بطاعته من كل جانب وبلغ الخبر الى السلطان أبى العباس بمكانه من نواحى تلمسان بأن السلطان موسى قد نزل بسبتة فجهز على بن منصور ترجمان الجند وجند النصارى ببابه مع طائفة منهم وبعثهم حامية لدار الملك فانتهوا الى تازا وبلغهم خبر فتحها فأقاموا هنالك وأغذ السلطان أبو العباس السير الى فاس فلقيهم خبر فتحها بتاوريرت فتقدم الى ملوية وتردد فى رأيه بين المسير الى سجلماسة من المغرب أو قصد المغرب ثم استمر عزمه ونزل بتازا وأقام فيها أربعا وتقدم الى الركن وأهل دولته خلال ذلك يخوضون فى الانتقاض عليه تسللا الى ابن عمه السلطان موسى المتولى على فاس ويوم أصبح من الركن أرجفوا به ثم انتقضوا عليه طوائف قاصدين فاس ورجع هو الى تازا بعد أن انتهب معسكره وأضرمت النار فى خيامه وخزائنه ثم أصبح بتازا من ليلته فدخلها وعاملها يومئذ الخير من موالى

السلطان

السلطان أبي الحسن وذهب محمد بن عثمان الى ولى الدولة وترمار بن عريف وأمراء المغرب من المعقل ولما دخل السلطان أبو العباس الى تازا كتب الى ابن عمه السلطان موسى يذكره العهد بينهما وقد كان السلطان ابن الاحمر عهد اليه أن يبعث به اليه ان ظفر به فبادر السلطان موسى باستدعائه مع جماعة من وجوه بني عسكر أهل تلك الناحية وهم زكريا بن يحيى بن سليمان ومحمد بن سليمان بن داود بن اعراب ومعهم العباس بن عمر الوسناني فجاءوا به وأنزلوه بالزاوية بغدير الحمص بظاهر فاس فقيد هنالك ثم بعثه الى الاندلس موكلا به مع عمر بن رحو أخو الوزير مسعود بن ماسى واستصحب ابنه أبا فارس وترك سائرهم بفاس واجاز البحر من سبتة فأنزله السلطان ابن الاحمر بقلعة ملكه الحمراء وفك قيوده ووكل به ووسع له في الجراية فأقام هنالك محتاطا به الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(نكبة الوزير محمد بن عثمان ومقتله)

أصل هذا الوزير محمد بن الكاس احدى بطون بني ورتاجين وكان بنو عبد الحق عند ما تأثلوا ملكهم بالمغرب يستعملونه منهم في الوزارة وربما وقعت بينهم هنالك وبين بني ادريس وبني عبد الله منافسة قتلوا فيها بعض بني الكاس منهم في دولة السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ثم استوزره السلطان أبو الحسن بعد مهلك وزيره يحيى بن طلحة ابن محلي بمكانه من حصار تلمسان وقام بوزارته أياما وحضر معه وقعة طريف سنة احدى واربعين من هذه المائة واستشهد فيها ونشأ ابنه أبو بكر في ظل الدولة ممتعا بحسن الكفالة وسعة الرزق وكانت أمه أم ولد وخلفه عليها ابن عمه محمد بن عثمان هذا الوزير فنشأ أبو بكر في حجره وكان أعلى رتبة منه بأولية أبيه وسلفه حتى اذا بلغ أشده واستوى سمت به الحال وجال امصار الملوك في اختياره وترشيحه حتى استوزره السلطان عبد العزيز كما قلناه وقام بوزارته أحسن قيام وأصبح محمد بن عثمان هذا رديفه وهلك السلطان عبد العزيز فنصب أبو بكر ابنه السعيد للملك صبيا لم يثغر وكان من انتقاض أمره وحصاره بالبلد الجديد واستيلاء السلطان أبي العباس عليه ما قدمناه قام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس مستبدا عليه ودفع اليه أمور ملكه وشغل بلذاته فقام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس من أمور الدولة ما عاناه حتى كان من استيلاء السلطان موسى على دار ملكهم ما مر وانفض بنو مرين عنه للسلطان أبي العباس كما ذكرناه ورجع الى تازا فدخلها السلطان أبو العباس وفارقهم محمد بن عثمان الى ولى الدولة وترمار بن عريف وهو مقيم بتازا وتذمم له فتجهم له وترمار وأعرض عنه فسار عنه الى أحياء المنبات من عرب المعقل كانوا

هنالك قبائل تازا المتمة صحابة كانت بينه وبين شيخهم أحمد بن عبو فنزل عليه متذمما به لخادعه وبعث بخبره الى السلطان فجهز اليه عسكرا مع المزوار عبد الواحد بن محمد بن عبو بن قاسم بن ورزوق بن بومريطت والحسن العوفى من الموالى فتبرأ منه العرب وأسلموه اليهم فجاؤا به وأشهروه يوم دخوله الى فاس واعتقل أياما وامتحن فى سبيل المصادرة ثم استصفى ثم قتل ذبحا بمحبسه والله وارث الارض ومن عليها

{ الخبر عن خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماسى اليه بالعساكر }

لما استقل السلطان موسى بملك المغرب وقام مسعود بن ماسى بوزارته مستبدا عليه وكان من تغريبهم السلطان أبا العباس الى الاندلس وقتلهم وزيره محمد بن عثمان وافتراق أشياع الوزير محمد بن عثمان وقرابته وبطانته فطلبوا بطن الارض ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فوجد هنالك الحسن بن الناصر ابن السلطان أبى على قد لحق بها من مقره بالاندلس فى سبيل طلب الملك فثاره ورأى فى الرجوع به الى المغرب لطلب الامر هنالك فخرج به من تونس وقطع المفاوز والمشاق الى أن انتهى الى جبل غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه وتقبله وأعلنوا بالقيام بدعوته واستوزر العباس بن المقداد وبلغ الخبر الى مسعود بن ماسى فجهز العساكر مع أخيه مهدى بن ماسى فحاصره بجبل الصفيحة أياما وامتنع عليهم فتجهز الوزير مسعود بن ماسى بالعساكر من دار الملك وسار لحصاره ثم رجع من طريقه لما بلغه من وفاة السلطان بعده والله أعلم

(وفاة السلطان موسى والبيعة للمنتصر ابن السلطان أبى العباس)

كان السلطان موسى لما استقل بملك المغرب استنكف من استبداد ابن ماسى عليه وداخل بطانته فى الفتك به وأكثر ما كان يفاوض فى ذلك كاتبه وخالصته محمد ابن كاتب أبيه وخالصته محمد بن أبى عمر وكان للسلطان موسى ندمان يطلعهم على الكثير من أموره منهم العباس بن عمر بن عثمان الوسنافى وكان الوزير مسعود بن ماسى قد خلف أبا عمر على أمه وربى فى حجره فكان يدلى اليه بذلك وينهى اليه ما يدور فى مجلس السلطان فى شأنه فحصلت للوزير بذلك نفرة طلب لاجلها البعد عن السلطان وبادر للخروج لمدافعة الحسن القائم بغمارة واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن رحو بن ماسى فلما انتهى الى القصر الكبير لحقه الخبر بوفاة السلطان موسى وكانت وفاته فى جمادى الاخرى طرقه المرض فهلك ليوم وليلة لثلاث سنين من خلافته وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه وبادر يعيش فنصب ابن عمه للملك وهو المنتصر ابن السلطان أبى

العباس

العباس وانكفأ راجعا الوزير مسعود من القصر وقتل السبيع محمد بن موسى من طبقة الوزراء وقد مر ذكره وذكر قومه وكان اعتقله أيام السلطان موسى فقتله بعد وفاته واستمرت الدولة فى استقلاله والله أعلم

(اجازة الواثق محمد بن أبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن من الاندلس والبيعة له)

كان الوزير مسعود بن ماسى لما استوحش من السلطان موسى بعث ابنه يحيى وعبد الواحد المزوار الى السلطان ابن الاحمر يسأل منه اعادة السلطان أبى العباس الى ملكه فأخرجه ابن الاحمر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفتح يروم اجازته الى العدوة فلما توفى السلطان موسى بدا للوزير مسعود فى أمره ودس للسلطان ابن الاحمر فى رده وأن يبعث اليه بالواثق محمد بن أبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن من القرابة المقيمين عنده ورآه أليق بالاستبداد والحجر فأسعفه ابن الاحمر فى ذلك ورد السلطان أحمد الى مكانه بالحمراء وجاء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده وفى خلال ذلك وصل جماعة من أهل الدولة وانتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا ابنه وأجازوا الى السلطان ابن الاحمر وهم يعيش ابن على بن فارس وسيور بن يحيى بن عمر الونكاسنى واحمد بن محمد الصبيحى فوفد اليهم الواثق ورجعوا به الى المغرب على أنهم فى خدمة الوزير حتى اذا انتهوا الى جبل زرهون واعتصموا بجبلهم ولحق بهم من كان على مثل دينهم من الخلاف على ابن ماسى وصاروا معهم يدا مثل طلحة بن الزبير الورتاجنى وسيور بن يحياتن بن عمر الونكاسنى ومحمد التونسى من بنى أبى الطلاق وفارح بن مهدى من معلوجى السلطان وأصله من موالى بنى زيان ملوك تلمسان وكان أحمد بن محمد الصبيحى حين جاء مع الواثق قد استطال على أصحابه وأظهر الاستبداد بما كان من طائفة الجند المستخدمين فغص به أهل الدولة وتبرؤا منه للسلطان الواثق فأظهر لهم البراءة منه فوثبوا به وقتلوه عند خيمة السلطان وتولى كبر ذلك يعيش بن على بن فارس اليابانى كبير بنى مرين فذهب مثلا فى الغابرين ولم تبك عليه سماء ولا أرض وكان رزق بن يوفريغات من موالى بنى على بن زيان من شيوخ بنى ونكاسن من أعيان الدولة ومقدمى الجند قد انتقض على الدولة أيام السلطان موسى ولحق بأحياء أولاد حسين من عرب المعقل المخالفين منذ أيام السلطان موسى ونزل على شيخهم يوسف بن على بن غانم لذمة صحابة بينهما من جوارهم فى المواطن وكان معه فى ذلك محمد بن يوسف بن علال كان أبوه يوسف من صنائع السلطان أبى الحسن ونشأ فى دولته استوحشا من الوزير فلحقا بالعرب فلما جاء هذا السلطان الواثق قدما عليه فلقيهما بالتكرمة وأحلهما فى مقامهما من الدولة وخرج الوزير مسعود بن ماسى فى العساكر ونزل قبائلهم بجبل مغيلة وقاتلهم هنالك أياما وداخل الذين مع

الواثق واستمالهم وبعث عسكرا الى مكناسة فحاصروها وكان بها يومئذ عبد الحق بن الحسن بن يوسف الورتاجني فاستنزلهم منها وملكها وترددت المراسلات بينه وبين الواثق وأصحابه على أن ينصبوه للامر ويبعث بالمنتصر المنصوب عنده الى أبيه السلطان أبي العباس بالاندلس وقبض على جماعة ممن كان مع الواثق مثل المزوار عبد الواحد وقتله وعلى فارح بن مهدي وحبسه وعلى الخيرة ولي الامير عبد الرحمن وامتحنه وعلى آخرين سواهم ثم قبض على جماعة من بطانة السلطان موسى كانوا يداخلونه في القبض والفتك به فحبسهم وقتل بعضهم وعلى جند الاندلس الذين جاؤا امدادا للواثق وعلى قوادهم من معلوجي ابن الاحمر فأودعهم السجن ثم تقبض على كاتب السلطان موسى بن أبي الفضل بن أبي عمر مرجعه من السفارة عن سلطانه الى الاندلس فاعتقله وصادره ثم خلى سبيله ثم بعث الى الحسن بن الناصر الثائر بجبل الصفيحة من غمارة مع ادريس بن موسى بن يوسف اليابانى فخادعه باستدعائه للملك والبيعة له فخدعه واستنزله وجاء به فاعتقله أياما ثم أجازه للاندلس واستقر الامر على ذلك والله أعلم

الفتنة بين الوزير ابن ماسي وبين السلطان ابن الاحمر واجازة السلطان أبي العباس الى سبتة لطلب ملكه واستيلاؤه عليها

لما بلغ الوزير ابن ماسي للواثق ورأى أنه قد استقل بالدولة ودفع عنها الشواغب وصرف نظره الى ما فرط من أعمال الدولة وافتتح أمره بسبتة وقد كان السلطان موسى لاول اجازته أعطاها لابن الاحمر كما مر فبعث اليه الآن الوزير ابن ماسي في ارتجاعها منه على سبيل الملاطفة فاستشاط لها ابن الاحمر ولج في الرد فنشأت الفتنة لذلك وجهز ابن ماسي العساكر لحصار سبتة مع العباس بن عمر بن عثمان الوسنافي ويحيى بن علال بن أمصمود والرئيس محمد بن أحمد الابكم من بني الاحمر ثم من بيت السلطان الشيخ ذامغ امرهم وممهد دولتهم وراسل السلطان اشبيلية والجلالقة من بني أدفونش وراء البحر بأن يبعث اليهم ابن عم السلطان ابن الاحمر محمد بن اسمعيل مع الرئيس الابكم ليجلبا من ناحيته على الاندلس وجاءت عساكر الوزير الى سبتة فحاصروها ودخلوها عنوة واعتصم حامية الاندلس الذين كانوا بها بالقصبة واتصلت الجولة بين الفريقين وسط البلد وأوقد أهل القصبة النيران بالجبل علامة على أمرهم ليراها ابن الاحمر وكان مقيما بمالقة فبادر بتجهيز الاسطول مشحونا بالمقاتلة مددا لهم ثم استدعى السلطان أبو العباس من مكانه بالحمراء واركبه السفين الى القصبة في غرة صفر سنة تسع وثمانين وأشرف عليهم من الغد وناداهم من السور يدعوهم الى طاعته فلما رأوه اضطربوا وافترقوا وخرج اليهم فنهب سوادهم ودخلوا في طاعته متسايلين ورجع جمهور العسكر

وبتقدموهم الى طنجة واستولى السلطان على مدينة سبتة وبعث اليه ابن الاحمر بالنزول عنها وردها اليه فاستقرت فى ملكه وكانت بها بيعته وكان يوليه أمر الاضياف الواردين والله تعالى أعلم

{مسير السلطان أبى العباس من سبتة لطلب ملكه}
{بفاس ونهوض ابن ماسى لدفاعه ورجوعه منهزما}

ولما استولى السلطان أبو العباس على سبتة وتم له ملكها واعتزم على المسير لطلب ملكه بفاس وأغراه ابن الاحمر بذلك ووعده بالمدد لما كان من مداخلة ابن ماسى لجماعة من بطانته فى أن يقتلوه ويملكوا الرئيس الابكم يقال ان الذى داخله فى ذلك من بطانة ابن الاحمر يوسف بن مسعود البلنسى ومحمد بن الوزير أبى القاسم بن الحكيم الرندى وشعر بهم السلطان ابن الاحمر وهو يومئذ على جبل الفتح يطالع أمور السلطان أبى العباس فقتلهم جميعا واخوانهم ويقال ان ذلك كان بسعاية القائم على دولته مولاه خالد كان يغص بهم ويعاديهم فأخفى عليهم هذه وتمت سعايته بهم فاستشاط ابن الاحمر غضبا على ابن ماسى وبعث الى السلطان أبى العباس يستنفره للرحلة الى طلب ملكه فاستخلف على سبتة رحو بن الزعيم المكرودى عاملها من قبل كامز وسار الى طنجة وعاملها من قبل الواثق صالح بن رحو اليابانى ومعه بها الرئيس الابكم من قبل العساكر فحاصرها أياما وامتنعت عليه فجمر عنها الكتائب وسار عنها الى أصيلا فدخلت فى دعوته وملكها ونهض الوزير من فاس فى العساكر بعد أن استخلف أخاه يعيش على دار الملك وسار ولحقت مقدمته بأصيلا ففارقها السلطان أبو العباس وصعد الى جبل الصفيحة فاعتصم به وجاء الوزير ابن ماسى فتقدم الى حصاره بالجبل وجمع عليه رماة الرجل من الاندلسيين الذين كانوا بطنجة وأقام يحاصره بالصفيحة شهرين وكان يوسف بن على بن غانم شيخ أولاد حسين من عرب المعقل مخالفا على الوزير مسعود وداعية الى السلطان أبى العباس وشيعة له وكان يراسل ابن الاحمر فى شأنه فلما سمع باستيلائه على سبتة واقباله الى فاس جمع أشياعه من العرب ودخل فى طاعته الى بلاد المغرب ما بين فاس ومكناسة وشن الغارات على البسائط واكتسحها وأرجف الرعايا وأجفلوا الى الحصون وكان ونزمار بن عريف ولى الدولة شيعة للسلطان وكان يكاتبه وهو بالاندلس ويكاتب ابن الاحمر بشأنه فلما اشتد الحصار بالسلطان فى الصفيحة بعث ابنه أبا فارس الى ونزمار بمكانه من نواحى تازا وبعث معه سيور بن يحيى بن عمر فقام ونزمار بدعوته وسار به الى مدينة تازا وعاملها سليمان العودودى من قرابة الوزير ابن ماسى فلما نزل بها أبو فارس ابن السلطان

بادر الى طاعته وأمكنه من البلد واستوزر سليمان هذا وسار الى صفرو ومعه ونزمار للاجتماع بعرب المعقل وأسف بهم الى حصار فاس وكان محمد بن الدمغة عاملا على ورغة فبعث اليه السلطان عسكرا مع العباس بن المقداد ابن أخت الوزير محمد بن عثمان فقتلوه وجاؤا برأسه ونجم الخلاف على يعيش بالبلد الجديد من كل جهة وطير الخبر بذلك كله الى أخيه بمكانه من حصار السلطان بالصفيحة فانفضت عنه العساكر وأجفل راجعا الى فاس وسار السلطان فى اتباعه ودخل فى طاعته عامل مكناسة وجاء الخبر موسى الامير عبد الرحمن واقيه يوسف بن على بن غانم ومن معه من احياء العرب وساروا جميعا الى فاس وكان أبو فارس ابن السلطان قد رحل من تازا الى صفرو للقاء أبيه فاعترضه ابن ماسى فى العساكر رجاء أن يفله واقيه ببنى بهلول فنزع أهل المعسكر الى أبى فارس ابن السلطان وهو بمكناسة فارتحل يغذ السير الى فاس وسار ابنه أبو فارس لقائه على وادى النجا وصبحوا البلد الجديد فنزلوا عليه بجموعهم وقد اعتصم به الوزير فى أوليائه وبطانته ومعه يغمراسن بن محمد السالفى ومراهن بنى مرين الذين استرهنهم عند مسيره للقاء السلطان بأصيلا والله أعلم

(ظهور دعوة السلطان أبى العباس فى مراكش واستيلاء أوليائه عليها)

كان الوزير مسعود بن ماسى قد ولى على مراكش وأعمال المصامدة أخاه عمر بن رحو وكانت منتظمة فى طاعته فلما بلغ الخبر بوصول السلطان الى سبتة واستيلائه عليها قامت رؤس أوليائه الى اظهار دعوته بتلك النواحى فقام بدعوته بجبل الهساكرة على ابن زكريا وبعث الوزير مسعود من مكانه فى حصار السلطان بالصفيحة فى امداده بالعساكر من مراكش فزحف اليه مخلوف بن سليمان الوارتنى صاحب الاعمال ما بين مراكش والسوس وقعد الباقون عن نصره وتفرقوا وصعد أبو ثابت حافد على بن عمر الى جبل الهساكرة ومعه يوسف بن يعقوب بن على الصبيحى فاستمد على بن زكريا ورجع الى مراكش مجلبا على على بن رحو بها وكتب للسلطان بذلك وهو بمكناسة متوجها الى فاس فكتب اليه بأن يصله بعساكر مراكش لحصار دار الملك فجمع العساكر واستخلف على قصبة مراكش بعض بنى عمه ولحق بالسلطان وأقام معه فى حصار البلد الجديد والله أعلم

(ولاية المنتصر بن السلطان أبى على على مراكش واستقلاله بها)

كان السلطان أبو العباس حين ملك المغرب بعث ابنه المنتصر فى البحر الى سلا واستوزر له عبد الحق بن يوسف الورتاجنى وأقام ومر به رزوق بن توفريطت راجعا من دكالة حين نزول السلطان على البلد الجديد فتلطف فى استدعائه ثم قبض عليه وبعث

بولايته مقيدا فأودعه السجن وقتل بعد ذلك بمحبسه ثم بعث السلطان الى ابنه المنتصر بولاية مراكش وأن يصير اليها فلما وصل الى مراكش امتنع النائب بالقصبة فدس لعبد الحق وزير المنتصر أن لنائب قدهم بقتله وحينئذ يمكن المنتصر من القصبة فأجفل بالمنتصر وصعد الى جبل هنتاتة وطير بالخبر الى السلطان فتغير لابى ثابت وأمره أن يكاتب نائبه بتمكين ابنه من القصبة واستوزر له سعيد بن عبدون وبعثه بالكتاب وعزل عبد الحق عن وزارة ابنه واستدعاه لفاس فوصل سعيد بن عبدون الى مراكش ودفع الى النائب بالقصبة كتاب مستخلفه الى الامتثال وأمكنه من القصبة واعتزل عنها فدخلها وبعث عن المنتصر بن السلطان واستولوا عليها وقبضوا على نائب عامر الذى كان بها وسائر شيعته وبطانته وامتحنوهم واستصفوهم الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(حصار البلد الجديد وفتحها ونكبة الوزير ابن ماسى ومقتله)

لما نزل السلطان على البلد الجديد واجتمع اليه سائر قبيله وأوليائه وبطانته داخل الوزير مسعود الحنق على بنى مرين لانتباذهم عنه فأمر بقتل أبنائهم الذين استرهنوهم على الوفاء له فلاطفه يغمراسن السالفى فى المنع من ذلك فأقصر عنه وضيق السلطان مخنقه بالحصار ثلاثة أشهر حتى دعا الى النزول والطاعة فبعث اليه ولى الدولة ونرمار بن عريف وخالصته محمد بن علال فعقدا لهم الامان لنفسه ولمن معه على أن يستمر على الوزارة ويبعث بسلطانه الواثق الى الاندلس واستحلفهم على ذلك وخرج معهم للسلطان فدخل السلطان البلد الجديد خامس رمضان سنة تسع وثمانين لثلاثة أعوام وأربعة أشهر من خلعه ولحين دخوله قبض على الواثق وبعث به معتقلا الى طنجة وقتل بها بعد ذلك ولما استولى على أمره قبض على الوزير ابن ماسى ليومين من دخوله واخوته وحاشيته وامتحنهم جميعا فهلكوا فى العذاب ثم سلط على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه ونقم عليه ما فعله فى دور بنى مرين النازعين الى السلطان فانه متى كان هرب عنه أحد منهم يعمد الى بيوته فيهدمها فأمر السلطان بعقابه فى أطلالها فكان يؤتى به الى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطا الى أن قتله العذاب وتجاوز الحد ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك عند قطع الثانية فذهب مثلا فى الآخرين

(وزارة محمد بن علال)

كان أبوه يوسف بن علال من رؤساء الدولة وصانعة السلطان أبى الحسن وربى فى داره ولما تضخم أمره سما به الى ولاية الاعمال فولاه على درعة فانتزى واتخذ أولياء الدولة ثم ولاه السلطان أبو عنان أمر طنجة ومائدته وضيوفه واستكفى به فى ذلك

وولاه أخوه أبو سالم بعده كذلك ثم بعثه الى سجلماسة فعانى بها من أمور العرب مشقة وعزله عنها وهلك بفاس وكان له جماعة من الولد قد نشؤا فى ظل هذه النعمة وحدبت لنجابة محمد المذكور منهم فلما استولى السلطان أبو العباس استعمله فى أمور الضيوف والمائدة كما كانت لابيه ثم رقاه الى المخالصة وخلطه بنفسه فلما خلع السلطان واستولى الوزير ابن ماسى على المغرب وكانت بينه وبين أخيه يعيش بن ماسى احن قديمة فكمن اصولتهم حتى اذا اضطرمت نار الفتنة بالمغرب وأجلبت عرب المعقل الخلاف فاستوحش محمد هذا فلحق باحيائهم مع رزوقا ابن توفريطت كما مر ذكره ونزل على يوسف بن على بن غانم شيخ أولاد حسين وأقام معه فى خلافه حتى اذا أجاز السلطان الواثق الى الاندلس ووصل مع أصحابه الى جبل زرهون وأظهروا الخلاف على ابن ماسى بدر محمد هذا ورزوق الى السلطان ودخلا فى طاعته متبرئين من النفاق الذى حملهم عليه عداوة الوزير عما كان الى أن انعقد الصلح بين الواثق وابن ماسى وسار به وأصحابه الى فاس وحصلوا فى قبضة ابن ماسى فعفا لهم عما كان منهم واستعملهم فى مهود ولايتهم ثم جاء الخبر باجازة السلطان أبى العباس الى سبتة فاضطرب محمد بن يوسف وذكر مخالصة السلطان ومنافرة ابن ماسى فأجمع أمره ولحق بسبتة فتلقاه السلطان بالكرامة وسر بمقدمه ودفعه الى القيام بأمر دولته فلم يزل متصرفا بين يديه الى أن نزل الى البلد الجديد ولايام من حصارها خلع عليه الوزارة ودفعه اليها فقام بها أحسن قيام ثم كان الفتح وانتظم أمر الدولة ومحمد هذا يصرف الولاية على أحسن أحوالها الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (ظهور محمد بن السلطان عبد الحليم بسجلماسة) *

قد تقدم لنا ذكر السلطان عبد الحليم ابن السلطان أبى على وكان يدعى بحلى وكيف بايع له بنو مرين وأجلبوا به على عمر بن عبد الله سنة ثلاث وستين أيام مبعثه للسلطان أبى عمر ابن السلطان أبى الحسن وحاصروا معه البلد الجديد حتى خرج لدفاعهم وقاتلهم فانهزموا وافترقوا ولحق السلطان عبد الحليم بتازا وأخوه عبد المؤمن بمكناسة ومعه ابن أخيهما عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ثم بايع الوزير عمر بن عبد الله لمحمد بن أبى عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن واستبدل به من أبى عمر ولما كان بنو مرين يرمونه بالجنون والوسوسة فاستدعى محمد بن أبى عبد الرحمن من مطرح اغترابه باشبيلية وبايعه وخرج فى العساكر لمدافعة عبد المؤمن وعبد الرحمن عن مكناسة فلقيهما وهزمهما ولحقا بالسلطان عبد الحليم بتازا وساروا جميعا الى سجلماسة فاستقروا فيها والسلطان عبد الحليم وقد تقدم خبر ذلك كله فى أماكنه ثم كان الخلاف بين عرب المعقل أولاد

حسين والاحلاف وخرج عبد المؤمن للاصلاح بينهم فبايع له أولاد حسين ونصبوه كرها للملك وخرج السلطان عبد الحق اليهم في جموع الاحلاف فقاتلوه وهزموه وقتلوا كثيرا من قومه كان منهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى شيخ بنى تيربيعن وكبير دولة بنى مرين أجلت المعركة عن قتله ودخل عبد المؤمن البلد منفردا بالملك وصرف السلطان أخاه عبد الحليم الى المشرق لقضاء فرضه برغبته فى ذلك فسار على طريق القفر مسلك الحاج من التكرور الى أن وصل القاهرة والمستبد بها يومئذ يلبغا الخاصكى على الاشرف شعبان بن حسين من أسباط الملك الناصر محمد بن قلاوون فأكرم وفادته ووسع نزله وجرايته وأدر لحاشيته الارزاق ثم أعانه على طريقه للحج بالازواد والابنية والظهور من الكراع والخف ولما انصرف من حجه ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ لسفر المغرب وهلك بفروجة سنة سبع وستين ورجع حاشيته الى المغرب بحرمه وولده وكان ترك محمدا هذا رضيعا فشب متقلبا من الدولة من ملك الى آخر متنبذا عن قومه بغيرة السلطان أبى الحسن من بنى عمهم السلطان أبى على وكان أكبر ما يكون مقامه عند أبى حمو سلطان بنى عبد الواد بتلمسان لما يروم به من الاجلاب على المغرب ودفع عادية بنى مرين عنه فلما وقع بالمغرب من انتقاض عرب المعقل على الوزير مسعود بن ماسى سنة تسع وثمانين واستمروا على الخلاف انتهز أبو حمو الفرصة وبعث محمد بن عبد الحليم هذا الى المعقل ليجلب بهم على المغرب ويمزقوا من الملك ما قدروا عليه فلحق بأحيائهم ونزل على الاحلاف الذين هم أمس رحما بسجلماسة وأقرب موطنا بها وكان الوزير ابن ماسى قد ولى عليها من أقاربه على بن ابراهيم بن عبو بن ماسى فلما ضيق عليه السلطان أبو العباس وضيق مخنقه بالبلد الجديد دس الى الاحلاف والى قريبه على بن ابراهيم أن ينصب محمد بن السلطان عبد الحليم ويملكه سجلماسة ويجلب به على تخوم المغرب ليأخذ بحجزة السلطان أبى العباس عنه وينفسوا من حصاره ففعلوا ذلك ودخل محمد الى سجلماسة فملكها وقام على بن ابراهيم بوزارته حتى اذا استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد وفتك بالوزير مسعود بن ماسى وباخوته وسائر قرابته اضطرب على بن ابراهيم وفسد ما بينه وبين سلطانه محمد فخرج عن سجلماسة ودعا الى أبى حمو سلطان تلمسان كما كان ثم زاد هو ارتيابه فخرج عن سجلماسة وتركها ولحق بأحياء العرب وسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه مأمنه ونزل على السلطان أبى حمو الى أن هلك فسار الى تونس وحضر وفاة السلطان أبى العباس بها سنة تسع وتسعين ولحق محمد ابن السلطان عبد الحليم بعد مهلك أبى حمو بتونس ثم ارتحل بعد وفاة السلطان ابى العباس الى المشرق لحجة فرضه والله تعالى أعلم

بياض في الأصل

(نكبة ابن أبي عمرو ومهلكه وحركات ابن حسون)

لما استقل السلطان بملكه واقتعد سريره صرف نظره الى أولياء تلك الدولة ومن يرتاب منه وكان محمد بن أبي عمر قد تقدم ذكره وأوليته من جملة خواصه وأوليائه وندمائه وكان السلطان يقسم له من عنايته وجميل نظره ويرفعه عن نظرائه فلما ولي السلطان موسى ترغب اليه بوازع المخالصة لابيه من السلطان أبي عنان فقد كان أبوه أعز بطانته كما مر فاستخلصه السلطان موسى للشورى ورفعه على منابر اهل الدولة وجعل اليه كتاب علامته على المراسم السلطانية كما كان لابيه وكان يناوضه في مهماته ويرجع اليه في أموره حتى غص به أهل الدولة ونماعنه للوزير مسعود بن ماسي أنه يداخل السلطان في نكبته وربما سعى عند سلطانه في جماعة من بطانة السلطان أحمد فأتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجري بينهم وبينه في مجالسة المنادمة عند السلطان حقدها لهم فلما ظفر بالحظ من سلطانه سعى بهم فقتلهم وكان القاضي أبو اسحق اليزناسني من بطانة السلطان أحمد وكان يحضر مع ندمائه فحقدله ابن أبي عامر وأغرى به سلطانه فضربه وأطافه وجاء بها شنعاء غريبة في القبح وسفر عن سلطانه الى الاندلس وكان يتربجالس السلطان أحمد ومكان اعتناله وربما يلقاه فلا يلم اليه ولا يجيبه ولا يوجب له حقا فأحفظ ذلك السلطان ولما فرغ من ابن ماسي قبض على ابن أبي عمر هذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك بالسياط وحمل الى داره وبينما أهله يحضرونه الى قبره واذا بالسلطان قد أمر بأن ينصب بنواحي البلد ابلاغا في التنكيل فحمل من نعشه وقد ربط حبل برجله ونصب في دائر المدينة ثم ألقي في بعض المزابل ثم قبض على حركات ابن حسون وكان مجلبا في الفتنة وكان العرب المخالفون من المعقل لما أجاز السلطان الى سبتة وحركات هذا بتادلا راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاؤا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى استقام أمره وملك البلد الجديد فتقبض عليه وامتحنه الى أن هلك والله وارث الارض ومن عليها

(خلاف علي بن زكريا بجبل الهساكرة ونكبته)

لما ملك السلطان البلد الجديد واستولى على ملكه وفد عليه علي بن زكريا شيخ هسكورة مستصفيا لما قدم من سوابقه وقد كان حضر معه حصار البلد الجديد واستدعاه فجاء بقومه وعساكر المصامدة على عادة الدولة في ذلك ثم وفد معه محمد بن ابراهيم المرازي من شيوخ المصامدة وكانت له ذمة صهر مع الوزير محمد بن يوسف بن علال على أخته فولاه السلطان مكان علي بن زكريا فغضب لها واستشاط وبادر الى الانتقاض والخلاف ونصب بعض القرابة من بني عبد الحق فجهز اليه السلطان العساكر مع محمد بن

يوسف بن علال وصالح بن حمو اليابانى وأمر صاحب درعة وهو يومئذ عمر بن عبد المؤمن بن عمر أن ينهض اليه بعساكر درعة من جهة القبلة فساروا اليه وحاصروه فى جبله وحاولوه مرات ينهزم فى جميعها حتى غلبوه على جبله وسار الى ابراهيم بن عمران الصناكى المجاور له فى جبله فاستذم به وخشى ابراهيم معرة الخلاف والغلب ورغبه الوزير محمد بن يوسف بما بذل له فأمكنه منه وقبض على الوزير وجاء به الى فاس فأدخله فى يوم مشهود وشهره واعتقل فلم يزل فى الاعتقال الى أن هلك السلطان أبو العباس وارتاب به أهل الدولة بعده فقتلوه كما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿وفادة أبى تاشفين على السلطان أبى العباس صريخا على﴾
﴿أبيه ومسيره بالعساكر ومقتل أبيه السلطان أبى حمو﴾

كان أبو تاشفين ابن السلطان أبى حمو قد وثب على أبيه آخر ثمان وثمانين وسبعمائة لغيرة من اخوته واعتقله بوهران وخرج بالعساكر لطلب اخوته المنتصر وأبى زيان وعمر فامتنعوا عند حصن بجبل تيطرى فحاصرهم أياما ثم تذكر غائلة أبيه فبعث ابنه أبا زيان فى جماعة من بطانته منهم ابن الوزير عمران وعبد الله بن جابر الخراسانى فقتلوا بعض ولده بتلمسان ومضوا اليه وهو بمحبسه فى وهران فلما شعر بهم أشرف من الحصن ونادى فى أهل المدينة مستدعيا بهم فهرعوا اليه وتدلى اليهم فى عمامته وقد احتزم بها فأنزلوه وأحدقوا به وأجلسوه على سريره وتولى كبر ذلك خطيب البلد ابن حذورة ولحق أبو زيان بن أبى تاشفين ناجيا الى تلمسان واتبعه السلطان أبو حمو ففر منها الى أبيه ودخل أبو حمو تلمسان وهى طلل وأسوارها خراب فأقام فيها رسم دولته وبلغ الخبر الى أبى تاشفين فأجفل من تيطرى وأغذ السير فدخلها واعتصم أبوه بمئذنة المسجد فاستنزله منها وتجافى عن قتله ورغب اليه أبوه فى رحلة الشرق لقضاء فرضه فأسعفه وأركبه السفين مع بعض تجار النصارى الى الاسكندرية موكلا به فلما حاذى مرسى بجاية لاطف النصرانى فى تخلية سبيله فأسعفه وملك أمره وبعث الى صاحب الامر بجاية يستأذنه فى النزول فأذن له وسار منها الى الجزائر واستخدم العرب واستصعب عليه أمر تلمسان فخرج الى الصحراء وجاء الى تلمسان من جهة المغرب فهزم عساكر ابنه تاشفين وملكها وخرج أبو تاشفين هاربا منها فلحق بأحياء السويد فى مشاتيهم ودخل أبو حمو تلمسان فى رجب سنة تسع وسبعمائة وقد تقدم شرح هذه الاخبار مستوعبا ثم وفد أبو تاشفين مع محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبى العباس صريخا على أبيه ومؤملا الكرة بامداده فبعث له السلطان وأجمل عليه المواعد وقام أبو تاشفين فى انتظارها والوزير محمد ابن يوسف بن علال يعده ويمنيه ويحلف له على

الوفاء وبعث السلطان أبو حمو الى ابن الاحمر لما يعلم من استطالته على دولة بنى مرين كما يتوصل اليه فى أن يصدهم عن صريخ أبى تاشفين وامداده فجلا ابن الاحمر فى ذلك وجعلها من أهم حاجاته وخاطب السلطان أبا العباس فى أن يجيز اليه أبا تاشفين فتعلل عليه فى ذلك بأنه استجار بابنه أبى فارس واستذم به ولم يزل الوزير ابن علال يفتل لسلطانه ولابن الاحمر فى الذروة والغارب حتى تم أمره وأنجزله السلطان بالنظر موعده وبعث ابنه الامير أبا فارس والوزير ابن علال فى العساكر صريخا له وانتهوا الى تازا وبلغ الخبر الى أبى حمو فخرج من تلمسان فى عساكره واستألف أولياءه من عبيد الله ونزل بالغيران من وراء جبل بنى راشد المطل على تلمسان وأقام هنالك متحصنا بالجبل وجاءت العيون الى عساكر بنى مرين بتازا بمكانه هو واعرابه من الغيران فاجمعوا غزوه وسار الوزير علال وأبو تاشفين وسلكوا القفر ودليلهم سليمان بن ناجى من الاحلاف حتى صبحوا أبا حمو ومن معه من أحياء الخراج فى مكانهم بالغيران فجاولوهم ساعة ثم ولوا منهزمين وكبا بالسلطان أبى حمو فرسه فسقط وأدركه بعض أصحاب أبى تاشفين فقتلوه قعصا بالرماح وجاؤا برأسه الى ابنه أبى تاشفين والوزير ابن علال فبعثوا به الى السلطان وجىء بابنه عمير اسيرا فهم أخوه أبو تاشفين بقتله فمنعه بنو مرين أياما ثم أمكنوه منه فقتله ودخل تلمسان آخر احدى وتسعين وخيم الوزير وعساكر بنى مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب وأقام أبو تاشفين بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبى العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه وكان أبو حمو لما ملك تلمسان ولى ابنه أبا زيان على الجزائر فلما بلغه مقتل أبيه امتعض ولحق بأحياء حصين ناجيا وصريخا وجاءه وفد بنى عامر من زغبة يدعونه للملك فسار اليهم وقام بدعوته شيخهم المسعود بن صغير ونهضوا جميعا الى تلمسان فى رجب سنة ثنتين وتسعين فحاصرها أياما ثم سرب أبو تاشفين المال فى العرب فافترقوا عن أبى زيان وخرج اليه أبو تاشفين فهزمه فى شعبان من السنة ولحق بالصحراء واستألف أحياء المعقل وعاود حصار تلمسان فى شوال وبعث أبو تاشفين ابنه صريخا الى المغرب فجاءه بعدد من العساكر ولما انتهى الى تاوريرت أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل الى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخا فتلقاه وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه وأقام هنالك الى مهلك أبى تاشفين والله أعلم

(وفاة أبى تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان)

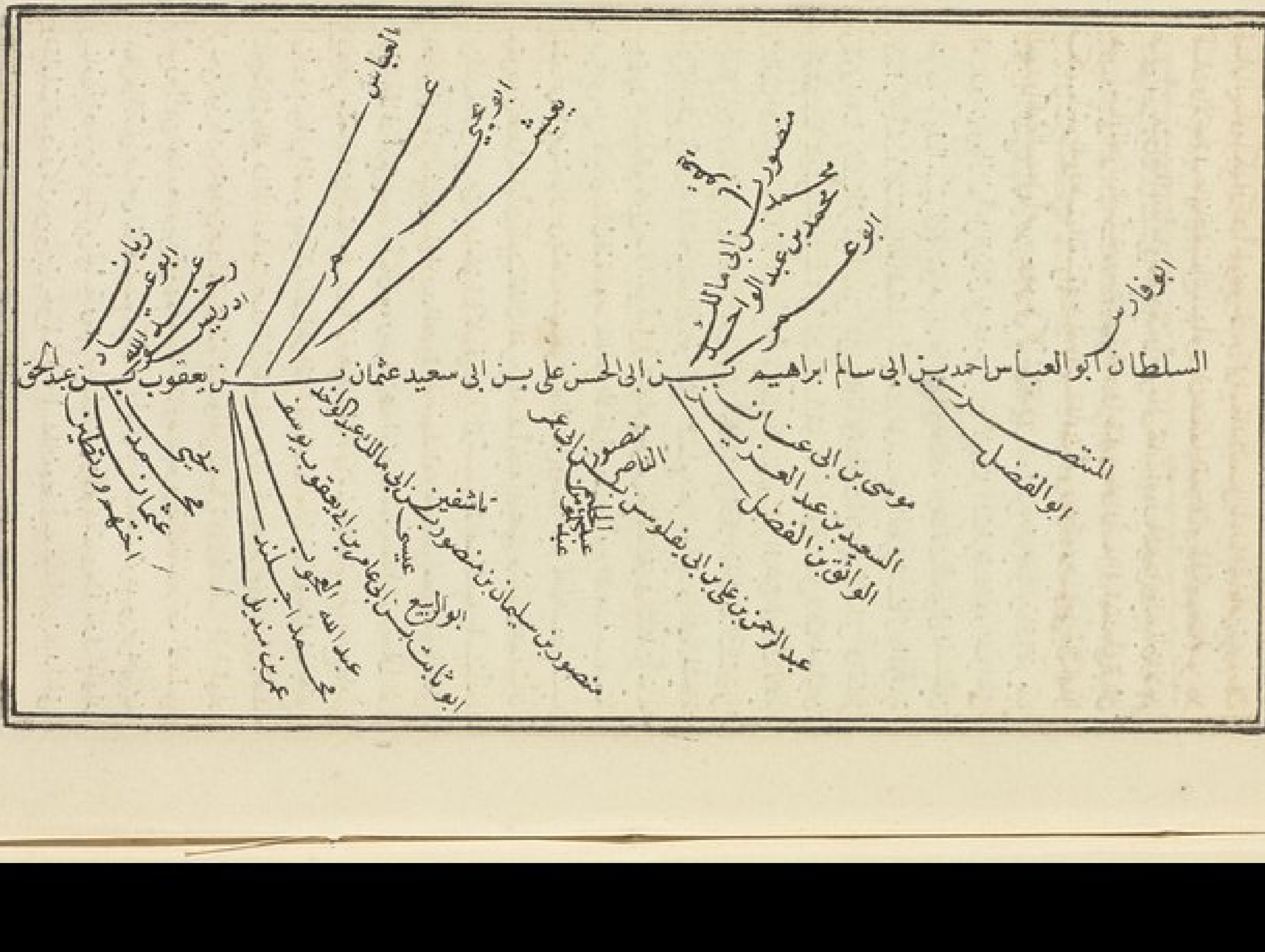
لم يزل هذا الامير أبو تاشفين ممتلكا على تلمسان ومقيما فيها الدعوة صاحب المغرب أبى العباس ابن السلطان أبى سالم ومؤديا الضريبة التى فرضها عليه منذ ملك وأخوه الامير أبو زيان عند صاحب المغرب ينتظر وعده بالنصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبى تاشفين فى بعض النزغات الملوكية فأجاب داعى أبى زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة خمس وتسعين وانتهى الى تازا وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به ثم هلك منه فى رمضان من السنة وكان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم وكان   فولى بعده مكانه صبيا من أبنائه وأقام بكفالته وكان يوسف بن أبى حمو وهو ابن الزابية واليا على الجزائر من قبل أبى تاشفين فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب فدخل تلمسان وقتل أحمد بن العز والصبى المكفول ابن أخيه أبى تاشفين فلما بلغ الخبر الى السلطان أبى العباس صاحب المغرب خرج الى تازا وبعث من هنالك ابنه أبا فارس فى العساكر ورد أبا زيان بن أبى حمو الى فاس ووكل به وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان فملكها وأقام فيها دعوة أبيه وتقدم وزير أبيه صالح بن أبى حمو الى مليانة فملكها وما بعدها من الجزائر وتدلس الى حدود بجاية واعتصم يوسف بن الزابية بحصن تاجموت وأقام الوزير صالح يحاصره وانقرضت دعوة بنى عبد الواد من المغرب الاوسط والله غالب على أمره

بياض بالاصل

{ وفاة أبى العباس صاحب المغرب واستيلاء أبى زيان بن أبى حمو على تلمسان والمغرب الاوسط }

كان السلطان أبو العباس بن أبى سالم لما وصل الى تازا وبعث ابنه أبا فارس الى تلمسان فملكها وأقام هو بتازا يشارف أحوال ابنه ووزيره صالح الذى تقدم لفتح البلاد الشرقية وكان يوسف بن على بن غانم أمير أولاد حسين من المعقل قد حج سنة ثلاث وتسعين واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق وتقدمت الى السلطان فيه وأخبرته بمحله من قومه فأكرم تلقيه وحمل بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم يوسف بها على السلطان أبى العباس أعظم موقعها وجلس فى مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها وشرع فى المكافأة عليها بتخير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك ما رضيه واعتزم على انفاذها مع يوسف بن على حاملها الاول وانه يرسله من تازا أيام مقامته تلك فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه فى محرم سنة ست وتسعين واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فبايعوه بتازا وولوه مكانه ورجعوا به الى فاس وأطلقوا أبا زيان بن أبى حمو من الاعتقال وبعثوا به الى تلمسان أميرا عليها وقائما بدعوة السلطان أبى فارس فيها

فسار اليها وملكها وكان أخوه يوسف بن الزابية قد اتصل بأحياء بني عامر يروم ملك
تلمسان والاجلاب عليها فبعث اليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك وبذل لهم عطاء جزيلا
على أن يبعثوا به اليه فأجابوه الى ذلك وأسلموه الى ثقات أبي زيان وساروا به فاعترضهم
بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى اخيه أبي زيان
فسكنت أحواله وذهبت الفتنة بذهابه واستقامت أمور دولته وهم على ذلك لهذا
العهد والله غالب على أمره وهو على كل شئ قدير


السلطان ابو العباس احمد بن ابى سالم ابراهيم بن ابى الحسن على بن ابى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
ابو فارس
المنتصر
ابو الفضل
موسى بن ابى عنان
السعيد بن عبد العزيز
الواثق بن الفضل
عبد الرحمن بن على بن ابى يفلوسن
الناصر
منصور
محمد بن عبد الواحد
العباس
على
ابو على
يعيش
زيان
ادريس
تاشفين
عيسى
منصور بن سليمان بن منصور بن ابى مالك عبد الواحد
ابو الربيع
ابو ثابت بن ابى عامر بن ابى يعقوب يوسف
عبد الله
عمر بن منديل
يحيى
محمد
عثمان

(الخبر عن القرابة المرشحين من آل عبد الحق من الغزاة المجاهدين بالاندلس الذين قاسموا ابن الاحمر في ملكه وانفردوا برياسة جهاده)

كانت الجزيرة الاندلسية وراء البحر منذ انقراض أمر بني عبد المؤمن وقيام ابن الاحمر بأمرها قليلة الحامية ضعيفة الاحوال الامن يلهمه الله لعمل الجهاد من قبائل زناتة المؤملين كثرة الملك والمقتسمين عمالك المغرب وخصوصا بني مرين أهل المغرب الاقصى لاتصال عدوة الاندلس بسائطه ولتعدد الفراض بعمر الزقاق القريب العدوتين ومازال أهل الزقاق على قديم الزمان لاجل ذلك فرضة دون سواحل المغرب (ولما استولى) بنو مرين على عمالكه وضاقت أحوال المسلمين بالاندلس وأخذ بمخنقهم الطاغية حتى ألجأهم الى سيف البحر واستأثر بالقومسة وماوراءها واستأثر بنو القمص أهل برشلونة وقطلونية بشرق الاندلس وانتشر في الاقطار ما كان من أمر قرطبة وأختها اشبيلية وبلنسية وامتعض لذلك المسلمون وتنافسوا في الجهاد وامداد الاندلس بأموالهم وأنفسهم وسابق الناس الى ذلك الامير أبو زكريا بن أبي حفص بما كان صاحب الوقت والمؤمل للكرة فاستنفد الكثير من أمواله ومقربانه في امدادهم بعد ان كانوا آثروا القيام بدعوته وأوفدوا عليه المشيخة ببيعتهم وكان ليعقوب بن عبد الحق أمل في الجهاد وحرص عليه فاعتزم في سلطان أخيه أبي يحيى على الاجازة لذلك فمنعه ضنة به عن الاغتراب عنه وأوعز الى صاحب سبتة يومئذ أبي علي بن خلاص بمنعه منها فوعرله السبيل وسد عليه المذاهب ولم ينشب يعقوب بن عبد الحق أن قام بسلطان المغرب بعد أخيه أبي يحيى وشانه وأهمه شأن ابن أخيه ادريس بن عبد الحق لما كان فيهم من الترشيح والمنافسة لبنيه واستأذنه عامر بن ادريس منهم في الجهاد بعد العدوة فاغتنمها منه وعقد له من مطوعة زناتة على ثلاثة آلاف أو يزيدون وأجاز معه رحو ابن عمه ابن عبد الله بن عبد الحق وفصلوا الى الاندلس سنة احدى وستين فحسنت آثارهم في الجهاد وكرمت مقاماتهم ثم رجع عامر ابن ادريس الى المغرب وكثر انتقاض القرابة ونافسهم أقيال زناتة في مثلها فاجتمع أبناء الملوك بالمغرب الاوسط مثل عبد الملك يغمراسن بن زيان وعامر بن منديل بن عبد الرحمن وزيان بن محمد بن عبد القوى فتعاقدوا على الاجازة الى الاندلس الى الجهاد وأجازوا فيمن خف معهم من قومهم سنة ست وسبعين وستمائة فامتلأت الاندلس بأقيال زناتة وأعياص الملك منهم وكان فيمن أجاز من أعياصهم بنو عيسى بن يحيى بن وسناف بن عبو بن أبي بكر بن حمامة ومنهم سليمان وابراهيم وكانت لهما آثار في الجهاد ومقامات محمودة وكان موسى بن رحو لما نازله السلطان وبنى أبيه عبد الله بن عبد الحق

بحصن علودان ونزلوا على عهده حتى بتلمسان وكان بنو عبد الله بن عبد الحق وادريس ابن عبد الحق عصبة من بين سائرهم لان عبد الله وادريس كانا شقيقين لسوط النساء بنت عبد الحق فانتقض أبو يعقوب بن عبد الحق بن عبد الله محمد ابن عمه ادريس وخرج على السلطان بقصر كتامة سنة ثلاث وستين ثم استرضاه عمه واستنزله وبقى يعقوب بن عبد الله في انتقاضه يتنقل في الجهات الى أن قتله طلحة بن محلى من أولياء السلطان سنة ثلاث وستين بجهات سلا فكفى السلطان شأنه ولما كان من عهد السلطان لابنه أبي مالك ما قدمناه نفس عليه هؤلاء القرابة هذا الشأن فانتقضوا ولحق ابنا ادريس بحصن علودان ولحق موسى بن رحو بن عبد الله بجبال غمارة ومعه أولاد عمه أبي عياد بن عبد الحق ونازلهم السلطان حتى نزلوا على عهده وأجازهم الى الاندلس سنة سبعين فأقاموا بها للجهاد سوقا ونافسهم أقيال زناتة في مثلها بتلمسان وأجازمنها الى الاندلس سنة سبعين فولاه السلطان ابن الاحمر على جميع الغزاة المجاهدين هنالك لما كان كبيرهم ومحل سؤلهم ولم يلبث ان عاد الى المغرب فولى السلطان مكانه أخاه عبد الحق ثم رجع عنه مغاضبا الى تلمسان فولى مكانه على الغزاة المجاهدين ابراهيم بن عيسى بن يحيى بن وسناف الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن موسى بن رحو قائم هذه الرياسة بالاندلس وخبر أخيه عبد الحق من بعده وابنه حمو بن عبد الحق بعدهما﴾

لما هلك السلطان الشيخ بن الاحمر وولى ابنه السلطان الفقيه ووفد على السلطان يعقوب ابن عبد الحق صريخا للمسلمين فأجاز اليه أول اجازته سنة ثلاث وسبعين وأوقع بجيوش النصرانية وقتل الزعيم ذننه واستولى له الغلب على الاندلس وبدا لابن الاحمر في أمره وخشي مغبته وتوقع أن يكون شأنه معه شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد وكان بالاندلس قرابته بنو أشقيلولة قد قاسموه في ممالكها وانفردوا بوادي آش ومالقة وقمارش حسبما ذكرناه في أخباره مع السلطان وانتقض عليه أيضا من رؤساء الاندلس ابن عبد ربل وابن الدليل فكانوا يجلبون على بلاد المسلمين وكانوا قد استجدوا جيوش النصرانية ونازلوا غرناطة وعاثوا في الجهات فلما استوت قدم السلطان يعقوب بن عبد الحق بالاندلس وصل هؤلاء الثوار به أيديهم فخشيهم ابن الاحمر جميعا على نفسه وقلب السلطان ليوسف ظهر المجن واستظهر عليه بالاعياص من قرابته وكان هؤلاء القرابة من أولاد رحو بن عبد الله بن عبد الحق وادريس بن عبد الحق وينسبون جميعا الى سوط النساء كما ذكرناه ومن أولاد أبي عياد بن عبد الحق لما أوجسوا الخيفة من السلطان واستشعروا النكير منه لحقوا بالاندلس تورية بالجهاد وابتدوا عن الهول

فرارامن محله وقد كان السلطان أبو يوسف حين انتقضوا عليه انحصهم الى الاندلس فاجتمع منهم عند ابن الاحمر عصابة من أولاد عبد الحق كما قلناه وأولاد دوسناف وأولاد برول وتاشفين بن معطى كبير بنى تيربيغن من بنى محمد وتبعهم أولاد محلى اخوال السلطان أبي يوسف وكان ابن الاحمر كثيرا ما يعقد لهم على الغزاة المجاهدين من زناتة لدار الحرب فعقد أولا لموسى بن رحو سنة ثلاث وسبعين ولاخيه عبد الحق بعد انصرافه الى المغرب ثم لابراهيم بن عيسى بعد انصرافهما معا كما قلناه ثم رجع فعقد لموسى بن رحو ثانية على أشياخه وأثبت له قدما فى الرياسة ليحسن به دفاع السلطان أبي يوسف عنهم ثم تداولت الامارة فيهم ما بينهم وبين عمر منهم وربما عقد قبل ذلك أزمان الفترة ليعلى بن أبي عياد بن عبد الحق فى بعض الغزوات ولتاشفين بن معطى فى أخرى سنة تسع وسبعين ومعه طلحة بن محلى فاعترضوا الطاغية دون حصر المسلمين وربما كان لهم الظهور ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أبي تاشفين وعقد ابن الاحمر فى بعض حروبه معه ليعلى بن أبي عياد على زناتة جميعا وجاشهم الى رايته فانفضت جموع أبى يوسف وظهروا عليه وتقبضوا فى المعركة على ابنه منديل واستاقوه أسيرا الى أن أطلقه السلطان ابن الاحمر فى سلم عقده بعد مهلكه مع أبيه يوسف بن يعقوب واستبد موسى بن رحو من بعدها بامارة الغزاة بالاندلس الى أن هلك فوليها من بعده أخوه عبد الحق الى أن هلك سنة تسع وسبعين وكان مظفر الراية على عدو المسلمين ولما هلك ولى من بعده ابنه حمو بن عبد الحق فكانت هذه الامارة متصلة فى بنى رحو الى أن انتقلت منهم الى اخوانهم من بنى أبي العلاء وغيرهم واندرج حمو فى جملة عثمان ابن ابى العلاء من بعد حسبما نذكر وأما ابراهيم بن عيسى الوسنافى فانه رجع الى المغرب ونزل على يوسف بن يعقوب وقتل بمكانه من حصار تلمسان بعد حين من الدهر وبعد أن كبر وعمى والله مالك الامور لارب غيره وكان مهلك ابن أبي عياد سنة سبع وثمانين ومعطى بن أبي تاشفين سنة تسع وثمانين وطلحة بن محلى سنة ست وثمانين والله أعلم

(الخبر عن عبد الحق بن عثمان شيخ الغزاة بالاندلس)

كان عبد الحق هذا من أعياص الملك المرينى وهو من ولد محمد بن عبد الحق ثانى الامراء على بنى مرين بعد أبيهم عبد الحق وهلك أبوه عثمان بن محمد بالاندلس احدى أيام الجهاد سنة تسع وسبعين وربى عبد الحق هذا فى حجر السلطان يوسف بن يعقوب الى أن كان من أمر خروجه مع الوزير رحو بن يعقوب على السلطان أبي الربيع ما ذكرناه فى أخباره ولحق بتلمسان وأجاز منها الى الاندلس وسلطانه يومئذ أبو الجيوش ابن السلطان

الفقيه وشيخ زناتة حمو بن عبد الحق بن رحو وخاطبهم السلطان أبو سعيد ملك المغرب
فى اعتقاله فأبايوه وفرّ من محبسه ولحق بدار الحرب ولما انتقض أبو الوليد بن الرئيس
أبى سعيد وبايع لنفسه بمالقة وزحف الى غرناطة فنازلها ووقعت الحرب بظاهرها بين
الفريقين وأخذ فى بعض حروبهم حمو بن عبد الحق أسيرا وسيق الى السلطان أبى
الوليد وكان معه عمه أبو العباس بن رحو فأبى من اسار ابن أخيه وخلا عنه فرجع الى
سلطانه فارتاب به لذلك وعقد على الغزاة مكانه لعبد الحق بن عثمان استدعاه من مكانه
بدار الحرب ثم غلبهم أبو الوليد على غرناطة وتحول أبو الجيوش على وادى آش على سلم
انعقد بينهم وسار معه عبد الحق بن عثمان على شأنه ثم وقعت بينه وبين أبى الجيوش
مغاضبة لحق لاجلها بالطاغية وأجاز الى سبتة فاستظهر به أبو يحيى بن أبى طالب العزفى
أيام حصار السلطان أبى سعيد اياه فكان له فى حماية ثغره والدفاع عنه آثار مذكورة ثم
عقد السلطان أبو سعيد السلم ليحيى العزفى وأفرج عنه فارتحل عبد الحق بن عثمان الى
افريقية ونزل ببجاية سنة تسع عشرة على أبى عبد الرحمن بن عمر صاحب السلطان أبى
يحيى المستبد بالثغور الغربية فأكرم نزله وأوسع قراره وضرب له الفساطيط بالزينة من
ساحة البلد احتفالا فى تكريمه وحمله وأصحابه على مائة وخمسين من الخيل ثم أقدمهم
على السلطان بتونس فبرّ مقدمهم وخلط عبد الحق بنفسه وآثره بالخلة والصحابة وأجله
بمكان الاستظهار به وبعصابته ولما عقد السلطان لمحمد بن سيد الناس على حجابته سنة
سبع وعشرين واستقدمه لذلك من ثغر بجاية كما ذكرناه عظمت رياسته واستغلظ
حجابه وحجب عبد الحق ذات يوم عن بابه فسخطها وذهب مغاضبا وداخل أبا فارس
فى الخروج على أخيه فأجابه وخرج به من تونس فكان من خبرهم ومقتل أبى فارس
وخلوص عبد الحق الى تلمسان ونزوله على أبى تاشفين وغزوه الى افريقية مع عساكر
بنى عبد الواد سنة سبع وعشرين ما ذكرناه فى أخبار الدولة الحفصية ثم لما رجع
بنو عبد الواد الى تلمسان صمد مولانا السلطان أبو يحيى الى تونس فى أخريات سنته وفرّ
ابن أبى عمران السلطان المنصوب بتونس من بنى أبى حفص الى أحياء العرب وتقبض
على أبى رزيق ابن أخى عبد الحق بن عثمان فى جملة من أصحابه فقتله قعصا بالرماح
ورجع عبد الحق بن عثمان الى مكانه من تلمسان فأقام مثواه عند أبى تاشفين متبوّأ
من الكرامة والاعتزاز الى أن هلك بمهلك أبى تاشفين يوم اقتحم السلطان أبو الحسن
تلمسان عليهم سنة سبع وثلاثين وقتلوا جميعا عند قصر الملك أبو تاشفين وابناه عثمان
ومسعود وحاجبه موسى بن على ونزيله عبد الحق هذا وأبو ثابت ابن أخيه فقطعت
رؤسهم وتركت أشلاؤهم بساحة القصر عبرة للمعتبرين حسبما ذكرناه فى أخبار

أبي تاشفين والله أعلم

(الخبر عن عثمان بن أبي العلا من أمراء الغزاة المجاهدين بالأندلس)

كان أولاد سوط النساء من ولد عبد الحق أهل عصابة واعتزاز على قومهم وهم أولاد ادريس وعبد الله ابنيها الشقيقين كما ذكرناه وكان مهلك ادريس الاكبر يوم مهلك أبيه بتافر بطت ومهلك عبد الله قبله وخلف عبد الله ثلاثة من الولد شعب فيهم نسله وهم يعقوب ورحو وادريس واستعمل أبو يحيى بن عبد الحق يعقوب منهم على سلا عند افتتاحه اياها سنة تسع وأربعين ثم انتزى بها بعد ذلك على عمه يعقوب سنة ثمان وخمسين وكان من شأن ثورة النصارى به ما ذكرناه واستخلصها يعقوب بن عبد الحق ولحق يعقوب بن عبد الله بعلودان من بلاد غمارة وامتنع بها وخرج على أثره ابنا عمه ادريس وهما عامر ومحمد وانتزوا بالقصر الكبير ولحق بهم كافة أولاد سوط النساء وطالبهم السلطان فلحقوا بجبال غمارة ونازلهم ثم استنزلهم بعد ذلك على الامان وعقد لعامر على الغزو الى الاندلس سنة ستين كما ذكرناه وأجاز معه رحو بن عبد الله ورجع محمد بن عامر ومر الى تلمسان سنة ثمانين وأجاز منها الى الاندلس ثم خرجوا على السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة تسع وثمانين ومعهم ولد أبي عياد بن عبد الحق واعتصموا بعلودان واستنزلهم السلطان على اللحاق بتلمسان فلحقوا بها وأجاز أولاد سوط النساء وأولاد أبي عياد كافة الى الاندلس واستقروا بها يومئذ ورجع عامر منهم ومحمد وكان من خبره ما ذكر وهلك يعقوب بن عبد الله سنة ثمان وستين في اغترابه بقتوله من رباط الفتح قتله طلحة بن محلي واستقر بنوه من أولاد سوط النساء بالمغرب وكان ابنه أبو ثابت أميرا على بلاد السوس أيام السلطان يوسف بن يعقوب وأوقع بالركبة سنة تسع وتسعين ولم يزل بنوه بالمغرب من يومئذ وكان من اخوته أبي العلاء ورحو بن عبد الله بن عبد الحق تشعب نسله فيهما وأجاز رحو الى الاندلس مع عامر ومحمد ابن عمه ادريس ثم أجاز موسى ابنه سنة تسع وتسعين مع أولاد أبي عياد وأولاد سوط النساء ثم رجع الى محله من الدولة وقرناباسنة خمس وسبعين الى تلمسان وأجاز منها الى الاندلس واستقر بها وأجاز أولاد أبي العلاء سنة خمس وثمانين مع أولاد أبي يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان بن عبد الحق واستقروا بالاندلس وكانوا يرجعون في رياستهم لكبيرهم عبد الله بن أبي العلاء وعقد له ابن الاحمر على الغزاة من زناتة فيمن كان يعقدلهم من زناتة قبل استقرار المنصب الى أن هلك شهيدا في احدى غزوات سنة ثلاث وتسعين وعقد المخلوع ابن الاحمر لاخيه عثمان بن أبي العلاء على حامية مالقة وغربيها من الغزاة لنظر ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر ولما غدر الرئيس أبو سعيد بسبتة سنة خمس وتملكه

فى مثلها الحيلة واضطرمت نار العداوة بينه وبين صاحب المغرب نصبوا عثمان هذا للامر وأجازوه الى غمارة فثاربها ودعا لنفسه وتغلب على أصيلا والعرائش وكان ماذكرنا الى أن غلبه أبو الربيع سنة ثمانين ورجع الى مكانه بالاندلس ولما اعتزم أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد على الخروج على أبي الجيوش صاحب غرناطة داخل فى ذلك شيخ الغزاة بمالقة عثمان بن ابى العلاء فساعده عليه واعتقل أباه الرئيس أبا سعيد وزحف الى غرناطة سنة أربع عشرة فلما استولى عليها عقد لعثمان هذا على امارة الغزاة المجاهدين من زناتة وصرف عنها عثمان بن عبد الحق بن عثمان فلحق بوادى اش مع أبي الجيوش وصار حمو بن عبد الحق بن رحو فى جملته بعد ان كان شيخا على الغزاة كما قدمناه واستمرت أيام ولاية عثمان هذا وبعد فيها صيته ونص صاحب المغرب أبو سعيد بمكانه ولما استصرخه المسلمون للجهاد سنة ثمان عشرة اعتذر بمكان عثمان هذا واشترط عليهم القبض عليه حتى يرجع عنهم فلم يمكن ذلك ونازل الطاغية غرناطة وحاصرها وكان لعثمان وبنيه فى ذلك آثار مذكورة وأتاح الله للمسلمين فى النصرانية على يد عثمان هذا وبنيه مالم يخطر على قلب أحد منهم فتأكد اغتباط الدولة والمسلمين بمكانهم الى أن هلك أبو الوليد سنة خمس وعشرين وسبعمائة باغتيال بعض الرؤساء من قرابته بمداخلة عثمان هذا زعموا فى غدره ونصب للامر ابنه محمد صبيا لم يبلغ الحلم وأقام بأمره وزيره محمد بن المحروق من صنائع دولتهم فاستبد عليه وألقى زمام الدولة بيد عثمان فى النقض والابرام فاعتز عليهم وقاسمهم فى الامر واستأثر فى أعطيات الغزاة بكثير من أموال الجباية حتى خشى الوزير على الدولة وأدار الرأى فى كبره على التغلب   وفسد ما بينه وبين الوزير ابن المحروق فانتقض عليه وخرج مغاضبا فاضطربت فساطيطه بمرج غرناطة واعصوصب جماعة الغزاة من قبائل زناتة عليه واعتصم الوزير وأهل الدولة بالحمراء وهى البلد ... الناس بينهما أياما وأدار الوزير الرأى فى أن ينصب له كفؤا من قرابته يجاذبه الحبل ويشغله بشأنه عن الدولة فجاء بيحيى بن عمر بن رحو وكان فى جملة عثمان وأصهر اليه فى ابنته وعقد له على الغزاة وتسايلوا اليه وبرز عثمان بعسكره فى عشيره وولده وأخذ معه السلم فى أن يجيز الى المغرب وأوفد بطانته على السلطان أبى سعيد سنة ثمان وعشرين وارتحل من ساحة غرناطة فى ألف فارس من ذويه وأقاربه وحشمه وقصد تدرش ليجعلها فرضة لمجازه حتى اذا حاذى تدرش وكان بينه وبين رؤسائها مداخلة خرجوا اليه مؤذنين حتى مبرنه فغدر بهم وأركب اليها فملكها وضبطها وأنزل بها حرمه وأثقاله ودعا محمد بن الرئيس من شلوبانية كان منزلا بها لحفاء

بياض فى الأصل

اليه ونصبه للامر وشن الغارات على غرناطة صباحا ومساء واضطرمت نار الفتنة واستركب يحيى بن رحو من قدر عليه من زناتة وطالت الحرب سنين حتى اذا قتل السلطان محمد بن الاحمر بوزيره ابن المحروق استدعى عثمان بن أبي العلاء وعقد له السلم على أن يجيز عمه الى المغرب ويلحق بغرناطة لشأنه من رياسة الغزاة فتم ذلك سنة تسع وعشرين ورجع الى مكانه من الدولة وهلك اثر ذلك لسبع وثلاثين سنة من امارته على الغزاة والبقاء لله وحده

•(الخبر عن رياسة ابنه أبي ثابت من بعده ومصير أمرهم)•

لما هلك شيخ الغزاة ويعسوب زناتة عثمان بن أبي العلاء قام بأمره وقومه ابنه أبو ثابت عامر وعقد السلطان أبو عبد الله بن أبي الوليد له على الغزاة المجاهدين كما كان أبوه فعظم شأنه قوة وشكيمة وكثرة عصابة ونفوذ رأى وبسالة وكان لقومه اعتزاز على الدولة بما جبوا من عودها وكانوا أولي بأس وقوة فيها واستبداد عليها وكان السلطان محمد بن أبي الوليد مستنكفا عن الاستبداد عليه في القل والكثر فكان كثيرا ما يحرقهم بتسفيه آرائهم والتضييق عليهم في جاههم ولما وفد على السلطان أبي الحسن سنة ثنتين وثلاثين صريخا على الطاغية واستعدى ابنه الامير أبا مالك لمنازلة جبل الفتح اتهموه بمداخلة السلطان أبي الحسن في شأنهم فتنكروا وأجمعوا الفتك به وداخلوا في ذلك بعض صنائعه ممن كان متربصا بالدولة ولما افتتح الجبل وكان من شأنه ما قدمنا ذكره وزحف الطاغية فأناخ عليه وقصد ابن الاحمر الطاغية في بنيه راغبا أن يرجع الى الحصن فرجع وافترقت عساكر المسلمين ارتحل السلطان ابن الاحمر الى غرناطة سنة ثلاث وثلاثين وقد قعد واله بمرصد من طريقه ونمى الخبر اليه فدعا بأسطوله لركوب البحر الى مالقة واستبق اليهم الخبر بذلك فتبادروا اليه ولقوه بطريقه من ساحل اصطبونة فلاحوه وعاتبوه في شأن صنيعته عاصم من معلوجيه وحاجبهم عنه فاعتوروا عاصما بالرماح فنكر ذلك عليهم فألحقوه به وخر صريعا عن مركوبه وبعثوا الى أخيه يوسف فأعطوه بيعتهم وصفقة أيمانهم ورجعوا به الى غرناطة وهو حذر منهم لفعلتهم التى فعلوا واستمرت الحال على ذلك ولما استكمل السلطان أبو الحسن فتح تلمسان وصرف عزائمه الى الجهاد داخل ابن الاحمر في ازاحتهم عن الاندلس مكان جهاده فصادف منه اسعافا وقبولا وتقبض على أبي ثابت واخوته ادريس ومنصور وسلطان وفر أخوهم سليمان فلحق بالطاغية وكان له يوم أثر في الايقاع بالمسلمين ولما تقبض ابن الاحمر على أبي ثابت واخوته أودعهم جميعا المطبق أياما ثم غربهم الى افريقية فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي يحيى وأوعز اليه السلطان أبو الحسن بالتوثق منهم

ان يتصلوا بنواحى المغرب ويخالفوه اليها أيام شغله بالجهاد فى الاندلس فاعتقلهم وارفد أبا محمد بن تافراكين الى سبتة السلطان أبى الحسن اليه شفيعا فيهم فتقبل شفاعته وأحسن نزلهم وكرامتهم حتى اذا احتل بسبتة أيام حصار الجزيرة فى سنة ثلاث وأربعين سعى بهم عنده فتقبض عليهم واعتقلهم بمكناسة ولما انتزى ابنه الامير أبو عنان على الامر وهزم منصورا ابن أخيه أبى مالك صاحب فاس ونازله بالبلد الجديد بعث فيهم الى مكناسة فأطلقهم من الاعتقال وأفاض فيهم الاحسان واستظهر على شأنه وأحل أبا ثابت محل الشورى من مجلسه وداخل ادريس أخاه فى المعسكر بالبلد الجديد فنزع اليها ومكر بهم وثار عليهم الى أن نزلوا على حكم السلطان أبى عنان فعقد لابى ثابت على سبتة وبلاد الريف ليشارف منها الاندلس محل امارته وأطلق يده فى المال والجيش وفصل لذلك فهلك بالطاعون يومئذ سنة تسع وأربعين بمعسكره ازاء معسكر السلطان من حصار البلد الجديد واستقر اخوانه فى ايالة السلطان أبى عنان بالمغرب الاقصى الى أن كان من مفر أخيه ادريس وولايته على الغزاة بالاندلس ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن يحيى بن عمر بن رحو وامارته على الغزاة بالاندلس أولا وثانيا وما بعد ذلك وتصاريفه

كان رحو بن عبد الله كبير ولد عبد الله بن عبد الحق وكان له بنون كثيرون وتشعب نسلهم منهم موسى وعبد الحق والعباس وعمر ومحمد وعلى ويوسف أجازوا كلهم الى الاندلس مع أولاد سوط النساء من تلمسان كما قدمناه وأقام عمر بعدهم بتلمسان مدة واتخذ بها الاهل والولد ثم لحقهم وولى موسى امارة الغزاة بعد ابراهيم بن عيسى الوسناقى وبعده أخوه عبد الحق على الغزاة أقام بها مدة وأجاز الى سبتة مع الرئيس أبى سعيد وعثمان بن أبى العلاء سنة خمس وولى بعدها على الغزاة المجاهدين ثم رجع الى الاندلس ولم يلبث بها أن اجاز الى المغرب ونزل على السلطان أبى سعيد فأكرم نزله ثم رجع الى الاندلس ولما ولى امارة الغزاة عثمان بن أبى العلاء وكان بينهم من المنافسة ما يكون بين فحول الشول أشخص بنى رحو جميعا الى افريقية فنزلوا على مولانا السلطان أبى يحيى خير نزل اصطناعهم واستخلصهم واستظهر جمعهم فى حروبه وهلك عمر بن رحو ببلاد الجريد وقبره بيشرى من نفزاوة معروف ونزع ابنه يحيى من بين اخوته عن مولانا السلطان أبى يحيى وصار فى جملة ابن أبى عمران ثم لحق بزواوة وأقام فى بنى يراتن سنين ثم أجاز الى الاندلس واستقر بمكانه من قومه واصطفاه عثمان بن أبى العلاء وأصهر اليه بابنته وخلطه بنفسه ولما فسد ما بينه وبين ابن المحروق وزير السلطان بغرناطة سنة

سبع وعشرين واعصوصب عليه الغزاة بمعسكرهم من مرج غرناطة ودس اليه يومئذ
ابن المحروق الى يحيى هذا ودعاه الى مكان عمه ليضبطه بذلك فأجاب ونزع عن عثمان
وقومه الى ابن المحروق وسلطانه وعقد له على الغزاة فتمايلوا اليه عن عثمان وانصرف
الى المدية وكان من شأنه ما قصصناه في أخباره وأقام يحيى بن عمر في رياسته الى أن هلك
ابن المحروق بفتكة سلطانه واستدعى عثمان بن أبي العلاء للرياسة فرجع اليها وصرف
يحيى بن عمر الى وادى آش وعقد له على الغزاة بها فأقام حينا ثم رجع الى مكانه بين
قومه واصطفاه عثمان بن أبي العلاء وابنه أبا ثابت لما كانت أمه بنت موسى بن رحو
فكان يتعصب لخؤلته فيه ثم هلك عثمان وكان ما قدمناه من شأن ولده وتحكمهم
بالسلطان المخلوع وتقبض أخوهم أبو الحجاج عليهم وأشخصهم الى افريقية وقوض
مباني رياستهم وعقد على الغزاة مكانهم ليحيى بن عمر هذا فاضطلع بها أحسن اضطلاع
واستمرت حاله وحضر مشاهد أبي الحجاج مع السلطان أبي الحسن فظهرت كفايته وغناؤه
ولما هلك أبو الحجاج سنة خمس وخمسين طعينا بمصلى العيد في آخر سجدة من صلاته
بيد عبد من عبيد اصطبله مصاب في عقله أغرى زعموا به وقتل لحينه هبرا بالسيوف
وبويع لابنه محمد أخذ له البيعة على الناس يومئذ مولاه رضوان من معلوجتهم
حاجب أبيه وعمه وقام بأمره واستبد عليه وحجره فقاسم يحيى بن عمر هذا في شأنه وشاركه
في أمره وشد أزر سلطانه حتى اذا ثار بالحمراء الرئيس ابن عمهم محمد بن اسمعيل بن
الرئيس أبي سعيد قائما بدعوة اسمعيل بن أبي الحجاج أخي السلطان محمد كان ما كنا
بالحمراء وتحينوا لذلك مغيب السلطان في متنزهه بروضة خارج الحمراء فخالفوه اليها
وكبسوها ليلا فقتلوا الحاجب المستبد رضوان وأجلس السلطان على سرير ملكه
ونادوا بالناس الى بيعته ولما أصبح غدا عليهم يحيى بن عمر بعد أن يئسوا منه وخشوا
عاديته فأتاهم ببيعته وأعطى عليها صفقته وانصرف الى منزله وبعد استيلائهم
استخلصوا ادريس بن عثمان بن أبي العلاء كان وصل اليهم من دار الحرب برشلونة
كما نذكره وولوه امارة الغزاة وائتمروا في التقبض على يحيى بن عمر ونذر بذلك فركب في
حاشيته يوم دار الحرب من أرض الجلالقة واتبعه ادريس فيمن اليه من قومه فقاتلهم
صدر نهاره وفض جموعهم ثم خلص الى تخوم النصرانية ولحق منها بسدة ملك المغرب
اثر سلطانه المخلوع محمد بن أبي الحجاج وخلف ابنه أبا سعيد عثمان بدار الحرب ونزل
يومئذ على السلطان أبي سالم سنة احدى وستين فأكرم مثواه وأحله من مجلسه محل
الشورى والمؤامرة واستقر في جملته الى أن بعث ملك قشتالة في السلطان المخلوع
باشارة ابنه أبي سعيد وسعايته في ذلك ليجلب به على أهل الاندلس بما نقضوا من عهده

وجهزه السلطان أبو سالم سنة ثلاث وستين فصحبه يحيى بن عمر هذا ولاقيهم ابنه أبو سعيد عثمان وقاموا بأمر سلطانهم واستولى على الاندلس وكان لهم آثار في ذلك ولما استولى على غرناطة سنة ثلاث وستين عقد ليحيى بن عمر على امارة الغزاة كما كان وأبلى يده واستخلص عثمان لشوراه وخلطه ببطانته ونافسه الوزير يومئذ محمد بن الخطيب فسعى فيهم وأغرى السلطان بهم فتقبض عليهم سنة أربع وستين وأودعهم المطبق ثم أشخص يحيى سنة ست وستين الى المشرق وركب السفن من المرية فنزل بالاسكندرية ورجع منها الى المغرب ونزل على عمر بن عبد الله أيام استبداده واستقر في كرامة وخير مقامة ولم يزل بالمغرب على أعز الاحوال الى أن هلك سنة ثنتين وثمانين ثم استخلص ابنه أبا سعيد عثمان من الاعتقال سنة تسع وستين الى افريقية ونزل ببجاية على مولانا السلطان أبي العباس حافد مولانا السلطان أبي يحيى واستقر في جملته وحضر معه فتح تونس وأبلى فيه وأقطع له السلطان وأسنى له الجراية وخلطه بنفسه واصطفاه لشوراه وخلته وهو لهذا العهد من عظماء مجلسه وظهرائه في مقامات حروبه واخوته بالاندلس على مراكز عزهم وفي ظلال عصبيتهم مع قومهم وقد ذهب مواجد السلطان بالاندلس عليهم وصار الى جميل رأيه منهم والله مالك الملك ومقلب القلوب لا رب غيره

(الخبر عن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء وامارته بالاندلس ومصاير أمره)

لما هلك أبو ثابت بن عثمان بن أبي العلاء سنة خمسين وسبعمائة واستقر اخوته في جملة السلطان أبي عنان ملك المغرب وأقطعهم وأسنى جراياتهم وكان في ادريس منهم بقية الترشيح يراه الناس به فلما نهض السلطان الى فتح قسنطينة سنة ثمان وخمسين توغل في ديار افريقية وخام قومه عن مواقفها تحيلوا عليه في الرجوع به عن قصده منها وأذنت المشيخة لمن معهم من قومهم في الانطلاق الى المغرب حتى خف العسكر من أهله وتآمروا وأزعموا في اغتيال السلطان والادالة منه بادريس هذا ونذر بذلك فكر راجعا كما ذكرناه في أخباره ولما أشيع ذلك ركب ادريس ظهر الغدر وفر من العسكر ليلا ولحق بتونس ونزل على القائم بالدولة يومئذ الحاجب أبي محمد بن تافراكين خير نزل وأبره وركب السفين من تونس الى العدوة فنزل على ابن القمص صاحب برشلونة في حشمه وذويه وأقام هنالك الى ان كان من مهلك رضوان الحاجب المستبد بالاندلس سنة ستين ما قدمناه فنزع الى منبته من غرناطة ونزل على اسمعيل ابن السلطان أبي الحجاج والقائم بدولته يومئذ الرئيس محمد ابن عمه اسمعيل بن محمد الرئيس أبي سعيد فقوه ببرة وتنكر عما ودجوه بالادالة به من يحيى بن عمر أمير الغزاة يومئذ لما كانوا يتهمونه به من عمالأة المخلوع صاحب الامر عليهم ولما نزع يحيى بن عمر الى الطاغية ولحق بدار الحرب

سنة احدى وستين عقد والادريس بن عثمان هذا على الغزاة مكانه وولوه خطة أبيه وأخيه بدولتهم فاضطلع بها ومال الى الرئيس محمد على قتل سلطانه اسمعيل بن الحجاج واستبد بالامر ولسنتين من ولايته غلبه المخلوع أبو عبدالله على الامر وزحف اليه من رندة كان نزل بها بعد خروجه من دار الحرب مغاضبا للطاغية وأذن له وزير المغرب عمر بن عبدالله فى نزولها فنزلها ثم زحف الى الثائر بغرناطة على ملكهم الرئيس وحاشيته فأجفلوا ولحق الرئيس محمد بن ادريس هذا بقشتالة ونزلوا فى جملتهم وحاشيتهم على الطاغية فتقبض عليهم وقتل الرئيس محمد وحاشيته جزاء بما أتوه من غدر رضوان ثم غدر السلطان اسمعيل من بعده وأودع ادريس ومن معه من الغزاة السجن باشبيلية فلم يزل فى أسره الى أن تحيل فى الفرار بداخلة مسلم من الاسرى أعدله فرسا الزاء معتقله ففك قيده ونقب البيت وامتطى فرسه ولحق بأرض المسلمين سنة ست وستين واتبعوه فأعجزهم وجاء الى السلطان أبى عبدالله محمد المخلوع فأكرم نزله وأحسن مثوبته ثم استأذنه فى اللحاق بالمغرب فأذن له وأجاز الى سبتة وبلغ شأنه الى صاحب الامر بالمغرب يومئذ عمر بن عبدالله فأوعز الى صاحب سبتة بالقبض عليه لمكان ترشيحه وأودعه السجن بمكناسة ثم نقله السلطان عبدالعزيز الى سجن الغدر بفاس ثم قتلوه خنقا سنة سبعين والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن امارة على بن بدر الدين على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره)

قد ذكرنا ان موسى بن رحو بن عبدالله بن عبدالحق كان أجاز الى الاندلس مع محمد وعامر ابنى ادريس بن عبدالحق وقومهم أولاد سوط النساء سنة تسع وستين ثم رجع الى المغرب وفر الى تلمسان وأجاز منها الى الاندلس وولى امارة الغزاة بها الى أن هلك بعد أن أصهر اليه السلطان يوسف بن يعقوب فى ابنته فعقد له عليها وزفها اليه سنة تسع وسبعين مع وفد من قومها وكان لموسى بن رحو من الولد جماعة أكبرهم المحمدان جمال الدين وبدر الدين وضع عليهما هذين اللقبين على طريقة أهل المشرق الشريف المكى الوافد على المغرب لذلك العهد من شرفاء مكة وكان هؤلاء الاعياص من ملوكهم وأقيالهم يعظمون أهل البيت النبوى ويلتمسون الدعاء والبركة منهم فيما تيسر من أحوالهم فحمل موسى بن رحو ولديه هذين عند وضعهما الى الشريف يحنكهما ويدعو لهما فقال له الشريف خذ اليك جمال الدين وقال فى الآخر خذ اليك بدر الدين فاستحب موسى دعاءهما بهذين اللقبين تبركا بتسمية الشريف بهما فاشتهرا بهذين الاسمين ولما بلغا الاشد وشاركا أباهما فى حمل الرياسة وكان من مهلكه ماذكرناه وانصرفت رياسة الغزاة عنهما الى عمهما عبدالحق وابنه فلحق جمال

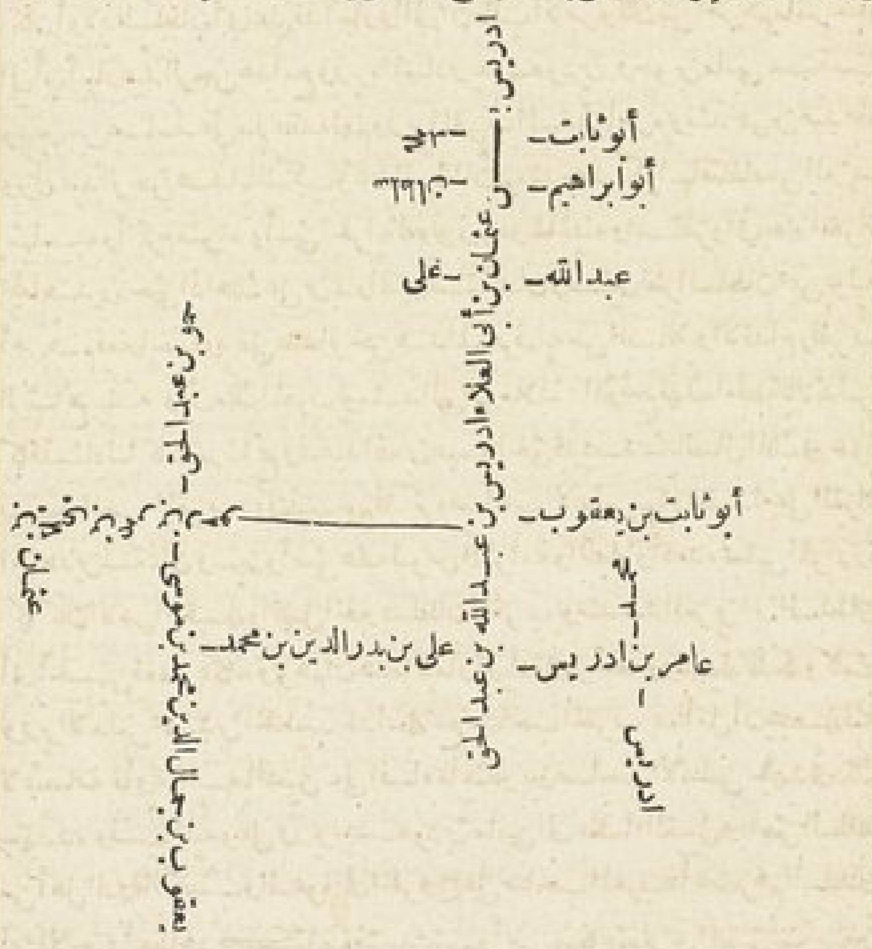
الدين منهما بالطاغية سنة ثلاث ثم أجاز البحر من قرطاجنة الى السلطان يوسف
ابن يعقوب من معسكره من حصار تلمسان واستقر في جملته حتى اذا هلك السلطان
تصدى ابنه أبو سالم للقيام بأمره وكان مغلبا ضعيفا فلم يتم أمره وتناول الملك
أبو ثابت حافد السلطان واستولى عليه وفر أبو سالم عشي مهلكه ومعه من
القرابة جمال الدين هذا وأعمامه العباس وعيسى وعلى بنو رحو بن عبد الله فتقبض
عليهم في طريقهم بمديونة وسيقوا الى السلطان أبي ثابت فقتل عمه أبا سالم وجمال الدين
ابن موسى بن رحو وامتن على الباقين واستحياهم وانصرف السلطان بعدها الى
الاندلس فكانت له في الجهاد آثار كما ذكرناه قبل وأما بدر الدين فلم يزل بالاندلس مع
قومه ومحله من الرياسة والتجلة محله من النسب الى أن هلك فقام بأمره من بعده ابنه
على بن بدر الدين مزاحما لقومه في الرياسة مباهيا في الترشيح وكان كثيرا ما يعقد له ملوك
بنى الاحمر على الغزاة من زناتة المرابطين بالثغور فيما بعد عن الحضرة من قواعد
الاندلس مثل مالقة والمرية ووادى آش سبيل المرشحين من أهل بيته وكانت امارة
الغزاة بالاندلس مستأثرة بأمر السيف مقاسمة للسلطان أكثر الجباية في الاعطية
والارزاق لما كانت الحاجة اليهم في مدافعة العدو ومقارعة ملك المغرب الى ملك
الاندلس يغضون لهم عن استطالتهم عليهم لمكان حاجتهم الى دفاع العدوين حتى اذا
سكن ريح الطاغية بما كان من شغله بفتنة أهل دينه منذ منتصف هذه المائة وشغل
بنو مرين أيضا بعد مهلك السلطان أبي الحسن وتناسوا عهد الغلب على أقتالهم
وجيرانهم وتناسوا عهد ذلك أجمع فاعتزم صاحب الاندلس على محو هذه الخطة من دولته
وأغراه بذلك وزيره ابن الخطيب كما ذكرناه حرصا على خلاء الجو له فتقبض على يحيى
ابن عمر وبنيه سنة أربع وستين كما ذكرناه وعقد على الغزاة المجاهدين لابنه ولى عهده
الامير يوسف ومحا رسم الخطة لبنى مرين بالجملة الى أن توهم فناء الحامية منهم بفناء
بيوت العصبية الكبرى فراجع رأيه في ذلك وكان على بن بدر الدين خالصة له وكان مقدما
على الغزاة بوادى آش ولما لحق السلطان به ناجيا من النكبة ليلة مهلك رضوان
مانع دونه وظاهره على أمره حتى اذا ارتحل الى المغرب ارتحل معه ونزلوا جميعا على
السلطان أبي سالم سنة احدى وستين كما ذكرناه ولما رجع الى الاندلس رجع في جملته
فكان له بذلك عهد وذمة رعاهما السلطان له وكان يستخلصه ويناجيه فلما تفقد مكان
الامير على الغزاة ونظر من يوليه عثر اختياره على هذا لسابقته ووسائله وما تولاه من
نصحه ووقوفه عند حده فعقد له سنة سبع وستين على الغزاة كما كان أولوه فقام بها
واضطلع بأمورها واستمرت حاله الى أن هلك حتف أنفه سنة ثمان وستين ويقى وجه

ربك ذو الجلال والاكرام

الخبر عن امارة عبد الرحمن بن على أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره

كان أولاد السلطان أبى على قد أجازوا الى ان طلب الامر وكان من أمرهم ماشرحناه الى أن أجاز عبد الرحمن هذا مع وزيره المصادر به مسعود بن رحو بن ماسى سنة ست وستين من عساسة على سلم عقده لهم وزير المغرب المستبد بأمره يومئذ عمر بن عبد الله ونزل عبد الرحمن هذا بالمنكب وكان السلطان يومئذ معسكرا بها فتلقاه من البر بما يناسبه وأكرم منواه وأسنى الجراية له ولوزيره ولحاشيته واستقروا فى جملة الغزاة المجاهدين حتى اذا هلك على بن بدر الدين سنة ثمان وستين نظر السلطان فيمن يوليه أمرهم فعثر اختياره على عبد الرحمن هذا لما عرف به من البسالة والاقدام ولقرب الرشائم بينه وبين ملك المغرب يومئذ التى هى ملاك الترشيح لهذه الخطة بالاندلس كما قدمناه لما كانت رشائم ولد عبد الله بن عبد الحق قد بعدت باتصال الملك فى عمود نسب صاحب المغرب دون نسبهم فآثره صاحب الاندلس بها وعقد له على الغزاة المجاهدين سنة ثمان وستين وأضفى عليه لبوس الكرامة والتجلة وأقعده بمجلس الموازرة كما كان الامراء قبله واتصل الخبر بسلطان المغرب يومئذ عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن فغص بمكانه وتوهم أن هذه الامارة زيادة فى ترشيحه ووسيلة لملكه وكانت لوزير الاندلس محمد بن الخطيب مداخلة مع صاحب المغرب بما أمل أن يجعله فئة لاعتصامه فأوعز اليه بالتحيل على افساد ما بينه وبين صاحب الاندلس فجهد فى ذلك جهده ونسب عليه وعلى وزيره مسعود بن ماسى الى عظماء القبيل وبعض البطانة من أهل الدولة التصب والدعوة الى الخروج على صاحب المغرب فأحضرهم السلطان ابن الاحمر وأعطاهم كتابهم فشهد عليهم وأمر بهم فاعتقلوا فى المطبق سنة سبعين واسترضى صاحب المغرب بغفلته فيهم ونزع الوزير ابن الخطيب بعد ذلك الى السلطان عبد العزيز وتبين للسلطان مكره واحتياله عليه فى شأنهم ولما هلك عبد العزيز وأظلم الجو بين صاحب الاندلس وبين القائم بالدولة أبى بكر بن غازى وامتعض ابن الاحمر للمسلمين من الفوضى اطلق عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ووزيره مسعود بن ماسى من الاعتقال وجهز لهما الاسطول فأجازوا فيه الى المغرب ونزلوا بمرسى عساسة على بطوية داعيا لنفسه فقاموا بأمره وكان من شأنه مع الوزير أبى بكر بن غازى ماقصصناه واستقر آخرا بمراكش وتقاسم ممالك المغرب وأعماله مع السلطان أبى العباس احمد بن أبى سالم صاحب المغرب لهذا العهد وصار التخم بينهما وادى ملوية وقف كل واحد

منهما عنده وأغفل صاحب الاندلس هذه الخطة من دولته ومحا رسمها من ملكه وصار أمر الغزاة المجاهدين اليه وباشر أحوالهم بنفسه وعمهم بنظره وخص القرابة المرشحين منهم بمزيد تكرمته وعنايته والامر على ذلك لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء لا رب غيره ولا معبود سواه



* (التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب) *

أصل هذا البيت من اشبيلية انتقل عند الجلاء وغلب ملك الجلالقة ابن أدفونش عليها الى تونس فى اواسط المائة السابعة * (نسبه) * عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون هذا الأذكر من نسبى الى خلدون غير هذه العشرة ويغلب على الظن أنهم أكثر وانه سقط مثلهم عددا لان خلدون هذا هو الداخل الى الاندلس فان كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة فيكونون زهاء العشرين ثلاثة لكل مائة كما تقدم فى أول الكتاب الاول

ونسبنا فى حضرموت من عرب اليمن الى وائل بن حجر من اقيال العرب معروف وله صحبة قال أبو محمد بن حزم فى كتاب الجمهرة هو وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل ابن النعمان بن ربيعة بن الحرث بن عوف بن عدى بن مالك بن شرحبيل بن الحرث ابن مالك بن مرة بن حمير بن زيد بن الحضرمى بن عمر بن عبد الله بن عوف بن جردم بن جرسم ابن عبد شمس بن زيد بن لؤى بن ثبت بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لؤى بن قحطان وابنه علقمة بن وائل وعبد الجبار بن علقمة بن وائل وذكره أبو عمر بن عبد البر فى حرف الواو من الاستيعاب وأنه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وأجلسه عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده الى يوم القيامة وبعث معاوية بن أبى سفيان الى قومه يعلمهم الاسلام والقرآن فكان له بذلك صحابة مع معاوية ووفد عليه لاول خلافته فأجازه فرد عليه جائزته ولم يقبلها ولما كانت وقعة حجر بن عدى بالكوفة اجتمع رؤس أهل اليمن فيهم وائل هذا فكانوا مع زياد بن أبى سفيان عليه حتى أوثقوه وجاؤا به الى معاوية فقتله كما هو معروف وقال ابن حزم ويذكر بنو خلدون الاشبيليون من ولده وجدهم الداخل من المشرق خالد المعروف بخلدون بن عثمان بن هانى بن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل بن حجر قال ابن حزم وأخوه محمد كان من عقبه أبو العاصى عمرو بن محمد بن خالد بن محمد بن خلدون وترك أبو العاصى محمدا وأحمد وعبد الله قال وأخوهم عثمان له عقب ومنهم الحكيم المشهور بالاندلس تلميذ مسلمة المجريطى وهو أبو مسلم عمر بن محمد بن تقى بن عبد الله بن أبى بكر بن خالد بن عثمان بن خلدون الداخل وابن عمه أحمد بن محمد بن عبد الله قال ولم يبق من ولد كريب الرئيس المذكور الا أبو الفضل بن محمد بن خلف بن أحمد بن عبد الله بن كريب انتهى كلام ابن حزم (سلفه بالاندلس) ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا الى الاندلس نزل بقرمونة فى رهط من قومه حضرموت ونشأ بيت بنيه بها ثم انتقل الى اشبيلية وكانوا فى جند اليمن وكان لكريب من عقبه وأخيه خالد الثورة المعروفة باشبيلية أيام الامير عبد الله المروانى ثار على أبى عبدة وملكها من يده أعواما ثم ثار عليه عبد الله بن حجاج باملاء الامير عبد الله وقتله وذلك فى أواخر المائة الثالثة (وتلخيص الخبر عن ثورته) ما نقله ابن سعيد عن الحجارى وابن حيان وغيرهما وينقلونه عن ابن الاشعث مؤرخ اشبيلية أن الاندلس لما اضطرمت بالفتن أيام الامير عبد الله تطاول رؤساء اشبيلية الى الثورة والاستبداد وكان رؤساؤها المتطاولون الى ذلك فى ثلاثة بيوت بيت أبى عبدة ورئيسهم يومئذ أمية بن عبد الغافر بن أبى عبدة وكان عبد الرحمن الداخل ولى اشبيلية وأعمالها أبا عبدة وكان حافده أمية من أعلام الدولة بقرطبة ويولونه الممالك الضخمة

و بيت بنى خلدون ورئيسهم كريت المذكور ويردفه خالد أخوه قال ابن حيان و بيت بنى خلدون الى الآن فى اشبيلية نهاية فى النباهة ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية ثم بيت بنى حجاج ورئيسهم يومئذ عبد الله قال ابن حيان هو من لخم وبيتهم الى الآن فى اشبيلية ثابت الاصل ثابت الفرع موسوم بالرياسة السلطانية والعلمية فلما عظمت الفتنة بالاندلس أعوام الثمانين ومائتين وكان الامير عبد الله قد ولى على اشبيلية أمية بن عبد الغافر وبعث معه ابنه محمدا و جعله فى كفالته فاجتمع هؤلاء النفر وثاروا بمحمد ابن الامير عبد الله و بأمية صاحبهم وهو يمالئهم على ذلك ويكيد بابن الامير عبد الله وحاصروه حتى طلب منهم اللحاق بأبيه فأخرجوه واستبد أمية باشبيلية ودس على عبد الله بن حجاج من قتله وأقام أخاه ابراهيم مكانه وضبط اشبيلية واسترهن أولاد بنى خلدون و بنى حجاج ثم ثاروا به وهم بقتل أبنائهم فراجعوا طاعته وحلفوا له فأطلق أبناءهم فانتقض ثانية وحاربوه فاستمات وقتل حرمه وعقر خيوله وأحرق موجوده وقاتلهم حتى قتلوه مقبلا غير مدبر وعاثت العامة فى رأسه وكتبوا الى الامير عبد الله بأنه خلع فقتلوه فقبل منهم مداراة وبعث عليهم هشام بن عبد الرحمن من قرابته فاستبدوا عليه وفتكوا بابنه وتولى كبر ذلك كريت بن خلدون واستقل بامارتها وكان ابراهيم بن حجاج بعد ما قتل أخوه عبد الله على ما ذكره ابن سعيد عن الحجازى سمت نفسه الى التفرد فصاهر ابن حفصون أعظم ثوار الاندلس يومئذ وكان عالقة وأعمالها الى رندة فكان له منه ردء ثم انصرف الى مداراة كريت بن خلدون وملابسته فردفه فى أمره وأشركه فى سلطانه وكان فى كريت تحامل على الرعية وتعصب فكان يتجهمهم و يغلظ عليهم وابن حجاج يسلك بهم الرفق والتلطف فى الشفقة بهم عنده فانحرفوا عن كريت الى ابراهيم ثم دس الى الامير عبد الله يطلب منه الكتاب بولاية اشبيلية ليسكن اليه العامة فكتب اليه العهد بذلك وأطلع عليه عرفاء البلد مع ما أشربوا من حبه والنفرة عن كريت ثم أجمع الثورة وهاجت العامة بكريت فقتلوه وبعث برأسه الى الامير عبد الله واستقر بامارة اشبيلية قال ابن حيان وحصن مدينة قرمونة من أعظم معاقل الاندلس وجعلها مرتبطا لخيله وكان ينتقل بينها و بين اشبيلية واتخذ الجند ورتبهم طبقات وكان يصانع الامير عبد الله بالاموال والهدايا و بعث اليه المدد فى الطوائف وكان مقصودا ممدحا قصده أهل البيوتات فوصلهم ومدحه الشعراء ومدحه أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد وقصده من بين سائر الثوار فعرف حقه وأعظم جائزته ولم يزل بيت بنى خلدون باشبيلية كما ذكره ابن حيان وابن حزم وغيرهما سائر أيام بنى أمية الى زمان الطوائف وأنمحت عنهم الامارة بما ذهب لهم من الشوكة ولما غلب ابن عباد على

اشبيلية واستبدّ على أهلها استوزر من بني خلدون هؤلاء واستعملهم في رتب دولته وحضروا معه وقعة الجلالقة كانت لابن عباد وليوسف بن تاشفين على ملوك الجلالقة فاستشهد فيها طائفة من بني خلدون هؤلاء في الجولة مع ابن عباد فاستلحموا في ذلك الموقف بما كان الظهور للمسلمين ونصرهم الله على عدوّهم ثم تغلب يوسف بن تاشفين والمرابطون على الاندلس واضمحلت قبائل العرب وفنيت قبائلهم * (سلفه بافريقية) *
ولما استولى الموحدون على الاندلس وملكوها من يد المرابطين وكان ملوكهم عبد المؤمن وبنيه وكان الشيخ أبو حفص كبير هنتاتة زعيم دولتهم وولوه على اشبيلية وغرب الاندلس مرارا ثم ولوا ابنه عبد الواحد عليها في بعض أيامهم ثم ابنه أبا زكريا كذلك فكان لسلفنا باشبيلية اتصال بهم وأهدى بعض أجدادنا من قبل الامهات ويعرف بالمحتسب للامير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص أيام ولايته عليهم جارية من سبي الجلالقة اتخذها أم ولد وكان له منها ابنه أبو زكريا يحيى ولي عهده الهالك في أيامه وأخواه عمر وأبو بكر وكانت تلقب أم الخلفاء ثم انتقل الامير أبو زكريا الى ولاية افريقية سنة عشرين وستمائة ودعا لنفسه بها وخلع دعوة بني عبد المؤمن سنة خمس وعشرين واستبد بافريقية وانتقضت دولة الموحدين بالاندلس وثار عليهم ابن هود ثم هلك واضطربت الاندلس وتكالبت الطاغية عليها وتردد الغزو الى الفرنتيرة بسيط قرطبة واشبيلية الى جيان وثار ابن الاحمر من غرب الاندلس من حصن أرجونة يرجو التماسك بما بقي من الاندلس وفاوض أهل الشورى يومئذ باشبيلية وهم بنو الباجي وبنو الجد وبنو الوزير وبنو سيد الناس وبنو خلدون وداخلهم في الثورة على ابن هود وأن يتجافوا عن الطاغية عن الفرنتيرة ويتمسكوا بالجبال الساحلية وأمصارها المتوعرة من مالقة الى غرناطة الى المرية فلم يوافقوه على بلادهم وكان مقدمهم أبو مروان الباجي فنابذهم ابن الاحمر وخلع طاعة الباجي وبايع مرة لابن هود ومرة لصاحب مراكش من بني عبد المؤمن ومرة للامير أبي زكريا صاحب افريقية ونازل غرناطة واتخذها دار ملكه وبقيت الفرنتيرة وأمصارها ضاحية من ظل الملك فخشي بنو خلدون سوء العاقبة من الطاغية وارتحلوا من اشبيلية ونزلوا سبتة وأجلب الطاغية على تلك الثغور فملك قرطبة واشبيلية وقرمونة وجيان وما اليها في مدة عشرين سنة ولما نزل بنو خلدون بسبتة أصهر اليهم العزفي بابنائه وبناته فاختلط بهم وكان له معهم صهر مذكور وكان جدنا الحسن بن محمد وهو سبط ابن المحتسب قد أجاز فيمن أجاز اليهم فذكروا سوابق سلفه عند الامير أبي زكريا فقصده وقدم عليه فأكرم قدومه وارتحل الى المشرق فقضى فرضه ثم رجع ولحق بالامير أبي زكريا على بونة فأكرمه واستقر في ظل دولته ومرعى

نعمته

نعمته وفرض له الارزاق وأقطع الاقطاع وهلك هنالك فدفن بتونس سنة سبع وأربعين
وولي ابنه المستنصر محمد فأجرى جدنا أبا بكر على ما كان لابيه ثم ضرب الدهر ضرباته
وهلك المستنصر سنة خمس وسبعين وولي ابنه يحيى وجاء أخوه الامير أبو اسحق من
الاندلس بعد أن كان فر اليها امام أخيه المستنصر فخلع يحيى واستقل هو بملك افريقية
ودفع جدنا أبا بكر محمدا على عمل الاشغال في الدولة على سنن عظماء الدولة الموحدين فيها
قبله من الانفراد بولاية العمال وعزلهم وحسبانهم على الجباية فاضطلع بتلك الرتبة ثم
عقد السلطان أبو اسحق لابنه محمد وهو جدنا الاقرب على حجابة ولي عهده ابنه أبي
فارس أيام أن اقصاه الى بجاية ثم استعفى جدنا من ذلك فأعفاه ورجع الى الحضرة ولما
غلب الدعي بن أبي عمارة على ملكهم بتونس اعتقل جدنا أبا بكر محمدا وصادره على
الاموال ثم قتله خنقا في محبسه وذهب ابنه محمد جدنا الاقرب مع السلطان أبي اسحق
وأبنائه الى بجاية فتقبض عليه ابنه أبو فارس وخرج مع العساكر هو واخوته لمدافعة
الدعي بن أبي عمارة وهو يشبه بالفضل بن المخلوع حتى اذا استلحموا بمرماجنة خلص
جدنا محمد مع أبي حفص ابن الامير أبي زكريا من الملحمة ومعهما الفازازى وأبو الحسن
ابن سيد الناس فاستنكف من ايثار الفازازى ولما استولى أبو حفص على الامور رعى
له سابقته وأقطعه ونظمه في جملة القواد ومراتب الحروب واستكفى به في الكثير من
أمر ملكه ورشحه لحجابته من بعد الفازازى وهلك فكان من بعده حافد أخيه المستنصر
أبو عصيدة واصطفى لحجابته محمد بن ابراهيم الدباغ كاتب الفازازى وجعل محمد بن
خلدون رديفا له في حجابته فكان كذلك الى أن هلك السلطان وجاءت دولة الامير خالد
فأبقاه على حاله من التجلة والكرامة ولم يستعمله ولا عقد له الى أن كانت دولة أبي يحيى
ابن اللحياني فاصطنعه واستكفى به عندما تبضت عروق التغلب من العرب ودفعه الى
حماية الجزيرة من لاج احدى بطون سليم الموطنين بنواحيها فكانت له في ذلك آثار
مذكورة ولما انقرضت دولة ابن اللحياني خرج الى الشرق وقضى فرضه سنة ثمان عشرة
وأظهر التوبة والاقلاع وعاود الحج متنفلا سنة ثلاث وعشرين ولزم كسر بيته وأبقى
السلطان أبو يحيى عليه نعمته في كثير مما كان بيده من الاقطاع والجراية ودعاه الى
حجابته مرارا فامتنع (أخبرني) محمد بن منصور بن مزنى قال لما هلك الحاجب بن محمد
ابن عبد العزيز الكردى المعروف بالمزوار سنة سبع وعشرين وسبعمائة استدعى
السلطان جدك محمد بن خلدون وأراده على الحجابة وأن يفوض اليه أمره فأبى واستعفى
فأعفاه وآمره فيمن يوليه حجابته فأشار عليه بصاحب ثغر بجاية محمد بن أبي الحسن بن
سيد الناس لاستحقاقه ذلك بكفايته واضطلاعه ولقديم صحابة بين سلفهما بتونس

واشبيلية من قبل وقال له هو أقدر على ذلك بما هو عليه من الحاشية والدين فعمل السلطان على اشارته واستدعى ابن سيد الناس وولاه حجابته وكان السلطان أبو يحيى اذا خرج من تونس يستعمل جدنا محمدا عليها وثوقا بنظره الى أن هلك سنة سبع وثلاثين ونزع ابنه وهو والدي محمد بن أبي بكر عن طريقة السيف والخدمة الى طريقة العلم والرباط لما نشأ عليه في حجر أبي عبد الله الزبيدي الشهير بالفقيه كان كبير تونس لعهده في العلم والفتيا وانتحال طرق الولاية التي ورثها عن أبي حسين وعمه حسن الوليين الشهيرين وكان جدنا رحمه الله قد لازمه من يوم نزوعه عن طريقه وألزمه ابنه وهو والدي رحمه الله فقرأ وتفقه وكان مقدما في صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه عهدي بأهل البلد يتحاكمون اليه فيه ويعرضون عليه وهلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة * (أما نشأتي) * فاني ولدت بتونس في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وربيت في حجر والدي رحمه الله الى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الاستاذ أبي عبد الله محمد بن نزال الانصاري أصله من جالية الاندلس من أعمال بلنسية أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها وكان اماما في القرا آت وكان من أشهر شيوخه في القرا آت السبع أبو العباس أحمد بن البطوي ومشيخته فيها وأسانيده معروفة وبعد أن استظهرت القرآن العظيم عن حفظي قرأته عليه بالقرا آت السبع المشهورة افرادا وجمعا في احدى وعشرين ختمة ثم جمعتها في ختمة واحدة أخرى ثم قرأت برواية يعقوب ختمة واحدة جمعا بين الروايتين عنه وعرضت عليه رحمه الله قصيدة الشاطبي اللامية في القرا آت والرائية في الرسم وأخبرني بهما عن الاستاذ أبي عبد الله البطوي وغيره من شيوخه وعرضت عليه كتاب التقصي لاحاديث الموطا لابن عبد البر حذا به حذو كتابه التمهيد على الموطا مقتصرا على الاحاديث فقط ودرست عليه كتبا جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الحاجب في الفقه ولم أكملهما بالحفظ وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي وعلى أساتذة تونس منهم الشيخ أبو عبد الله محمد العربي الحصايري وكان اماما في النحو وله شرح مستوف على كتاب التسهيل ومنهم أبو عبد الله محمد الشواش الزرزالي ومنهم أبو العباس أحمد بن القصار كان ممتعا في صناعة النحو وله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي وهو حي لهذا العهد بتونس ومنهم امام العربية والادب بتونس أبو عبد الله محمد بن بحر لازمت مجلسه وافدت عليه وكان بحرا زاخرا في علوم اللسان وأشار علي بحفظ الشعر فحفظت كتب الاشعار الستة والحماسة للاعلم وشعر وطائفة من شعر المتنبي ومن أشعار كتاب الاغاني ولازمت أيضا مجلس امام المحدثين بتونس شمس

بياض بالأصل

الدين

الدين أبي عبد الله محمد بن جابر صاحب الرحلتين وسمعت عليه كتاب مسلم بن الحجاج وسمعت عليه كتاب الموطا من أوّله الى آخره وبعضا من الامّهات الخمس وناولني كتبا كثيرة في العربية والفقه وأجازني اجازة عامّة وأخبرني عن مشايخه المذكورين أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن الغماز الخزرجي وأخذت الفقه بتونس عن جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وأبو القاسم محمد القصير قرأت عليه كتاب التهذيب لابي سعيد البرادعي مختصر المدوّنة وكتاب المالكية وتفقهت عليه وكنت في خلال ذلك انتاب مجلس شيخنا الامام قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام مع أخي عمر رحمة الله عليهما وأفدت منه وسمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطا للامام مالك وكانت له طرق عالية عن أبي محمد بن هرون الطائي قبل اختلاطه الى غير هؤلاء من مشيخة تونس وكلهم سمعت عليه وكتب لي وأجازني ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف وكان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن عندما ملك افريقية سنة ثمان وأربعين جماعة من أهل العلم كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه فمنهم شيخ الفتيا بالمغرب وامام مذهب مالك أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي فكنت انتاب مجلسه وأفدت عليه ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن وصاحب علامته التي توضع أسفل مكتوباته امام المحدّثين أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي لازمته وأخذت عنه سماعا واجازة الامّهات وكتاب الموطا والسير لابن اسحق وكتاب ابن الصلاح في الحديث وكتبا كثيرة شرّدت عن حفظي وكانت بضاعته في الحديث والفقه والعربية والادب والمعقول وسائر الفنون مضبوطة كلها مقابلة ولا يخلو ديوان منها عن ضبط بخط بعض شيوخه المعروفين في سنده الى مؤلفه حتى الفقه والعربية الغريبة الاسناد الى مؤلفها في هذه العصور ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي امام المغرب قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع الكبير بين القراآت السبع من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح لم أكملها وسمعت عليه عدّة كتب وأجازني بالاجازة العامّة ومنهم شيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم الابلي أصله من تلمسان وبها نشأ وقرأ كتب التعليم وحذق فيه وصله الحصار الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة فخرج منها وحج ولقي اعلام المشرق يومئذ فلم يأخذ عنهم لانه كان مختلطا بعارض عرض في عقله ثم رجع من المشرق وأفاق وقرأ المنطق والاصلين على الشيخ أبي موسى عيسى ابن الامام وكان قرأ بتونس مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن على تلميذ أبي زيتون الشهير الذكر وجاآ الى تلمسان بعلم كثير من المنقول والمعقول فقرأ الابلي على أبي موسى منهما كما قلناه ثم خرج من تلمسان هاربا

الى المغرب لان سلطانها أبا حمو يومئذ من ولد يغمراسن بن زيان كان يكرهه على التصرف فى أعماله وضبط الجباية بحسبانه ففر الى المغرب ولحق بمراكش ولازم العالم الشهير الذكر أبا العباس بن البناء فحصل عنه سائر العلوم العقلية وورث مقامه فيها ثم صعد الى جبل الهساكرة بعد وفاة الشيخ باستدعاء على بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه فأفاده وبعد أعوام استنزله ملك المغرب السلطان أبو سعيد وأسكنه بالبلد الجديد معه ثم اختصه السلطان أبو الحسن ونظمه فى جملة العلماء بمجلسه وهو فى خلال ذلك يعلم العلوم العقلية ويبثها بين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصاره وألحق الاصاغر بالاكابر فى تعليمه ولما قدم على تونس فى جملة السلطان أبى الحسن لزمته وأخذت عنه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية وكان رحمه الله تعالى يشهد لى بالتبريز فى ذلك وممن قدم فى جملة السلطان أبى الحسن صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقى كان يكتب عن السلطان ويلازم خدمة أبى محمد عبد الله رئيس الكتاب يومئذ وصاحب العلامة التى توضع عن السلطان أسفل المراسم والمخاطبات وبعضها يضعه السلطان بخطه وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب فى براعة خطه وكثرة علمه وحسن سمته واجادته فى فقه الوثائق والبلاغة فى الترسيل عن السلطان وحوك الشعر والخطابة على المنابر لانه كان كثيرا ما يصلى بالسلطان فلما قدم علينا بتونس صحبته واغتبطت به وان لم أتخذه شيخا لمقاربة السن فقد أفدت منه كما أفدت منهم وقد مدحه صاحبنا أبو القاسم الرحوى شاعر تونس فى قصيدة على روى النون يرغب منه أن يذكره لشيخه أبى محمد عبد المهيمن فى ايصال مدحه للسلطان أبى الحسن فى قصيدة على روى الباء وقد تقدم ذكرها فى أخبار السلطان وذكر فى مدح ابن رضوان أعلام العلماء القادمين مع السلطان وهى هذه

عرفت زمانى حين أنكرت عرفانى • وأيقنت أن لا حظ فى كف كيوان
وأن لا اختيار فى اختيار مقوّم • وان لا اقتراع بالقران لاقران
وان نظام الشكل أكمل نظمه • لاضعاف قاض فى الدليل برجحان
وان افتقار المرء من نقرانه • ومن نقله يغنى اللبيب بأوزان

الى آخرها ثم يقول فى ذكر العلماء القادمين

هم القوم كل القوم أما حلومهم • فأرجح من طودى ثبير وثهلان
فلا طيش يعلوهم وأما علومهم • فأعلامها تهديك من غير نيران

ثم يقول فى آخرها

وهامت على عبد المهيمن تونس * وقد ظفرت منه بوصل وقربان
وما علقت منى الضمائر غيره * وان هويت كلا بحب ابن رضوان

وكتب هذا الشاعر صاحبنا الرحوى يذكر عبد المهيمن بذلك

لهى النفس باكتساب وسعى * وهو العمر فى انتهاب وفى
وأرى الناس بين ساع لرشد * يتوخى الهدى وساع لغى
وأرى العلم للبرية زينا * فتزيا منه بأحسن زى
وأرى الفضل قد تجمع كلا * فى ابن عبد المهيمن الحضرمى

ثم يقول فى آخرها

يبتغى القرب من مراقى الامانى * والترقى للجانب العلوى
فأنلها مرامها مستهلا * كل دان يسعى وكل قصى

ثم كانت واقعة العرب على السلطان بالقيروان فاتح تسع وأربعين فشغلوا عن ذلك ولم يظفر هذا الرحوى بطلبته ثم جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه وهلك عبد المهيمن فيمن هلك ودفن بمقبرة سلفنا بتونس لخلة كانت بينه وبين والدى رحمه الله أيام قدومهم علينا فلما كانت وقعة القيروان ثار أهل تونس بمن كان عندهم من أشياع السلطان أبى الحسن فاعتصموا بالقصبة دار الملك حيث كان ولد السلطان وأهله وانتقض عليه ابن تافراكين وخرج من القيروان الى العرب وهم يحاصرون السلطان وقد اجتمعوا على أبى دبوس وبايعوا له كما مر فى أخبار السلطان فبعثوا ابن تافراكين الى تونس فحاصر القصبة وامتنعت عليه وكان عبد المهيمن يوم ثورة تونس وقد سمع الهيعة خرج من بيته الى دارنا فاختفى عند أبى رحمه الله وأقام مختفيا عندنا نحوا من ثلاثة أشهر ثم نجا السلطان من القيروان الى سوسة وركب البحر الى تونس وفر ابن تافراكين الى المشرق وخرج عبد المهيمن من الاختفاء وأعاده السلطان الى ما كان عليه من وظيفة الولاية والكتابة وكان كثيرا ما يخاطب والدى رحمه الله ويشكره على موالاته ومما كتب اليه وحفظته من خطه

محمد ذو المكارم قد ثنانى * فعال شكره أبدا عنانى
جزى الله ابن خلدون حياة * منعمة وخلدا فى الجنان
فكم أولى ووالى من جميل * وبر بالفعال وباللسان
وراعى الحضرمية فى الذى قد * جنى من ود مورد الجنان
أبا بكر ثناؤك طول دهرى * أردد باللسان وبالجنان
وعن علياك ما امتدت حياتى * أكافح بالحسام وباللسان

فنك أفدت خلال ست دهرى • أراعى حبه أثنى عنانى

وهؤلاء الاعلام الذين ذكرهم الرحوى فى شعره هم سباق الحلبة فى مجلس السلطان أبى الحسن اصطفاهم لصحابته من أهل المغرب فأما ابنا الامام منهم فكانا اخوين من أهل برشك من أعمال تلمسان واسم أكبرهم أبو زيد عبد الرحمن والاصغر أبو موسى عيسى وكان أبوهما اماما ببعض مساجد برشك واتهمه المتغلب يومئذ على البلد زيرم بن حماد بأن عنده وديعة من المال لبعض أعدائه فطالبه بها ولاذ بالامتناع وبيته زيرم لينتزع المال من يده فدافعه وقتل وارتحل ابناه هذان الاخوان الى تونس فى آخر المائة السابعة وأخذا العلم بها عن تلميذ ابن زيتون وتفقها على أصحاب أبى عبد الله بن شعيب الدكالى وانقلبا الى المغرب بحظ وافر من العلم وأقاما بالجزائر يبثان العلم بها لامتناع برشك عليهما من أجل زيرم المتغلب عليها والسلطان أبو يعقوب يومئذ صاحب المغرب الاقصى من بنى مرين جاثم على تلمسان يحاصرها الحصار الطويل المشهور وبث بها جيوشه فى نواحيها وغلب على الكثير من أعمالها وأمصارها وملك عمل مغراوة بشلف وحصر مليانة بعث اليها الحسن بن أبى الطلاق من بنى عسكر وعلى ابن محمد بن الخير من بنى ورتاجن ومعهما الضبط الجباية واستخلاص الاموال الكاتب منديل بن محمد الكنانى فارتحل هذان الاخوان من الجزائر وأخذا عليه فلما بعين منديل الكنانى فقربهما واصطفاهما واتخذهما لتعليم ولده محمد فلما هلك يوسف بن يعقوب سلطان المغرب بمكانه من حصار تلمسان سنة خمس وسبعمائة على يد خصى من خصيانه طعنه فأشواه وهلك وأقام بالملك بعده حافده أبو ثابت بعد أمور ذكرناها فى أخباره ووقع بينه وبين صاحب تلمسان من بعده يومئذ أبى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن وأخيه أبى حمو العهد المتأكد على الافراج عن تلمسان ورد أعمالها عليه فوفى لهم بذلك وعاد الى المغرب وارتحل ابن أبى الطلاق من شلف والكنانى من مليانة راجعين الى المغرب ومروا بتلمسان فأوصى لهما أبو حمو وأثنى عليهما احلة بمقامهما فى العلم واغتبط بهما أبو حمو وبنى لهما المدرسة المعروفة بهما وأقاما عنده على مجرى أهل العلم وهلك أبو حمو وكانا كذلك مع ابنه أبى تاشفين الى أن زحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان وملكها عنوة سنة سبع وثلاثين وكانت لهما شهرة فى أقطار المغرب أست لهما عقيدة صالحة فاستدعاهما لحين دخوله وأدنى مجلسهما وشاد بتكرمتهما ورفع جاههما على أهل طبقتهما وصار يجمل بهما مجلسه متى مر بتلمسان ووفدا عليه فى الاولى التى نفر فيها اعيان بلادهما ثم استنفرهما الى الغزو وحضرا معه واقعة طريف وعادا الى بلدهما وتوفى أبو زيد منهما اثر ذلك وبقى أخوه موسى متبوئا ما شاء من ظلال

تلك الكرامة ولما سار السلطان أبو الحسن الى افريقية سنة ثمان وأربعين كما مرّ فى أخباره استصحب أبا موسى بن الامام معه مكرما موقرا عالى المحل قريب المجلس منه فلما استولى على افريقية سرحه الى بلده فأقام بها يسيرا وهلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وبقى أعقابهما بتلمسان دارجين فى مسالك تلك الكرامة موقرين فيها طبقا على طبق الى هذا العهد وأما السطى واسمه محمد بن سليمان من قبيلة سطة من بطون أوربة بنواحى فاس فنزل أبوه سليمان مدينة فاس ونشأ محمد فيها وأخذ العلم عن الشيخ أبى الحسن الصغير امام المالكية بالمغرب والطائر الذكر وقاضى الجماعة بفاس وتفقه وقرأ عليه وكان أحفظ الناس لمذهب مالك وأفقههم فيه وكان السلطان أبو الحسن لعظم همته وبعد شأوه فى الفضل يتشوف الى تزيين مجلسه بالعلماء واختار منهم جماعة اصطفاهم لمجالسته كان منهم هذا الامام محمد بن سليمان وقدم علينا بتونس فى جملته وشهدنا وفور فضله وكان فى الفقه من بينهم لا يجارى حفظا وفهما عهدى به رحمه الله تعالى وأخى موسى يقرأ عليه كتاب التبصرة لابى الحسن اللخمى وهو يصححه عليه من املائه وحفظه فى مجالس عديدة وكان هذا حاله فى أكثر ما يعانى فى جملة من الكتب وحضر مع السلطان أبى الحسن واقعة القيروان وخلص معه الى تونس وأقام بها نحوا من سنتين وانتقض المغرب على السلطان واستقل به ابنه أبو عنان ثم ركب السلطان أبو الحسن فى أساطيله من تونس آخر سنة خمسين ومر ببجاية فأدركه الغرق فى سواحلها فغرقت أساطيله وغرق أهلها وأكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم ورمى به البحر ببعض الجزر هنالك حتى استنقذه منها بعض أساطيله ونجا الى الجزائر بعد أن تلف موجوده والكثير من عياله وأصحابه وكان من أمره ما مرّ فى أخباره وأما الآبلى واسمه محمد بن ابراهيم فنشؤه بتلمسان وأصله من جالية الاندلس من أهل آيلة من بلد الجوف منها أجاز أبيه وعمه أحمد فاستخدمهم يغمراسن ابن زيان وولده فى جندهم وأصهر ابراهيم منهما الى القاضى بتلمسان محمد بن غلبون فى ابنته فولدت له محمدا هذا ونشأ بتلمسان فى كفالة جده القاضى فنشأ له بذلك ميل الى انتحال العلم عن الجندية التى كانت منتحل أبيه وعمه فلما أيفع وأدرك سبق الى ذهنه محبة التعاليم فبرز بها واشتهر وعكف الناس عليه فى تعلمها وهذا فى سن البلوغ ثم أظل السلطان يوسف بن يعقوب وخيم عليها محاصرها وسير العساكر الى الاعمال فافتتح أكثرها وكان ابراهيم الآبلى قائدا بهنين مرسى تلمسان فى لبة من البحر فلما ملكها يوسف بن يعقوب اعتقل من وجد بها من أشياع بنى عبد الواد واعتقل ابراهيم الآبلى وشاع الخبر فى تلمسان بأن يوسف بن يعقوب يسترهن أبناءهم

ويطلقهم فتشوف ابنه محمد الى اللحاق بهم من أجل ذلك وأغراه أهله بالعزم عليه فتسور
الاسوار وخرج الى أبيه فلم يجد خبر الاسترهان صحيحا واستخدمه يوسف ابن يعقوب قائدا
الى الجند الاندلسيين بتاوريرت فكره المقام على ذلك ونزع عن طوره ولبس
المسوح وسار قاصدا الى الحج وانتهى الى رباط العباد مختفيا فى صحبة الفقراء فوجد
هنالك رئيسا من أهل كربلا من بنى الحسين جاء الى المغرب يروم اقامة دعوته فيه وكان
مغفلا فلما رأى عساكر يوسف بن يعقوب وشدة غلبه أيس من مرامه ونزع عن ذلك
واعتزم على الرجوع الى بلده فسار شيخنا محمد بن ابراهيم فى جملته قال رحمه الله وبعد
حين انكشف لى حاله وما جاء له واندرجت فى جملته وأصحابه وتابعيه قال وكان يتلقاه
فى كل بلد من أصحابه وأشياعه وخدمه من يأتيه بالازواد والنفقات من بلده الى أن
ركبنا البحر من تونس الى الاسكندرية قال واشتدت علىّ الغلمة فى البحر واستحييت من
كثرة الاغتسال لمكان هذا الرئيس فأشار علىّ بعض بطانته بشرب الكافور
فاغترفت منه غرفة فشربتها فاختلطت وقدم الديار المصرية على تلك الحال وبها
يومئذ تقىّ الدين بن دقيق العيد وابن الرفعة وصفى الدين الهندى والتبريزى وغيرهم
من فرسان المعقول والمنقول فلم يكن قصاراه الاتمييز أشخاصهم اذا ذكرهم لنا لما كان به
من الاختلاط ثم حج مع ذلك الرئيس وسار فى جملته الى كربلا فبعث به من أصحابه من
أوصله الى مأمنه ببلاد زواوة من أطراف المغرب وقال لى شيخنا رحمه الله كان معى
دنانير كثيرة تزودتها من المغرب واستبطنتها فى جبة كنت ألبسها فلما نزل بى ما نزل
انتزعها منى حتى اذا بعث أصحابه يشيعونى الى المغرب دفعها اليهم حتى اذا أوصلونى الى
المأمن أعطونى اياها وأشهدوا علىّ فى كتاب جاؤا معهم اليه كما أمرهم ثم قارن وصول
شيخنا الى المغرب مهلك يوسف بن يعقوب وخلاص أهل تلمسان من الحصار فعاد الى
تلمسان وقد أفاق من اختلاطه وانبعثت همته الى تعلم العلم وكان مائلا الى العقليات
فقرأ المنطق على أبى موسى بن الامام وجملة من الاصلين وكان أبو حمو صاحب تلمسان
قد استفحل ملكه وكان ضابطا للامور وبلغه عن شيخنا تقدمه فى علم الحساب فدفعه
الى ضبط أمواله ومشارفة أعماله وتفادى شيخنا من ذلك فأكرهه عليه فأعمل الحيلة
فى الخلاص منه ولحق بفاس أيام السلطان أبى الربيع وبعث فيه أبو حمو فاختفى بفاس
للتعاليم من اليهودى خليفة المغيلى فاستوفى عليه فنونها وحذق وخرج متواريا من
فاس فلحق بمراكش أيام عشر وسبعمائة ونزل على الامام أبى العباس ابن البناء شيخ
المعقول والمنقول والمبرز فى التصوف علما وحالا فلازمه وأخذ عنه وتضلع فى علم المعقول
والتعاليم والحكمة ثم استدعاه شيخ الهساكرة على بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه

وكان فى طاعة السلطان فدخل اليه شيخنا وأقام عنده مدة قرأ عليه فيها وحصل واجتمع طلبة العلم هنالك على الشيخ فكثرت افادته واستفادته وعلى ابن محمد فى ذلك على محبته وتعظيمه وامتثال اشارته فغلب على هواه وعظمت رياسته فى تلك القبائل ولما استنزل السلطان أبو سعيد على بن تروميت من جبله نزل الشيخ معه وسكن بفاس واشال عليه طلبة العلم من كل ناحية فانتشر علمه واشتهر ذكره فلما فتح السلطان أبو الحسن تلمسان ولقى أباموسى ابن الامام ذكره له باطيب الذكر ووصفه بالتقدم فى العلوم وكان السلطان معتنيا بجمع العلماء بمجلسه كما ذكرناه فاستدعاه من مكانه بفاس ونظمه فى طبقة العلماء بمجلسه وعكف على التدريس والتعليم ولزم صحابة السلطان وحضر معه واقعة طريف وواقعة القيروان بافريقية وكانت قد حصلت بينه وبين والدى رحمه الله خلة كانت وسيلتى اليه فى القراءة عليه فلزمت مجلسه وأخذت عنه العلوم العقلية بالتعاليم ثم قرأت المنطق والاصلين وعلوم الحكمة وعرض أثناء ذلك ركوب السلطان أساطيله من تونس الى المغرب وكان الشيخ فى نزلنا وكفالتنا فأشرت عليه بالمقام وثبطناه عن السفر فقبل وأقام وطالبنا به السلطان أبو الحسن فأحسنا به العذر فتجافى عنه وكان من حديث غرقه فى البحر ما قدمناه وأقام الشيخ بتونس ونحن وأهل بلدنا جميعا نتساجل فى غشيان مجلسه والاخذ عنه فلما هلك السلطان أبو الحسن بجبل هنتانة وفرغ ابنه أبو عنان من شواغله وملك تلمسان من بنى عبد الواد كتب فيه يطلبه من صاحب تونس وسلطانها يومئذ أبو اسحق ابراهيم ابن يحيى فى كفالة شيخ الموحدين بن تافراكين فأسلمه الى سفيره وركب معه البحر فى أسطول أبى عنان الذى جاء فيه السفير ومر ببجاية ودخلها وأقام بها اشهرا حتى قرأ عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه برغبتهم فى ذلك منه ومن صاحب الاسطول ثم ارتحل ونزل بمرسى هنين وقدم على أبى عنان بتلمسان وأحله محل التكرمة ونظمه فى طبقة أشياخه من العلماء وكان يقرأ عليه ويأخذ عنه الى أن هلك بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأخبرنى رحمه الله أن مولده بتلمسان سنة احدى وثمانين وستمائة (وأما عبد المهيمن) كاتب السلطان أبى الحسن فأصله من سبتة وبيتهم بها قديم ويعرفون ببنى عبد المهيمن وكان أبوه محمد قاضيها أيام بنى العزفى ونشأ ابنه عبد المهيمن فى كفالته وأخذ عن مشيختها واختص بالاستاذ أبى اسحق الغافقى ولما ملك عليهم الرئيس أبو سعيد صاحب الاندلس سبتة ونقل بنى العزفى مع جملة أعيانها الى غرناطة ونقل معهم محمد بن عبد المهيمن استكمل قراءة العلم هنالك وقرأ على مشيختها ابن الزبير ونظرائه وتقدم فى معرفة كتاب سيبويه وبرز فى علو الاسناد وكثرة المشيخة

وكتب له أهل المغرب والاندلس واستكتبه رئيس الاندلس يومئذ الوزير أبو عبد الله ابن الحكيم الرندى المستبد على السلطان المخلوع ابن الاحمر فكتب عنه ونظمه فى طبقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه مثل المحدث أبى عبد الله بن سيد الفهرى وأبى العباس أحمد العزفى والعالم الصوفى المتجرد أبى عبد الله محمد بن خميس التلمسانى وكانا الايجار بان فى البلاغة والشعر الى غير هؤلاء ممن كان مختصا به وقد ذكرهم ابن الخطيب فى تاريخ غرناطة فلما نكب الوزير ابن الحكيم وعادت سبتة الى طاعة بنى مرين عاد عبد المهيمن اليها واستقر بها ثم ولى الامر أبو سعيد وغلب عليه ابنه أبو على واستبد بحمل الدولة تشوف الى استدعاء الفضلاء وتجمل بمكانهم فاستقدم عبد المهيمن من سبتة واستكتبه سنة ثنتى عشرة ثم خالف على أبيه سنة أربع عشرة وامتنع بالبلد الجديد وخرج منها الى سجلماسة لصلح عقده مع أبيه فتمسك السلطان أبو سعيد بعبد المهيمن واتخذه كاتبا الى أن دفعه الى رياسة الكتاب ورسم علامته فى الرسائل والاوامر فتقدم لذلك سنة ثمان عشرة ولم يزل عليها سائر أيام السلطان أبى سعيد وابنه أبى الحسن وسار مع أبى الحسن الى افريقية وتخلف عن واقعة القيروان لما كان به من علة النقرس فلما كانت الهيعة بتونس ووصل خبر الواقعة وتحيز أولياء السلطان الى القصبة مع حرمه تسرب عبد المهيمن فى المدينة متنبذا عنهم وتوارى فى بيتنا خشية أن يصاب معهم بمكروه فلما انجلت تلك الغيابة ورجع السلطان من القيروان الى سوسة وركب منها البحر الى تونس أعرض عن عبد المهيمن لما سخط غيبته عن قومه بالقصبة وجعل العلامة لابى الفضل ابن الرئيس عبد الله بن أبى مدين وقد كانت من قبل مقصورة على هذا البيت وأقام عبد المهيمن عطلا من العمل شهرا ثم اعتبر السلطان ورضى عنه ورد اليه العلامة كما كان ثم توفى لايام قلائل بتونس بالطاعون الجارف سنة تسع وأربعين ومولده سنة خمس وسبعين من المائة قبلها وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به فى تاريخ غرناطة فليطالع هنالك من أحب الوقوف عليه (وأما ابن رضوان) الذى ذكره الرحوى فى قصيدته فهو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخارى أصله من الاندلس نشأ بمالقة وأخذ عن مشيختها وحذق فى العربية والادب وتفنن فى العلوم ونظم ونثر وكان مجيدا فى الترسيل ومحسنا فى كتابة الوثائق وارتحل بعد واقعة طريف ونزل سبتة ولقى بها السلطان أبا الحسن ومدحه وأجازه واختص بالقاضى ابراهيم بن يحيى وهو يومئذ قاضى العساكر وخطيب السلطان وكان يستنيبه فى القضاء والخطابة ثم نظمه فى جملة الكتاب بباب السلطان واختص بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب والاخذ عنه الى أن رحل السلطان الى افريقية وكانت واقعة القيروان والحصر

بالقصبة

بالقصبة بتونس مع من انحصر بها من أشياعه مع أهله وحرمه وكان السلطان قد خلف ابن رضوان فى بعض خدمته فخلا عند الحصار فيما عرض لهم من المكاتبات وتولى كبر ذلك فقام فيه أحسن قيام الى أن وصل السلطان من القيروان فرعى له حق خدمته تأنيسا وقربا وكثرة استعمال الى أن رحل من تونس فى الاسطول الى المغرب سنة خمسين كما مر واستخلف بتونس ابنه أبا الفضل وخلف أبا القاسم بن رضوان كاتبا له فأقاما كذلك أياما ثم غلبهم على تونس سلطان الموحدين الفضل ابن السلطان أبى يحيى ونجا أبو الفضل الى أبيه ولم يطق ابن رضوان الرحلة معه فأقام بتونس حولا ثم ركب البحر الى الاندلس وأقام بالمرية مع جملة من هنالك من أشياع السلطان أبى الحسن كان فيهم عامر ابن محمد بن على شيخ هنتانة كافلا لحرم السلطان أبى الحسن وابنه أركبهم السفين معه من تونس عندما ارتحل فخلص الى الاندلس ونزلوا بالمرية وأقاموا بها تحت جراية سلطان الاندلس فلحق بهم ابن رضوان وأقام معهم ودعاه أبو الحجاج سلطان الاندلس الى أن يستكتبه فامتنع ثم هلك السلطان أبو الحسن وارتحل مخلفه الذين كانوا بالمرية ووفدوا على السلطان أبى عنان ووفد معهم ابن رضوان فرعى له وسائله فى خدمة أبيه واستكتبه واختصه بشهود مجلسه مع طلبة العلم بحضرته وكان محمد بن أبى عمرو يومئذ رئيس الدولة ونجى الخلوة وصاحب العلامة وحسبان الجباية والعساكر قد غلب على هوى السلطان واختص به فاستخدم له ابن رضوان حتى علق منه بذمة وولاية وصحبة وانتظام فى السمر وغشيان المجالس الخاصة وهو مع ذلك يدنيه من السلطان وينفق سوقه عنده ويستكفى به فى مواقف خدمته اذا غاب عنها لما هو اهم فخلا بعين السلطان ونفقت عنده فضائله فلما سار أبو عمرو فى العساكر الى بجاية سنة أربع وخمسين انفرد ابن رضوان بعلامة الكتاب عن السلطان ثم رجع ابن أبى عمرو بالسلطان فأقصاه الى بجاية وولاه عليها وعلى سائر أعمالها وعلى الموحدين بقسنطينة وأفرد ابن رضوان بالكتابة وجعل اليه العلامة كما كانت لابن أبى عمرو فاستقل بها موفر الاقطاع والاسهام والجاه ثم سخطه آخر سبع وخمسين وجعل العلامة لمحمد بن أبى القاسم بن أبى مدين والانشاء والتوقيع لابى اسحق ابراهيم بن الحاج الغرناطى فلما كانت دولة السلطان أبى سالم جعل العلامة لعلى بن محمد بن مسعود صاحب ديوان العساكر والانشاء والتوقيع والسر لمؤلف الكتاب عبد الرحمن ابن خلدون ثم هلك أبو سالم سنة اثنتين وستين واستبد الوزير عمر بن عبد الله على من كفله من أبنائه فجعل العلامة لابن رضوان سائر أيامه وقتله عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن واستبد بملكه فلم يزل ابن رضوان على العلامة وهلك عبد العزيز وولى ابنه السعيد فى كفالة الوزير أبى بكر بن غازى بن الكاس

وابن رضوان على حاله ثم غلب السلطان أحمد على الملك وانتزعه من السعيد وأبي بكر بن غازي وقام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس مستبدا عليه والعلامة لابن رضوان كما كانت الى أن هلك بازمور في حركة السلطان أحمد الى مراكش لحصار عبد الرحمن بن ابي يفلوسن ابن السلطان أبي علي * وكان في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كثيرة من فضلاء المغرب وأعيانه هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس وغرق جماعة منهم في أسطوله لما غرق وتخطت النكبة منهم آخرين الى أن استوفوا ما قدر من آجالهم (فممن حضر معه بافريقية) الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوي شيخ القراء بالمغرب أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس وروى عن الرحالة أبي عبد الله بن رشيد وكان اماما في القراآت وصاحب ملكة فيها لا يجاري وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود وكان يصلي بالسلطان التراويح ويقرأ عليه بعض الاحيان حزبه (وممن حضر معه بافريقية الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكناسة مبرزا في المعقول والمنقول وعارفا بالحديث وبرجاله واماما في معرفة كتاب الموطا واقرائه أخذ العلوم عن مشيخة فاس ومكناسة ولقي شيخنا أبا عبد الله الابلي ولازمه وأخذ عنه العلوم العقلية فاستنفد بقية طلبه عليه فبرز آخرا واختاره السلطان لمجلسه واستدعاه ولم يزل معه الى أن هلك غريقا في ذلك الاسطول (ومنهم القاضي أبو عبد الله) محمد بن عبد الله ابن عبد النور من أعمال ندرومة ونسبه في صنهاجة كان مبرزا في الفقه على مذهب الامام مالك بن أنس تفقه فيه على الاخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الامام وكان من جلة أصحابهما ولما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلة ابني الامام واختصهما بالشورى في بلدهما وكان يستكثر من أهل العلم في دولته ويجري لهم الارزاق ويعمر بهم مجلسه فطلب يومئذ من ابن الامام أن يختار له من أصحابه من ينظمه في فقهاء المجالس فأشار عليه بابن عبد النور هذا فأدناه وقرب مجلسه وولاه قضاء عسكره ولم يزل في جملته الى أن هلك بالطاعون بتونس سنة تسع وأربعين وكان قد خلف أخاه عليا رفيقه في تدريس ابن الامام الا أنه أقصر باعا منه في الفقه فلما خلع السلطان أبو عنان طاعة أبيه السلطان أبي الحسن فنهض الى فاس استنفره في جملته وولاه قضاء مكناسة فلم يزل بها حتى تغلب عمر بن عبد الله على الدولة كما مر فنزع الى قضاء فرضه فسرحه فخرج حاجا سنة أربع وستين فلما قدم على مكة وكان به بقية مرض هلك في طواف القدوم وأوصى أمير الحاج على ابنه محمد وأن يبلغ وصيته به للامير المتغلب على الديار المصرية يومئذ يبغا الخاصكي فأحسن خلافته فيه وولاه من وظائف الفقهاء ما سد به خلته وصان عن سؤال الناس وجهه وكان له عفا الله عنه كلف بعلم

الكيمياء طالبا لمن غلط فى ذلك وأمثاله فلم يزل يعانى من ذلك ما يورّطه مع الناس فى دينه وعرضه الى أن دعته الضرورة للترحل عن مصر ولحق ببغداد ونا له مثل ذلك فلحق بماردين واستقر عند صاحبها فأحسن جواره الى أن بلغنا بعد التسعين أنه هلك هنالك حتف أنفه والبقاء لله (ومنهم شيخ التعاليم) أبو عبد الله محمد بن النجار من أهل تلمسان أخذ العلم ببلده عن مشيختها وعن شيخنا الابلى وبرز عليه ثم ارتحل الى المغرب فلقى بسبتة امام التعاليم أبا عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطى فى الهيئة وأخذ بمراكش عن الامام أبى العباس ابن البناء وكان اماما فى علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها ورجع الى تلمسان بعلم كثير واستخلصته الدولة فلما هلك أبو تاشفين وملك السلطان أبو الحسن نظمه فى جملته وأجرى له رزقه فحضر معه بافريقية وهلك فى الطاعون (ومنهم) أبو العباس أحمد بن شعيب من أهل فاس برع فى الادب واللسان والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها ونظمه السلطان أبو سعيد فى جملة الكتاب وأجرى عليه رزق الاطباء لتقدمه فيه فكان كاتبه وطبيبه وكذا مع السلطان أبى الحسن بعده فحضر بافريقية وهلك بها فى ذلك الطاعون وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين وكانت له امامة فى نقد الشعر وبصر به وما حضرنى الآن من شعره الا قوله

دار الهوى نجد وساكنها * بدر أمان النفس من نجد
هل باكر الوسمى ساحتها * واستنّ فى قيعانها الجرد
أو بات معتل النسيم بها * مستشفيا بالبان والرند
يتلو أحاديث الذين هم * قصدى وان جاروا عن القصد
أيام عمر ظلالها وطنى * منها وزرق مياهها وردى
ومطارح النظرات فى رشا * أحوى المدامع أهيف القد
يرنو اليك بعين جارية * قتل المحب بها على عمد
حتى أجد بهم على عجل * ريب الخطوب وعاثر الجد
فقد وافا وأبيك بعدهم * عيشى شنى الاعلى الفقد
وغد وادفن الحد تضمنه * بطن الثرى وقرارة اللحد
ومشردا من دون رؤيته * قذف النوى وتنوفة البعد
أجرى على العيش بعدهم * أنى جرعت جميعهم وحدى
لا الحى يا صاح فى شجن * أخفت منه فوق ما أبدى
بالقرب لى سكن يؤرقنى * من ذكره سهد على سهد
فرخان قد تركا بضيعة * رزئت عن الرفداء والرفد

(ومنهم) صاحبنا الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعباد ومتوارثين خدمة تربته من لدن جدهم خادمه في حياته وكان جده الخامس أو السادس واسمه أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية بينهم ولما هلك دفنه يغمراسن بن زيان السلطان بتلمسان من بني عبد الواد في التربة بقصره ليدفن بازائه متى قدر بوفاته ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرني سنة عشر وسبعمائة وارتحل مع أبيه الى المشرق سنة ثمان عشرة ومر ببجاية فسمع بها على الشيخ أبي على ناصر الدين ودخل المشرق وجاور أبوه بالحرمين الشريفين ورجع هو الى القاهرة وأقام بها وقرأ على برهان الدين الصفاقسي المالكي وأخيه وبرع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ثم رجع سنة ثلاث وثلاثين الى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن بمكانه من حصار تلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه ابن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره والثناء عليه فخلا بعينه واختصه وقربه وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين ابني الامام ويأخذ نفسه بلقاء الفضلاء والاكابر والاخذ عنهم والسلطان كل يوم يزيد ترقيه وحضر معه واقعة طريف التي كان فيها تمحيص المسلمين فكان يستعمله في السفارة عنه الى صاحب الاندلس ثم سفر عنه بعد أن ملك افريقية الى ابن ادفونش ملك قشتالة في تقرير الصلح واستنقاذ ابنه أبي عمر تاشفين كان أسر يوم طريف فغاب في تلك السفارة عن واقعة القيروان ورجع بتاشفين مع طائفة من زعماء النصرانية جاؤا في السفارة عن ملكهم ولقيهم خبر واقعة القيروان بقسنطينة من بلاد افريقية وبها عامل السلطان وحاميته فثار أهل قسنطينة بهم جميعا ونهبوهم وخطبوا للفضل ابن السلطان أبي يحيى وراجعوا دعوة الموحدين واستدعوه فجاء اليهم وملك البلد وانطلق ابن مرزوق عائدا الى المغرب مع جماعة من الاعيان والعمال والسفراء عن الملوك ووفد على السلطان أبي عنان مع أمة حظية أبي الحسن والدته كانت راحلة اليه فأدركها الخبر بقسنطينة وحضرت الهيعة وثوب ابنها أبو عنان على ملك أبيه واستيلائه على فاس فرجعت اليه وابن مرزوق في خدمتها ثم طلب اللحاق بتلمسان فسرحوه اليها وأقام بالعباد مكان سلفه وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان قد بايع له قبيلة بني عبد الواد بعد واقعة القيروان بتونس وابن تافراكين يومئذ محاصر للقصبة كما مر في أخبارهم وانصرفوا الى تلمسان فوجدا بها أبا سعيد عثمان بن جرار قد استعمله عليها السلطان أبو عنان عند انتقاضه على أبيه ومسيره الى فاس وانتقض ابن جرار من بعده ودعا

لنفسه وصمد اليه عثمان بن عبد الرحمن ومعه أخوه أبو ثابت وقومهما فملكوا تلمسان
من يد ابن جرار وحبسوه ثم قتلوه واستبد أبو سعيد بملك تلمسان وأخوه أبو ثابت يردفه
وركب السلطان أبو الحسن البحر من تونس وغرق أسطوله ونجا هو الى الجزائر فاحتل
بها وأخذ في الحشد الى تلمسان فرأى أبو سعيد أن يكف غربه عنهم بمواصلة تقع بينهما
واختار لذلك الخطيب ابن مرزوق فاستدعاه وأسر اليه بما يلقيه عند السلطان أبي
الحسن وذهب لذلك على طريق الصحراء واطلع أبو ثابت وقومه على الخبر فنكروه على
أبي سعيد وعاتبوه فأنكر فبعثوا صغير بن عامر في اعتراض ابن مرزوق فجاء به وحبسوه
أياما ثم أجازوه البحر الى الاندلس فنزل على السلطان أبي الحجاج بغرناطة وله اليه وسيلة
منذ اجتماعه به بمجلس السلطان أبي الحسن بسبتة اثر واقعة طريف فرعى له أبو الحجاج
ذمة تلك المعرفة وأدناه واستعمله في الخطابة بجامعه بالحمراء فلم يزل خطيبه الى أن
استدعاه السلطان أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان
وأعمالها فقدم عليه ورعى وسائله ونظمه في أكابر أهل مجلسه وكان يقرأ الكتب بين
يديه في مجلسه العلي ويدرس في نوبته مع من يدرس في مجلسه منهم ثم بعثه الى تونس عام
ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى فردت تلك الخطبة وأختفت
بتونس ووشي الى السلطان أبي عنان أنه كان مطلعا على مكانها فسخطه لذلك ورجع
السلطان من قسنطينة فثار أهل تونس بمن كان بها من عماله وحاميته واستقدموا أبا
محمد بن تافراكين من المهدية فجاء وملك البلد وركب القوم الاسطول ونزلوا بمراسي
تلمسان وأوعز السلطان باعتقال ابن مرزوق وخرج لذلك يحيى بن شعيب من مقدمي
الحجاب ببابه فلقيه بتاسالت فقيده هنالك وجاء به فأحضره السلطان وقرعه ثم
حبسه مدة وأطلقه بين يدي مهلكه واضطربت الدولة بعد موت السلطان أبي عنان
وبايع بعض بني مرين لبعض الاعياص من بني يعقوب بن عبد الحق وحاصروا البلد
الجديد وبها ابنه السعيد ووزيره المستبد عليه الحسن بن عمر وكان السلطان أبو سالم
بالاندلس غربه اليها أخوه السلطان أبو عنان مع بني عمهم ولد السلطان أبي علي بعد وفاة
السلطان أبي الحسن وحصولهم جميعا في قبضته فلما توفي أراد أبو سالم النهوض لملكه
بالمغرب فمنعه رضوان القائم يومئذ بملك الاندلس مستبدا على ابن السلطان أبي الحجاج
فلحق هو باشبيلية من دار الحرب ونزل على بطره ملكهم يومئذ فهيأ له السفن وأجازه
الى العدوة فنزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وقام بدعوته بنو مسير وبنو منير
أهل ذلك الجبل منهم ثم أمدوه واستولى على ملكه في خبر طويل ذكرناه في أخبار
دولته وكان ابن مرزوق يداخله وهو بالاندلس ويستخدم له ويفاوضه في أموره وربما

كان بكتابه وهو بجبل الصفيحة ويداخل زعماء قومه فى الاخذ بدعوته فلما ملك السلطان أبو سالم رعى له تلك الوسائل أجمع ورفعه على الناس وألقى عليه محبته وجعل زمام الامور بيده فوطئ الناس عقبه وغشى أشراف الدولة بابه وصرفت الوجوه اليه فمرضت لذلك قلوب أهل الدولة ونقموه على السلطان وتربصوا به حتى وثب عبد الله بن عمر بالبلد الجديد وافترق الناس على السلطان وقتله عمر بن عبد الله آخر ثنتين وستين وحبس ابن مرزوق وأغرى به سلطانه الذى نصبه محمد بن أبى عبد الرحمن بن أبى الحسن فامتحنه واستصفاه ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله فمنعه منهم ولحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان أبى اسحق وصاحب دولته المستبد عليه أبى محمد بن تافراكين فأكرموا نزله وولوه الخطابة بجامع الموحدين بتونس وأقام بها الى أن هلك السلطان أبو اسحق سنة سبعين وولى ابنه خالد وزحف السلطان أبو العباس حافد السلطان أبى يحيى من مقره بقسنطينة الى تونس فملكها وقتل خالدا سنة ثنتين وسبعين وكان ابن مرزوق يسترب منه لما كان يميل وهو بفاس مع ابن عمه محمد صاحب بجاية ويؤثره عند السلطان أبى سالم عليه فعزله السلطان أبو العباس عن الخطبة بتونس فوجم لها وأجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب السفن ونزل بالاسكندرية ثم رحل الى القاهرة ولقى أهل العلم وأمراء الدولة ونفقت بضائعه عندهم وأوصلوه الى السلطان وهو يومئذ الاشرف فكان يحضر يومئذ مجلسه وولاه الوظائف العلمية فكان ينتجع منها معاشه وكان الذى وصل حبله بالسلطان أستاذداره محمد لقيه أول قدومه فخلا بعينه واستظرف جملته فسعى له وأنجح سعايته ولم يزل مقيما بالقاهرة موقر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا لقضاء المالكية ملازما للتدريس فى وظائفه الى أن هلك سنة احدى وثمانين هكذا ذكر من حضره من جلة السلطان أبى الحسن من أشياخنا وأصحابنا وليس موضوع الكتاب الاطالة فلنقتصر على هذا القدر ونرجع الى ما كنا فيه من أخبار المؤلف

بياض بالاصل

ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها الى المغرب والكتابة على السلطان أبى عنان

ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته الى أن كان الطاعون الجارف وذهب الاعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواى رحمهما الله ولزمت مجلس شيخنا أبى عبد الله الابلى وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين الى أن بعض الشئ واستدعاه السلطان أبو عنان فارتحل اليه واستدعانى أبو محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس الى كتابة

العلامة

العلامة عن السلطان أبي اسحق مذ نهض اليه من قسنطينة صاحبها أبو زيد حافد
السلطان أبي يحيى في عساكره ومعه العرب أولاد مهلهل الذين استنجدوه لذلك فخرج
ابن تافراكين وسلطانه أبو اسحق مع العرب أولاد أبي الليل وبث العطاء في عسكره وعمر
له المراتب والوظائف وتعلل عليه صاحب العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر
بالاستزادة من العطاء فعزله وأدالني منه فكتبت العلامة عن السلطان وهي الحمد لله
والشكر لله بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم وخرجت
معهم أول سنة ثلاث وخمسين وقد كنت منطويا على الرحلة من افريقية لما أصابني من
الاستيحاش لذهاب أشياخي وعطلتي عن طلب العلم فلما رجع بنو مرين الى مراكزهم
بالمغرب وانحسر تيارهم عن افريقية وأكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة وأشياخ
فاعتزمت على اللحاق بهم وصدني عن ذلك أخي وكبيري محمد رحمه الله فلما دعيت الى
هذه الوظيفة سارعت الى الاجابة لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب وكان كذلك فاننا لما
خرجنا من تونس نزلنا بلاد هوارة وزحفت العساكر بعضها الى بعض بفحص مرماجنة
وانهزم صفنا ونجوت أنا الى أبة فأقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن الوشتاتي من كبراء
المرابطين ثم تحولت الى سبتة ونزلت بها على محمد بن عبدون صاحبها فأقمت عنده ليالي
حتى هيأ لي الطريق مع رفيق من المغرب وسافرت الى قفصة وأقمت بها أياما حتى قدم
علينا بها الفقيه محمد ابن الرئيس منصور بن مزني وأخوه يوسف يومئذ صاحب الزاب
وكان هو بتونس فلما حاصرها الامير أبو زيد خرج اليه فكان معه فلما بلغهم الخبر بأن
السلطان أبا عنان ملك المغرب نهض الى تلمسان فملكها وقتل سلطانها عثمان بن
عبد الرحمن وأخاه أبا ثابت وأنه انتهى الى المرية وملك بجاية من يد صاحبها الامير أبي
عبد الله من حفدة السلطان أبي يحيى ورادله عندما أطل على بلده فسار اليه ونزل له
عنها وصار في جملته وولى أبو عنان على بجاية عمر بن علي شيخ بني وطاس من بني
الوزير شيوخهم فلما بلغهم هذا الخبر أجفل الامير عبد الرحمن من مكانه عن حصار تونس
ومر بقفصة فدخل الينا محمد بن مزني ذاهبا الى الزاب فرافقته الى بسكرة ودخلت الى
أخيه هنالك ونزل هو بعض قرى الزاب تحت جراية أخيه الى أن انصرم الشتاء وكان
أبو عنان لما ملك بجاية ولى عليها عمر ابن علي ابن الوزير من شيوخ بني وطاس فجاء فارح
مولى الامير أبي عبد الله لنقل حرمه وولده فداخل بعض السفهاء من صنهاجة في قتل
عمر بن علي فقتله في مجلسه ووثب هو على البلد وأرسل الى الامير أبي زيد يستدعيه من
قسنطينة فتمشت رجالات البلد بينهم خشية من سطوة السلطان ثم ثاروا بفارح فقتلوه
وأعادوا دعوة السلطان كما كانت وبعثوا عن عامل السلطان بتدلس يحيان بن عمر بن

عبد المؤمن من شيوخ بنى ونكاسن من بنى مرين فلكوه قيادهم وبعثوا الى السلطان
بطاعتهم فأخرج لوقته حاجبه محمد بن أبى عمرو واكتنف له الجند وصرف معه وجوه
دولته وأعيان بطانته وارتحلت من بسكرة وافدا على السلطان أبى عنان بتلمسان
فلقيت ابن أبى عمرو بالبطحاء وتلقانى من الكرامة بما لم أحتسبه وردنى معه الى بجاية
فشهدت الفتح وتسايلت وفود افريقية اليه فلما رجع الى السلطان وفدت معهم فنالنى
من كرامته واحسانه ما لم أحتسبه اذ كنت شابا لم يطر شاربى ثم انصرفت مع الوفود
ورجع ابن أبى عمرو الى بجاية فأقمت عنده حتى انصرم الشتاء أواخر أربع وخمسين
وعاد السلطان أبو عنان الى فاس وجمع أهل العلم للتحليق بمجلسه وجرى ذكرى عنده
وهو ينتقى طلبة العلم للمذاكرة فى ذلك المجلس فأخبره الذين لقيتهم بتونس عنى
ووصفونى له فكتب الى الحاجب يستقدمنى فقدمت عليه سنة خمس وخمسين ونظمنى
فى أهل مجلسه العلمى وألزمنى شهود الصلوات معه ثم استعملنى فى كتابته والتوقيع بين
يديه على كره منى اذ كنت لم أعهد مثله لسلفى وعكفت على النظر والقراءة ولقاء
المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الاندلس الوافدين فى غرض السفارة وحصلت من
الافادة منهم على البغية وكان فى جملته يومئذ الاستاذ أبو عبد الله محمد بن الصفار من أهل
مراكش امام القراآت لوقته أخذ عن مشيخة المغرب وكبيرهم شيخ المحدثين
الرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهرى سيد أهل المغرب وكان يعارض السلطان
القرآن برواياته السبع الى أن توفى (ومنهم) قاضى الجماعة بفاس أبو عبد الله
محمد المغربى صاحبنا من أهل تلمسان أخذ العلم بها عن أبى عبد الله محمد السلوى
ورد عليها من المغرب خلوا من المعارف ثم دعته همته الى التحلى بالعلم فعكف فى بيته
على مدارسة القرآن فحفظه وقرأه بالسبع ثم عكف على كتاب التسهيل فى
العربية فحفظه ثم على مختصر ابن الحاجب فى الفقه والاصول فحفظهما ثم لزم الفقيه
عمران المشدالى من تلميذ أبى على ناصر الدين وتفقه عليه وبرز فى العلوم الى حيث
لم تلحق غايته وبنى السلطان أبو تاشفين مدرسة بتلمسان فقدمه للتدريس بها يضاهى به
أولاد الامام وتفقه عليه بتلمسان جماعة كان من أوفرهم سهما فى العلوم أبو عبد الله
المغربى هذا ولما جاء شيخنا أبو عبد الله الابلى الى تلمسان عند استيلاء السلطان أبى
الحسن عليها وكان أبو عبد الله السلوى قد قتل يوم فتح تلمسان قتله بعض أشياع السلطان
لذنب أسلفه فى خدمة أخيه أبى على بسجلماسة قبل انتحاله العلم كان السلطان توعده
عليه فقتل بباب المدرسة فلزم أبو عبد الله المغربى بعده مجلس شيخنا الابلى ومجالس بنى
الامام واستبحر فى العلم ولما انتقض السلطان أبو عنان سنة تسع وأربعين وخلع أباه ندبه

الى

الى كتب البيعة وكتبها وقرأها على الناس فى يوم مشهود وارتحل مع السلطان الى فاس فلما ملكها عزل قاضيها الشيخ المعمر أبا عبد الله بن عبد الرزاق وولاه مكانه فلم يزل قاضيا بها الى أن أسخطه لبعض النزغات الملوكية فعزله وأدال منه بالفقيه أبى عبد الله الفشتالى آخر سنة ست وخمسين ثم بعثه فى سفارة الى الاندلس فامتنع من الرجوع وقام السلطان لها فى ركابه ونقم على صاحب الاندلس تمسكه به وبعث اليه فيه يتقدمه فلاذ بابن الاحمر بالشفاعة فيه واقتضى له كتاب أمان بخط السلطان أبى عنان وأوفده فى جماعة من شيوخ العلم بغرناطة القاطنين بها منهم شيخنا أبو القاسم الشريف السبتى شيخ الدنيا جلالة وعلما ووقارا ورياسة وامام اللسان فصاحة وبيانا وتقدما فى نظمه ونثره وترسيلاته وشيخنا الآخر أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقى من أهل المرية شيخ المحدثين والفقهاء والادباء والصوفية والخطباء بالاندلس وسيد أهل العلم باطلاق المتفنن فى أساليب المعارف وآداب الصحابة للملوك فمن دونهم فوفدوا به على السلطان شفيعين على عظيم تشوقه للقائهم ماقبلت الشفاعة وانجحت الوسيلة حضرت بمجلس السلطان يوم وفادتهما سنة سبع وخمسين وكان يوما مشهودا واستقر القاضى المغربى فى مكانه بباب السلطان عطلا من الولاية والجراية وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان وقعت بينه وبين أقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضى الفشتالى فتقدم السلطان الى بعض أكابر الوزعة ببابه أن يسحبه الى مجلس القاضى حتى ينفذ فيه حكمه فكان الناس يعدونها محنة ثم ولاه السلطان بعد ذلك قضاء العساكر فى دولته عندما ارتحل الى قسنطينة فلما افتتحها وعاد الى دار ملكه بفاس آخر ثمان وخمسين اعتل القاضى المغربى فى طريقه وهلك عند قدومه بفاس * (ومنهم صاحبنا) * الامام العالم القدوة فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والاصول أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسنى ويعرف بالعلوى نسبة الى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين فكان أهل بلده لا يدافعون فى نسبهم وربما تغمص فيه بعض الفجرة ممن لا يزعه دينه ولا معرفته بالانساب بعض من اللغو لا يلتفت اليه نشأ هذا الرجل بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها واختص بأولاد الامام وتفقه عليهما فى الفقه والاصول والكلام ثم لزم شيخنا أبا عبد الله الابلى وتضلع من معارفه فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه ثم ارتحل الى تونس فى بعض مذاهبه سنة أربعين ولقى شيخنا القاضى أبا عبد الله بن عبد السلام وحضر مجلسه وأفاده نه واستعظم رتبته فى العلم وكان ابن عبد السلام يصغى اليه ويؤثر محله ويعرف حقه حتى لقد زعموا أنه كان يخلو به فى بيته فيقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الاشارات (١) لابن سينا لما كان هو أحكم ذلك

(١) الاشارات كتاب مؤلف فى المنطق والحكمة وذكر فى آخره نبذة من التصوف وعلى اصطلاح الحكماء لكنه عسل ممزوج بسم لا يتفطن له الا العارفون اه من خط الشيخ العطار

الكتاب على شيخنا الابلى وقرأ عليه كثيرا من كتاب الشفاء لابن سينا ومن تلاخيص كتب أرسطو   ومن الحساب والهندسة والفرائض علاوة على ما كان يحمله بياض بالأصل
من الفقه والعربية وسائر علوم الشريعة وكانت له فى كتب الخلافيات يد طولى وقدم عالية فعرف له ابن عبد السلام ذلك كله وأوجب حقه وانقلب الى تلمسان وانتصب لتدريس العلم وبثه فملأ المغرب بمعارف وتلميذا الى أن اضطرب المغرب بعد واقعة القيروان ثم هلك السلطان أبو الحسن وزحف أبو عنان الى تلمسان فملكها سنة ثلاث وخمسين فاستخلص الشريف أبا عبد الله واختاره لمجلسه العلى مع من اختاره من المشيخة وزحف به الى فاس فتبرم الشريف من الاغتراب وردد الشكوى وعرف السلطان ذلك وارتاب به ثم بلغه أثناء ذلك ان عثمان بن عبد الرحمن سلطان تلمسان أوصاه على ولده وأودع له مالا عند بعض الاعيان من أهل تلمسان وان الشريف مطلع على ذلك فانتزع الوديعة وسخط الشريف بذلك ونكبه وأقام فى اعتقاله أشهرا ثم أطلقه أول ست وخمسين وأقصاه ثم أعتبه بعد فتح قسنطينة وأعاده الى مجلسه الى أن هلك السلطان آخر تسع وخمسين وملك أبو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من يد بنى مرين واستدعى الشريف من فاس فسرحه القائم بالامر يومئذ الوزير عمر بن عبد الله فانطلق الى تلمسان وأطلقه أبو حمو براحتيه وأصهر له فى ابنته فزوجها اياه وبنى له مدرسة جعل فى بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه وأقام الشريف يدرس العلم الى أن هلك سنة احدى وسبعين وأخبرنى رحمه الله أن مولده سنة عشر * (ومنهم صاحبنا) * الكاتب القاضى أبو القاسم محمد بن يحيى البرجى من برجة الاندلس كان كاتب السلطان أبى عنان وصاحب الانشاء والسر فى دولته وكان مختصا به وأثيرا لديه وأصله من برجة الاندلس نشأ بها واجتهد فى العلم والتحصيل وقرأ وسمع وتفقه على مشيخة الاندلس واستبحر فى الادب وبرز فى النظم والنثر وكان لا يجارى فى كرم الطباع وحسن المعاشرة ولين الجانب وبذل البشر والمعروف وارتحل الى بجاية فى عشر الاربعين وسبعمائة وبها الامير أبو زكريا ابن السلطان أبى يحيى منفردا بملكها على حين أقفر من رسم الكتابة والبلاغة فبادرت أهل الدولة الى اصطفائه وايثاره بخطة الانشاء والكتاب عن السلطان الى أن هلك الامير أبو زكريا ونصب ابنه محمد مكانه فكتب عنه على رسمه ثم هلك السلطان أبو يحيى وزحف السلطان أبو الحسن الى افريقية واستولى على بجاية ونقل الامير محمدا بأهله وحاشيته الى تلمسان كما تقدم فى أخباره فنزل أبو القاسم البرجى تلمسان وأقام بها واتصل خبره بأبى عنان ابن السلطان أبى الحسن وهو يومئذ أميرها ولقيه فوقع من قلبه بمكان الى أن كانت واقعة القيروان وخلع أبو عنان واستبد

بالامر فاستكتبه وحمله الى المغرب ولم يسم به الى العلامة لانه آثر بها محمد بن أبي عمر بما كان أبوه يعلمه القرآن وربى محمد بداره فولاه العلامة والبرجى مرادف له في رياسته الى أن انقرضوا جميعا وهلك السلطان أبو عنان واستولى أخوه أبو سالم على ملك المغرب وغلب ابن مرزوق على هواه كما قدمناه فنقل البرجى من الكتابة واستعمله في قضاء العساكر فلم يزل على القضاء الى أن هلك سنة   وثمانين وأخبرني رحمه الله

بياض بالأصل

أن مولده سنة عشر * (ومنهم شيخنا المعمر الرحالة) * أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق شيخ وقته جلالة وتربية وعلما وخبرة بأهل بلده وعظمة فيهم نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها وارتحل الى تونس فلقى القاضي أبا اسحق بن عبد الرفيع والقاضي أبا عبد الله النفزاوى وأهل طبقتهما وأخذ عنهم وتفقه عليهم ورجع الى المغرب ولازم سنن الاكابر والمشايخ الى أن ولاه السلطان أبو الحسن القضاء بمدينة فاس فأقام على ذلك الى أن جاء السلطان أبو عنان من تلمسان بعد واقعة القيروان وخلعه فعزله بالفقيه أبي عبد الله المغربي وأقام عطلا في بيته ولما جمع السلطان مشيخة العلم للتحليق بمجلسه والافادة منهم واستدعى شيخنا أبا عبد الله بن عبد الرزاق فكان يأخذ عنه الحديث ويقرأ عليه القرآن برواياته في مجلس خاص الى أن هلك رحمه الله بين يدى مهلك السلطان أبي عنان الى آخرين وآخرين من أهل المغرب والاندلس كلهم لقيت وذاكرت وأفدت منه وأجازني بالاجازة العامة

* (حديث النكبة من السلطان أبي عنان) *

كان اتصالى بالسلطان أبي عنان آخر سنة ست وخمسين وقربني وادناني واستعملني في كتابته واختصني بمجالسه للمناظرة والتوقيع عنه فكثر المنافسون وارتفعت السعايات حتى قويت عنده بعد أن كان لا يغير عن صفائه ثم اعتل السلطان آخر سبع وخمسين وكان قد حصلت بيني وبين الامير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة أحكمها ما كان لسلفى في دولتهم وغفلت عن التحفظ من مثل ذلك من غيرة السلطان فما هو الا أن شغل بوجعه حتى نمى اليه بعض العداة أن صاحب بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن علي فانبعث السلطان لذلك وبادر بالقبض عليه وكان فيما نمى اليه أني داخلته في ذلك فقبض علي وامتحنني وحبسني ثم أطلق الامير محمدا ومازلت أنا في اعتقاله الى أن هلك وخاطبته بين يدى مهلكه بقصيدة

على أي حال لليالى اعاتب * وأي صروف للزمان أغالب
كفى حزنا أني على القرب نازح * وأني على دعوى شهودى غائب
وأني على حكم الحوادث نازل * تسالمنى طورا وطورا تحارب

(ومنها في التشوق)

سلوتهم الا ادكاراً معاهد * لها في الليالي الغابرات غرائب
وان نسيم الريح منهم يشوقني * اليهم وتصبيني البروق اللواعب

وهي طويلة نحو مائتي بيت ذهبت عن حفظي فكان لها منه موقع وهش لها وكان بتلمسان فوعد بالافراج عني عند حلوله بفاس ولخمس ليال من حلوله طرقه الوجع وهلك لخمس عشرة ليلة في رابع وعشرين من ذي الحجة خاتم تسع وخمسين وبادر القائم بالدولة الوزير الحسن بن عمر الى اطلاق جماعة من المعتقلين كنت فيهم فخلع علي وحملني وأعادني الى ما كنت عليه وطلبت منه الانصراف الى بلادي فأبى علي وعاملني بوجوه كرامته ومذاهب احسانه الى أن اضطرب أمره وانتقض عليه بنو مرين وكان ما قدمناه في أخبارهم

* (الكتابة عن السلطان أبي سالم في السر والانشاء) *

ولما أجاز السلطان أبو سالم من الاندلس لطلب ملكه ونزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وكان الخطيب ابن مرزوق بفاس فبث دعوته سراً واستعان بي على أمره بما كان بيني وبين أشياخ بني مرين من المحبة والائتلاف فحملت الكثير منهم على ذلك وأجابوني اليه وأنا يومئذ أكتب عن القائم بأمر بني مرين منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق وقد نصبوه للملك وحاصروا الوزير حسن بن عمر وسلطانه السعيد بن أبي عنان بالبلد الجديد فقصدني ابن مرزوق في ذلك وأوصل الي كتاب السلطان أبي سالم بالحض على ذلك واجمال الوعد فيه وألقى علي حمله فنهضت به وتقدمت الى شيوخ بني مرين وأمراء الدولة بالتحريض على ذلك حتى أجابوا وبعث ابن مرزوق الى الحسن بن عمر يدعوه الى طاعة السلطان أبي سالم وقد ضجر من الحصار فبادر الى الاجابة واتفق رأي بني مرين على الانفضاض عن منصور بن سليمان والدخول الى البلد الجديد فلما تم عقدهم على ذلك نزعت الى السلطان أبي سالم في طائفة من وجوه أهل الدولة كان منهم محمد بن عثمان بن الكاس المستبد بعد ذلك بملك المغرب على سلطانه وكان ذلك النزوع مبدأ حظه وخطة سعادته بسعايتي له عند السلطان فلما قدمت على السلطان بالصفيحة بما عندي من أخبار الدولة وما أجمعوا عليه من خلع منصور بن سليمان وبالموعد الذي ضربوه لذلك واستبشر فارتحل ولقينا البشير باجفال منصور بن سليمان وفراره الى نواحي باديس ودخول بني مرين الى البلد الجديد واظهار الحسن بن عمر دعوة السلطان أبي سالم ثم لقيتنا بالقصر الكبير قبائل السلطان وعساكره على راياتهم ووزير منصور بن سليمان مسعود بن رحو بن ماسي

فلقاه السلطان الكرامة كما يجب واستوزره عوضا نا بالحسن بن يوسف بن على بن محمد الورتاجنى السابق الى وزارته لقيه بسبتة وقد فر به منصور بن سليمان الى الاندلس فاستوزره واستكفاه ولما اجتمعت العساكر عنده بالقصر صمد الى فاس ولقيه الحسن بن عمر بظاهرها فأعطاه طاعته ودخل الى دار ملكه وانا فى ركابه لخمس عشرة ليلة من نزوعى اليه منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة فرعى لى السابقة واستعملنى فى كتابة سره والترسيل عنه والانشاء لمخاطباته وكان أكثرها يصدر عنى بالكلام المرسل بدون أن يشاركنى أحد ممن ينتحل الكتابة فى الاسجاع لضعف انتحالها وخفاء المعانى منها على أكثر الناس بخلاف غير المرسل فانفردت به يومئذ وكان مستغربا عندهم من هم من أهل هذه الصناعة ثم أخذت نفسى بالشعر وانثال على منه بحور توسطت بين الاجادة والقصور وكان مما أنشدته اياه ليلة المولد النبوى من سنة ثلاث وستين

أسرفن فى هجرى وفى تعذيبى * وأطلن موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين موقف ساعة * لعوادمشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وقد غدا * قلبى رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعى سافح * فشرقت بعدهم بماء غروب
ياناقعا بالعتب غلة شوقهم * رحماك فى عذلى وفى تأنيبى
يستعذب الصب الملام وانى * ماء الملام لدى غير شروب
ماهاجنى طرب ولا اعتاد الجوى * لولا تذكر منزل وحبيب
أصبوا الى اطلال كانت مطلعا * للبدر منهم أو كناس ربيب
عبثت به أيدى البلى وترددت * فى عطفها للدهر أى خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها * ليجدها وصفى وحسن نسيبى
واذا الديار تعرضت لمتيم * هزته ذكراها أولى التشبيب
ايه على الصبر الجميل فانه * ألوى بدين فؤادى المنهوب
لم أنسها والدهر يثنى صرفه * ويغض طرفى حاسد ورقيب
والدار مونقة محاسنها بما * لاً يام تجلوها بكل قشيب
ياسائق الاظعان يعتسف الفلا * ويواصل الاسآد بالتأويب
متهافتا عن رحل كل مذلل * نشوان من أين ومس لغوب
تتجاذب النفحات فضل ردائه * فى ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظما الصبابة صحبه * نهلوا بمورد دمعه المسكوب
ان تعترض مسراهم سدف الدجى * صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

في كل شعب منية من دونها * هجر الاماني أولقا شعوب
هلا عطفت صدورهن الى التي * فيها الغانية أعين وقلوب
فتؤم من أكناف يثرب مأمنا * يكفيك ما تخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة * تتلو من الآثار كل قريب
سر عجيب ليس يحجبه الثرى * ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه وسلم والاطناب في مدحه

انى دعوتك واثقا باجابتي * يا خير مدعو وخير مجيب
قصرت في مدحي فان يك طيبا * فبما لذكرك من أريج الطيب
ماذا عسى يبغي المطيل وقد حوى * في مدحك القرآن كل مطيب
ياهل تبلغني الليالي زورة * تدني الى الفوز بالمرغوب
أمحو خطيئاتي باخلاصي بها * وأحط أوزاري واصر ذنوبي
في فتية هجروا المنى وتعودوا * انضاء كل نجيبة ونجيب
يطوي صحائف ليلهم فوق الفلا * ما شئت من خبب ومن تقريب
ان رنم الحادي بذكرك رددوا * أنفاس مشتاق اليك طروب
أو غرد الركب الخلي بطيبة * حنوا لملقاها حنين النيب
ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم * ارث الخلافة في بني يعقوب
الطاعنون الخيل وهي عوابس * يغشى مثار النقع كل سبيب
والواهبون المقربات صوافنا * من كل خوار العنان لعوب
والمانعون الجار حتى عرضه * في منتدى الاعداء غير معيب
تخشى بوادرهم ويرجى حلمهم * والعز شيمة مرتجى ومهيب

ومنها في ذكر اجازته البحر واستيلائه على ملكه

سائل بني طامي العباب وقد سرى * تزجيه ريح العزم ذات هبوب
تهديه شهب أسنة وعزائم * يصدعن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلل الظلام بسعيه * وسطا الهدى بفريقه المغلوب
أبني الاولى شادوا الخلافة بالتقى * واستأثروا بتاجها المغصوب
جمعوا لحفظ الدين أي مناقب * كرموا بها في مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا أو تالدا * فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبة أو رغبة لك في العلا * تقتاد بالترغيب والترهيب
لازلت مسرورا بأشرف دولة * يبدو الهدى من أفقها المرغوب

ومن قصيدة خاطبته بها عند وصول هدية ملك السودان اليه وفيها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة

قدحت يد الاشواق من زندى * وهفت بقلبي زفرة الوجد
ونبذت سلوانى على ثقة * بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولرب وصل كنت آمله * فاعتضت منه بمؤلم الصد
لا عهد عند الصبر أطلبه * ان الغرام أضاع من عهدى
يلحى العذول فما أعنفه * وأقول ضل فأبتغى رشدى
وأعارض النفحات أسئلها * برد الجوى فتزيد فى الوقد
يهدى الغرام الى مسالكها * لتعللى بضعيف ما تهدى
يا سائق الاظعان معتسفا * طى الفلاة لطية الوجد
أرح الركاب ففى الصبا نبأ * يغنى عن المستنة الجرد
وسل الربوع برامة خبرا * عن ساكنى نجد وعن نجد
مالى يلام على الهوى خلق * وهى التى تأبى سوى الحمد
لا بيت الا الرشد قد وضحت * بالمستعين معالم الرشد
ثم الخليفة فى هدى وتقى *

بياض بالاصل

نجل السراة الغر شأنهم * كسب العلاء بواهب الوجد

ومنها فى ذكر خلوصى اليه وما ارتكبته فيه

لله مـــنى اذ تأوبنى * ذكراه وهو بشاهق فرد
شهم يفل بواترا قضبا * وجموع أقيال أولى اليد
أوريت زند العزم فى طلبى * وقضيت حق المجد من قصدى
ووردت عن ظما مناهله * فرويت من عز ومن رفد
هى جنة المأوى لمن كلفت * آماله بمطالب المجــد
لو لم أغل ببرد كوثرها * ما قلت هذى جنة الخلد
من مبلغ قومى ودونهم * قذف النوى وتنوفة البعد
انى أنفت على رجائهم * وملكت عز جميعهم وحدى
ورقيقة الاعطاف حالية * موشيــة بوشائع البرد
وحشية الانساب ما أنست * فى موحش البيداء بالفرد
تسمو بجيد بالغ صعدا * شرف الصروح بغير ما جهد
طالت رؤس الشامخات به * وربما قصرت عن الوهد

قطعت اليك تنائفا وصلت * آسادها بالقهد والوخد
تهدى على استصعابها ذللا * وتبيت طوع القن والقد
لسعودك اللائي ضمن لها * طول الحياة بعيشة رغد
جاءتك في وفد الاحابش لا * يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك أنضاء تقلبهم * أيدى السرى بالغور والنجد
يثنون بالحسنى التي سبقت * من غير انكار ولا جحد
ويرون لحظك من وفادتهم * فخرا على الاتراك والهند
يا مستعينا جل في شرف * عن رتبة المنصور والمهدى
جازاك ربك عن خليقته * خير الجزاء فنعم من يسدى
وبقيت للدنيا وساكنها * في عزة أبدا وفي سعد

وأنشدته في سائر أيامه غيرها من القصيدتين كثيرا لم يحضرني الآن شيء منه ثم غلب ابن مرزوق على هواه وأفرد بخالصته وكبح الشكائم عن قربه فانقبضت وقصرت الخطو مع البقاء على ما كنت فيه من كتابة سره وانشاء مخاطباته ومراسمه ثم ولاني آخر الدولة خطة المظالم فوفيتها حقها ودفعت للكثير مما أرجو ثوابه ولم يزل ابن مرزوق آخذا في سعايته بي وبأمثالي من أهل الدولة غيرة ومنافسة الى أن انتقض الامر على السلطان بسببه وثار الوزير عمر بن عبد الله بدار الملك فصار اليه الناس ونبذوا السلطان وبيعته وكان في ذلك هلاكه على ماذكرناه في أخبارهم ولما قام الوزير عمر بالامر أقرني على ما كنت عليه ووفر أقطاعي وزاد في جرايتي وكنت أسمو بطغيان الشباب الى أرفع مما كنت فيه وأدل في ذلك بسابق مودة معه منذ أيام السلطان أبي عنان وصحابة استحكم عقدها بيني وبين الامير أبي عبد الله صاحب بجاية فكان ثالث أثافينا ومصقل فكاهتنا واشتدت غيرة السلطان كما مر وسطا بنا وتغافل عن عمر بن عبد الله لمكان أبيه من ثغر بجاية ثم حملني الادلال عليه أيام سلطانه وما ارتكبه في حقي من القصور بي عما أسمو اليه الى أن هجرته وقعدت عن دار السلطان مغاضبا له فتنكر لي وأقطعني جانبا من الاعراض فطلبت الرحلة الى بلدي بافريقية وكان بنو عبد الواد قد راجعوا ملكهم بتلمسان والمغرب الاوسط فمنعني من ذلك أن يغتبط أبو حمو صاحب تلمسان بمكاني فأقيم عنده وألح في المنع من ذلك وأبيت أنا الا الرحلة واستجرت في ذلك برديفه وصهره الوزير مسعود بن رحو بن ماسى ودخلت عليه يوم الفطر سنة ثلاث وستين فأنشدته

هنيئا لصوم لا عداه قبول * وبشرى لعيد أنت فيه منيل
وهنئتها من عزة وسعادة * تتابع أعوام بها وفصول

سقى الله دهرا أنت انسان عينه * ولا مس ربعا فى حماك محول
فعصرك مابين الليالى مواسم * لها غرر وضاحة وحجول
وجانبك المأمول للجود مشرع * يحوم عليه عالم وجهول
عساك وان ضن الزمان منولى * فرسم الامانى من سواك محيل
أجرنى فليس الدهر لى بمسالم * اذا لم يكن لى فى ذراك مقيل
وأوليتنى الحسنى بما أنا آمل * فمثلك يولى راجيا وينيل
ووالله مارمت الترحل عن قلى * ولا سخطة للعيش فهو جزيل
ولا رغبة عن هذه الدار انها * لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عنا حبائب * شجاهن خطب والفراق طويل
يهيج بهن الوجد انى نازح * وان فؤادى حيث هن حلول
عزيز عليهن الذى قد لقيته * وان اغترابى فى البلاد يطول
توارت بأخفى البقاع كأننى * تخطفت أو غالت ركابى غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى * فطارت لقلبى أنة وعويل
وحييت عن شوق رباك كأنما * يمثل لى نؤى بها وطلول
أأحبابنا والعهد بينى وبينكم * كريم وما عهد الكريم يحول
اذا أنا لم ترض الحمول مدامعى * فلا قربتنى للقاء حمول
إلام مقامى حيث لم ترد العلا * مرادى ولم تعط القياد ذلول
ويذهب بى مابين يأس ومطمع * زمان بنيل المعلوات بخيل
تعللنى منه أمان خوادع * ويؤنسنى منه أمان مطول
أما لليالى لاترد خطوبها * ففى كبدى من وقعهن فلول
يروعنى عن صرفها كل حادث * تكاد له صم البلاد تزول
أدارى على رغم العداة ربيبة * يصانع واش دونها وعذول
وأغدو بأشجانى عليلا كأنما * تجود بنفسى زفرة وغليل
وانى وان أصبحت فى دار غربة * تحيل الليالى سلوتى وتديل
وصدتنى الايام عن خير منزل * عهدت به أن لا يضام نزيل
لاعلم أن الخير فاش مكثر * وان هان أنصار وبان خليل

فأعاننى الوزير مسعود عليه حتى أذن لى فى الانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان فى أى مذهب أردت فاخترت الاندلس وصرفت ولدى وأمهم الى أخوالهم أولاد القائد محمد بن الحكيم بقسنطينة فاتح أربع وستين وجعلت أنا طريقى على الاندلس وكان

سلطانها أبو عبد الله المخلوع وحين وفد على السلطان أبي سالم بفاس وأقام عنده حصلت لى معه سابقة وصلة خدمة من جهة الوزير أبي عبد الله بن الخطيب لما كان بيني وبينه من الصحابة فكنت أقوم بخدمته وأعمل في قضاء حاجاته في الدولة ولما أجاز باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه حين فسد ما بين الطاغية وبين الرئيس المتوثب عليه بالاندلس من قرابته خلفته فيما ترك من عياله وولده بفاس خير خلف في قضاء حاجاتهم وادرار ارزاقهم من المتولين لها والاستخدام لهم ثم فسد ما بين الطاغية وبينه قبل ظفره بملكه برجوعه عما اشترط له من التجافي عن حصون المسلمين التي تملكها بالاجلاب ففارقه الى بلاد المسلمين باستجة وكتب الى عمر بن عبد الله يطلب مصرا من أمصار الاندلس الغربية التي كانت ركابا لملوك المغرب في جهادهم وخاطبني أنا في ذلك فكنت له نعم الوسيلة عند عمر حتى تم قصده من ذلك وتجافى له عن رندة وأعمالها فنزلها وتملكها وكانت دار هجرته وركاب فتحه وملك منها الاندلس أواسط ثلاث وستين واستوحشت أنا من عمر اثر ذلك كما مر وارتحلت اليه معولا على سوابقي عنده فقرب في المكافاة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الرحلة الى الاندلس)

ولما أجمعت الرحلة الى الاندلس بعثت بأهلي وولدي الى أخوالهم بقسنطينة وكتبت لهم الى صاحبها السلطان أبي العباس من حفدة السلطان أبي يحيى وبأني أمرّ على الاندلس وأجيز عليه من هنالك وسرت الى سبتة فرضة المجاز وكبيرها يومئذ أبو العباس أحمد بن الشريف الحسني ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب انتقل سلفه الى سبتة من صقلية وأكرمهم بنو العزفي أولا وصاهروهم ثم عظم صيتهم في البلد فتنكروا لهم وغربهم يحيى العزفي آخرهم الى الجزيرة فاعترضتهم مراكب النصارى في الزقاق فأسروهم وانتدب السلطان أبو سعيد الى فديتهم رعاية لشرفهم فبعث الى النصارى في ذلك فأجابوه وفادى هذا الرجل وأباه على ثلاثة آلاف دينار ورجعوا الى سبتة وانقرض بنو العزفي ودولتهم وهلك والد الشريف وصدر هو الى رياسة الشورى لما كانت واقعة القيروان وخلع أبو عنان أباه واستولى على المغرب وكان بسبتة عبد الله بن علي الوزير واليا من قبل السلطان أبي الحسن فتمسك بدعوته ومال أهل البلد الى السلطان أبي عنان وأمكنوه من بلدهم فولى عليها من عظماء دولته سعيد بن موسى العجيسي كان كافل تربيته في صغره وأفرد هذا الشريف برياسة الشورى في سبتة فلم يكن يقطع أمرا دونه ووفد على السلطان بعض الايام فلقاه من المبرة بما لا يشاركه فيه أحد من وفود الملوك والعظماء ولم يزل على ذلك سائر أيام السلطان

وبعد وفاته وكان معظما وقور المجلس هش اللقاء كريم الوفادة متحليا بالعلم والادب منتحلا للشعر غاية فى الكرم وحسن العهد وسذاجة النفس ولما مررت به سنة أربع وستين أنزلنى ببيته ازاء المسجد الجامع ورأيت منه مالا يقدر مثله من الملوك وأركبنى الحراقة ليلة سفرى يباشر دحرجتها الى الماء بيده اغرابا فى الفضل والمساهمة وحططت بجبل الفتح وهو يومئذ لصاحب المغرب ثم خرجت منه الى غرناطة وكتبت للسلطان ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب بشأنى وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها لقينى كتاب ابن الخطيب يهنينى بالقدوم ويؤنسنى ونصه

حللت حلول الغيث فى البلد المحل * على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه * من الشيخ والطفل المعصب والكهل

لقد نشأت عندى للقياك غبطة * تنسى اغتباطى بالشبيبة والاهل

وودى لا يحتاج فيه لشاهد * وتقريرى المعلوم ضرب من الجهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الاحياء لميته (١) ونور ضربت الامثال بمشكاته وزيته لو خيرت أيها المحب الحبيب الذى زيارته الامنية السنية والعارفة الوارفة واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماؤه ويرف نماؤه ويغازل عيون الكواكب فضلا عن الكواعب اشارة وايماء بحيث لا آلو فى حظ يلم بساح لمته أو يقدح ذباله فى ظلمته أو يقدم حواريه فى ملته من الاحابش وأمته وزمانه روح وراح ومغدى فى النعيم ومراح وخصب صراح ورنى وجراح وانتخاب واقتراح وصدر ما به الا انشراح ومسرات يردفها افراح وبين قدومك خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن محكما فى نسك الجنيد أو فتك الحسن ممتعا بظرف المعارف مالئا ألف الصيارف ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف لما اخترت الشباب وان شاقنى زمنه وأعيانى ثمنه وأجريت سحاب دمعى دمنه فالحمد لله الذى رفأ حنوه اغترابى وملكنى أزمة آرابى وغبطنى بمالى وترابى ومألف اترابى وقد أغصنى بلذيذ شرابى ووقع على سطوره المعتبرة اضرابى وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية وملتقى للسعود غير البطية وتهنى الآمال الوثيرة الوطيه فاشتت من نفوس عاطشة الى ريك متجملة بزيك عاقلة خطى سمهريك ومولى مكارمه منشدة لامنالك ومضان منالك وسيصدق الخبر ما هنالك ويسع فضل مجدك فى التخلف عن الاصحار لا بل اللقاء من وراء البحار والسلام ثم أصبحت من الغد قادما على البلد وذلك ثامن ربيع الاول عام أربعة وستين وقد اهتز السلطان لقدومى وهيأ لى المنزل من قصوره بفرشه وماعونه وأركب خاصته للقائى تحفيا وبرا ومجازاة بالحسنى ثم دخلت

(١) فى هذه الفقرة شناعة منكرة جرّأه على ارتكابها قصد تحصيل المطابقة بين الاحياء وميته فأمات طالعة الكلام واستحق الملام اه من خط الشيخ العطار اه مصححه

عليه فقابلني بما يناسب ذلك وخلع وانصرفت وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعني الى مكان نزلى ثم نظمني في علية أهل مجلسه واختصني بالنجاء في خلوته والمراكبة في ركوبه والمواكلة والمفاكهة في خلوات أنسه وأقمت عنده وسفرت عنه سنة خمس وستين الى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطرة بن الهنشة بن ادفونش لاتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة من ثياب الحرير والجياد والمقربات بمراكب الذهب الثقيلة فلقيت الطاغية باشبيلية وعاينت آثار سلفي بها وعاملني من الكرامة بما لا مزيد عليه وأظهر الاغتباط بمكاني وعلم أولية سلفنا باشبيلية وأثنى علي عنده طبيبه ابراهيم ابن زرزر اليهودي المقدم في الطب والنجامة وكان لقيني بمجلس السلطان أبي عنان وقد استدعاه يستطبه وهو يومئذ بدار ابن الاحمر بالاندلس ثم نزع بعد مهلك رضوان بن القائم بدولتهم الى الطاغية فأقام عنده ونظمه في أطبائه فلما قدمت أنا عليه أثنى علي عنده فطلب الطاغية حينئذ المقام عنده وان يرد علي تراث سلفي باشبيلية وكان بيد زعماء دولته فتفاديت من ذلك بما قبله ولم يزل على اغتباطه الى أن انصرفت عنه فزودني وحملني واختصني ببغلة فارهة بمركب ثقيل ولجام ذهبيين أهديتهما الى السلطان فأقطعني قرية البيرة من أراضي السقي بمرج غرناطة وكتب لي بها منشورا كان نصه

بياض بالأصل

ثم حضرت ليلة المولد النبوي لخامسة وكان يحتفل في الصنيع فيها والدعوة وانشاد الشعر اقتداء بملوك المغرب فأنشدته ليلتئذ

حي المعاهد كانت قبل تحييني * بواكف الدمع يرويها وتظميني
ان الاولى نزحت داري ودارهم * تحملوا القلب في آثارهم دوني
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم * فيهم وأسأل رسما لا يناجيني
أمثل الربع من شوقي فألثمه * وكيف والفكر يدنيه ويقصيني
وينهب الوجد مني كل لؤلؤة * ما زال قلبي عليها غير مأمون
سقت جفوني مغاني الربع بعدهم * بالدمع وقف على اطلاله الجوني
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل * لو أن قلبي الى السلوان يدعوني

احبابنا

أحبابنا لو لعهد الوصل مذكر * وهل نسيمته منكم تحييني
مالي وللطيف لا يعتاد زائره * وللنسيم عليلا لا يداويني
يا أهل نجد وما نجد وساكنها * حسنا سوى جنة الفردوس والعين
أعندكم انني ما مر ذكركم * ثنيت نفسي كأن الراح يحييني
أصبو الى البرق من انحاء أرضكم * شوقا ولولا كم ما كان يصبيني
يا نازحا والمنى تدنيه من خلدي * حتى لأحسبه قربا يناجيني
أسلى هواك فؤادي عن سواك وما * سواك يوما بحال عنك يسليني
ترى الليالي أنستك ادكاري يا * من لم تكن ذكره الايام تنسيني

ومنها في وصف الايوان الذي بناه لجلوسه بين قصوره

يا مصنعا شدت منه لسعود حمى * لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطرف ملتبسا * فيما رومك من شكل وتلوين
بعد الايوان كسرى ان قصرك السامي لاعظم من تلك الاواوين
ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

ومنها في التعريض بمنصرفه من العدوة

من مبلغ عني الصحب الأولى تركوا * ودي رضاع حماهم اذ أضاعوني
اني أويت من العليا الى حرم * كادت مغانيه بالبشرى تحييني
واني ظاعن لم ألق بعدكم * دهرا أشاكي ولا خلا يشاكيني
لا كالتي أخفرت عهدي ليالي اذ * أقلب الطرف بين الخوف والهون
سقيا ورعيا لايامي التي ظفرت * يداي منها بحظ غير مغبون
أرتاد منها مليا لا يماطلني * وعدا وأرجو كريما لا يعنيني
وهاك منها قوافي طيها حكم * مثل الازاهر في طي الرياحين
تلوح ان جليت درا وان تليت * تثني عليك بأنفاس البساتين
عانيت فيها بجهدي كل شاردة * لولا سعودك ما كانت تواتيني
يمانع الفكر عنها ما تقسمه * من كل حزن بطي الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لي شواردها * فرضت منها بتحبير وتزيين
بقيت دهرك في أمن وفي دعة * ودام ملكك في نصر وتمكين

وأنشده سنة خمس وستين في اعذار ولده والصنيع الذي احتفل لهم فيه ودعا اليه الخلفاء من نواحي الاندلس ولم يحضرني منها الا ما أذكره

صحا الشوق لولا عبرة ونحيب * وذكرى تجد الوجد حين تثوب

وقلب أبى الا الوفاء بعهده * وان نزحت دار وبان حبيب
ولله منى بعد حادثة النوى * فؤاد لتذكير العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال اذا سرى * وتذكى حشاه نفحة وهبوب
خليلى لا تستعديا قد دعا الاسى * فانى لما يدعو الاسى لمجيب
ألما على الاطلال نقض حقوقها * من الدمع فياض الشؤن سكوب
ولا تعذلانى فى البكاء فانها * حشاشة نفسى فى الدموع تذوب

ومنها فى تقدم ولده للاعداء من غير نكول

فيم منه الحفل لا متقاعس * ولا نكس عند اللقاء هبوب
وراح كما راح الحسام من الوغى * تروق حلاه والفرند خضيب
شواهد تهدى منك شمائل * وخلق بصفوف المجد منك مشوب

ومنها فى الثناء على ولديه

هما النيران الطالعان على الهدى * بآيات فتح شأنهن عجيب
شهابان فى الهيجا غمامان فى الثوى * تسح المعالى منهما وتصوب
يدان لبسط المكرمات نماهما * الى المجد فياض اليدين وهوب

وأنشدته ليلة المولد الكريم من هذه السنة

أبا الطيف أن يعتاد الا توهما * فمن لى بأن ألقى الخيال المسلما
وقد كنت أستهديه لو كان نافعى * واستمطر الاجفان لو تمطر الظما
ولكن خيال كاذب وطماعة * تعلل قلبا بالا مانى متيما
أيا صاحبى نجواى والحب لوعة * يبيح بشكواها الضمير المكتما
خذ الفؤادى العهد من نفس الصبا * وطى النقا والبان من أجرع الحمى
الا صنع الشوق الذى هو صانع * فحى مقيم أقسم الشوق أو سما
وانى ليدعونى السلو تعللا * وتنهانى الاشجان أن أتقدما
لمن دمن أقفرن الا هواتف * تردد فى اطلالهن الترنما
عرفت بها سيما الهوى وتنكرت * فجئت على آياتها متوسما
وذو الشوق يعتاد الربوع دوارسا * ويعرف آثار الديار توهما
تؤرقنى والليل بينى وبينه * وميض بأطراف الثنايا تضرما
أجد لى العهد القديم كأنه * أشار بتذكار العهود فأفهما
عجبت لمرتاع الجوانح خافق * بكيت له خلف الدجا وتبسما
وبت أروّيه كؤس مدامعى * وبات يعاطينى الحديث عن الحمى

وصالحته

وصافحته عن رسم داربذى الغضى * لبست بها ثوب الشبيبة معلما
لعهدى بها تدنى الظباء أوانسا * وتطلع فى آفاقها الغيد أنجما
أحن اليها حيث سار بى الهوى * وأنجد رحلى فى البلاد وأتهما

ولما استقر القرار واطمأنت الدار وكان من السلطان الاغتباط والاستبشار وكثر الحنين الى الاهل والتذكار أمر لاستقدام أهلى من مطرح اغترابهم من قسنطينة بعث اليهم من جاءبهم الى تلمسان وأمر قائد الاسطول بالمرية فسار فى اجازتهم فى أسطوله واحتلوا بالمرية واستأذنت السلطان فى تلقيهم وقدمت بهم على الحضرة بعد أن هيأت لهم المنزل والبستان ودمنة الفلح وسائر ضروريات المعاش وكتبت الى الوزير ابن الخطيب عندما قاربت الحضرة وقد كتبت اليه أستأذنه فى القدوم وما اعتمده فى أحواله سيدى قدمت بالطير الميامين وعلى البلد الامين واستضفت الرفاء الى البنين ومتعت بطول السنين وصلتنى البراءة المعربة عن كتب اللقاء ودنو المزار وذهاب البعد وقرب الديار واستفهم سيدى عما عندى فى القدوم على المخدوم واحب أن يستقدمنى سيدى الى الباب الكريم فى الوقت الذى يجد المجلس الجمهورى لم يقض تجمعه ولم يصم بجمعه ويصل أهل بعده الى المحل الذى هيأته السعادة لاستقرارهم واختاره اليمن قبل اختيارهم والسلام ثم لم ينشب الاعداء وأهل السعايات أن حملوا الوزير ابن الخطيب من ملابستى للسلطان واشتماله على وحركوا له جواد الغيرة فتنكر وشممت منه رائحة الانقباض مع استبداده بالدولة وتحكمه فى سائر أحوالها وجاءتنى كتب السلطان أبى عبد الله صاحب بجاية بأنه استولى عليها فى رمضان سنة خمس وستين واستدعانى اليه فاستأذنت السلطان ابن الاحمر فى الارتحال اليه وعميت عليه شأن ابن الخطيب ابقاء للمودة فارمض لذلك ولم يسعه الا الاسعاف فودع وزود وكتب لى مرسوما بالتشييع من املاء الوزير ابن الخطيب نصه هذا ظهير كريم تضمن تشييعا وترفيعا واكراما واعظاما وكان لعمل الصنيع ختاما وعلى الذى أحسن تماما وأشاد به للمعتمد الذى راق قساما وتوفر اقساما وأعلق بالقبول أن نوى بعد القوى رجوعا وآثر على الظعن المزمع مقاما أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه الامير أبو عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر أيد الله أمره وأعز نصره وأعلى ذكره للولى الجليس الحظى المكين المقرب الاود الاثير الفقيه الجليل الصدر الاوحد الرئيس العالم الفاضل الكامل الموقع الامين الاظهر الارضى الاخلص الاصفى أبى زيد عبد الرحمن ابن الشيخ الجليل الحسيب الاصيل المرفع المعظم الصدر الاوحد الاسمى الافضل الموقر المبرور أبى يحيى ابن الشيخ

الجليل الكبير الرفيع الماجد القائد الحظى المعظم الموقر المبرور المرحوم أبى عبد الله
ابن خلدون وصل الله أسباب السعادة وبلغه من فضله أقصى الارادة أعلن بما عنده أيده
الله من الاعتقاد الجميل فى جانبه المرفع وان كان غنيا عن الاعلان وأعرب عن معرفة
مقداره فى الحسبان العلماء الرؤساء الاعيان وأشاد باتصال رضاه عن مقاصده البرة
وشيمه الحسان من لدن وفد على بابه وفادة العز الراسخ البنيان وأقام المقام الذى عين
له رفعة المكان واجلال الشان الى أن عزم على قصد وطنه أبلغه الله فى ظل الامن
والامان وكفالة الرحمن بعد الاغتباط المربى على الخبر بالعيان والتمسك بجواره بجهد
الامكان ثم قبول عذره بما جبلت الانفس عليه من الحنين الى المعاهد والاوطان بعد
أن لم يدخر عنه كرامة رفيعة ولم يحجب عنه وجه صنيعه فولاه القيادة والسيادة
وأجله جليسا معتمدا بالاستشارة ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضنانة بفراقه ويجمع له بر
الوجاهة من جميع آفاقه ويجعله بيده رتيمة خنصر ووثيقة سامع أو مبصر فمهما لوى الى
هذه البلاد بعد قضاء وطره وتملية من نهمة سفره أوزع به حسن العهد وحنين الود
فصدر العناية به مشروح وباب الرضا والقبول مفتوح وما عهده من الحظوة والبر
ممنوح فما كان القصد فى مثله من امجاد الاولياء ليحول ولا الاعتقاد الكريم ليتبدل
ولا الزمن الاخير ان ينسخ الاول على هذا فليطو ضميره وليرد ما شاء غيره ومن وقف
عليه من القواد والاشياخ والخدام برا وبحرا على اختلاف الخطط والرتب وتباين
الأحوال والنسب أن يعرفوا حق هذا الاعتقاد فى كل ما يحتاج اليه من تشييع
ونزول واعانة وقبول واعتنا موصول الى أن يكمل الغرض ويؤدى من امتثال هذا
الامر الواجب المفترض بحول الله وقوته وكتب فى التاسع عشر من جمادى الاولى عام
ست وستين وسبعمائة وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان ونصها صح هذا

(الرحلة من الاندلس الى بجاية وولاية الحجابة بها على الاستبداد)

كانت بجاية ثغر الافريقية فى دولة بنى أبى حفص من الموحدين ولما صار أمرهم
للسلطان أبى يحيى منهم واستقل بملك افريقية ولى فى ثغر بجاية ابنه الامير أبو زكريا
وفى ثغر قسنطينة ابنه الامير أبو عبد الله وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط
ينازعونه فى أعماله ويجهزون الكتائب على بجاية ويجلبون على قسنطينة الى أن
تمسك السلطان أبو بكر بذمة من السلطان أبى الحسن ملك المغرب الاوسط والاقصى
من بنى مرين وله الشفوف على سائر ملوكهم وزحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان
فأخذ بمخنقها سنتين أو أزيد وملكها عنوة وقتل سلطانها أبا تاشفين وذلك سنة سبع
وثلاثين ومحى ما كان على الموحدين من أمر بنى عبد الواد واستقامت دولتهم ثم هلك

أبو عبد الله ابن السلطان أبي يحيى بقسنطينة سنة أربعين وخلف سبعة من الاولاد كبيرهم أبو زيد عبد الرحمن ثم أبو العباس أحمد فولي الامير أبو زيد مكان أبيه في كفالة نبيل مولاهم ثم توفي الامير أبو زكريا ببجاية سنة ست وأربعين وخلف ثلاثة من الاولاد كبيرهم أبو عبد الله محمد وبعث السلطان أبو بكر ابنه الامير أبا حفص عليها فمال أهل بجاية الى الامير أبي عبد الله بن زكريا وانحرفوا عن الامير عمر وأخرجوه وبادر السلطان فرقع هذا الخرق بولاية أبي عبد الله عليهم كما طلبوه ثم توفي السلطان أبو بكر منتصف سبع وأربعين وزحف ابو الحسن الى افريقية فملكها ونقل الامراء من بجاية وقسنطينة الى المغرب وأقطع لهم هنالك الى أن كانت حادثة القيروان وخلع السلطان أبو عنان أباه وارتحل من تلمسان الى فاس فنقل معه هؤلاء الامراء أهل بجاية وقسنطينة وخلطهم بنفسه وبالغ في تكرمتهم ثم صرفهم الى ثغورهم الامير أبا عبد الله أولا واخوته من تلمسان وأبا زيد واخوته من فاس ليستبدوا بثغورهم ويخذلوا الناس عن السلطان أبي الحسن فوصلوا الى بلادهم وملكوها بعد أن كان الفضل ابن السلطان أبي بكر قد استولى عليهما من يد بني مرين فانتزعوها منه واستقر أبو عبد الله ببجاية حتى اذا هلك السلطان أبو الحسن بجبال المصامدة وزحف أبو عنان الى تلمسان سنة ثلاث وخمسين فهزم ملوكها من بني عبد الواد وأبادهم ونزل المرية وأطل على بجاية وبادر الامير أبو عبد الله للقائه وشكا اليه ما يلقاه من زبون الجند والعرب وقلة الجباية وخرج له عن ثغر بجاية فملكها وأنزل عماله بها ونقل الامير أبا عبد الله معه الى المغرب فلم يزل عنده في كفاية وكرامة ولما قدمت على السلطان أبي عنان سنة خمس وخمسين واستخلصني منه نبضت عروق السابق بين سلفي وسلف الامير أبي عبد الله واستدعاني لصحابته فأسرعت وكان السلطان أبو عنان شديد الغيرة من مثل ذلك ثم كثر المنافسون ورفعوا الى السلطان وقد طرقه مرض أرجف له الناس فرفعوا له أن الامير أبا عبد الله اعتزم على الفرار الى بجاية واني عاقدته على ذلك على أن يوليني حجابته فانبعث له السلطان وسطا بنا واعتقلني نحوا من سنتين الى أن هلك وجاء السلطان أبو سالم واستولى على المغرب ووليت كتابة سره ثم نهض الى تلمسان وملكها من بني عبد الواد وأخرج منها أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن ثم اعتزم على الرجوع الى فاس وولى على تلمسان أبا زيان محمد بن أبي سعيد عثمان ابن السلطان أبي تاشفين وأمده بالاموال والعساكر من أهل وطنه ليدافع أبا حمو عن تلمسان ويكون خالصة له وكان الامير أبو عبد الله صاحب بجاية كما ذكرناه والامير أبو العباس صاحب قسنطينة بعد أن كان بنو مرين حاصروا أخاه أبا زيد بقسنطينة

أعواماثم عاث خرج لبعض مذاهبه الى بونة وترك أخاه أبا العباس بها فخلعه واستبد بالامر وخرج الى العساكر المجمرة عليها من بنى مرين فهزمهم وأثخن فيهم ونهض السلطان اليه من فاس سنة ثمان وخمسين فتبرأ منه أهل البلد وأسلموه فبعثه الى سبتة فى البحر واعتقل بها حتى اذا ملك السلطان أبو سالم سبتة عند اجازته من الاندلس سنة ستين أطلقه من الاعتقال وصحبه الى دار ملكه ووعده برد بلده عليه فلما ولى أبو زيان على تلمسان أشار عليه خاصته ونصحاؤه بأن يبعث هؤلاء الموحدين الى ثغورهم فبعث أبا عبد الله الى بجاية وقد كان ملكها عمه أبو اسحق صاحب تلمسان ومكفول بن تافراكين من يد بنى مرين وبعث أبا العباس الى قسنطينة وبها زعيم من زعماء بنى مرين وكتب اليه السلطان أبو سالم أن يفرج له عنها فملكها لوقته وسار الامير أبو عبد الله الى بجاية فطال اجلابه عليها ومعاودته حصارها وألح أهلها فى الامتناع منه مع السلطان أبى اسحق وقد كان لى المقام المحمود فى بعث هؤلاء الامراء الى بلادهم وتوليت كبر ذلك مع خاصة السلطان أبى سالم وكتاب أهل مجلسه حتى تم القصد من ذلك وكتب لى الامير أبو عبد الله بخطه عهدا بولاية الحجابة متى حصل على سلطانه ومعنى الحجابة فى دولنا بالمغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته لا يشاركه فى ذلك أحد وكان لى أخ صغير اسمه يحيى أصغر منى فبعثه مع الامير أبى عبد الله حافظا للرسم ورجعت مع السلطان الى فاس ثم كان ما قدمته من انصرافى الى الاندلس والمقام بها الى أن تنكر الوزير ابن الخطيب وأظلم الجو بينى وبينه وبينما نحن فى ذلك وصل الخبر باستيلاء الامير أبى عبد الله على بجاية من يد عمه فى رمضان سنة خمس وستين وكتب لى الامير أبو عبد الله يستقدمنى فاعتزمت على ذلك ونكر السلطان أبو عبد الله بن الاحمر ذلك منى لا لظنته سوى ذلك اذ لم يطلع على ما كان بينى وبين الوزير ابن الخطيب فأمضيت العزم ووقع منه الاسعاف والبر والالطاف وركبت البحر من مرسى المرية منتصف ست وستين ونزلت بجاية لخامسة من الاقلاع فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدومى وأركب للقائى وتهافت أهل البلد على من كل أوب يمسحون أعطافى ويقبلون يدى وكان يوما مشهودا ثم وصلت الى السلطان فحيا وفدى وخلع وحمل وأصبحت من الغد وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابى واستقللت بحمل ملكه واستفرغت جهدى فى سياسة أموره وتدبير سلطانه وقدمنى للخطابة بجامع القصبة لا انفك عن ذلك ووجدت بينه وبين ابن عمه السلطان أبى العباس صاحب قسنطينة فتنة أحدثتها المشاحة فى حدود الاعمال من الرعايا والعمال وشبت نار هذه الفتنة بعرب أوطانهم من الزواودة من رياح تنفيقا لسوق الزبون يميرون به أموالهم فكانوا فى أهم شقة بجمع بعضهم

لبعض فالتقوا سنة ست وستين بقدحيوه وانقسم العرب عليهما وكان يعقوب بن على مع السلطان أبى العباس فانهزم السلطان أبو عبد الله ورجع الى بجاية مفلولا بعد ان كنت جمعت له أموالا كثيرة أنفق جميعها فى العرب ولما رجع وأعوزته النفقة خرجت بنفسى الى قبائل البربر بالجبال الممتنعين من المغارم منذ سنين قد خلت بلادهم واستبحت حماهم وأخذت رهنهم على الطاعة حتى استوفيت منهم الجباية وكان لنا فى ذلك مدد واعانة ثم بعث صاحب تلمسان الى السلطان يطلب منه الصهر فأسعفه بذلك ليصل يده به على ابن عمه وزوجه ابنته ثم نهض السلطان أبو العباس سنة سبع وستين وجاس أوطان بجاية وكاتب أهل البلد وكانوا وجلين من السلطان أبى عبد الله لما كان يرهف الحد لهم ويشد وطأته عليهم فأجابوه الى الانحراف عنه وخرج الشيخ أبو عبد الله يروم مدافعته ونزل جبل ايزو معتصما به فبيته السلطان أبو العباس فى عساكره وجموع الاعراب من أولاد محمد من رياح بمكانه ذلك باغراء ابن صخر وقبائل سدويكش وكبسه فى مخيمه وركض هاربا فلحقه وقتله وسار الى البلد بمواعدة أهلها وجاءنى الخبر بذلك وانا مقيم بقصبة السلطان بقصوره وطلب منى جماعة من أهل البلد القيام بالامر والبيعة لبعض أبناء السلطان فتفاديت من ذلك وخرجت الى السلطان أبى العباس فأكرمنى وحيانى وأمكنته من بلده وأجرى أحوالها كلها على معهودها وكثرت السعاية عنده فى والتحذير من مكانى وشعرت بذلك فطلبت الاذن فى الانصراف بعهد كان منه فى ذلك فأذن لى بعدما أبى وخرجت الى العرب ونزلت على يعقوب بن على ثم بدا له الشأن فى أمرى وقبض على أخى واعتقله ببونة وكبس بيوتنا فظن بها ذخيرة وأموالا فأخفق ظنه ثم ارتحلت من أحياء يعقوب بن على وقصدت بسكرة لصحابة بينى وبين شيخها أحمد بن يوسف بن مزنى وبين أبيه فأكرم وبر وساهم فى الحادث بماله وجاهه والله أعلم

(مشايعة أبى حمو صاحب تلمسان)

كان السلطان أبو حمو قد التحم ما بينه وبين السلطان أبى عبد الله صاحب بجاية بالصهر فى ابنته وكانت عنده بتلمسان فلما بلغه مقتل أبيها واستيلاء السلطان أبى العباس ابن عمه صاحب قسنطينة على بجاية أظهر الامتعاض لذلك وكان أهل بجاية قد توجسوا الخيفة من سلطانهم بارهاف حده وشدة بطشه وسطوته فانحرفوا عنه باطنا وكاتبوا ابن عمه بقسنطينة كما ذكرناه ودسوا للسلطان أبى حمو بمثلها يرجون الخلاص من صاحبهم بأحدهما فلما استولى السلطان أبو العباس وقتل ابن عمه رأوا ان جرحهم قد اندمل وحاجتهم قد قضيت فاعصوصبوا عليه وأظهر السلطان أبو حمو الامتعاض

للواقعة يسر منها حصوافى ارتقاء ويجعله ذريعة للاستيلاء على بجاية لما كان يرى نفسه
كفأها بعدده وعديده وما سلف من قومه فى حصارها فسار من تلمسان يجر الشوك
والمدر حتى خيم بالرشة من ساحتها ومعه أحياء زغبة بجموعهم وظعائنهم من لدن
تلمسان الى بلاد حصين من بنى عامر وبنى يعقوب وسويد والديالم والعطاف وحصين
وانحجر أبو العباس بالبلد فى شرذمة من الجند أعجله السلطان أبو حمو عن استكمال
الحشد ودافع أهل البلد أحسن الدفاع وبعث السلطان أبو العباس عن أبى زيان بن
السلطان أبى سعيد عم أبى حمو من قسنطينة كان معتقلا بها وأمر مولاه وقائد
عسكره بشيرا أن يخرج معه فى العساكر وساروا حتى نزلوا بنى عبد الجبار قبالة معسكر
أبى حمو وكانت رجالات زغبة قد وجموا من السلطان وأبلغهم النذير أن ملك بجاية
اعتقلهم بها فراسلوا أبا زيان وركبوا اليه واعتقدوا معه وخرج رجل البلد بعض
الايام من أعلى الحصن ودفعوا شرذمة كانت مجمرة بازائهم فاقتلعوا أخبيتهم وأسهلوا
من تلك العقبة الى بسيط الرشة وعاينهم العرب بأقصى مكانهم من المعسكر فاجفلوا
وتتابع الناس فى الاجفال حتى افردوا السلطان فى مخيمه فحمل رواحله وسار وغصت
الطرق بزحامهم وتراكم بعضهم على بعض فهلك منهم عوالم وأخذهم سكان الجبال من
البربر بالنهب من كل ناحية وقد غشيهم الليل فتركوا أزوادهم ورحالهم وخلص
السلطان ومن خلص منهم بعد غص الريق وأصبحوا على منجاة وقذفت بهم الطرق من
كل ناحية الى تلمسان وكان السلطان أبو حمو قد بلغه خبر خروجى من بجاية وما أحدثه
السلطان بعدى فى أهلى ومخلفى فكتب الىّ يستقدمنى قبل هذه الواقعة وكانت الامور
قد اشتبهت فتفاديت بالاعذار وأقمت باحياء يعقوب بن على ثم ارتحلت الى بسكرة فأقمت
بها عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزنى فلما وصل السلطان أبو حمو الى تلمسان وقد
جزع للواقعة أخذ فى استئلاف قبائل رياح ليجلب بهم مع عساكره على أوطان بجاية
وخاطبنى فى ذلك لقرب عهدى باستتباعهم وملك زمامهم ورأى أن يعوّل علىّ فى ذلك
واستدعانى لحجابته وعلامته وكتب بخطه مدرجة فى الكتاب نصها الحمد لله على ما أنعم
والشكر لله على ما وهب ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون حفظه الله
انك تصل الى مقامنا الكريم بما خصصناكم به من الرتبة المنيعة والمنزلة المنيفة وهو
قلم خلافتنا والانتظام فى سلك أوليائنا وقد أعلمناكم بذلك وكتب بخط يده عبد الله
المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وخار له وبعده بخط الكاتب ما نصه
بتاريخ السابع عشر من شهر رجب الفرد من عام تسع وستين وسبعمائة عرفنا الله
خيره ونص الكتاب الذى هذه مدرجته وهو بخط الكاتب أكرمكم الله يا فقيه أبا زيد

ووالى رعايتكم انا قد ثبت عندنا وصح لدينا ما انطويتم عليه من المحبة فى مقامنا والانقطاع الى جنابنا والتشيع قديما وحديثا لنا مع ما نعلمه من محاسن اشتملت عليها أوصافكم ومعارف فقتم فيها نظراءكم ورسوخ القدم فى الفنون العلمية والآداب العرفية وكانت خطة الحجابة ببابنا العلى أسماه الله الى درجات أمثالكم وأرفع الخطط لنظرائكم قربا منا واختصاصا بمقامنا واطلاعا على خفايا أسرارنا آثرناكم بها ايثارا وقدمنا كم لها اصطفاء واختيارا فاعملوا على الوصول الى بابنا العلى أسماه الله لما لكم فيه من التنويه والقدر النبيه حاجبا العلى بابنا ومستودعا لاسرارنا وصاحبا الكريم علامتنا الى ما شاكل ذلك من الانعام العميم والخير الجسيم والاعتناء والتكريم لايشاركم مشارك فى ذلك ولا يزاحمكم أحد وان وجد من أمثالكم فأعلموه وعولوا عليه والله تعالى يتولاكم ويصل سراءكم ويوالى احتفاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتأدت الى هذه الكتب السلطانية على يد سفير من وزرائه جاء الى أشياخ الزواودة فى هذا الغرض فقمت له فى ذلك أحسن قيام وشايعته أحسن مشايعة وحملتهم على اجابة داعى السلطان والبدار الى خدمته وانحرف كبراؤهم عن السلطان أبى العباس الى خدمته والاعتمال فى مذاهبه واستقام غرضه من ذلك وكان أخى يحيى قد خلص من اعتقاله وقدم على ببسكرة فبعثته الى السلطان أبى حمو كالنائب عنى فى الوظيفة متفاديا عن تجشم أهوالها بما كنت نزعت عن غواية الرتب وطال على اغفال العلم فاعرضت عن الخوض فى أحوال الملوك وبعثت الهمة على المطالعة والتدريس فوصل اليه الاخ فاستكفى به ذلك ودفعه اليه ووصلنى مع هذه الكتب السلطانية كتاب رسالة من الوزير أبى عبد الله ابن الخطيب من غرناطة يتشوق الى وتأدى الى تلمسان على يد سفراء السلطان ابن الاحمر فبعث الى من هنالك ونصه

بنفسى وما نفسى على رخيصة * فيمنزلى عنها المكاس بأثمان
حبيب نأى عنى وصم لأننى * وراش سهام البين عمدا فأصمانى
وقد كان هم الشيب لا كان كافيا * فقد آدنى لما ترحل همان
شرعت له من دمع عينى موردا * فكدر شربى بالفراق وأظمانى
وأرعيته من حسن عهدى جمة * فأجدب آمالى وأوحش ازمانى
حلفت على ما عنده لى من رضا * قياسا بما عندى فأحنث أيمانى
وانى على ما نالنى منه من قلا * لأشتاق من لقياه نغبة ظمآن
سألت جنونى فيه تقريب عرسه * فقست بجن الشوق جن سليمان
اذا ما دعا داع من القوم باسمه * وثبت وما استثبت شيمة هيمان

وتالله ما أصغيت فيه لعاذل * تحاميته حتى ارعوى وتحامانى
ولا استشعرت نفسى برحمة عابد * تظلل يوما مثله عبد رحمن
ولا شعرت من قبله بتشوق * يخلل يوما مثله عبد رحمن

أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج وأما الصبر فسل به أية درج بعد أن تجاوز اللوا والمنعرج لكن الشدة تعشق الفرج والمؤمن ينشق من روح الله الارج وانى بالصبر على ابر الزبر لا بل الضرب الهبر ومطاولة اليوم والشهر تحت حكم القهر ومن للعين أن تسلو سلو القصر عن انسانها المبصر أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائى والمشاهد وفى الجسد مضغة يصلح اذا اصلحت فكيف حاله ان رحلت عنه أو نزحت واذا كان الفراق هو الحمام الاول فعلام المعول أعيت مراوضة الفراق على الرواق وكادت لوعة الاشتياق ان تفضى الى السياق

تركتمونى بعد تشييعكم * أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرع سنى ندما تارة * وأستميح الدمع احيانا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخالية وجددت رسوم لاسى بمباكرة الرسوم البالية أسائل نوى النوى عن أهليه وهيام المرقد المهجور عن مصطليه وثاء الاثافى المثلثة من منازل الموحدين وأحار بين تلك الاطلال حيرة الملحدين لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين كلفت لعمر الله بسائل عن جفونى المؤرقة ونائم عن شجونى المجتمعة المتفرقة ظعن عن ملال لا متبرما بشرحال وكدر الوصل بعد صفائه وضرح النصل بعد عهد وفائه

أقل اشتياقا أيها القلب انما * رأيتك تصفى الود من ليس جازيا

فها أنا أبكى عليه بدم أساله وأندب فى ربع الفراق اساله وأشكو اليه حال قلب صدعه وأودعه من الوجد ما أودعه لما خدعه ثم قلاه وودعه وأنشق رياه أنف ارتياح قد جدعه

خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

فلولا عسى الرجاء ولعله لا بل شفاعة المحل الذى حله نشرت ألوية العتب وبثت كتائبها كمينا فى شعاب الكتب تهزم من الالفات رماحا هز الاسنة وتوتر من النونات أمثال القسى المرنة وتقود من مجموع الطرس والنقس بلقا تردى فى الاعنة ولكنه أوى الى الحرم الامين وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة الغوار عن الشمال واليمين حرم الخلال المزنية والظلال اليزنية والهمم السنية والشيم التى لا ترضى بالدون ولا بالدنية حيث الرفد الممنوح والطير الميامن يزجولها السنوح

والمثوى

والمثوى الذى اليه مهما تقارع الكرام على الضيفان حول جوابى الجفان فهو الجنوح

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

ومن حل بتلك المثابة فقد اطمأن جنبه وتغمد بالعفو ذنبه (ولله در القائل)

فوحقه لقد انتدبت لوصفه * بالبخل لولا أن حمصا داره

بلد متى أذكره هيج لوعتى * واذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفرا وأين قراره النخيل من مثوى الالف البخيل ومكذبة المخيل وأين ناشئة هجر من متبرئ من أحد وحجر

من أنكر غيث منشئها * فى الارض ينوء بمخلفها

فبنان بنى مزن مزن * تنهل بلطف مصرفها

مزن مذ حل ببسكرة * يوما نطقت بمصحفها

شكرت حتى بعبارتها * وبمعناها وبأحرفها

وشكرت الدنيا متى عرفت * مزن فيها بمعترفها

بل نقول لامحل للوالد لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد لقد حل بينك عرى الجلد وخلد الشوق بعدك يا ابن خلدون فى الصميم من الخلد فحيا الله زمانا شفيت فى قربك زمانته واجتليت فى ذروة مجدك جمانته ويامن لمشوق لم ينض من طول خلتك لبانته وأهلا بروض أضلت شباب معارفك بانته فخمائله بعدك تندب فساعدها الجندب ونواسمه ترق فتتعاشى وعشبانه تهفت وتتلاشى وأدواحه فى ارتباك وحمائمه فى مأتم ذى اشتباك كأن لم تكن قرهالات قبابه ولم يكن أنسك شارع بابه الى صفوة الضرب ولبابه ولم يسبح انسان عينك فى ماء شبابه فلهفا عليك من درة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق غراب بينها فى ربوع الهوى ونطق بالزجر فما نطق عن الهوى وبأى شئ يعتاض منك أيتها الرياض بعد أن طما نهرك الفياض وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء والحرب المهنوء من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل وشارك فى الامر الناقة والجمل واستأثر جنحه ببدر النادى لما كمل فشرع الشراع فراع وواصل الاسراع فكأنما هو تمساح

ضايق الاحباب فى البرهة واختطف بهم من الشط نزهة العين وعين النزهة ولجج بها والعيون تنظر والعبر عن الاتباع تحظر فلم يقدر الا على الاسف والتماح الاثر المنتسف والرجوع بملء العيبة من الخيبة ووقر الحبرة من الحسرة انما نشكو الى الله البث والحزن ونستمطر منه المزن وبسيف الرجاء نصول اذا

بياض بالاصل

شرعت لليأس أسنة ونصول

ما أقدر الله أن يدنى على شحط * من داره الحزن ممن داره صول

فان كان كلام الفراق رغيبا لما نويب مغيبا وحالت الوقت الهنى تشغيبا فلعل الملتقى يكون قريبا وحديثه يروى صحيحا غريبا ايه سيدى كيف حال تلك الشمايل المزهرة الخمايل والشيم الهامية الديم هل عريا الهامن راعت بالبعد باله واخمدت بعاصف البين ذباله أو ترى للوقت شأنها سكب لا يفتر وشوق يبت حبال المشوق ويبتر وضنى تقصر عن حلله الفائقة صنعاء وتستر والامر أعظم والله يستر وما الذى يضيرك صيرمن بلفح السموم يضيرك بعد أن أضرمت وأشعلت وأوقدت وجعلت وفعلت فعلتك التى فعلت ان تترفق بذماء أو ترد بنغبة ماء رماق ظماء وتتعاهد المعاهد بتحية عليها شذا انفاسك أو تقطر البنان البعد بمة لاحورا من بياض قرطاسك وسواد انفاسك فربما قنعت الانفس المحبة بخيال يزور وتعللت بنوال منذور ورضيت لما لم تصد العنقاء بزرزور

يامن ترحل والرياح لاجله * تشتاق ان يعبق شذا رياها

تحيا النفوس اذا بعثت تحية * واذا قرأت ترى ومن أحياها

ولئن أحييت بها فيما سلف نفوسنا تفديك والله الى الخير يهديك فنحن نقول معشر موديك ثن ولا تجعلها بيضة الديك وعذرا فانى لم أجترئ على خطابك بالفقرة الفقيرة وأدللت لدى محرابك برفع العقيره عن نشاط بعث مرسومه ولا اغتباط بالادب الابساسة تسوسه أوفى على الفترة ناموسه وانما هو نفاق نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وان تعلل به مخارق فثم قياس فارق والذى هيأ هذا القدر وسببه وسهل المكروه الى منه وحببه ما اقتضاه الصنو يحيى أمد الله حياته وحرس من الحوادث جهاته من خطاب ارتشف لهذه القريحة العديمة بلالتها بعد أن رنى غلالتها وردخ الى الصهر الحضرمى سلالتها فلم يسع الاسعافه بما أعافه فأمليت مجيبا ما لا يعد فى يوم الرهان نجيبا وأسمعته وجيبا لما ساجلت بهذه الترهات سحرا عجيبا حتى اذا ألف القلم العريان فسحه وجمح بذون الغزارة فلم أطق كبحه لم أفق من غمرة غلوه وموقف شلوه الاوقد تحيز الى فئتك معتز يا بل معترا واستقبلها ضاحكا مفترا وهش لها برا وان كان من الخجل مصفرا وليس بأول من هجر فى التماس الوصل ممن هجر أو بعث التمر الى هجر وأى نسب بينى اليوم وبين زخرف الكلام واجالة جياد الاقلام فى محاورة الاعلام بعد أن حال الجريض دون القريض وشغل المريض عن التعريض وغلب الشوق الكسل

ونشرت الشعرات البيض كأنها الاسل تروع برقط الحيات سرب الحياة وتطرق
بذوات الغرر والشباب عند البيات والشيب الموت العاجل والمعتبر الآجل واذا
اشتغل الشيخ بغير معاده حكم في الظاهر بابعاده وأسره في ملكة عاده فأغض أبقاك
الله وأسمح لمن قصر عن المطمح وبالعين الكليلة فالمح واغتنم لباس ثوب الثواب
واشفع بعض الجوى بالجواب تولاك الله فيما استضفت وملكت ولا بعدت
ولا هلكت وكان لك أية سلكت ووسمك من السعادة بأوضح السمات وأتاح لقاءك
من قبل الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدى وساكن خلدى بل أخى وان
اتقيت عتبه وسيدى ورحمة الله وبركاته من محبه المشتاق اليه محمد بن عبد الله ابن
الخطيب في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام سبعين وسبعمائة وكان تقدم منه
قبل هذه الرسالة كتاب آخر الى بعث به الى تلمسان فتأخر وصوله حتى بعث به أخى يحيى
عند وفادته على السلطان ونص الكتاب ياسيدى اجلالا واعتدادا وأخى
ودا واعتقادا ومحل ولدى شفقة حلت منى فؤادا طال على انقطاع أنبائك واختفاء
أخبارك فرجوت أن أبلغ المنية بهذا المكتوب اليك وتخترق الموانع دونك وان
كنت في موالاتك كالعاطش الذي لا يروى والآكل الذي لا يشبع شأن من تجاوز
الحدود الطبيعية والعوائد المألوفة فأنا بعد انهاء التحية المطلولة الروض بماء الدموع
وتقرير الشوق القديم اللزيم وشكوى البعاد الاليم والابتهال في اتاحة القرب قبل
الفوت من الله ميسر العسير ومقرب البعيد أسأل عن احوالك سؤال أبعد الناس مجالا
في مجال الخلوص لديك واستقرارك بسكرة على الغبطة بك بالجملة الى تلك الربانية
الزكية الكريمة الاب الشهيرة الفضل المعروفة القدر على البعد حرسها الله ملجأ للفضلاء
ومختار رجال العلماء ومهب الطيب الثناء بحوله وقوته وقاربت كل ساح السلامة
فاحمدوا الله على الخلاص وقاربوا في معاملة الآمال وضنوا بتلك الذات الفاضلة
عن المشاق واربئوا بها عن المتالف فمطلوب الحريص على الدنيا خسيس والموانع
الحافة جمة والحاصل حسرة وما قل سعى بحمد حالة العاقبة والعاقل لا يستنكيه
الاستغراق فيما آخره الموت انما ينال منه الضرورى ومثلك لا يعجزه مع الناس
العافية اضعاف ما يرجى به العمر من المأكل والمشرب وحسبنا الله وان تشوقت
لحال المحب تلك السيادة البرة والبنوة البرة فالحال حال من جعل الزمام بيد القدر
والسير في مهيع الغفلة والسبح في تيار الشواغل ومن وراء الامور غيب محجوب
وأجل مكتوب يؤمل فيه عادة الستر من الله الا أن الضجر الذى تعلمونه حفظه الناس
لما عجزت الحيلة وأعوز الناصر وسدت المذاهب والشأن اليوم شأن الناس فيما

يقرب من الاعتدال وفيما يرجع الى السلطان تولاه الله على اضعاف ما باشر سيدى من الاغياء فى البر ووصل سبب الاتصال والاشتمال مع الاقبال وما يصحبه متعود الظهور والحمد لله وفيما يرجع الى الاحباب والاولاد فعلى ما علمت الآن الشوق يخامر القلوب وتصور اللقاء بما يزهد فى الوطن وحاضر النعم سنى الله ذلك على أفضل حال ويسره قبل الارتحال من دار المحال وفيما يرجع الى الوطن فأحوال الناس خصبا وهدنة وظهورا على العدو وحسبك بافتتاح حصن آش وبرغة القاطعة بين بلاد الاسلام وويرة والعارين وبيعة وحصن السهلة فى عام ثم دخول بلد اطريرة بنت اشبيلية عنوة والاستيلاء على ما يناهز خمسة آلاف من السبى من فتح دار الملك وبلدة قرطبة ومدينة جيان عنوة فى اليوم الاغر المحجل وقتل المقاتلة وسبى الذرية وتعفية الآثار حتى لا يلم بها العمران ثم افتتاح مدينة رندة التى تلف جيان فى ملاءة مهادا ار التجر والرفاهية والبناآت الحافلة والنعم الثرة نسأل الله جل وعلا أن يصل عوائد نصره ولا يقطع مناسيب رحمته وأن ينفع بما أعان عليه من السعى فى ذلك والاعانة عليه ولم يتزيد من الحوادث الا ما علمتم من أخذ الله لنسب السوء وخبث الارض المسلوب من أثر الخير عمر بن عبد الله وتحكم شر الميتة فى نفسه واتيان النكال على حاشيته والاستئصال على نفيسه والاضطراب مستول على الوطن بعده الا أن القرب على علاته لا يرجحه غيره والاندلس اليوم شيخ غزاتها عبد الرحمن بن على بن السلطان أبى على بعد وفاة الشيخ أبى الحسن على بن بدر الدين رحمه الله وقد استقر بها بعد انصراف سيدى الامير المذكور والوزير مسعود بن رحو وعمر بن عثمان بن سليمان والسلطان ملك النصارى بطرة قد عاد الى ملكه باشبيلية وأخوه مجاب عليه بقشتالة وقرطبة مخالفة عليه قائمة بطائفة من كبار النصارى الخائفين على أنفسهم داعين لاخيه والمسلمون قد اغتنموا هبوب هذه الريح وخرق الله لهم عوائد فى باب الظهور والخير لم تكن تخطر فى الآمال وقد تلقب السلطان أيده الله بعقب هذه المكتنفات بالغنى بالله وصدرت عنه مخاطبات بمجمل الفتوح ومفصلها بعظم الحرص على ايصالها الى تلك الفضائل لو أمكن وأما ما يرجع الى ما يتشوف اليه ذلك الكمال من شغل الوقت فصدرت تقاييد وتفاصيل يقال فيها بعد ما اعقلت تلك السيادة بالانصراف يا ابراهيم ولا ابراهيم اليوم منها أن كتابا رفع الى السلطان فى المحبة من تصنيف ابن أبى حجلة من المشارقة فعارضته وجعلت الموضوع أشرف وهو محبة الله فجاء كتابا ادعى الاصحاب غرابته وقد وجه الى الشرق وصحبته كتاب غرناطة وغيره من تأليفى وتعرف تحبيسه بخانقاه سعيد السعداء من مصر واثنال الناس عليه وهو فى لطافة الاعراض متكفل اغراض المشارقة من مطمه

سلت لمصر في الهوى من بلد * يهديه هواؤها لدى استنشاقه
من شكر دعوتي فقل عني له * تكفي امرأة العزيز من عشاقه

والله يرزق الاعانة في انتساخه وتوجيهه وصدر عني جزء سميته الغيرة على أهل الحيرة وجزء سميته حمد الجمهور على السنن المشهور والاكتاب على اختصار كتاب الجوهري ورد حجمه الى مقدار الخمس مع حفظ ترتيبه السهل والله المعين على مشغلة تقطع بها هذه البرهة القريبة البداءة من التتمة ولا حول ولا قوة الا بالله والمطلوب المثابرة على تعريف يصل من تلك السيادة والبنوة اذ لا يتعذر وجود قافل من حج ولا حق بتلمسان يعتها السيد الشريف منها فالنفس شديدة التعطش والقلوب قد بلغت من الشوق والاستطلاع الحناجر والله أسأل أن يصون في البعد وديعتي منك لديه ويلبسك العافية ويخلصك واياي من الورطة ويحملنا أجمعين على الجادة ويختم لنا بالسعادة والسلام الكريم عودا على بدء ورحمة الله وبركاته من المحب المشوق الذاكر الداعي ابن الخطيب في الثاني من جمادى الاولى من عام تسعة وستين وسبعمائة انتهى (فأجبته) ونص الجواب سيدي مجدا وعلاء واحدى ذخرا مرجوا ومحل والدي برا وحنوا مازال الشوق مذ نأت بي وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي أنباءك ويخيل الي من أيدي الرياح تناول رسائلك حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع وعهد غير مضاع وودّ ذي أجناس وأنواع فنشر بقلبي ميت السلو وحشر أنواع المسرات وقدح لقائك زناد الامل والله أسأل الامتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك ويبني أماني وأمانيك وحييته تحية الهائم لموقع الغمائم والمدلج للصباح المتبلج وأملي على مقترح الاولياء خصوصا فيك من اطمئنان الحال وحسن القرار وذهاب الهواجس وسكون النفرة وعموما في الدولة من رسوخ القدم وهبوب ريح النصر والظهور على عدو الله باسترجاع الحصون التي استنقذوها في اعتلال الدولة وتخريب المعاقل التي هي قواعد النصرانية غريبة لا تثبت الا في الحلم وآية من آيات الله وان خبأة هذا الفتح في طي العصور السالفة الى هذه المدة الكريمة لدليل على عناية الله بتلك الذات الشريفة حيث أظهر على يدها خوارق العادة وما تجدد آخر الايام من معجزات الملة وكل فيها والحمد لله بحسن التدبير ويمن النقيبة من حميد الاثر وخالد الذكر طراز في حلة الخلافة النصرية وتاج في مفرق الوزارة كتبه الله لك فيما رضاه الله من عباده ووقفت عليه الاشراف من أهل هذا العصر المحروس وأذعته في الملا سرور العز الاسلام واظهار للنعمة واستطراد الذكر الدولة المولوية بما تستحقه من طيب الثناء والتماس الدعاء والتحديث بنعمتها والاشادة بفضلها على الدول السالفة

والخالفة وتقدمها فانشرحت الصدور رحبا وامتلأت القلوب اجلالا وتعظيما وحسنت الآثار اعتقادا ودعاء وكان كتاب سيدى لشرف تلك الدولة عنوانا ولمآثرها بيتيمها من نعتى فى مناقبها ترجمانا زاده الله من فضله وأمتع المسلمين بسكون الغريب من الشوق المزعج والحيرة التى تكاد تذهب بالنفس أسفا التياثا فى عزمها عن الامن والتقويض عن دار العز المولى المنعم والسيد الكريم والبلد الطيب والاخوان البررة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان تشوفت السيادة الكريمة الى الحال فعلى ما علمتم سير امع الامل ومغالبة للايام على الحظ واقطاعا للغفلة جانب العمر

هل نافعى والجدّ فى صبب * مدى مع الآمال فى صعد

رجع الله بنا اليه ولعل فى عظمتكم النافعة شفاء من هذا الداء العياء ان شاء الله وان لطف الله مصاحب من هذه الرياسة المزنية وحسبك بها عليه عصمة وافية صرفت وجه القصد الى ذخيرتى التى كنت أعتدها منهم كما علمتم حين تفاقم الخطب وتلون الدهر والافلات من مظان النكبة وقد رنقت حولها بعدما جرته الحادثة بهلاك السلطان المرحوم على يد ابن عمه قريعه فى الملك وقسيمه فى النسب والتياث الجاه وتغير السلطان واعتقال الاخ المخلف واليأس منه لولا تكيف الله فى نجاته والعيث بعده فى المنزل والولد واغتصاب الضياع المقتناة من بقايا ما متعت به الدولة النصرية أبقاها الله من النعمة فآوى الى الوكر وساهم فى الحادث وأشرك فى الجاه والمال وأعان على نوائب الدهر وطلب الوتر حين رأى الدهر قلانى وأمّل الملوك استخلاصى وتجاوز وافى اتحافى والله المخلص من عقال الآمال والمرشد الى نبذ هذه الحظوظ المورطة وأنبأنى سيدى بما صدر عنه من التصانيف الغريبة فى هذه الفتوحات الجليلة وبودّى لو وقع الاتحاف بها أو ببعضها فلقد عاودنى الندم على ما فرطت وأما أخبار هذا القطر فلا زيادة على ما علمتم من استقرار السلطان أبى اسحق ابن السلطان أبى يحيى بتونس مستبدا بأمره بالحضرة بعد مهلك شيخ الموحدين أبى محمد بن تافراكين القائم بأمره رحمة الله عليه مضايقا فى حبايات الوطن وأحكامه بالعرب المستظهرين بدعوته مصانعا لهم بوفرة على أمان الرعايا والسابلة لو أمكن حسن السياسة جهد الوقت ومن انتظام بجاية محل دولتنا فى أمر صاحب قسنطينة وبونة خلافا كما علمتم محملا الدولة بصرامته وقوة شكيمته فوق طوقها من الاستبداد والضرب على أيدى المستقلين من الاعراب منتقض الطاعة أكثر أوقاته لذلك الاما شمل البلاد من تغلب الغرة ونقص الارض من الاطراف والوسط وخمود ذبال الدول فى كل جهة وكل بداية الى تمام وأما أخبار المغرب

الاقصى والادنى فلديكم طلعه وأما المشرق فأخبر الحاج هذه السنة من اختلاله وانتقاض سلطانه وانتزاء الجفاة على كرسيه وفساد المصانع والسقايات المعدة لوفد الله وحاج بيته ما يسخن العين ويطيل البث حتى زعموا أن الهيعة اتصلت بالقاهرة أياما وكثر الهرج فى أزقتها وأسواقها لما وقع بين سندمر المتغلب بعد يلبغا الخاصكى وبين سلطانه نظاهر القلعة من الجولة التى كانت دائرتها عليه أجلت عن زهاء الخمسمائة قتلى من حاشيته وموالى يلبغا وتقبض على الباقين فأودع منهم السجون وطلب الكثير وقتل سندمر فى محبسه وألقى زمام الدولة بيد كبير من موالى السلطان فقام بها مستبدا وقادها لسنة لا ويدا لله تصاريف الامور ومظاهر الغيوب جل وعلا ورغبتى من سيدى أبقاه الله أن لا يغب خطابه عنى متى أمكن أن يصل منه الجهة وأن يقبل عنى أقدام تلك الذات المولوية ويعرفه بما عندى من التشيع لسلطانه والشكر لنعمته وأن ينوب عنى لحاشيته وأهل اختصاصه التحية المختلسة من أنفاس الرياض كبيرهم وصغيرهم وقد تأدى منى الى حضرته الكريمة خطاب على يد الحاج نافع سلمه الله تناوله من الاخ يحيى عند لقائه اياه بتلمسان بحضرة السلطان أبى حمو أيده الله فربما يصل وسيدى يوضح من ثنائى ودعائى ما عجز عنه الكتاب والله يبقيكم ذخرا للمسلمين وملاذا للآملين بفضله والسلام الكريم عليكم وعلى من لاذ بكم من السادة الاولاد المناجيب والاهل والحاشية والاصحاب من المحب فيكم المعتد بكم شيعة فضلكم ابن خلدون ورحمة الله وبركاته عنوانه سيدى وعمادى ورب الصنائع والايادى والفضائل الكريمة الخواتم والمبادى امام الائمة علم الائمة تاج الملة فخر العلماء عماد الاسلام مصطفى الملوك الكرام كافل الامامة تاج الدول أثير الله ولى أمير المؤمنين الغنى بالله أيده الله الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب أبقاه الله وتولى عن المسلمين جزاه (وكتب) الى من غرناطة ياسيدى ووليى وأخى ومحل ولدى كان الله لكم حيث كنتم ولا أعدمكم لطفه وعنايته لو كان مستقركم بحيث يتأتى اليه ترديد رسول وانفاذ مقتطع أو توجيه نائب لرجحت على نفسى باللائمة فى اغفال حقكم ولكن العذر ما علمتم واحمدوا الله على الاستقرار فى كنف ذلك الفاضل الذى وسعكم كنفه وشملكم فضله شكر الله حسبه الذى لم يخالف وشهدته التى لم تكذب روانى اغتنمت سفر هذا الشيخ وافد الحرمين بجموع الفتوح فى ايصال كتابى هذا وبودى لو وقفتم على ما لديه من البضاعة التى أنتم رأسها وصدرها فيكون لكم فى ذلك بعض أنس وربما تأدى ذلك فى بعضه عما لم يختم عليه وظواهر الامور تجل عليه فى تعريفكم بها وأما البواطن فما لا تتأتى كثرة وجامة وأخص ما أظن تشوفكم اليه حالى فاعلموا انى قد بلغنى

الماء الربى واستولى على سوء المزاج المنحرف وتوالت الامراض وأعوز الشفاء لبقاء السبب والعجز عن دفعه وهى هذه المداخلة جعل الله عاقبتها الى خير ولم أترك وجها من وجوه الحيلة الا بذلته فما أغنى عنى شيأ ولولا أنى بعد كم شغلت الفكر بهذا التأليف مع الزهد وبعد العهد وعدم الالماع بمطالعة الكتب لم تمش من طريق فساد الفكر الى هذا الحد وآخر ما صدر عنى كاش سميته باستنزال اللطف الموجود فى أسر الوجود أمليته فى هذه الايام التى أقيم فيها رسم النيابة عن السلطان فى سفره الى الجهاد بودى لو وقفتم عليه وعلى كتابى فى المحبة وعسى الله أن ييسر ذلك ومع هذا كله والله ما قصرت فى الحرص على ايصال مكتوب اليكم امامن جهة أخيكم أو من جهة السيد الشريف أبى عبد الله حتى من المغرب اذا سمعت الركب متوجها منه فلا أدرى هل بلغكم شئ من ذلك أم لا والاحوال كلها على ما تركتموها عليه وأحبابكم بخير على ما علمتم من الشوق والتشوف والارتماض على مفارقتكم ولا حول ولا قوة الا بالله والله يحفظكم ويتولى أموركم والسلام عليكم ورحمة الله من المحب الواحش ابن الخطيب فى ربيع الثانى من عام احدى وسبعين وسبعمائة وبباطنه مدرجة نصها سيدى رضى الله عنكم استقر بتلمسان فى سبيل تقلب ومسارعة مزاج تعرفونه صاحبنا المقدم فى الطب أبو عبد الله الشقورى فاذا اتصل بكم فأعينوه على ما يقف عليه اختياره وهذا لا يحتاج معه الى مثلكم عنوانه سيدى ومحل أخى الفقيه الجليل الصدر الكبير المعظم الرئيس الحاجب العالم الفاضل الوزير ابن خلدون وصل الله سعده وحرس مجده بمنه واغما طولت بذكر هذه المخاطبات وان كانت فيما يظهر خارجة عن غرض الكتاب لان فيها كثيرا من أخبارى وشرح حالى فيستوفى ذلك منها ما يتشوف اليه من المطالعين للكتاب ثم ان السلطان أبا حمو لم يزل معملا فى الاجلاب على بجاية واستئلاف قبائل رياح لذلك ومعولا على مشايعتى فيه ووصل يده مع ذلك بالسلطان أبى اسحق ابن السلطان أبى بكر صاحب تونس من بنى أبى حفص لما كان بينه وبين أخيه صاحب بجاية وقسنطينة من العداوة التى تقتضيها مقاسمة النسب والملك فكان يوفد رسله عليه فى كل وقت ويمرون بى وأنا ببسكرة فأكد الوصلة بمخاطبة كل منهما وكان أبو زيان ابن عم السلطان أبى حمو بعد اجفاله عن بجاية واختلال معسكره قد سار فى أثره الى تلمسان وأجلب على نواحيها فلم يظفر بشئ وعاد الى حصين فأقام بينهم واشتملوا عليه ونجم النفاق فى سائر أعمال المغرب الاوسط ولم يزل يستألفهم حتى اجتمع له الكثير منهم فخرج فى عساكره منتصف تسع وستين الى حصين وأبى زيان واعتصموا بجبل تيطرى وبعث الى فى استنفار الزواودة للأخذ بحجزتهم من جهة الصحراء وكتب يستدعى

أشياخهم يعقوب بن على كبير أولاد محمد وعثمان بن يوسف كبير أولاد سباع بن يحيى وكتب الى ابن مزنى قعيدة وطنهم بامدادهم فى ذلك فأمدّهم وسرنا مغربين اليه حتى نزلنا القطفا بتل تيطرى وقد أحاط السلطان به من جهة التل على أنه اذا فرغ من شأنهم سار معنا الى بجاية وبلغ الخبر الى صاحب بجاية أبى العباس فعسكر بن اسنا ألف من بقايا قبائل رباح وعسكر بطرف ثنية القطفا المفضية الى المسيلة وبينما نحن على ذلك اجتمع المخالفون من زغبة وهم خالد بن عامر كبير بنى عامر وأولاد عريف كبراء سويد ونهضوا الينا بمكاننا من القطفا فأجفلت أحياء الزواودة وتأخرنا الى المسيلة ثم الى الزاب وسارت زغبة الى تيطرى واجتمعوا مع أبى زيان وحصين وهجموا على معسكر أبى حمو فقفلوه ورجع منهزما الى تلمسان ولم يزل من بعد على استئلاف زغبة ورياح يؤمّل الظفر بوطنه وابن عمه والكرّة على بجاية عاما فعاما وأنا على حالى فى مشايعته وايلاف ما بينه وبين الزواودة والسلطان أبى اسحق صاحب تونس وابنه خالد من بعده ثم دخلت زغبة فى طاعته واجتمعوا على خدمته ونهض من تلمسان لشفاء نفسه من حصين وبجاية وذلك فى أخريات احدى وسبعين فوفدت عليه بطائفة من الزواودة أولاد عثمان بن يوسف بن سليمان لنشارف أحواله ونطالعه بما رسم له فى خدمته فلقيناه بالبطحاء وضرب لنا موعدا بالجزائر انصرف به العرب الى أهليهم وتخلفت بعدهم لقضاء بعض الاغراض واللحاق بهم وصليت به عيد الفطر على البطحاء وخطبت به وأنشدته عند انصرافه من المصلى تهنئة بالعيد وغرضه

هذى الديار فحيهنّ صباحا * وقف المطايا بينهنّ طلاحا
لا تسأل الاطلال ان لم تروها * عبرات عينك واكفا ممتاحا
فلقد أخذن على جفونك موثقا * أن لا يرين مع البعاد شحاحا
ايه على الحىّ الجميع وربما * طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا
ومنازل للظاعنين استعجمت * حزنا وكانت بالسرور فصاحا

وهى طويلة ولم يبق فى حفظى منها الاهذا وبينما نحن فى ذلك اذ بلغ الخبر بأن السلطان عبد العزيز صاحب المغرب الاقصى من بنى مرين قد استولى على جبل عامر بن محمد الهنتانى بمراكش وكان أخذ بمخنقه منذ حول وساقه الى فاس فقتله بالعذاب وأنه عازم على النهوض الى تلمسان لما سلف من السلطان أبى حمو أثناء حصار السلطان عبد العزيز لعامر فى جبله من الاجلاب على ثغور المغرب ولحين وصول هذا الخبر أضرب السلطان أبو حمو على ذلك الذى كان فيه وكرّ راجعا الى تلمسان وأخذ فى أسباب الخروج الى الصحراء مع شيعة بنى عامر من أحياء زغبة فاستألف وجمع وشدّ الرجال

وقضى عيد الاضحى وطلبت منه الاذن فى الانصراف الى الاندلس لتعذر الوجهة الى بلاد رياح وقد أظلم الجو بالفتنة وانقطعت السبل فأذن لى وحملنى رسالة الى السلطان ابن الاحمر وانصرفت الى المرسى بهنين وجاء الخبر بنزول صاحب المغرب تازا فى عساكره فأجفل بعدى من تلمسان ذاهبا الى الصحراء على طريق البطحاء وتعذر على ركوب البحر من هنين فأقصرت وتأدى الخبر الى السلطان عبد العزيز بأنى مقيم بهنين وأن معى وديعة احملها الى صاحب الاندلس تخيل ذلك بعض الغواة وكتب به الى السلطان عبد العزيز فأنفذ من وقته سرية من تازا وتعرضنى لاسترجاع تلك الوديعة واستمر هو الى تلمسان ووافتنى السرية بهنين وكشفوا الخبر فلم يقفوا على صحته وحملونى الى السلطان فلقيته قريبا من تلمسان واستكشفنى عن ذلك الخبر فأعلمته بنفيه وعنفنى على مفارقة دارهم فاعتذرت له لما كان من عمر بن عبد الله المستبد عليهم وشهد لى كبير مجلسه وولى أبيه ونزيله ونزيل ونزيل ونزيه ابن ونزمار بن عريف ووزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة واحتفت الالطاف وسألنى فى ذلك المجلس عن أمر بجاية وأفهمنى أنه يروم تملكها فهونت عليه السبيل فى ذلك فسربه وأقمت تلك الليلة فى الاعتقال ثم أطلقنى من الغد فعمدت الى رباط الشيخ الولى أبى مدين ونزلت بجواره مؤثرا للتخلى والانقطاع للعلم لو تركت له

(مشايعة السلطان عبد العزيز صاحب المغرب على بنى عبد الواد)

ولما دخل السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستولى عليها وبلغ خبره الى أبى حمو وهو بالبطحاء فأجفل من هنالك وخرج فى قومه وشيعته من بنى عامر ذاهبا الى بلاد رياح فسرح السلطان وزيره أبا بكر بن غازى فى العساكر لاتباعه وجمع عليه أحياء زغبة والمعقل باستئلاف ونزمار وتدبيره ثم أعمل السلطان نظره ورأى أن يقدمنى أمامه الى بلاد رياح لاوطئ أمره وأحملهم على مناصرته وشفاء نفسه من عدوه بما كان السلطان أيس من استتباع رياح وتصريفهم فيما يريده من مذاهب الطاعة فاستدعانى من خلوتى بالعبادة عند رباط الولى أبى مدين وأنا قد أخذت فى تدريس العلم واعتزمت على الانقطاع فآنسنى وقربنى ودعانى لما ذهب اليه من ذلك فلم يسعنى الا اجابته وخلع على وحملنى وكتب الى شيوخ الزواودة بامتثال أمرى وما ألقيه اليهم من أوامره وكتب الى يعقوب بن على وابن مزنى بمساعدتى على ذلك وأن يحاولوا على استخلاص أبى حمو من بين أحياء بنى عامر ويحولوه الى حى يعقوب بن على فودعته وانصرفت فى عاشوراء سنة ثنتين وسبعين فلحقت الوزير فى عساكره وأحياء العرب من المعقل وزغبة على البطحاء ولقيته ودفعت اليه كتاب السلطان وتقدمت أمامه وشيعنى ونزمار

يومئذ وأوصانى بأخيه محمد وقد كان أبو حمو قبض عليه عندما أحس منهم بالخلاف وأنهم يرومون الرحلة الى المغرب وأخرجه معه من تلمسان مقيدا واحتمله فى معسكره فأكد على وترمار فى المحاولة على استخلاصه بما أمكن وبعث معى ابن أخيه عيسى فى جماعة من سويد بيدرونى وتقدم الى أحياء حصين وأخبرهم فرج بن عيسى بوصية عمه وترمار اليهم فنبذوا الى أبى زيان عهده وبعثوا معه من أوصله الى بلاد رياح ونزل على أولاد يحيى بن على بن سباع وتوغلوا به فى القفر واستمريت ذاهبا الى بلاد رياح فلما انتهيت الى المسيلة ألفيت السلطان أبا حمو وأحياء رياح معسكرين قريبا منها فى وطن أولاد سباع بن يحيى من الزواودة وقد تسايلوا اليه وبذل فيهم العطاء ليجمعوا اليه فلما سمعوا بمكانى من المسيلة جاؤا الى فحملتهم على طاعة السلطان عبد العزيز وأوفدت أعيانهم وأشياخهم على الوزير أبى بكر بن غازى فلقوه ببلاد الديالم عند نهر واصل فأتوه طاعتهم ودعوه الى دخول بلادهم فى اتباع عدوه ونهض معهم وتقدمت أنا من المسيلة الى بسكرة فلقيت بها يعقوب بن على واتفق هو وابن مزنى على طاعة السلطان وبعث ابنه محمدا للقاء أبى حمو وأمر بنى عامر خالد بن عامر يدعوهم الى نزول وطنه والبعد به عن بلاد السلطان عبد العزيز فوجده متدليا من المسيلة الى الصحراء ولقيه على الدوسن وبات ليلتهم يمرض عليهم التحول من وطن أولاد بنى سباع الى وطنهم بشرق الزاب وأصبح يومه كذلك فراعهم آخر النهار الا انتشار العجاج خارجا اليهم من أفواه الثنية فركبوا يستشرفون واذا بهم وادى الخيل طالعة من الثنية وعساكر بنى مرين والمعقل وزغبة منثالة أمام الوزير أبى بكر بن غازى قد دلهم الطريق وفد أولاد سباع الذين بعثهم من المسيلة فلما أشرفوا على المخيم أغاروا عليه مع غروب الشمس فأجفل بنو عامر وانتهب مخيم السلطان أبى حمو ورحاله وأمواله ونجا بنفسه تحت الليل وتمزق شمل ولده وحرمه حتى خلصوا اليه بعد أيام واجتمعوا بقصور مصاف من بلاد الصحراء وامتلأت أيدى العساكر والعرب من نهابهم وانطلق محمد بن عريف فى تلك الهيعة أطلقه الموكلون به وجاء الى الوزير وأخيه وترمار وتلقوه بما يجب له وأقام الوزير أبو بكر بن غازى بالدوسن أياما أراح فيها وبعث اليه ابن مزنى بطاعته وأرغد له من الزاد والعلوفة وارتحل راجعا الى المغرب وتخلفت بعده أياما عند أهلى ببسكرة ثم ارتحلت الى السلطان فى وفد عظيم من الزواودة يقدمهم أبو دينار أخو يعقوب بن على وجماعة من أعيانهم فسابقنا الوزير الى تلمسان وقدمنا على السلطان فوسعنا من حبائه وتكرمته ونزله ما بعد العهد بمثله ثم جاء من بعدنا الوزير أبو بكر بن غازى على الصحراء بعد أن مر بقصور بنى عامر هنالك فخربها وكان يوم قدومه

على السلطان يوما مشهودا واذن بعدها لوفود الزواودة فى الانصراف الى بلادهم وقد
كان ينتظر بهم قدوم الوزير ووليه ونزمار بن عريف فودعوه وبالغ فى الاحسان
وانصرفوا الى بلادهم ثم أعمل نظره فى اخراج أبى زيان من بين أحياء الزواودة لما
خشى من رجوعه الى حصين فآمرنى فى ذلك وأطلقنى اليهم فى محاولة انصرافه عنهم
فانطلقت لذلك وكان أحياء حصين قد توجسوا الخيفة من السلطان وتنكروا له
وانصرفوا الى أهليهم بعد مرجعهم من غزاتهم مع الوزير وبادروا باستدعاء أبى زيان
من مكانه عند أولاد يحيى بن على وأنزلوه بينهم واشتملوا عليه وعادوا الى الخلاف الذى
كانوا عليه أيام أبى حمو واشتعل المغرب الاوسط نارا ونجم صبى من بيت الملك فى مغراوة
وهو حمزة بن على بن راشد فرّ من معسكر الوزير ابن غازى أيام مقامه عليها فاستولى على
شلف وبلاد قومه وبعث السلطان وزيره عمر بن مسعود فى العساكر لمنازلته وأعيا
داؤه وانقطعت أنا ببسكرة وحال ذلك ما بينى وبين السلطان الا بالكتاب والرسالة
وبلغنى فى تلك الايام وأنا ببسكرة مفرّ الوزير ابن الخطيب من الاندلس حين توجس
الخيفة من سلطانه بما كان له من الاستبداد عليه وكثرة السعاية من البطانة فيه فأعمل
الرحلة الى الثغور الغربية لمطالعتها باذن سلطانه فلما حاذى جبل الفتح قبل الفرضة
دخل الى الجبل وبيده عهد السلطان عبد العزيز الى القائد بقبوله وأجاز البحر من
حينه الى سبتة وسار الى السلطان بتلمسان وقدم عليه بها فى يوم مشهود وتلقاه السلطان
من الحظوة والتقريب وادرار النعم بما لا يعهد بمثله وكتب الىّ من تلمسان يعرفنى بخبره
ويلم ببعض العتاب على ما بلغه من حديثى الاوّل بالاندلس ولم يحضرنى الآن كتابه
فكان جوابى عنه ما نصه الحمد لله ولا قوة الا بالله ولا راد لما قضى الله ياسيدى ونعم
الذخر الابدى والعروة الوثقى التى أعلقتها يدى أسلم عليك سلام القدوم على المخدوم
والخضوع للملك المتبوع لا بل أحييكم تحية المشوق للمعشوق والمدلج للصباح
المتبلج وأقرر ما أنتم أعلم بصحيح عقدى فيه من حبى لكم ومعرفتى بمقداركم وذهابى
الى أبعد الغايات فى تعظيمكم والثناء عليكم والاشادة فى الآفاق بمناقبكم ديدنا
معروفا وسجية راسخة يعلم الله وكفى بالله شهيدا وهذا كما فى علمكم أسنى ما اختلف أوّلا
ولا آخرا ولا شاهدا ولا غائبا وأنتم أعلم بما تعنى نفسى وأكبر شهادة فى خفايا ضميرى
ولو كنت ذلك فقد سلف من حقوقكم وجميل أخذكم واجتلاب الحظ لو هيأه القدر
لمساعيكم وايثارى بالمكان من سلطانكم ودولتكم ما يستلين معاطف القلوب ويستل
سخائم الهواجس فأنا أحاشيكم من استشعار نبوة أو اخفار وطن ولو تعلق معلق
ساق حزززور ويحاش لله أن يقدح فى الخلوص لكم أو يرجح سوابكم انما هى خبية

الفؤاد الى الحشر واللقاء والله وجميع ما يقسم به ما اطلع على مستكنه مني غير صديق
وصديقكم الملابس كان لى ولكم الحكيم الفاضل أبى عبد الله الشقورى أعزه الله
ثقته مصدور ومبانه خلوص اذ أنا أعلم الناس بمكانه منكم وقد علم ما كان مني حين
مفارقة تلمسان واضمحلال أمرهم من اجماع الامر على الرحلة اليكم والخفوق الى
حاضرة البحر للاجازة الى عدوتكم تعرضت فيهم للتهم ووقفت بمجال الظنون حتى
تورطت في الهلكة ولولا حسن رأيه في وثبات بصيرته لكنت في الهالكين الاولين كل
ذلك شوقا الى لقائكم وتعللا لانسكم فلا تظنوا بى الظنون ولا تصدقوا التوهمات
فانا من قد علمتم صداقة وسذاجة وخلوصا واتفاق ظاهر وباطن أثبت الناس عهدا
وأحفظهم غيبا وأعرفهم بوزان الاخوان ومزايا الفضلاء ولا مرّ ما تأخر كتابى من
تلمسان فانى كنت استشعر ممن استضافنى ريبا بخطاب سواه خصوصا جهتكم لقديم ما بين
الدولتين من الاتحاد والمظاهرة واتصال اليد مع ان الرسول تردد الىّ وأعلى اهتمامكم
واهتمام السلطان تولاه الله باستكشاف ما أبهم من حالى فلم أترك شيأ مما أعلم تشوقكم
اليه الا وكشفت له قناعه وآمنته على ابلاغه ولم أزل بعد ايناس المولى الخليفة ادماتى
وجذبه بضبعي ما جافى تيار الشواغل كاملة القاطعة حتى عن الفكر وسقطت الى
محل مجد خدمتى من هذه القاصية أخبار خلوصكم الى المغرب قبل فصول راحلتى الى
الحضرة غير خلية ولا ملتئمة ولم يتعين ملقى العصا ولا مستقر النوى فأرجأت الخطاب الى
استجلائها وأفدت من كتابكم العزيز الجارى على سنن الفضل ومذاهب المجد ما كيفه
القدر من بديع الحال لديكم وعجيب تأتى أملكم لشارد فيه كما كان تبعده عند
المفاوضة فحمدت الله لكم على الخلاص من ورطة الدول على أحسن الوجوه وأجمل
المخارج الحميدة العواقب فى الدنيا والدين العائدة بحسن المآل فى المخلف من أهل
وولد ومتاع وأثر بعد أن رضتم جموح الايام وتوقلتم قلل العز وقدتم الدنيا بحذافيرها
وأخذتم بآفاق السماء على أهلها وهنيأ فقد نالت نفسكم التواقة أبعد أمانيها ثم
تاقت الى ما عند الله وأشهد لما ألهمتم للاعراض عن الدنيا ونزع اليد من حطامها عند
الاصحاب والاقبال ونهى الآمال الا جذبا وعناية من الله وحبا واذا أراد الله أمرا
يسر أسبابه واتصل بى ما كان من تحفى السيادة المولوية بكم واهتزاز الدولة لقدومكم
ومثل هذه الخلافة أيدها الله من يثابر على المفاخر ويثأر بالاخيار وليت ذلك عند
اقبالكم على الحظ وأنسكم باجتلاء الآمال حتى يحسن المتاع ويتجمل السرير
الملوكى بمكانكم فالظن ان هذا الباعث الذى هزم الآمال ونبذ الحظوظ
المفارق العز يرسومكم الله حتى يأخذ بيدكم الى فضاء المجاهدة ويستوى بكم على جدد

بياض بالاصل :

الرياضة والله يهدى للتى هى أقوم وكأنى بالاقدام نقلت والبصائر بالهام الحق صقلت والمقامات خلفت بعدان استقبلت والعرفان شيمة أنواره وبوارقه والوصول انكشفت حقائقه لما ارتفعت عوائقه وأما حالى والظن بكم الاهتمام بها والبحث عنها فغير خفية بالباب المولوى أعلاه الله ومظهرها فى طاعته ومصدرها عن أمره وتصاريفها فى خدمته والزعم أنى فى المقام المحمود فى التشيع والانحياش واستمالة الكافة الى المناصحة ومخالصة القلوب للولاية وما يتشوفه مجدكم ويتطلع اليه فضلكم وأما اهتمامكم فى خاصتها من النفس والولد فهينة خبره مؤدى كتابى اليكم ناشئ تأديبى وثمرة تربيتى فسهل الله الاذن وألين له الجانب الصعب حتى يؤدى ماعندكم وماعندى وخذوه بأعقاب الاحاديث ان يقف عند باديها وأتمنوه على ما تحدثون فليس بضنين على السر وتشوقى بما يرجع به اليكم سيدى وصديقى وصديقكم المقرب فى المجد والفضل المساهم فى الشدائد كبير المغرب وظهير الدولة أبو يحيى بن أبى مدين كان الله له فى شأن الولد والمخلف تشوق الصديق لكم الضنين على الايام بتلاف الظفر من ذات يديكم فأطلعوه طلع ذلك ولا يهمكم بالفراق الواقع حسن فالسلطان كبير والاثر جميل والعدو الساعى قليل حقير والنية صالحة والعمل خالص ومن كان لله كان الله له واستطلاع الرياسة المرتبة الكافلة كافأ الله يده البيضاء عنى وعنكم من أحوالكم

بياض بالاصل

استطلاع من يسترجح وزانكم ويشكر الزمان على ولاية مثلكم وقد قررت من علو مناقبكم وبعد شأوكم وغريب مضاكم ماشهدت به آثاركم الشائعة الخالدة فى الرياسة المتأدية على ألسنة الصادر والوارد من الكافة من حمل الدولة واستقامة السياسة ووقفته على سلامكم وهو يراجعكم بالتحية ويساهمكم بالدعاء وسلامى على سيدى وفلذة كبدى ومحل ولدى الفقيه الزكى الصدر أبى الحسن نجلكم أعزه الله وقد وقع منى موقع البشرى حلوله من الدولة بالمكان العزيز والرتبة النابهة والله يلحفكم جميعا رداء العافية والستر ويمهد لكم محل الغبطة والامن ويحفظ عليكم ما أسبغ من نعمته ويجريكم على عوائد لطفه وعنايته والسلام الكريم يخصكم من المحب الشاكر الداعى الشائق شيعة فضلكم عبد الرحمن ابن خلدون ورحمة الله وبركاته فى يوم الفطر عام اثنين وسبعين وسبعمائة وكان بعث الى مع كتابه نسخة كتابه الى سلطانه ابن الاحمر صاحب الاندلس عندما دخل جبل الفتح وصار الى ايالة بنى مرين فخاطبه من هنالك بهذا الكتاب فرأيت أن أثبته هنا وان لم يكن من غرض التأليف لغرابته ونهايته فى الجودة وأن مثله لا يهمل من مثل هذا الكتاب مع مافيه من زيادة الاطلاع على أخبار الدول فى تفاصيل احوالها ونص الكتاب

بانوا فمن كان باكيا يبكى * هذى ركاب السرى بلا شك
فمن ظهور الركاب معملة * الى بطون الربى الى الفلك
تصدع الشمل مثل ما انحدرت * الى صبوب جواهر السلك
من النوى قبل لم أزل حذرا * هذا النوى جعل مالك الملك

مولاى كان الله لكم وتولى أمركم أسلم عليكم سلام الوداع وأدعو الله فى تيسر اللقاء والاجتماع من بعد التفرق والانصداع وأقرر لديكم ان الانسان أسير الاقدار مسلوب الاختيار متقلب فى حكم الخواطر والافكار وأن لابد لكل أول من آخر وأن التفرق لما لزم كل اثنين بموت أو حياة ولم يكن منه بد كان خير أنواعه الواقعة بين الاحباب ماوقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشرور ويعلم مولاى حال عبده منذ وصل اليكم من المغرب بولدكم ومقامه لديكم بحال قلق ولولا تعليلكم ووعدكم وارتقاب اللطائف فى تقليب قلبكم وقطع نواحل الايام حريصا على استكمال سنكم ونهوض ولدكم واضطلاعكم بأمركم وتمكن هدنة وطنكم وما تحصل فى ذلك من ترك غرضه لغرضكم وما استقر بيده من عهودكم وأن العبد الآن تسبب لكم فى الهدنة من بعد الظهور والعز ونجح السعى وتأتى لسنين كثيرة الصلح ومن بعد أن لم يبق لكم بالاندلس مشغب من القرابة وتحرك لمطالعة الثغور الغربية وقرب من فرضة المجاز واتصال الارض ببلاد المشرق اطرقته الافكار وزعزعت صبره رياح الخواطر وتذكر اشراف العمر على التمام وعواقب الاستغراق وسيرة الفضلاء عند شمول البياض فغلبته حال شديدة هزمت التعشق بالشمل الجميع والوطن المليح والجاه الكبير والسلطان القليل النظير وعمل بمقتضى قوله موتوا قبل أن تموتوا فان صحت الحال المرجوة من امداد الله تنقلت الاقدام الى امام وقوى التعلق بعروة الله الوثقى وان وقع العجز أو افتضح العزم فالله يعاملنا بلطفه وهذا المرتكب مرام صعب لكن سهله على أمور منها ان الانصراف لما لم يكن منه بد لم يتعين على غير هذه الصورة اذ كان عندكم من باب المحال ومنها ان مولاى لو سمح لى بغرض الانصراف لم تكن لى قدرة على موقف وداعه لا والله ولكان الموت أسبق الى وكفى بهذه الوسيلة الحسنة التى يعرفها وسيلة ومنها حرصى على أن يظهر صدق دعواى فيما كنت أهتف به وأظن انى لا أصدق ومنها اغتنام المفارقة فى زمن الامان والهدنة الطويلة والاستغناء اذا كان الانصراف المفروض ضرورا بأقبحها فى غير هذه الحال ومنها وهو أقوى الاعذار أنى مهما لم أطق تمام هذا الامر أو ضاق ذرعى به لعجز أو مرض أو خوف طريق أو نفاد زاد أو شوق غالب رجعت رجوع الاب الشفيق الى الولد البر الرضى اذ لم أخلف ورائى

مانعا من الرجوع من قول قبيح ولا فعل بل خلفت الوسائل المرعية والآثار الخالدة والسير الجميلة وانصرفت بقصد شريف فقت به أشياخي وكبار وطني وأهل طوري وتركتكم على أتم ما أرضاه مثنيا عليكم داعيا لكم وان فسح الله في الامد وقضى الحاجة فأملي العودة الى وادي وتربتي وان قطع الاجل فأرجو ان أكون ممن وقع أجره على الله فان كان تصرفي صوابا وجاريا على السداد فلا يلام من أصاب وان كان عن حمق وفساد عقل فلا يلام من اختل عقله وفسد مزاجه بل يعذر و يشفق عليه و يرحم وان لم يعط مولاي أمري حقه من العدل وجليت الذنوب ونشرت بعدي العيوب فجازاه وتناصفه بشكر ذلك و يستحضر الحساب من التربية والتعليم وخدمة السلف وتخليد الآثار وتسمية الولد وتلقيب السلطان والارشاد الى الاعمال الصالحة والمداخلة والملابسة لم يتخلل ذلك قط خيانة في مال ولا سر ولا غش في تدبير ولا تعلق به عار ولا كدره نقص ولا حمل عليه خوف منكم ولا طمع فيما بيدكم وان لم تكن هذه دواعي الرعي والوصلة والابقاء ففيم تكون بين بني آدم وأنا قد رحلت فلا أوصيكم بمال فهو عندي أهون متروك ولا بأولادي فهم رجالكم وخدامكم ومن يحرص مثلكم على الاستكثار منهم ولا بعيال فهي من حرمات بيتكم وخواص داركم انما أوصيكم بتقوى الله والعمل لغد وقبض عنان اللهو في موطن الجد والحياء من الله الذي محص وأقال وأعاد النعمة بعد زوالها لينظر كيف تعملون وأطلب منكم عوض ما وفرته عليكم من زاد طريق ومكافاة واعانة زادا سهلا عليكم وهو أن تقولوا لي غفر الله لك ما ضيعت من حق خطأ أو عمدا واذا فعلتم ذلك فقد رضيت واعلموا أيضا على جهة النصيحة ان ابن الخطيب مشهور في كل قطر وعند كل ملك واعتقاده وبره والسؤال عنه وذكره بالجميل والاذن في زيارته حنانة منكم وسعة درع ودها فانما كان ابن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت ثم أقشعت وتركت الازاهر تفوح والمحاسن تلوح ومثاله معكم مثل المرضعة أرضعت السياسة والتدبير الميمون ثم رقدتكم في مهد الصلح والامان وغطتكم بقناع العافية وانصرفت الى الحمام تغسل اللبن والوضر وتعود فان وجدت الرضيع نحس أو قد انتبه فلم تتركه الا في حد الانفطام وختم هذه العزارة بالحلف الاكيد أني ما تركت لكم وجه نصيحة في دين ولا في دنيا الا وقد وفيت لكم ولا فارقتكم الا عن عجز ومن ظن خلاف هذا فقد ظلمني وظلمكم والله يرشدكم و يتولى أمركم وبعول خاطركم في ركوب البحر انتهت نسخة الكتاب وفي طيها هذه الابيات

صاب مزن الدموع من جفن صبك * عندما استروح الصبا من مهبك
كيف يسلو يا جنتي عنك وقد * كان قبل الوجود جن بحبك

ثم قل كيف كان قبل انتشاء الر * وح من أنسك الشهى وقربك
لم يدع حبك المنيع حماه * لسواه الا الى بيت ربك
أول عذرى الرضى فاجئت بدعا * دمت والفضل والرضى من دابك
واذا ما ادعيت كربا بفقدى * أين كربى ووحشتى من كربك
ولدى فى ذراك وكرى فى دو * حك الحدى وتربى فى تربك
يازمانا أغرى الفراق بشملى * ليتنى أهتدى أخذت لحربك
أركبتنى صروفك الصعب حتى * جئت بالبين وهو أصعب صعبك

وكتب آخر النسخة يخاطبنى هذا ما تيسر والله ولى الخيرة لى ولكم من هذا الخباط الذى لا نسبة بينه وبين أولى الكمال ردنا الله اليه وأخلص توكلنا عليه وصرف الرغبة على ما لديه وفى طى النسخة مدرجة نصها رضى الله عن سيادتكم أو نسكم بما صدر منى أثناء هذا الواقع مما استحضره الولد فى الوقت وهو يسلم عليكم بما يجب لكم وقد حصل من حظوة هذا المقام الكريم على حظ وافر وأجزل احسانه ونوه بجرايته وأثبت الفرسان خلفه والحمد لله ثم اتصل مقامى ببسكرة والمغرب الاوسط مضطرب بالفتنة المانعة من الاتصال بالسلطان عبد العزيز وحمزة بن راشد ببلاد مغراوة والوزير عمر بن مسعود فى العساكر يحاصره بحصن تاجموت وأبو زيان العبد الوادى ببلاد حصين وهم مشتملون عليه وقائمون بدعوته ثم سخط السلطان وزيره عمر بن مسعود ونكر منه تقصيره فى حمزة وأصحابه فاستدعاه الى تلمسان وقبض عليه وبعث به الى فاس معتقلا فحبس هنالك وجهز العساكر مع الوزير ابن غازى فنهض اليه وحاصره ففر من الحصن ولحق بمليانة مجتازا عليها فأنذر به عاملها فقبض عليه وسيق الى الوزير فى جماعة من أصحابه فضربت أعناقهم وصلبهم عظة ومزدجرا لاهل الفتنة ثم أوعز السلطان بالمسير الى حصين وأبى زيان فسار فى العساكر واستنفر أحياء العرب من زغبة فأوعبهم ونهض الى حصين فامتنعوا بجبل تيطرى ونزل الوزير بعساكره ومن معه من أحياء زغبة على جبل تيطرى من جهة التل فأخذ بمخنقهم وكاتب السلطان أشياخ الزواودة من رياح بالمسير الى حصار تيطرى من جهة القبلة وكاتب أحمد بن مزنى صاحب بسكرة بامدادهم باعطياتهم وكتب الى يأمرنى بالمسير بهم لذلك فاجتمعوا على وسرت بهم أول سنة أربع وسبعين حتى نزلنا بالقطفا فى جماعة منهم على الوزير بمكانه من حصار تيطرى فخذلهم حدود الخدمة وشارطهم على الجزاء ورجعت الى أحيائهم بالقطفا فاشتدوا فى حصار الجبل وألجؤهم بسوامهم وظهرهم الى قنته فهلك لهم الخف والحافر وضاق ذرعهم بالحصار من كل جانب وراسل بعضهم فى الطاعة خفية

فارتاب بعضهم من بعض وانفضوا الملا من الجبل وأبو زيان معهم ذاهبين الى الصحراء واستولى الوزير على الجبل بما فيه من مخلفهم ولما بلغوا أمنهم من القفر نبذوا الى أبي زيان عهده فلحق بجبال غمرة ووفد أعيانهم على السلطان عبد العزيز بتلمسان وفاؤا الى طاعته فتقبل طاعتهم وأعادهم الى أوطانهم وتقدم الوزير عن أمر السلطان بالمسير مع أولاد يحيى بن علي بن سباع للقبض على أبي زيان في جبل غمرة وفاء بحق الطاعة لان غمرة من رعاياهم فضينا الذلك فلم نجده عندهم وأخبرونا انه ارتحل عنهم الى بلاد واركلا من مدن الصحراء فنزل على صاحبها أبي بكر بن سليمان فانصرفنا من هنالك ومضى أولاد يحيى بن علي الى أحيائهم ورجعت أنا الى أهلي ببسكرة وخاطبت السلطان بما وقع في ذلك وأقمت منتظرا أوامره حتى جاءني استدعاؤه الى حضرته فرحلت اليه

(العودة الى المغرب الاقصى)

ولما كنت في الاعمال في مشايعة السلطان عبد العزيز ملك المغرب كما ذكرت تفاصيله وأنا مقيم ببسكرة في جوار صاحبها أحمد بن يوسف بن مزني وهو صاحب زمام رياح وأكثر عطائهم من السلطان مفروض عليه في جباية الزاب وهم يرجعون اليه في الكثير من أمورهم فلم أشعر الا وقد حدثت المنافسة منه في استتباع العرب ووغر صدره وصدق في جنونه وتوهماته وطاوع الوشاة فيما يوردون على سمعه من التقول والاختلاف وجاش صدره بذلك فكتب الى ونزمار بن عريف ولي السلطان وصاحب شوراه بتنفس الصعداء من ذلك فأنهاه الى السلطان فاستدعاني لوقته وارتحلت من بسكرة بالاهل والولد في يوم المولد الكريم سنة أربع وسبعين متوجها الى السلطان وكان قد طرقه المرض فاهو الا أن وصلت مليانة من أعمال المغرب الاوسط لقيني هنالك خبر وفاته وأن ابنه أبا بكر السعيد نصب بعده للامر في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي وانه ارتحل الى المغرب الاقصى مغذا السير الى فاس وكان على مليانة يومئذ علي بن حسون بن أبي علي الهساطي من قواد السلطان وموالي بيته فارتحلت معه الى أحياء العطاف ونزلنا على أولاد يعقوب بن موسى من أمرائهم وبدرقني بعضهم الى حلة أولاد عريف أمراء سويد ثم لحق بنا بعد أيام علي بن حسون في عساكره وارتحلنا جميعا الى المغرب على طريق الصحراء وكان أبو حمو قد رجع بعد مهلك السلطان من مكان انتباذه بالقفر في تيكورارين الى تلمسان فاستولى عليها وعلى سائر أعماله وأوعز الى بني يغمور من شيوخ عبيد الله في المعقل أن يعترضونا بحدود بلادهم من رأس العين مخرج وادي صا فاعترضونا هنالك فنجا من نجا منا على خيولهم الى جبل دبدو وانتهبوا جميع ما كان معنا وأرجلوا الكثير من الفرسان وكنت فيهم وبقيت يومئذ

فى قفره ضاحيا عاريا الى أن حصلت الى العمران ولحقت بأصحابى بجبل دبدو ووقع فى خلال ذلك من الالطاف مالا يعبر عنه ولا يسع الوفاء بشكره ثم سرنا الى فاس ووفدت على الوزير أبى بكر وابن عمه محمد بن عثمان بفاس فى جمادى من السنة وكان لى معه قديم صحبة واختصاص منذ نزع معى الى السلطان أبى سالم بجبل الصفيحة عند اجازته من الاندلس لطلب ملكه كما مرّ فى غير موضع من الكتاب فلقينى من بر الوزير وكرامته وتوفير جرايته واقطاعه فوق ما احتسب وأقمت بمكانى من دولتهم أثير المحل ثابت الرتبة عظيم الجاه منوه المجلس عند السلطان ثم انصرم فصل الشتاء وحدث بين الوزير أبى بكر بن غازى وبين السلطان ابن الاحمر منافرة بسبب ابن الخطيب وما دعا اليه ابن الاحمر من ابعاده عنهم وأنف الوزير من ذلك فأظلم الجو بينهما وأخذ الوزير فى تجهيز بعض القرابة من بنى الاحمر ليشغله به ونزع ابن الاحمر الى اطلاق عبد الرحمن بن أبى يفلوسن من ولد السلطان أبى على والوزير مسعود بن رحو بن ماسى كان حبسهما أيام السلطان عبد العزيز وأشار بذلك ابن الخطيب حين كان فى وفادتهما بالاندلس فأطلقهما الآن وبعثهما لطلب الملك بالمغرب وأجازهما فى الاسطول الى سواحل غساسة فنزلوا بها ولحقوا بقبائل بطويه هنالك فاشتملوا عليهم وقاموا بدعوة الامير عبد الرحمن ونهض ابن الاحمر من غرناطة فى عساكر الاندلس فنزل على جبل الفتح فحاصره وبلغت الاخبار بذلك الى الوزير أبى بكر بن غازى القائم بدعوة بنى مرين فوجه لحينه ابن عمه محمد بن عثمان بن الكاس الى سبتة لامداد الحامية الذين لهم بالجبل ونهض هو فى العساكر الى بطويه لقتال الامير عبد الرحمن فوجده قد ملك تازا فأقام عليها يحاصره وكان السلطان عبد العزيز قد جمع شبابا من بنى أبيه المرشحين فحبسهم بطنجة فلما وافى محمد بن الكاس سبتة وقعت المراسلة بينه وبين ابن الاحمر وعتب كل منهما صاحبه على ما كان منه واشتد عذل ابن الاحمر على اخلائهم الكرسى من كفئه ونصبهم السعيد بن عبد العزيز صبيا لم يثغر فاستعتب له محمد واستقال من ذلك فحمله ابن الاحمر على أن يبايع لاحد الابناء المحبوسين بطنجة وقد كان الوزير أبو بكر أوصاه أيضا بانه ان تضايق عليه الامر من الامير عبد الرحمن يفرج عنه بالبيعة لاحد أولئك الابناء وكان محمد بن الكاس قد استوزره السلطان أبو سالم لابنه أحمد أيام ملكه فبادر من وقته الى طنجة وأخرج السلطان أحمد بن السلطان أبى سالم من محبسه وبايع له وسار به الى سبتة وكتب لابن الاحمر يعرفه بذلك ويطلب منه المدد على أن ينزل له عن جبل الفتح فأمده بعساكر من المال والعسكر واستولى على جبل الفتح وشحنه بحاميته وكان أحمد بن السلطان أبى سالم قد تعاهد مع بنى أبيه فى محبسهم على أن من

صار له الملك منهم بجيز الباقين الى الاندلس فلما بويع له ذهب الى الوفاء لهم بعهدهم وأجازهم جميعا فنزلوا على السلطان ابن الاحمر فاكرم نزلهم ووفر جراياتهم وبلغ الخبر بذلك كله الى الوزير أبي بكر بمكانه من حصار الامير عبد الرحمن فأخذه المقيم المقعد من فعله ابن عمه وكر راجعا الى دار الملك وعسكر بكدية العرائس من فاس وتوعد ابن عمه محمد بن عثمان فاعتذر بانه امتثل وصيته فاستشاط وتهدده واتسع الخرق بينهما وارتحل محمد بن عثمان بسلطانه ومدده من عسكر الاندلس الى أن احتل بجبل زرهون المطل على مكناسة فعسكر به واشتملوا عليه وزحف اليهم الوزير أبو بكر وصعد الجبل فقاتلوه وهزموه ورجع الى مكانه بظاهر دار الملك وكان السلطان ابن الاحمر قد أوصى محمد بن عثمان بالاستعانة بالامير عبد الرحمن والاعتضاد به ومساهمته في جانب من أعمال المغرب يستبد به لنفسه فراسل محمد بن عثمان في ذلك واستدعاه واستمده وكان ونزمار بن عريف ولى سلفهم قد أظلم الجو بينه وبين الوزير ابي بكر لانه سأله وهو يحاصر تازا في الصلح مع الامير عبد الرحمن فامتنع واتهمه بمداخلته والميل له فاعتزم على التقبض عليه ودس اليه بعض عيونه فركب الليل ولحق بأحياء الاحلاف من المعقل وكانوا شيعة للامير عبد الرحمن ومعهم على بن عمر الويغلانى كبير بنى ورتاجن كان انتقض على الوزير ابن غازى ولحق بالسوس ثم خاض القفر الى هؤلاء الاحلاف فنزل بينهم مقيما لدعوة الامير عبد الرحمن فجاءهم ونزمار مفلتا من حبالة الوزير أبي بكر وحرضهم على ما هم فيه ثم بلغهم خبر السلطان أحمد بن أبي سالم ووزيره محمد بن عثمان وجاءهم وافد الامير عبد الرحمن يستدعيهم وخرج من تازا فلقيهم ونزل بين أحيائهم ورحلوا جميعا الى امداد السلطان أبي العباس حتى انتهوا الى صفروى ثم اجتمعوا جميعا على وادى النجا وتعاقدوا على شأنهم وأصبحوا غدا على التعبية كل من ناحيته وركب الوزير أبو بكر لقتالهم فلم يطق وولى منهزما فانجحر بالبلد الجديد وخيم القوم بكدية العرائس محاصرين له وذلك أيام عيد الفطر من سنة خمس وسبعين فحاصروها ثلاثة أشهر وأخذوا بمخنقها الى ان جهد الحصار الوزير ومن معه فأذعن للصلح على خلع الصبى المنصوب السعيد ابن السلطان عبد العزيز وخروجه الى السلطان أبي العباس ابن عمه والبيعة له وكان السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن قد تعاهدوا عند الاجتماع بوادى النجا على التعاون والتناصر على أن الملك للسلطان أبي العباس بسائر أعمال المغرب وان للامير عبد الرحمن بلد سجلماسة ودرعة والاعمال التى كانت لجده السلطان أبي على أخى السلطان أبي الحسن ثم بدا للامير عبد الرحمن في ذلك أيام الحصار واشتط بطلب مراكش وأعمالها فأغضوا له في ذلك وشارطوه على ذلك حتى يتم لهم الفتح فلما

انعقد ما بين السلطان أبي العباس والوزير أبي بكر وخرج اليه من البلد الجديد وخلع سلطانه الصبي المنصوب ودخل السلطان أبو العباس الى دار الملك فاتح ست وسبعين وارتحل الامير عبد الرحمن يغذ السير الى مراكش وبدا للسلطان أبي العباس ووزيره محمد بن عثمان في شأنه فسرحوا العساكر في اتباعه واتبعوا خلفه الى وادي بهت فواقفوه ساعة من نهار ثم أحجموا عنه وولوا على راياتهم وسار هو الى مراكش ورجع عنه وزيره مسعود بن ماسي بعد ان طلب منه الاجازة الى الاندلس يتودع بها فسرحه لذلك وسار الى مراكش فلكها وأما أنا فكنت مقيما بفاس في ظل الدولة وعنايتها منذ قدمت على الوزير سنة أربع وسبعين كما مر عاكفا على قراءة العلم وتدريسه فلما جاء السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن وعسكروا بكدية العرائس وخرج أهل الدولة اليهم من الفقهاء والكتاب والجند وأذن للناس جميعا في مباكرة أبواب السلطانين من غير نكير في ذلك فكنت أباكرهما معا وكان بيني وبين الوزير محمد بن عثمان ما مر ذكره قبل هذا فكان يظهر لي رعاية ذلك ويكثر من المواعيد وكان الامير عبد الرحمن يميل الي ويستدعيني أكثر أوقاته ويشاورني في أحواله فغص بذلك الوزير محمد بن عثمان وأغرى سلطانه فتقبض علي وسمع الامير عبد الرحمن بذلك وعلم اني انما أتيت من جراه فحلف ليقوضن خيامه وبعث وزيره مسعود بن ماسي لذلك فأطلقني من الغد ثم كان افتراقهما لثالثة ودخل الامير أبو العباس دار الملك وسار الامير عبد الرحمن الى مراكش وكنت أنا يومئذ مستوحشا فصحبت الامير عبد الرحمن معتزما على الاجازة الى الاندلس من ساحل آسفي معولا في ذلك على صحابة الوزير مسعود بن ماسي لهواي فيه فلما رجع مسعود ثنى عزمي في ذلك ولحقنا ونزمار بن عريف بمكانه من نواحي كرسيف لتقدمه وسيلة الى السلطان أبي العباس صاحب فاس في الجواز الى الاندلس ووافينا عنده داعي السلطان فصحبناه الى فاس واستأذنه في شأني فأذن لي بعد مطاولة وعلى كره من الوزير محمد بن عثمان بن داود بن اعراب ورجال الدولة وكان الاخ يحيى لما ارتحل السلطان أبو حمو من تلمسان رجع عنه من بلاد زغبة الى السلطان عبد العزيز فاستقر في خدمته وبعده في خدمة ابنه السعيد المنصوب بمكانه ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد استأذن الاخ في اللحاق بتلمسان فأذن له وقدم على السلطان أبي حمو فأعاده لكتابة سره كما كان أول أمره وأذن لي أنا بعده فانطلقت الى الاندلس بقصد القرار والدعة الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿الاجازة الثانية الى الاندلس ثم الى تلمسان واللحاق﴾ ﴿بأحياء العرب والمقامة عند أولاد عريف﴾

ولما كان ما قصصته من تنكر السلطان أبى العباس صاحب فاس والذهاب مع الامير عبد الرحمن ثم الرجوع عنه الى ونزمار بن عريف طلبا للوسيلة فى انصرافى الى الاندلس بقصد القرار والعكوف على قراءة العلم فتم ذلك ووقع الاسعاف به بعد الامتناع وأجزت الى الاندلس فى ربيع سنة ست وسبعين ولقينى السلطان بالكرامة وأحسن النزل على عادته وكنت لقيت بجبل الفتح كاتب السلطان ابن الاحمر من بعد ابن الخطيب الفقيه أبا عبد الله بن زمرك ذاهبا الى فاس فى غرض التهنئة وأجاز الى سبتة فى اسطوله وأوصيته باجازة أهلى وولدى الى غرناطة فلما وصل الى فاس وتحدث مع أهل الدولة فى اجازتهم تنكروا لذلك وساءهم استقرارى بالاندلس واتهموا انى ربما أحمل السلطان ابن الاحمر على الميل الى الامير عبد الرحمن الذى اتهمونى بملابسته ومنعوا أهلى من اللحاق بى وخاطبوا ابن الاحمر فى أن يرجعنى اليهم فأبى من ذلك فطلبوا منه أن يجيزنى الى عدوة تلمسان وكان مسعود بن ماسى قد أذنوا له فى اللحاق بالاندلس فحملوه مشافهة السلطان بذلك وأبدوا له انى كنت ساعيا فى خلاص ابن الخطيب وكانوا قد اعتقلوه لاول استيلائهم على البلد الجديد وظفرهم به وبعث اليه ابن الخطيب مستصرخا به ومتوسلا فخاطبت فى شأنه أهل الدولة وعولت فيه منهم على ونزمار وابن ماسى فلم تنجح تلك السعاية وقتل ابن الخطيب بمحبسه فلما قدم ابن ماسى على السلطان ابن الاحمر وقد أغروه بى ألقى الى السلطان ما كان منى فى شأن ابن الخطيب فاستوحش من ذلك وأسعفهم باجازتى الى العدوة ونزلت بهنين والجو بينى وبين السلطان أبى حمو مظلم بما كان منى فى اجلاب العرب عليه بالزاب كما مر فأوعز بمقامى بهنين ثم وفد عليه محمد بن عريف فعذله فى شأنى فبعث عنى الى تلمسان واستقررت بها بالعباد ولحق بى أهلى وولدى من فاس وأقاموا معى وذلك فى عيد الفطر سنة ست وسبعين وأخذت فى بث العلم وعرض للسلطان أبى حمو رأى فى الزواودة وحاجة الى استئلافهم فاستدعانى وكلفنى السفارة اليهم فى هذا الغرض فاستوحشت منه ونكرته على نفسى لما آثرته من التخلى والانقطاع وأجبته الى ذلك ظاهرا وخرجت مسافرا من تلمسان حتى انتهيت الى البطحاء فعدلت ذات اليمين الى منداس ولحقت باحياء أولاد عريف قبلة جبل كزول فلقونى بالتحف والكرامة وأقمت بينهم أياما حتى بعثوا عن أهلى وولدى بتلمسان وأحسنوا العذر الى السلطان عنى فى العجز عن قضاء خدمته وأنزلونى بأهلى فى قلعة أولاد سلامة من بلاد بنى توجين التى صارت لهم باقطاع السلطان فأقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل وشرعت فى تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها وأكملت المقدمة على ذلك النحو الغريب الذى اهتديت اليه فى تلك الخلوة فسالت فيها شآبيب

الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها وتألفت نتائجها وكانت من بعد ذلك الفيئة الى تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الفيئة الى السلطان أبي العباس بتونس)

ولما نزلت بقلعة ابن سلامة من أحياء أولاد عريف وسكنت بقصر أبي بكر بن عريف الذي اختطه بها وكان من أحفل المساكن وأوفقها ثم طال مقامي هنالك وأنا مستوحش من دولة المغرب وتلمسان وعاكف على تأليف هذا الكتاب وقد فرغت من مقدمته الى أخبار العرب والبربر وزناتة وتشوفت الى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد الا بالامصار بعد ان أمليت الكثير من حفظي وأردت التنقيح والتصحيح ثم طرقني مرض أربى على البنية لولا ما تدارك من لطف الله فحدث عندي ميل الى مراجعة السلطان أبي العباس والرحلة الى تونس حيث قرار آبائي ومساكنهم وآثارهم وقبورهم فبادرت الى خطاب السلطان بالفيئة الى طاعته والمراجعة فما كان غير بعيد واذا بخطابه وعهوده بالاذن والاستحثاث للقدوم فكان الخفوق للرحلة فظعنت عن أولاد عريف مع عرب الاخضر من بادية رياح كانوا هنالك ينتجعون الميرة بمنداس وارتحلنا في رجب سنة ثمانين وسلكنا القفر الى الدوسن من أطراف الزاب ثم صعدت الى التل مع حاشية يعقوب بن علي وجدتهم بفرفار الضيعة التي اختطها بالزاب فرحلت معهم الى أن نزلنا عليه بضاحية قسنطينة ومعه صاحبها الامير ابراهيم ابن السلطان أبي العباس بمخيمه ومعسكره فحضرت عنده وقسم لي من بره وكرامته فوق الرضا وأذن لي في الدخول الى قسنطينة واقامة أهلي في كفالة احسانه ريثما أصل الى حضرة أبيه وبعث يعقوب بن علي معي ابن أخيه أبي دينار في جماعة من قومه وسرت الى السلطان أبي العباس وهو يومئذ قد خرج من تونس في العساكر الى بلاد الجريد لاستنزال شيوخها عن كراسي الفتنة التي كانوا عليها فوافيته بظاهر سوسة فحيا وفادتي وبر مقدمي وبالغ في تأنيسي وشاورني في مهمات أموره ثم ردني الى تونس وأوعز الى نائبه بها مولاه فارح بتهيئة المنزل والكفالة من الجراية والعلوفة وجزيل الاحسان فرحت الى تونس في شعبان من السنة وآويت الى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمته وبعثت الى الاهل والولد وجمعت شملهم في مرعى تلك النعمة وألقيت عصا التسيار وطالت غيبة السلطان الى أن افتتح أمصار الجريد وذهب فلهم في النواحي ولحق زعيمهم يحيى بن يملول ونزل على صهره ابن مزني وقسم السلطان بلاد الجريد بين ولده فأنزل ابنه محمدا المنتصر بتوزر وجعل نفطة ونفزاوة من أعماله وأنزل ابنه أبا بكر بقفصة وعاد الى تونس مظفرا مزهرا فأقبل علي واستدناني لمجالسته والنجاء

في خلوته فغص بطانته من ذلك وأفاضوا في السعايات عند السلطان فلم تنجع وكانوا يعكفون على امام الجامع وشيخ الفتيا محمد بن عرفة وكان في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا في المربى بمجالسة الشيوخ فكثيرا ما كان يظهر شفوفي عليه وان كان أسن مني فاسودت تلك النكتة في قلبه ولم تفارقه ولما قدمت تونس انثال على طلبة العلم من أصحابه وسواهم يطلبون الافادة والاشتغال وأسعفتهم بذلك فعظم عليه وكان يسر التنفير الى الكثير منهم فلم يقبلوا واشتدت غيرته ووافق ذلك اجتماع البطانة اليه فاتفقوا على شأنهم في التأنيب والسعاية بي والسلطان خلال ذلك معرض عنهم في ذلك وقد كلفني بالاكباب على تأليف هذا الكتاب لتشوقه الى المعارف والاخبار واقتناء الفضائل فأكملت منه أخبار البربر وزناتة وكتبت من اخبار الدولتين وما قبل الاسلام ما وصل الي منها وأكملت منها نسخة رفعتها الى خزانته وكان مما يغرون به السلطان قعودي عن امتداحه فاني كنت قد أهملت الشعر وانتحاله جملة وتفرغت للعلم فقط فكانوا يقولون له انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه للملوك قبلك وتنسمت ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب وتوجته باسمه أنشدته في ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه وأذكر سيره وفتوحاته واعتذر عن انتحال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب اليه فقلت

هل غير بابك للغريب مؤمل * أو عن جنابك للأماني معدل
هي همة بعثت اليك على النوى * عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوأ الدنيا و منتجع المنا * والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة * تعنو لها زهر النجوم وتحفل
حيث الخيام البيض ترفع للقرى * قد فاح في أرجائهن المندل
حيث الحمى للعز في ساحاته * ظل أفاءته الوشيج الذبل
حيث الرماح يكاد يورق عودها * مما تعل من الدماء وتنهل
حيث الجياد أمل شجعان الوغى * مما أطالوا في المغار وأوغلوا
حيث الوجوه الغر قنعها الحيا * والبشر في صفحاتها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الالى * عز الجوار لديهم والمنزل
من شيعة المهدي بل من شيعة التوحيد جاء به الكتاب مفصل
شادوا على التقوى مباني عزهم * لله ما شادوا بذاك وأثلوا
بل شيعة الرحمن ألقى حبهم * في خلقه فسموا بذاك وفضلوا
قوم أبو حفص أب لهم وما * أدراك والفاروق جد أول

نسب كما اضطردت أنابيب القنا * وأتى على تقويمهن معدل
سام على هام الزمان كأنه * للفجر تاج بالبدور مكلل
فضل الانام حديثهم وقديمهم * ولأنت ان نصبوا أعز وأفضل
وبنوا على قلل النجوم وطدوا * وبناؤك العالى أشد وأطول
ولقد أقول لخائض بحر العلا * والليل مدثر الجوانب أليل
ماض على غول الدجا لا يتقى * منها وذا بله ذبال مشعل
متقلب فوق الرماح كأنه * طيف بأطراف المهاد موكل
يبغى منال الفوز من طرق الغنى * وورود مخصبها الذى لا يجهل
أرح الركاب فقد ظفرت بواهب * يعطى عطاء المنعمين فيجزل
لله من خلق كريم فى الندى * كالروض حياه ندى مخضوضل
هذا أمير المؤمنين امامنا * فى الدين والدنيا اليه الموئل
هذا أبو العباس خير خليفة * شهدت له الشيم التى لا تجهل
مستنصر بالله فى قهر العدا * وعلى اعانة ربه متوكل
سبق الملوك الى العلا متمهلا * لله منك السابق المتمهل
فلأنت أعلى المالكين وان غدوا * يتسابقون الى العلا وأكمل
قابس قديما منهم بقديمكم * فالامر فيه واضح لا يجهل
دانوا لقومكم بأقوم طاعة * هى عروة الدين التى لا تفصل
سائل تلمسانا بها وزناتة * ومرين قبلهم كما قد ينقل
واسأل بأندلس مدائن ملكها * تخبرك حين استأنسوا واستأهلوا
واسأل بذا مراكشا وقصورها * فلقد تجيب رسومها من يسأل
يا أيها الملك الوفى بإذا الذى * ملأ القلوب وفوق ما يتمثل
لله منك مؤيد عزماته * تمضى كما يمضى القضاء المرسل
حيث الزمان بحث أعظم حتبه * فافتر عنه وهو أكلح أعضل
والشمل من أبنائه متصدع * وعلا خلافهم مضاع مهمل
والخلق قد صرفوا اليك قلوبهم * ورجوا اصلاح الحال منك وأملوا
فجلته لما انتدبت لأمره * بالبأس والعزم الذى لا يجهل
ذللت منه جامحا لا ينثنى * سهلت وعرا كصاد لا يتسهل
وأنلت من سوس العتاة وذدتهم * عن ذلك الحرم الذى قد حللوا
كانت لصولة صولة ولقومه * يعدو ذويب بها وتسطو المعقل

ومهلهل تسدى وتلحم فى التى * ما أحكموها فهى بعد مهلهل

والمراد بصولة هنا صولة بن خالد بن حمزة أولاد أبى الليل وذويب هو ابن عمه أحمد بن حمزة والمعقل فريق من العرب من احلافهم ومهلهل هم بنو مهلهل بن قاسم انظارهم وأقتالهم ثم رجع الى وصف العرب

عجب الانام لشأنهم بادون قد * قذفت بجيهم المطى الذلل

رفعوا القباب على العماد وعندها * لسجرد السلاهب والرماح العسل

فى كل طامى الرب منعقد الحصا * تهدى لجته الظماء فتنهل

حتى شرابهم السراب ورزقهم * ريح يروح به الكمى ومنصل

حتى حلول بالعراء ودونهم * قذف النوى ان يظعنوا أو يقبلوا

كانوا يروعون الملوك بما بدوا * وغدت ترفه بالنعيم وتخضل

فبدوت لاتلوى على دعة ولا * تأوى الى ظل القصور وتهزل

طورا يصاحبك الهجير وتارة * فيه بخفاق البنود تظلل

واذا تعاطى الضمر فى يوم الوغى * كاس الصبيح فبالصهيل تعلل

مخشوشنا فى العز معتملا له * فى مثل هذا يحسن المستعمل

تفرى حشى البيداء لا يسرى بها * وكف ولا يهدى اليها جحفل

وتجر اذيال الكتائب فوقها * تختال فى اسمر الطوال وترفل

ترميهم منها بكل مدجج * شاكى السلاح اذا استعار الاعزل

وبكل أسمر غصنه متأود * وبكل أبيض شطه متهدل

حتى تفرق ذلك الجمع الألى * عصفت بهم ريح الجلاء فزلزلوا

ثم استملتهم بنعمتك التى * خضعوا العزك بعدها وتذللوا

ونزعت من أهل الجريد غواية * وقطعت من أسبابها ما أوصلوا

ونظمت من أمصاره وثغوره * للملك عقدا بالفتوح يفصل

فسددت مطلع النفاق وأنت لا * تنبو ظباك ولا العزيمة تنكل

بشكيمة مرهوبة وسياسة * تجرى كما يجرى فرات سلسل

عذب الزمان لها ولذ مذاقه * من بعد ما قد مر منه الحنظل

فضوى الانام لعز أروع مالك * سهل الخليقة ماجد متفضل

وتطابقت فيه القلوب على الرضا * سيان منها الطفل والمتكهل

يا مالكا وسع الزمان وأهله * عدلا وأمنا فوق ما قد أملوا

فالارض لا يخشى بها غول ولا * يعدو بساحتها الهزبر المشبل

والسرب يجتابون كل تنوفة * سرب القطا مارا عهن الاجدل
سبحان من بعلاك قد أحيا المنا * واعاد حلى الجيد وهو معطل
فكأنما الدنيا عروس تجتلى * فتميس فى حلل الجمال وترفل
وكأن مطبقة البلاد بعدله * عادت فسيح البسيط فيها مجهل
وكأن أنوار الكواكب ضوعفت * من نور غرته التى هى أجمل
وكأنما رفع الحجاب لناظرى * فرأى الحقيقة فى الذى يتخيل

ومنها فى العذر عن مدحه

مولاى غاضت فكرتى وتبلدت * منى الطباع فكل شئ مشكل
تسمو الى درك الحقائق همتى * فأصد عن ادراكهن وأعزل
وأجد ليلى فى امتراء قريحتى * فتعود غورا بعد ما تسترسل
فأبيت يختلج الكلام بخاطرى * والنظم يشرد والقوافى تجفل
واذا امتريت العفو منه جاهدا * عاب الجهابذ صنعه واستر ذلوا
من بعد حول انتقيه ولم يكن * فى الشعر لى قول يعاب ويهمل
فاصونه عن أهله متواريا * أن لا يضمهم وشعرى محفل
وهى البضاعة فى القبول نفاقها * سيان فيه الفحل والمتطفل
وبنات فكرى ان أتتك كليلة * زهراء تخطر فى القصور وتخطل
فلها الفخار اذا منحت قبولها * وأنا على ذلك البليغ المقول

ومنها فى ذكر الكتاب المؤلف بخزانته

واليك من سير الزمان وأهله * عبرا يدين بفضلها من يعدل
صحفا تترجم عن أحاديث الأولى * درجوا فتجمل عنهم وتفصل
تبدى التبابع والعمالق سرها * وثمود قبلهم وعاد الاول
والقائمون بملة الاسلام من * مضر وبربرهم اذا ما حصلوا
لخصت كتب الاولين بجمعها * وأتيت أولها بما قد أغفلوا
وألنت حوشى الكلام كأنما * سرد اللغات بها لنطقى ذللوا
وجعلته لسوار ملكك مفخرا * يبهى الندى به ويزهو المحفل
والله ما أسرفت فيما قلته * شيأ ولا الاسراف منى يجمل
ولأنت أرسخ فى المعالى رتبة * من أن يموه عنده متطفل
فلك الكل فضيلة وحقيقة * الناس تعرف فضلها ان بدلوا
والحق عندك فى الامور مقدم * أبدا فماذا يدعيه المبطل

والله أعطاك التي لافوقها * فاحكم بما ترضى فأنت الاعدل
أبقاك ربك للعباد تربهم * فالله يخلقهم ورعيك يكفل

وكنت لما انصرفت من معسكره على سوسة الى تونس بلغني وأنا مقيم بها أنه أصابه في طريقه مرض وعقبه برء فخاطبته بهذه القصيدة

ضحكت وجوه الدهر بعد عبوس * وتخللتنا رحمة من بوس
وتوضحت غرر البشائر بعد ما انـ * ـبهمت فأطلعها حداة العيس
صدعوا بها ليل الهموم كأنما * صدعوا الظلام بجذوة المقبوس
فكأنهم جنات عدن في الورى * نشرت لها الآمال من مرموس
قرت عيون الخلق منها بالتي * شربوا النعيم لها بغير كؤوس
يتمايلون من المسرة والرضا * ويقابلون أهلة بشموس
من راكب وافى يحيي راكبا * وجليس أنس قاده لجليس
ومشفع لله يؤنس عنده * أثر الهدى في المعهد المأنوس
يعتد منها رحمة قدسية * فيبوء للرحمن بالتقديس
طب باخلاص الدعاء وانه * يشفي من الداء العيا والبوس

والمعني به امام الجامع الاعظم جامع الزيتونة بتونس

يا ابن الخلافة والذين بنورهم * نهجت سبيل الحق بعد دروس
والناصر الدين القويم بعزمه * طردت امامتها بغير عكوس
هجر المنا فيها ولذات المنا * في لذة التهجير والتغليس
حاط الرياضة بالسياسة فانطوت * منه لاكرم مالك وسيوس
أسد يحامي عن حمى اشباله * حتى ضووا منه لأمنع خيس
فسما بموشى البطاح وقد غدت * تختال زهوا في ثياب عروس
والمائلات من الحنايا جنبا * بالبيد من طسم وفل جديس
وغزالبلي منها الغوارب والذرى * فلقين حذرا بالعيون الشوس
لبقاك حرز للانام وعصمة * وحياة أرواح لنا ونفوس
ولأنت كافل ديننا بحماية * لولاك ضيع عهدها وتنوسي
الله أعطاك التي لافوقها * وحباك حظا ليس بالمركوس
تعنو الوجوه اليك قبل وجوهنا * سيان من رأس ومن مرؤوس
فاذا أقمت فان رعيك راحل * يحمي على الاعداء كل وطيس
واذا رحلت فللسعادة آية * تقتادها في موكب وخميس

واذا

وإذا الادلة فى الكمال تطابقت * جاءت بمسموع لها ومقيس
فانعم بملككك دولة عادية * تشفى الاعادى بالعذاب البيس
واليكها منى على خجل بها * عذراء قد حليت بكل نفيس
عذرا فقد طمس الشباب ونوره * وأضاء صبح الشيب عند طموس
لولا عنايتك التى أوليتنى * ماكنت أعنى بعدها بطروس
والله ما أبقت ممارسة النوى * منى سوى رسم أمر دريس
أخنى الزمان على فى الادب الذى * دارسته بمجامع ودروس
فسطا على فرعى وروع أمنى * واجتث من دوح النشاط غروسى
ورضاك رحمتى التى أعتدها * تحيى منا نفسى وتذهب بوسى

ثم كثرت سعاية البطانة بكل نوع من أنواع السعايات وابن عرفة يزيد فى اغرائهم متى اجتمعوا اليه الى أن أغروا السلطان بسفرى معه ولقنوا النائب بتونس القائد فارح من موالى السلطان أن يتفادى من مقامى معه خشية على أمره منى بزعمه وتواطؤا على أن يشهد ابن عرفة بذلك للسلطان حتى شهد به فى غيبة منى ونكر السلطان عليهم ذلك ثم بعث الى وأمرنى بالسفر معه فسارعت الى الامتثال وقد شق ذلك على الا أنى لم أجد محيصا فخرجت معه وانتهيت الى تبسة وسط وطن تلول افريقية وكان منصدرا فى عسكره وتوابعه من العرب الى توزر لان ابن يملول أجلب عليها سنة ثلاث وثمانين واستنقذها من يد ابنه فسار السلطان اليه وشرده عنها وأعاد اليها ابنه وأولياءه ولما نهض من تبسة رجعنى الى تونس فأقمت بضيعة الرياحين من نواحيها الضم زراعتى بها الى أن قفل السلطان ظافرا منصورا فصحبته الى تونس ولما كان شهر شعبان من سنة أربع وثمانين أجمع السلطان الحركة الى الزاب بما كان صاحبه ابن مزنى قد آوى ابن يملول اليه ومهد له فى جواره فخشيت أن يعود فى شأنى ما كان فى السنة قبلها وكان بالمرسى سفينة لتجار الاسكندرية قد شحنها التجار بأمتعتهم وعروضهم وهى مقلعة الى الاسكندرية فتطارحت على السلطان وتوسلت اليه فى تخلية سبيلى لقضاء فرضى فأذن لى فى ذلك وخرجت الى المرسى والناس متسايلون على أثرى من أعيان الدولة والبلد وطلبة العلم فودعتهم وركبت البحر منتصف شعبان من السنة وقوضت عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه وتفرغت لتجديد ما كان عندى من آثار العلم والله ولى الامور سبحانه

(الرحلة الى المشرق وولاية القضاء بمصر)

ولما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين اقمنا فى البحر نحوا من

أربعين ليلة ثم وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس الملك
الظاهر على التخت واقتعاد كرسي الملك دون أهله بني قلاوون وكنا على ترقب ذلك لما
كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه لذلك وتمهيده له وأقمت بالاسكندرية شهرا لتهيئة
أسباب الحج ولم يقدر عامئذ فانتقلت الى القاهرة أول ذي القعدة فرأيت حاضرة الدنيا
وبستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر وايوان الاسلام وكرسي الملك تلوح
القصور والاواوين في جوه وتزهر الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه وتضيء
البدور والكواكب من علمائه قد مثل بشاطئ النيل نهر ومدفع مياه السماء يسقيه
العلل والنهل سيحه ويجبي اليهم الثمرات والخيرات ثجه ومررت في سكك المدينة تغص
بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم ومازلنا نحدث بهذا البلد وبعد مداه في العمران
واتساع الاحوال ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم
وتاجرهم في الحديث عنه سألت صاحبنا كبير الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا
عبد الله المقري فقلت له كيف هذه القاهرة فقال من لم يرها لم يعرف عز الاسلام وسألت
شيخنا أبا العباس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق أهله من
الحساب يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب وحضر صاحبنا قاضي العسكر بفاس
الفقيه الكاتب أبو القاسم البرجي بمجلس السلطان أبي عنان منصرفه من السفارة
عنه الى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية الى الضريح الكريم سنة ست وخمسين
فسألته عن القاهرة فقال أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار ان الذي يتخيله
الانسان فانما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس الا القاهرة
فانها أوسع من كل ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون لذلك ولما دخلتها أقمت
أياما وانثال على طلبة العلم بها يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ولم يوسعوني عذرا
فجلست للتدريس بالجامع الازهر منها ثم كان الاتصال بالسلطان فأبر مقامي وآنس
الغربة ووفر الجراية من صدقاته شأنه مع أهل العلم وانتظرت لحاق أهلي وولدي من
تونس وقد صدهم السلطان هنالك عن السفر اغتباطا بعودي اليه فطلبت من السلطان
صاحب مصر الشفاعة اليه لتخلية سبيلهم فخاطبه في ذلك ثم هلك بعض المدرسين بمدرسة
القمحية بمصر من وقف صلاح الدين بن أيوب فولاني تدريسها مكانه وبينما أنا في ذلك
اذ سخط السلطان قاضي المالكية في دولته لبعض النزعات فعزله وهو رابع أربعة
بعدد المذاهب يدعى كل منهم قاضي القضاة تمييزا عن الحكام بالنيابة عنهم لاتساع
خطة هذا المعمور وما يرتفع من الخصومات في جوانبه وكبير الجماعة منهم قاضي الشافعية
لعموم ولايته في الاعمال شرقا وغربا وبالصعيد والفيوم واستقلاله بالنظر في أموال

قوله الظاهر يريد به الظاهر برقوق وهو أول ملوك الشراكسة بمصر وآخرهم الغوري وانقرضت على يده دولة الشراكسة اه من خط الشيخ العطار

اليتامى والوصايا والقضاة فيها بان مباشرة السلطان قديما بالولاية انما كانت تكون له
فلما عزل هذا القاضي المالكي سنة ست وثمانين اختصني السلطان بهذه الولاية تأهيلا
للمكان وتنويها بذكري وشافهته بالتفادي من ذلك فأبى الا امضاءه وخلع علي بايوانه
وبعث من كبار الخاصة من أقعدني بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحية بين القصرين
فقمت بما دفع الي من ذلك المقام المحمود ووفيت جهدي بما امنني عليه من أحكام الله
لا تأخذني في الله لومة ولا يرغبني عنه جاه ولا سطوة مسويا بين الخصمين آخذا الحق
للضعيف من الحكمين معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين جانحا الى التثبت
في سماع البينات والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات فقد كان البر منهم مختلطا
بالفاجر والطيب ملتبسا بالخبيث والحكام ممسكون عن انتقادهم متجاوزون عما يظهر
عليهم من هناتهم لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة فان غالبهم مختلطون بالامراء
معلمون للقرآن وأئمة في الصلوات يلبسون عليهم بالعدالة فيظنون بهم الخير ويقسمون
الحظ من الجاه في تزكيتهم عند القضاة والتوسل لهم فأعضل داؤهم وفشت المفاسد
بالتزوير والتدليس بين الناس منهم ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب
ومؤلم النكال وتأدى لعلمي الجرح في طائفة منهم فمنعتهم من تحمل الشهادة وكان منهم
كتاب الدواوين للقضاة والتوقيع في مجالسهم قد دربوا على املاء الدعاوي وتسجيل
الحكومات واستخدموا للامراء فيما يعرض لهم من العقود باحكام كتابتها وتوثيق
شروطها فصار لهم بذلك شفوف على أهل طبقتهم وتمويه على القضاة بجاههم يدرعون به
مما يتوقعونه من مغبتهم لتعرضهم لذلك بفعلاتهم وقد يسلط بعض منهم قلمه على العقود
المحكمة فيوجد السبيل الى حلها بوجه فقهي أو كتابي ويبادر الى ذلك متى مادعا
اليه داعي جاه أو منحة وخصوصا التي جاوزت حدود النهاية في هذا المصر لكثرة
عوالمه فأصبحت خافية الشهرة مجهولة الاعيان عرضة للبطلان باختلاف المذاهب
المنصوبة للاحكام بالبلد فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا شارطوه وأجابوه مفتاتين فيه على
الحكام الذين ضربوا فيه سد الحظر والمنع حماية عن التلاعب وفشا من ذلك الضرر
في الاوقاف وطرق الغرر في العقود والاملاك فعاملت الله في حسم ذلك بما آسفهم
علي وأحقدهم ثم التفت الى أهل الفتيا بالمذهب وكان الحكام منهم على جانب الحيرة
لكثرة معارضتهم وتلقينهم الخصوم وفتياهم بعد نفوذ الحكم واذا فيهم أصاغر
فبيناهم يتشبثون بأذيال الطلب والعدالة ولا يكادون اذ بهم قد طفروا الى مراتب
الفتيا والتدريس فاقتعدوها وتناولوها بالجزاف وأجازوها من غير مرتب ولا مستند
للاهلية ولا مرشح اذ الكثرة فيهم بالغة ومن كثرة الساكن مشتقة وقلم الفتيا في هذا

المصر طلق وعنانها مرسل يتجاذب كل الخصوم منها رسنا ويتناول من حافته شقا يرام به
الفتح على خصمه ويستظهر به لارغامه فيعطيه المفتى من ذلك مل‌ء رضاه وكفاء أمنيته
متبعا اياه فى شغب الخلاف فتتعارض الفتاوى وتتناقض ويعظم الشغب ان وقعت
بعد نفوذ الحكم والخلاف فى المذاهب كثير والانصاف متعذر وأهلية المفتى وشهرة
الافتاء عندنا فلا يكاد هذا المدى ينحسم ولا الشغب ينقطع فصدعت
فى ذلك بالحق وكبحت أعنة أهل الهوى والجهل ورددتهم على أعقابهم وكان فيهم
ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوذون وهنالك ولا ينتمون الى شيخ
معروف مشهود ولا يعرف لهم كتاب فى فن اتخذوا الناس هزوا وعقدوا المجالس مثلبة
للاعراض ومثابة للحرم فأرغمهم ذلك منى وملأهم حسدا وحقدا وعلى وخلوا الى
أهل جلدتهم من سكان الزوايا المنتحلين للعبادة ليشترون بها الجاه ويجترؤا به على الله
وربما اضطر أهل الحقوق الى تحكيمهم فيحكمون بما يلقى الشيطان على ألسنتهم
يترخصون به الاصلاح لايزعهم الدين عن التعرض لاحكام الله بالجهل فقطعت الحبل
فى أيديهم وأمضيت حكم الله فيمن أجازوه فلم يغنوا عن الله شيأ وأصبحت زواياهم
مهجورة وبئرهم التى يمتاحون منها معطلة وانطلقوا يراطنون السفهاء من النيل
فى عرضى وسوء الاحدوثة عنى بمختلق الافك وقول الزور ويبثونه فى الناس ويدسون
الى السلطان التظلم منى فلا يصغى اليهم وأنا فى ذلك محتسب على الله ما منيت به فى هذا
الامر ومعرض فيه عن الجاهلين وماض على سبيل سوى من الصرامة وقوة الشكيمة
وتحرى العدالة وخلاص الحقوق والتنكب عن خطة الباطل متى دعيت اليها وصلابة
العود عن الجاه والاعراض متى غمزنى لامسها ولم يكن ذلك شأن من رافقته من
القضاة فنكروه منى ودعونى الى متابعتهم فيما يصطلحون عليه من مرضاة الاكابر
ومراعاة الاعيان والقضاء للجاه بالصور الظاهرة أو دفع الخصوم اذا تعذرت بناء
على أن الحاكم لا يتعين عليه الحكم مع وجود غيره وهم يعلمون أن قد تمالؤا عليه وليت
شعرى ما عذرهم فى الصور الظاهرة اذا علموا خلافها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول
من قضيت له من حق أخيه شيأ فانما أقضى له من النار فأبيت من ذلك كله الا اعطاء
العهدة حقها والوفاء لها ولمن قلدنيها فأصبح الجميع على البا ولمن ينادى بالتأفف منى
عونا وفى النكير على أمة وأسمعوا الشهود الممنوعين أن قد قضيت فيهم بغير وجه
لاعتمادى على على فى الجرح وهى قضية اجماع وانطلقت الالسن وارتفع الصخب
وأراد فى بعض على الحكم بغرضهم فتوقفت وأغروا بى الخصوم فتنادوا بالتظلم عند
السلطان وجمع القضاة وأهل الفتيا فى مجلس حفل للنظر فى ذلك فخلصت تلك

البياض فى الموضعين بالاصل

الحكومة من الباطل خلوص الابريز وتبين أمرهم للسلطان وامضيت فيها حكم الله تعالى ارغاما لهم فغدوا على حرد قادرين ودسوا لاولياء السلطان وعظماء الدولة يقبحون لهم اهمال جاههم ورد شفاعاتهم مموّهين بأن الحامل على ذلك جهل المصطلح وينفقون هذا الباطل بعظائم ينسبونها الى تبعث الحليم وتغرى الرشيد يستثيرون حفائظهم على ويشربونهم البغضاء الى والله مجازيهم وسائلهم فكثر الشغب على من كل جانب وأظلم الجو بيني وبين أهل الدولة ووافق ذلك مصابى بالاهل والولد وصلوا من المغرب فى السفين فأصابها قاصف من الريح فغرقت وذهب الموجود والسكن والمولود فعظم المصاب والجزع ورجح الزهد واعتزمت على الخروج عن المنصب فلم يوافقنى عليه النصيح ممن استشرته خشية من نكير السلطان وسخطه فتوقفت بين الورد والصدر على صراط الرجاء واليأس وعن قريب تداركنى اللطف الربانى وشملتنى نعمة السلطان أيده الله فى النظر بعين الرحمة وتخلية سبيلى من هذه العهدة التى لم أطق حلها ولا عرفت كما زعموا مصطلحها فردّها الى صاحبها الاول وأنشطنى من عقالها فانطلقت حميد الاثر مشيعا من الكافة بالاسف والدعاء وحميد الثناء تلحظنى العيون بالرحمة وتتناجى الآمال فى بالعودة ورتعت فيما كنت راتعا فيه قبل من مراعى نعمته وظل رضاه وعنايته بالعافية التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه عاكفا على تدريس علم أو قراءة كتاب أو اعمال قلم فى تدوين أو تأليف مؤملا من الله قطع صبابة العمر فى العبادة ومحو عوائق السعادة بفضل الله ونعمته

(السفر لقضاء الحج)

ثم مكثت بعد العزل ثلاث سنين واعتزمت على قضاء الفريضة فودعت السلطان والامراء وزودوا وأعانوا فوق الكفاية وخرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين الى مرسى الطور بالجانب الغربى من بحر السويس وركبت البحر من هنالك عاشر الفطر ووصلنا الى الينبع لشهر فوافينا المحمل ورافقتهم من هنالك الى مكة ودخلتها ثانى ذى الحجة فقضيت الفريضة فى هذه السنة ثم عدت الى الينبع فأقمت بها خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر ثم سافرنا الى أن قاربنا مرسى الطور فاعترضتنا الرياح فما وسعنا الا قطع البحر الى جانبه الشرقى ونزلنا بساحل القصير ثم بيندرقنا ثم سرنا مع اعراب تلك الناحية الى مدينة قوص قاعدة الصعيد فأرحنا بها أياما ثم ركبنا فى بحر النيل الى مصر فوصلنا اليها لشهر من سفرنا ودخلتها فى جمادى سنة تسعين وقضيت حق السلطان فى لقائه واعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له فتقبل ذلك بقبول حسن وأقمت فيما عهدت من رعايته وظل احسانه وكنت لما نزلت بالينبع لقيت بها

الفقيه الاديب المتفنن أبا القاسم بن محمد بن شيخ الجماعة وفارس الادباء ومنفق سوق
البلاغه أبي اسحق ابراهيم الساحلي المعروف جده بالطويجن وقد قدم حاجا وفي صحبته
كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم كاتب سر السلطان ابن الاحمر صاحب
غرناطة الحظي لديه أبي عبد الله بن زمرك خاطبني فيه بنظم ونثر تترق و يذكر
بعهود الصحبة نصه

سلوا البارق النجدي عن علمي نجد * تبسم فاستبكى جفوني من الوجد
أجاد ربوعي باللوى درك اللوى * ومح به صوب الغمائم من بعد
ويازاجر الاظعان وهي ضوامر * دعوها تردها عطاشا على نجد
ولاتنشقوا الانفاس منها مع الصبا * فان زفير الشوق من مثلها يعدي
براها الهوى بري القداح وخطها * حزونا على صفح من القفر ممتد
عجبت لها أني تجاذبني الهوى * ومالشوقها شوقي ولا وجدها وجدي
لئن شاقها بين العذيب وبارق * مياه بفيء الظل للبان والرند
فما شاقني الا بدور خدورها * وقد لحن يوم النفر في قضب ملد
فكم في قباب الحي من شمس كلة * وفي فلك الازرار من قمر سعد
وكم صارم قد سل من لحظ أحور * وكم ذابل قد هز من ناعم القد
خذوا الحذر من سكان رامة انها * ضعيفات كسر اللحظ تفتك بالاسد
سهام جفون من قسي حواجب * يصاب بها قلب البري على عمد
وروض جمال ضاع عرف نسيمه * وماضاع غير الورد في صفحة الخد
ونرجس لحظ أرسل الدمع لؤلؤا * فوشى بماء الورد روضا من الورد
وكم غصن قد عانق الغصن مثله * وكل على كل من الشوق يستعدي
قبيح وداع قد جلا لعيوننا * محاسن من روض الجمال بلاعد
رعى الله ليلى لو علمت طريقها * فرشت لاخفاف المطي بها خدي
وماشاقني والطيف يرهب أدمعي * ويسبح في بحر من الليل مزبد
وقد سل خفاق الذوائب بارق * كما سل لماع الصقال من الغمد
وهزت محلا ميد الشوق في الدجا * لحل الذي أبرمت للصبر من عقد
وأقلق خفاق الجوانح نسمة * تنم مع الاصباح خافقة البرد
وهب عليل لفطي بروده * أحاديث أهداها الى الغور من نجد
سوى صادح في الايك لم يدر ما الهوى * ولكن دعاني الشجون على وعد
فهل عند ليلى نعم الله ليلها * بأن جفوني ما تلم من السهد

وليلة

وليلة اذوافى الحجيج الى منى * وفت لى المنى منها بما شئت من قصد
تقضيت منها فوق ما أحسب المنى * وبرد عفاف صانه الله من برد
وليس سوى لحظ خفى بحيلة * وشكوى كما ارفض الجمان من العقد
غفرت الدهر بعدها كل ما جنى * سوى ما جنى وفد المشيب على فودى
عرفت بهذا الشيب فضل شبيبتى * ومازال فضل الضد يعرف بالضد
ومن نال فى ليل الشباب ضلالة * سيوقظه صبح المشيب الى الرشد
أما والهوى ماحدت عن سنن الهدى * ولا جرت فى طرق الصبابة عن قصد
تجاوزت حد العاشقين الأولى مضوا * وأقفر ربع القلب الا من الوجد
اليك أبا زيد شكاة رفعتها * وما أنت من عمرو لدى ولا زيد
بعيشك خبرنى ومازلت مفضلا * أعندك من شوق كمثل الذى عندى
فكم ثار بى شوق اليك مبرح * فظلت يد الاشواق تقدح من زندى
وصفق حتى الريح فى لمم الربى * وأشفق حتى الطفل فى كبد المهد
يقابلنى منك الصباح بوجنة * حكى شفقا فيه الحياء الذى تبدى
وتوهمنى الشمس المنيرة غرة * بوجهك صان الله وجهك عن رد
محياك أجلى فى العيون من الضحى * وذكرك أحلى فى الشفاه من الشهد
وما أنت الا الشمس فى علو أفقها * تفديك من قرب وتلحظ من بعد
وفى نعمة من لا ترى الشمس عينه * وما نفع نور الشمس فى الاعين الرمد
من القوم صانوا المجد صون عيونهم * كما قد أباحوا المال ينهب للرفد
اذا ازدحموا يوما على الماء اسوة * فما ازدحموا الا على مورد المجد
ومهما أغاروا منجدين صريخهم * يشبون نار الحرب فى الغور والنجد
ولم يقتنوا بعد الثناء ذخيرة * سوى الصارم المصقول والصافن النهد
وما اقتسم الانفال الا ممدح * ملاها باعراف المطهمة الجرد
أتنسى ولا تنسى ليالينا التى * خلسنا بها العينين من جنة الخلد
ركبنا الى اللذات فى طلق الصبا * مطايا الليالى وادعين الى حد
فان لم ندر فيها الكؤس فاننا * وردنا بها للانس مستعذب الورد
لقيتك فى غرب وأنت رئيسه * وبابك للاعلام مجمع الوفد
فآنست حتى ما شكوت بغربة * وواليت حتى لم أجد مضض الفقد
وعدت لقطرى شاكرا ما بلوته * من الخلق المحمود والحسب العد
الى أن أجزت البحر يا بحر نحونا * وزرت مزار الغيث فى عقب الجهد

ألذ من النعمى على حال فاقة * وأشهى من الوصل الهنى على صد
ولو ساء أن قوضت رحلك بالنوى * وعوضت منها بالزميل و بالوخد
لقد سرنى ان لحت فى أفق العلا * على الطائر الميمون والطالع السعد
طلعت بأفق الشرق نجم هداية * فجئت مع الانوار فيه على وعد
يمينا بمن تسرى المطى سراهم * عليها سهام قد رمت هدف القصد
الى بيته كمازو رمعاهدا * بات بها جبريل عن كرم العهد
لانت لنا مهما دجا ليل مشكل * قدحت به للنور واربة الزند
وحيث استقلت فى ركاب لطيه * فأنت شقى النفس فى القرب والبعد
وانى بباب الملك حيث عهدتنى * مذيل ظلال الجاه مستحصف العقد
أجهز بالانشاء كل كتيبة * من الكتب والكتاب فى عرضها جدى
لوذ من المولى الامام محمد * بظل على نهر المبرة ممتد
اذا فاض من يمناه بحر سماحة * وعم به الطوفان فى النجد والوهد
ركبنا الى الاحسان فى سفن الرجا * بحور عطاء ليس تزجر عن صد
فمن مبلغ الانصار عنى ألوكة * مغلغلة فى الصدق منجزة الوعد
بآية ما أعطى الخليفة ربه * مفاتيح فتح ساقها سائق السعد
ودونك من روض المحامد نفحة * تفوق اذا اصطف الندى من الند
ثناء يقول المسك ان ذاع عرفه * أبالك من نداياك من ند
وما الماء فى جو السحاب مروقا * بأطهر ذات منك فى كنف المهد
فكيف وقد حلتك أسراءها الجلا * وباهت بك الاعلام بالعلم الفرد
وما الطل فى ثغر من الزهر باسم * بأصفى وأذكى من ثنائى ومن ودى
ولا البدر معصوما بتاج تمامه * بأبهر من ودى وأسير من حمدى
بقيت ابن خلدون امام هداية * ولا زلت من دنياك فى جنة الخلد

ووصلها بقوله سيدى شيخ الاعلام كنز رؤساء الاسلام مشرف حملة السيوف والاقلام جمال الخواص والظهراء أثير الدول خالصة الملوك مجتبى الخلفاء سر العلاء أوحد الفضلاء قدوة العلماء حجة البلغاء أبقاكم الله بقاء جميلا يعقد لواء الفخر ويعلى منار الفضل ويرفع عماد المجد ويوضح معالم السيادة ويرسل أشعة السعادة ويفيض أنوار الهداية ويطلق ألسنة المحامد وينير أفق المعارف ويعذب مورد العناية ويمتع بعمر النهاية ولا نهاية بأى التحيات أفاتحك وقدرك أعلى ومطلع فضلك أوضح وأجلى ان قلت تحية كسرى فى الثناء وتبع فأنت لا يقتفى ولا يتبع تلك تحية عجماء

لاتبين

لا بين ولا تبين وزمزمة نافرها اللسان العربي المبين وهذه جهالة جهلاء لا ينطبق على حروفها الاستعلاء قد محا رسومها الخفاء وعلى آثار دمنتها العفاء وان كانت الصيتان طالما أوجف بهما الركاب وقعقع البريد ولكن أين يقعان مما أريد تحية الاسلام أصل في الفخر نسبا وأوصل بالشرع سببا فالاولى أن نحييك بما حيا الله في كتابه رسله وأنبياءه وحيت به ملائكته في جواره أولياءه فأقول السلام عليكم يرسل من رحمة الله غماما ويفتق من الطروس عن أزهار المحامد كماما ويستصحب من البركات ما يكون على التي هي أحسن من ذلك مقاما وأجدد السؤال عن الحال الحالية بالعلم والدين المستمدة من أنوارها سرج المهتدين زادها الله صلاحا وعرفها نجاحا يتبع فلاحا وأقرر ما عندي من تعظيم ارتقى كل آونة شرفه واعتقاد جميل يرفع عن وجه البدر كلفه وثناء أنشر بيدك البيضاء صحفه وعلى ذلك أيها السيد المالك فقد تشعبت على في مخاطبتك المسالك ان أخذت في تقرير فضلك العميم ونسبك الصميم فوالله ما أدري بأي تبعة لفخرك تدفع الظلم وفي أي بحر من ثنائك يسبح القلم الأمر جلل والشمس تكبر على حلي وحلل وان أخذت في شكاة الفراق والاستعداء على الاشواق وأسلك البراع تخضب مفارق الطروس بصبغ الحبر المراق وغيرك من تركض في مخاطبته جياد البراع في مجال الرقاع مستولية على أمد الابداع والاختراع فانما هو بث يبكي وغرام يشكي فيعلم الله مرضي عن أن أشافهمن أنبائك ثغور البروق البواسم وأن أحملك الرسائل حتى مع سفراء النواسم وأن اجتلى غرر ذلك الجبين في محيا الشارق ولمح البارق ولقد وجهت اليك جملة من الكتب والقصائد ولا كالقصيدة الفريدة في تأبين الجواهر اللاتي استأثر بهن البحر قدس الله أرواحهم وأعظم الله أجرك فيهم فانها أنافت على مائة وخمسين بيتا ولا أدري هل بلغكم ذلك أم غاله الضياع وعذر وصوله بعد المسافة والذي يطرق في سوء الظن بذلك ما صدر في مقابلته منكم فاني على علم من كرم قصدكم ومن حين استغربنا كم بذلك الافق الشرقي لم يصلني منكم كتاب مع على بضاع اثنين منهما بهذا الافق الغربي اه وفي الكتاب اشارة الى أنه بعث قصيدة في مدح الملك الظاهر صاحب مصر ويطلب منى رفعها الى السلطان وعرضها عليه بحسب الامكان وهي على روى الهمزة ومطلعها

أمدامع منهلة أم لؤلؤ * لما استهل العارض المتلألئ

وبعث في طي الكتاب واعتذر بأنه استناب في نسخها فكتبت همزة رويها ألفا قال وحقها أن تكتب بالواو لانها تبدل بالواو وتسهل بين الهمزة والواو وحرف الاطلاق بسوقها واوا هذا مقتضى الصناعة وان قال بعض الشيوخ تكتب ألفا على كل حال

على لغة من لا يسهل لكنه ليس بشيء وأذن لي في نسخ القصيدة المذكورة بالخط المشرقي
لتسهل قراءتها عليهم ففعلت ذلك ورفعت النسخة والاصل للسلطان وقرأها
كاتب سره ولم يرجع الي منها شيء ولم أستجد أن أنسخها قبل رفعها الى السلطان
فضاعت من يدي وكان في الكتاب فصل عرفني فيه بشأن الوزير مسعود بن رحو
المستبد بأمر المغرب لذلك العهد وما جاء به من الانتقاض عليهم والكفران لصنيعهم
يقول فيه كان مسعود بن رحو الذي أقام بالاندلس عشرين عاما يتبنك النعيم
ويقود الدنيا ويخفر العيش والجاه قد أجيز صحبة ولد عثمان كما تعرفتم من نسخة كتب
انشائه بجبل الفتح لاهل الحضرة فاستولى على المملكة وحصل على الدنيا وانفرد
برياسة دار المغرب لضعف السلطان رحمه الله ولم يكن الا ان كفرت الحقوق وحنظلت
نخلته السحوق وشف على سواد جلدته سواد العقوق وداخل من سبتة فانتقضت
طاعة أهلها وظنوا أن القصبة لا تثبت لهم وكان قائدها الشيخ الابهة فل الحصار وجلي
القتال ومحش الحرب أبو زكريا بن شعيب فثبت للصدمة وثور للاندلس فبادره المدد
من الجبل ومن مالقة وتوالت الامداد وخاف أهل البلد ورجع شرفاؤه ودخلوا القصبة
واستغاث أهل البلد بمن جاورهم وجاءهم المدد أيضا ثم دخل الصالحون في رغبة هذا
المقام ورفع القتال وفي أثناء ذلك غدروا ثانية فاستدعى الحال اجازة السلطان المخلوع
أبي العباس لتبادر القصبة به ويتوجه منها الى المغرب لرغبة بني مرين وغيرهم فيه وهو
ولد السلطان المرحوم أبي سالم الذي قلدكم رياسة داره وأوجب لكم المزية على أوليائه
وأنصاره وبعده فصل آخر يطلب فيه كتبا من مصر يقول فيه والمرغوب من سيدي
أن يبعث لي ما أمكن من كلام فضلاء الوقت وأشياخهم على الفاتحة اذ لا يمكن بعث
تفسير كامل لاني أثبت في تفسيرها ما أرجو به النفع عند الله وقد علمتم أن عندي
التفسير الذي أوصله عثمان التجاني من تأليف الطيبي والسفر الاول من تفسير أبي
حيان وملخص اعرابه وكتاب المغني لابن هشام وسمعت عن براءة تفسير للامام بهاء الدين
ابن عقيل ووصلت الي براءة من كلام   الاسرى رضي الله عن جميعهم ولكني
لم أصل الا للبسملة وذكر أبو حيان في صدر تفسيره أن شيخه سليمان النقيب أو أبا
سليمان لا أدري الآن صنف كتابا في البيان في سفرين جعله مقدمة لكتاب تفسيره الكبير
فان أمكن سيدي توجيهه لا بأس انتهى وفي الكتاب فصول أخرى في اغراض متعددة
لا حاجة الى ذكرها ههنا ثم ختم الكتاب بالسلام وكتب اسمه محمد بن يوسف بن زمرك
وتاريخه العشرون من محرم سنة تسع وثمانين (وكتب الي) قاضي الجماعة
بغرناطة أبو الحسن علي بن الحسن البني الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا

: بياض بالاصل

محمد رسول الله ياسيدى وواحدى وِدّا وحبا ونجى الروح بعدا وقربا أبقاكم الله وثوب سيادتكم سابغ وقمر سعادتكم كلما أفلت الاقمار بازغ أسلم باتم سلامى عليكم وأقرر بعض مالدى من الاشواق اليكم من حضرة غرناطة مهدها الله عن ذكر لكم يتضوع طيبه وشكر لايذوى وان طال الزمان رطيبه قد كان بلغ ماجرى من تأخيركم عن الولاية التى تقلدتم أمرها وتحملتم مرها فتمثلت بما قاله شيخنا أبو الحسن بن الجياب عند انفصال صاحبه الشريف أبى القاسم عن خطة القضاء

لامرحبا بالناس أنفارك * اذ جهلت رفعة مقدارك
لو أنها قد أوتيت رشدها * مابرحت تعشو الى نارك

ثم تعرفت كيفية انفصالكم وانه كان عن رغبة من السلطان المؤيد هنالكم فرددت وقد توهمت مشاهدتكم هذه الابيات

لك الله يا بدر السماحة والبشر * لقد حزت فى الاحكام منزلة الفخر
ولكنك استعفيت عنها تورعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدرى
جريت على نهج السلامة فى الذى * تخيرته للقشر منك وللعشر
وحق بأن العلم ولاك خطة * من العز لاتنفك عنها مدى العمر
تزيد على مر الجديدين جدة * وتسرى النجوم الزاهرة ولاتسرى
ومن لاحظ الاحوال وازن بينها * وكم لذوى الدنيا الدنية من خطر
وأمسى لانواع الولايات نابذا * فغير نكير أن يواجه بالشكر
فيهنيك يهنيك الذى أنت أهله * من الزهد فيها والتوقى من الوزر
ولاتكترث من حاسديك فانهم * حصا والحصا لايرتقى مرتقى الدر
ومن عامل الاقوام بالله مخلصا * له فيهم نال الجزيل من الاجر
بقيت لرفع المجد تحمى ذماره * وخار لك الرحمن فى كل مايجرى

ايه سيدى رضى الله عنكم وأرضاكم أطنبتم فى كتابكم فى الثناء على السلطان الذى أنعم بالاعفاء والمساعدة على الانفصال عن خطة القضاء واستوهبتم الدعاء له من الاولياء ولله دركم فى التنبيه على الارشاد الى ذلكم فالدعاء له من الواجب الذى فيه استقامة الامور وصلاح الخاصة والجمهور وعند ذلك ارتفعت أصوات العلماء والصلحاء بهذا القطر له ولكم بجميل الدعاء أجاب الله فيكم أحسنه وأجمله وبلغ كل واحد منكم ماقصده وأمله وأنتم أيضا من أهل العلم والجلالة والفضل والاصالة وقد بلغتم بهذه البلاد الغاية من التنويه والحظ الشريف النبيه لكن أراد الله سبحانه أن يكون لمحاسنكم فى تلك البلاد العظيمة ظهور وتحدث بعد الامور أمور وبكل

اعتبار فالزمان بكم حيث كنتم مباه والمحامد مجموعة لكم جمع شتاه ولما وقف على مكتوبكم مولانا السلطان أبو عبد الله أطال الله الثناء على مقاصدكم وتحقق جميل ودادكم وصحيح اعتقادكم وعمر مجلسه يومئذ بالثناء عليكم والشكر لما لديكم ثم ختم الكتاب بالسلام من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن مؤرّخا بصفر سنة تسعين وفي طيه مدرجة بخطه وقد قصر فيها عن الاجادة نصها سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم وأظفركم بمناكم أعتذر لكم من الكتاب المدرج به هذا غير خطي فاني في ذلك الوقت بحال مرض من عيني ولكم العافية الوافية فيسعني سمحكم وربما كان لديكم تشوف بما نزل في هذه المدة بالمغرب من الهرج أماطه الله وآمن بلاد المسلمين والموجب أن الحصة الموجهة في خدمة أميرهم الواثق ظهر له ولوزيره ومن ساعده على رأيه امساكها رهينة وجعلهم في القيود الى أن يقع الخروج لهم على مدينة سبتة وكان القائد على هذه الحصة العلج المدعو المهند وصاحبه الفتى المدعو نصر الله وكثر التردد في القضية الى أن أبرز القدر توجيه السلطان أبي العباس تولاه الله صحبة فرج بن رضوان بحصة ثانية وكان ما كان حسبما تلقيته من الركبان هذا ما وسع الوقت من الكلام ثم ختم الكتاب وانما كتبت هذه الاخبار وان كانت خارجة عن غرض هذا الكتاب المؤلف لان فيها تحقيقا لهذه الواقعات وهي مذكورة في أماكنها فربما يحتاج الناظر الى تحقيقها من هذا الموضع وبعد قضاء الفريضة رجعت الى القاهرة محفوفا بستر الله ولطفه ولقيت السلطان فتلقاني أيده الله بمعهود مبرته وعنايته ولحقت السلطان النكبة التي محصه الله فيها وأقاله وجعل الى الخير فيها عاقبته ومآله ثم أعاده الى كرسيه للنظر في مصالح عباده وطوقه القلادة التي ألبسه كما كانت فأعاد لي ما كان أجراه من نعمته ولزمت كسر البيت ممتعا بالعافية لابسا برد العزلة عاكفا على قراءة العلم وتدريسه لهذا العهد فاتح سبع وتسعين والله يعرّفنا عوارف لطفه ويمد علينا ظل ستره ويختم لنا بصالح الاعمال وهذا آخر ما انتهيت اليه وقد نجز الغرض مما أردت ايراده في هذا الكتاب والله الموفق برحمته للصواب والهادي الى حسن المآب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله والاصحاب والحمد لله رب العالمين

يقول المتوكل على من وصف نعمه بالاسباغ الفقير الى الله تعالى
محمد الصباغ مصحح دار الطباعة الخديوية ببولاق مصر المعزية

تبارك الذي كمل النوع الانساني وجمع له ما تفرق في العالم من المعاني وحلاه بتقسيمه

الى عرب وعجم وبربر وجعل فى خلال ذلك عبرا تنظر وقصصا بديعة المخبر تذكر فتم بذلك للمؤرخ ديوان المبتدا والخبر واستدل على أنه سبحانه المتصف بصفات الكمال الواجب له صفات الجلال وصلى الله وسلم على النبى المعظم الذى قص عليه من الاخبار أنفسها ومن الآثار البديعة أحسنها وعلى آله الذين اتبعوا أثره وصحبه الذين أرخوا سيره (وبعد) فقد أتم الله نعمه وجوده وكرمه بطبع هذا الكتاب العجيب المشتمل على كل خبر غريب الموسوم بكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر وهو اسم طابق مسماه ولفظ تحقق معناه فلقد بين المخبآت ودل على الآيات البينات وأخبر عما كان حتى كأنه حاضر للعيان وحكى من السير ما فيه معتبر وأشار باخبار الملوك الى حسن السياسة والى تعلم كيفية الفراسة اشتهر فضله ولم ير مثله تفجرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحاره وانسجمت بالخير أمطاره وغنت أطياره وتفتحت أزهاره وطابت ثماره ولقد كان عزيزا حتى لا يسمع الا اسمه وأشبه طلل مية رسمه فأحيا مواته لطف الطبع وأقام أوده حسن الوضع حتى عم عرف طيبه العبير ووصلت اليه يد الغنى والفقير وهو من الحسنات التى أشرقت شمسها على صفحات الطروس وتزينت بحلاها النفوس فى ظل صاحب السعادة وحليف المجد والسيادة من جبلت على حبه القلوب فرفعت أكف السؤال من علام الغيوب أن يديم له النصر والتعزيز خديو مصر العزيز بن العزيز ابن العزيز سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازالت الدنيا مشرقة بكوكب سعده حاملة رايات مجده ناطقة بالثناء على أشباله الكرام غرة جبين الليالى والايام ثم ان هذا الطبع الظريف والوضع اللطيف بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة ذات الشهرة الباهرة والمحاسن الزاهرة التى أنقذت الكتب من أسر التحريف وأطلقتها عن قيد التصحيف فلبست ثوب الفخار وتوجت تاج الاعتبار يسر برؤيتها الناظر وينشرح بها الخاطر ملحوظة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى تدبير نضارها من لا تزال عليه أخلاقه بالالطاف تثنى حضرة حسين بك حسنى لازال موفقا للخيرات مسديا لانواع المبرات ثم ان التصحيح بعد التنقيح ما عدا بعض الجزء السادس والثانى بمعرفة العبد الفانى الفقير الى الله محمد الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم اسباغ ولما أسفر بدر تمامه وفاح مسك ختامه أرخه الاستاذ فريد الزمان ونادرة الاوان من ألقت اليه البلاغة مقاليدها وملكته الفضائل طارفها وتليدها الذى اشتهر فضله فى الامصار

السيد عبد الهادى نجا الابيارى فقال أحسن مقال

زها ابن خلدون وتم طبعا * وراق حسنا ثم فاق جمعا
كأنه روض أغن أزهرت * أفنانه بكل فن وضعا
أبناء أبناء الزمان فيه * تروق جمعا وتشوق سمعا
نديم أنس متحف بكل ما * ينعش أرواح النديم نفعا
يسر بالذى يسر كل من * حدث بحسن الحديث رفعا
يهديه من طرائف الاخبار ما * يلهيه عما يشتهيه طبعا
ألفاظه تطرب كل سامع * كأنها صوت الحمام سجعا
تلعب بالعقل كأنها الصبا * تلعب بالاغصان حين تسعى
فاعكف عليه غير ناظر الى * سواه اذ هو الاجل قطعا
من منة الله على الانام أن * كثر بالطبع تجمل وقعا
وأنشد الحال مؤرخا له * زها ابن خلدون وتم طبعا
١٣ ٥٣ ٦٩٠ ٤٤٦ ٨٢

سنة ١٢٨٤

وكان فصال طبعه وتمام وضعه آخر ربيع
الثانى من العام المشار اليه فى الابيات من
هجرته عليه أفضل صلوات وأزكى
تحيات وعلى أصحابه وآله
وكل ناسج على
منواله

تم

